دولة الكويت
سلسلة مطبوعات
المنظمة الاسلامية للعلوم الطبية
الاسلام والمشكلات الطبية المعاصرة

ثانياً :

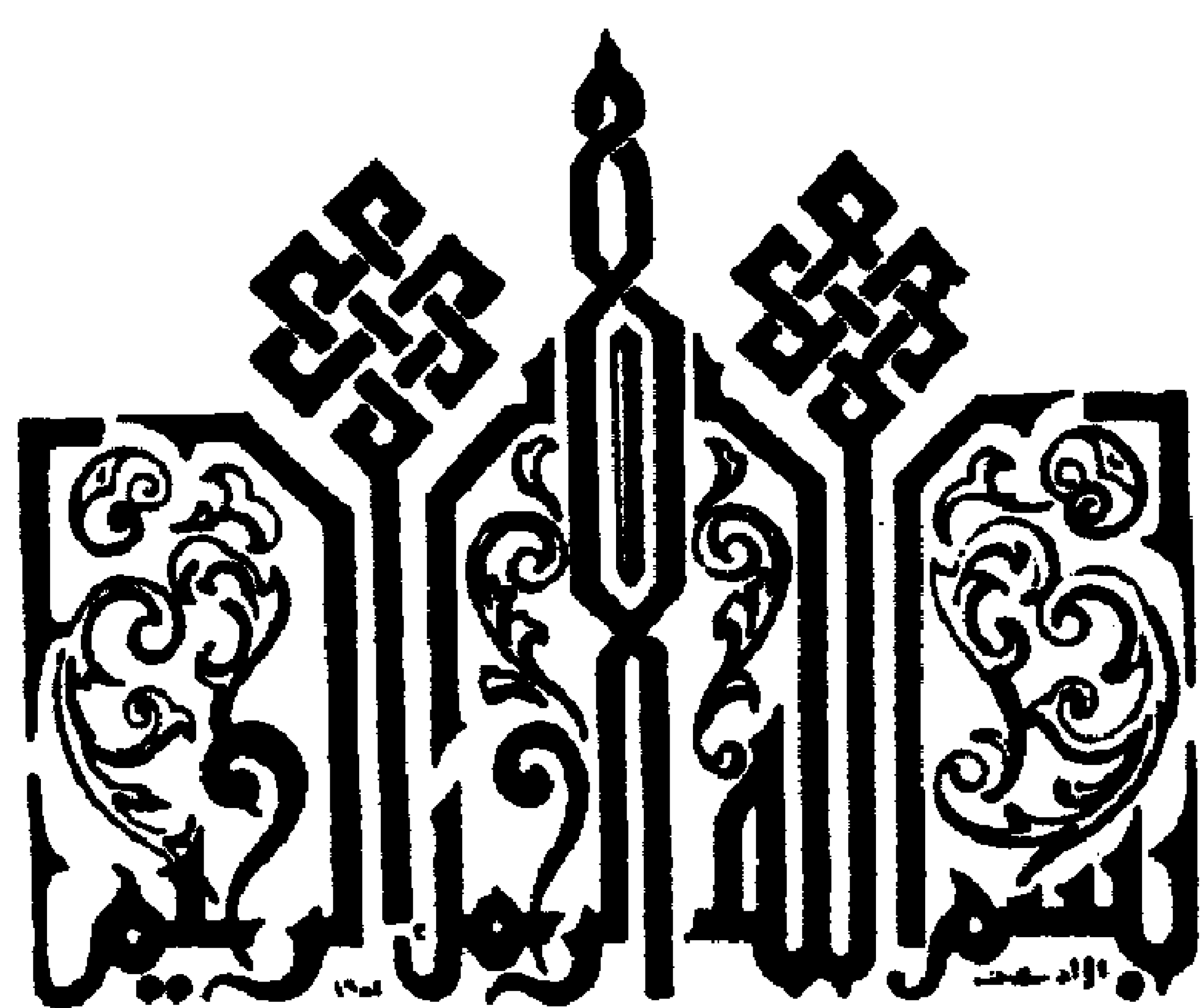
الحياة الانسانية
بدايتها ونهايتها
في المفهوم الاسلامي



ثبت كامل لاعمال ندوة الحياة الانسانية : بدايتها ونهايتها في المفهوم الاسلامي
المنعقدة بتاريخ الثلاثاء ٢٤ ربيع الآخر ١٤٠٥ هـ الموافق ١٥ يناير ١٩٨٥ م

اشراف وتقديم :
الدكتور
عبدالرحمن عبدالله العوضي
وزير الصحة العامة ووزير التخطيط
ورئيس المنظمة الاسلامية للعلوم الطبية

المحررون
الدكتور خالد المذكور
الدكتور علي سيف
الدكتور أحمد رجائي الجندي
الدكتور عبدالستار أبو غدة



الحياة الإنسانية
بدايتها ونهايتها
في المفهوم الإسلامي

دولة الكويت

سلسلة مطبوعات
المنظمة الاسلامية للعلوم الطبية
الاسلام والمشكلات الطبية المعاصرة

ثانياً :

الحياة الانسانية
بدايتها ونهايتها
في المفهوم الاسلامي

ثبت كامل لأعمال ندوة الحياة الإنسانية : بدايتها ونهايتها في المفهوم الاسلامي
المنعقدة بتاريخ الثلاثاء ٢٤ ربيع الآخر ١٤٠٥ هـ الموافق ١٥ يناير ١٩٨٥م

اشراف وتقديم :
الدكتور
عبد الرحمن عبد الله العوضي
وزير الصحة العامة ووزير التخطيط
ورئيس المنظمة الاسلامية للعلوم الطبية

المحررون
الدكتور خالد المذكور
الدكتور علي سيف
الدكتور أحمد رجائي الجندي
الدكتور عبد الستار أبو غدة

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

بحمد الله وتوفيقه انعقدت الندوة الثانية في سلسلة الندوات التي تتبناها المنظمة الإسلامية للعلوم الطبية تحت عنوان « الإسلام والمشكلات الطبية المعاصرة » وكانت هذه الندوة عن « الحياة الإنسانية بدايتها ونهايتها » ولقد كانت الاستجابة طيبة من علمائنا في العلوم الطبية والعلوم الفقهية ولعل السبب في ذلك هو حرص الجميع على إنجاح هذه السلسلة من الندوات في هذه المجالات الحيوية وأيضا النجاح الكبير للندوة الأولى والتي كانت تحت عنوان « الإنجاب في ضوء الإسلام » وما لقيته أعمال تلك الندوة من تقدير لدى الهيئات الطبية والفقهية في العالم الإسلامي حتى أصبحت بحمد الله مرجعا هاما في هذا المجال .

إن أهمية هذه السلسلة من الندوات ترجع إلى النواحي الآتية :

١ ــ هذه المشاكل أصبحت تطرق أبوابنا بشدة ويجب أن نتصدى لها بالرأي الشرعي حتى نكون على بينة من أمرنا كأطباء وفقهاء ومسلمين .

٢ ــ نحن نسعى أيضا لكي يكون بيننا جميعا حد أدنى من الاتفاق في مثل هذه المسائل الحيوية رغم أن الخلاف ليس عيبا ولكنه من رحمة الله بعباده ، فطالما أن المسألة ليست قطعية الثبوت وأنها فيها مساغ للاجتهاد فإن ذلك سوف يجعل معطياتها متأثرة بنوعية الاجتهاد البشري ، ومدى وضوح التصورات المقدمة والتي ستختلف من عصر لآخر حسب تقنياته ومن شخص لآخر

حسب اجتهاده وتوفيقه فمن أصاب فله أجران ومن أخطأ فله أجر على اجتهاده .

٣ ـ إن هذا التجمع من علماء الفقه والعلوم الطبية ثبتت أهميته وجدواه ، لتبسيط الاصطلاحات الطبية إلى الفقهاء ، وإطلاعهم على محدثات العصر في هذا المجال ، حيث التقدم العلمي في هذا المجال أصبح أقرب إلى الخيال ، وأحلام الماضي أصبحت حقائق اليوم ويجب علينا أن نواكب هذا التقدم خاصة إذا كانت هناك فتيا وضعت على أسس علمية طبية كانت متوفرة في ذلك العصر ووجد الآن ماهو أكثر تقدما ودقة ، حيث يصبح من واجبنا إعادة النظر فيها حسب مقتضيات تقنيات هذا العصر الذي نعيش فيه .

من جانب آخر فإننا نحاول أن نزيد من مستوى الثقافة الفقهية للعاملين في مجال العلوم الطبية فإنها أصبحت جزءا لا يتجزأ من هذا العمل فهي صمام الأمان للعمل الطبي الإسلامي حتى أصبح واجبا على العاملين فيه أن يعرفوا الحلال والحرام فيما يقومون به .

لقد اخترنا هذا العام موضوعا لا يقل أهمية عن المواضيع التي طرحت في الندوة السابقة وهو عن « الحياة الإنسانية بدايتها ونهايتها في المفهوم الإسلامي » ويكتسب أهميته من أنه يواجه حاجة ماسة للطبيب المسلم أثناء الممارسة اليومية لإدراك الحكم الشرعي لما يقوم به من إجراءات المهنة الطبية ، وإضافة إلى ذلك سوف يترتب على نوعية ممارسته أحكام فقهية وقرارات طبية هامة قد تؤثر على حياة إنسان سلبا أو ايجابا . عملا بقوله تعالى : ﴿ أنه من قتل نفسا بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعا ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعا ﴾ .

ولعل الحوار الذي دار بين المشاركين هو أكبر دليل على صحة ما نحن بصدده ، فكثير من الأمور أثيرت من كلا الطرفين (الأطباء والفقهاء) ابتغاء رضا الله وتوضيحا للحقيقة حتى يتبين لهم الحلال والحرام . إن حرص الجميع على نجاح

الندوة كان هدفا واضحا رغم أن حرارة النقاش كانت تصل إلى أقصاها ولكن دون خصام أو مقاطعة بل في ود وإخاء ومحبة ، من منطلق أن « اختلاف الرأي لا يفسد للود قضية . . » .

وفي النهاية هذه هي الشريعة الإسلامية السمحة بشموخها وبمقاصدها التي اهتمت بالإنسان من حيث هو إنسان فبينت لـه الحلال والحـرام ، حفاظـا على صحته ، وضمانا لعدم اختلاط الأنساب والأرحام .

هذا ، وندعو الله عز وجل أن تستمر أمثال هذه الندوات بالجهود المشتركة والمبرورة وأن يوفقنا جميعا إلى ما يحبه ويرضاه .

دكتور

عبد الرحمن عبد الله العوضي

وزير الصحة العامة ووزير التخطيط
ورئيس المنظمة الإسلامية للعلوم الطبية

كلمة التحرير

بحمد الله وتوفيقه انعقدت ندوة « الحياة الانسانية بدايتها ونهايتها في المفهوم الاسلامي » ولا يخفى ما لهذه الندوة من أهمية خاصة لما سيترتب عليها من أحكام فقهية وقانونية وطبية ولذلك تم جمع أهل الخبرة في هذه المجالات بهدف وضع تعريف طبي فقهي قانوني لبداية ونهاية حياة الانسان في ظل المفهوم الاسلامي .

إن الشريعة الإسلامية تهدف أول ما تهدف إلى حفظ صحة الإنسان فهي من بين مقاصدها الخمسة وقد اجتهد علماء الشريعة السابقون في هذا المجال ووضعوا لكل مشكلة واجهتهم وتواجهنا اليوم ما يناسبها من أحكام بناء على ما توفر لديهم من تقدم علمي في هذا المجال .

ورغم ما نعيشه من تقدم كبير في مجال الطب والعلوم الطبية فقد كان من الضروري أمام هذه التقنيات الحديثة أن يجتمع أهل الطب والفقه والقانون لبحث القضية مرة بعد مرة في ضوء هذه التقنيات الجديدة حتى تكون الأحكام الفقهية الاجتهادية مواكبة لها حيث تمس حياة الإنسان مباشرة .

إن بحث هاتين القضيتين أصبح ضرورة ملحة ليس فقط للدول الإسلامية بل أيضا للجاليات الإسلامية التي كبرت وازداد حجمها وهي :-

أولا : تريد أن تكون على بينة من الحلال والحرام في هذا الموضوع .

ثانيا : لأن من بين هؤلاء من يعمل في هذا المجال وحريص على أن يعرف حدود عمله لأن « الحلال بيّن والحرام بيّن وبينهما أمور متشابهات » .

لقد قدم العلماء في المجالات المختلفة تصوراتهم العلمية دون تحيز أو تعصب وتداولوا طويلا مستشعرين سماحة الإسلام باذلين جهدهم للوصول إلى رأي فقهي طبي قانوني في ضوء هذه المعطيات الحديثة . ولعل من لم تتضح لهم عملياً قدرة الشريعة الإسلامية على مواكبة هذه المحدثات سيرون من خلال متابعة نتائج هذه الندوة وغيرها عظمة الإسلام ومتانة الشريعة الإسلامية ، فضلا عن شهادة الأطباء من غير المسلمين المشاركين في الندوة قبل الأطباء المسلمين على أن الشريعة الإسلامية تستطيع أن تستوعب كل محدثات العصر ﴿ **اليوم أكملت لكم دينكم ، وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا** ﴾ . « إن هذا الدين متين فأوغل فيه برفق ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه » .

إن الوضوح في هذه الأمور أصبح ضرورة ملحة لمواجهة تلك الأصوات التي أصبح صداها يصم الآذان وهذه الصيحات التي ظهرت في العالم الغربي تحت دعوى الحرية التي لا حدود لها والتي تحولت إلى فوضى عارمة والتي إن لم نواجهها بالرأي الإسلامي المستمد من الشريعة السمحة سوف نغرق في الطوفان القادم إلينا تحت دعاوي مختلفة .

لقد تم تقسيم جميع الأبحاث سواء الطبية أو الفقهية إلى بداية الحياة ، ونهايتها وتخصيص الجزء الأول لبدء الحياة الإنسانية سواء الطبية أو الفقهية مع مناقشاتها. تلا ذلك الجزء الثاني لنهاية الحياة الإنسانية وتم تخصيص الجزء الثالث للتوصيات ومناقشاتها .

أخي الفاضل . . .

هذه هي أعمال الندوة بين يديك بذلنا فيها أقصى جهدنا حتى تخرج بأحسن صورة داعين المولى أن يوفقنا جميعاً إلى ما يحبه ويرضاه وأن تكون أعمال هذه الندوة لبنة في بناء صرح الفقه الطبي الذي ندعو الله أن يكون منارا هادياً في وسط هذا الموج العاتي والله الموفق إلى سواء السبيل .

المحررون الدكتور أحمد رجائي الجندي

الدكتور خالد المذكور

الدكتور علي السيف الدكتور عبد الستار أبو غدة

البرنامج العلمي للندوة

« الحياة الانسانية بدايتها ونهايتها »
في المفهوم الاسلامي
في الفترة من ٢٤ ـ ٢٦ ربيع الآخر ١٤٠٥ هـ
الموافق ١٥ ـ ١٧ يناير ١٩٨٥م

مكان انعقادها : فندق هيلتون الكويت .

الافتتاح : الساعة ٩ ـ ٩,٣٠ صباحا

افتتاح سعادة الوزير وسير أعمال الندوة .

الجلسة الأولى : الساعة ٩,٣٠ ـ ١١,٣٠ صباحا

بداية الحياة الانسانية من الوجهة الطبية .

ـ رئيس الجلسة   وزير الصحة العامة سعادة الدكتور
عبد الرحمن عبدالله العوضي

ـ نائب الرئيس   الدكتور / مصطفى صبري

ـ المقرر   الدكتور / محمد الجاسم

استراحة : الساعة ١١,٣٠ ـ ١٢ ظهرا .

ساي وصلاة الظهر . الجلسة الثانية

الجلسة الثانية : الساعة ١٢ ـ ٢ ظهرا .

بداية الحياة الإنسانية م من الوجهة الفقهية .

ــ رئيس الجلسة سماحة الشيخ / محمد المختار السلامي .

ــ نائب الرئيس المستشار / عبدالله محمد عبدالله

ــ المقرر الدكتور / أحمد القاضي

استراحة : الساعة ٢ ـ ٤ بعد الظهر .

غداء

الجلسة الثالثة : الساعة ٤ ـ ٨ مساء

مناقشات فقهية عن بداية الحياة الإنسانية .

ــ رئيس الجلسة الأستاذ الدكتور / يوسف القرضاوي

ــ نائب الرئيس الأستاذ الدكتور / عبدالله باسلامه

ــ المقرر الدكتور / عبد الستار أبو غدة .

اليوم الثاني : الأربعاء ٢٥ ربيع الآخر ١٤٠٥ هـ .

الموافق ١٦ يناير ١٩٨٥م .

الجلسة الأولى : الساعة ٩ ـ ١١,٣٠ صباحا

نهاية الحياة الإنسانية من الناحية الطبية

ــ رئيس الجلسة الأستاذ الدكتور / سعادة الوزير

ــ نائب الرئيس الدكتور / عمر الأشقر

ــ المقرر الدكتور / مختار المهدي

استراحة : الساعة ١١,٣٠ ـ ١٢ ظهرا

صلاة الظهر .

الجلسة الثانية : الساعة ١٢ ـ ٢ ظهرا

نهاية الحياة الإنسانية من الناحية الفقهية .

ــ رئيس الجلسة الأستاذ الدكتور / عبد العزيز كامل

ــ نائب الرئيس الأستاذ الدكتور / أحمد الغندور

ــ المقرر الدكتور / عادل التوحيد

استراحة : الساعة ٢ ـ ٤ بعد الظهر .

غداء

الجلسة الثالثة : الساعة ٤ ـ ٨ مساء .

نهاية الحياة الإنسانية ـ مناقشات فقهية .

ــ رئيس الجلسة الأستاذ الدكتور/ خالد المذكور

ــ نائب الرئيس الأستاذ الدكتور / يونس المفتو

ــ المقرر الدكتور / علي السيف .

اليوم الثالث : الخميس ٢٦ ربيع الأخر ١٤٠٥ هـ

الموافق ١٧ يناير ١٩٨٥م .

لجلسة الختامية : الساعة ١٢ ـ ١ ظهرا

التوصيات

ــ الرئيس سعادة الدكتور عبد الرحمن عبدالله العوضي

ــ المقرر المستشار عبدالله العيسى

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة الافتتاح

للدكتور عبد الرحمن عبد الله العوضي

وزير الصحة العامة ووزير التخطيط

رئيس المنظمة الإسلامية للعلوم الطبية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي هدانا للإسلام ، وأسبغ علينا نعمة الإيمان ، ونصلي ونسلم على سيدنا محمد ، وعلى آله وصحبه أجمعين . .

أيها الإخوة والأخوات . .

السلام عليكم ورحمة الله .

يسعدني أن أرحب بكم في لقائنا الثاني ، تحت مظلة الشريعة الإسلامية ، في سلسلة الندوات التي تتبناها المنظمة الإسلامية للعلوم الطبية ، وذلك بالتعاون مع وزارة الصحة العامة تحت عنوان « الإسلام والمشكلات الطبية المعاصرة »

كما يسرني أن أحيي بصفة خاصة ، حضرات الإخوة العلماء الكرام الذين قدموا إلى الكويت للمشاركة معنا في هذه الندوة الهامة ، متمنيا لهم طيب الإقامة في بلدهم الثاني الكويت ، وراجيا لندوتنا كل نجاح وتوفيق .

أيها الإخوة والأخوات . . .

لقد اخترنا هذا العام موضوعا هاما وحيويا ، وهو « الحياة الإنسانية بدايتها ونهايتها في المفهوم الإسلامي » ولعله من المفيد أن نعود بالذاكرة لعام مضى ، حيث

عقدنا الندوة الأولى التي كانت تحت عنوان « الإنجاب في ضوء الإسلام » وقد تسلمنا آنذاك بحثاً فقهيا واحدا قبل انعقاد الندوة ، وبالرغم من ذلك حققت الندوة النجاح المرجو لها ، ويرجع ذلك بالدرجة الأولى إلى حرص الإخوة العلماء الذين شاركوا معنا ، والذين يشاركون معنا اليوم ، على إثر موضوع الندوة بفكرهم وعلمهم وعطائهم الوفير ، وكانت تلك الندوة بحق مثالا للحوار الإسلامي المستنير ، وكان نتاج هذا الحوار مرجعا قيما بين أيدينا ، شاهدا على هذا النجاح .

أما عن ندوتنا اليوم فكانت استجابة العلماء الذين دعوناهم للمشاركة فيها طيبة ـ والحمد لله ـ وكانت الحصيلة وفيرة ، وهي عشرة أبحاث فقهية وخمسة أبحاث طبية ، وبحث واحد اجتماعي ، وهذا يعكس اهتمام الجميع بموضوع الندوة ، وبذلك أصبح لدينا تصور كامل عن جوانبها ، مما يتيح لنا التوصل ـ بإذن الله ـ إلى تعريف قانوني طبي اجتماعي لها .

حضرات الإخوه والأخوات :

إن هذه الندوات العلمية في الفقه الطبي الإسلامي لها أهمية كبيرة ومن شأنها تحقيق الأهداف التالية :ـ

أولا : مناقشة المشاكل التي تواجه الأطباء في ممارستهم العملية لمهنتهم الإنسانية ، والتي تحتاج لرأي سديد يتفق وأحكام الشريعة الإسلامية الغراء ، حتى لا يضطر الأطباء إلى الاعتماد على اجتهاداتهم الشخصية ، التي قد تصيب وقد تخطىء ، ومن ثم كان من الضروري أن يلتقي الأطباء مع علماء الشريعة الإسلامية في مثل هذه الندوات العلمية بغية التوصل إلى الحلول السليمة لتلك المشاكل التي يجب أن يتبعها الجميع ويسيروا على هديها .

ثانيا : دراسة الآراء التي تصدر عن الهيئات غير الإسلامية المهتمة بهذا المجال والتي تناقش هذه المحدثات ، ولديها ـ على الأقل ـ حد أدنى من اتفاق الرأي

بشأنها ، بينما لا نجد أية هيئة أو منظمة إسلامية تهتم بهذه الأمور ، وكل ما صدر في هذا الصدد اجتهادات فردية لم يصل لبها إلى المستوى المطلوب ، لذلك رأت المنظمة الإسلامية للعلوم الطبية أن تتبنى إقامة هذه الندوات التي تجمع هذه النخبة الرائدة من أهل العلم والفكر لنصل بعون الله إلى رأي جماعي يهتدي به جمهور المسلمين .

ثالثا : استجلاء أحكام الشريعة الإسلامية الغراء في تلك المحدثات العلمية التي ظهرت في بلدان لا تدين بالإسلام ، ولم يكن لنا دور في المشاركة فيها ، بيد أنها نقلت إلينا نتيجة للتطور الهائل في عالم الاتصالات ، ومع مرور الزمن أضحت تطرق أبوابنا لتفرض علينا شئنا أم أبينا ، الأمر الذي يتطلب منا وضع الضوابط الشرعية لها ، قبل أن يجرفنا التيار إلى تبنيها دون بصيره أو هدى من ديننا الإسلامي الحنيف .

رابعا : إن لقاء علماء الشريعة الإسلامية مع الأطباء المسلمين في هذه الندوات العلمية لتبادل الفكر والمعرفة يأتي تلبية لحاجة المسلمين الماسة إلى التعرف على الكثير من الأمور الطبية الفقهية التي يجهلونها ، خاصة بالنسبة لتلك المحدثات التي ظهرت في الآونة الأخيرة نتيجة للطفرة الكبيرة في العلوم الطبية ، والتي يحار المسلمون في شرعيتها ، من أجل ذلك تبرز أهمية هذه الندوة التي دعت إليها المنظمة الإسلامية للعلوم الطبية ، وموضوعها « الحياة الإنسانية بدايتها ونهايتها في المفهوم الإسلامي » وكما ترون هناك أمور كثيرة سوف تترتب على التوصيات التي ستتوصلون إليها بمشيئة الله ، مثل الإرث والعدة وغيرهما من النتائج المترتبة على تحديد بداية الحياة ونهايتها ، ومن ناحية أخرى فإن هذه التوصيات سوف تكون لها أهمية كبيرة بالنسبة لإنقاذ حياة إنسان بأمس الحاجة إلى زراعة عضو يؤخذ من جثة إنسان توفاه الله بدلا من مواراته التراب وثوابه عند الله سبحانه وتعالى عظيم ، مصداقا لقوله جل جلاله « من أجل ذلك كتبنا على بني اسرائيل أنه من قتل نفسا

بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعا ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعا » .

أيها الإخوه . . .

إن علماء الأمة الإسلامية يقع عليهم عبء كبير تجاه أمتهم ، فعليهم أن يتدارسوا هذه المحدثات ويضعوا ما توصلوا إليه بين أيدي العاملين في الحقل الطبي ، لتنير لهم الطريق ونكون جميعا على بينة من أمرنا .

لهذا فإنني أدعوكم جميعا إلى ضرورة أن نجتمع سويا مرات ومرات حتى نقرب المسافة بيننا ونتحدث بلغة علمية مشتركة ولعلنا اليوم أكثر قربا من ذي قبل وأكثر اقتناعا بإدخال موضوع الفقه الطبي كمادة أساسية في كليات الطب كحد أدنى للثقافة الفقهية في هذا المجال .

أيها الإخوة . .

لو تصورنا أن الشريعة الإسلامية جسد وروح فإن جسدها هو المجتمع أما روحها فهي النصوص القرآنية وسنة رسولنا الكريم عليه الصلاة والسلام ، فبغير التقاء هذين العنصرين سنرى روحا بلا جسد أو عملا لا علاقة له بالفكر ، وهذا هو الضياع لأن للفرد المسلم تصوراته واعتقاداته التي ينطلق منها ، وله إدراكه لمعنى وجوده في الحياة وهو إعمارها ، ولكن دون تجاوز لحدود الله التي فرضها سبحانه وتعالى .

لقد ظهرت صيحات كثيرة في العالم تطالب بإباحة الإجهاض والاعتداء على حرمة الإنسان تحت شعارات براقة في مظهرها قاتلة في حقيقتها .

إن حياة الإنسان في الإسلام من المهد إلى اللحد حياة مقدسة ، وجاءت التشريعات الإسلامية مؤكدة على ذلك فإن حق الحياة ملك لخالقها وليس ملكا لمخلوق خلقه الله سبحانه وتعالى .

إننا نجتمع اليوم لا كفريقين للعمل ولكن كفريق واحد، تقع عليه مسئولية كبيرة أمام الله وأمام المسلمين لإنجاز ما أوكل إلينا في حوار إسلامي بناء في ظل سماحة الإسلام نتحاور حوارا يهدف إلى وضع الحلول الشرعية لهذه المشكلة المعروضة علينا، وعلينا أن نتواصى بالحق ونتواصى بالصبر .

وأنتهز هذه المناسبة لأقدم خالص الشكر لحضرة صاحب السمو أمير البلاد وسمو ولي العهد لرعايتهما للمنظمة الإسلامية للعلوم الطبية ودعمهما الكامل لها، الذي انعكس على نشاطها في المجالات المختلفة ، كما لا يفوتني أن أقدم خالص الشكر وجزيل الثناء للإخوة الأفاضل العلماء الذين أثروا الندوة بأبحاثهم سواء الفقهية أو الطبية أو الاجتماعية ، والذين كانت استجابتهم لنا خير عون لعقد هذه الندوة بهذا التجمع الزاخر .

كذلك أقدم خالص الشكر للأمانة العامة للمنظمة الإسلامية للعلوم الطبية، التي تابعت الإعداد للندوة بصبر وأناة حتى خرجت بالصورة الطيبة، والتي أدعو الله لها بالتوفيق والنجاح .

وفقنا الله تعالى جميعا إلى إخلاص النية في العمل بشريعته، وهيأ قلوبنا وعقولنا إلى الأخذ بأحكام ديننا ونبذ كل دخيل ، وأرشد كل مسلم إلى أن يضع لبنة في صرح العمل بشريعة الله ، فإن شريعته لم يخاطب بها إنسان معين دون غيره ولكن خوطب بها كل البشر، وكلٌ محاسب على ما قدم وأخر . . .

والله من وراء القصد وهو المعين والهادي إلى سواء السبيل . . . وأختتم كلمتي بقوله سبحانه وتعالى :

﴿ وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون ﴾ .

والسلام عليكم ورحمة الله

حياة الإنسان في الأرض رسالة متميزة في أصلها ومعناها وقانونها ومصيرها

(دراسة مقارنة)

للدكتور محمد عبد الهادي أبو ريدة
استاذ الفلسفة الإسلامية
جامعة الكويت

أيها السادة العلماء الأجلاء .

موضوع هذه الندوة هو :

الحياة الإنسانية : « بدايتها ونهايتها في المفهوم الإسلامي »

ولعمري إنه لموضوع خطير ، لأن الإنسان أعظم الكائنات التي نعرفها بالمشاهدة في عالمنا هذا المحسوس ، وهو يدرك ذاتَه ووجودَه في عالمه إدراكاً واضحاً ، ويعرف عالمه وما فيه ، ويدرك ماله من دِلالة .

لكن الإنسان مشكلةُ المشاكل ، لأنه في ظاهر أمره ينتمي إلى عالم الكائنات الحية ، أمًا في حقيقته فهو يتميز عنها تماما ، وذلك بسبب ما له من ملكات العقل والاختيار .

وقبل الكلام عن الإنسان وحقيقته لابد من الإجابة عن أسئلة أساسية ومن

حلّ مشكلات كبرى يثيرها عقلُ الإنسان :

ما هذا العالم الذي يجد الإنسان نفسه فيه ؟ وما نوعُ وجوده وما معناه ؟ والحياةُ على هذه الأرض بما لها من مظاهر وقُدرات عجيبة ما مصدرها ؟ والإنسان نفسه بمميزاته التي ذكرناها له وما نلاحظه من مكان مركزي يحتله في نظام الكون ومن سعة قدرته وتأثيرها المتزايد في العالم المحيط به ، ما معنى وجوده ؟ وقضايا الحقائق والمفهومات والقيم الكبرى التي نتكلم عنها : الوجود ، الكون ، الحق ، الخير ، الواجب ، الفضيلة والكمال الإنساني ، ما معنى هذه كلها ، وما هي المعايير لمعرفتها ؟

وقضايا الدين والإيمان على أي أساس تقوم ، وما هي أهميتُها بالنسبة للإنسان ورسالته ومصيره ؟

كل هذه الأسئلة وغيرها تُثار في عصرنا ، عصر العلم وتطبيقاته والفلسفة باتجاهاتها الكثيرة المختلفة والمذاهب السياسية والاجتماعية المتضاربة .

والإنسان الحديث متفتحُ الذهن كثير التساؤلات ، وهو يقف حائراً أمام الآراء والمذاهب المتضاربة .

والمشكلة الكبرى هي معرفة مصدر هذا الكون ومعرفة مكان الإنسان ومعنى حياته فيه ، وهي المسألة التي ينبني عليها كلُّ شيء وكلُّ حكم على الآراء والقِيَم والمبادىء التي تنظم حياة الإنسان .

ولا شك في أن الإنسان إذا تخلّص عقلُه من الجهل وتقليد الآراء بلا تفكير ، وتحرر من الكبر والتعصب والهوى ، فإنه إذا تأمل هذا العالم في جملته وتفاصيله والقوانين التي تحكم كلَّ شيء فيه لابد أن يهديه عقله إلى أن هذا الإحكام والإتقان في نظام العالم يدلُّ على أنه مظهرٌ لإبداع صانعٍ قادر حكيم .

إن هـذا الاستدلال يستنـد إلى نظر العقـل وإلى العلم بأدق معنى لهـاتين الكلمتين ، وكلُّ تنسير لظهور هذا العالم من نوع القول « بالصدفة » التي لا وجود لها إلا بعد وجود الأشياء ، أو « الطبيعة » ، بحسب مفهـومها غـير الواضـح أو « المـادة » التي هي بحسب مفهومهـا كتلةٌ لا حراك لهـا من نفسها ، كـل ذلـك تفسيراتٌ وهمية زائفة لا تقدم شيئا يمكن أن يفسِّر وجود هذا العالم البديع أو يفسر خصوصا وجود هذا الإنسان الذي نراه سيد هذا الكوكب الذي نعيش عليه ونراه قمة الكائنات التي تقع في مجال إدراكنا .

الإنسان ، كما تقدم القول ، مشكلةُ المشاكل ، ويمكن القول إننا إذا أردنا تفسير وجوده على الأرض وجوانب طبيعته وتنوع ملكاته وطموحات عقله وأشواق روحه وامتداد آماله فإننا نحتاج إلى حل مشكلة العالم بأسره . ومن غير المعقول أن يتسنى الكلام عن الإنسان بمعزلٍ عن مشكلة الوجود والعالم والحياة .

وإذا كان قد قيل في تعريف الإنسان مثلا إنه « حيوان ناطق » ، وهو تعريف قديم لازال يتردد على ألسنة المناطقة المهتمين بتعريفات الأشياء ، فإن ذلك تعريفٌ بالإنسان من حيث الظاهر فقط أو من حيث الإشارة إلى مكان الإنسان وما يميزه في عالم الحيوان ، وتبقى بعد ذلك حقيقة الحياة كما تبقى حقيقة التفكير مجهولتين ويبقى الإنسان كذلك .

ومن غير تقليل لشأن ما يسمى « الحياة » وما لها من وظائف مدهشة، فإن الإنسان يتميز عن عالم الحيوان بالتفكير المبدع البناء النـاشيء عن ملكة خـاصة نسميها « العقل » ويتميز بإرادة واختيار ، هما ملكتان تعملان في ضوء العقل ، وبعواطف كثيراً ما يتجلى فيها نُبلٌ وسموٌ وإنكار للذات ، وبسلوك خلقي يـرفع الإنسان فوق نظام الطبيعة بل فوق حياته ذاتها .

وإذا كان الإنسان قد تتلمذ على الطبيعة فإنه قد صار سيداً لها ، وإن قيل إنه

ابن الطبيعة فإن هذا خطأ ، لأنه ليس في مفهوم الطبيعة ، بمعنى هذه العناصر والأجرام ـ ولا في بِنْيَتِها ما يمكن أن يكون قوةً مبدِعةً لصور عليا .

وإذا كان الإنسان سيد هذا الكوكب الذي نعيش عليه قد أنشأ هذه الحضارة بكل مظاهرها ، وأخذ بفضل فكره وخياله وقدرته على الإبداع يباشر سلطته في خارج حدود كوكبه ـ وهذه ليست سوى بداية ـ فإن هذا كله يدل ، في خطة الوجود وفي نظام العالم القريب المحيط بنا ، على القصد والغاية من وجود الإنسان .

ومن الواضح أنه ليس من السهل أن نقرر أمورا تتعلق بالإنسان ،أو نرسم له نظام حياة ،إلا إذا عرفنا أولاً حقيقته ومعنى حياته في هذه الأرض ، وذلك في ضوء المعرفة بالوجود في جملته .

ومنذ بداية التفكير الواعي كان الإنسان يفكر في الكون وفي نفسه ، والآراء والتصورات في ذلك لا حصر لها ، وهي قد جاءت على ألسنة علماء وفلاسفة بل أيضا شعراء وأدباء وحكماء متفلسفين .

وللإنسان مكانٌ رئيسي في الأديان بوجه عام ، سواء كانت ، فيما نعلم ، غير منزلة أو كانت الأديان الأخيرة في سلسلة الأديان المنزلة .

وعند المقارنة بين اجتهادات البشر في آرائهم وبين ما جاءت به الأديان المنزلة نلاحظ أن تلك الاجتهادات جزئية وأن ما جاءت به الأديان المنزلة تصورات كلية شاملة لأمور الإنسان . ولكي يتبين الفرق يحسن أن نذكر بعض الآراء في الإنسان لمفكرين خارج الأديان المنزلة ، أو لمفكرين في داخلها لكنهم نظروا للإنسان نظرات شخصية ، ولنذكر أولاً آراء منحرفة بعض الشيء عن الموضوعية ، لأنها جاءت نتيجة لتجارب شخصية وأمزجة خاصة أو لنوع معين من الممارسة في الحياة .

ومن المعلوم أن هناك فلسفات متشائمة بالإنسان ترى في وجوده وحياته شراً يجب عليه أن يتخلص منه (الفلسفة البوذية) .

لكن بعض المفكرين شنعوا على الإنسان ، عن نظرة منهم إليه من جانب واحد هو الجانب السلبي ، وأيضا من غير تعمق في طبيعته والحكمة من وجوده بما في تركيبه من ازدواج يجعل له شأنا خاصا .

ومن الذين حطوا من شأن الإنسان حكيمٌ يوناني قديم (ديوجينيس) كان يسير نهاراً ، وفي يده مصباح ، ويقول إنه يبحث عن إنسان ، كأنه يحتقر كلَّ ما يراه من البشر وأنه لا أحد منهم يستحق أن يسمى إنسانا .

والشاعر الحكيم أبو العلاء المعري (ت ٤٤٩ هـ) وصف الإنسان بالحمق والجهل والظلم وشبهه بسبع وذئب ، ورأيه في بني آدم يتلخص في قوله :

أفضلُ من أفضلهم صخرةٌ لا تَظْلِمُ الناسَ ولا تكذبُ

ومن الفلاسفة المتشائمين الرازي الطبيب محمد بن زكريا (ت ٣١١ ، ٣١٣ ، ٣٢٠هـ) الذي عاش وسط آلام البشر في المستشفيات ، وكان يرى أنه بالنظر إلى ما يصيب الإنسان في هذه الحياة من آلام وعناء فإن وجوده نقمةٌ عليه وشرٌّ عظيم ، وكان هذا الطبيب يرى أن لذة ابن آدم ليست إلا انقطاعا مؤقتا للألم .

والفيلسوف الألماني شوبنهور (ت ١٨٦٠) كان يرى أن حياة الإنسان ألمٌ متقطع ينشأ عن إرادة الحياة وما فيها من آلام الاشتهاء التي تزول إذا أرضيناه ، ثم لا تفتأ أن تعود .

ومن الفلاسفة من لم ينظر إلا إلى جانب الصراع بين البشر مثل الفيلسوف الإنجليزي هوبز Hobbes (ت ١٦٧٩م) الذي يرى في الإنسان ذئبا يتربص بأخيه الإنسان ، وهو أناني لا يكبح جماح أنانيته إلا حرصه على مصلحته وخوفه من العقاب .

وقبل هوبز بقرون كثيرة ذهب أبو بكر الطرطوشي (ت ٥٢٠هـ) في كتابه

« سراح الملوك » إلى أن البشر « جُبلوا على حب الانتصاف وعدم الإنصاف ، ومثلهم بلا سلطان (سلطة الدولة) مثل الحيتان في البحر يزدرد الكبيرُ الصغير .

لكن آخرين من الفلاسفة القدماء نظروا إلى الإنسان من الناحية المعنوية في طبيعته ، وحاولوا في الوقت نفسه رسم نظام لحياته المتنوعة الجوانب .

فمنهم أفلاطون (ت ٣٤٧ ق.م) الذي يرى أن حقيقة الإنسان هي النفس ، جاءت إلى الأرض من عالم آخر فتقيدت بحياة الحس والشهوات ، وعلى الإنسان أن يحارب الشهوات ويزكي نفسه بالمعرفة والفضائل لكي يعود إلى العالم الذي جاء منه ـ وأفلاطون متأثر في آرائه بالأديان المنزلة السابقة عليه .

أما تلميذه أرسطو (ت ٣٢٠ ق.م) فقد نظر إلى الإنسان من ناحيتي نشاطه : في مجال الفكر ، وفي مجال الرغبات الحسية ، وأوجب عليه أن يستعمل فكره في توجيه رغباته ليكون ذا خلق فاضل ويكون أيضا سعيداً بقدر ما تسمح ظروف الحياة ، لكن عليه أن يعتصم بالحكمة والمعرفة بحقائق الأشياء ، فهي أعظم فضيلة وأكبر سعادة للإنسان .

والفيلسوف الألماني كَنْت Kant (ت ١٨٠٤م) يرى أن الإنسان مواطن في عالمَيْن : فهو بعقله ينتمي إلى عالم العقول الحرة ، وهو ببدنه ينتمي إلى عالم الحس والشهوات والقيود ، لكن عليه ، وهو في عالم الحس ، أن يعيش بحسب قوانين عالم العقل ، وهكذا ينشأ قانون الأخلاق ، وهو قانون الواجب الذي لايعرف أي استثناء .

وقبل كنت بمئات كثيرة من السنين ذهب الفيلسوف الإسلامي ابن مسكويه (ت ٤٢١ هـ) في كتابه « تهذيب الأخلاق » إلى أن الإنسان ذو فضيلة روحانية ولذة روحانية أيضا يناسب بها الملائكة ، وذو فضيلة جسمانية ولذة جسمانية يناسب بها الحيوان ، وعليه أن يهتم باللذات الروحانية ، وهو يجدها صعبة في أول

الأمر ، لكنه إذا راض نفسه عليها انكشف له بهاؤها . والإنسان يحتاج في صباه إلى رعاية الوالدين وإلى رعاية الذين طول حياته .

وهناك آراء وتصورات لمفكرين ذوي نزعات شعرية فنية أو خيالية أو نزعات شك .

من ذلك تصور فلاسفة يسمون أعضاء أكاديمية فلورنسه بإيطاليا ، رأوا أن حقيقة الإنسان روحٌ وإرادة من طور فوق هذا العالم ، هو الكائن المتأمِّل الذي خُلق بعد خلق العالم لكي يتأمله ، وهو يدرك ذاته في حب الجمال والعشق السامي الذي يرتفع به إلى الجمال الأعلى .

ومنهم من رأى في الإنسان أنه بمثابة العين التي يتجلى فيها الكون ، فهو يتأمل ويبدع جميل الصور (ليوناردو دافينشي (ت ١٥١٩م) .

وآخرون رأوا في الإنسان جزءاً من عالم الطبيعة ، لايمكن أن نفهمه ولا أن يفهم هو نفسه فيكون له معنى إلا إذا نظر إلى نفسه في الكون وأدرك مكانه بين ما تحته وما فوقه ، لكن للإنسان قيمة خاصة تتجلى في مباديء الأخلاق (بيترو بومبوناتزي ـ ت ١٥٢٥م) .

وهناك من تصور الإنسان جزءاً من الكون ، لكنه بفضل ملكاته الحسية والعقلية يتصور الكون بعقله ويفكر ، فيتعلم ويعلِّم (بوڤيل ـ الفرنسي) .

لكن هناك من يرى أن الإنسان كائنٌ أرضي أو وحدةٌ بدنية ـ نفسية ، طبيعية في داخل الطبيعة ، أو عالم صغير في العالم الكبير ، وليس له أصل علوي (الطبيب باراتسيلزوس ـ ت ١٥٤١م) .

ومن شكاك العصور الحديثة من رأى أن الإنسان حبيسُ نفسه وحبيس الكون ، هو في عالم مجهول له ، لا يعرف من عالمه ولا عن نفسه إلا القليل ، وكل

شيء في نفسه وفيما حوله لغزٌ مغلق - (مونتيجن - الفرنسي - ت ١٥٩٢م) .

لكن كان هناك شعراء متفائلون بالإنسان ، فالشاعر الألماني شيلر Schiller (ت ١٨٠٥م) كان يرى في الإنسان أنه قد خلق ليكون ملكا على هذه الأرض ، سعيداً بفضل مشاعر المحبة والتعاطف والطموح إلى السمو الخلقي ، فمن عاش فيها كان سعيدا ومن عاش في التنافر والقطيعة فهو الشقي المحروم .

وشاعر ألماني آخر ، جوته Goethe (ت ١٨٣٢) كان يرى في الإنسان كائناً نبيلا مِعوانا كريما ، يعرف الخير والشر ويمتاز على غيره من الكائنات بالقدرة ومعها الاختيار .

على أنه كان من المفكرين المثاليين الألمان الفيلسوف فيختـه Fichte الذي ذهب إلى أن الإنسان هو « الأنا » الواعي وأنه سابق على الكون وأن الكونَ والوجود وتصورَ الكون والوجود ثمرةٌ له ، وهو الذي بفضل فكره يفصِّل الوجود والكون .

وأيضا كان الفيلسـوف الألماني شيلينج Schelling يرى أن « الأنـا » ، هو العقل ، وهو الوجود المثالي المقابل للواقع أو الطبيعة ، ثم إن « الأنـا » والكون الطبيعي مظهران لتجلي العقل المطلق الذي هو أساس هذا الوجود الظاهر .

ومن الآراء التي أسـاءت إلى الإنسان وإلى حيـاة العصر الحـديث تصـورُ الفيلسوف الألماني نيتشه Nietzsche الذي حقَّر من شأن الإنسان العادي وتعلق وَهْمُهُ بإنسان قوي قاسٍ باطش ، لا يعرف أخلاق الرحمة والمحبة ، وهذا هو الإنسان الأعلى أو « السوبرمان » ، أما الإنسان الذي نراه فهو في تصور نيتشه حَبْلٌ مشدود بين الحيوان والإنسان الأعلى .

كل هذه تصورات لمفكرين متفلسفين ، ويمكن أن نذكر الكثير من أمثالها ، وبينها فوارق ، وهي على كثرتها آراء متفرقات لا تجلّي لنا حقيقة الإنسان ، وليس فيها ما يرضي مطالب العقل والقلب ، وأصحابُها أيضا لم يلزمونا بها .

وبعد كل هذه الآراء يبقى الإنسان في حيرة من أمره وإن كان قد يتسلّ فكرُه حيناً بالنظر في بعضها إذا كان لها جانبٌ من الحق .

ونحن إذا أردنا في عصرنا أن نعرف الاتجاهات الكبرى أو النظرات الرئيسية حول الإنسان فإننا نلاحظ :

أولاً :

هناك نظرةُ العلوم الطبيعية للإنسان ، وهي تتلخص في اعتباره نوعاً في داخل عالم الحيوان ، وهذه النظرة قديمة ، لكنها تطورت في العصر الحديث وتحولت على أساس المقارنة بين مظاهر الحياة في مراتبها وأنواعها إلى نظرية تقول: إن الإنسان هو ذروة التطور للكائنات الحية ، وهو تطور تم في غضون ملايين كثيرة من السنين .

وأصحاب هذه النظرة لا يهتمون اهتماما خاصا بمصدر الحياة كلها على الأرض ، ولا ينظرون للإنسان في علاقته بالكون الذي يحيط به ويخدم وجودَه ، ولا ينظرون إلى الكون والإنسان فيه من جهة هذا التجاوب بينه وبين الكون ، مما يدل على قدرة مبدعة من علم وحكمة . ثم إنهم لا يهتمون بمعرفة معنى حياة الإنسان ، ونظرتهم له مقيَّدة بالمقارنة بينه وبين عالم الحيوان . وهذه النظرة قاصرةٌ جداً ، خصوصا عند المفكرين الماديين المحدثين الذين حاولوا عبثا ، ومع التناقض في المفهومات وفي الواقع ، أن يفسروا الحياة وصفات الأحياء بالاستناد إلى ما يسمونه « المادة » التي هي بحسب مفهومها : إمّا كتلة هامدة لا فاعلية لها من ذاتها وإنما هي مجالٌ لفعل المؤثرات وإما وهمٌ فلسفي قديم .

ثانياً :

هناك نظرةُ بعض الفلاسفة الذين تأملوا الإنسان من ناحية عقله وروحه ،

ومنهم من قال إنه جاء من عالم آخر ، بسبب خطأ ، وإن حياته على الأرض عارضةٌ ، وكلها أغلال وقيود ، عليه أن يتخلص منها كما تقدم القول ، لكنهم لا يُلزمون الإنسان بآرائهم ، والأمر عندهم عبارة عن تصور فلسفي ، لا يدّعون له قيمة خاصة ، ولا يُلزمون به أحداً ، ولا يحيطونه بجزاء ، والغموض يحيط به في أول الأمر وآخره .

ثالثاً :

إلى جانب نظرة العلوم الطبيعية ونظرة بعض الفلاسفة للإنسان هناك نظرةُ الأديان المنزلة الثلاثة : اليهودية ، وقد كانت سابقة على آراء الفلاسفة القدماء ، والمسيحية والإسلام ، وقد جاءا بعد ظهور الفلسفة والعلم عند القدماء .

والأديان الثلاثة تشترك ، من ناحية عامة جداً ، في القول بالخالق الواحد الحق ، الذي أبدع هذا العالم ، وفي أن الإنسان كانت له حياةٌ سابقةٌ على حياته على الأرض ، ثم جاء إليها بعد معصية ، لكنه موضوع العناية الإلهية ، وهو مكلفٌ بالإيمان بالله وبفعل الخير والبر وتجنب الشرور والآثام ومسؤول عن ذلك في حياة بعد هذه الحياة .

لكن الأديان الثلاثة تختلف وتتفاوت في الكثير حول محتوى هذه العقائد ، وتتفاوت في الوضوح في كثير من النقط وفي كثير من المفهومات والصفات الخاصة بالله تعالى وبالإنسان وفي كثير من الأحوال والمعالم ، سواء في أمور هذه الحياة أو الحياة الآتية ، كما تختلف في مناهج المعرفة والوصول إلى حقائق الإيمان .

لكن ما جاءت به هذه الأديان في أمر الإنسان يشمل ، على كل حال ، حياة الإنسان قبل ظهوره على الأرض وفي حياته عليها ومصيره بعدها . ولا نعلم في التصورات للإنسان والكون ما يجمع أطراف مشكلات الوجود والكون والإنسان كما جمعته الأديان المنزلة ، وخصوصا الإسلام .

فإذا نحن اتجهنا إلى الإسلام وجدناه قد جاء بعد الديانات المنزلة وغير المنزلة ، وبعد مذاهب فلسفية أو دينية ـ فلسفية ، وهو آخر الهدايات الإلهية المشتمل على حقائقها الجوهرية من الناحية النظرية وعلى مبادئها الكبرى الصحيحة من الناحية العملية ، وهو قد جاء يكمل ويصحّح ويُبيّن .

وهو وحيٌ حقٌ كاملٌ جاء بأصول ، ومعه الإرشاد إلى براهينها على منهج الاستدلال الصحيح . ومع أن الحق الذي جاء به الإسلام يشهد لنفسه بنفسه أمام العقل والواقع إلا أن المقارنة بينه وبين غيره تزيده ظهوراً .

فقد انفرد الإسلام بين الأديان كلها والمذاهب العلمية والفلسفية كلها بأنه بيّن الحقيقة الإنسانية بيانا واضحا وبيّن الحكمة من وجود الإنسان في هذه الدنيا .

فالإنسان ، في الأصل ، قد خُلق « في أحسن تقويم » (س ٩٥/ التين /٤) ، وفيه نفحةٌ روحانية (س ١٥ / الحجر / ٢٩) ، فهو متكاملٌ متوازنٌ في تكوينه : فمع العقل القدرةُ ، ومع القدرة الاختيارُ ، ومع الشهوات الإرادةُ أو القدرة تكبح جماحَها في ضوء العقل ، وهو يدرك بعقله الأمر والنهي ، ويحبّ أن يمتثل ، لكنه قد ينسى أو يُخدع أو يخطيء ، وهو يعاني آثار ذلك ، فيندم ويتوب ، وهوطموح ،يحب الخلود والملك الدائم ، عن قلة تجربة أحيانا .

الإنسان في الإسلام ليس مَلَكا ذا عقل وقدرة وليس له اختيار ولا شهوات فلا يعصى ، وهو أيضا ليس حيوانا ذا قوة وشهوات ولكن لا عقل له فلا يمكنه أن يرتفع فوق طبيعته ، وإنما في الإنسان من كل شيء ، وعليه أن يستعمل عقله فيتغلب على حجاب الحس ويصل إلى علم لم يكن يعلمه ، وأن يخترق حجاب الكون كله فيتوصل بالاستدلال إلى معرفة خالقه ، وأن يزكّي نفسه بالعلم والعمل والمجاهدة ليقهر ميوله وشهواته ويصبح روحانيا قد ينافس المَلَك .

وكل هذا يجعل الإنسان كائناً فريداً وصاحب المرتبة العليا بين الكائنات ،

وذلك بسبب التنوع والتركيب في طبيعته وبسبب رسالته . وهو لا يصل إلى تحقيق رسالته إلا بالجهاد والتغلب على عقبات لا حصر لها .

وبجيء الإنسان إلى هذه الأرض لم يكن أمراً عارضاً غير مقصود الغاية ، بل هو خطة إلهية مرسومة وحكيمة .

الإنسان ، بحسب التراث الديني السابق ، كما حفظه أهله وفهموه ، جيء بـه إلى الأرض مطروداً ، بعـد معصية ارتكبهـا ، ليكفر عنهـا ، ويشقى ويعاني حياته ، وهي عندهم خطيئةٌ موروثة في نسله . والإنسان كثير الذنوب والشرور ، حتى إن التوراة تقول إن الرب لما رأى كثرة تلك الشرور « حَزِن أنه عمل الإنسان في الأرض وتأسف في قلبه » (تكوين ، اصحاح ٦)

ولا يؤخذ من ذلك التراث أن حياة الإنسان في الأرض كانت مُرَادَةً من أول الأمر ، وإنما جاءت بسبب المعصية .

أما في القرآن فإن للإنسـان رسالـة فريـدة مقصودة بيّنها القرآن ، وهي « الخلافة » في الأرض لإنشاء الحياة وتدبير أمورها بالحق والعدل وإفاضة البِـرّ والرحمة في ضوء الهداية من خالقه .

ونحن عندما نتأمل « الكتاب الحكيم » نلاحظ أن الإنسان قد أُعِـدَّ لهذه الرسالة إعداداً عملياً ، وهذا ما نجده مجملا في سورة البقرة (الآيات ٣٠ـ٣٨) .

فالله تعالى يُعلن للملائكة ويبشِّرهم بأنه سيجعل في الأرض خليفة ، وأنه سيُظهر هذه المرتبة الفريدة بين مراتب المخلوقات ومهامِّها ، وهذا هو المفتاح لمعرفة معنى حياة الإنسان وطبيعتها في هذه الحياة ولفهم كل ما حدث في الجنة من قبل .

والملائكة يتعجبون ، لأنهم يشاهدون ما عـلى الأرض من صراع وسفـك للدماء بين الكائنات الحية على حين أنهم يسبحون بحمد الله ويقدسون له . وكأنهم يستفسرون من الله عما هو فاعله .

فيكشف سبحانه لهم من حكمته مالا يعرفون ، ويعلّم آدم علما شاملا ، ويرفعه عليهم بالمعرفة بأمور يعرفونها ، وهي خاصة برسالته المقبلة ، ويأمرهم بتعظيمه لعلمه ، فيفعلون .

لكن إبليس ، الذي كان من الجنّ ، ثم وصل بالعبادة إلى مخالطة عالم الملائكة ، يأبى التعظيم ، غروراً واستكباراً وحسداً ، وهنا يظهر عدو الإنسان في مهمته العظيمة المقبلة ، وهذا أمر لابدَّ منه لكي يتحقق الاختبار والقدرة والابتلاء ويُتاح المجال للجهاد والمكابدة من جانب الإنسان ويتجلى فضله على غيره من المخلوقات .

وفي مواضع من القرآن ذكرُ التحدي من جانب ابليس حول الإنسان والتوعد بإضلاله وإغوائه (مثلا س٧ / الأعراف / ١١ـ١٨ ، س ١٥ / ٢٨ـ٤٣) وذكرُ التحذير الإلهي للإنسان من عداوة إبليس وكيده (س ٢٠ / طه / ١١٦ـ١٢٤) .

ويبتديء الإعداد للمهمة بتلقي النهي عن الأكل من الشجرة ، فيأتي إبليس ويخدع آدم وزوجته[1] فينخدعان عن براءة قلب وعدم معرفة بالخداع ، وأيضا بسبب طموح آدم إلى معالي الأمور ، ويدعي إبليس أنه يدل الزوجين على « شجرة الخُلْد وملك لا يبلى » ، وأن النهي عن الأكل من الشجرة إنما هو لكيلا يصيرا خالديْن كالملائكة (س٧/ الأعراف / ٢٠ـ٢١) ، ويقسم لهما أنه لهما ناصحٌ مخلص ، وينسى آدم وزوجه التحذير الإلهي ، فيأكلان من الشجرة ، وينكشف لهما مالم يكن ظاهراً لهما من عورة ، فيندمان ، ويطلبان المغفرة ، ويعلمهما الله ما يقولانه (س ٢/ البقرة / ٣٧) ، ويتوب عليهما ، ويهبطان من الجنة[2] إلى

(١) في القرآن أن إبليس هو الذي خدع الإنسان ، ولا ذكر فيه لأسطورة موجودة في التوراة ، وهي أن الحية خدعت زوج آدم وحسنت لها الأكل من الشجرة فأكلت وأعطت زوجها فأكل .

(٢) في التوراة أن الجنة التي كان فيها آدم كانت موجودة على الأرض وأن الرب غرسها في عدن شرقا ، ومن عدن كان نهر يخرج ليسقي الجنة وينقسم إلى أربعة أنهار . . الخ ، وهذا كلام لايتفق مع المعرفة الجغرافية كما يقول العلماء الأوروبيون الذين علّقوا على التوراة (تكوين ، اصحاح ٢) .

الأرض بعد التوبة والاجتباء ، ويُعْلِمُهما الله أنه سيأتيهم منه الهدى والتكليف ، وسيكون المصير والجزاء بحسب العمل ، فمن اتبع الهدى سعد في هذه الحياة وفي الحياة الأخرى وإلا شقي هنا وهناك (س٢ / البقرة / ٣٨-٣٩ ، س ٢٠ / طه / ١٢٣ - ١٢٧) .

وبكل اختصار : بحسب التراث اليهودي - المسيحي جيء بالإنسان الآثم إلى الأرض ليكفر عن خطيئته، على حين أنه في الإسلام جيء به تائباً مَهْدِيّاً معلَّما ليكون خليفة في الأرض ليعمرها باسم خالقه .

وبدأت واجبات الخلافة وعمران الدنيا وكل ما نرى على ظهر هذه الأرض من حضارة وعلوم وفنون وهدى وضلال وسلام وحرب وخير وشر ، وهذه هي مملكة الإنسان المطالب بالهدى في عا لم يمكن فيه الضلال ، وبفعل الخير مع إمكان الشر ، وبالوصول إلى العلم بعد الجهل . وهو في سبيل ذلك يعمل ويعاني ويخطيء ويتوب ، ولايزال يكدح كل أنواع الكدح ويحتمل أعباء الحياة بإيمان وصبر وثقة بالحكمة من وجوده وبرحمة خالقه ، وهو بعد الصراع والفوز يعود إلى الله بما قدّم وصنع من أعمال ، ويلتقي آخر أمره بأوله على نحو رائع جميل .

وبكل اختصار فإننا عندما نتأمل حياة الإنسان في الأرض في ضوء الإرشاد الإلّهي ، بما فيه من تكاليف وأوامر ونواهٍ وما يعرض في حياة الإنسان من خطأ أو مخالفة وندم وتوبة وهدى وضلال ، نلاحظ أن ذلك لايخرج من حيث الجوهر عما كان في مرحلة الإعداد لرسالة الإنسان في الأرض - وإبليس الذي كان هناك يضل الإنسان ويغويه موجود هنا أيضا ، والمؤثرات التي تستهوي الإنسان هناك لها مقابلٌ هنا .

وحكمة الله في خلق الإنسان في أحسن تقويم وفي تهيئته لرسالته والعناية به في الحالتين ظاهرةٌ لذي عقل .

وهل كان بين المخلوقات قبل خلق الإنسان وتكليفه كائنٌ له مميزات الإنسان وأهليته لحمل تلك الأمانة الكبرى التي ذكرها القرآن بقوله : ﴿ إنا عَرَضنا الأمانةَ على السماواتِ والأرض والجبالِ فأَبَينَ أن يَحمِلْنَها وأَشفَقْنَ منها وحملها الإنسان إنه كان ظَلوماً جَهولاً ﴾ س ٣٣ / الأحزاب / ٧٢) .

إن الإنسان مخلوقٌ عظيم حقاً ، لا تُدركُ عَظَمَتُه إلا في ضوء رسالة الإسلام .

ولأجل تحقيق هذه الرسالة العظيمة سخر الله للإنسان كل ما في هذا العالم الذي نشاهده (س ٤٥ / الجاثية / ١٢ ـ ١٣) .

الحق أن الإنسان يحتل في الإسلام مكاناً كبيراً ، ويكفي أن القرآن يتكلم عنه ، في مقابل الكون ، من حيث إن كلا منهما نقطة بداية كبرى للتفكر والاستدلال الذي يؤدي إلى معرفة الله ومعرفة الحق الذي جاء من عنده .

﴿ وفي الأرض آياتٌ للمُوقِنين * وفي أنفسكم أفلا تُبصِرُون ﴾ (س ٥١ / الذاريات / ٢٠ ـ ٢١) .

﴿ سنُريهم آياتِنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبيَّنَ لهم أنه الحق . . ﴾ (س ٤١ / فصلت / ٥٣) .

آراء لمفكري الأديان حول الإنسان :

أشرنا فيما تقدم بإيجاز إلى نظرة الأديان السابقة على الإسلام للإنسان وإلى نظرة الإسلام المتميِّزة ، والآراء التي يمكن ذكرها هنا لأهل الأديان السابقة هي آراء لعلماء العقائد المسيحيين ومفكريهم المؤمنين .

هم نظروا للإنسان من خلال فهم عندهم لمعصية آدم وعلاقتها برسالة سيدنا

عيسى عليه الصلاة والسلام التي اعتقدوا أنها لتخليص بني آدم من المعصية الموروثة . لأن التوراة ـ وهي أساس عند المسيحين ـ لم تذكر أن آدم تاب وقبل الله توبته ، كما في الإسلام .

وهنا لابد من النظر في ما يسمى « خطيئة » آدم التي هي ـ على التحديد وبحسب الإسلام ـ الأكل من الشجرة عن نسيان للتحذير الإلّهي ، وهي ليست أكثر من الأكل ، أما عند الغير فيظهر أن بعضهم يتصورها شيئا أكثر من ذلك .

ونحن إذا تأملنا هذا النهي ، وسألنا : هل هو نهي تحريم أم نهي تخيير ومعه تحذير من الوقوع في الظلم والتعرض للشقاء ولمعاناة حاجات الجسد من طعام وشراب ولباس ؟ واضح من كلام القرآن أن الأكل سينشأ عنه تحول في طبيعة آدم : من الحياة الروحانية في الجنة إلى حياة لها جانب جسماني خارجها ، أي في الحياة على الأرض ، وهذا يفهم بسهولة من قوله تعالى في سورة طه ، على سبيل البيان لما سيحدث لآدم إذا هو أُخرج من الجنة ، بسبب كيد إبليس :

﴿ إن لك ألاّ تجوع فيها ولا تَعْرَى * وأنك لا تظمأ فيها ولا تَضْحى ﴾ (س ٢٠ / طه)

ثم إن النهي عن الأكل لم يكن مقروناً بذكر أنه ذنب حقيقي وأن له عقاباً باعتباره جريمة ، وإنما كان للتحذير من المعاناة ، فالمعصية هنا هي ، في الحقيقة ، شكلية صرفاً ، ومع ذلك فهي بالنسبة لآدم ومكانته ومقامه ومميزاته العلمية كالمعصية ، والقرآن يسميها كذلك بالمعنى نفسه فيما أعتقد .

ونحن عندما نفكر في أمر هذه المعصية لا يصح أن ننظر إليها وحدها بل باعتبارها داخلة في حكمة الله من تربية مخلوق له رسالة آدم قد أُريد تعليمه وإعداده لرسالته الفريدة .

وإلا فكيف يتفق مع حكمة الله ورحمته وعنايته أن يخلق إنسانا يعصاه ويبقى

على معصيته ثم يجعله خليفة ويتعهده بالهدى والإرشاد ثم يحاسبه عن رسالته ! ؟

إن نظرة مفكري الأديان للإنسان مصطبغة بتصورهم للإنسان الذي نجده على الأرض .

آراء بعض المفكرين المسيحيين :

ولنذكر آراء بعض مفكري المسيحية وبعض مفكري الإسلام في الإنسان ليتبين الفرق في التصور عند كل فريق .

يرى أحد آباء الكنيسة في المرحلة الثانية ، وهو القديس أوغسطين St. Augustin (ت ٤٣٠م) أن الإنسان في الأرض ليس جزءاً من الطبيعة بل هو غريب عنها ، لأن له تاريخاً يتلخص في أنه مذنب بالنسبة لأصله السماوي ، وهو كإنسان أرضي ، تعسٌ شقيٌّ مريض تغلب عليه الأنانية والجري وراء الشهوات ، ولذلك لابد من سلطة الكنيسة لتربية الناس . ومع أن الإنسان له إرادة وأنه يجب عليه أن يجتهد في اتباع إرادة الله إلا أن الفضل الإلهي هو الذي يمنحه الإيمان ويحرره من نفسه ومن شقائه .

أما القديس توماس الأكويني Thomas of Aquin (ت ١٢٧٤م) الذي يعتبر أكبر علماء العقائد المسيحية في العصور الوسطى فإنه يرى أن الإنسان يحتل مكاناً وسطا في الوجود : هو من جهة روحه يناسب الإله ، ومن جهة بدنه يناسب الحيوان ، وهذا الموقف هو مجال الحياة الخلقية وقوانين الأخلاق . والقديس الأكويني ، فيما عدا هذه الآراء ، يعتقد بالخطيئة الموروثة وبالحاجة إلى الوحي الإلهي لتنبيه الشعور الإنساني إلى مباديء الأخلاق . والقديس توماس عرف الفكر الإسلامي وتأثر به ، سواء الفكر الفلسفي أو الفكر عند متكلمي الإسلام . وهذا ما يعرفه المتخصصون من مسلمين ومسيحيين .

فإذا أردنا فيلسوفاً مسيحيا مؤمنا وجدنا بسكال Pascal (ت ١٦٦٢م) يصور تناقضات الإنسان: هو أناني، لكنه لا يستطيع أن يعيش وحده ، فيفر من نفسه إلى الغير ، لكنه رغم احتياجه إليهم يتكبر عليهم ، وقد يؤذيهم . . . فهو جملة متناقضات ، والسبب في ذلك أنه أخطأ ، فأنزله الله إلى هذا العالم ، عالم النقائص والآلام ليكفر عن خطيئته ، وقصته تتلخص في : الخلق ، الخطيئة ، التكفير ، والإنسان عند علماء المسيحيين في عهدة الكنيسة ، وهي التي تتولى مصيره ، ومن هنا تكون سلطتها فوق سلطة الدولة ، لا لأجل الرغبة في السلطة ، بل لأجل الخير الحقيقي للإنسان .

آراء بعض مفكري الإسلام :

للإنسان مكانٌ كبير في الإسلام ، كما تقدم القول ، وهو خلْقٌ أصيلٌ ، لم يظهر في الوجود على الأرض في أثناء تطور لنوع ما ، بل هو شأنه شأن كل الكائنات الحية ، قد جاء إلى الأرض من خزائن القدرة المبدعة ، لأن الأرض ذاتها حادثة التشكل . وهي في الحقبة الكبرى من عمرها لم تكن عليها حياة ولا كانت صالحة لها .

ولا خلاف بين مفكري الإسلام حول الإنسان من حيث الحكمة من خلافته في الأرض ، ومن حيث هو مخلوق عاقل قادر مختار يميز الخير من الشر ، وهو مكلَّف بجلائل الأعباء : من الإيمان القائم على العلم والعمل الصالح بكل صوره ، وهو قادر على تزكية نفسه بالعلم وفضائل الدين وأخلاق المؤمنين وعلى التغلب على عوامل الغفلة الفكرية وجواذب الشهوات الدنيوية .

وفي الإسلام من أركان الإيمان بأدلتها وأصول المعرفة بمناهج تحصيلها ومن الإرشاد إلى مكارم الأخلاق وكيفية اكتسابها ما جعل المسلم لا يشعر بمشكلة وجوده : فلا خطيئة موروثة ، ولا سقوط عن مرتبة عليا ، بل رسالة رفيعة

سامية ، ولذلك رسم له العلماء ، في حدود الشريعة ، طريق البحث العقلي لتحصيل المعرفة حتى يصل إلى معرفة الله بالدليل العقلي ، وطريق السمو الخلقي والتخلق بفضائل الدين وتجنب ذميم الأخلاق ، ويحق للمؤرخ أن يؤكد أن في الإسلام من ذلك ما لا مثيل له في تراث الأمم ، وما ذلك إلا بفضل الإيمان بالإنسان وحقيقته ورسالته .

وقد فصل علماء الدين عقائد الإيمان بأدلتها ، كما بينوا أحكام الشريعة بحكمتها ، وكان من عناية الله بخاتمة رسالاته أنها جاءت كاملة الأصول شاملة لكل شيء يخص العلم والعمل ، وأنها حُفظت من أول أمرها كما جاءت ، وقامت على حفظها أمم كثيرة بأكملها ، ولم يتعرض تاريخها لأي انقطاع في حياة الدين أو الفكر أو الحضارة كما حدث في تاريخ بعض الديانات .

ولم يزل الإنسان موضوع عناية مفكري الإسلام على تنوع مجال علومهم ، وذلك في ضوء ما اشتملت عليه آيات القرآن من نظرات وتصورات للإنسان من جميع الوجوه وما اشتمل عليه الحديث الشريف أيضا ، هذا بالإضافة إلى آراء لمفكري الإسلام توصلوا إليها في ضوء آيات القرآن ونصوص الحديث ، وهم قد تناولوا هذا الإنسان من حيث فكره وأحوال روحه ونفسه وأخلاقها ، ومن حيث مكانه في الوجود والكون وموقفه في الحياة الفردية والاجتماعية ، ومن حيث مجرى تاريخه وتطور حضارته ، وكل ذلك مع العناية بأمور دنياه وأمور مصيره بعدها .

ولما كان الإنسان في هذه الدنيا صاحب رسالة يؤديها في حياة متكاملة من الناحيتين البدنية والعقلية ، وكانت الشريعة قد تكفلت بالناحيتين ، فإن الإنسان لقى من اهتمام المفكرين ما هو جدير به من جميع الوجوه .

ولقد كان من أسباب نشأة الحضارة الإسلامية بسرعة وازدهارها في مختلف مظاهرها الإيمان برسالة الإنسان ، وهي رسالة متجددة في ضوء المباديء الكلية والغايات العليا لهذا الدين العظيم .

ولنضرب بعض الأمثلة لعناية مفكري الإسلام بالإنسان ، وأقصد من هم أقرب إلى الاشتغال بالعلم مع الصلة الوثيقة بالدين .

فمتكلمو الإسلام - وهم علماء أصول العقائد - تناولوا الإنسان بالدراسة ليس من جهة كونه خليفة في الأرض ، بل من جهة ملكاته العقلية والحسية وقدرته وحرية إرادته ومسئوليته الدينية والأخلاقية ووجوده في الطبيعة كمؤثر فيها .

وفلاسفة الإسلام نظروا إليه ضمن نظرتهم للوجود وبيان موقفه بين الأشياء ومنهم (الفارابي مثلا) من نظر إليه باعتباره حلقة الوصل بين عالم الخلق أو عالم الشهادة وبين عالم الأمر أو عالم الغيب .

ويحدثنا الغزالي مثلا عن حقيقة الإنسان وأنها « القلب » ، وهو يصف القلب بأنه « لطيفة ربانية » ، وله - بواسطة الحواس - باب مفتوح نحو « عالم الشهادة » ، أي العالم المحسوس ، وله من الجانب الآخر باب مفتوح نحو « عالم الغيب » ، أو « عالم الملكوت » ، فهو بين العالمينْ وفيه سر الوجوديْن ، فعالم الحس وعالم ما وراءه ، بل الحياة الدنيا والحياة الآخرة جانبان للقلب ، وعلى الإنسان أن يرتقي بقلبه من الخلق إلى الحق ، وهذا هو التوحيد .

وفي معرفة الله ومحبته حياة القلب وصحته وسعادته وفي الجهل به أو إنكاره موته وشقاؤه .

وقد عبر شعراء الصوفية من أهل الحق عن محبة الإنسان لله والشوق إلى جنابه ، كما تكلموا عن الإنسان وما انطوى في طبيعته من أسرار أبلغ كلام وأشده تأثيرا ، كما نجد ذلك عند ابن الفارض (ت ٦٧٢هـ) وجلال الدين الرومي (٦٧٢هـ) وسعدي الشيرازي (ت حوالي ٦٩٠ هـ) وغيرهم .

ولهؤلاء الصوفية آراؤهم في الإنسان نذكر منها على سبيل المثال تصورات محي الدين بن عربي (ت ٦٣٨ هـ) ، لأنه تكلم في مصنفاته كلاما عميقا من الناحيتين

الدينية والفلسفية .

من ذلك أفكار كانت معروفة من قديم ، منذ أيام اليونان ، كالقول بأن الإنسان « عالم صغير » مقابل للعالم الكبير ، لكن ابن عربي يزيد على ذلك بالقول بأن الإنسان فيه كل ما في العالم الكبير من صفات الجمال والجلال ، وأنه أكبر مجالي الصفات الإلهية ، وهو « المختصر الشريف » ، « والكون الجامع لجميع حقائق الوجود ومراتبه » ، والنشأة الإنسانية بكمالها ، خلقها الله على صورته ، فلا يتولى حلّ نظامها إلا من خلقها ، إما بيده وإما بأمره ، ومن تولاها بغير أمر الله فقد ظلم نفسه وتعدى حد الله فيها وسعى في خراب من أمره الله بعمارته . ولما كان الله قد خلق الإنسان على صورته[1] فإن من يراعى الإنسان فهو يراعي خالقه .

وإذا كان الله في الإسلام قد أمر باحترام المخالفين الذين لا يدخلون في الإسلام ولم يقتلهم فإن ذلك ، في رأي ابن عربي ، لأجل النشأة الأولى ، وهي أنهم على صورة الله .

وكذلك إذا كان في شريعة الإسلام تخيير في القصاص بين قتل القاتل أو أخذ الدية أو العفو،فإن ذلك جاء لإعطاء مجال للإبقاء على تلك الصورة التي أنشأها الله وأظهر فيها صفاته ولتمكين صاحبها من الوصول إلى الغاية التي خُلق لها .

والإنسان ، عند ابن عربي وغيره من العلماء المحققين ، فوق الملائكة في المرتبة ، لأن التراكيب انتهت كلها إليه ، ولأنه يقدر على الشر ويجاهد نفسه وهم لا يقدرون . ويعاني في مجاهدة نفسه وإلزامها طريق الخير ما لايعانيه غيره من المخلوقات ، (كتاب فصوص الحكم لابن عربي) .

لم يكن مقصودنا من كل ما ذكرنا مجرد الحكاية لمختلف الآراء والتصورات

---

(١) هذا في الحديث الشريف ـ وليس المقصود صورة مادة حسية ، بل صورة معنوية هي فيض من جملة صفات الكمال والجلال الإلهي .

للإنسان ، وإنما أردنا أن نبين قصورها وما تميز به التصور الإسلامي ، من أن الإنسان كائن فريد في حقيقته وكل أموره .

ولا أحد يعلم مثل علماء الإسلام كيف أن شريعة الله عُنيت بالإنسان من كل الوجوه ، وخصوصا من وجوه جوهرية في كيانه وحياته ، وأنها اشتملت على بيان قيمة الحياة الإنسانية وغايتها وعلى المعايير في ذلك كله .

فالإنسان كائن علوي الحقيقة والغاية ، حدّد الله له رسالته في الدنيا ، لكن للحياة الدنيا ظروفها وقوانينها ، وتحت تصرف الإنسان بسبب تقدم المعرفة النظرية وتطبيقاتها وسائل كثيرة وعجيبة ، ولقد أصبح قادراً على التدخل في قوانين الطبيعة بنجاح لكن بالاستعانة بالطبيعة ذاتها ، وكذلك أخذ يتدخل في تركيب الكائنات الحية وفي تركيب تكوينه البدني على أنحاء شتى ، لكنه يستعين بما يعرفه من الحياة ويأخذه منها . **ومن أكبر البلاء أنه أخذ يتدخل في تغيير خلق الله للأشياء ويجري التجارب الغريبة ، دون ضابط من فكر أو دين .**

فالحضارة الإنسانية قد تغيرت وسيستمر تغيرها على نحو حتمي دون توقف ، ومن أكبر مساوئها في غير بلاد الإسلام أنها منذ قرون أعرضت عن الدين وفصلت بينه وبين حياة الفكر وبينه وبين تنظيم أمور الحياة ، وكانت النتيجة أنه أصبح لا يُنظر إلى الإنسان في الغالب إلا من جيث هو كائن حي ، وكل الاهتمام موجه إلى المحافظة على حياته أو صحته أو راحته أو رفاهيته وتخفيف آلامه البدنية والنفسية ـ هذا مع الإهمال في التكوين الحقيقي المتكامل عقلا وخلقا ، وتجاهل أهمية إيمان الإنسان بخالقه وبمعنى حياته ورسالته في الدنيا مما يعينه على تدبير أمورها واحتمال أعبائها المتنوعه .

وبكل اختصار قد أصبح الإنسان يتصرف في نفسه كما يعرف ، كأنه إله نفسه ، وكأن العلم القليل الذي وصل إليه هو كل علم ممكن وكأن معاييره الحديثة

هي المعايير العليا المطلقة ، وقد أوقعه ذلك في مشكلات لا حلّ لها عنده،وانتهى الحال إلى تهديد وجوده على كوكبه .

والسؤال الأساسي : ما هي الأهداف التي يسعى إليها الإنسان الحديث ؟ وما هي المبادىء التي ينبغي أن يوجه حياته بحسبها ؟ وما هي الوسائل الشريفة المشروعة التي يحقق بها مقاصده ؟

ليس في الفلسفات الحديثة ، ولا في العلوم الحديثة ، إجابة عن هذه الأسئلة لأن ذلك ليس من شأنها . والإجابة عنها لا توجد إلا في العلم الذي جاء للإنسان من خالقه بعد أن علمه وأنزله إلى الأرض وقال له : ﴿ **فإمّا يأتينّكم مني هدى فمن اتبع هداي فلا يضلُّ ولا يشقى * ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشةً ضنكاً ونحشره يوم القيامة أعمى** ﴾ (س ٢٠/ طه) .

إن من حسن حظ الإنسانية أن الإسلام حيٌّ باقٍ تحمله أممه،وأن عندهم شريعته الكاملة في أصولها وفروعها وأحكامها الكلية الوافية بالتطبيق في جزيئات الأمور والمشكلات الإنسانية .

الإسلام هو الدين عند الله ، وهناك نهضةٌ إسلامية لا شك فيها ، والإسلام اليوم يواجه الحضارة الحديثة بكل مشكلاتها،كما واجه حضارات قبلها ووقف موقف التحدي لها،فتغلب على كل التحديات بفضل حيويته وقابلية مبادئه لحل مشكلات الإنسان الذي حمّله الله أمانة الحياة في هذه الدنيا .

وإن العالم لينتظر من هذا المؤتمر الفريد في موضوع جديد بكل اهتمام أن يجد ما يهتدي به في العناية بالإنسان الذي جعله الله خليفةً في الأرض .

تعقيب :

لم يكن من مقصود هذه الورقة الدخول في المسائل العلمية المتعلقة بالطب .

لكن أبحاث الندوة ومناقشاتها تعرضت لمسائل تتعلق بالإنسان وبالروح من الناحيتين الدينية والفلسفية .

وحقيقة الإنسان أو حقيقة الروح ليست مما يعالجه العلم الحسي التجريبي . وإذا كان الدين ـ وأقصد الإسلام ـ قد بيّن حقيقة الإنسان ونظر إليه النظرة المتكاملة باعتباره روحاً وجسداً معا ، فإن مشكلة الروح قد حيّرت علماء الدين والفلاسفة على السواء .

ونظراً لصعوبة المشكلة وحاجتها إلى الدراسة المتعمقة فإن بعض العلماء من ذوي النزعة المادية أو الحسية التجريبية الدقيقة قد بسّطوا المشكلة بأن أنكروا وجود ما يسمى « الروح » كجوهر غير محسوس ، وله ملكاته الخاصة ، وزعموا أن الإنسان هو خصوصا ما يسمى « المخ » ـ أو « الدماغ » بحسب الاصطلاح العربي القديم ـ بحيث أنه متى تعطل « المخ » ووقفت وظائفه اعتبر الإنسان قد مات .

إن هذا كله هو ما يكشف عنه الظاهر للحس ، لكن كل ما هو محسوس وما هو مادي ملموس ليس إلا مظهراً فقط ، وفي أعماقه أو وراءه تلك القوى أو الملكات الفعالة . ومن عجائب نظام هذا العالم المحسوس أن كل العلل والقوى الفاعلة ليست محسوسة ، ومع ذلك فإننا نستدل على وجودها بوظائفها وآثارها الظاهرة ، كما تتجلى في حياة النبات وفي الحيوان بوجه عام ، بما فيه الإنسان .

والذي أحب أن أقوله هو أن « المخ » ، وكذلك كل أعضاء البدن ، أدوات لما يسمى « الروح » ، وإن كان « المخ » أداة بالغة الدقة واللطف في التركيب بالنظر إلى أنه ، بحسب موضعه في الجسم وصلته بالحواس ، جهاز لاستقبال كل انطباعات الحواس ولحفظها ، وكل من يفكر ويتفطن لفعل التفكير يدرك أن « المخ » أداة رائعة ، والبحث التجريبي يثبت ذلك .

أما مكان « الروح » أو « النفس » فقد حيّر الجميع ، لكن الظاهر أنها سارية

في البدن كله ، وفي كل خلية منه .

وإذا كان توقف « المخ » عن أداء وظيفته يؤذن بابتداء توقف الحياة جملةً،إلا أن ذلك ليس معناه انتهاء تعلق الروح ببدنها ، رغم أنه قد تعطل ، بل يظل للروح نوع من التعلُّق حينا ما . أما إذا كان لابد من الاستئناس بالحديث الشريف فإنه ينسب للرسول عليه الصلاة والسلام قوله (إن الميت يتألم مما يتألم منه الحي) .

ومهما كان الأمر فإنه لا يجوز بأي وجه من الوجوه أن تمتد يدٌ إلى نزع عضو من ميت إلا بعد توقف كل علامات الحياة في كل عضو وبعد أن يكون الميت قد وافق على ذلك مقدَّما ، لأن الجسد ليس مجرد شيء ، بل هو ملك وأداة لروح صاحبه ، وهو سيعود إلى ما كان بالبعث والنشور .

أما مسألة الانتفاع ببعض أعضاء الميت وزرعها مكان أعضاء أخرى مريضة عند شخص آخر، فإن هذه مسألة أخرى تدخل في مجال ما يأذن به الدين ومباديء الأخلاق : وإذا كان يمكن الاجتهاد في الدين والإذن بذلك ، فإنه ـ بصرف النظر عن الفوارق الخاصة ـ يبقى السؤال : هل المبرر لزرع عضو من ميت في جسم إنسان آخر حي هو مجرد أن يعيش الثاني مدة أخرى ، أم يجب أن تكون هناك غايات عليا يقرها الشرع وتتفق مع معنى حياة الإنسان ورسالته : من النهوض بالحق والعدل والخير والبر ، مثل أن يكون المحتاج إلى جزء من عين عالما يواصل خدمته للحقيقة أو يكون أُمّاً أو أباً يحتاج إلى كلية ليواصل رعاية الأبناء أو البر بأبوين كبيرين ، وهذه ومثلها غايات دينية ـ أخلاقية ، وخصوصاً لكي يستزيد من عبادة الله .

أما مجرد الرغبة في استمرار الحياة فارغةً من رسالة رفيعة ـ فهو لا يصح أن يكون مبرِّراً ، وإذا كانت حياة الإنسان في هذه الدنيا لابدَّ أن تنتهي في يوم من الأيام فإن الفرار من الموت بطرق غير طبيعية لا يُنْجِي منه : ﴿ قل : إن الموت

الذي تفرون منه فإنه ملاقيكم ﴾ (س ٦٢/ الجمعة/ ٨) وحريٌّ بالإنسان العاقل بدلاً من الاهتمام بمجرد الحياة أن يستعد لما هو مُقْدِم عليه بعد انتهائها . وكما أن الإنسان المؤمن قد تعلم في حياته كيف يحيا حياة إنسانية رفيعة فإنه يجب عليه أن يعدَّ نفسه في هذه الدنيا للحياة العليا بعدها ، وأن يتعلم كيف يموت ميتة طيبة : ﴿ الذين تتوفاهم الملائكة طيبين يقولون سلام عليكم ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون ﴾ (س١٦ / النحل / ٣٢) .

وبعد هذا تبقى مسألة ثار حولها الجدال ، وهي تتعلق بالجنين . ومن الواضح أنه منذ بداية أمره حتى خروجه إلى الدنيا إنسان في دور التكوين ، ﴿ خَلْقاً مِنْ بَعد خَلْقٍ ﴾ (س ٣٩/الزمر /٦) ، كما يقول الله ، وكل مرحلة مرتبطة بما قبلها ، ووجود الوظائف المتنوعة للجنين منذ وقت مبكر يدل على أن فيه « نَفْساً » ، أو ذلك الشيء الذي هو « مبدأ » الحياة ، أي القوة التي نجد وظائفها في مظاهر الحياة ، ولا يصح أن يعمد أحدٌ إلى الإجهاض في أي مرحلة إلا من أجل مبرر أعلى من المحافظة على حياة الجنين ، مثل إنقاذ حياة الأم إذا كان إنقاذها محقَّقاً علميا وطبيا .

أما الاستناد إلى ما جاء في الحديث الشريف من نفخ الروح في الجنين بعد مدة معينة واستنتاج أنه قبل ذلك لم يكن إنسانا فإنه استدلال لا يستند إلى المنطق الدقيق ، وذلك أن القوى والملكات المعنوية في الإنسان ، سواءً وهو في مرحلة الجنين أو بعد ولادته إلى بلوغه الرشد ، ملكاتٌ عديدة متتابعة لا يعرف سرها وكنهها أحد ، لكن مظاهرها واضحة ، وهي كلها مترابطة في بناء واحد متماسك متكامل هو الإنسان الذي انطوت في طبيعته الحسية المادية والعقلية ـ الروحانية كل أسرار هذا العالم . وإن تنوع الألفاظ ، مثل : الحياة ، النفس ، الروح ، العقل ، القلب ، الفؤاد ، لا يصح أن يخدع المفكر المتعمق ، لأنها كلها تشير إلى شيء أو أشياء تتنوع بحسب الاعتبار ، وهي إن لم تكن شيئا واحدا متنوع الجوانب


فإنها مترابطة في الأعماق على أساس واحد يخرج عن نطاق المعرفة الحسية التجريبية .

وكل المراد من هذا الكلام هو أن يكون النظر للإنسان والتعامل معه بكل احتياط وعلى أساس متين من احترامه بدنا وحياة ونفسا وعقلا ، ومن الإيمان بأنه كائن فريد أبدعه الله فلا يتصرف فيه أحدٌ إلا بإذن وهدي خالقه . والله أعلم .

الجزء الأول

بداية الحياة الإنسانية في المفهوم الإسلامي

أولاً:
الأبحاث الطبية



بداية الحياة

للدكتور حسان حتحوت

بحمد الله نلتقي أطبة وفقهاء في رباط الأخوة الإسلامية ونطاق الإيمان بالله ورسوله وشريعته . وهذا لقاء يحبه الله : أولا لأنه مجلس محبة في الله ، وثانيا لأنه مجلس علم وثالثا لأن القصد منه أن نتعلم وأن نعلم ، فلعل مداولاتنا تثمر شيئا تفيد منه أمة الإسلام في هذا العصر الذي وثبت الكشوف العلمية فيه وثبات كبيرة ، وتشعبت حتى لم يعد بد من أن يحتشد لها المتخصصون في العلوم الطبية والعلوم الشرعية معا ، لأن من أشراط الأهلية للفتيا حسن الإحاطة بالمسألة المطروحة .

ولن أفاجأ إن رأيتنا جميعا خلال مداولاتنا يتولانا الشعور بالحيرة آنا بعد آن . . وأقول لحضراتكم إن الذين يتصدون لبحث موضوعات هذه الندوة في أرجاء العالم الأخرى يشعرون بالحيرة كذلك . ولم يصل العالم إلى رأي واحد ، وبالتالي إلى تشريع واحد إزاءها . وليس المطلوب بالضرورة من هذه الندوة أن تستقر على رأي أو حكم أو فتوى . . فإن فتح الله باتفاق على أمر من الأمور فخير . . ونطالع الناس به على أنه رأي لا حكم . . وإلا فحسبنا أن نتزود فيما بيننا بمعلومات قد تكون جديدة علينا ونتبادل وجهات النظر ، ولا علينا إن لم نجمع على رأي أو نتخذ قرارا .

وإذا كان الأطباء على مستوى العالم وجدوا ولا يزالون مشقة في خوض غمار هذه الأمور ، فما بالكم بالفقهاء ؟ فإن بعض النقاط التي ستعرض هي محدثات جديدة تماما . . لم يرها السلف ولم يكتبوا فيها . . ولم تعد المكتبة والكتب هي الملاذ

الجامع المانع الذي يجلو كل مبهمة . المشكلات التي بين يدينا الآن حلولها عقلية بالدرجة الكبرى نقلية بالدرجة الصغري ، ولن يغني فيها الاستشهاد عن الاجتهاد ، وكما أعمل السلف فكرهم وعصروا أذهانهم ليكونوا آراءهم ولم يثبطهم أن يختلفوا في الرأي عن سابقيهم أو معاصريهم . فحيى الله من اخترق نطاق المعاناة والدرس والتمحيص وخرج على الناس يقول هذا أمر لم يأته السابقون ورأيي فيه كذا وأسبابي كذا . . حتى ولو شفع ذلك بأنه لا يفتي به للناس .

أما في مسألة بدء الحياة فهناك صعوبتان نود الإشارة إليهما بادىء ذي بدء . فصيغة الموضوع نصت على أنها الحياة الإنسانية . . ولعلى كنت بين المشاركين في وضع هذه الصيغة . . التي حصرت بحثنا عن غير قصد منا لا في بداية الحياة ولكن في الوقت والدور الذي تصبح فيه الحياة إنسانية . . وإلى ذلك قصد بعض الإخوة الفقهاء في أوراقهم ،وإن احتاطوا فصرحوا بأنهم مع ذلك لا يرون إهدار الحياة بالإجهاض حتى قبل أن تكتسب إنسانيتها . . وأرى ألا نعفى أنفسنا من البحث في السؤال المجرد : متى تبدأ الحياة ؟ ولنقل بالنسبة للفرد من الأفراد . . الحياة كحياة . . مطلقة مجردة . .

ومن الصعوبات التي أمامنا أيضا اختلاف المسميات الطبية عن المسميات الشرعية . التسميات المشتركة لا تدل على نفس الأشياء . من أمثلة ذلك أن الذرة في منطوق القرآن قد لا تعني الذرة بمفهومها في علم الكيمياء . وقد ضرب الدكتور أحمد القاضي مثلا جيدا وهو يتحدث عن القلب المعنوي وعن القلب العضلي، فإذا نظرنا إلى بداية الحياة وقرأنا حديث الأربعينات، فأنا إن سئلت عن معنى النطفة بالتعريف الشرعي، قلت إنها « أحدنا » (إن أحدكم ليجمع في بطن أمه) من بداية أن كان ـ وكان هنا فعل ماضٍ تام . . من كن فيكون ـ لغاية أربعين يوما من العمر الحملي . . وإن العلقة هي الحمل من أربعين حتى ثمانين يوما ، والمضغة هي الحمل من ثمانين يوما إلى مائة وعشرين ،أما في المفهوم الطبي وكما تورده كتب

علم الأجنة المؤلفة باللغة العربية ، فالنطفة تطلق على المني ، والمضغة على كتلة الخلايا الناتجة في أيام قليلة من انقسام البيضة الملقحة ، أما العلوق فيستمر من آخر اليوم الرابع من الإخصاب وتنغرس العلقة في بطانة الرحم في اليوم السابع ولا تكون بعد ذلك علقة .

ونعرض في سرعة ويسر لبداية قصتنا داخل أمهاتنا . . لسنا المنوى ولن يعطى منوي وحده إنسانا أبدا . . ولسنا البويضة لنفس السبب . . فإذا التحم منوي وبويضة كانت منهما خلية واحدة . . وتمارس هذه الخلية سمة أساسية من سمات الحياة هي النمو . . إلى كتلة خلايا ثم إلى حوصلة عالقة بالرحم ثم منغرسة فيه . وعندما يحل موعد الحيضة التي لن تجيء : يكون عمر الحمل أسبوعين . . ومن الأسبوع الثاني وقبل نهاية الثالث يكون كمثرى الشكل لأن طرفه الرأسى قد انتفخت به القناة العصبية لتكون المخ الباكر. وإن دبيب الحياة ليس نفخ الروح. . فواضح أن الروح لم تنفخ في جنين ميت ، وثابت أن الحياة سابقة على نفخ الروح فاستقبال الروح هو حدث خلال حياة الجنين وليس بداية لها . . واستقبال الروح بالنسبة لعلمنا الطبي هو أمر غيبي محض . . لا ندري له كنها ولا طريقة ولا أثرا . . ومسألة أنه آنذاك يكتسب الإدراك أو الخيال أو تبدو عليه أمارات الرضا والغضب، هي للأسف الشديد من باب الفولكلور أو من باب التحمس لوجهة نظر معينة ومحاولة تأييدها علميا بغير سند علمي .

ولا نستطيع أن نسمي الحياة قبل الموعد المذكور لنفخ الروح حياة نباتية . فالنبات تعريفا ليس له جهاز حركي فعال ، ولا جهاز عصبي ، وأسلوبه الغذائي مختلف ، وهو يقتات على الضوء ويستهلك ثاني أكسيد الكربون ويفرز الأكسجين ، كذلك نحجم أن نصف حياة الجنين بأنها حيوانية . . وقد يسعد جماعة مذهب « داروين » أن نقرر أن جنين الإنسان يمر بدور حيواني . . ولكننا نتورع عن ذلك . . والذي نستحسنه في الدور السابق لنفخ الروح أن نكتفي بأن نقول إن فيه حياة وكفى وأنه حي بمقاييس الحياة المعروفة .

كذلك لا أجد من الناحية الشرعية البحتة فيما قرأت في أوراق الإخوة أو سابقا لها أن على أن أربط وصف الإنسانية بلحظة نفخ الروح . إنني أصدق غيبا لا علما بأن الروح نفخها الملك عند نهاية الأشهر الأربعة ، ولكنني لا أجد ما يضطرني لأقول إن الحياة قبل ذلك كانت غير إنسانية فأصبحت حياة إنسانية .

وكيفما دار الأمر فالحياة قطعا ثابتة . . والصعوبة التي تواجهنا هو أن الآراء تعددت في وضع خط تحت نقطة البداية ، ليقال إن ما سبق هذا الخط غير حي وما تلاه فهو حي ، وقد حاول بعضنا - الأطباء - النزول بهذا الخط الفاصل شهرا ونيفا من الزمان قبل موعد نفخ الروح . . أي إلى الوقت الذي تظهر فيه أنواع من الحركات الجنينية تدل على أنها استجابة عضلية للجهاز العصبي وليست اختلاجات عضلية تلقائية ، وإذن فقد مارس الجهاز العصبي وظيفته ، وإذن فهي بداية الحياة البشرية ونهاية مجرد الحياة الخلوية ، ولم يقنعني ذلك على الإطلاق . . فالجهاز العصبي قائم من قبل ذلك ، وإنما كان كغيره من الأجهزة سادرا في النضج ومتجها للتلبس بسائر الأجهزة والجهاز العصبي آنذاك غير مكتمل ، ولا هو اكتمل وظيفة حتى عند الميلاد . . فبينا يولد العجل فيجري يولد الإنسان غير قادر على ذلك لفترة طويلة .

وهناك من فكر في وقت زيارة الملك الأول أي بعد اثنين وأربعين يوما . . أو في وقت التخلق . . وواضح لنا أن حديث الأربعين الأولى لابد أن يتأول . . بأن يقال مثلا إن الملك يسأل ذكر هو أم أنثى ليعلم من الله ما لا يعلم ، لا ليبدأ صنع الذكورة والأنوثة ، إذ المقطوع به الآن أن الذكورة أو الأنوثة قد تحددت في التقاء الحيوان المنوي بالبويضة ، وهل كان المنوي يحمل الجسم الصبغي الذكري أو الأنثوي . كذلك فإن التخلق عملية نسبية ، فما تراه عين العالم المتخصص أبعد مدى وأدق تفصيلا مما يراه غيره . . وما يرى بالمجهر غير ما يرى بالعين . . فضلا عن أن التخلق مسألة بالغة التدرج ومستمرة ومتناغمة ، وما من سبيل أن نشير إلى لحظة نقول عندها هنا بدأ التخلق ، لهذا اتجه التفكير أن تكون بداية الحياة فعلا عند

بدايتها . . أي في أبكر دور « يكون » فيه كائن تنطبق عليه جميع الشروط الخمسة التالية :

١ ــ أن تكون له بداية واضحة معروفة .
٢ ــ أن يكون قادرا على النمو ما لم يحرم أسبابه .
٣ ــ أن يفضي نموه إلى الإنسان جنينا ووليدا وطفلا وصبيا وشابا وشيخا وكهلا إن نسأ الله له في الأجل .
٤ ــ أن ما سبقه من دور لا يمكن أن ينمو فيفضى إلى إنسان .
٥ ــ أن تكتمل له الحصيلة الإرثية لجنس الإنسان عامة وكذلك له هو فردا بذاته مختلفا عن غيره من الأفراد منذ بدء الخليقة وحتى قيام الساعة .

هذه الأشراط الخمسة تتوفر جميعا في البويضة الملقحة الناتجة عن التحام الحيوان المنوي بالبويضة غير الملقحة . . وهي لا تتوفر إلا فيها ، ولا تنطبق على ما قبلها ولا ما بعدها، ورغم أن هذا يدخل في باب العلم الحديث فهو ليس فكرا حديثا . . وبه أخذ فقهاء سابقون . . وإن جاء تعبيرهم عنه تعبير بصيرة نافذة لا تعبير عين ناظرة ، كما استطاع الأطباء من بعد ألف سنة أن يفعلوا . ولعل فقهاء اليوم يقفون على مرتفع التقدم العلمي المعاصر ليستنبطوا تسميات جديدة أكثر دقة من تسميات أمس .

لقد كان الغزالي يرى أن في الحمل من تلك البداية التي أشرنا إليها حياة ويرى أنها حياة واجبة الاحترام . . إلا أن تعبيرا مثل « فإذا خالط ماء الرجل ماء المرأة ووقع الشيء في المحل » يمكن أن يستبدل به تعبير آخر يكون أدق أداء إن ارتكز على المشاهدات العلمية الثابتة في يومنا هذا .

والذين يرون أن البداية هي لحظة التحام الحيوان المنوي بالبويضه لا يجدون أن رأيهم العلمي يخالف الرأي الشرعي . فقد قضت السنة بتأجيل تنفيذ عقوبة الإعدام إن كانت المحكوم عليها حاملا دون أن تشترط أن يكون الحمل قد بلغ مرحلة معينة كأربعين يوما أو ثمانين أو مائة وعشرين . ولا نرى لذلك من سبب إلا

المحافظة على حياة الجنين ، فهو إذن حي ، وحياته إذن محترمة ، وغير صحيح أنه نطفة من جسم الأم أو ورمة نشأت فيه وإلا جاز إعدامه معها بإعدامها . . وتبقى المسألة إذن منوطة بالتقدم الطبي في القدرة على تشخيص الحمل في أبكر أدواره . ومنذ ثلاثة أعوام طرح في الصيدليات بالكويت مسبوقة ببلاد كثيرة مستحضر اختبار يكشف عن الحمل ولما تتأخر الحيضة إلا يومين (ايفاتست) . . وآخر الأخبار في ذلك الكشف بالتحليل عن مادة لا تفرزها السيدة ولكن تفرزها البويضة الملقحةبعد الإخصاب بعدة ساعات ؛ أي قبل موعد الحيضة التي لن تجيء بثلاثة عشر يوما ونيف وعمر الحمل ساعات معدودة .

وقد استدرك بعض الأطباء على اعتبار بداية الحياة بساعة الإخصاب . . ورأوا أن البيضة الملقحة قد تنقسم لعدد من الخلايا ، فإذا هذا العدد ينقسم إلى مجموعتين: كل منهما تفضي إلى جنين وذلك في حالات التوائم المتشابهة : فإذن متى بدأت حياة كل منهما . . أعند إخصاب البويضة الأم ،أم عند انقسام كتلة الخلايا ليبدأ كل قسم سبيله ليكون جنينا؟

ولا نرى لهذا الاعتراض ما يبرره . لأنه يتصور أن الحياة كأنها شيء مادى فيكاد يقول إن الكتلة الخلوية إن انقسمت لتوأمين فكأنما أخذ كل منهما نصف حياة حيث أن الخلية الأم بدأت وفيها حياة واحدة ، وليس الأمر كذلك . فإن البويضة إذ تنقسم وتنقسم لتكون جنينا له بليون خلية حية لا يقال إن كلا من هذه الخلايا البليون أخذت لها نصيبا قدره واحد على بليون من الحياة . إن كنه الحياة غير معروف فلا نستطيع أن نتناولها بالمفهومات المادية الدارجة . ولنا بعد ذلك في المجال الغيبي مندوحة أخرى هي أن نقول إن البيضة التي قضى الله أن تعطى توأمين سبقت مشيئة الله فأودعتها حياتين .

على أن هناك اتفاقا بين الأطباء والفقهاء على أن الحياة تمر بمراحل . . وأن هذه المراحل ليست متشابهة ولا متساوية . . فنرى من الناحية الطبية أن الحياة تزداد

تمكينا وتمتينا بمرور الوقت . . فالفاقد عن طريق الإسقاط التلقائي أكبر ما يكون في الأدوار الأولى المبكرة . . وكلما استقر الجنين في الرحم مدة أكبر كانت فرصته في الاستمرار أكبر . . والمولود الخديج أكثر عرضة للموت بعد الميلاد بقدر ما يستبكر عن تمام عدة الحمل (وغير صحيح أن وليد سبعة الأشهر أقوى من وليد الثمانية)

والأحكام الشرعية كذلك سارت في طريق مواز فهي وإن احترمت الحياة من بدايتها راعت فروقا في أهلية الوجوب وفى العقوبة على الإسقاط وغير ذلك .

هذه لمحة عن الآراء السائدة عن بداية الحياة ولكل مؤيدوه ووجهات نظرهم . . والذي نراه أن البداية هي البداية . والله ولي التوفيق .

بداية الحياة الإنسانية

للدكتور مختار المهدي
رئيس قسم جراحة المخ والأعصاب

مقدمة :

لا شك أن الحياة الإنسانية بمفهومها المطلق قد بدأت بخلق أدم وحواء ، وهي توالي استمراريتها بتناسل ذريتها لفترة لايعلم إلا الله مداها حتى ينفخ في الصور ويرث الله الأرض ومن عليها . وتكون الحياة الإنسانية بذلك هى تلك الحقبة من الزمن .

أما عن حياة الإنسان الفرد ، وأعتقد أن هذا هو المراد بالتساؤل ، فإن هناك خلافاً أيضا حول مفهومها . هناك من يقول إن الإنسان بدأ من خلية واحدة ، هي البويضة المخصبة ، وهذه الخلية تمثل حياة فيها إعجاز . وحيث أن هذه الخلية أيضا تنتمي إلى جنس الإنسان بمفهوم نشأتها وبما احتوت عليه من حقيبة وراثية ، فإن هذا الفهم ينتهى بنا إلى أن هذه الخلية هي بدء لحياة إنسانية إذا أراد الله لها أن تكون كذلك . هذا قول مسلم به ولا يستطيع أن ينكره أحد . . ولكن هذا المفهوم لا يتمشى مع عنوان الندوة « بداية الحياة الإنسانية ونهايتها في المفهوم الإسلامي » إن التساؤل هنا هو عن البداية والنهاية معا ، أي استفسار عن نقيضين ، ولما كانت

نهاية الحياة الإنسانية باتفاق الجميع تعنى الإنسان الميت فبدايتها بداهه هى الإنسان الحى ويكون التساؤل بالمفهوم الشرعى هو عن نفخ الروح في الإنسان وذهابها عنه وانطلاقا من هذا المفهوم أقدم هذا البحث .

إن البويضة المخصبة تمثل أحد مستويات الحياة في الإنسان يمكننا أن نطلق عليه مستوى « الحياة الخلوية » يتبع ذلك انقسام الخلية المتكرر وانغراسها في جدار الرحم واستمرار نموها داخلة في صورة مشابهة لنمو الأورام في جسم الإنسان وهذه المرحلة يمكن أن نطلق عليها مستوى « الحياة النسيجية » . وهذه الخلايا تختلف بيولوجيا عن خلايا الأم . فهى في البداية تمثل ورما طفيليا ينشأ عنه بعد ذلك إنساناً طفيليا ، ويولد في النهاية طفلا إنسانيا .

ومن الأدلة على أن الحياة الإنسانية لا تنشأ عند تخصيب البويضة بالحيوان المنوى ، هو ما يحدث في التوائم المشابهة ، نحن نعلم أنهم ينشأون عن بويضه واحدة سواء كان عددهم اثنين أو أكثر ، فبالرغم أنهم يتقاسمون نفس الكروموسومات والجينات الوراثية ويتشابهون تماما في شكل ولون أجسامهم أى يتشابهون خلويا ، إلا أنهم لا يتقاسمون نفسا واحدة فلكل منهم ذاته وحياته ، حسناته وسيئاته ، مولده ومماته . حتى في حالات التوائم الملتصقة ، المعروفة بالتوائم السيامية وهى تزيد عن سابقتها في أن الأخوين أو الأختين يتقاسمان بعض أعضاء الجسم ويشتركان في دورة دموية واحدة ، أى تجرى في عروقهم نفس الدماء ولكن لكل منهم ذاته الإنسانية الخاصة به .

هل يمكن تحديد متى تبدأ الحياة في الجنين ؟

لما كان بدء الحياة الإنسانية بالتعريف الأخير له شأن فقهى محدد ، ويترتب عليه حقوق وأحكام فإنه يتعين علينا في هذا العصر أن نحاول أن نحدد توقيت ذلك من الناحية العلمية إذا كان ذلك ممكنا ، لما قد يكون لذلك أيضا من انعكاس على

توقيت الإجهاض إذا أملت ذلك ضرورات طبية .

ولقد كان الجنين في بطن أمه في أزمنة سابقة بعيدا عن العين الطبية الفاحصة وأيضا عن وسائل الاختبارات المعملية ، فكان تحديد هذا التوقيت هو ضرب من المحال ، وكان توقيت بعث الروح في جسد الجنين هو أمر غيبي ليس له مقابل علمي . ولكن هذا الستر قد بدأ في الزوال في السنوات الأخيرة وعلى وجه الدقة في السنوات العشر الأخيرة والذي تمكن فيه العلم من رؤية الجنين في جميع مراحل الحمل اعتبارا من الأسبوع الرابع ، وكذلك مراقبة الجنين في تطوره ونموه لأية فترة زمنية نريدها وذلك بأجهزة الموجات فوق الصوتية المعروفة « بالسونار » والتي يتوالى تحسينها لإعطاء صورة أكثر دقة وأكثر وضوحا . بل أمكن أيضا إخضاع الجنين وأجهزة جسده للفحوصات المعملية من فحص للقلب والمخ وعمل رسومات كهربية لها ، بل إنه أيضا بواسطة هذه الإمكانات يمكن تشخيص بعض أمراض الجنين أثناء الحمل وفي أحيان نادرة إجراء علاج جراحى لها !

والتساؤل الآن هو : هل يمكننا والحال هذه باستمرار ملاحظة الجنين في مراحل الحمل المختلفة وعمل بعض الاختبارات الممكنة أن نلاحظ أنه هناك مرحلة معينة من مراحل الحمل يظهر على الجنين فيها ما يمكن أن نسميه « بأعراض الحياة » ؟ وأن نقول علميا : هنا بدأت الحياة الإنسانية؟

للإجابة على هذا السؤال يلزمنا أن نحدد أساسا ما هو مفهومنا عن الجنين الحى أو الإنسان الحى على وجه العموم ؟ لقد خلصنا في بحث سابق[1] أنه لا يوجد فرق البتة بين الإنسان الميت والإنسان الحى سواء من الناحية التشريحية أو الميكروسكوبية أو حتى من الناحية الكيميائية وأن الفرق الوحيد هو العمل أو « الأداء الوظيفي » فخلايا وأعضاء الإنسان الحى تعمل وتؤدى وظائفها ، بينما خلايا الإنسان الميت تتوقف عن العمل بعد وفاته بفترات متفاوته وتبدأ بعد ذلك في التحلل . . ولكن خلاف أن الإنسان الحى خلاياه وأعضاؤه حية وتعمل فإنه نفسه

« ككيان إنساني » له حياته ووظائفه والتي هى في تقديري تتمثل في الإحساس بالعالم من حوله والوعى بهذا الإحساس ، وكذلك التفاعل معه بالحركة الذاتية النابعة من إرادته . لاشك أن مفهوم الوعى والإدراك في الإنسان الحى يتفاوت تفاوتا هائلا ما بين وعى وإدراك إنسان عالم ، والذي يختزن في مخه خبرات عشرات أو ربما مئات السنين من علم قرأه ودرسه ومارسه ، وبين وعى جنين ما زالت معظم حواسه حبيسة بطن أمه وصفحات الخبرة في مخه بيضاء شاغرة لا يوجد بها إلا إدراك الفطرة والغرائز وبديهي أن استقراء مظاهر هذه الحياة في الجنين لا تكون إلا من خلال جهاز عصبى ، أساسا المخ ، قد اكتمل تكوينه وبدأ في تأدية وظائفه المعروفة .

الجنين من خلال أجهزة السونار :

يبدأ الإنسان من خلية واحدة تبدأ في الانقسام لتكون خلايا عديدة متشابهة أولا ثم تبدأ في الاختلاف وتبدأ في تكوين مجموعات تتميز عن بعضها البعض شكلا ووظيفة . وليس قبل نهاية الأسبوع الرابع من الإخصاب يمكننا تمييز الجنين كرأس وجذع وذيل .

أما الجنين في الاسبوع السادس أو بعد اثنين وأربعين يوما وهو نهاية مرحلة النطفة كما أشارت الأحاديث النبوية فتعتبر في علم الأجنة مرحلة تحول هامة يتغير فيها اسم الجنين من (embryo)إلى (fetus)وفي هذه المرحلة يمكن لأجهزة السونار أن تظهر لنا بداية خفقان قلب الجنين بعد أن تبدأ دورته الدموية في العمل ويكون طول الجنين عندئذ اثنين وعشرين مليمترا .

كما أنه في هذه المرحلة يبدأ ظهور نسيج العظام في مراكز نمو صغيره في عظمتى الفك والترقوه في نفس هذا الأسبوع ، ثم يتوالى بعد ذلك ظهور المراكز العظمية الأخرى . ففى الأسبوع السابع تظهر مراكز عظمتى الفخذ والساق ، وفي الأسبوع الثامن عظمتى العضد والساعد .

وهنا يهمنا أن نؤكد حقيقة هامة وهي أن بداية عمل القلب بضخ الدم في جسد الجنين ، ولو أنها مظهر جديد من مظاهر الحياة فيه ، وعلامة هامة في فحص الحوامل في العيادات الخارجية بمستشفيات الولادة للتأكد من استمرار الحمل وسلامته ولكنها لا تعنى وجود حياة إنسانية بعد لأن حركة عضلة القلب في الانقباض والانبساط هى خاصية ذاتيه لعضلة القلب تبدأ عند تكوينه كعضو ، سواء أكان هذا القلب داخل الجسد أم خارجه بعد استئصاله أو حتى تقطيعه إلى قطع صغيرة فإن كل قطعة تظل تحتفظ بهذه الخاصية ويمكننا أن نطلق على هذه المرحلة من مراحل الجنين مستوى « الحياة العضوية » نسبة إلى بداية تكوين أعضاء الجسم ، وإن كانت الحياة الإنسانية لم تظهر بعد .

وفي خلال الأسبوع الثامن يبدأ ظهور حركات ضعيفة اختلاجيه في جذع الجنين . وفي الأسبوع التاسع تبدأ هذه الحركات في الانتشار في أطرافه ، وهذه الحركات البدائية هى أيضا تفاعلات على مستوى الحياة العضوية ولا تمثل بدء الحياة الإنسانية فهى تحدث عند نمو الأعصاب الطرفية ووصولها إلى نسيج العضلات . وعضلات الجذع أقرب للأعصاب النامية من النخاع الشوكي عن عضلات الأطراف في الأذرع والساقين ولهذا تبدأ الحركة قبلها .

وقد تأكد هذا لنا من عملية زراعة الخلايا والأنسجة بالمعمل . فنحن يمكننا زراعة خلايا عصبية جنينية منفصلة بجوار خلايا عضلية جنينية في أطباق زراعة الأنسجة بالمعمل مع تغذيتها بالطريقة المناسبة ، وفي هذه الحالة تنمو الخلايا العصبية وتتفرع لتصل بقوة جذب غير معروفة إلى الخلايا العضلية الجنينية التي تنمو هى الأخري وتنقسم إلى خلايا عديدة ، وعند تلامس أطراف الخلايا العصبية معها تبدأ الخلايا العضلية بإعطاء نبضات أو انقباضات متكررة تختلف في قوتها وتكرارها ، باختلاف عوامل عديدة ، ولكن هذه الاختلاجات يمكن رؤيتها بالعين المجردة ، وهي تنتج عن تنبيهات كهربية تظهر في الخلايا العصبية وتنتشر عن طريق

أطرافها إلى الخلايا العضلية كل ذلك تعبير عن حياة خلوية أو نسيجية أو عضوية لم ترق بعد للحياة النفسية .

وفي عديد من البحوث الطبية التي أجريت لتتبع مراحل نمو الجنين في الشهور الأولى من الحمل مستخدمة أجهزة الموجات فوق الصوتية ، سجلت تفاصيل حركات جنينية كثيرة أمكن التعرف من بعضها على إحدى عشرة حركة جنينية مختلفة يتوالى ظهورها حسب نمو الجنين ونضوج جهازه العصبي والعضلي ؛ كما لوحظ أيضا تزايد قوة وتعقيد هذه الحركات مع استمرار نمو الجنين . وقد يكون ظهور الكثير من هذه الحركات من العوامل الهامة لاكتمال نمو هذه العضلات وتقويتها . وعندما يصل الجنين إلى نهاية الأسبوع الحادي عشر وفي خلال الأسبوع الثاني عشر يدخل الجنين مرحلة هامة ومتميزة .

أعراض الحياة في الجنين « مرحلة ميلاد المخ »

في أثناء الأسبوع الثاني عشر تظهر على الجنين خمسة مظاهر جديدة وهامة كلها تشير إلى اكتمال تكوين مخ الجنين وبداية وظائفه وبداية ظهور الكيان الإنساني في الجنين ويبدو ذلك من .

أولا : تتطور حركات الجنين لتصبح حركات مركبة متوافقة وليست انقباضات تشنجيه وذلك مثل ثني الظهر ورفع الرأس ، ثني الرقبة والالتفاف بالوجه إلى الجانبين ، الحركة بالأيدي بصورة تلويح وعمل قبضة باليد ، الرفس بالأرجل وكذلك حركات مركبة للفم والشفتين واللسان والفكين فيما يشبه حركات الرضاعه .

ثانيا : ظهور الحركات التنفسية وليس المقصود هنا أن الجنين يتنفس الهواء ، فالرئتان لا تعملان في فترة الحمل والأكسوجين اللازم للجنين ينقل من دم الأم إلى دم الجنين من خلال المشيمة ، إلا أن هذه الحركات التنفسية هي فعلا الحركات التي

تؤدي إلى التنفس بعد الولادة ، ففيها تنقبض عضلات الصدر والحجاب الحاجز بطريقة متوافقة ومتكررة ، والمدلول الأكيد لهذه الحركات هو بدء عمل جذع المخ فهو المولد لهذه التنبيهات الكهربية التي تسرى إلى عضلات الصدر والحجاب الحاجز ، وتصبح هذه الحركات بعد ذلك ظاهرة ملازمة للجنين لا تتوقف بصورة نهائية إلا عند وفاة الإنسان .

ثالثا : في هذه المرحلة يلاحظ من المراقبة الطويلة للجنين أنه يمر بفترات متتابعة ومنتظمة من النشاط والحركة يعقبها فترات راحة وسكون وقد تكون فترات يقظة وفترات نوم وتتميز فترات اليقظة والنشاط بنوعين من الحركة .

حركات عادية كالموصوفة في « أولا » وهي تستمر سبع دقائق ونصف يتبعها بعض القفزات العالية وبعد هذه التدريبات الرياضية يخلد الجنين للراحة لفترة خمس دقائق لا يستجيب في أثنائها للمؤثرات الخارجية يعود بعدها إلى الحركة من جديد وهكذا .

رابعا : أظهرت بعض الأبحاث أنه في هذه المرحلة ، مرحلة الأسبوع الثاني عشر يبدأ ظهور إشارات كهربية أمكن قياسها وتسجيلها صادرة عن مخ الجنين وهي تعبر عن بدء عمل ونشاط قشرة المخ والنصفين الكرويين وهي تمثل الإشارات الكهربية التي تسجل عادة في رسم المخ الكهربائي فيما يشبه رسم القلب .

خامسا : بداية ظهور حركات جنينية ذات مدلول جديد فهي تختلف عن كونها انقباضات ذاتية أو أفعال منعكسة على مستوى النخاع الشوكي ولكنها حركات بناء على تنبيهات من الخارج كما يحدث أحيانا من مجس جهاز الموجات فوق الصوتية وهو يتحرك على بطن الأم الحامل لتسجيل صورة الجنين ، وأحيانا نتيجة الضرب الخفيف على مكان المشيمة فينتج عن ذلك حركة انزعاج من الجنين وهذا يعني أن مراكز عليا بالمخ قد تدخلت في حدوث هذه الحركة وذلك بناء على انفعالات حسية

في مخ الجنين أدرك بها حدوث شيء غير مألوف ، ويستنتج من هذا وجود الحس كذلك الوعى بالمحيط الذي يوجد فيه الجنين ، والتمييز بين المألوف وغير المألوف . فالجنين يعيش وحوله الكثير من أصوات وحركات الأمعاء والتنفس ودقات قلب الأم . وهذا الوعى الذي نتحدث عنه هو بالطبع وعى فطرى بسيط .

واستخلاصا من كل هذه الظواهر التي أمكن ملاحظتها في هذه المرحلة الجنينية المحددة في الأسبوع الثاني عشر من وقت تخصيب البويضة والتي أصبح فيها للجنين « كيان » أو وجود . . فهو يقفز ويلعب ، وينام ويصحو ، يحس ويفزع كل ذلك تزامناً مع اكتمال تكوين المخ وبداية قيامه بوظائفه من ظهور لحركات التنفس وإشارات المخ الكهربائية الدالة على نشاط وعمل قشرة المخ والنصفين الكرويين . وهذه المرحلة تقف كعلامة هامة على طريق نمو وتطور الجنين ، كما أن هذه العلامات والظواهر التي تحدث هى عكس العلامات التي توصف في مرحلة وفاة المخ عند موت الإنسان . ومن هنا يمكننا أن نصفها بمرحلة ميلاد المخ أو بداية الحياة الإنسانية . . في نهاية هذا الأسبوع يكون الجنين قد بلغ تسع سنتيمترات طولا وخمسا وأربعين جراما وزنا وقد ظهرت ملامح وجهه وجسده بالمظهر والطابع الإنساني. ومن السهل التعرف على هذه المرحلة وتحديدها حتى إذا كان تاريخ الحمل غير معروف على وجه الدقة وذلك بالفحص بجهاز السونار لبيان الحركات التنفسية وأنشطة الجنين المختلفة .

مرحلة بداية الحياة الإنسانية بين العلم والشرع :

إذا كان هذا ما أمكننا الوصول إليه من الناحية العلميه الطبيه والفلسفية ، فأين يقع ذلك من الشرع والإسلام ؟ . . يوجد في القرآن الكريم العديد من الآيات التي تتحدث عن خلق الإنسان ، وتعتبر آيات سورة المؤمنين في هذا المجال أكثر الأيات تفصيلا في وصف مراحل الخلق .

﴿ ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة في قرار مكين ثم

خلقنا النطفة علقة ، فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم أنشأناه خلقا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين ﴾

وقد وصل العلم الحديث إلى معرفة الكثير عن مراحل خلق الجنين وأصبح يكون الآن علما قائما بذاته ، علم الأجنة ، ومن المعروف علميا بأن نسيج العظام ينشأ أولا في وسط الجسم وكذلك في وسط الأطراف وهى في البداية تكون على صورة غضاريف تظهر فيها مراكز لنمو العظام ، وبعد ظهور العظام يبدأ ترسيب نسيج العضلات من حول العظام فتحيط بها من كل جانب بما يفيد كسوتها كما جاء في سورة المؤمنون وهذه العضلات تصلها بعد ذلك الأعصاب ثم تبدأ الحركة لأن العظام والعضلات معا يكونان الجهاز الحركي للإنسان .

ولقد كان الحديث النبوي الشريف المعروف بحديث الأربعينات هو المصدر الشرعي الوحيد الذي تحدث عن توقيت زمني لأطوار الخلق المختلفة قبل نفخ الروح وحددها بمراحل ثلاث

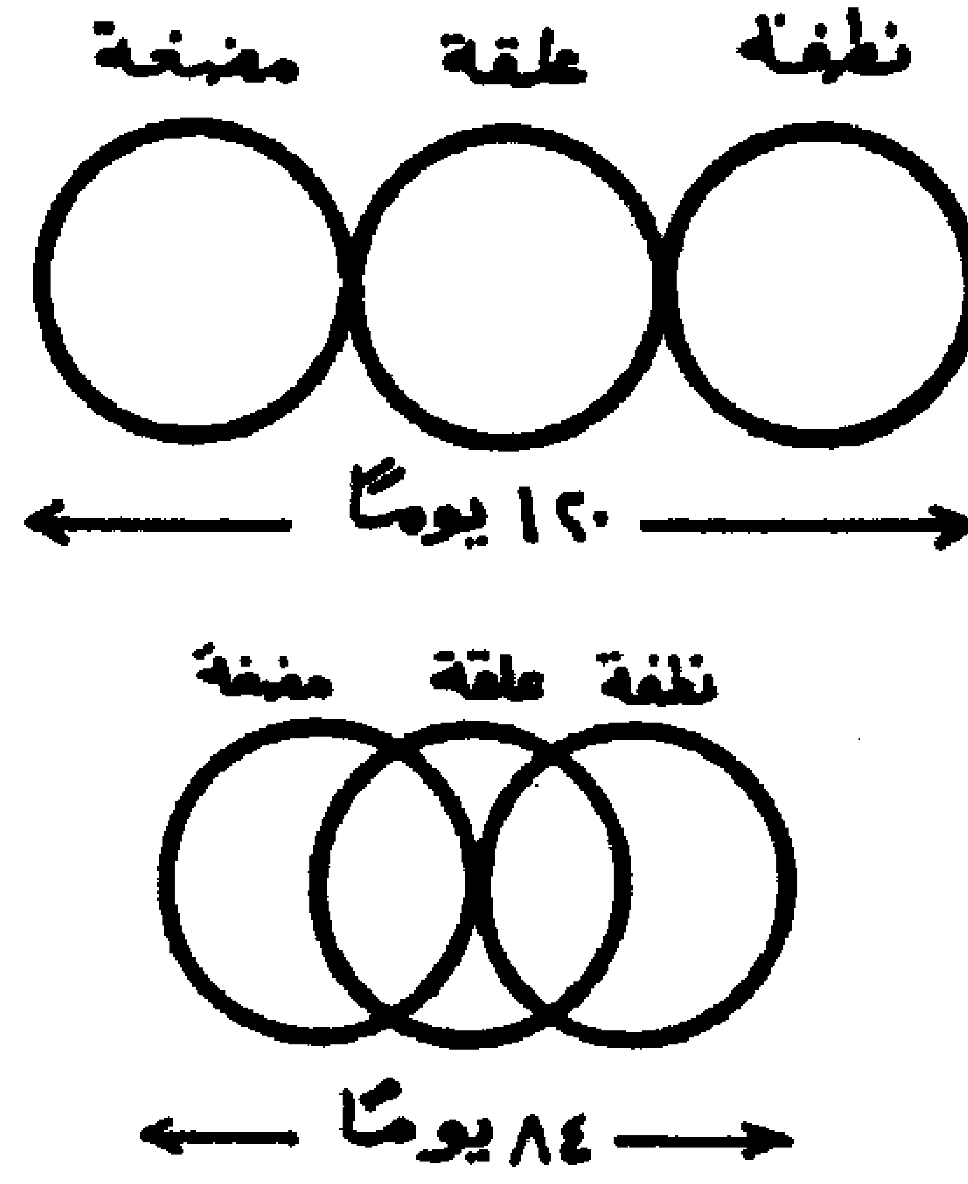
« إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه نطفة أربعين يوما ثم يكون في ذلك علقة مثل ذلك ثم يكون في ذلك مضغة مثل ذلك ، ثم يرسل الله إليه الملك فينفخ فيه الروح ويؤمر بأربع كلمات يكتب رزقه وأجله وعمله وشقي أم سعيد » . رواية مسلم

وقد ذهب معظم الناس إلى الاعتقاد بأن الروح تنفخ في الجنين بعد أربعينات ثلاث أي بعد مائة وعشرين يوما أو شهور أربعة ، ومن الواضح أن ذلك هو من قبيل الاستنتاج من وجود أربعينات ثلاث .

ولكن رواية مسلم وهي تختلف بعض الشيء عن روايات الحديث الأخرى يرد فيها « ثم تكون في ذلك علقة مثل ذلك » وفسر البعض ذلك بأن يحتمل أن يكون المراد أن تصيرها شيئاً فشيئاً أي أن أطوار العلقة تبدأ في الظهور في أثناء

الأربعين يوما الخاصة بمرحلة النطفة شيئاً فشيئاً ، وتفعل المضغة مثل ذلك .

وفي هذا التفسير الأخير يتضح لنا أن الأربعينات الثلاث قد لا تكون أربعينات متتاليةولكن بها تداخل في مراحل الانتقال فإذا تداخلت فإن مجموع المراحل الثلاث تكون أقل من مائة وعشرين يوما وهو ما يرجحه أيضا العلم الحديث ويشير أن مجموع المراحل الثلاث قد يكون أربعة وثمانين يوما أو اثني عشر أسبوعا أو ثلاثة شهور كما في (شكل ١) .



References:

1. Neldam S: Fetal movements as an indicator of fetal well-being. Lancet 1:1222, 1980.
2. Fetal movement patterns in the first trimster of pregnancy. Van Dongen L.G. et. al. Br. Jl. of Obst. & Gynaecol. 1980 March; 87: 191-3.
3. Early fetal movement: a real time ultrasound study. Shawker T.H. et. al. Obstet & Gynecol. 1980 Feb.; 55: 194-8.
4. Jouppila, P. (1976): Fetal movements diagnosed by ultrasound in early pregnancy. Acta Obstet Gynecol Scand 55, 131.

5. Birnholz JC, Stephens JC, Faria M: Fetal movement patterns: A possible means of defining neurological developmental milestones in utero. Am j Roentgenol 130: 537, 1978.

6. Fetal Movement Patterns in the first Trimester of pregnancy. L.G.R. Van Dongen Elizabeth G. Goudie. British Journal of Obstetrics & Gynaecology 1980 Vol. 87. PP. 191 - 193.

7. Early Fetal Movement: A real time ultrasound study. Thomas H. Shawker, William H. Schuette., Willard Whitehouse and Safa M. Rifka. J. Obstet. & Gynaecology. Vol. 55. No 2. Feb. 1980.

8. Fetal Movement: A brief review. Ilan E Timor-Tritsch et. al. Clinical Obst. and Gynec. Vol. 22, No. 3, Sept. 1979.

9. Ultrasound Monitoring of fetal movements, a method of assessing fetal developments. J. Higginbotton et. al. The Lancet, April 1976.

10. Wilds, P.L.: Observations of interauterine fetal breathing movements — A review, Am. J. Obstet. Gynecol. 131: 315, 1978.

11. Observation of intra uterine fetal breathing movements. P.L. Wilds. Am. J. Obslet. Gynecol. 1978, Vol. 131. No. 3. PP. 315 - 337.

12. Fetal Movement Patterns: A Possible Means of Defining Neurologic Developmental Milestones in Utero. Jason C. Birnholz. John C Stephens and Michael Faria. Am. J. Roentgenol March 1978 130: 537 - 540.

13. Fetal breathing: A review.
Peter Lewis, Peter Boylan.
Am. J. Obstet. Gynaec. July 1979. PP. 587 - 598.

14. Bernstine, R.L. Borkowski, W.J., and Price, A.H. (1955): Prenatal fetal electroencephalography.
Am. J. Obstet Gynecol, 70, 623 - 30.

15. Borkowski, W.J., and Bernstine, R.L. (1955): Electroencephalography of fetus. Neurology, 5, 362-5.

16. Prenanal Fetal electroencephalography.
Richard L., Bernstine, M.D., Winslow J.
Am. J. Obstet & Gynec. Sep. 1955, 623 - 630.

17. Physiologic variability and fetal electrocortical activity.
James F. Clapp., Hazel H. Szeto.
Am. J. Obst. Gynec. 1980. 1045 - 1050.

18. Robinson HP: Detection of fetal heart movement in first trimester of pregnancy using pulsed ultrasound.
Br Med 14: 466, 1972.

19. Grimwade J, Walker D, Wood C: Human fetal heart rate change and movement in response to sound and vibration.
Am. J Onstet Gynecol 109: 86, 1971.

20. Fischbach, G.D. and P.G. Nelsen.
Cell Culture in Neurobilogy, Hand book of Physiology The Nervous System.

21. Cellular Biology of Neurones. Vol. 1 Part 2. J.M. Brookhart et. al.
American Physiological Society.
Bethesda, Md. 1977. PP. 719 - 774.

متى بدأت حياة الإنسان

للدكتور أحمد شوقي ابراهيم

الإنسان حي منذ أول خلقه نطفة في رحم أمه . . والنطفة في غاية النشاط فتنقسم إلى خلايا عديدة وتنمو في نشاط كبير . . وبعد ذلك تتحول الخلايا إلى أعضاء ثم تنمو العظام واللحم . .

ويقول الله تعالى في سورة المؤمنون / ١١ ، ١٢ ، ١٣ ﴿ **ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة في قرار مكين ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم أنشأناه خلقا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين** ﴾ .

وجاء في الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال : « يجمع أحدكم في بطن أمه أربعين يوما نطفة ثم يكون علقه مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك ، ثم يرسل إليه الملك فينفخ فيه الروح ويؤمر بكتابة أربع رزقه ، وأجله ، وعمله ، وشقي أو سعيد) .

فالقرآن الكريم ذكر مراحل خلق الإنسان في رحم أمه من الناحية التشريحية وذكر الحديث النبوي مراحل خلق الإنسان في رحم أمه من الناحية الزمنية ، ويبن ما يحدث لهذه المراحل من بث الروح في الجنين وبداية الحياة البشرية فيه وما يكتب له الملك بإذن ربه من رزق وأجل وعمل وشقي أو سعيد .

فالإنسان حي في بطن أمه قبل نفخ الروح فيه . . وهي حياة حيوانية ولابد

للحياة من نفس . . والحياة الحيوانية تستلزم وجود نفس حيوانية ، وبعد تمام الأربعة الأشهر تنفخ في الجنين الروح ويبدأ بالحركة . .

إذن فبداية الحياة البشرية على وجه اليقين هو عند اكتمال الشهر الرابع من الحمل . ومعلوم أن الله عز وجل أرسل للرحم ملكا قبل ذلك ، عند تمام خلق النطفة واستقرارها في الرحم ، أي بعد ستة أسابيع من الحمل . . . ولكن ذلك الملك لم يكلف بنفخ الروح في النطفة . . ولكنه كلف بتسوية الجسم . . كما روي في صحيح مسلم عن أبي الطفيل عن حذيفة بن أسيد أن رسول الله ﷺ قال : « يدخل الملك على النطفة بعدما تستقر في الرحم بأربعين أو خمسة وأربعين ليلة فيقول أي رب أشقى أو سعيد فيكتبان فيقول أي رب أذكر أم أنثى فيكتبان ويكتب عمله وأثره وأجله ورزقه ثم تطوى الصحف فلا يزداد فيها ولا ينقص » .

وهذا الملك غير مكلف بنفخ الروح في النطفة وبذلك فهي نطفة فيها حياة حيوانية وليست بشرية . . ولكن ما هي الحكمة في إرسال الملك إلى النطفة بعدما تستقر في الرحم بأربعين أو خمسة وأربعين ليلة ؟

قد يكون ذلك لأن المخ يكون قد بدأ في النمو . . وبداية خلق المخ هو بداية خلق أهم روافد الإدراك والعقل في الإنسان . . وقد يكون لإرسال الملك إلى النطفة في ذلك الوقت بالذات علاقة بهذا الطور من الخلق . . وقد يكون لسبب آخر يعلمه الله ورسوله .

إذن فبداية الحياة البشرية من الأمور الغيبية . . وليس هناك من مصدر للعلم عن ذلك إلا الوحي الإلهي في القرآن والسنة .

ولقد كان الجنين حيا في بطن أمه قبل نفخ الروح فيه . . . كما أن الحياة تستمر في خلايا الجسم بعد موته كإنسان . . وبعد خروج النفس وقبض الروح .

ودليل ذلك نقل أعضاء الميت ، وهي أعضاء حية إلى إنسان آخر في عملية

نقل الأعضاء . . مثل نقل كلية أو قلب . . . فخلايا الجسم لا تموت بموت الإنسان وتظل حية بعض الوقت . . . كما أن خلايا الجسم فيها حياة قبل نفخ الروح فيها في رحم الأم . .

إذن فبداية الحياة البشرية ونهايتها ليست لها علاقة كاملة بوجود الحياة في خلايا الجسم وأعضائه ، فيما عدا موت خلايا المخ عند نهاية الحياة . .

أما نهاية الحياة البشرية فهي تبدأ عند موت خلاياالمخ ،ولو كان القلب ينبض ولو كان الصدر يتنفس ، ولو كانت خلايا الجسم الأخرى فيها حياة . . لأنها في هذه الحالة تكون في حياة حيوانية وليست حياة بشرية . .

لأن المخ هو الطريق إلى العقل والفؤاد والوعي والإدراك . . وكلها صفات للبشرية . . . فإذا انتهت بموت المخ ، انتهت الحياة البشرية . . . وتظل بالجسم الحياة الحيوانية وقتا قد يطول وقد يقصر . .

الحياة الانسانية داخل الرحم بدايتها ونهايتها

للدكتور عبدالله باسلامة
المملكة العربية السعودية

الحياة بدايتها داخل الرحم ؟

يجب أن نفرق ـ باديء ذي بدء ـ بين الحياة عموما ، والحياة الإنسانية خاصة ـ داخل الرحم . .

فالحياة الإنسانية داخل الرحم هي في الواقع استمرار لحياة خلوية أوحيوانية سابقة لها . . ! فالحيوان المنوي ـ قبل أن ينضم إلى البويضة . . كذلك البويضة التي تخرج من مبيض المرأة . . كلاهما جزءان حيويان ، وفي كلاهما حياة . . . والتقاؤهما ـ في معظم الأحيان ـ ينتج عن حياة إنسانية .

. . لكن في بعض الأحيان . . التقاؤهما (الحيوان المنوي) و (البويضة) قد لايكون الناتج عنه حياة إنسانية . . بل حمل عنقودي . والحمل العنقودي كتل من الخلايا (V.Mole) فيها حياة . . ولها قدرة على الانتشار داخل الرحم والبطن والجسم . . ولكنها حياة خطرة ، وقد تكون مدمرة لحياة الأم . . ويجب التخلص من هذا (الحمل) بأسرع ما يمكن ، حفاظا على صحة الأم .

والبويضة الملحقة داخل الرحم تمر باطوار . وقد اختلفت الآراء في أي من هذه الأطوار تبدأ الحياة الإنسانية . ولقد قال الله تعالى عن خلق الإنسان : ﴿ يخلقكم في بطون أمهاتكم خلقا بعد خلق في ظلمات ثلاث ﴾ : والاطوار الثلاث داخل الرحم هي : -

(١) الطور الأول وهو : العلقة والمضغة .

(٢) الطور الثاني : طور الإنسان السوي

(٣) الطور الثالث وهو : طور نفخ الروح فيه

وقبل تحديد الطور الذي يمكن أن يقال أنه بداية الحياة الإنسانية يجدر بنا أن توصف بايجاز تلك الأطوار الثلاثة :

الطور الأول :

أو المرحلة (الخلوية) وهي التي يكون الجنين خلالها عبارة عن كتلة من الخلايا والفجوات والنتوءات، لاتمثل الصورة الحقيقية للإنسان ، أوما سوف يكون عليه الإنسان ، بل هي صورة مماثلة لما يمكن أن يوجد داخل أرحام بعض الحيوانات .

الطور الثاني :

تستمر الكتلة الخلوية (العلقة والمضغة) في النمو والتشكل إلى أن تصل إلى المرحلة الثانية ، مرحلة النشأة الأخرى ، حيث يظهر على الجنين داخل الرحم علامات مميزة له ، . . بحيث الناظر إليه يمكن أن يصف ما يرى بأن بداية حياة إنسانية آدمية .

وأعتقد ـ والله أعلم ـ أن بداية هذه المرحلة هي التي يرى أن الله يرسل فيها

(ملكا للرحم) . . وذلك عند تمام خلق النطفة ، واستقرارها (بعد ستة اسابيع) من الحمل . . هذا الملك يكلف بتسوية الجسم ، وليس بنفخ الروح ، كما ورد في ـ صحيح مسلم ـ عن أبي الفضل ، عن حذيفة إبن أسيد . . أن رسول الله ـ ﷺ ـ قال : « يدخل الملك على النطفة بعدما تستقر في الرحم بأربعين أو خمسة وأربعين ليلة . . فيقول أي رب . . أشقى أم سعيد ؟ . . فيكتبان . . فيقول : أي رب . . أذكر أم أنثى . . فيكتبان . . ويكتب عمله ، وأثره ، وأجله ، ورزقه ، . . ثم تطوى الصحف ، فلا يزاد فيها ولا ينقص » . كما تحدث القرآن الكريم عن خلق الإنسان في الأطوار التي يمر بها داخل الرحم ، فقال تعالى : ﴿ ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة في قرار مكين، ثم خلقنا النطفة علقة، فخلقنا العلقة مضغة ، فخلقنا المضغة عظاما ، فكسونا العظام لحما . . ﴾ . . ﴿ ثم أنشأناه خلقا آخر ، فتبارك الله أحسن الخالقين ﴾ .

فمن هذا الطور ـ من أطوار الجنين داخل الرحم بداية مرحلة جديدة في حياة الإنسان داخل الرحم ، وزيارة الملك له هي مرحلة هامة فقد تحولت الكتلة الخلوية غير المنتظمة إلى ما يشبه الإنسان أو الآدمي .

الطور الثالث :

وهو الطور الذي تحل فيه الروح في تلك الكتلة الخلوية . . والروح ـ كما يقول بعض العلماء مكانها هو المخ . . فبعد أن يمر الجنين داخل الرحم بمراحل شتى من النمو ، وبعد أن يصبح جهازه العصبي بما في ذلك المخ مكتمل النمو ، (ويتم ذلك في الشهر الرابع من الحمل) . فتحل الروح في تلك المادة الخلوية ، فتحيله إلى إنسان سوى مسئولا مكلفا حاملا للأمانة ، . . مستحق مهمة خليفة الله في الأرض ، وسيد مخلوقات الله الأخرى على هذه البسيطة .

وصف هذه المرحلة رسول الله ـ ﷺ ـ حيث ورد في الصحيحين أن رسول

الله ﷺ ـ قال : « يجمع أحدكم في بطن أمه أربعين يوما نطفة ، ثم يكون علقة مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك ، ثم يرسل إليه ملك فينفخ فيه الروح ، ويؤمر بكتابة أربع : رزقه ، أجله ، عمله وشقي أم سعيد) .

بعد هذا الوصف الموجز للأطوار التي يمر بها الإنسان داخل الرحم ، يمكن أن نتساءل : هل بالإمكان تحديد الطور الذي تبدأ فيه الحياة الإنسانية داخل الرحم ؟ . . وهل بداية الحياة الإنسانية ـ أو تحديدها ـ يرتبط بحرمة الجنين داخل الرحم ؟

(الحرمة هنا ـ المقصود بها :ـ عدم جواز إسقاط الحمل ، أو حمايته من الإجهاض) . وإذا ما بدأنا بالإجابة على السؤال الثاني ـ أولا ـ نجد أن قد صدرت فتاوي كثيرة حول جواز الإجهاض ، وحرمة الأجنة ، يمكن إنجازها فيما يلي ـ بحسب المراحل التي سبق ذكرها سابقا :ـ

١ ــ المرحلة الأولى (الطور الأول) : يجوز الإجهاض فيها برضا الزوجين .
٢ ــ المرحلة الثانية الطور الثاني : يصبح للجنين فيها حرمة ، ولكن يجوز إهدار حياة الجنين ـ بشرط ـ (. . من ذلك إذا كان بقاء الحمل يضر بالأم . . ، أو إذا اثبت أن الجنين سيولد مصابا على نحو جسيم بتشوه بدني ، أو قصور عقلي لا يرجى البرء منه) .
٣ ــ المرحلة الثالثة ، . . مرحلة يحرم فيها الاعتداء على حياة الجنين ، ويحظر فيها الإجهاض .

(١) بدايتها : ـ

ونعود ـ الآن ـ إلى بداية الحياة الإنسانية داخل الرحم ، فالطب الحديث أو العرف الطبي السائد ـ الآن ـ يرى أن حياة الإنسان تنتهي بنهاية حياة المخ . . ومتى قصر المخ عن إرسال الإشارات الكهربائية ، ومواصلة تفاعلاته الكيمائية

ونشاطه ، أصبح الإنسان جسدا خلويا حيوانيا خاليا من الحياة .

فإذا أردنا أن نقيس على ذلك بداية الحياة ، ولنسمها بداية الحياة البشرية أو الروحية . . داخل الرحم ، لنفرق بذلك بينها وبين الحياة السابقة لها (والموجودة في الخليـة الأولى ـ الحيوان المنوي والبويضة) والموجودة وكذلك المضغة والعلقة . . ثم الجنين الذي على شكل إنسان أو آدمي ، والتي سماها البعض بحياة خلوية أو حيوانية) . . لوجدنا أن الطور الأخير من أطوار نمو الجنين هو بداية الحياة الانسانية داخل الرحم حيث في هذا الطور نفخت الروح في الكتلة البشرية ، وهي المرحلة التي (حلت) فيها (الأمانة) أو التكليف في الجسم البشري . . . ومكانها ـ كما ذكر سابقا ـ وأتفق عليه العلماء هو (المخ) . .

إذا فالأقرب إلى الصواب أن الحياة الإنسانية تبدأ مع بداية نفخ الروح في الجسد ، وذلك بعد (١٢٠ يوما) من الحمل ، . . ولكي تبدأ الحياة الإنسـانية فلابد من وجود (مخ) نـام سليم ، . . مكتمل ، لكي يستقبـل تلك الحياة أو (النفخة) . .

فوجود (المخ) السليم المكتمل النمو شرط ضروري لوصف الجنين . . . بالحياة الإنسانية . .

(٢) نهايتها :

فإذا كانت حياة المخ . . هي الحياة . . وموت المخ أو خلايا المخ هي نهاية الحياة البشرية . . فيجب أن نحدد موقف الشريعة من المسائل التالية :

أ ـ هل يسرى على الحياة الانسـانية داخـل الرحم . . مـا يسرى عـلى الحياة الإنسانية خـارج الحم من معايـير . . وتعبير أن (المـخ) مصدر الحياة أو مكانها ؟ . وبالتالي متى تأكد لنا وجود جنين داخل الرحم مخه ناقص النمو أو

غير سليم النمو . . فنعتبره في (حدود) المتوفى ، حتى وإن كانت سائر علامات أعضائه الأخرى مثل القلب والرئتين والكلى . . إلخ تنبض وتتحرك بها علامات الحياة الخلوية . . ؟؟

ب ـ هل يجوز القضاء على جنين تدل الإختبارات الطبية والفحوص على ضمور أو نقص أو تلف في نمو رأسه و (المخ)؟ . وخاصة إذا ما اكتشف هذا الخلل بعد الشهر الرابع ، أي بعد مرور ١٢٠ يوما على الحمل ؟؟ أم تصير حياة أمثال هؤلاء الأجنة حياة إنسانية لايجوز أن (توقف) عنها وسائل استمرار الحياة داخل الرحم بـ (الاجهاض) ؟

جـ ـ هل يورث الجنين الناقص النمو في المخ ، إذا ما ولد به إمارات الحياة ، حيث أنه قد يبقى حيا لعدة ساعات (حياة خلوية) ؟؟

د ـ أصبح بالإمكان الآن تشخيص الأمراض الخلقية للقلب ، وبعض التشوهات الأخرى ، والجنين لايزال داخل الرحم . فهل إذا تأكدنا من وجود مرض خلقي كبير بالقلب . . ودلت العلامات الأخرى على أن هذا الجنين سليم المخ . . فهل يجوز اسقاط أو اجهاض مثل هذا الحمل ، على اعتبار أن الأمراض القلبية الخلقية المتقدمة سوف تودي عاجلا أم آجلا بحياة هذا الجنين بعد الولادة ؟؟

الخلاصة . .

حاولت ـ في الصفحات السابقة ـ أن أحدد بدء الحياة الإنسانية داخل الرحم . . واستخلص من ذلك : أن الأقرب للصواب هو أن الحياة الانسانية تبدأ مع نفخة الروح في الجنين . وذلك لايتم إلا إذا كان مكان (الروح) مكتمل النمو وسليم ، ومكانها هو المخ . . ، قياسا على أن نهاية الحياة الإنسانية هي نهاية حياة

المخ . . ، ولكن ـ على الرغم من ذلك ـ فإن هذه افتراضات لاتصل بنا إلى مرحلة اليقين . .

ـ بالتالي فإني أرى أن الحياة الإنسانية في أطـوارها داخـل الرحم يجب أن تصان . . وإن كان في صيانتها وإستمرار الحمل عناء للأم ـ أثناء الحمل ـ وإرهاق نفسي وعصبي ، ومعاناة بعد ذلك . .

. . إلا أني أجد أن احتساب كل ذلك عند الله له خير وأبقى ، فالله هو الذي جعل لكل شيء قدرا . . وجعل مقادير كل شيء بيده . وما أوتينا من العلم الا قليلا .

بداية الحياة الإنسانية في ضوء النصوص الشرعية واجتهادات العلماء المسلمين

للدكتور محمد نعيم ياسين
كلية الشريعة والدراسات الاسلامية
جامعة الكويت

تحديد موضوع البحث :

مما لا جدال فيه أن بدء الحياة الإنسانية في ابن آدم ليس فيها نصّ شرعي قطعي ، ولا بحث فقهي متكامل ؛ مما يقطع بأنها مسألة قابلة للاجتهاد والاستنباط من أهل العلم والاختصاص .

ومنطلقات الاجتهاد في هذه القضية نوعان ، إذا أمكن التوفيق بينهما، وأخْذُهما معا بعين الاعتبار ، كانت النتيجة أسلم وأقرب إلى الحق والصواب . وهذان النوعان هما : ــ

الأول ــ بعض النصوص الشرعيّة من كتاب الله عز وجل ، وسنة رسوله صلوات الله وسلامه عليه ، واجتهادات بعض علماء المسلمين في هذا الموضوع .

الثاني ــ بعض المعطيات في مجال الطب .

ولا شك في أنّ سلامة البحث ودقته تقتضيان تحديد المطلوب بما يميزه عن غيره ، مما قد يلتبس به ويُشرك معه :

وهذا يقتضي أن نذكّر بأن المبتغى في هذه الندوة هو تحديد النقطة التي تبدأ منها حياة ابن آدم، فيحوز بعدها على وصف الإنسانية. وفي اعتقادي أن هذا لا يدخل فيه أنواع الحياة التي تسبق نشوء الحياة الإنسانية، والتي تقع في موقع المقدمات لها. وإلا فإنه يمكن الادعاء بأنّ حياة كل إنسان وجد بعد آدم عليه السلام أو سيوجد، قد بدأت بخلق الله عز وجل لآدم، وما أودع فيه من الحيوانات المنويّة، التي اختار الله بعضها لإنشاء نسله المباشر؛ إذ يصدق بهذا المعنى وبدون مبالغة، أن كلّ إنسان بعد آدم له نصيب من تلك الحيوانات الآدميّة، وإن تضاءل هذا النصيب ببعد الأجيال عن بداية خلق آدم؛ إذ من المسلمات العلميّة أن جزء الجزء يعتبر جزءاً من الكل الذي انبثق منه الجزء الأول، وهكذا فإن كلّ إنسانٍ هو في حقيقته جزء من جزء من جزء . . . . . من الحيوان المنوي الأول، وهو الذي أودعه الرب في أبي البشر عليه السلام.

وبهذا المعنى ـ الذي لا نعتقد أنه مبتغى الندوة ـ يمكن القول: إن الحياة التي تعدّ مقدمةً لحياة الانسان تبدأ قبل وجود البيضة الملقحة التي تكوّن منها هذا الإنسان؛ فإنّ أحداً لا يستطيع أن ينفيَ وصف الحياة المطلقة عن الحيوان المنوي الذي تلقحت به تلك البويضة. ولكن المطلوب تحديده هو بداية نوع أخص، وهو الحياة الموصوفة بالإنسانية: متى تبدأ؟

ليس لهذا السؤال جواب قاطع، لا في الطب ولا في الشرع، ولكن في الشرع بعض النصوص المتضمنة لإشارات غير قاطعة، وفي الطب رأيان، أرجحهما ـ والله أعلم ـ ذلك القول الذي يقترب من تلك الإشارات الشرعيّة، ولا يبتعد عنها.

التصّور المستفاد من النصوص الشرعيّة عن بدء الحياة الإنسانية:

والذي تدل عليه تلك الإشارات الشرعيّة، والاجتهادات التي تكوّنت

حولها ، أنّ حياة الإنسان إنما تبدأ بعد انقضاء أربعة أشهر كاملة من لحظة تكوّن الجنين في بطن أمّه . وأن ما يسبقها من الحياة لا يوصف بوصف الإنسانية، وإن كان فيه بعض خصائص الحياة المطلقة ، من نمو وتشكل وحركة غير إرادية وغير ذلك من العمليات الحيويّة التي اكتشفها الطب الحديث بوسائله العصريّة المتقدمة .

هذا وسوف أنطلق في بناء هذا التصوّر من الحديث الصحيح الذي رواه ابن مسعود رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ ؛ ليكون بمثابة أساس البناء لذلك التصوّر ، ثم أتبعه بقرائن ، كل واحدة منها تشكل لبنة قويّة في ذلك البناء . ونختم المبحث بمحاولة الإجابة عن طائفةٍ من التساؤلات التي يمكن أن تثور حول ذلك التصوّر لبداية الحياة الإنسانية .

حديث ابن مسعود :

روى الشيخان عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : حدثنا رسول الله وهو الصادق المصدوق قال :

(إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمّه أربعين يوماً ، ثم يكون علقة مثل ذلك ، ثم يكون مضغة مثل ذلك ، ثمّ يبعث الله ملكاً ، فيؤمر بأربع كلمات ويقال له : اكتب عمله ورزقه وأجله ، وشقيّ أو سعيد ، ثم ينفخ فيه الروح . . . . . إلى آخر الحديث) [١]

فهذا الحديث الشريف فيه تحديد لمراحل خلق الانسان ، وإن لم يُشر إلى خصائص كل مرحلة . ومما يفيدنا ــ ونحن نبحث عن بدء الحياة الانسانية ــ التوقيت الوارد في الحديث لأمرين : ـ

الأول ــ كتابة القدر المتعلق بالإنسان المراد خلقه ، من حيث رزقه وأجله وعمله وشقاؤه أو سعادته .

الثاني ــ نفخ الروح فيه .

ويدل الحديث على أن كلّاً من هذين الأمرين يكون بعد انقضاء أول مائة وعشرين يوماً من حياة الجنين . وهذا التوقيت يدلّ على أنّ وصف الانسانية لا يمنحه الرب جل وعلا للمخلوق الذي يودعه سبحانه في أحشاء الأم قبل مرور تلك الفترة . كما يدل على أن المقصود بنفخ الروح خَلْق الله تعالى للسبب الذي ينقل ذلك المخلوق من مرحلة الحياة المطلقة إلى مرحلة الحياة المقيدة بوصف الانسانية .

القرائن الدالة على صحة ذلك التصور المأخوذ من ظاهر الحديث :

ويؤيد هذا الاتجاه في تفسير حديث ابن مسعود ، عدد من الأدلة والقرائن أهمها ما يلي : ـ

١ ــ أن قدر الله عز وجل هو علمه بما تكون عليه المخلوقات في المستقبل ، وهو النظام المحكم الذي وضعه الله لهذا الوجود ، والقوانين العامّة التي ربط بها الأسباب بمسبباتها (٢) ، كما قال تعالى ﴿ إنا كلّ شيء خلقناه بقدر ﴾ (٣) . والقضاء هو إيجاد الله تعالى الأشياء حسب علمه وإرادته .

وقدر الله ــ كما هو ظاهر ــ سابق لما يتعلق به من المخلوقات ، وهو مكتوب في اللوح المحفوظ . وقبل وقوع القدر ، وقبل إيجاد متعلّقاته في الواقع لا يعلمه إلا الله عز وجل (٤) .

والملائكة جند الرحمن الذين ينفذون قدره المكتوب . وهم لا يعلمون من القدر إلا ما يعلمهم ربهم ، وفي الوقت الذي يعلمهم فيه . وعندما يريد الله عز وجل إيجاد مخلوق يطلع جنده الملائكة على قدره في هذا المخلوق ، ويأمرهم بتنفيذ هذا القدر في هذا الكائن ، فيبدأون معه في ذلك من أول لحظة لوجوده تحددها لهم إرادة الرب عزّ شأنه . وفي هذه المرحلة يكون الملك على اطلاع ــ بإطلاع الله له ــ

على قدر المخلوق قبل وقوعه . فإذا نفذه ، عُلم هذا القدر ، وخرج من وصف الغيبيّة . وهذا جار بالنسبة لكل مخلوق بما فيه الإنسان ، فكلّ إنسان قَدرُه مكتوب في اللوح قبل وجوده بالفعل ، وقبل إخبار الملائكة به . وكلّ إنسان وكّل به الرحمن ملائكة تدبّر أمر وجوده في كل مرحلة من مراحل خلقه ، وهي تنفذ فيه قدر الله المكتوب في اللوح المحفوظ. ويقتضي هذا أن الخالق يزودها بالبرنامج القدري المتعلق بكل إنسان قبل لحظة وجوده ؛ ليكون عملها وفق ذلك البرنامج الرباني .

وحسب هذه الحقائق الشرعيّة لا يمكن أن يوجد الإنسان قبل تزويد الملائكة الموكلة به بالقدر المتعلق به من حيث أجله ورزقه وعمله وشقاوته وسعادته وغير ذلك .

والحديث الذي نحن بصدد إمعان النظر في معناه ــ وهو حديث صحيح لا جدال في ثبوته ــ يصرح بأن الباري يرسل الملك الموكل بتنفيذ قدره في الإنسان بعد مرور أربعة أشهر على تكوّن الجنين في بطن أمه ، ويزوده بتفصيلات القدر المتعلقة بهذا الأنسان [٥] ؛ ليلتزم بها في رعايته من اللحظة الأولى ، التي يترقى فيها من مطلق الحياة إلى الحياة المقيدة بوصف الإنسانية، فيجُري عليه من الرزق ما كتب ولو كان قطرة غذاء يمتصّها من جسد أمه ، ويمهله إلى أجله المكتوب، ولو كان سويعات يعيشها في بطن أمه بعد تلك اللحظة ، ويلهمه عمله المقدر ، ولو كان حركة بسيطة يتحركها في أحشاء أمه .

إن هذا النظر يلزمنا بالقول بأن الحياة الإنسانية إنما تبدأ مع نفخ الروح الذي ورد ذكره في الحديث الشريف تاليا حصول الملك الموكل بها على كتاب التكليف الرباني ، المفصل فيه قدرها ، والذي يكون بعد أربعة أشهر من بدء تكوّن الجنين . ولعل هذا النفخ يكون في الأيام العشرة التي تأتي عقب تلك الأشهر الأربعة ، كما ورد عن ابن عباس رضي الله عنهما [٦] .

ولو كانت حياة الإنسان بالمعنى الدقيق تبدأ قبل ذلك ، أومن وقت تلقيح

البويضة مثلا ، لما تأخر إرسال الرب للملك ، ولما تأخر الملك في السؤال عن مهامّ وظيفته .

ولا يمنع هذا الاستنتاج أن يكون للبويضة الملقحة ، والحيوان المنوي قبلها ، والعلقة والمضغة بعدها ، قدر نفّذ على هذه المراحل بأمر الله عز وجل وتنفيذ الملك الموكل بذلك، ولكنه غير قدر الإنسان الذي خلق منها بعد مرور الأربعة الأشهر، وإنما هو قدر مخلوق جعله الله مقدمة لخلق الإنسان . وإذا كان مكتوباً عليه أن ينتهي أجله قبل نفخ الروح لم يكن إنساناً ، ولم تشمله الأقدار الإنسانية . ولو كان إنساناً منذ تلقيح البويضة لما تأخر الملك عن السؤال عن قدره الإنساني ليبدأ بتنفيذه عليه منذ تلك اللحظة .

٢ ـ ويؤيد هذا الاتجاه في تفسير حديث ابن مسعود ، ما ورد في حديث صحيح آخر عند الشيخين أيضا ، وهو حديث أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : (إن الله عز وجل قد وكل بالرحم ملكاً فيقول : أي ربّ نطفة ! أي رب علقة ! أي ربّ مضغة ! فإذا أراد الله أن يقضي خلقاً قال : قال الملك : أي ربّ ذكر أو أنثى ؟ شقي أو سعيد ؟ فما الرزق ؟ فما الأجل ؟ فيكتب كذلك في بطن أمه) (٧) .

فإن الملك الموكل بالرحم ـ كما هو واضح ـ لا يسأل ربّه عن قدر الإنسان إلا بعد انقضاء المراحل الثلاث : النطفة والعلقة والمضغة . وظرفها الزمني الذي تتكون فيه أربعة أشهر ، كما فسره الحديث الأول ، وبعد إدراكه بأن الله عز وجل يريد صنع إنسان من تلك المراحل له قدر إنساني متعلق بأجله وصفاته ورزقه ونوعه وغير ذلك . وهذا هو ما تعنيه عبارة « يقضي خلقه » ؛ فإن من معاني القضاء في كتب اللغة : الصنع والتقدير ، يقال « قضاه » إذا صنعه وقدره ، ومنه قول الله تعالى ﴿ فقضاهن سبع سموات في يومين ﴾ (٨) ، ومنه القضاء والقدر. (٩)

٣ ـ ويقوي هذا الاتجاه في فهم حديث ابن مسعود سياقُ كثير من الآيات التي تحدثت عن أطوار خلق الإنسان في بطن أمه ، ولنأخذ مثالاً عليها الآية الخامسة من سورة الحج ، التي يقول فيها ربنا تبارك وتعالى﴿ يا أيها الناس إن كنتم في ريب من البعث فإنا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلّقة لنبين لكم ونقر في الأرحام ما نشاء إلى أجل مسمى ثم نخرجكم طفلا ثم لتبلغوا أشدكم ومنكم من يتوفى ومنكم من يردّ إلى أرذل العمر ﴾ .

فقد جاء هذا البيان الرباني حجة دامغة على منكري البعث الذي هو في حقيقته إخراج الحي من الميت ؛ وفيه أن الذي خلق آدم ، عنوان الحياة الإنسانية ، من التراب « المادة الميتة » ، وأن الذي خلق نسله البشر من النطفة والعلقة والمضغة ، أي خلق الحياة الإنسانية من هذه الأطوار التي ليس فيها خصائص الحياة الإنسانية ، وإن كانت أجساماً فيها مطلق حياة ، إن الذي قدر على هذا لقادر على البعث ، في حكم المنطق والعقل .

ولو كانت تلك المراحل هي الإنسان نفسه لما استقام المعنى ؛ لا من جهة اللغة ؛ إذ سيؤول المعنى إلى أن الله خلق الإنسان من الإنسان. ولا من جهة الاستدلال ؛ إذ أن قوته تكمن في إبراز قدرة الله عز وجل على خلق الحياة الإنسانية، إما من مادة جامدة كالتراب ، وإما من حياة أخرى أقل من الحياة الإنسانية في خصائص جوهرية .

وأما خلق الإنسان الكامل من الإنسان الناقص ـ إذا صح هذا التعبير ـ فإنه مع دلالته على القدرة الربانية ؛ إلا أنه لا يكون في مستوى دعوى ذلك الملحد ، التي تقوم على أساس عدم إمكان بعث الحياة من الموت ؛ فتبين أن ذلك الاتجاه في فهم الحديث أكثر تناسباً مع سياق هذا النص الكريم .

٤ ـ معظم العلماء الذين تعرضوا لشرح حديث ابن مسعود رضي الله عنه ،

فسروا كلمة نفخ الروح الواردة فيه بأنه السبب الذي اختاره الباري عز وجل لابتداء الحياة الإنسانية في الجنين ، وإن لم يصرح كثير منهم بنفي الحياة المطلقة عنه قبل وقوع هذا السبب : ـ

فهذا القرطبي في تفسيره يرى أن معنى قول الرسول ﷺ « ينفخ فيه الروح » أن النفخ سبب خلق الحياة الإنسانية في الجنين وأن هذا يحدث بإحداث الله تعالى (١٠) .

وهذا ابن حجر في فتح الباري يفسر نفخ الروح بقوله (النفخ في الأصل إخراج ريح من جوف النافخ ليدخل في المنفوخ فيه ، ولكن المراد بإسناده إلى الله تعالى أن يقول له كن فيكون) (١١) ، أي كن إنساناً ، فيكون كما أمر سبحانه وتعالى .

وهذا ابن قيم الجوزيّة يرى أن للجنين حياتين : ـ **الأولى** كحياة النبات ويخلقها الله في الجنين قبل نفخ الروح ، ومن آثارها حركة النمو والاغتذاء غير الأرادية . **والثانية** ـ حياة إنسانية ، وتحدث في الجنين بنفخ الروح فيه ، ومن آثارها الحس والحركة الإرادية(١٢) .

٥ ـ ومما يشهد لما ذهب إليه هؤلاء العلماء من أن نفخ الروح هو سبب الحياة الإنسانية، أن هذا هو شأن أول روح نفخت في أول إنسان أسكنه الله عز وجل في أرضه ، وهو أبو البشر عليه السلام ؛ فإن مما تضافرت عليه الأخبار أن الله عز وجل عندما أراد أن يخلق آدم عليه السلام أرسل جبريل ، فقبض قبضة من الأرض ثم جعلها طينا ثم صوره ثم نفخ فيه الروح ، فلما دخلت الروح فيه صار لحماً ودماً حيا ناطقا،(١٣) وهو ما أشير إليه بقول ربنا سبحانه ﴿ **إني خالق بشراً من طين فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين** ﴾ (١٤)

٦ ـ ومما يشهد لهم أيضاً ما اتُّفِقَ عليه من أن مفارقة الروح للبدن هي السبب الحقيقي لانتهاء حياة الإنسان في هذه الدنيا ، وإن لم يرد ما يحدد اللحظة التي تقع فيها هذه المفارقة .

وهذه الحقيقة تشع ساطعة في ثنايا كثير من النصوص القرآنية والنبوية ، من ذلك :

قول الله تعالى : ﴿ الله يتوفى الأنفس حين موتها ﴾ (١٥) ، أي يقبض الأرواح عند حضور آجالها ؛ فإن المقصود بالنفس في هذه الآية الروح (١٦) .

وقوله تعالى : ﴿ ولو ترى إذ الظالمون في غمرات الموت والملائكة باسطو أيديهم أخرجوا أنفسكم اليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تقولون على الله غير الحق . . ﴾ (١٧) ؛ ففيه إشارة واضحة إلى أن النفس وهي الروح كما قال المفسرون ، إنما يقترن خروجها بالموت وأن الملائكة يبسطون أيديهم لتناولها عندما يحين أجل الإنسان ؛ فالحياة تنتهي في اللحظة التي تخرج فيها الأرواح (١٨) .

وأما الأحاديث التي تتضمن هذا المعنى فهي كثيرة جداً ، وفيها أن الروح تفارق البدن الإنساني عند لحظة الموت ، وأن البصر يتبعها ويراها عند ذلك ، وأن وظيفة ملك الموت قبْضُها عند انتهاء الأجل .

أما وقد ثبت أن مفارقة الروح هي السبب الذي قدره الباري لانتهاء حياة الإنسان ، فإنه مما لاشك فيه أن وجودها هو سبب اكتساب هذه الحياة . وما دام الرسول ﷺ قد أخبرنا بالزمن الذي تنفخ فيه الروح بالبدن ، فليس لنا بد من تحديد بدء الحياة الإنسانية وفق ما أخبرنا الصادق المصدوق .

تعقيب :

هذا وبناء على الفهم السابق لحديث ابن مسعود ، فإننا ندرك فيه نوعاً من

الإعجاز العلمي الذي أيد به الله نبيه محمدا ﷺ ؛ حيث تضمّن هـذا الحديث إشارة واضحة إلى نوعين من الحياة يتعلقان بالجسد في هذه الدنيا ، يفترقـان في بعض عمره ويلتقيان في معظمه ، وهما : ـ

النوع الأول ـ حياة مطلقة من وصف الإنسانية شبهها بعض علماء الإسلام بالحياة النباتية ، وسماها بعض علماء الطب بالحياة الخلوية ، ومن خصائصها الأغتذاء والنمو والحركة غير الإراديّة .

النوع الثاني ـ حياة إنسانية ، من خصائصها الإرادة والإدراك.

وهذا التقسيم واضح في الحديث ، حيث جاء يبين أن الجنين قبل نفخ الروح يكون في حالة تطور وزيادة وتشكل من نطفة إلى علقة إلى مضغة . وهذه علامات الحياة من النوع الأول . وبعد نفخ الروح يصبح إنساناً له خصائص الإنسان.

وجاء العلم في عصرنا يؤيد هذا التقسيم ، ويؤكد أن جسد الإنسان مسكن لنوعين من الحياة في هذه الدنيا ؛ وأبلغ دليل قدمه على ذلك هو ما توصـل إليه الأطباء من إمكان فصل كثير من أعضاء الجسد الإنساني، مع المحافظة على الحياة فيها خارج ذلك الجسد وفي معزل عن تحكم الدماغ الإنساني، وعن سيطرة الروح الإنسانية.

ولو أن الحياة التي أسكنها الله في الجسد الإنساني واحدة ، تبدأ مع تكون أول خليّة من خلاياه ، وتنتهي بموت صاحبه ، لما استطاع أحد أن يبعث أي نوع من الحركة أو النشاط في قلب أو كِلْية فُصلا عن الجسد الإنساني سواء في مرحلة الحياة أو بعدها .

تساؤلات وأجوبة :

قد يرد على ما تقدم فهمه من حديث الرسول صلى الله عليه وسلم الذي

رواه عبد الله بن مسعود ، وأن الحياة الإنسانية تبدأ بنفخ الروح في الجنين عدة تساؤلات نوردها فيما يلي ، ونحاول الإجابة عنها بقدر ما ييسّر الله عز وجل :ـ

التساؤل الأول :ـ

قد يقال ، إن الحديث الذي اعتمدت عليه في ذلك التصور حول بدء الحياة الإنسانية ليس وحيداً في بابه ، وإنما وردت فيه روايات أخرى عن مجموعة من الصحابة رضوان الله عليهم ، وهي مختلفة في بعض ما أخبرت عنه من أحوال الجنين ، من حيث الوقت الذي يُسجّل فيه قدره ، وبعض الأمور الأخرى ؛ حيث جاء في بعضها أن الملك يفعل ذلك بعد استقرار الحمل في الرحم بأربعين يوما ، وفي بعضها بعد ستة أسابيع ، وفي بعضها بعد خمسة وأربعين يوماً ، بالإضافة إلى ما ورد في حديث ابن مسعود . وكذلك اختلفت فيما يتعلق بتصوير الجنين وخلق أعضائه .[19]

ومع أنني لا أريد أن أنطلق في الإجابة عن هذا التساؤل من التشكيك في دقة نقل رواة هذه الأخبار المغايرة لحديث ابن مسعود ؛ حيث ورد بعضها في صحيح مسلم ، إلا أنه لا بد من التنويه بأن بعض علماء الحديث كابن الصلاح أكدوا بأن إعراض البخاري عن إثبات أي خبر في هذا الموضوع يختلف عما رواه ابن مسعود لابدّ أن يكون له معنى ، وأن هذا المعنى لا يقل عن الشهادة لحديث ابن مسعود بأنه يقع في مقدمة الأحاديث التي تعرضت لمراحل خلق الإنسان ، من حيث الصحة سندا ومتنا وأنه ينبغي تأويل كل حديث يخالفه ، بما يحفظ حقائقه المذكورة فيه[20] .

وعلى أية حال فإن معتمدنا في الجواب عن ذلك التساؤل ليس على هذا ، وإنما على القدر المتفق عليه بين جميع الأخبار الصحيحة الواردة في هذا الموضوع ، وهو يتمثل في أمرين اثنين هما :ـ

الأول ـ تتفق جميع الأخبار والروايات الصحيحة الواردة في تحديد الوقت الذي يكتب فيه ملك الرحم قدر الإنسان على حدّ أدنى يمر على الجنين بعد تلقيح البويضة ، وهو أربعون يوما ؛ فليس هنالك أي خبر مما روي في هذا الموضوع يشير بأي أسلوب إلى أن الملك يكتب قدر الإنسان من أجَل ورزق وجنس وشقاوة أو سعادة ، أو يسأل عنه ، قبل مرور الأربعين يوماً الأولى على العلوق ، والخلاف بين الروايات بعد الأربعين وليس قبلها .

ومفهوم هذه الأحاديث كلها أن الملك لا يكون عنده أي علم بقدر الإنسان الذي سيخلق فيما بعد .

وبناء على هذا الحد الأدنى المتفق عليه يمكننا الجزم بأن الحياة (المقيدة بوصف الإنسانية) لا تبدأ قبل مرور أربعين يوماً على تكون الجنين في رحم أمه .

وإلا فسوف يضطرنا القول بخلاف ذلك إلى الادعاء بأن الحياة الإنسانية تبدأ قبل أن يزوَّد الملك الموكل بها بالمعلومات القدرية المتعلقة بها ، والتي لا يسعه أن يتصرف بدونها . وهذا لا يجوز أبدا ؛ لأن الإنسان له قضاء مكتوب ، والملائكة هي التي تنقل هذا القضاء إلى حيّز الواقع في صورة القدر ؛ ولا يمكن ذلك إلا بعد حصولها على ذلك القضاء المكتوب المتعلق بالمخلوق موضع التنفيذ .

وبعد التسليم بذلك يبقى أن الحياة الإنسانيّة تبدأ بعد مرور الأربعين قطعاً ، فإذا اقتصرنا على ذلك ، فإننا سنكون أمام احتمالين : ـ الأول : ـ بدء الحياة الإنسانيّة بعد الأربعين مباشرة ، والثاني : ـ بدؤها في وقت لاحق آخر . والأمر الثاني الذي اتفقت عليه الأخبار الصحيحة هو الذي سيستبعد الاحتمال الأول بيقين ، فما هو ؟

الأمر الثاني ـ أن نفخ الروح في الجنين لا يكون إلا عند مضي أربعة أشهر على تكونه ، كما ورد في حديث ابن مسعود ؛ فهذه الحقيقة لم تختلف فيها النصوص

الواردة ، ولا خالف فيها أحد من علماء الإسلام ، وإن اختلفت أقوالهم في الأمر الأول (تسجيل القدر الإنساني) .

فإذا أخذنا بعين الاعتبار التفسير السابق الذي نقلناه عن العلماء في معنى نفخ الروح ، وأنه هو السبب الذي جعلته الإرادة الإلهيّة لنشوء الحياة الموصوفة بالإنسانّية، إذا اعتبرنا هذا سلم لنا الفهم الذي فهمناه لحديث ابن مسعود رضي الله عنه .

ولكن قد يجادل البعض في معنى نفخ الروح ، وهذا هو موضوع التساؤل الثاني .

التساؤل الثاني :-

وهو أن هذا التفسير لنفخ الروح الوارد في الحديث الشريف يتعارض مع ما أفاده قول الله تعالى ﴿ ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم إلا قليلا ﴾[٢١] ؛ وهو أن الروح من أمر الغيب الذي لا يجوز أن نخوض فيه ، ونبني عليه الأحكام ، ولا أن نعلل به بدء الحياة الإنسانّية .

والجواب على هذا التساؤل من جهتين :-

الجهة الأولى -

أن مبنى هذا الاعتراض على أن المقصود بالروح الواردة في آية سورة الإسراء روح الإنسان . وهذا التأويل للآية الكريمة ليس هو الوحيد عند العلماء الذين تعرضوا لتفسيرها ، بل ليس هو الأرجح ولا الراجح ، وإنما هو قول من أقوال كثيرة :-

الأول - أن المقصود بالروح في الآية جبريل عليه السلام ، كما قال ابن عباس

رضي الله عنها ، وأنه عين المقصود في قول الله تعالى ﴿ **نزل به الروح الأمين على قلبك** ﴾[٢٢] .

الثاني ـ أنه ملك عظيم من الملائكة غير جبريل ، وهو مروي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، وأنه عين المقصود في قول الله تعالى ﴿ **يوم يقوم الروح والملائكة صفا لا يتكلمون إلا من أذن له الرحمن وقال صوابا** ﴾[٢٣] .

الثالث ـ أنه عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام .

ومعنى الآية على هذه التأويلات الثلاثة للروح أنها مخلوق من مخلوقات الله عز وجل ، ولا تنتسب إليه سبحانه بأكثر من ذلك ؛ فليست إلهاً، ولا من أبناء الله تعالى .

الرابع ـ أن المقصود بالروح القرآن الكريم ، وهذا مروي عن الحسن البصري ، ويكون المقصود بالآية عندئذ ، أن القرآن من أمر الله تعالى ووحيه الذي أنزل على محمد ﷺ ، وليس هو من عنده[٢٤] .

فالروح حسب هذه التأويلات ليست هي التي تكون بها حياة الجسد ؛ وقد رجح ذلك ابن قيم الجوزيّة ؛ فقال :

(أكثر السلف بل كلهم ، على أن الروح المسؤول عنها في الآية ليست أرواح بني آدم ، بل هو الروح الذي أخبر الله عنه في كتابه أنه يقوم يوم القيامة مع الملائكة[٢٥] . وهو ملك عظيم . . .) إلى أن يقول (وأما أرواح بني آدم فليست من الغيب ، وقد تكلم فيها طوائف من الناس من أهل الملل)[٢٦] .

وبناء على هذه التأويلات للروح المذكور في قول الله تعالى ﴿ **ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي** ﴾ ، لا يكون في اتجاهنا السابق في فهم حديث ابن مسعود أي تعارض مع النصّ القرآني الكريم .

الجهة الثانية

أنه على فرض أن المراد بالروح في الآية الكريمة روح الإنسان فإنها لا تدل على أنه لا يجوز البحث فيها من كل وجه ؛ فعلى هذا الفرض فسرت الآية على أكثر من وجه أيضا ، منها : أنها نزلت للردّ على اليهود ، وأن الله لم يأذن لنبيّه ﷺ بإجابتهم لتعنتهم . وقيل : بل أجابهم حيث أخبرهم أن الروح محدَث ؛ لأنه قال « من أمر ربي » ، أي من فعله وخلقه . وقيل غير ذلك[٢٧] .

ولما تقدّم لم يحجم كثير من العلماء عن الكلام في الروح وتعريفها ، وبيان آثارها وأنواع نشاطها وحركتها ؛ معتمدين في ذلك على كثير من النصوص القرآنية والنبويّة ، ولم يمنعهم من ذلك الخوف من معارضة الآية السابقة[٢٨] .

ولبعض العلماء رأي وجيه في ذلك ، وهو أن المغيب عنا من أمر الروح هو كنه حقيقتها وكيفيّة امتزاجها بالجسد ، وأن هذا مما اختص الله بعلمه[٢٩] . وهذا لا يعني أبدا ، الحجر على العقل من التفكّر فيها من جهات أخرى لا تتعلق بكنهها ، كزمن تعلقها بالبدن ومفارقتها له ، ومظاهر تأثيرها عليه ، ومظاهر تأثرها به وغير ذلك .

وبهذا يتبين أن فهم نصّ حديث رسول الله ﷺ ، الذي رواه ابن مسعود ، على الكيفيّة التي قدمناها ليس فيه أي تعارض مع النص القرآني ، وأنه لا يجوز إهمال ما ورد فيه من الإشارة إلى مبدأ الحياة الإنسانية بنفخ الروح تحت ستار احترام الأمور الغيبيّة ، وعدم الخوض فيها .

والحق أنه ليس من مصلحة الدين حشر أمور في قائمة الغيبيات إن لم يقم الدليل القطعي على ذلك ؛ إذ قد يورث هذا بعض الآثار السلبية عندما يتوصل العلم إلى كشف النقاب عن هذه الأمور ، ويكون مردود ذلك سيئاً على بعض الناشئة المسلمة الذين غرست في قلوبهم قدسيّة الغيب حول تلك الأمور، فإذا بهم

يفاجأون بالعلم يغزوها ويكشف أسرارها ؛ فالحيطة في الدين تقتضي عدم إضفاء صفة الغيبيّة إلا على ما ثبتت له هذه الصفة بأدلة قاطعة لا شك فيها .

التساؤل الثالث :-

وقد يقال : إن أطوار الجنين ، من البيضة المخصبة ، إلى ما قبل نفخ الروح بعد تمام الأربعة الأشهر، فيها كثير من التشابه مع الإنسان الذي نفخت فيه الروح بالفعل ، كالتشابه في الحقيبة الوراثية لكل منهما ، وكالتشابه في الأعضاء والأجهزة المختلفة ، وبخاصة الحال التي يصير إليها الجنين قبيل نفخ الروح . وأن الأمر ما دام كذلك ، فالأولى اعتبار حياة الإنسان قد بدأت منذ أول لحظة حدث فيها ذلك التشابه .

والجواب أن كل مخلوق خصّه خالقه بخصيصة تميّزه عن غيره من المخلوقات لا يعتبر موجوداً إلا بوجودها ؛ فمهما تشابه مخلوقان في قدر من الصفات والخصائص والوظائف فلا يمكن ادعاء التطابق بينهما حتى يتشابها في تلك الخصيصة ؛ والإنسان ميزه الخالق بالروح الإنسانيّة ينفخها فيه في مرحلة معينة . بقدر سابق مكتوب ، ينفذه الملك الموكل به في الوقت المقدر . وهذه الروح تمنحه قدرات ومؤهلات لا تكون موجودة قبل ذلك ، أو على الأقل تمنحه أصول تلك القدرات والمؤهلات . وقبل وجود هذه الأصول لا يمكن وصف المخلوق بالإنسان ، وإن تشابه في الخلق الظاهر مع الإنسان .

ولعل حكمة الرب في الخلق اقتضت إيجاد الإنسان وفق مرحلية خاصّة ؛ فهذا آدم أبو البشر عليه السلام ، خلقه الله فجعله من تراب فترة ، ثم جعله طينا فترة ، ثم صوره على الهيئة الإنسانيّة المقدرة ، وجعله صلصالاً كالفخار فترة . فلما بلغ الحين الذي يريد الله عزت قدرته أن يجعله إنسانا كاملاً نفخ فيه من روحه ، وأمر الملائكة بالسجود له بعد ذلك . ولا شك في أن كل مرحلة من

المراحل السابقة لنفخ الروح فيه ، فيها قدرٌ من التشابه مع الخلق الأخير ، بعضها في المواد الأولية وبعضها في الشكل الظاهر . ولا يتأتى لأحد أن يدعي وجود أبي البشر قبل نفخ الروح فيه .

وكذلك نسل آدم إذا أراد الله خلق أحدهم هيأ لوجوده مراحل يمر بها : فيخلق في أبيه مخلوقاً يقال له المنوي ، ويخلق في أمه مخلوقاً يقال له البويضة ، ثم يأذن سبحانه وتعالى بالانتقال إلى مرحلة أخرى تتمثل في اتحاد المخلوقين السابقين ، وتكوّن البويضة الملقحة ، ثم يأذن في نشوء مراحل تالية . وفي كل مرحلة قدر من التشابه مع الإنسان الذي سيتكون منها ، يزيد كلما قربت تلك المرحلة من اللحظة التي سيأذن فيها الله عز وجل بوجود ذلك الإنسان ؛ ففي خلق المنوي خطوة نحو إيجاد ذلك المخلوق ، وعنوانها حقيبة وراثية تعادل نصف الحقيبة الوراثية الإنسانية ، وهذا التقدير (النصفيّة الوراثية) في المنوي إذا جمع مع التقدير الرباني الآخر في البويضة يشكل نوعاً من التشابه ، فإذا حصل الاتحاد ازداد التشابه ، وهكذا يترقى الخلق ، ويزداد التشابه إلى أن يبلغ غايته ؛ حيث يصل الجنين إلى مرحلة الانتقال إلى حياة جديدة هي الحياة الإنسانية .

التساؤل الرابع :-

وقد يقال : إذا كانت الحياة الإنسانيّة تبدأ مع نفخ الروح في الجسد الجنيني ولا تبدأ قبل ذلك ، فلماذا بنى الفقهاء بعض الأحكام الفقهيّة على مجرد بدء الحمل بتلقيح البيضة ، وبعضها الآخر على مجرد تخلّق الجنين وإن كان قبل نفخ الروح ؛ حتى ذهب بعض الفقهاء إلى تحريم الإجهاض قبل نفخ الروح ، ولو قبل تخلّق الجنين ، وحتى ذهب كثير منهم إلى انقضاء عدة الحامل بوضع الحمل ، وإن كان قبل نفخ الروح أيضاً ، وإلى حجز نصيب من التركة للجنين مهما كان عمره ، يكون له إذا ولد حيا[٣٠] .

والجواب أن جميع الأحكام التي رتبها الفقهاء على الحمل الذي لم يمض عليه أربعة أشهر ، ليس مبناها على بدء الحياة الإنسانية بمعناها الدقيق الذي فهمناه من حديث الرسول ﷺ ، وإنما مبناها على أمور أخرى :

فتحريم الإجهاض بعد وقوع الحمل مباشرة ، إنما علله من قال به بحرمة البذرة التي يخلق منها الإنسان وكرامتها ، وأن هذه البذرة تكتسب تلك الكرامة بانعقاد الحمل ، بل ذهب بعض الفقهاء إلى أبعد من ذلك ؛ عندما قالوا بحرمة إخراج المني ولو قبل الانعقاد ، بل حرمة تناول ما يفسد القوة التي يحصل بها الحمل(٣١) .

وأما العدّة فإنما حدد الفقهاء نهايتها في أولات الأحمال اعتماداً على عموم قول الله تعالى ﴿ وأولات الأحمال أجلهن أن يضعن حملهن ﴾(٣٢) ؛ فالنص يحدد بداية العدة للحامل بوضع الحمل ، واسم الحمل يصدق على الجنين ولو قبل نفخ الروح وبدء الحياة الإنسانيّة الحقيقيّة ؛ لأن الحكمة من ذلك التحقق من براءة الرحم(٣٣) . وبراءة الرحم تكون بإسقاط ما فيه ، دون نظر إلى كونه قد بدأ رحلة الحياة الإنسانية أو لم يبدأ .

وكذلك حجز نصيب من التركة للجنين ، ليكون له عند ولادته حيا ؛ فليس مبناه على قضية البحث ، وليس فيه دلالة على اتجاه الفقهاء إلى اعتبار مبدأ الحياة الإنسانية من لحظة تكون الجنين ، وإنما بنوه على احتمال أغلبي قوي بميلاد إنسان حي متكون من ذلك الجنين ، وهذا الاحتمال الغالب يقوّم بمجرد التحقق من العلوق ؛ وليس أدلّ على ذلك من اتفاق الفقهاء على اشتراط ولادة المولود حيا بحياة مستقرة ، لاستحقاق النصيب المحجوز . وهذا الشرط يقتضي من باب أولى اشتراط نفخ الروح في ذلك الجنين الذي لم يمض على تكونه أربعة أشهر ؛ لأن اشتراط الأقوى يتضمن اشتراط الأدنى من باب أولى . ولذلك لم يقل أحد من الفقهاء بدخول النصيب المحجوز للجنين في ملكه ، سواء قبل نفخ الروح أو بعده

ما لم يولد حيا ، ولو سقط ميتا لم يكن له شيء ، سواء كان ذلك قبل نفخ الروح أو بعده .

هذا ومع أن الفقهاء لم يتوسعوا كثيراً في بناء الأحكام الفقهيّة على الحقيقة التي كشفها لنا الرسول عليه الصلاة والسلام حول بدء الحياة الإنسانية بنفخ الروح(٣٤) ، وما يترتب عليها من ضرورة الاعتراف بالفرق بين مرحلتين من مراحل تطور الجنين : مرحلة ما قبل النفخ ، ومرحلة ما بعدها . مع هذا فإنني أرى أن أخطر فائدة يمكن تحصيلها من معرفة هذه الحقيقة ، هي إتاحة الفرصة من الناحية الشرعيّة لمواجهة كثير من الأخطاء والأخطار التي تتهدّد النسل ؛ بالاحتياط لها في مرحلة ما قبل نفخ الروح ؛ ذلك أن الجنين مهما كان له من حرمة في هذه المرحلة ، فإنه لا ينبغي أن تعامل على أساس الحرمة التي يكتسبها الجنين بتعلق الروح به ، وانتقاله إلى مرحلة الإنسانيّة .

ومع أننا مع الذين يقولون بتحريم إجهاض الجنين في جميع مراحله احتراماً للبذرة التي سيتكون منها الإنسان إذا كان في المرحلة الأولى ، واحتراماً للروح التي نفخت فيه في المرحلة الثانية ، إلا أنني أرى جواز الإجهاض في المرحلة الأولى ، إذا كانت تلبية لحاجة معقولة ، أو لعذر مقبول تقدره لجنة ذات اختصاص وخبرة ودين .

وأما بعد نفخ الروح ، فإن مقتضى القواعد الفقهية المتفق عليها يلزمنا باحترام الجنين بصورة كاملة ؛ حيث نكون أمام نفس إنسانيّة معصومة الدم لا يجوز إهدارها لأي عذر مهما كان ؛ لأن موجبات إهدار النفس المعصومة التي قررها القرآن والحديث ليس شيء منها ممكنا بالنسبة للجنين ، وإنما هي تصرفات تصدر عن المكلفين ، مثل الردّة وزنى المحصن وقتل النفس المحرمة ، والجنين لا يصدر عنه شيء من ذلك . وأما ضرورة الحفاظ على حياة أم الجنين فليست كافية لقتل نفس إنسانيّة لا تقلّ في حرمتها وعصمة دمها عن حرمة الأم ، ولا عن حرمة أي

إنسان اعترف له الإسلام بعصمة الدم والروح . والصورة الوحيدة التي تحتمل الاجتهاد في هذا الأمر هي الحالة التي يقطع الأطباء فيها بأن الاحتفاظ بالجنين في بطن أمه سيؤدي إلى وفاته ووفاة أمه جميعا . وفيها شبه بحالة أخرى من حالات الضرورة ، يصورها هذا المثال : اثنان في قارب في عرض البحر ، مشرف على الهلاك ، ولو كان فيه واحد لنجا وإن بقي فيه الإثنان هلكا جميعا ، فهل يجوز للأقوى مثلاً أن يتخلص من زميله ؟ المسألة فيها نظر ، وقد يتحرج المحتاط من القول فيها .

الهوامش والمراجع

١ ـ انظر : فتح الباري بشرح صحيح البخاري جـ ١١ ص ٤٠٥ ـ المطبعة البهية المصرية سنة ١٣٤٨ هـ . وصحيح مسلم بشرح النووي حـ ١٦ ص ١٩٠ ـ المطبعة المصرية بالأزهر ـ الطبعة الأولى ـ سنة ١٣٤٨ هـ ـ ١٩٣٠ م .

٢ ـ تبسيط العقائد الإسلامية - حسن أيوب ص ٧٧ ـ نشر مكتبة الثقافة العربية سنة ١٣٩١ هـ / ١٩٧١م . العقائد الإسلامية ـ سيد سابق ص ٩٥ ـ دار النصر للطباعة ـ الطبعة الثانية سنة ١٣٨٧ هـ/ ١٩٦٧ م .

٣ ـ القمر ـ الآية ٤٩ .

٤ ـ انظر : كتاب الروح لابن قيّم الجوزيّة ص ٢١٧ ـ طبع بيروت ـ دار الكتب العلميّة ـ الطبعة الأولى سنة ١٤٠٢ هـ/ ١٩٨٢ م .

٥ ـ ورد في بيان كيفية هذا التزويد أن الملك عندما يسأل عن قدر الجنين يقال له : انطلق إلى أم الكتاب فإنك تجد فيها قصة هذه النطفة فينطلق فيجد قصتها في أم الكتاب ، فتخلق فتأكل رزقها وتطأ أثرها ، فإذا جاء أجلها قبضت فدفنت في المكان الذي قدر لها ـ الجامع لأحكام القرآن ـ القرطبي جـ ١٢ ص ٦ ، ٧ ـ طبع بيروت ـ دار إحياء التراث العربي ـ سنة ١٩٦٦ م .

٦ ـ انظر : الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي) جـ ١٢ ص ٦ .

٧ ـ فتح الباري جـ ١١ ص ٤١٦ ، صحيح مسلم بشرح النووي حـ ١٦ ص ١٩٥ .

٨ ــ فصلت ــ الآية ١٢ .

٩ ــ انظر : لسان العرب ومختار الصحاح مادة قضي ، ومعالم السنن للخطابي حـ ٤ ص ٣٢٣ ــ طبع بيروت ــ منشورات المكتبة العلمية ــ الطبعة الثانية سنة ١٤٠١ هـ/ ١٩٨١ م .

١٠ ــ الجامع لأحكام القرآن ص ١٢ ص ٨ .

١١ ــ فتح الباري حـ ١١ ص ٤١١ .

١٢ ــ انظر : بحث القاضي عبد القادر العماري المقدم للندوة ص ٧ (نقلاً عن كتاب ابن القيم : التبيان في أقسام القرآن).

١٣ ــ الروح لابن القيم ص ٢٣٣ .

١٤ ــ سورة ص ــ الآية ٧٢ .

١٥ ــ الزمر ــ الآية ٤٢ .

١٦ ــ تفسير الماوردي (النكت والعيون) ــ علي بن حبيب الماوردي حـ ٣ ص ٤٧٠ ــ نشر وزارة الأوقاف ــ الكويت ــ مطابع مقهوى ــ الطبعة الأولى سنة ١٤٠٢ هـ/ ١٩٨٢ م . مختصر تفسير ابن كثير ــ المجلد الثالث ص ٢٢٢ اختصار وتحقيق محمد علي الصابوني ــ طبع بيروت ــ الطبعة السابعة ــ دار القرآن الكريم . الدين الخالص ــ محمود خطاب السبكي حـ ٧ ص ١٨٦ ــ مطبعة الاستقامة بالقاهرة ــ الطبعة الأولى ١٣٦٨ هـ . الروح ص ١٩٩ ، ٢٤٢ .

١٧ ــ الأنعام ــ الآية ٩٣ .

١٨ ــ تفسير الماوردي حـ ١ ص ٥٤٥ ، تفسير القرطبي حـ ٧ ص ٤١ ، الدين الخالص ص ١٨٧ ، شرح العقيدة الطحاوية ص ٣٨١ ــ منشورات المكتب الإسلامي بدمشق ــ الطبعة الثالثة .

١٩ ــ انظر هذه الروايات في كل من : صحيح مسلم بشرح النووي حـ ١٦ ص ١٩٠ ــ ١٩٥ . وفتح الباري حـ ١١ ص ٤٠٥ ــ ٤١١ ، وجامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثا من جوامع الكلم ــ زين الدين ابن رجب الحنبلي البغدادي ص ٤٥ ــ ٥٠ ــ طبع بيروت ــ دار المعرفة .

٢٠ ــ انظر : فتح الباري لابن حجر حـ ١١ ص ٤١٠ .

٢١ ــ الإسراء ــ الآية ٨٥ .

٢٢ ــ الشعراء ــ الآية ١٩٣ .

٢٣ ــ النبأ ــ الآية ٣٨ .

٢٤ ــ انظر هذه التأويلات في : تفسير الماوردي حـ ٢ ص ٤٥٤ ، وتفسير القرطبي حـ ١٠ ص ٣٢٤ ، ومختصر تفسيرا ابن كثير ــ المجلد الثاني ص ٣٩٨ .

٢٥ ــ يشير إلى الآية ٣٨ من سورة النبأ .

٢٦ ــ الروح ص ٢٠٣ .

٢٧ ــ انظر : تفسير الماوردي حـ ٢ ص ٤٥٤ ، وتفسير القرطبي حـ ١٠ ص ٣٢٤ ، ومختصر تفسير ابن كثير حـ ٢ ص ٣٩٨ .

٢٨ ــ انظر : شرح العقيدة الطحاوّية ص ٣٧٩ وما بعدها ، وإحياء علوم الدين ـ أبو حامد الغزالي حـ ٤ ص ٤٩٤ ، ٤٩٥ ــ طبع بيروت ــ دار المعرفة . ومختصر تفسير ابن كثير حـ ٢ ص ٣٩٨ ، والتعريفات للسيد الشريف الجرجاني ص ٩٩ ــ مطبعة مصطفى البابي الحلبي سنة ١٣٥٧ هـ/ ١٩٣٨ م ، والكليات ــ الكفوي حـ ٢ ص ٣٧٣ ــ طبع دمشق ١٩٨٢ م .

٢٩ ــ إحياء علوم الدين حـ ٤ ص ٤٩٥ . تفسير القرطبي حـ ١٠ ص ٣٢٤ .

٣٠ ــ انظر : المغني لابن قدامة حـ ٧ ص ١٩٧ ، وحـ ٩ ص ١١٣ ، ١١٤ ــ طبع بيروت دار الكتاب العربي سنة ١٤٠٣ هـ/ ١٩٨٣ م . تفسير القرطبي حـ ١٢ ص ٨ . الإنجاب في ضوء الإسلام ــ بحث الدكتور توفيق الواعي ص ٢٧٠ ، ٢٧١ ، ٢٧٢ نيل الأوطار ــ محمد بن علي الشوكاني حـ ٧ ص ٨٨ ــ نشر رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد ـ السعودية . والمرجع ذاته حـ ٦ ص ١٨٥ .

٣١ ــ انظر : جامع العلوم والحكم لابن رجب الحنبلي ص ٤٦ ، وأعمال ندوة الإنجاب في ضوء الإسلام ــ بحث الدكتور الواعي ص ٢٧١ ، ٢٧٢ .

٣٢ ــ الطلاق ــ الآية ٤ .

٣٣ ــ بدائع الصنائع ــ علاء الدين الكاساني حـ ٣ ص ١٩٢ ، ١٩٣ ــ طبع بيروت ـ دار الكتاب العربي ــ الطبعة الثانية سنة ١٤٠٢ هـ/ ١٩٨٢ .

٣٤ ــ رتب الفقهاء بعض الأحكام على ما أخبر به الرسول ﷺ من تحديد الوقت الذي تنفخ فيه الروح ، مثل : التفريق في حكم الإجهاض بين المرحلتين ؛ حتى أجازه بعضهم قبل نفخ الروح ، واتفقوا على تحريمه بعد ذلك . والذين حرموه قبل نفخ الروح أجازوه لعذر من الأعذار المعقولة . ومثل حكم الصلاة على السقط ، حيث أوجبه بعضهم ، ولم يوجبه جمهورهم ، وغير ذلك ــ انظر المزيد من هذه الأحكام في بحث الدكتور الواعي المقدم لندوة الإنجاب في ضوء الإسلام وتفسير القرطبي حـ ١٢ ص ٨ .

بداية الحياة الإنسانية

للشيخ بدر المتولي عبد الباسط

هذا البحث يتناول أمرين : (أولهما) هو تحقيق بدء الحياة الإنسانية في نظر الإسلام (وثانيهما) نهاية هذه الحياة .

بدء الحياة الإنسانية في نظر الإسلام

الذي أدين الله عليه هو أن بدء الحياة الإنسانية في نظر الإسلام يبدأ من حين تلقيح بييضة المرأة بماء الرجل واستقرار ذلك في رحم المرأة .

وذلك لأن الإسلام رتب على هذا أحكاما مجمعا عليها،فإنه إذا ثبت أن المرأة حامل فإن عدتها من طلاق أو وفاة زوج تنتقل من الأقراء « الحيض أو الطهر على خلاف بين العلماء » أو الأشهر إلى وضع الحمل لقوله تعالى ﴿ **وأولات الأحمال أجلهن أن يضعن حملهن** ﴾ .

ولاشك أن المرأة التي تحمل ببيضة ملقحة هي من أولات الأحمال ولافرق بين أن تكون مدة الحمل طويلة أو قصيرة ، وكذلك اتفق العلماء على أنه إذا ثبت أن المرأة حامل فيصبح لهذا الحمل أهلية وجوب ناقصة ، أو كما يعبر بعض العلماء أو بعض القانونيين له ذمة ناقصة ، فيصبح لهذا الحمل حق الإرث والوصية إن ولد حيا . . وإلا رد هذا الميراث إلى ورثة المورث أو الموصي .

فهذان الأمران المجمع عليهما بين علماء المسلمين قديما وحديثا يدلان على أن الحياة الإنسانية لها اعتبارها من حين العلوق .

ومن هنا أرى أن الجناية على الحمل في أي طور من أطواره غير مشروعة وموجبة للإثم ،إلا إذا كان هناك مسوغ شرعي كالخطر على حياة الأم ويعتبر ذلك العمل إجهاضا .

نعم إن الجناية على الحمل تعظم كلما تقدمت مدة الحمل ،فليست الجناية على الحمل وهو في طور النطفة كالجناية عليه وهو في طور العلقة ، كما أن الجناية عليه وهو في طور المضغة أعظم من الجناية عليه وهو في طور العلقة ، بل إن الجناية عليه بعد أن استبان بعض خلقه تكون موجبة لدية الجنين ،وهي ما يسمى عند الفقهاء بالغرة ،وهي تساوي نصف عشر دية الإنسان الكامل ، هذا إذا طرحته ميتا ، أما إذا طرحته حيا وقد استبان بعض خلقه ثم مات بعد الولادة بسبب ضربه أو محاولة التخلص منه فإنها جناية كاملة توجب الدية كاملة .

أما عن رأي بعض الفقهاء المتأخرين في جواز إتلاف البييضة الملقحة قبل نفخ الروح ،فإنهم بنوا هذا على أنه قبل نفخ الروح يحتمل أن يكون هذا الحمل دما منعقدا ، ولكننا الآن وأمام وسائل العلم يمكننا أن نتأكد إن كان حملا أم لا ، والبييضة الملقحة قبل نفخ الروح فيها حياة مستكنة هي أصل للحياة المتحركة .

وقد ذهب إلى هذا الرأي جماعة من العلماء وعلى رأسهم حجة الإسلام الغزالي ،واعتبر الجناية على الحمل قبل نفخ الروح كالجناية على بيض الحرم ،فإنه موجب للجزاء والإثم مع أن البيض ليس فيه حياة متحركة ولكنها أصل لها .

الحياة الإنسانية بدايتها

للشيخ محمد المختار السلامي

مفتي الجمهورية التونسية

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته : أما بعد

اسمحوا لي أن أتقدم بعبارات الثناء والتقدير للمنظمة الإسلامية للعلوم الطبية على هذا الاتجاه السليم في معالجة القضايا التي تعرض للمسلمين في مباشرة حياتهم ، وفي البحث عن وجهة النظر الإسلامية في المشاكل والأقضية التي تحدث لهم . لا تبعا لما أحدثوه من أمور . ولكن استجابة لسنة الله في الكون التي قدرت أن يكون الإنسان متطورا لا ثابتا ، والتي قدرت أيضا أن تكون قاعدة الأخذ والعطاء والتفاعل بين المجموعات البشرية من القواعد المؤثرة في ذلك التطور .

إني أنوه بهذا الاتجاه في الشرق إلى الاقتراب أكثر من الحق والصحة وذلك بالجمع بين الفقهاء والأطباء في جلسة واحدة في اجتماع تتكامل فيه الجهود . إن تقدم العلوم الطبية فتح للأطباء أبواب المعرفة في ميدان اختصاصهم في البحث عن الإنسان من حيث صحته وسلامته ـ واعتلاله وسقمه،من المرتبة البسيطة إلى المرتبة التي تدمر فيها الحياة تدميرا ـ ويبدو الموت سيد الميدان لا راد لما قضاه الله ﴿ **فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون** ﴾[1] وهذه المعلومات أو المستوى المعرفي لا غنى للفقيه عن إدراكه حتى يستطيع تبعاً لذلك أن يُعرّف بالحكم الذي يظن أنه مما

(١) سورة الأعراف آية ٣٤ والنحل آية ٤٩ .

يرضاه الله لعباده .

ومن هنا أنطلق إلى بيان حقيقة أولى إن كل فرد منا يهدف إلى أن يحصل له ظن راجح في الحكم الإسلامي من القضية المعروضة عليه ولا يطمح أيّ عالم إلى الوصول إلى اليقين . وإن كانت هذه الحقيقة من البدهيات إلا أني قد أردت التذكير بها فقط في مقدمة كلمتي حتى يكون كل باحث بعيدا عن التعصب لرأيه متسامحا مع مخالفه مقدرا لكل ناظر وجهة نظره،متى كشف صاحبها عن المستندات التي اعتمدها فأفضت به إلى الإصداع بما ترجح عنده .

السؤال المطروح « بداية الحياة الإنسانية ونهايتها » . فالبحث إذن على الصورة المقدمة ليس بحثا عن حكم جزئية من جزئيات الشريعة،ولكنه بحث عن كلية من كلياتها ، إذا ما تم التوصل إليها في ثقة كان تطبيقها في بادىء الأمر سهلاً على الجزئيات الداخلة تحتها . وهذه صعوبة أولى إذ الكلية باعتبارها كلية لابد من تتبعها في جميع مظانها حتى إذا اطمأن الفقيه إلى الإستقراء الكامل استطاع أن يصدر الحكم تبعا لذلك . ثم إنه عندما ينظر في الجزئيات لا غنى له عن النظر في الكلية ذاتها حسبما أصله الشاطبي في أوائل الجزء الثالث من الموافقات[1] .

بداية الحياة : لا يعنينا في بحثنا هذا أن نحدد كيف ظهرت الحياة الإنسانية فوق وجه الأرض،إذ أن هذا بحث لا يتعلق به حكم يهم المجتمع الإسلامي في مباشرته لنشاطه . ولكن الذي يعنينا في هذا المقام هو أن نعرف بداية حياة الإنسان البداية التي تترتب عليها أحكام عملية .

---

(١) الموافقات ج ٣ من ص ٨ إلى ١٥ .

اعتمد كثير من الباحثين الحديث الذي أخرجه غير واحد من المحدثين في كتبهم . ولفظ البخاري كما جاء في كتاب بدء الخلق عن زيد بن وهب قال عبدالله : حدثنا رسول الله ﷺ وهو الصادق المصدوق قال :«إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوما . ثم علقة مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك ثم يبعث الله ملكا فيؤمر بأربع.أجله رزقه وشقي أم سعيد . ثم ينفخ فيه الروح فوالله إن أحدكم أو الرجل ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها غير ذراع أو باع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها وإن الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها غير ذراع أو ذراعين فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها(١).

ملاحظات حول الحديث

١ ـ هذا الحديث يصل إلى درجة الشهرة لكثرة رواته من الصحابة فقد رواه ابن مسعود وعائشة وأبو هريرة وأنس بن مالك . وحذيفة بن أسيد وعبدالله بن عمر وسهل بن سعد . وأبو ذر . ومالك بن الحويرث وعلي بن أبي طالب وجابر . كما أن الطريق المروي به عن ابن مسعود . يقول فيه ابن حجر إنه قد وصل طرق رواته عن الأعمش عن زيد بن وهب عن ابن مسعود إلى أربعين .

٢ ـ إن كثرة رواته حتمت قطعا اختلافا في نصه .

٣ ـ إن المقصود الأصلي بهذا الحديث هو بيان القدر وأن الله قد سبق علمه بما هو كائن وإن علمه لا يتخلف .

٤ ـ إن رواة الحديث قد اختلفوا في كل لفظة من ألفاظ الجملة الأولى إلا كلمة الجمع فقد اتفقت فيها كل الروايات . ومع هذا ذهبوا في تأويلها

(١) فتح الباري ج ١٤ ص ٢٧٦ وما بعدها .

مذاهب متعددة ذلك أن الجمع معناه تحول من الفرقة إلى الالتئام . فالقرطبي يرى أن الجمع هو ما يحدث عقب خروج الماء مندفعاً منتشرا[1] ويرى ابن حجر أن مني الرجل بمثابة الأنفحة للبن على معنى أنه يقع منه التخمر للنطفة[2].

وقال ابن الأثير في النهاية يجوز أن يريد بالجمع مكث النطفة في الرحم أي تمكث النطفة أربعين يوما تخمر فيه حتى تتهيأ للتصوير ، ثم تخلق بعد ذلك . وقيل إن ابن مسعود فسره بأن النطفة إذا وقعت في الرحم فأراد الله أن يخلق منها بشرا طارت في جسد المرأة تحت كل ظفر وشعر ، ثم تمكث أربعين يوما ثم تنزل دماً في الرحم فذلك جمعها[3].

٥ ــ إن كلمة الجمع هذه بعد تقدم علم الأجنة أصبحت ذات مدلول علمي دقيق ، إذ المرحلة الأولى من مراحل خلق الإنسان هي اجتماع الحيوان المنوي بالبييضة « التلقيح » .

٦ ــ حسبما جاء في الكشوف المخبرية الصفات الخلقية والوراثية تحملها النطفة الملقحة ، وما يقع بعد ذلك إنما هو تطور حسب نظام دقيق[4].

٧ ــ إن البييضة الملقحة ليست إنسانا بالفعل ولكنها إنسان بالقوة على معنى ان كل الصفات الخلقية وكل الخصائص الوراثية كامنة في هذه البيضة، تفضي كل مرحلة إلى مرحلة تالية حتى يتم للكائن وجوده الإنساني الذاتي عندما ينفصل عن الأم وتشتغل أجهزته باستقلال . فالجنين مادام في بطن أمه ليس إنسانا كاملا وليس حيوانا ولكنه في مرتبة بين المرتبتين .

(١) إكمال المعلم ج ٧ ص ٧٤ .

(٢) فتح الباري ج ١٤ ص ٢٧٩ .

(٣) نفس المصدر .

(٤) بحث الدكتور حسان حتحوت .

آثار ظن الحمل عند الفقهاء :

١ ـ إيقاف قسم التركة والانتظار .

موقف مجمع عليه وهو أن الحمل يوجب توقيف قسم التركة والوصية إلى أن ينفصل فإذا ما تم تطوره إلى بلوغ درجة الحياة المستقلة استحق نصيبه من الميراث،وحظه من الوصية من يوم موت المورث أو الموصي ، وإن لم يتطور إلى درجة الاستقلال مع الحياة لم يستحق شيئا .

٢ ـ التأثير في العدة : المعتدة الحامل تحل للخطاب بوضع حملها حيا مع أطول الأجلين بإجماع وبمجرده على الصحيح .

إذا وضعته سقطا ميتا وفيه من خصائص الذات البشرية الخلقية الظاهرة كاليد والرجل أو نحو ذلك . فحكمه كحكم وضع الحمل[1] .

إذا وضعته مضغة « أي أن الأنسجة أخذت في الظهور » ولكن لم يبرز بوضوح أي عضو من الأعضاء . فمذهب الحنفية أنها لا تخرج من العدة يقول ابن عابدين نقله عن البحر « لأن الحمل اسم لنطفة متغيرة فإذا كان مضغة أو علقة لم تتغير فلا يعرف كونها متغيرة بيقين إلا باستبانة بعض الخلق[2] .

ويذهب المالكية إلى أنها إن وضعته مضغة خرجت من العدة كما سيبين ذلك في العلقة [3] .

ومذهب الشافعية أن المضغة التي فيها صورة آدمي خفية أخبر بها جزما أهل الخبرة،ومنهم القوابل إن المرأة تخرج بذلك من العدة حتى إذا كانت

(١) نيل الأوطار ج ٩ ص ٣٢١ .

(٢) ابن عابدين ج ٢ ص ٦٠٤ .

(٣) عبدالباقي الزرقاني ج ٨ ص ١٧٦ .

المضغـة دون هذا الحـد من التطور بـأن قال أهـل الخبـرة إنها أصـل آدمي ولـو بقيت لتخلقت فإن العدة تنقضي بها على الصحيح [١] .

ومذهب أحمد مـوافق لمذهب الشـافعي في الصورة الأولى أمـا في الصورة الثانية فنقل عنه قولان [٢] .

أما إذا وضعته دون ذلـك . فالمـالكية ينفـردون بأنها تخـرج من العدة إذا تبين أنه مبتدأ خلق الإنسان ووضعـوا لذلـك معيارا . هـو صب الماء السـاخن عليـه فإن تحلل فهـو دم وإن لم يتحلل كان طـورا من أطوار الخلق يتـرتب عليه ما يترتب على الأطوار الأخرى [٣] .

٣ ـ التأثير في الحرية

إذا حملت الأمـة من سيدهـا أصبحت أم ولد،ويثبت لهـا هـذا الحكم بمـا يثبت بـه الخـروج من العـدة،إلا مـا نقـل عن مـذهب أحمـد بن حنبـل أنها اذا ألقت مضغة لا صورة فيها وشهد أهـل الخبرة أن فيهـا صورة خفيـة،فهناك من طـرد أصله في عدم التأثير، وهنـاك من فرق بـين العدة وتحـولها إلى أم ولـد فلا تخرج من العدة احتياطا وتصبح أم ولد احتيـاطا [٤] .

وعكس الشافعية فرأوا أنها تخرج من العدة بالمضغة التي لا تخليق فيها لأن وضعها يدل على براءة الرحم ، أما الأمة فلا تصبح أم ولد إذا وضعت مضغة غير مخلقة . [٥]

ملاحظـــة :

أرجح بعد التأمل في المـذاهب أن العلماء قد استنـدوا إلى قاعـدة . وهي

(١) الشرواني وابن قاسم العبادي ج ٨ ص ٢٤١ .
(٢) المغني والشرح الكبيرج ٩ ص ١١٣ ـ ١١٥ .
(٣) شرح الزرقاني علي خليل ج ٨ ص ٣٢ .
(٤) المغني والشرح الكبيرج ٩ ص ١١٣ ـ ١١٥ .
(٥) حاشية الشرواني وابن قاسم ج ١٠ ص ٤٢١ .

أن اليقين لا يزول بالشك . وفي واقعة الحال : المرأة مطالبة بالتربص مدة العدة يقينا فلا تخرج من ذلك بالشك فيما خرج منها هل هو حمل أولا ؟ وإن ذلك مرتبط بالمستوى العلمي الذي كان عليه أهل الخبرة في عصور فتاواهم . وإن المالكية وحدهم قد انفردوا بالاطمئنان إلى معيار تجريبي بصب الماء الحار . فبنوا على العلقة ما بنوا من الأحكام إذا ما تأكد أنها علقة بخصائصها وأنسجتها لادم مجمع مطروح ـ كما استند الإمام أحمد بن حنبل إلى قاعدة أخرى أعملها مع قاعدة اليقين لا يزول بالشك وهي قاعدة أن الأصل هو الحرية فلما أمكن أن تكون الحامل بسقطها أم ولد تخرج حرة غلب هذا الأصل .

الحمل كموجب للغرامة في حالة التعدي على الأم

روى الإمام مسلم في صحيحه عن أبي هريرة أن امرأتين من هذيل رمت إحداهما الأخرى فطرحت جنينها فقضى فيه النبي ﷺ بغرة عبد أو أمة [1].

ملاحظات حول هذا الحديث :

١ ـ إن هذه الرواية الأولى التي قدمها مسلم . وفي الروايات الأخرى زيادات واختلاف فمن الزيادات . أن المرأة المعتدى عليها من بني لحيان ، وأن المرأة التي أسقطت جنينها ماتت بعد ذلك . إن دية المرأة على عاقلتها ـ أن زوجها حمل بن النابغة الهذلي « وهو زوج القاتلة والمقتولة قد استغرب أن يكون في الجنين دية قائلا:كيف أغرم من لا شرب ولا أكل ولا نطق ولا استهل ومثل ذلك بطل » . وإن

(١) إكمال الإكمال ج ص ٤٢٩ وما بعدها .

الرسول ﷺ ذم هذا السجع الشبيه بسجع الكهان .

واختلف الحديث فمرة أن القتل كان بحجر . وفي رواية أخرى أنه بعمود . وقد جمع القرطبي بأنه يحتمل أن يكون الضرب وقع بهما .

٢ ـ يقول الإمام ابن عرفة لا فرق بين أن يحصل السقط بالفعل المادي أو النفسي . فلو أدخل شخص على امرأة خدمة ظالم فاختلعت فأسقطت تلزمه الغرة أو ما يقوم مقامها مما يبلغ عشر دية الأم [١].

٣ ـ إن الاختلاف في مستوى التطور للسقط هو كاختلافهم في السقط في العدة وأم الولد، فكل واحد أجرى رأيه في هذه أيضا . يقول الأبي الجنين ما تلقيه المرأة مما يعلم أنه ولد العلقة فما فوقها، ولم يشترط أهل المذهب أن يكون مصورا [٢].

٤ ـ إن هذا التقدير للجنين قبل أن يكتمل وينزل حيا هو مما أسسه الإسلام، وهو غير معروف في الجاهلية فالقيمة الإنسانية النسبية أمر جديد أثبته الإسلام . وهو ما دعا زوج القاتلة أنه يعترض بسجع مؤثر .

نظير هذا الحديث رواه البخاري ومسلم عن المغيرة بن شعبة قال: سأل عمر عن إملاص المرأة وهي التي يضرب بطنها فتلقى جنينا . فقال: أيكم سمع من النبي ﷺ شيئا فقلت أنا فقال ما هو؟ قال قلت سمعت النبي ﷺ يقول فيه غرة عبد أو أمة الحديث [٣].

وهذا الحديث يؤيد مضمون الحديث السابق ويؤكده . وإن الجنين له قيمة إنسانية هي عشر قيمة الإنسان الكامل . سواء أكان حرا أو رقيقا .

(١) نفس المصدر .

(٢) نفس المصدر .

(٣) فتح الباري ج ١٧ ص ٦٨ .

النتيـجة

يمكن أن نستخلص من النصـوص السـابقـة ومن آراء الـفقـهـاء أن الإنسان مكرم قبل ولادته،وحتى في الـظرف الذي تكـون فيه حيـاته في طـورها الخلوي الأول،هو مكرم ومحترم وأن التعدي عليه ليس تعديا على إنسـان كامـل ولكنه تعد على كائن سيصـل لو قـدر له ذلـك إلى إنسان . وأن الإسـلام قدره تقـديرا واحـدا لا فرق بـين الشهر الـرابع والشهـر التاسـع . وأن تعليل من لم يعتبر للجنين قبل الشهر الرابع أثرا حكميا مـرده إلى الشك في وجـوده والتباس الأمر عليه،أهو طور من أطوار الإنسان أو هـو شيء قذفتـه المرأة من رحمهـا فيما ينفصـل عنها ؟ وهـو ما يجعلني أميـل ميلا قـويا إلى وجهـة نظر المـالكية . وأن الجنين من تاريـخ لقاحـه إلى آخر مـراحله وهو في بـطن أمه حي محترم الذات، والتعدي عليه حرام إذا لم يكن لمصلحة أقـوى كما إذا كـان بقاؤه يـوجب ضررا أو هلاكا للأم .

رأي الفقهاء في إسقاط الجنين :

ذكر الطوري في شرح الكنز أثناء استدلاله على عـدم وجوب الكفـارة في الجنـين.قال:إلا إذا تبـرع بها هـو لأنه ارتكب محـظورا فـإذا تقـرب بهـا إلى الله كان أفضل ويستغفر الله مما صنـع من الجريمـة العظيمـة (١) ونقل عن أبي بكـر أنها إذا أسقطت سقطا بشـر بها دواء لـذلك ليس عليهـا إلا الاستغفار والتـوبة وإن كان جنينا فعليها غرة . وكذلك تمنع من كل فعـل يضر بـالحمل كـالفصد والحجامة (٢) .

---

(١) البحر الرائق ج ٧ ص ٣٩١ .

(٢) البحر الرائق ج ٧ ص ٣٩١ .

ويقول في تحفة المحتاج « فرع » اختلفوا في التسبب لإسقاط مالم يصل لحد نفخ الروح فيه . وهو مائة وعشرون يوما والذي يتجه وفاقا لابن العماد وغيره الحرمة ، ولا يشكل عليه جواز العزل لوضوح الفرق بينهما بأن المني حال نزوله محض جماد لم يتهيأ للحياة بوجه،بخلافه بعد استقراره في الرحم وأخذه في مبادىء التخلق ويعرف ذلك بالأمارات . وفي مسلم أنه يكون بعد اثنين وأربعين ليلة أي ابتداؤه كما مر في الرجعة،ويحرم استعمال ما يقطع الحبل من أصله كما صرح به كثيرون وهو ظاهر [1]. كما ذكر فتوى ابي اسحق المروزي بحل سقي أمه دواء لتسقط ولدها مادام علقة أو مضغة، وقال وبالغ الحنفية فقالوا يجوز مطلقا وكلام الإحياء يدل على التحريم مطلقا وهو الأوجه كما مر والفرق بينه وبين العزل واضح [2] .

تنظيم النسل

إن تنظيم النسل يكون بطريقتين :

١ ـ الطريقة الأولى الامتناع من الحمل ، ويكون ذلك بالواسطة الطبيعية بمنع وصول اللقاح إلى رحم المرأة ، أو منع البويضة من قبول اللقاح المؤثر ، وعلى كل فالوجهان ليس فيهما تعد على كائن إنساني في أي طور من أطواره ، لأنه من اليقين الأيقن أن الإنسان لا يأخذ في التكون إلا بعد التلقيح .

ويمكن للدولة أن تربي الأزواج تربية تمكنهم من مراقبة إنتاجهم الإنساني وتنظيم استمرار الحياة .

---

(١) حاشية الشرواني وابن قاسم على التحفة ج ٨ ص ٢٤١ .

(٢) حاشية الشرواني وابن قاسم على التحفة ج ٩ ص ٤١ وج ٧ ص ١٨٦ .

٢ ــ الطريقة الثانية هي تعمد إفساد الحمل بعد تكونه وإما بتدخل الطبيب لإزالة العلقة أو المضغة وكحت الرحم . وإما بتناول أدوية وعقاقير .

وهذه الطريقة الثانية يترجح عندي حرمتها على الأم . والأب الآذن والطبيب المباشر إلا إذا كان بقاء الجنين فيه خطر على حياة الأم ، أو تحقق الطبيب أن اختلالا طرأ على تطور الجنين يوجب تشوهه ونقصه .

ملاحظة : إن اهتمام الغرب والعالم المصنع بتوقيف ازدياد النسل في العالم الثالث وصيحات الفزع التي يرسلها زعماؤه،وأجهزة الإعلام فيه،كل ذلك يوجب تساؤلات عدة.لماذا لم يصرف الاهتمام الى طريقة زيادة خيرات الأرض . إلى تحلية المياه ؟ إلى تحويل العالم من مجتمعات استهلاك إلى مجتمع القناعة والاشمئزاز من التبذير ؟ هذه أسئلة ثارت في نفسي وأنا أقرأ مقالا في جريدة لوموند عن منع الحمل . والدعوة إلى تقديم هذا الدواء إلى سكان العالم الثالث وإليكم ملخصه معربا ونصه بلغته .

وسيلة جديدة لمنع الحمل

قرص المستقبل

أعلن فريق من الأطباء السويديين والفرنسيين يوم الجمعة ٣٠ نوفمبر ١٩٨٤ النتائج الأولية لاستعمال RU-486 لغاية انطلاق الإجهاض قبل الأوان .

إن هذه المادة التي حددت ثم تطورت بفرنسا يبدو أنها وصلت حدّا يؤكد آمال الذين يرون فيها الممثل الأول لعائلة جديدة ، هي عائلة الأدوية التي يمكن استعمالها بسهولة لمنع تطور الحمل .

وبعد أن ذكر صاحب المقال أن هذه الدواء يمكن استخدامه لمنع الحمل،ولمنع تطوره بعد حصوله،ذكر أن التجارب أجريت على القردة ثم من سنة ١٩٨٢ على النساء،وظهرت النتائج مشجعة بصفة عامة،كما تأكد بعد التجا ِب أن هذا الدواء يمكنه توقيف تطور الحمل في البداية،ويجعل له حدا بدون الالتجاء إلى عملية في ٧٠٪ من الأحوال ، وأن الأحوال التي لم ينجع فيها الدواء قد تكون راجعة إما إلى نقص في تحول الدواء المأخوذ بواسطة الفم أو إلى عدم كفاية في أنسجة الرحم .

أما تأثيره على الأم فهو ضعيف جدا يكاد ينحصر في حالات سيولة في الدم .

وللعمل على تقليص نسب الإخفاق يقوم فريق من الأطباء السويديين الذين اقترحوا إضافة حقنة للدواء المتناول بالفم،وأنه بواسطة الجمع بين الدواءين أمكن الوصول إلى نتيجة ١٠٠٪ حتى بعد سبعة أسابيع من بداية الحمل .

ويرى الباحثون أن هذه الطريقة ستكون الطريقة المثالية لمراقبة الخصوبة النسائية وخاصة في بلدان العالم الثالث .

ويرى مخترعو هذا الدواء أنها طريقة مثالية لمراقبة خصوبة نساء العالم الذي هو في طريق التقدم،لأنه لا يستدعي وجود البنية الطبية التي تكون غائبة في معظم الأحوال .

جان ايفس نو Jean Yves Nau

جريدة لوموند ديسمبر ١٩٨٤

بداية الحياة

للدكتور محمد سليمان الأشقر

الموسوعة الفقهية ـ الكويت

الحياة آية الله الباهرة ، وحجته البالغة ، ومعرض قدرته ، ومجلى حكمته ، يبدأ الحياة من لا شيء ، ويوصلها إلى لا شيء ، وبين ذلك ينقلها من حال إلى حال ، ومن طور إلى طور ، وهي لا تملك لنفسها سيرا ولا وقوفا . أَمَرها أن تكون، فكانت كما شاء . ودبَّر أحوالها ، ورتب أطوارها ، وصنَّف أصنافها ، لتكون مسبحة بحمده ، شاهدة أنه الحي وحده الذي لم يسبق حياته عدم ، ولم يسبق علمه جهل ، ولم يسبق قدرته عجز ، ولا يلحقه موت ولا عيب ولا نقص **﴿ لا إلَهَ إلا هو الحي القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم له ما في السموات وما في الأرض ﴾** .

ثم إنه سبحانه جعل الحياة الإنسانية هدف الخلق الأكبر ، كلَّفها بطاعته وعبادته ، بعد أن أمدها بالعقل والفكر ، وبالوسائل التي تمكنها من الامتثال **﴿ تبارك الذي بيده الملك وهو على كل شيء قدير . الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا وهو العزيز الغفور ﴾** .

ثم قدَّر على كل حيّ سواه الموت ، ليكون ذلك آية لهم أنّ له الربوبية وحده ، وأن حياته ليس كمثلها حياة . ثم إذا شاء أنشرهم وحشرهم إليه ، صاغرين لأمره ، عانيةً وجوههم للحي القيوم وقد خاب من حَمَل ظلما . فأكرم أولياءه بحياة كريمة هي الحيوان لو كانوا يعلمون ، وأحيا أعداءه حياة أمرّ من الموت . فأولياؤه حتى قبل بعثهم كأنهم في حياة . وأعداؤه بعد بعثهم في حياة

كالموت . ﴿ إنه من يأت ربه مجرما فإن لـه جهنم لايموت فيهـا ولا يحيا . ومن يأته مؤمناً قد عمل الصالحات فأولئك لهم الدرجات العلى ﴾ اللهم اجعلنا ممن تكرمهم في حياة لا موت بعدها في رضوانك وجوارك يارب العالمين .

بدء الحياة

بدء الإنسانية ككلّ ، في طينة من هذه الأرض . صوّرها الخـلاق العليم بقـدرته ، ثم لم تكن ذات حيـاة إلا بنفخة نفخهـا الله فيها من روحـه ، وقال لملائكته : ﴿ فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين﴾ .

ثم جعلت هذه البشرية بحيث تتسلسل من أصلها سلالة من سلالة ، بلقاء الذكر منها بالأنثى ، جيلا بعد جيل ، يذرؤها تبارك وتعالى بذلك ﴿ خلق لكم من أنفسكم أزواجا ومن الأنعام أزواجا يذرؤكم فيه ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ﴾

والله عز وجل يكرر نفخ الروح في كل بذرة إنسانية جديدة ﴿ وبدأ خلق الإنسان من طين ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين ثم سواه ونفخ فيه من روحه وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة قليلاً ما تشكرون ﴾ .

وهي الروح من أمر الله ، ولها عنده شأن أي شأن : يرسل بها رسله من الملائكة ، فيركّبونها على سلالةِ الطين المصوّرة ، ليكون ا لطين مسكنا ومطية لها ، ويقيض الله لها ملائكة من عنده يـرقبونها ويحفـظونها ، وقد رَصَـد لها رزقهـا ، وقدر لها الأجل الذي ستبقى فيه مقترنة بالجسد . فإذا حلّ الأجل ، لم تأت وحدها إلى ربها : ولكن يبعث وفد الرحمن ليتسلم تلك الجوهرة ، وينتزعها عن مطيتها ،

ويفرق بينها وبين طينتها ، لتكون وديعة عنده ، مرهونة بما قدمت من عمل ، إلى أن يأتي أجل الإنسانية الأبعد . ثم يحييهم مرة أخرى ويرد كل جوهرة إلى طينتها ، لتلقى الجزاء على خير ما عملت وشر ما عملت ، وما يستبعد ذلك على قدرة الخالق إلا الغافلون ﴿ وقالوا أئذا ضللنا في الأرض أئنا لفي خلق جديد بل هم بلقاء ربهم كافرون قل يتوفاكم ملك الموت الذي وكل بكم ثم إلى ربكم ترجعون . ولو ترى إذ المجرمون ناكِسو رؤوسهم عند ربهم ربَّنا أبصرنا وسمعنا ﴾ وصدق الله العظيم .

وبين بدء البذرة الإنسانية وبين إنشائها خلقاً آخر ، أطوار معينة لم تكن فيها مخلّقة ، كذلك نصّ العليم الخبير ﴿ يا أيها الناس إن كنتم في ريب من البعث فإنا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة لنبين لكم . ﴾

وعن زيد بن وهب عن عبدالله بن مسعود قال : حدثنا رسول الله ﷺ وهو الصادق المصدوق « إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوما ، ثم يكون في ذلك علقة مثل ذلك ، ثم يكون في ذلك مضغة مثل ذلك ، ثم يرسل الملك فينفخ فيه الروح ، ويؤمر بأربع كلمات : بكتب رزقه وأجله وعمله وشقي أو سعيد فوالله الذي لا إله غيره إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة ، حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب ، فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها ؛ وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار ، حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع ، فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها » .

هذه رواية مسلم ٢٠٣٦/٤ (كتاب القدر ح ١) ومثلها عند البخاري (فتح الباري ٣١٣/٦) ورواها البخاري في مواضع أخرى .

ورويت قصة إرسال الملك وكتابة الرزق والأجل والشقاوة والسعادة في

مواضع كثيرة من كتب السنة النبوية . وعن عدد من الصحابة غير ابن مسعود ، منهم أنس بن مالك عند البخاري ، وسهل بن سعد وحذيفة بن أسيد عند مسلم ، وعبد الله بن عمر في أفراد الدار قطني ، وعن عائشة عند أحمد بسندٍ صحيح ، وعن أبي هريرة عند مسلم ، وعن عبدالله بن عمرو في مسند الطبراني بسند حسن . وغيرهم ذكرهم ابن حجر في فتح الباري (٤٧٨/١١ وما بعدها) .

وأحب أن أبدي الفروق الآتية بين الروايات :

أولا : لم يورد الحديثَ أحدٌ من الصحابة بالطول الذي أورده ابن مسعود عند البخاري ومسلم رضي الله عنهم ، بل أوجزه من عداه .

ثانيا : انفرد واحد من الرواة عن ابن مسعود (وهو زيد بن وهب) بذكر أن نفخ الروح بعد تلك المدة . وسائر الرواة عن ابن مسعود ذكروا كتابة الرزق والأجل والشقاوة والسعادة ولم يذكروا نفخ الروح ، وكذلك الصحابة الآخرون الذين رووا الحديث لم يذكروا فيه النفخ (إلا ابن عباس من قوله وليس مرفوعا ، نسبه إليه ابن حجر ولكن لم يذكر أينَ روايتُه) (فتح ٤٨٦/١١) .

ثالثاً : انفرد زيد بن وهب أيضاً عن ابن مسعود بذكر أن الأربعينات ثلاث مرات ، أما سائر الرواة من الصحابة عن النبي ﷺ فقد قال بعضهم : إذا مرّ بالنطفة أربعون ليلة ، وبعضهم قال : اثنتان وأربعون ليلة ، وبعضهم قال : خمس وأربعون ليلة ، وبعضهم : بضع وأربعون ليلة (ر : صحيح مسلم ط عبدالباقي ٢٠٣٨/٤ كتاب القدر ح ١ ـ ٥)

رابعاً : إن رواية ابن مسعود أوردت ما يكتبه الملك على سبيل الحصر « ثم يؤمر بأربع كلمات : بالإضافة إلى نفخ الروح » : بكتب رزقه وأجله وعمله ، وشقي أو سعيد » بينما نقصت بعض الروايات الأخرى « العمل » وأضافت « أذكر أم أنثى » . ولم تذكر أيٌّ منها نفخ الروح . وعلى هذا فإذا أخذ بهذا الحديث واعتمد

عليه في تقدير نفخ الروح ، والتخليق وغير ذلك ، وبنينا عليه أحكاماً ، كإجازة الإجهاض ، فلا ينبغي أن يتجاوز بالإجازة مدة أربعين يوماً إلا بضعة أيام ، ليكون الحكم مبنياً على اليقين ، أو شبه اليقين .

وقد يقال : هما زورتان للملك ، لا زورة واحدة . وهذا خلاف الظاهر بل هي - والله أعلم - زورة واحدة ، يصنع فيها كل ما أمر به .

ونقول الآن : هل الجنين في هذه المرحلة الأولى - ما قبل الأربعين - حيّ حياة إنسانية على نحو مّا ، أم هو في مجرد حياة خلوية ، أو حياة نباتية كما يعبر بعض الإخوة الأطباء ؟

الظاهر من الأحاديث التي أوردناها أنها مجرد حياة خلوية يكون فيها الجنين في طريقه إلى (التجمع) والتخلق ، خالياً من الروح .

ومن هنا صرَّح الحنابلة في مواضع من كلامهم بما يلي « يجوز إلقاء النطفة قبل أربعين يوماً بدواء مباح » (شرح المنتهى ١/١١٥)

وعند الحنفية قال ابن نجيم في البحر الرائق (٨/٢٣٣) وابن الهمام في فتح القدير (٢/٤٩٥) : « يجوز إلقاء النطفة مالم يتبينّ شيء من الخلق » وقال ابن عابدين (٥/٢٣٩) « إن نفخت فيه الروح لايباح ، أي الإسقاط ، وقبلها اختلف المشايخ فيه . والنفخ مقدر بمائة وعشرين يوما » . وقال (٥/٢٧٦) : « يكره أن تُسقى لإسقاط الحمل إلا لعذر ، فيباح لها أن تعالج من استنزال الدم مادام الحمل مضغة أو علقة ولم يخلق له عضو » .

وعند المالكية المعتمد أنه يحرم إخراجه قبل الأربعين وقيل يكره (ح الدسوقي ٢/٢٦٧) قال الدسوقي « وقال اللخميّ بجواز الإجهاض في الأربعين » (الموسوعة الفقهية - الإجهاض) .

وأما الشافعية فالذي قال منهم بعدم الإجهاض قبل نفخ الروح هو الغزالي ومن تابعه . وقال القليوبي (٤ ـ ١٦٠) « يجوز إلقاؤه قبل نفخ الروح فيه ، خلافاً للغزالي » .

وقد استوفيت هذه المسألة بحثاً في ندوة الإنجاب فلا نطيل بأكثر من هذا .

لا ندري مع هذا الوضوح ، وهذا التوسيع في كلام فقهاء الشريعة ، لماذا يصرّ بعض إخواننا الأطباء على التشديد في هذا الأمر ، وإذا كان في الشريعة سعة فلماذا نضيق على أنفسنا وعلى الناس ؟ وإذا كان الله تعالى ذكر أن التخليق لاحق في مرحلة تالية للعلوق ، وأن نفخ الروح يكون بعد ذلك ، وأن رسوله ﷺ ذكر مثل ذلك ، وأيده وفصّله ، فأي ضيرٍ في الإجهاض في تلك المدة ، وخاصة عند قيام الأعذار ؟

وإنا لنعجب مما قيل إن الأخذ بهذا إنما هو مجاراة لروح الحضارة الغربية المعاصرة :

وبعض إخواننا ـ مع احترامنا العميق لوجهة نظرهم ـ يقول : إذا تمّ العلوق حرم إعدام تلك الخليّة ، ومن العجب أنهم يقومون بإعدام ملايين الخلايا في جراحات التجميل وغيرها دون أن يروا بذلك بأسا .

ونحن نقول : حيثما كان شرع الله فثمّ المصلحة . ولكن من يقول : حيثما كانت المصلحة فثم شرع الله ، نقول له : إن كنت تبحث عن مصلحة الأفراد والأسر والأمم ، فاجعل فترة لابدّ منها لتوقي حمل غير مرغوب فيه ، ولا تغلق باباً يأتي منه الروح والفرج !

ونختم القول بإيراد فتيا أصدرتها لجنة الفتوى بالكويت بتاريخ ١٩٨٤/٩/٢٩م نصها كما يلي :

« يحظر على الطبيب إجهاض امرأة حامل أتمت مائة وعشرين يوماً من حين العلوق إلا لإنقاذ حياتها من خطر محقق من الحمل .

ويجوز الإجهاض برضا الزوجين إن لم يكن قد تم للحمل أربعون يوماً من حين العلوق .

وإذا تجاوز الحمل أربعين يوماً ولم يتجاوز مائة وعشرين يوماً لا يجوز الإجهاض إلا في الحالتين الآتيتين :

إذا كان بقاء الحمل يضر بصحة الأم ضرراً جسيماً لا يمكن احتماله أو يدوم بعد الولادة ؛ وإذا ثبت أن الجنين سيولد مصاباً على نحو جسيم بتشوُّه بدني أو قصور عقلي لا يرجى البرء منهما .

ويجب أن تجري عملية الإجهاض في غير حالات الضرورة العاجلة في مستشفى حكومي ، ولا تجري فيها بعد الأربعين يوماً إلا بقرار من لجنة طبية مشكلة من ثلاثة أطباء اختصاصيين ، أحدهم على الأقل متخصص في أمراض النساء والتوليد ، على أن يوافق على القرار اثنان من الأطباء المسلمين الظاهري العدالة » .

بدء الحياة ونهايتها

للدكتور عمر سليمان الأشقر

كلية الشريعة والدراسات الإسلامية

جامعة الكويت

الحمد لله الذي خلق فسوى ، والذي قدر فهدى ، والذي أخرج المرعى ، فجعله غثاء أحوى ، والصلاة والسلام على الذي بعثه ربه في الأميين رسولا يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة ، وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين ، وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين وعلى من اهتدى بهديه واتبع سنته إلى يوم الدين وبعد :

فإنني أعترف أنني قد تحرجت كثيرا في القبول بالمشاركة في بحث هذه القضية التي دعوتموني للكتابة فيها ، لأن البحث فيها على النحو الذي عرضه الأطباء الفضلاء في الأبحاث التي وصلتني يدل على أن البحث في نهاية الحياة على هذا النحو أمر جديد يحتاج إلى تأصيل شرعي ولم يتطرق إليه علماؤنا على هذا الوجه المراد منا بيانه ، ونحن نعلم أن الموضوعات التي لم يمهد لنا أوائلنا من أهل العلم طريق البحث فيها موضوعات شائكة ، ويزيد من خطورة المسألة أن إيذاء الإنسان في حس المسلم مرفوض رفضا قاطعاً ، لأن الشريعة شنعت على من يؤذي المسلم ، حيا أو ميتا ، على تفصيل معروف في الشريعة وكتب العلم .

والذي هون أمر الكتابة شيئا ما أنني أعتبر أن ما أكتبه هنا ليس أمرا نهائيا ، بل هو أمر أولي ، قابل للأخذ والعطاء ، والقبول والرفض ، بل قابل لأن أتراجع عنه ، فهو ورقة أولية تعرض لتناقش من العلماء والأطباء ، ثم تقوّم بعد ذلك في ضوء الحوار الذي يتم .

وقد وجدت مناط البحث وأساسه الذي يقوم عليه هو معرفة الحياة الإنسانية بدايتها ونهايتها ، وهذا يحتاج إلى النظر في النصوص التي تتحدث عن الموت والحياة ، وقبل ذلك معرفة معنى الموت والحياة في لغة العرب .

مفهوم الحياة والموت في لغة العرب

الحياة والموت متناقضان تناقض النور والظلام والبرودة والحرارة ، ولذا فإن معاجم اللغة العربية تعرف كل واحد منهما بأنه نقيض الآخر ، ففي تعريف الحياة تقول : « الحياة نقيض الموت ، والحي من كل شيء : نقيض الموت ، والجمع أحياء »[1] ، وفي تعريف الموت تقول : « الموت والموتان ضد الحياة »[2] ، « وأصل الموت في لغة العرب : السكون ، وكل ما سكن فقد مات[3] » ، فتراهم يقولون : « ماتت النار موتا : إذا برد رمادها ، فلم يبق من الجمر شيء ، ومات الحر والبرد إذا باخ ، وماتت الريح : ركدت وسكنت : وماتت الخمر : سكن غليانها ، والموت ما لا روح فيه »[4] .

وإذا كان السكون أصل الموت في لغتنا ، فإن الحركة أصل الحياة ، ففي

---

١ ــ لسان العرب ، لابن منظور : ١/٧٧٣
٢ ــ لسان العرب ، لابن منظور : ٥٤٧/٣
٣ ــ لسان العرب ٥٤٧/٣
٤ ــ لسان العرب ٥٤٧/٣

لسان العرب : « الحي كل متكلم ناطق ، والحي من النبات : ما كان طريا يهتز[1] ، والعرب تصف كل ذي روح بالحياة » .

مفهوم الحياة والموت في الكتاب والسنة

رجعت إلى نصوص الآيات والأحاديث التي تتحدث عن الموت والحياة فوجدتها على خمسة أنحاء :

الأول : نصوص تريد بالحياة تلك الحياة النامية الموجودة في النبات ، والنصوص التي تتحدث عن إحياء الله الأرض بالنبات غب سقوط المطر عليها كثيرة ، كقوله تعالى : ﴿ **والله أنزل من السماء ماء فأحيا به الأرض بعد موتها** ﴾[2] وقوله : ﴿ **فانظر إلى آثار رحمة الله كيف يحيي الأرض بعد موتها** ﴾[3] .

الثاني : نصوص تريد بها تلك الحياة التي تتحقق بنفخ الروح في الإنسان ، والموت هو نزع الروح منه ، وسنورد في بحثنا كثيرا من النصوص الدالة على هذا النوع من الحياة .

الثالث : الحياة هي الإيمان ، والموت الكفر ، ﴿ **أو من كان ميتا فأحييناه وجعلنا له نورا يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها** ﴾[4] ، يقول العلامة المفسر ابن كثير في تفسير هذه الآية : « هذا مثل ضربه الله تعالى للمؤمن الذي كان ميتا ، أي في الضلالة هالكا حائرا ، فأحياه أي أحيا قلبه

---

١ ـ لسان العرب ١/٧٧٣
٢ ـ سورة النحل : ٦٥ .
٣ ـ سورة الروم : ٥٠ .
٤ ـ سورة الأنعام : ١٢٢ .

بالإيمان ، وهداه له ، ووفقه لاتباع رسله »[1] .

الرابع : الموت الحالة التي يكون الإنسان عليها عند النوم ، ففي الحديث أن الرسول ﷺ كان يقول إذا استيقظ من نومه : « الحمد لله الذي أحيانا بعد ما أماتنا وإليه النشور »[2] ، وقد أشار القرآن إلى هذا المعنى بقوله : ﴿ الله يتوفى الأنفس حين موتها والتي لم تمت في منامها فيمسك التي قضى عليها الموت ويرسل الأخرى إلى أجل مسمى ﴾[3] ، وفي الآية الأخرى : ﴿ وهو الذي يتوفاكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهار ثم يبعثكم فيه ﴾[4] ، وعلماؤنا يسمون النوم الوفاة الصغرى ، والموت الوفاة الكبرى[5] .

الخامس : أطلق الحياة على نوع خاص من الحياة يناله الشهداء بعد انتقالهم من هذه الدار ، ﴿ ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون ﴾[6] . وقد سأل الصحابة الرسول ﷺ عن هذه الحياة التي ينالها الشهيد ، فقال الرسول ﷺ : « أرواحهم في جوف طير خضر ، لها قناديل معلقة بالعرش ، تسرح في الجنة حيث شاءت ، ثم تأوي إلى تلك القناديل » رواه مسلم في صحيحه[7] .

---

١ ـ تفسير ابن كثير : ٩٣/٣ .
٢ ـ رواه البخاري ، كتاب الدعوات ، ٧ ، ٨ ، ١٦ ، ومسلم كتاب الذكر ، حديث رقم ٥٩ .
٣ ـ سورة الزمر : ٤٢ .
٤ ـ سورة الأنعام : ٦٠ .
٥ ـ انظر تفسير ابن كثير : ٣٢/٣
٦ ـ سورة آل عمران : ١٦٩ .
٧ ـ تفسير ابن كثير : ١٥٤ .

الإنسان الحي والإنسان الميت في الاصطلاح القرآني

ليس المراد بالإنسان الحي في بحثنا هذا واحدا من المعاني الثلاثة الأخيرة التي ذكرت في البحث السابق ، وقد تأملنا النصوص القرآنية فلم نجد نصا قرآنيا يصف الإنسان بالحياة بالاعتبار الأول ، أي عندما كان جنينا قابلا للنمو ولم تنفخ الروح فيه ، بل إن التأمل في النصوص يفيدنا أن الجنين يعد في هذه الحال ميتا حتى تنفخ فيه الروح ، وعند ذلك يعتبر في الاصطلاح القرآني حيا ، ويمكننا أن نستفيد هذا المعنى من قوله تعالى : **﴿ كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتا فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم ثم إليه ترجعون ﴾**(١) النص القرآني هنا يتحدث عن موتين وحياتين ، كما حكى الحق تبارك وتعالى اعتراف مكذبي البعث والنشور في يوم البعث والنشور بهاتين الموتتين وهاتين الحياتين **﴿ ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين فاعترفنا بذنوبنا فهل إلى خروج من سبيل ﴾**(٢) ، فما المراد بكل من هاتين الموتتين ، وهاتين الحياتين ؟ لقد اتضح لي بعد النظر في أقوال المفسرين والتأمل في مدلول هذين النصين أن المراد بالموتة الأولى هي الحالة التي سبقت نفخ الروح في الجنين ، أي من وقت تلقيح الحيوان المنوي للبويضة إلى أن يتم لها في الرحم أربعة أشهر ، والحياة الأولى هي نفخ الروح في الجنين ، والموتة الثانية نزع روح الإنسان من بين جنبيه ، والحياة الثانية عندما ينفخ في الصور وتعود الأرواح في الأجساد .

وقد عزا ابن جرير الطبري هذا القول إلى قتادة من أئمة التفسير ونص كلامه : « كانوا أمواتا في أصلاب آبائهم ، فأحياهم الله وخلقهم ، ثم أماتهم الموتة التي لا بد منها ، ثم أحياهم للبعث يوم القيامة ، فهما حياتان وموتتان »(٣) .

---

١ ــ سورة البقرة : ٢٨ .

٢ ــ سورة المؤمن : ٢٨ .

٣ ــ تفسير الطبري : ١/١٨٧ .

وقد وضح ابن جرير هذا القول وبينه ، فقال : « وأما وجه تأويل قول قتادة ذلك أنهم كانوا أمواتا في أصلاب آبائهم ، فإنه عني بذلك أنهم كانوا نطفا لا أرواح فيها ، فكانت بمعنى سائر الأشياء الموات التي لا أرواح فيها ، وإحياؤه إياها تعالى ذكره : نفخه الأرواح فيها ، وإماتته إياهم بعد ذلك قبضه أرواحهم ، وإحياؤه إياهم بعد ذلك : نفخ الأرواح في أجسامهم ، يوم ينفخ في الصور ، ويبعث الخلق للموعود »[1] .

وقد فسر ابن مسعود رضي الله عنه إخراج الحي من الميت وإخراج الميت من الحي في قوله تعالى : ﴿ تخرج الحي من الميت وتخرج الميت من الحي ﴾[2] ، بقوله : « هي النطفة تخرج من الرجل وهي ميتة وهو حي ، ويخرج الرجل منها حيا وهي ميتة »[3] .

والأقوال الأخرى التي فُسِّر بها قوله تعالى ﴿كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتا . . . ﴾[4] الآية لا تسلم من اعتراض ، فالذين قالوا : الموتة الأولى هي العدم السابق على الوجود يرد عليهم بأن العدم ليس بشيء حتى يوصف بالموت ، كما قال تعالى ﴿ هل أتي على الانسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا ﴾[5] ، والذين لم يعتبروا حال الجنين قبل النفخ فيه موتا تكلفوا في تفسير الآية كدعوى من ادعى أن الموتة الأولى كانت لخلق الذين أخذوا من ظهر آدم ، أو الذين زعموا أن الموت هو للنطفة بسبب انتقالها من الرجل للمرأة ، وقال آخرون في الحياة الأولى هي إحياء الناس في قبورهم بعد موتهم وقبل البعث ، وقد لزم من بعض هذه الأقوال أن يكون عدد الموتات ثلاث ، وعدد مرات الحياة ثلاث مما جعل بعض هذه

---

١ ـ تفسير الطبري : ١/١٨٨ .
٢ ـ سورة آل عمران : ٢٧ .
٣ ـ تفسير القرطبي : ٤/٥٦ .
٤ ـ سورة البقرة : ٢٨ .
٥ ـ سورة الإنسان : ١ .

الأقوال يصادم ما نصت عليه الآية[1] ، وأكاد أجزم أن قول قتادة دون سواه هو الصواب .

اعتراض وجوابه :

قد يقال : لقد تقدم العلم الحديث اليوم وتعرف إلى النطفة التي يخلق منها الإنسان وهي الحيوان المنوي ، وهو حيوان حي متحرك ، وإذا اتحد مع بويضة المرأة شكل خلية إنسانية تامة ، وهذه الخلية حية ، ولذلك فإنها تأخذ بالانقسام والسير قدما إلى تكوين إنسان كامل ، فكيف تزعم أن الحياة لم تبدأ في الجنين إلا بعد تمام الشهر الرابع ؟ وكيف تقول إن الجنين كان قبل ذلك ميتا ؟ .

وفي الإجابة نقول : لم يغب عن بالنا هذا الذي بينتموه ، إلا أننا نقول : إن هذه الحياة ليست هي الحياة المرادة في المصطلح القرآني ، وهذه الحياة التي تذكرونها لا تخرج الجنين قبل نفخ الروح فيه عن صفة الموت ، إن هذه الحياة شبيهة بالحياة التي يوصف بها النبات ، فقد وصف القرآن النبات بالحياة ، وقد تحققنا من حياته في هذه العصر عندما تقدم العلم ، يقول الدكتور (رسل تشارلز آرتست)[2] : « إذا فحصت طرف وريقة صغيرة من وريقات العشب المائي الذي يسمى (الايلوديا) تحت العدسة الشيئية الكبرى للمجهر ، فسوف تلاحظ مظهرا من أكبر مظاهر الحياة انتظاما وأروعها جمالا ، فلكل خلية من خلاياها تركيب رائع ، ويبلغ سمك الورقة عند طرفيها طبقتين من الخلايا ، وتستطيع أن تحرك قصبة المجهر رفعا وخفضا حتى ترى كل خلية في خلايا هاتين الطبقتين على حدة ،

---

١ ـ ارجع إلى تفسير ابن جرير الطبري لمعرفة هذه الأقوال : ١/١٨٦ .

٢ ـ هو أخصائي علم الأحياء والنبات ، حصل على درجة الدكتوراه من جامعة منيسوتا ، استاذ في جامعة فرانكفورت بألمانيا ، وعضو الأكاديمية العلمية بانديانا ألف كثيرا من البحوث البيولوجية .

وتدرك أنها وحدة قائمة بذاتها ، كما يلوح أن كل خلية من هذه الخلايا تستطيع أن تؤدي جميع وظائف الحياة مستقلة عن غيرها من الخلايا الأخرى المشابهة لها . . »[1]

هذا النوع من الحياة موجود في الإنسان والحيوان ولا شك ، ويتحقق به النمو والاغتذاء ، ولكنه لا يجعل الجنين حيا في الاصطلاح الشرعي ، وقد أشرت من قبل إلى أن النصوص القرآنية لم تصف الإنسان بالحياة في مثل هذه الحال ، وقد تنبه علماؤنا إلى نوعية حياة الجنين قبل نفخ الروح فيه ، ومن هؤلاء العلامة ابن القيم ، يقول في كتابه (التبيان في أقسام القرآن) : « فإن قيل : الجنين قبل نفخ الروح فيه ، هل كان فيه حركة وإحساس أم لا ؟ . قيل فيه حركة النمو والاغتذاء كالنبات ، ولم تكن حركة نموه واغتذائه بالإرادة ، فلما نفخت انضمت حركة حسيته وإرادته إلى حركة نموه واغتذائه »[2] .

والأمهات الحوامل يفرقن بين حركة الجنين قبل نفخ الروح فيه وبعدها ، فقد استطاع الطب أيضا أن يرصد حركات الجنين في هذه الفترة التي حددتها النصوص ، يقول الدكتور محمد علي الباز : « في نهاية هذا الشهر (أي الشهر الرابع) يسمع الجنين . . الجنين يتحرك إراديا . . الجنين ترتسم على وجهه علامات الرضا أو الضيق . . في نهاية هذا الشهر يعرف جنس الجنين . . . . وتظهر ملامح شخصيته المنفردة المميزة عن بقية البشر ، أليست هذه كلها دلائل على نفخ الروح ؟![3] » .

متى تبدأ الحياة ومتى تنتهي ؟

سبق أن قلنا إن الحياة التي يصبح بها المرء إنسانا تتم بعد نفخ الروح في

---

١ ــ الله يتجلى في عصر العلم ، لجون كلوفر مونس ترجمة الدكتور الدمرداش سرحان ص ٧٣ .

٢ ــ التبيان بواسطة كتاب خلق الإنسان للدكتور محمد علي الباز : ص ١٨٩ .

٣ ــ خلق الإنسان بين الطب والقانون للدكتور محمد علي الباز : ص ١٩١ .

الجنين ، ونفخ الروح ليس أمرا مشاهدا منظورا ، وإن كانت آثار نفخ الروح يمكن إدراكها ، خاصة بعد تقدم العلوم التي ترصد نمو الجنين وحركته وحياته ، ولكن الرسول ﷺ بما أطلعه عليه العليم الخبير خالق الإنسان عرفنا بالزمن الذي تبدأ فيه الحياة في الجنين ، ففي الحديث الذي يرويه البخاري ومسلم عن أبي عبد الرحمن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه ، قال : حدثنا رسول الله ﷺ وهو الصادق المصدوق قال: «إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوما نطفة ، ثم يكون علقة مثل ذلك ، ثم يكون مضغة مثل ذلك ، ثم يرسل إليه الملك ، فينفخ فيه الروح . . . »[1]

ونفخ الروح في الإنسان فاصل بين حالتين في الخلق ، وقد صرح القرآن بذلك في قوله ﴿ ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة في قرار مكين ، ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما ، فكسونا العظام لحما ثم أنشأناه خلقا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين ﴾[2] .

فقد تحدثت الآيات عن أطوار خلق الجنين في رحم الأم ، وذكرت ثلاث مراحل : مرحلة النطف ، ومرحلة العلقة ، ومرحلة المضغة ، ثم خلق المضغة عظاما وكسوة هذه العظام باللحم ، وخلال هذه المراحل تبنى أجهزة الإنسان وتظهر معالمه الإنسانية ، ولكنه يكون فاقدا لأهم عنصر لا يكون إنسانا إلا به ، ألا وهو نفخ الروح ، فإذا نفخت فيه الروح أصبح خلقا آخر كما نصت على ذلك الآية الكريمة ﴿ ثم أنشأناه خلقا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين ﴾[3] ، واعتبر في هذا بآدم أبي البشر ، فقد خلقه الله من قبضة من طين ، وصوره وسواه ولكنه بعد

---

١ ــ صحيح البخاري ، انظر شرحه فتح الباري : ١١/٤٧٧ ، وانظر جامع العلوم والحكم ، لابن رجب : ص ٤٤ .

٢ ــ سورة المؤمنون : ١٢ ـ ١٤ .

٣ ــ سورة المؤمنون : ١٤ .

نفخ الروح فيه تحول إلى مخلوق آخر غير الطين ﴿ وإذ قال ربك للملائكة إني خالق بشرا من طين فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين ﴾[1] .

أما متى تنتهي الحياة فإنها تنتهي بنزع الروح ، فإن لكل إنسان أجله الذي قدر له ، فإذا جاء أجله فلا يتقدم ساعة ولا يتأخر ساعة ، وإذا حضر الأجل عرف ذلك منه ، وإذا نزعت الروح أدرك من حوله أنه قد مات ، فالفرق بين الأحياء والأموات معروف يستوي في معرفته العقلاء ، كما استووا في معرفة الفرق بين الأعمى والبصير ، والنور والظلام ، والحر والقر ، ﴿ وما يستوي الأعمى والبصير ولاالظلمات ولاالنور ولا الظل ولا الحرور وما يستوي الأحياء ولا الأموات . . ﴾[2] .

ـ ما الروح ؟ .

الروح جسم نوراني علوي خفيف حي لذاته متحرك ينفذ في الأعضاء ويسري فيها[3] ، والروح خلق من أمر الله ﴿ ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي ﴾[4] ، فلا يستطيع البشر التعرف على ماهيتها وكنهها وحقيقتها ، لأنها ليست من جنس العالم المشهود ، ولذلك لا يستطيعون إدخالها معامل التحليل ، ولا يستطيعون وضعها تحت المجهر ، ولكنهم يرون آثارها عندما تكون في الجسد ، ويحسون آثار مفارقتها للجسد .

---

١ ـ سورة ص : ٧٢ ـ ٧٣ .

٢ ـ سورة فاطر : ١٩ ـ ٢٢ .

٣ ـ أطلقت الروح في القرآن على الوحي المنزل من السماء (وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا) ، سورة الشورى : ٥٢ كما أطلقت على جبريل عليه السلام ، (فأرسلنا إليها روحنا فتمثل لها بشرا سويا) سورة مريم : ١٧ ، وكذلك على عيسى (إنما المسيح عيسى بن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه) سورة النساء : ١٧١ ، والمراد بها في بحثنا هو المعنى الذي ذكرناه في الأصل ، وحياة الروح اتصالها بالجسد ، وموتها مفارقة الجسد .

٤ ـ سورة الإسراء : ٨٥ .

إن الفقه والعقل والاستماع والإبصار والحركة الإرادية لا تتحقق إلا بالروح فإذا نزعت الروح بطل ذلك كله ، وقد خلق الله آدم جسدا ، ولكنه لم ينتفع بما خلقه الله فيه من سمع وبصر . . إلا بعد نفخ الروح فيه ، ﴿ ثم سواه ونفخ فيه من روحه ﴾[1] ، ﴿ فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين ﴾[2] وفي يوم القيامة عندما تعود الأرواح إلى الأجساد بعد النفخ في الصور يقوم الناس أحياء يبصرون ﴿ ثم نفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون ﴾[3] .

وقد ذهب كثير من الفلاسفة إلى أن الروح هي الحياة التي تصاحب الخلية الإنسانية الأولى ، وليست أمرا آخر خارجا عنها ، وهذا مذهب أرسطو طاليس ، فقد نقل عنه الشهر ستاني أن الروح حدثت مع حدوث البدن لا قبله ولا بعده[4] ، وقد تأثر كثير من العلماء المسلمين بمقالة الفلاسفة السابقين ، ومن هؤلاء المعتزلة .

وقد بين شيخ الإسلام ابن تيميه مذهب هؤلاء ، فقال : « ذهب أهل الكلام المبتدع المحدث بن الجهمية والمعتزلة إلى أن الروح هي الحياة القائمة بالبدن كالريح المترددة في البدن أو هي صفة من صفات البدن »[5] .

أما « مذهب الصحابة والتابعين لهم بإحسان وسائر أئمة المسلمين أن الروح التي تفارق البدن بالموت ليس جزءا من أجزاء البدن ، ولا صفة من صفاته »[6] .

والذي وجه سلفنا الصالح هذه الوجهة نصوص الكتاب والسنة ، فقد جاءت النصوص دالة على أن هذه الروح تنفخ في الجنين في الشهر الرابع ، كما

---

١ ــ سورة السجدة : ٩ .

٢ ــ سورة الحجر : ٢٩ .

٣ ــ سورةالزمر : ٦٨ .

٤ ــ الملل والنحل للشهر ستاني : ١٣٢/٢ .

٥ ــ رسالة العقل والروح ، لابن تيمية ، انظر مجموعة الرسائل المنيرية : ٢١/٢ .

٦ ــ المصدر السابق .

جاءت مخبرة إلى أنها تقبض وتنزع ، فقد حدثنا الله أنه وكل بعض ملائكته بقبض أرواح العباد ﴿ قل يتوفاكم ملك الموت الذي وكل بكم ﴾[1] ووصف لناالقرآن حالة الاحتضار والملائكة تنزع أرواح العباد ﴿ فلولا إذا بلغت الحلقوم وأنتم حينئذ تنظرون ونحن أقرب إليه منكم ولكن لا تبصرون فلولا إن كنتم غير مدينين ترجعونها إن كنتم صادقين ﴾[2] .

يقول القرطبي : « ﴿ فلولا إذا بلغت الحلقوم ﴾[3] أي فهلا إذا بلغت النفس أو الروح الحلقوم ، ولم يتقدم لها ذكر ، ولكن المعنى معروف »[4] . وقد وصف القرآن في آية أخرى هذه الحالة ، فقال : ﴿ إذا بلغت التراقي وقيل من راق وظن أنه الفراق والتفت الساق بالساق إلى ربك يومئذ المساق ﴾[5] .

يقول القرطبي : ﴿ كلا إذا بلغت التراقي ﴾ أي بلغت النفس أو الروح التراقي ، والتراقي جمع ترقوه ، وهي العظام المكتنفة لنقرةالنحر ، وهي مقدم الحلق من أعلى الصدر ، موضع الحشرجة »[6] .

وحدثنا القرآن في موضع ثالث عن نزع الملائكة لأرواح الظالمين ، ﴿ ولو ترى إذ الظالمون في غمرات الموت والملائكة باسطو أيديهم أخرجوا أنفسكم اليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تقولون على الله غير الحق وكنتم عن آياته تستكبرون ﴾[7] .

---

١ ـ سورة السجدة : ١١ .
٢ ـ سورةالواقعة : ٨٣ ـ ٨٧ .
٣ ـ سورة الواقعة : ٨٣ .
٤ ـ تفسير القرطبي : ١٧ / ٢٣٠ .
٥ ـ سورة القيامة : ٢٦ ـ ٣٠ .
٦ ـ تفسير القرطبي : ١٩ ـ ١١١ .
٧ ـ سورة الأنعام : ٩٣ .

واستدل ابن تيمية على أن الروح المفارقة للبدن شيء آخر غير البدن وغير الحياة القائمة بالبدن بأدلة كثيرة ، ومن ذلك الحديث الذي يرويه البخاري ومسلم ، والذي يقول الرسول ﷺ فيه لأصحابه لما ناموا عن الصلاة : « إن الله قبض أرواحكم حيث شاء وردها حيث شاء » ويقول بلال لرسول الله ﷺ : « يا رسول الله أخذ بنفسي الذي أخذ بنفسك وأورد قوله تعالى : ﴿ الله يتوفى الأنفس حين موتها والتي لم تمت في منامها فيمسك التي قضى عليها الموت ويرسل الأخرى إلى أجل مسمى ﴾[1] ، وأورد الحديث الذي ثبت في الصحيحين عن النبي ﷺ أنه كان يقول إذا نام « باسمك ربي وضعت جنبي وبك أرفعه ، إن أمسكت نفسي فاغفر لها وارحمها وإن أرسلتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين » ، واستدل أيضا بما ثبت في صحيح البخاري : « إن الشهداء جعل الله أرواحهم في حواصل طير خضر تسرح في رياض الجنة ثم تأوي إلى قناديل معلقة بالعرش » .

واستدل أيضا بما ثبت بأسانيد صحيحة : « أن الإنسان إذا قبضت روحه فتقول الملائكة اخرجي أيتها النفس الطيبة كانت في الجسد الطيب اخرجي راضية مرضيا عنك ، ويقال : اخرجي أيتها النفس الخبيثة كانت تسكن في الجسد الخبيث ، اخرجي ساخطة مسخوطا عليك » وأورد الحديث الصحيح الذي رواه مسلم وغيره : « إن الروح إذا قبض تبعه البصر » .

وقد عقب على هذه النصوص قائلا : « فقد سمي المقبوض وقت النوم روحا ونفسا ، وسمي المعروج به إلى السماء روحا ونفسا ، لكن تسمى نفسا باعتبار تدبيره للبدن ، وتسمى روحا باعتبار لطفه ، فإن لفظ (الروح) يقتضي اللطف »[2] .

---

١ ــ سورة الزمر : ٤٢ .

٢ ــ رسالة العقل والروح لابن تيمية : مطبوعة ضمن مجموعة الرسائل المنيرة : ٢/ ٣٧ .

وبين الشيخ ابن تيمية رحمه الله أن الروح والنفس يعبر بهما عن عدة معان غير المعنى الذي سبق ذكره ، « فيراد بالروح الهواء الخارج من البدن والهواء الداخل فيه ، ويراد بالروح البخار الخارج من تجويف القلب من سويداه الساري في العروق ، وهو الذي تسميه الأطباء في عصره بالروح ، فهذان المعنيان غير الروح التي تفارق بالموت التي هي نفسه وبين الشيخ أنه قد يراد بنفس الشيء ذاته وعينه ، وهذا كثير في كتاب الله كقوله تعالى : ﴿ قوا أنفسكم وأهليكم نارا ﴾[1] ، وقوله : ﴿ كتب على نفسه الرحمة ﴾[2] وهذا غير معنى النفس الذي هو بمعنى الروح »[3] .

وعرّج الشيخ ابن تيمية ـ رحمه الله تعالى ـ على ما ذكره القرآن من أن النفوس ثلاثة : النفس الأمارة بالسوء ، والنفس اللوامة ، والنفس المطمئنة ، وبين أن هذه صفات وأحوال لذات واحدة ، فالنفس الإنسانية نفس واحدة ، فإذاغلب عليها اتباع الهوى بفعل المعاصي فهي الأمارة بالسوء ، وإذا كانت تذنب فتلوم صاحبها حتى يتوب فهي اللوامة ، فإذاكانت محبة للخير مبغضة للشر بحيث أصبح ذلك خلقا وسجية لها فهي المطمئنة[4] .

وأجاب الشيخ عن قول سائله « هل للروح كيفية » ؟ فبين أن هذا سؤال مجمل فإن أراد السائل أن الروح يمكن أن تعلم صفاتها وأحوالها ، فالجواب : أن هذا مما يعلم ، وإن أراد أنها من جنس ما نشاهده من الأجسام ، فالجواب أن الروح ليست كذلك ، فإنها ليست من جنس العناصر المعروفة كالماء والهواء والنار والتراب ، ولا من جنس أبدان الحيوان والنبات والمعادن ، فليس لها نظير مشهود

---

١ ـ سورةالتحريم : ٦ .
٢ ـ سورةالأنعام : ١٢ .
٣ ـ انظر رسالة العقل والروح : ص ٢/ ٣٩ .
٤ ـ انظر رسالة العقل والروح مطبوعة ضمن مجموعة الرسائل المنيرية : ٢/ ٤١ .

ولا جنس معهود[1] .

وعرج الشيخ في إجابته على مسكن الروح من الجسد ، وبين أنه لا اختصاص للروح بشيء من الجسد ، بل هي سارية في الجسد كما تسري الحياة التي هي عرض في جميع الجسد ، فإن الحياة مشروطة بالروح ، فإذا كانت الروح في الجسد كانت فيه حياة ، وإذا فارقته الروح فارقته الحياة[2] .

والذي حققه الشيخ أن الروح التي هي النفس لها تعلق بالقلب والدماغ وأن مبدأ الفكر والنظر في الدماغ ومبدأ الإرادة في القلب[3] .

خلاصة القول في المسألة

يمكننا بعد ما قدمنا في بحثنا أن نخلص إلى النتيجة التالية : الإنسان في المصطلح القرآني يكون ميتا منذ أن يكون نطفة إلى أن تنفخ فيه الروح في نهاية الشهر الرابع ، ويستمر الإنسان حيا حتى تنزع منه الروح ، فإذا نزعت منه عاد ميتا ، والروح حسب المصطلح القرآني ليست صفة للجسد ، وإنما هي شيء آخر غير الجسد ، وليس لها مثيل فيما نعرفه من مخلوقات ، والحياة التي تكون في الجنين قبل نفخ الروح فيه ، والحياة التي تتلبس بها الأعضاء بعد نزع الروح من الجسد ليست هي الحياة في المصطلح القرآني ، ووجودها في الإنسان لا يخرج الإنسان عن كونه ميتا .

---

١ ــ انظر رسالة العقل والروح ، مطبوعة ضمن مجموعة الرسائل المنيرية ٤١/٢ .

٢ ــ انظر رسالة العقل والروح ، مطبوعة ضمن مجموعة الرسائل المنيرية ٤١/٢ .

٣ ــ انظر رسالة العقل والروح ، مطبوعة ضمن مجموعة الرسائل المنيرية : ٤٨/٢ .

كيف نتحقق من انتفاء الروح من الجسد ؟

كيف نتحقق من أن الروح ليست في الجسد ؟ أما في حالة الجنين فقد بينا أن الروح تنفخ في الجنين بعد تمام الأشهر الأربعة من بداية تلقيح البويضة كما ثبت ذلك في الحديث الذي رواه البخاري ومسلم .

وأما نزع الروح من الإنسان فإن هناك حالات كثيرة لا تخفى على أحد ، يحكم كل عاقل فيها على أن الإنسان أصبح ميتاً ، وهناك حالات أخرى قد يخفى الأمر فيها على الإنسان العادي ، بل قد يخفى على أهل الخبرة من الأطباء والعلماء ، ففي الحالات العادية ذكر العلماء أن للموت علامات لا تخفى : « وهي أن تسترخي قدماه ، وينفصل زنداه ، ويميل أنفه ، وتمتد جلدة وجهه ، وأن ينخسف صدغاه وتتقلص خصيتاه مع تدلي الجلدة »(١)، وكان العلماء في الحالات التي قد يخفى فيها أمر الموت يتأنون في تجهيز الميت ودفنه ، فالإمام الشافعي رحمه الله يرى : « أن من مات مصعوقاً ، أو غريقاً ، أو محروقاً ، أو خاف من سبع ، أو تردى من جبل ، أو في بئر ، فمات فلا يبادر به حتى يتحقق موته »(٢)، وقال الشافعي في مثل هذه الحالات : « يترك اليوم واليومين والثلاثة حتى يخشى فساده ، لئلا يكون مغمى عليه أو انطبق حلقه ، أو غلب المرار عليه »(٣)، قال الشيخ أبو حامد الغزالي : هذا الذي قاله الشافعي صحيح ، فاذا مات من هذه الأسباب أو أمثالها فلا يجوز أن يبادر به ، ويجب تركه والتأني به اليوم واليومين والثلاثة لئلا يكون مغمى عليه ، أو غيره مما قاله الشافعي ولا يجوز دفنه حتى يتحقق موته(٤).

---

(١) المجموع شرح المهذب للنووي : ١٢٥/٥ .

(٢) المجموع شرح المهذب للنووي : ١٢٥/٥ .

(٣) المجموع شرح المهذب للنووي : ١٢٥/٥ .

(٤) المجموع شرح المهذب للنووي : ١٢٥/٥ .

وقد ذكر الرسول ﷺ علامة ظاهرة ، ففي الحديث الذي يرويه مسلم في صحيحه : « المؤمن اذا مات شخص بصره »[1].

ومع تقدم العلم أصبحنا أكثر قدرة على الحكم بالموت في الحالات التي كان يشتبه الأمر فيها على الناس في الماضي .

ما تساءل عنه الأطبـــاء

أما الحالة التي تساءل عنها الأطباء ، وهي حالة الإنسان الذي مات دماغه ولكن قلبه لا يزال يخفق وكذلك بعض أجهزة البدن الأخرى ، فهذه الحالة مشكلة ولا شك ، وتحتاج إلى مزيد من النظر والتأمل ، ولا شك أن المرء إذا توقف قلبه تماماً فإنه ميت ، ولو كان بعض أجهزته الأخرى كالكليتين لا يزال يعمل ، أما إذا كان القلب يعمل فإن كان يعمل بذاتيته بغير أجهزة فالحكم في نظري كذلك ، أما إذا كان عمله إنما هو بسبب الأجهزة الموصولة به ، ولو رفعت هذه الأجهزة فإن عمله يتوقف فهذا يعد ميتاً في هذه الحالة ، وهنا سؤال نحتاج إلى الإجابة عليه من قبل الأطباء لمزيد من تبين الحكم : هل يمكن أن يموت الدماغ ويبقى القلب يعمل أياماً أو ساعات أو دقائق ، أم أن موت الدماغ موت للقلب ؟ في نظري كما سبق وبينت أن الموت يتحقق بمفارقة الروح الجسد ، وإذا كان الإنسان ينظر ويسمع ويتحرك فالروح لا تزال باقية ، فاذا زالت الروح زال النظر والاستماع والحركة ، وللروح تعلق بالقلب والدماغ ، ومقتضى النصوص أن الروح تكون في الصدور ، وتبلغ التراقي كما تبلغ الحلقوم ، فهل يمكن أن تفارق الروح الدماغ وهي لا تزال متصلة بالقلب ، أم زوال اتصالها بالدماغ يعني إنقطاع صلتها بالقلب ، هذا يحتاج إلى إجابة من المختصين . أما في حالة توقف القلب والدماغ تماماً فهذا يعني أن الروح

(١) صحيح مسلم ، كتاب الجنائز ، حديث رقم ٩ .

قد نزعت والحياة قد همدت ، وإن كانت أجهزة الجسم الأخرى لا تزال فيها تلك الحياة التي كانت في الجنين قبل أن تنفخ الروح فيه[1] .

حكم الاعتداء على الجنين قبل نفخ الروح فيه

قد يظن بعض الأطباء والباحثين أن القول بأن الجنين ميت قبل نفخ الروح فيه يسهل على الناس أمر الاعتداء على الجنين بالإجهاض ، وقد سبق أن بحثت هذه المسألة في ندوة الإنجاب في ضوء الإسلام ، وقد تبين فعلاً أن المذهب المعتمد عند الحنابلة إباحة الإجهاض بدواء مباح قبل أن يتم الجنين أربعة أشهر في الرحم ، وحجتهم فيما ذهبوا إليه أن الجنين في هذه الحال ميت ، ومذهب الشافعية إباحة ذلك ما لم يتخلق ، فإن تخلق حرم ، وفي ظني أن هذين الفريقين لم يحسنا الاستدلال على المسألة المعروضة للبحث ، والسؤال الذي تحدد إجابته حكم المسألة هو : هل أذن الله لنا بالاعتداء على الجنين قبل مرحلة التخلق أو قبل مرحلة نفخ الروح ؟ إذن مناط الحكم ليس كون الجنين ميتا ، أو كونه متخلقاً ، بل مناط الحكم الإذن أو عدم الإذن ، وإذا عدنا إلى النصوص وجدنا أن الرسول ﷺ حكم على من أسقط الجنين بنوع من الاعتداء بديّة ، ومقدار هذه الديّة غُرَّة : عبد أو أمة ، ففي صحيح البخاري ومسلم عن أبي هريرة قال : « قضى رسول الله ﷺ في جنين امرأة من بني لحيان سقط ميتا بغرَّة : عبد أو أمة »[2] وفي الصحيحين أيضا أن عمر بن الخطاب استشار الصحابة في املاص المرأة ، فقال المغيرة : « قضى النبي ﷺ فيه بالغرة : عبد أو أمة » فشهد محمد بن مسلمة أنه شهد النبي ﷺ قضى به[2] ، والأب والأم في تحريم التسبب في إسقاط الجنين كغيرهما ، ولا يباح لهما التسبب في

---

(١) يجزم الأطباء - اليوم - على أن موت جذع الدماغ يعتبر موتا للإنسان ، وهذا واضح في الأبحاث التي قدمها السادة الأطباء .

(٢) نيل الأوطار : ٧٢/٧ .

ذلك إلا في حال الضرورة التي تستدعي الإسقاط حفاظاً على حياة الأم بشهادة أطباء عدول .

وقد سئل شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى عن حكم رجل قال لزوجته : أسقطي ما في بطنك والإثم علي ، فأجاب : « إن فعلت ذلك فعليها كفارة عتق رقبة مؤمنة ، فإن لم يجدا فصيام شهرين متتابعين ، وعليها غرة عبد أو أمة لوارثه الذي لم يقتله ، لا للأب ، فان الأب هو الآمر بقتله ، فلا يستحق شيئاً »(1) .

وسئل شيخ الإسلام أيضاً عن رجل وطيء جارتيه فحملت منه ، فاستعمل كثيراً من الوسائل كالضرب والأدوية والسموم ، حتى أسقطت فأجاب :

« إسقاط الحمل حرام بإجماع المسلمين ، وهو من الوأد الذي قال الله فيه : ﴿ وإذا المؤودة سئلت بأي ذنب قتلت ﴾(2) وقد قال : ﴿ ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق ﴾(3) ولو قدر أن الشخص أسقط الحمل خطأ مثل أن يضرب المرأة خطأ فتسقط ، فعليه غرة : عبد أو أمة ، بنص النبي ﷺ واتفاق الأئمة ، وتكون قيمة الغرة بقدر عشر دية الأم عند جمهور العلماء : كمالك والشافعي ، وأحمد . كذلك عليه « كفارة القتل » عند جمهور الفقهاء ، وهو المذكور في قوله تعالى : ﴿ ومن قتل مؤمنا خطأ فتحرير رقبة مؤمنة ودية مسلمة إلى أهله إلا أن يصدقوا ﴾(4) ، إلى قوله : ﴿ فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين ﴾(5) وأما إذا تعمد الإسقاط فإنه يعاقب على ذلك عقوبة تردعه عن ذلك ، وذلك مما يقدح في

(1) مجموع فتاوي شيخ الإسلام ابن تيمية : ١٥٩/٣٤ .
(2) سورة التكوير : ٨.
(3) سورة الإسراء : ٣١
(4) سورةالنساء : ٩٢ .
(5) سورة النساء : ٩٢ .

دينه وعدالته »[1] .

وأجاب عن سؤال وجه إليه عن حكم امرأة حامل تعمدت إسقاط الجنين إما بضرب وإما بشرب دواء ، فما يجب عليها ؟ فأجاب : « يجب عليها بسنة رسول الله ﷺ واتفاق الأئمة غرة : عبد أو أمة ، تكون هذه الغرة لورثة الجنين ، غير أمه ، فإن كان له أب كانت الغرة لأبيه ، فإن أحب أن يسقط عن المرأة فله ذلك ، وتكون قيمة الغرة عشر دية ، أو خمسين دينار ، وعليها أيضا عند أكثر العلماء عتق رقبة ، فإن لم تجد صامت شهرين متتابعين فإن لم تستطع أطعمت ستين مسكينا[2] وتعرض ابن رجب الحنبلي لهذه المسألة فقال : « وقد رخص طائفة من الفقهاء للمرأة في إسقاط ما في بطنها مالم ينفخ فيه الروح ، وجعلوه كالعزل ، وهو قول ضعيف ، لأن الجنين ولد انعقد وربما تصور ، وفي العزل لم يوجد ولد بالكلية ، وإنما تسبب إلى منع انعقاده ، وقد لا يمتنع انعقاده بالعزل إذا أراد الله خلقه . . . ، وقد صرح أصحابنا (الحنابلة) بأنه إذا صار الولد علقة لم يجز للمرأة إسقاطه لأنه ولد انعقد بخلاف النطفة فإنها لم تنعقد بعد ، وقد لا تنعقد ولدا »[3] وإلى تحريم إسقاط الجنين على الأبوين وعلى غيرهما ذهبت المالكية ففي شرح الدردير مع حاشية الدسوقي : « لا يجوز إخراج المني المتكون في الرحم ، ولو قبل الأربعين يوما ، وإذا نفخ فيه الروح حرم إجماعا »[4] وعلق الدسوقي في الحاشية قائلا : « هذا هو المعتمد ، وقيل يكره قبل الأربعين »[5] وقوله : هذا هو المعتمد أي عند المالكية ، وقوله : « قيل يكره » بصيغة التمريض إشارة منه إلى أن هذا قول ضعيف في المذهب .

---

(١) مجموع فتاوي شيخ الاسلام : ٣٤/١٦٠ .

(٢) مجموع فتاوي شيخ الاسلام : ٣٤/١٦١ .

(٣) جامع العلوم والحكم لابن رجب : ص ٤٦ .

(٤) شرح الدردير : ٢/٢٣٧ .

(٥) شرح الدردير مع حاشية الدسوقي : ٢/٢٣٧ .

وإلى التحريم مطلقا جنح ابن الجوزي من الحنابلة[1] ، وكذلك الغـزالي ذهب هذا المذهب ، فقال : « وأول الوجود أن تقع النطفة في الرحم وتختلط بماء المرأة وتستعد لقبول الحياة ، وإفساد ذلك جناية ، فإن صارت مضغة وعلقة كانت الجناية أفحش ، وإن نفخ فيه الروح واستوت الخلقة ازدادت الجناية فحشا . . [2]

يقول البوطي موضحا مذهب الغزالي : « ومناط حرمـة الإسقاط في نـظر الغزالي ليس دخول النطفة في أول أطوار التخلق ، وإنما هو تكامل استعداد النطفة للاتجاه إلى التخلق والتحول إلى كائن بشري ، وإنما يتكامل هذا الاستعداد عند تلاقي ماء الرجل والمرأة أي عند تـلاقح بـويضتهما . . . فمن أجـل ذلك كـان الاعتداء على تلك النطفة بالإسقاط قطعا لسبيل الحياة في نظره ، وعدوانا على كائن بشري موجود حكما »[3]

انتهاك حرمة الميت

في خاتمة البحث أحب أن أركز على نقطة مهمة ، ألا وهي حرمة الميت فالميت في الشريعة الإسلامية له حرمة كبيرة ، ولذلك أمرنا بتغسيله وتكفينه والصلاة عليه ودفنه ، ونهينا عن التمثيل بالأمـوات ولو كـانوا كفـارا ، ونهينا عن إيـذاء الميت المؤمن ، ففي الحديث الصحيح « كسر عظم الميت ككسر عظم الحي » ، وقد قال الشيخ ناصر الدين الألباني في تخريجه : صحيح أخرجه أبو داود والترمذي وابن ماجه والطحاوي والدار قطني والبيهقي وأحمد » ، وذكر أن في رواية الدار قطني زيادة : « في الإثم » ، فتكون الرواية هكذا : « كسر عظم الميت ككسر عظم الحي

---

(1) الانصاف ، للمرادوي : ١/٣٨٦ .

(2) احياء علوم الدين : ٢/٥١

(3) مسألة تحديد النسل : لمحمد سعيد رمضان البوطي : ص ٧٦ .

في الإثم » ، وهذه الرواية صحيحة ثابتة على ما حققه الشيخ ،[1] ولا فرق بين كسر عظم الميت وبين قطع شيء من أطرافه أو إتلافها ، ولهذا جاء في كتب الحنابلة : « ويحرم قطع شيء من أطراف الميت ، وإتلاف ذاته ، وإحراقه ولو أوصى به » ،[2] ولذلك جزم ابن حجر الهيتمي بأن فعل ذلك بالميت من الكبائر ، وعلل ذلك قائلا : « لما علمت من الحديث أنه ككسر عظم الحي »[3] .

وتعظيما لحرمة الميت جاءت الأحاديث ناهية عن القعود على القبر ، والنهي ثابت في الحديث الذي رواه مسلم في صحيحه وأبو داود والنسائي والترمذي وغيرهم ،[4] بل إن الرسول ﷺ أمر في بعض الأحوال بعض أصحابه بخلع نعالهم إذا مشوا بين القبور ، والحديث في ذلك صحيح ثابت رواه البخاري في الأدب المفرد وأبو داود والحاكم وغيرهم ، وصحح الشيخ ناصر الدين الألباني إسناده[5] .

ومما يدل على حرمة الميت وعدم جواز هتك هذه الحرمة أن الحنابلة والمالكية ذهبوا إلى عدم جواز شق بطن الحامل إذا ماتت ولو رأينا الولد يضطرب في بطنها معللين مذهبهم « أنه هتك حرمة متيقنة لابقاء حياة موهومة . . »[6] والحق مع الذين قالوا بجواز شق البطن لإخراج الجنين بل بوجوبه ، وإنما سقت قول القائلين بالمنع لأبين إلى أي مدى حافظ العلماء على حرمة الأموات .

---

(١) انظر إرواء الغليل : ٣/٢١٤ .

(٢) كشاف القناع : ٢/١٢٧ .

(٣) الزواجر عن اقتراف الكبائر : ١/١٦٥ .

(٤) انظر إرواء الغليل : ٣/٢٠٧ .

(٥) انظر إرواء الغليل : ٣/٢١١ .

(٦) المبدع شرح المقنع : ٢/٢٢٧ وراجع في هذه المسألة : المغني لابن قدامة : ٢/٥٥١ .

مراجع البحث

١ ـ أحكام الجنائز ، الشيخ ناصر الدين الألباني ، طبعة المكتب الإسلامي ـ بيروت ودمشق ، الطبعة الأولى ١٣٨٨هـ ١٩٦٩م .

٢ ـ إحياء علوم الدين للغزالي ، طبعة مكتبة ومطبعة المشهد الحسيني ـ القاهرة .

٣ ـ إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل ، طبعة المكتب الإسلامي ـ بيروت الطبعة الأولى ١٣٩٩هـ ١٩٧٩م .

٤ ـ الله يتجلى في عصر العلم ، لجون كلوفرمونس ، ترجمة الدكتور / الدمرداش سرحان ، طبع عالم المعرفة ـ بيروت .

٥ ـ بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز ، لمجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي ، طبعة لجنة المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ـ القاهرة ١٣٨٩هـ ١٩٦٩م .

٦ ـ تفسير ابن كثير (تفسير القرآن العظيم) لعماد الدين أبي الفداء اسماعيل بن كثير القرش الدمشقي ـ طبعة دار الأندلس ـ بيروت .

٧ ـ تفسير الطبري (جامع البيان عن تأويل القرآن) لأبي جعفر : محمد بن جرير الطبري ، طبعة مصطفى الحلبي ـ القاهرة ، الطبعة الثانية ١٣٧٣هـ ١٩٥٤م .

٨ ـ تفسير القرطبي : (الجامع لأحكام القرآن) لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي طبعة دار الكتاب العربي ـ القاهرة ١٣٨٧هـ ١٩٦٧م .

٩ ـ جامع العلوم والحكم ، لابن رجب ، طبعة دار المعرفة ـ بيروت .

١٠ ـ خلق الإنسان بين الطب والقانون ، لمحمد علي الباز ، طبعة الدار السعودية . للنشر ـ جده .

١١ ــ الزواجر عن اقتراف الكبائر ، لابن حجر الهيتمي ، طبعة دار المعرفة للطباعة والنشر ـ بيروت .
١٢ ــ صحيح البخاري ، متن فتح الباري ، طبعة السلفية .
١٣ ــ صحيح مسلم ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ، طبعة إحياء التراث ـ بيروت .
١٤ ــ لسان العرب ، لابن منظور ، إعداد وترتيب يوسف خياط ، ونديم مرعشلي ، طبعة دار لسان العرب ـ بيروت .
١٥ ــ المبدع في شرح المقنع لأبي إسحاق برهان الدين إبراهيم بن محمد بن مفلح الحنبلي ، طبعة المكتب الإسلامي ـ بيروت .
١٦ ــ مجموعة الرسائل المنيرية ، طبعة إدارة الطباعة المنيرية ـ القاهرة .
١٧ ــ المجموع شرح المهذب للنووي ، نشر المكتبة السلفية ـ المدينة المنورة .
١٨ ــ مجموع فتاوي شيخ الإسلام ابن تيميه ، جمع ابن قاسم ، طبعة المملكة العربية السعودية .
١٩ ــ مسألة تحديد النسل ، للدكتور محمد سعيد رمضان البوطي طبعة مكتبة الفارابي ـ بيروت ودمشق ، الثانية .
٢٠ ــ الملل والنحل لمحمد عبد الكريم الشهرستاني ، طبعة دار المعرفة بيروت ـ الطبعة الثانية .
٢١ ــ نيل الأوطار ـ للشوكاني ـ طبعة مصطفى البابى الحلبي ـ القاهرة .

الحياة بدايتها

للدكتور عبدالله محمد عبدالله

مستشار بمحكمة الإستئناف العليا الكويت

قضية الموت والحياة وما يتصل بهما كمسألتي الروح والنفس وقضية خلودهما أو فنائهما ومسمى الانسان هل هو الروح فقط أو البدن فقط أو مجموعهما ـ كل هذه المسائل والقضايا كانت موضع بحث ودراسة لدى سلفنا الصالح من العلماء والمتكلمين كما كانت موضع عناية غيرهم من الفلاسفة والحكماء منذ أقدم العصور ثم تلا هؤلاء وهؤلاء العلم الحديث بكل ما وصل إليه من تقدم علمي بهر العقول وأثار العجب والدهش وأتى بما لم يخطر على قلب أحد وأضحى الجسم الانساني أمام العلم الحديث ومخترعاته ووسائله المتقدمة كآلة إذا عطب منه جزء استبدل بآخر فسبحان مبدع الكون منشئه وميسر الأسباب ويجريها على يد من شاء من عباده مصداقا لقوله ﴿ سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق ، أو لم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد ﴾[1] .

وسنجعل البحث في هذه النقاط على قدر ما يسمح به الوقت فنقول :ـ

الروح معناها ودلالاتها :ـ

وردت هذه الكلمة لعدة معان :[2]

---

١ ـ سورة فصلة آية ٥٣ .

٢ ـ تأويل مشكل القرآن لابن قتيبه ص ٢٧٠ ـ ٢٧٢ ، والاشباه والنظائر في القرآن الكريم لمقاتل بن سليمان البلخي ص ١٦١ ـ ١٦٢ .

الأول : روح الأجسام الذي يقبضه الله عند الممات .

الثاني : جبريل عليه السلام فذلك قوله ﴿ وأيدناه بروح القدس ﴾[1] أي جبريل .

الثالث : ملك عظيم من ملائكة الله يقوم وحده فيكون صفا وتقوم الملائكة صفا وهو حافظ على الملائكة فذلك قوله ﴿ يوم يقوم الروح والملائكة صفا ﴾[2] وقالوا أن سؤال بني اسرائيل رسول الله ﷺ كان عنه في قوله ﴿ ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي ﴾[3] .

الرابع : الروح بمعنى النفخ سمي روحا لأنه ريح تخرج عن الروح . قال ذو الرومة وذكر نارا قدحها .

فلما بدت كفلتها وهي طفلة ... بطلساء لم تكمل ذراعا ولا شبرا
وقلت له ارفعها إليك وأحيها ... بروحك واقتته لها قيتة قدرا
وظاهر لها من يابس الشخت واستعن ... عليها الصبا واجعل يديك لها سترا

قوله : أحيها بروحك ـ أي أحيها بنفخك .

الخامس : الروح الوحي وهو كلام الله وسمي روحا لأنه حياة من الجهل وموت من الكفر ـ قال : ﴿ يلقي الروح من أمره على من يشاء ﴾[4] وقال ﴿ وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا ﴾[5] .

---

١ ــ سورة البقرة آية ٢٥٣ .
٢ ــ سورة النبأ ٣٨ .
٣ ــ سورة الإسراء ٨٥ .
٤ ــ سورة غافر آية ١٥ .
٥ ــ سورة الشورى ٥٢ .

السـادس : المسيح روح الله لأنـه نفخـه جبـريـل في درع مـريم ونسب الروح إلى الله لأنه بأمره كـان يقول الله ﴿ فنفخنـا فيها من روحنـا ﴾[1] يعني نفخة جبريل .

السـابع : ورحمـة الله روح قال تعـالى ﴿ وأيـدهم بـروح منـه ﴾[2] أي بـرحمة فهـذه جملة المعاني للروح والـظاهر أن بعض هـذه المعـاني متقـاربـة كـما سيـظهر خـلال البحث فبين المعنى الأول والـرابع والسـادس وجـه شبـه وبينهـا وبين الخامس مناسبة وهـذا الأخير يتضمن حيـاة معنويـة من موت معنـوي قال الامـام القرطبي وسمـاه أي القرآن روحـا لأن فيـه حيـاة من مـوت الجهـل[3] وذهب فـريق من المفسرين إلى أن السؤال في قـولـه تعـالى ﴿ ويسـألـونـك عن الـروح ﴾ كان عن القـرآن ﴿ قـل الـروح من أمـر ربي ﴾ أي سيسئلونـك من أين لـك هذا القـرآن . قل أنـه من أمر الله أنـزله عـلي معجـزا . وعـلى هـذا يكـون الجـواب مـطابقـا للسؤال . وذهب أكثـرهم إلى أن السؤال كـان عن الروح الذي يكون به حياة الجسد وقال أهل النـظر منهم إنما سـألوه عن كيفيـة الـروح ومسلكه في بـدن الانسان وكيف امتـزاجه بـالجسم واتصال الحيـاة به ، وهـذا شيء لا يعلمـه إلا الله عـز وجـل فكـان الـرد عليهم بـالإبهـام ﴿ قـل الروح من أمر ربي ﴾أي هـو المنفرد بخلق الـروح والعالم بسـره لا يدركـه أحد من الناس ليعرف الانسان على القـطع عجزه عن علم حقيقـة نفسه مـع العلم بوجودها وإذ كان الإنسان في معرفـة نفسه هكـذا كان عجـزه عن إدراك حقيقة الحق جل وعز أولى وحكمة ذلك تعجيز العقل عن إدراك معـرفة مخلوق مجـاور له دلالة على أنه عن إدراك خالقه أعجز .[4]

---

١ ـــ سورة الأنبياء ٩١ .

٢ ـــ سورة المجادلة ٢٢ .

٣ — تفسير القرطبي ج /١٦ ص ٥٤ ، ٥٥ .

٤ — تفسير القرطبي ح /١٠ ص ٣٢٤ .

ويفرق الجرجاني بين ثلاثة أنواع منها ويطلق على كل منها اسما خاصا وهو الروح الإنساني والروح الحيواني والروح الأعظم فالروح الإنساني عنده هو اللطيفة العالمة المدركة من الإنسان الراكبة على الروح الحيواني نازل من عالم الأمر تعجز العقول عن إدراك كنهه . وتلك الروح قد تكون مجردة وتكون منطبقة في البدن . والروح الحيواني جسم لطيف منبعه تجويف القلب الجسماني وينتشر بواسطة العروق الضوارب إلى سائر أجزاء البدن(١) .

النفس معناها ودلالاتها وعلاقتها بالروح :

وردت هذه الكلمة أيضا لعدة معان تلتقي في بعضها مع الروح ومن هذه المعاني الذات قال تعالى ﴿ فسلموا على أنفسكم ﴾ وقوله تعالى ﴿ يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها ﴾ مالا نفس له سائلة لا ينجس الماء ، ومنها الأنفة ومنها العقوبة وهي المرادة في قوله تعالى ﴿ ويحذركم الله نفسه ﴾ أي عقوبته .

علاقة النفس بالروح :

ذهب الجمهور من العلماء إلى أن النفس والروح شيء واحد . وذهب أهل الحديث والفقه والتصوف إلى أنهما متغايران وذهب آخرون من أهل الأثر إلى أن الروح غير النفس والنفس غير الروح وقوام النفس بالروح ، والنفس صورة العبد ، والنفس لا تريد إلا الدنيا والروح تدعو إلى الآخرة .

واستدل القائلون باتحاد مسمى النفس والروح من اللغة يقال : خرجت نفسه ـ أي روحه قال أبو خراش

---

١ ـ التعريفات ص ٩٩ ، ١٠٠ .

نجـا سـالمـا والنفس منه بشـرقـة   ولم ينـج إلا جفـن سـيف ومئـزر

ويقـول ابن القيم الـروح التي تتـوفى وتقبض هي روح واحـدة وهي النفس[1] .

أوجه الفرق بين النفس والروح :

النفس تطلق على الذات بجملتها كما سبق بيانـه وأمثلته ، وتـطلق على الـروح وحدهـا كما في قـوله تعـالى : ﴿ يا أيتهـا النفس المطمئنـة ﴾[2] وقـولـه تعـالى : ﴿ أخـرجـوا أنفسكم ﴾[3] وقـولـه تعـالى ﴿ ونهى الـنفس عـن الهوى ﴾[4] وقوله تعالى ﴿ إن النفس لأمارة بالسوء ﴾[5] أما الـروح فلا يـطلق عـلى البـدن بـانفـراده ولا مـع النفس ، فـالفـرق بـين النفس والـروح فـرق بالصفات لا فرق بالذات .

وجه تسميتها :

يسمى الـروح روحا لأن بـه حياة البـدن وسميت النفس روحا لحصـول الحيـاة بها ، وسميت نفسـا إما من الشيء النفيس لنفـاستها وشـرفها وإمـا من تنفس الشيء إذا خرج ـ فلكثرة خروجها ودخولها في البـدن سميت نفسا ومنـه النَفَس (بالتحريك) فإن الإنسان كلما نام خـرجت منه ، فـإذا استيقظ رجعت إليه ، فإذا مات خرجت خروجا كليـا . وسمي الدم نفسـا لأن خروجـه الذي

---

١ ـ كتاب الروح لابن القيم ص ٣٥١ .
٢ ـ سورة الفجر .
٣ ـ سورة الأنعام ٩٣ .
٤ ـ سورة النازعات
٥ ـ سورة يوسف ٥٢ .

يكـون معـه المـوت يـلازم خـروج النفس ، وإن الحيـاة لا تتم بـه كـما تتم إلا بالنفس فلهذا قال

تسيـل عـلى حـد الـظبـاة نفـوسنـا وليست عـلى غـير الـظبـاة تسيـل

ويقـال فاضت نفسـه ، وخرجت نفسـه ، وفارقت نفسـه ، كما يقـال : خـرجت روحه وفـارقت . ولكن الفيض الاندفـاع وهلة واحدة ومنـه الإفاضـة وهي الاندفاع بكثـرة وسرعـة لكن أفاض إذا وقـع باختيـاره وإرادته ، وفـاض إذا اندفع قسـرا وقهرا ، فـالله سبحانـه هو الـذي يفضيها عنـد الموت فتفيض هي[1] .

مكان الروح من البدن :

هذه المسألـة مؤصلة على مسـألة مسمى الإنسـان هل هـو الروح فقط أو البدن فقط أو مجموعهـما : يقول الـرازي ومن نحا نحـوه : الإنسان عبـارة عن جسم مخصـوص موجـود في داخل هـذا البدن ولكنهم اختلفـوا في تعيـين هـذا الجسم على أقوال :ـ

الأول : أنه عبارة عن الأخلاط الأربعة التي منها يتولد البدن .

الثاني : أنه الدم .

الثـالث : أنه الـروح اللطيف الذي يتـولد في الجـانب الأيسر من القلب وينفذ في الشريانات إلى سائر الأعضاء .

الـرابـع : أنـه الـروح الـذي يصعـد في القلب إلى الـدمـاغ ويتكيف بالكيفية الصالحة لقبول قوةالحفظ والفكرة والذكر .

---

١ ــ كتاب الروح لابن القيم ص ٣٤٨ .

الخامس : أنه جزء لا يتجزأ من القلب .

السادس : أنه جسم مخالف بالماهية لهذا الجسم المحسوس وهو جسم نوراني علوي خفيف حي متحرك ينفذ في جوهر الأعضاء ويسري فيها سريان الماء في ا لورد وسريان الدهن في الزيتون والنار في الفحم فما دامت الأعضاء صالحة لقبول الآثار الفائضة عليها من هذا الجسم اللطيف بقي ذلك الجسم اللطيف مشابكا لهذه الأعضاء وأفادها هذه الآثار من الحس والحركة الإرادية وإذا فسدت هذه الأعضاء بسبب استيلاء الأخلاط الغليظة عليها وخرجت عن قبول تلك الآثار فارق الروح البدن وانفصل إلى عالم الأرواح[1] وهذا الرأي هو الذي انتصر له ابن القيم وقال عنه « هو الصواب في المشكلة وعليه دل الكتاب والسنة وإجماع الصحابة وأدلة العقل والفطرة وراح يسرد الأدلة عليه .

الحياة معناها ، أطوارها ، علاقتها بالروح

من آثار قدرة الله عز وجل الباهرة في ملكه خلق الموت والحياة كما قال عز وجل : ﴿ تبارك الذي بيده الملك وهو على كل شيء قدير ، الذي خلق الموت والحياة ﴾ الآية[2] والمراد بالحياة في الآية حياة الانسان الدنيوية التي قبل موته ، وحياته الأخروية بالبعث بعد موته فحياته الدنيوية هي القوة التي وهبها الله تعالى له وجعلها مصدر العقل والعلم والعمل وحياته الأخروية هي القوة التي يعطيه الله تعالى إياها بالبعث فيبقى بقاء أبديا فإذا كان محسنا كانت حياته طيبة ، وإن كان مسيئا فقد ظلم نفسه ولا يظلم ربك أحدا .

---

١ ـ الروح لابن القيم ص ٢٩٠ .

٢ ـ سورة الملك ١ ، ٢ .

وهذه الحياة الأخروية وسيلتها التي يتوسل بها إليها هي الحياة الدنيوية التي هي قوة العقل والعلم والعمل وذلك كما في قول العاصي يوم القيامة ﴿ يليتني قدمت لحياتي ﴾[1] والحياة الكاملة المجردة عن الشوائب والنقائص صفة من صفات الله عز وجل ويعرفها علماء الكلام : بأنها صفة وجودية قديمة قائمة بذاته تعالى تصحح له الإدراك أي يتصف بصفات الإدراك التي هي العلم والسمع والبصر وغيرها من سائر الصفات كالقدرة والإرادة[2] وصفة الحياة وإن كانت تطلق على الواجب والممكن إلا أنها في الواجب سبحانه وتعالى أكمل أما الحياة التي تطلق على المخلوقين فهي حياة حادثة منغصة لا تسلم من الشوائب .

الحياة والروح :

الحياة الحادثة قد توجد ولا يوجد معها الروح وللعلماء في ذلك وجهان :

الاول لعلماء علماء الكلام والآخر للفقهاء وخاصةالمشتغلين منهم في علوم الطب :ـ

أما مأخذ علماء الكلام فإنهم يوجهون قولهم عدم التلازم بين الحياة الحادثة والروح بأن الحياة قد توجد ولا توجد معها الروح وقالوا أن الله خلق الحياة في كثير من الجمادات معجزة أو كرامة كالشجر الذي سلم على رسول الله ﷺ والحصى الذي سبح في كفه عليه الصلاة والسلام[3] .

---

١ ـ سورة الفجر ـ ٢٤ .

٢ ـ حاشية البيجوري على متن السنوسية ص ٢٣ .

٣ ـ المصدر السابق .

أما مأخذ الفقهاء ممن نظروا جانبا من علم الطب كابن القيم ويعتبر من الأطباء المتفقين فإنه يوجه هذه المسألة وهي عدم التلازم بين الحياة والروح ولو أردنا أن نستعير لكلامه الذي سننقله بعد قليل بعض التعبيرات الحديثة لأمكن القول بأن الحياة القائمة في الحيوان المنوي وفي البويضة حياة لا روح فيها وأن يعد التقائهما والتحامهما وتكوّن خلية واحدة منهما تكون أيضا حياتها مجردة من الروح والروح تكون بواسطة نفخ الملك فتكون النفخة هي سبب حصول الروح وحدوثها فيه يقول ابن القيم : « وإنما يرسل الله سبحانه إليه الملك فينفخ فيه نفخة تحدث له الروح بواسطة تلك النفخة فتكون النفخة هي سبب حصول الروح وحدوثها له كما كان الوطء والإنزال سبب تكوين جسمه والغذاء سبب نموه ، فمادة الروح من نفخة الملك ومادة الجسم من صب الماء في الرحم ، فهذه مادة سماوية ، وهذه مادة أرضية »[1] .

نفخ الروح وقته وأنواعه :ـ

عالجت النصوص من السنة وقت نفخ الروح بالبيان الجلي الواضح وقد أورد الإمام ابن القيم في كتابه شفاء العليل[2] الروايات المختلفة للأحاديث النبوية وبسطها كلها ثم قام بالتوفيق بين هذه الروايات وأزال التعارض والإختلافات التي تظهر لدى النظرة الأولى وسنقتصر على أيراد كلامه الأخير في التوفيق بين تلك النصوص ونضرب عن ذكرها صفحا اقتصاراً لأن في هذا الكلام الأخير ما يغني عن سرد تلك النصوص . قال رحمه الله : « ففي حديث ابن مسعود أن هذا التقدير يقع بعد مائة وعشرين يوما من حصول النطفة في الرحم . وحديث أنس غير مؤقت ، أما حديث

---

(١) كتاب الروح لابن القيم صفحة ٣٨ .

(٢) كتاب شفاء العليل لابن القيم صفحة ٣٨ ـ ٤١ .

حذيفة بن أسيد فقد وقف فيه التقدير بأربعين يوما وفي لفظ بأربعين ليلة وفي لفظ اثنين وأربعين ليلة . وفي لفظ بثلاث وأربعين ليلة » ثم قال « وكثير من الناس يظن أن التعارض بين الحديثين ولا تعارض بينهما بحمد الله وأن الملك الموكل بالنطفة يكتب ما يقدره الله سبحانه على رأس الأربعين الأولى حتى يأخذ في الطور الثاني وهو العلقة ، وأما الملك الذي ينفخ فيه الروح فإنما ينفخها بعد الأربعين الثالثة فيؤمر عند نفخ الروح فيه أن يكتب رزقه وأجله وعمله وشقاوته وسعادته وهذا تقدير آخر غير التقدير الذي كتبه الملك الموكل بالنطفة ولهذا قال في حديث ابن مسعود » ثم يرسل إليه الملك فيؤمر بأربع كلمات « وأما الملك الموكل بالنطفة فذاك راتب معها ينقلها بإذن الله من حال إلى حال فيقدر الله سبحانه شأن النطفة حتى يأخذ في مبدأ التخليق وهو العلق ويقدر شأن الروح حين تتعلق بالجسد بعد مائة وعشرين يوما » والنص القرآني بين التدرج الذي تم عليه خلق الإنسان في قوله تعالى في سورة الحج(٣) ﴿ يا أيها الناس إن كنتم في ريب من البعث فإنا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة لنبين لكم ونقر في الأرحام ما نشاء إلى أجل مسمى ثم نخرجكم طفلا ثم لتبلغوا أشدكم ومنكم من يتوفى ومنكم من يرد إلى أرذل العمر لكيلا يعلم من بعد علم شيئا ﴾ .

ويبين من هذا النص القرآن الكريم قدرة الله عز وجل وحكمته في أطوار الخلق ، فقد خلق آدم وتجلت قدرته في هذا الخلق الأول وأنه اختص دون سائر بنيه بأربعة أشياء وهي :

١ ـ أنه خلقه بيده .

٢ ـ نفخ فيه من روحه .

٣ ـ اسجد له ملائكته .

٤ ـ علمه أسماء كل شيء .

يقول ابن القيم « فالنفخ يستلزم نافخا ونفخا ومنفوخا فيه فالمنفوخ فيه هو الزوح المضافة إلى الله فمنها سرت النفخة في طينة آدم والله تعالى هو الذي نفخ في طينته من تلك الروح وإما كون النفخة بمباشرة منه سبحانه كما خلقه بيده أو أنها حصلت بأمره كما حصلت في مريم فهذا يحتاج إلى دليل . والفرق بين خلق الله له بيده ونفخه فيه من روحه أن اليد غير مخلوقه والروح مخلوقه والخلق فعل من أفعال الرب .

هذا نوع من الخلق الأول للإنسان الأول أبو البشر آدم عليه السلام وهناك نوع ثان وهو خلق المسيح عليه السلام ويذكر ابن القيم في هذا الصدد بأن الروح المرسل إلى مريم هو روح الله الذي اصطفاه من الأرواح لنفسه فكان بمنزلة الأب لسائر النوع فإن نفخته لما دخلت في فرجها كان ذلك بمنزلة لقاح الذكر للأنثى من غير أن يكون هناك وطء وهو روح خاص من بين سائر الأرواح وليس الملك الموكل بالنفخ في بطون الحوامل فإن الله وكل بالرحم ملكا ينفخ الروح في الجنين ويكتب رزق المولود وأجله وعمله وشقاوته وسعادته »[1] .

حقا إنها قدرة الباري وحكمته تجلت في خلق الإنسان في أطوار مختلفةوتحويله على أحوال متضادة فإن بدء خلق الإنسان كان من تراب إذ خلق آدم منه وإن الأغذية التي يتكون منها الفمني مصدرها التراب ثم من نطفة وهو مأخوذ من النطف وهو الصب ثم من علقة قطعة من الدم جامدة ثم من مضغة قطعة من اللحم وهي في الأصل قدر ما يمضغ مخلقة وغير مخلقة مسوات لا نقص فيها ولا عيب وغير مسواة أو تامة وساقطة أو مصورة وغير مصورة ثم يمكث ما شاء الله أن يمكث في الرحم ثم يخرج طفلا يتدرج

---

١ ــ الروح ص ٢٥٠ .

في الخلق أيضا طورا بعد طور حتى يبلغ أشده كمالا في القوة وكمالا في ا لعقل ومنهم من تدركه الوفاة وهو في عنفوان شبابه وقوته ومنهم من يرد إلى هيئته الأولى في أوان الطفولة والضعف وما يحمله من معنى قلةالفهم وسخافة العقل ينسى ما علمه وينكر من عرفه فما من هذه الأمور المختلفة والأحوال المتضادة التي يمر خلالها الإنسان لأكبر دليل على قدرة الباري عز وجل على خلق نظائره كما أخبر سبحانه من البعث والجزاء ثم الحياة الأبدية والسعادة السرمدية أو البلاء المقيم والعذاب الأبدي الخالد .

« الأحكام الفقهية المترتبة على الحياة أو على نفخ الروح »

هذه الأحكام منها ما يرتبط بالحياة الأولى قبل نفخ الروح ومنها ما يرتبط بالحياة الآدمية من بدء نفخ الروح فيها وإن اختلاف الفهاء في المسائل التي سنعرضها تتوقف على اختلاف نظرهم من هذين الاعتبارين فمنهم من نظر إلى احترام الحياة الأولى وقبل نفخ الروح فيها ومنهم من لم يعتبر هذه الحالة واعتد بالحياة والمحافظة عليها من حين نفخ الروح وهذه طائفة من المسائل :

الأولى :ـ مسألة العزل

العزل هو النزع بعد الايلاج لينزل المني خارج الفرج خشية العلوق[1] فمن لم يعتد بالحياة إلا من حين نفخ الروح أجازه وهم جمهور الفقهاء ومنهم من اعتد بالحياة الأولى وقبل نفخ الروح فيها فمنعه وهو مذهب ابن حزم ووافقه من الشافعية ابن حبان .

---

١ ـ فتحي الباري ح /١١ ص ٢١٦ ، ص ٢٢٢ .

ثانيا :ـ الإسقاط قبل نفخ الروح

هـذه المسألـة منتزعـة من المسألـة الأولى وهي العـزل يقـول الحـافظ ابن جحر « وينتزع من حكم العزل معالجة المرأة إسقاط النطفـة قبل نفـخ الروح » قـال فمن قال بـالمنع هنـاك أي بالعـزل ففي هذه أولى ومن قـال بالجـواز يمكن أن يلتحق به هذا ، ويمكن أن يفرق بأنه أشد ، لأن العـزل لم يقع فيـه تعاطي السبب ومعالجةالسقط تقع بعد تعاطي السبب »[1]

ولـلإمام الغـزالي توجيـه دقيق في هاتـين المسألتـين وهما العـزل وإسقـاط الجنـين قبل نفـخ الروح فيـه « إن الولـد يتكون بـوقوع النـطفة في الـرحم ولها أربعة أسباب « النكاح ، ثم الوقاع ، ثم الصبر إلى الإنـزال بعد الجمـاع ، ثم الوقوف ليـذهب المني في الرحم ـ وبعض هـذه الأسباب أقـرب من بعض » إلى أن يقول « وليس هذا كالإجهاض والوأد لأن ذلك جناية عن مـوجود وحـاصل ولـه أيضامـراتب وأول مراتب الـوجود أن تقـع النطفـة في الـرحم وتختلط بمـاء المرأة وتستعد لقبول الحياة وإفساد ذلك جناية فإن صارت مضغـة وعلقة كـانت الجنـاية أفحش وإن نفـخ فيه الـروح واستوت الخلقـة ازدادت الجنايـة تفاحشـا ـ ومنتهى التفـاحش في الجنـايـة بعـد الانفصـال حيـا ، وإنمـا قلنـا مبـدأ سبب الـوجود من حيث وقـوع المني في الـرحم لا من حيث الخـروج من الاحليـل ، لأن الولد لا يخلق من مني الرجل وحده بل من مني الزوجين جميعا[2]

ومما تجدر الإشارة إليه أن أحد الفقهاء في القرن السابع الهجري تعـرض لموضوع نفخ الروح ووقته وأشار إلى الخلاف الذي كان قائـما بين الفقهـاء وبين الأطباء في هذا الشأن وانتهى إلى رأي فيه وأرى نقله بعبارته لما له من وجاهة وموافقة للأطباء في زمننا على ضوء الاكتشافـات العلمية والأجهـزة المتطورة التي كشفت

---

١ ــ المصدر السابق .

٢ ــ الإحياء ح / ٢ ص ٦٥ ، ٦٦ .

عن الكثير مما كان يعتبر في الماضي من المسائل الطبية قال رحمه الله : « مدة استبانة الخلق ونفخ الروح مقدرة بمائة وعشرين يوما لقوله عليه الصلاة والسلام « يجمع خلق أحدكم في بطن أمه أربعين يوما نطفة » الحديث . . .

قال لعبد أصلحه الله تعالى : وفي التقدير بهذه المدة على سبيل العموم بالتمسك بهذا الحديث نظرا ، لأن قوله أحدكم ، خاص فيكون تقدير نفخ الروح في صورة خاصة كذلك لا على سبيل العموم كما في قوله تعالى : ﴿ فابعثوا أحدكم بورقكم ﴾ آية ١٩ من سورة الكهف وقوله تعالى : ﴿ فخذ أحدنا مكانه ﴾ آية ٧٨ من سورة يوسف . على أن الأطباء ينكرون عمومه بالتجربة التي انكارها يجري مجرى انكار الحقائق ، ولأن مدة الولادة مختلفة فكيف تكون مدة الاستبانة واحدة ، ولأن علم ما في الأرحام مفقود فكيف أوصافه » .[1]

٣ ـ أملاص الحامل .

وهي المرأة التي يضرب بطنها فتلقي جنينها وفيه غرة إذا انفصل ميتا عند الشافعية وقال القفال أن المعتبر الانفصال التام لأنه ما لم ينفصل كالعضو من الأم والأصل في هذا قضاء رسول الله ﷺ في إمرأتين اقتتلتا ورمت إحداهما الأخرى بحجر فقتلتها ومافي بطنها فاختصموا إلى النبي ﷺ فقضى عليه السلام « أن دية جنينها غرة عبد أو وليدة ـ وقضى بدية المرأة على عاقلتها »[2] . والحديث علق الحكم بلفظ الجنين وفسره الشافعية بما ظهر في صورة الأدمي من يد أو أصبع أو غيرهما ، ولو لم يظهر شيء من ذلك وشهدت البينة بأن الصورة خفية يختص أهل الخبرة ـ وهم الأطباء ـ بمعرفتها ووجبت الغرة أيضا ، وإن قال الأطباء ليس في صورة خفية ولكنه أصل

(١) كتاب نصاب الاحتساب لعمر بن محمد بن عوض السنامي المتوفى ٦٩٦ هـ في الفصل الأربعين تحقيق الدكتور موئل يوسف عز الدين .

(٢) شرح عمدة الحكام ح /٤ ص ٣٢٥ ، والمغني لابن قدامه ح /٨/ ٤٠٠ ـ ٤٠٣ .

لآدمي ففي ذلك اختلاف بين الفقهاء والظاهر عند الشافعية أنه لا تجب الغرة . وإن اختلفوا في كونه أصل لآدمي لم تجب بلا خلاف .

٤ ـ إسقاط المرأة حملها :

ولا يختلف الحكم إن كانت الجناية من الأم ذاتها فلو شربت دواء فألقت به جنينا فعليها غرة ولا ترث منها شيئاً ولا خلاف في ذلك بين أهل العلم ، لأنها أسقطت الجنين بفعلها وجنايتها فلزم ضمانه بالغرة كما لو جنى عليها غيرها ولا ترث من الغرة شيئاً لأن القاتل لا يرث المقتول[١] .

٥ ـ إنتهاء عدة الحامل :ـ

من المقرر أن المعتدة الحامل تنتهي عدتها بوضع الحمل وبذا نزل التنزيل قال تعالى ﴿ **وأولات الأحمال أجلهن أن يضعن حملهن** ﴾

قال الفقهاء : أن تضع ما بان فيه خلق

قال الفقهاء : الحمل الذي تنقضي به العدة ما يتبين فيه شيء من خلق الانسان وله خمسة أحوال :ـ

الأول : أن تضع ما بان فيه خلق الآدمي من الرأس واليد والرجل فهذا تنقضي به العدة بلا خلاف .

الثاني : أن تضع نطفةأو دما لا تدري هل هو ما يخلق منه الآدمي أولا فهذا لا يتعلق به شيء من الأحكام ، لأنه لم يثبت أنه ولد لا بالمشاهدة ولا بالبينة .

---

(١) المغني لابن قدامه ح / ٨ ص ٤٠٥ .

الثـالث : الفتة مضغـة لم تبن فيها الخلقـة فشهد ثقـات من القوابـل أن فيه صورة خفيه بأن بهـا أنها خلقة آدمي فهـذا في حكم الحال الأول ، لأنـه قد تبين بشهادة أهل المعرفة أنه ولد .

الـرابع : إذا ألفت مضغـة لا صورة فيهـا فشهد ثقـات من القوابـل أنه مبتـدأ خلق آدمي : فـاختلف النقـل عن العلماء فمنهم من قـال لا تنقضي بـه العـدة ـ وهو روايـة الأشرم عن أحمـد . وذهب فريق إلى أنها تنقضي بـه العدة وهـو قول الحسن وظـاهر مـذهب الشافعي أخـذا بأقـوال أهل المعـرفـة الـذين شهدوا بأنه خلقة آدمي .

الخامس : أن تضع مضغـة لا صورة فيهـا ولم تشهد القـوابل بـأنها مبتدأ خلق آدمي فهذا لا تنقضي به العدة[1] .

وقالوا :ـ إن أقل ما تنقضي به العدة من الحمـل أن تضعه بعـد ثمانـين يوما منذ أمكنه وطؤها للحديث « إن أحدكم ليجمع في بطن أمه فيكـون نطفـة أربعـين يومـا ثم يكـون علقـة مثـل ذلـك ثم يكـون مضغـة مثـل ذلـك » ولا تنقضي العدة بما دون المضغة فوجب أن تكون بعد الثمانين .

ولم يخـالف في هذا أحـد من العلماء إلا الحسن فإنـه قـال : إذا علم أنها حمل انقضت به العـدة ، وفيه الغـرة أي بالجنـاية عليـه ـ فأمـا ما بعـد الأربعة أشهر فليس فيه أشكال لأنه منكس في الخلق[2] .

(١) المغني لابن قدامه ح / ص ٨٢ ـ ٨٤ ، وتفسير القرطبي ح /٣ ص ١١٩ .
(٢) المغني لابن قدامه ح /٨ ص ٨٢ ـ ٨٤ .

بداية الحياة

للأستاذ عبد القادر بن محمد العماري
القاضي بالمحكمة الشرعية الأولى بدولة قطر

الشرع الإسلامي رتب أحكاما على الموت والحياة بالنسبة للانسان والحيوان، ولكن متى نحكم على الإنسان أو الحيوان أنه حي أو ميت ؟ فذلك لم يبينه الشارع ولم يوضحه ، لأنه يريد من الناس في كل بيئة وفي كل عصر أن يعملوا لتطبيق أحكامه وتكاليفه حسب إمكانياتهم وفي حدود طاقاتهم، وما تستسيغه عقولهم وتستوعبه مداركهم ، لأنه إذا حدد لهم أمرا معينا مخالفا لما يدركونه قد يحدث ردة فعل تثير تشككا وترددا يضر بالعقيدة ، ومن رحمة الله وحكمته أنه لم يحجر على العقول أن تفكر ، وجعل شريعته محققة لمصالح الناس ومستوعبة لحاجاتهم .

واجتهد الفقهاء رضي الله عنهم فيما عرض عليهم من أمور مما لم يرد فيه نص ، ولا يرى أحد منهم أن رأيه ملزم لأحد ، ولا يدعي أنه هو الحكم الشرعي الوحيد الذي لا يقبل النقاش ، وأحيانا يكون لهذا الرأي مأخذ شرعي ، وأحيانا لا يكوأن مأخذه شرعيا،وإنما هو عادي أو حسي استند فيه إلى الاستقراء والخبرة، فهي مجرد ملاحظات من الواقع والممارسة وقول أهل الخبرة ،

ولذلك يقول شيخ الإسلام ابن تيمية : إن رأي العالم من الصحابة والتابعين والأئمة إذا كان لهذا الرأي مأخذ شرعي ففي إمكاننا أن نعتبر هذا قولا عند اختلاف الآراء أما إذا كان مأخذه عاديا أو حسيا أو نحو ذلك مما قد يكون أهل الخبرة به أعلم من الفقهاء الذين لم يباشروا ذلك ، فهذا في الحقيقة لايعتبر رأيا في ميزان الآراء الشرعية المختلف حولها ، وإنما هو أمر من أمور الدنيا لم يعلمه العالم . فإن العلماء

ورثة الأنبياء وقد قال ﷺ (أنتم أعلم بشؤون دنياكم فأما ما كان من أمر دينكم فإلي)[1].

وقد جرت عادة الفقهاء أن يأخذوا برأي الخبراء عند الحاجة كل في اختصاصه ، ورتبوا أحكاما شرعية على تلك الآراء وبصورة أخص يأخذون برأي الأطباء في كثير من المسائل التي تتعلق بالإنسان ، حتى إنهم رفعوا المسئولية عن الطبيب إذا أخطأ إن كان متمكنا في فنه ، بينما حملوا المدعي للطب إذا أخطأ ما ترتب على خطئه من مسئولية ، فهم يبحثون دائما عن الرأي السديد المطابق للواقع ، فاعتمدوا مثلا على رأي الطب في المرض المخوف ، وأبطلوا تصرف المريض إذا قال الأطباء إن هذا المرض مخوف يعقبه الموت عادة .

وبالنسبة لبداية حياة الإنسان فقد تحدث القرآن عن خلق الإنسان ﴿ يخلقكم في بطون أمهاتكم خلقا من بعد خلق في ظلمات ثلاث ﴾ أي على مراحل ﴿ ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة في قرار مكين ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم أنشأناه خلقا آخر ﴾[2] ﴿ إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج نبتليه فجعلناه سميعا بصيرا ﴾[3] . ﴿ يا أيها الناس إن كنتم في ريب من البعث فإنا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة لنبين لكم ونقر في الأرحام ما نشاء إلى أجل مسمى ثم نخرجكم طفلا ﴾[4] . ﴿ أيحسب الإنسان أن يترك سدى ألم يك نطفة من مني يمنى ثم كان علقة فخلق فسوى ﴾[5] . ﴿ اقرأ باسم ربك الذي خلق خلق الإنسان من علق ﴾[6] .

---

(١) انظر مجموعة الفتاوي مجلد ٢٩ جـ ٩

(٢) المؤمنون / ١١ - ١٤

(٣) الانستان / ٢

(٤) الحج / ٤ - ٥

(٥) القيامة / ٣٦ - ٣٨

(٦) العلق / ١ - ٢

نلاحظ في هذه الآيات ذكر الخلق ولم تتعرض للحياة ، ولكن جاء في حديث صحيح رواه البخاري ومسلم عن عبدالله بن مسعود (إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوما نطفة ثم يكون علقة مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك ، ثم يرسل إليه الملك فينفخ فيه الروح ويؤمر بأربع كلمات ويكتب رزقه وعمله وأجله وشقي أم سعيد . وفي رواية اخرى تقديم الكتابة على نفخ الروح) .

وهناك حديث آخر أخرجه مسلم في صحيحه عن حذيفة بن أسيد رضي الله عنه قال ﷺ (إذا مر بالنطفة اثنتان وأربعون ليلة ، بعث الله ملكاً فصورها وخلق سمعها وبصرها وجلدها ولحمها وعظامها ثم قال : يارب أذكر أو أنثى ؟ فيقضي ربك ماشاء ويكتب الملك : ثم يقول يارب أجله ؟ فيقول ربك مايشاء ويكتب الملك : ثم يقول رزقه فيقضي ربك مايشاء ويكتب الملك ، ثم يخرج الملك بالصحيفة في يده فلا يزيد على ما أمر ولا ينقص) .

الفهم المتبادر لحديث ابن مسعود أن الأطوار تتم في خلال مائة وعشرين يوما ، وأن الروح تنفخ بعد الأربعين الثالثة أي في بداية الشهر الخامس ، ولكن إذا نظرنا إلى الأحاديث الأخرى وخاصة حديث حذيفة بن أسيد الذي رواه مسلم نجدها تدل على أن مراحل التخليق كلها تتم في خلال اثنتين وأربعين ليلة، إلا أنها تذكر نفخ الروح ، وما المانع أن يكون نفخ الروح أيضا يتم في الأربعين الأولى ، ويكون تكرار الأربعين كله بالنسبة للنطفة والعلقة والمضغة ونفخ الروح فكان من هذه كان في الأربعين الأولى وتكون ثم التي جاءت في الحديث بمعنى الواو أو للترتيب الذكري وليست للترتيب الزماني كما عرف ذلك في استعمال اللغة ، بل نجد القرآن في بعض الآيات عبر بثم وفي بعضها عبر بالفاء فقال ﴿ ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما ﴾ وفي سورة الحج قال ﴿ ثم من علقة ثم من مضغة ﴾ مما يدل أن التراخي غير مقصود وقد عرف في أساليب العرب التعبير بثم ولا يقصدون به الترتيب الواقعي فمن ذلك قول الشاعر :

إن مـــن ســـاد ثـــم ســـاد أبـــوه ثـــم قـــد ســـاد قبـــل ذلـــك جـــده

وفي القرآن الكريم ﴿ خلقكم من نفس واحدة ثم جعل منها زوجها ﴾ يقول الرازي في تفسير هذه الآية : إن كلمة ثم كما تجيء لبيان أن إحدى الواقعتين متأخرة عن الثانية ، فكذلك تجيء لبيان تأخر أحد الكلامين عن الآخر ، كقول القائل بلغني ما صنعت اليوم ثم ما صنعت أمس ، وتقول أيضا قد أعطيتك اليوم شيئا ثم أعطيتك أمس أكثر .

وتأتي ثم بمعنى الواو فقد جاء في سورة الأعراف ﴿ هو الذي خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ﴾ بينما الآية في الزمر ﴿ خلقكم من نفس واحدة ثم جعل منها زوجها ﴾ وقال القرطبي عند تفسيره قوله تعالى ﴿ ثم آتينا موسى الكتاب ﴾ : إن ثم بمعنى الواو ، والمعنى وآتينا موسى الكتاب وذلك أحد وجوه التأويل . فالأطوار كلها متداخلة مع بعضها ، وليس لازم علينا أن نفهم من الحديث أو نعتقد أن الروح هي آخر الأطوار بعد أربعة أشهر مادام أنه قد اختلفت روايات الحديث في الكتابة والنفخ ، فبعضها يقدم النفخ على الكتابة وبعضها يقدم الكتابة ، وقال الشراح في هذا : فإما أن يكون هذا من تصرف الرواة برواياتهم بالمعنى الذي يفهمونه ، وإما أن يكون المراد ترتيب الأخبار فقط لا ترتيب ما أخبر به ، ولم يكن هناك تصريح في الحديث بأن نفخ الروح بعد أربعة أشهر ، وإنما جاء التصريح في آثار أخرى عن الصحابة وهي آثار مطعون في إسنادها .

وجاء في الصحيحين عن أنس عن النبي ﷺ قال (وكل الله بالرحم ملكا يقول أي رب نطفة أي رب علقة أي رب مضغة فإذا أراد الله أن يقضي خلقا قال يارب ذكر أم أنثى أشقي أم سعيد فما الرزق فما الأجل فيكتب كذلك في بطن أمه) . وهو يوافق حديث ابن مسعود وليس فيه تقدير مدة ، فالترتيب الواقعي إذا غير مقصود مثل ما جاء في قوله تعالى في سورة السجدة ﴿ وبدأ خلق الإنسان من طين ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين ثم سواه ونفخ فيه من روحه ﴾ والمراد

بالإنسان هنا ادم عليه السلام ومعلوم أن تسويته ونفخ الروح فيه كان قبل جعل نسله من سلالة من ماء مهين .

والذكورة والأنوثة يحددها الحيوان المنوي الذي يلقح البويضة بقدرته سبحانه وتعالى عندما يريد أن يهب الذكر أو الأنثى ﴿ **وأنه خلق الزوجين الذكر والأنثى من نطفة إذا تمنى** ﴾ والنطفة التي تمني هي نطفة الرجل ، إذا فالملك الذي يقول ذكر أم أنثى إنما يقول ذلك في أول الأمر وليس حسب ترتيبه في حديث حذيفة بن أسيد ، فالترتيب إذا غير مقصود لا في هذا الحديث ولا في حديث ابن مسعود بالنسبة لنفخ الروح .

إذاً فبداية حياة الإنسان تكون من اتصال الحيوان المنوي بالبويضة ، أما حياة الحيوان المنوي نفسه قبل اتصاله بالبويضة فليست حياة إنسانية وإن كان في ذاته حيا لأنه لا يكون مصيره إنسانا إلا إذا اجتمع بالبويضة ، كما أن البويضة ليست إنسانا وإن كانت الحياة فيها ، ولا تكون إنسانا إلا إذا اجتمعت بالحيوان المنوي .

ويلاحظ أن كل الفقهاء يقولون إنه لا حياة حقيقية للجنين قبل أربعة أشهر ، أي قبل نفخ الروح عملا بظاهر حديث ابن مسعود ولم يكن الطب في وقتهم متقدما كما هو اليوم،وليست هناك أجهزة كما هي اليوم ترصد تحركات الجنين داخل البطن ، ولذلك يقول ابن القيم في كتابه التبيان في أقسام القرآن (وذلك التخليق يتزايد شيئا فشيئا إلى أن يظهر للحس ظهورا لاخفاء به كله والروح لم تتعلق به بعد فإنها إنما تتعلق به في الأربعين الرابعة بعد مائة وعشرين يوما كما أخبر به الصادق ، وذلك مما لا سبيل إلى معرفته إلا بالوحي إذ ليس في الطبيعة ما يقتضيه ، فلذلك حار فضلاء الأطباء وأذكياء الفلاسفة في ذلك وقالوا : إن هذا مما لا سبيل الى معرفته إلا بحسب الظن البعيد .

قال من وقف على نهايات كلامهم في ذلك دأب فيه حتى كل وهو صاحب

الطب الكبير فذكر مناسبات خيالية ثم قال : وحقيقة العلم فيه عند الله تعالى لا مطمع لأحد من الخلق في الوقوف عليه . قلت : قد أوقفنا عليه الصادق المصدوق ﷺ الذي لا ينطق عن الهوى بما ثبت في الصحيحين (إن خلق أحدكم يجمع في بطن أمه أربعين يوما نطفة ، ثم يكون علقة مثل ذلك ، ثم يكون مضغة مثل ذلك ، ثم يرسل إليه الملك فينفخ فيه الروح ويؤمر بأربع : يكتب رزقه وأجله وعمله وشقي أم سعيد) .

ورأيت لبعض الأطباء كلاما ذكر فيه سبب تفاوت زمن الولادة فأذكره وأذكر فيه :

قال : إذا تم خلق الجنين في مدة معينة فإنها إذا زاد عليها مثل تحرك الجنين فإذا انضاف إلى المجموع مثلاه انفصل الجنين ، قال : فإذا تم خلقه في ثلاثين يوما فإذا صار له ستون يوما تحرك ، فإذا انضاف إلى الستين مثلاها صارت مائة وثمانين يوما ، وهي ستة أشهر وهي مدة ينفصل لها الحمل ، وإذا تم خلقه في خمسة وثلاثين يوما تحرك لسبعين وانفصل لسبعة أشهر ، وإذا تم خلقه لأربعين تحرك لثمانين وانفصل لثمانية أشهر ، وإذا تم لخمسة وأربعين تحرك لتسعين وانفصل لتسعة أشهر ، وعلى هذا الحساب أبداً .

وهذا الذي ذكره هو القائل «يقتضي حركة الجنين قبل الأربعين»وهذا خطأ قطعا ، فإن الروح إنما تتعلق به بعد الأربعين الثالثة وحينئذ يتحرك ، فلا تثبت له حركة قبل مائة وعشرين يوما ، وما يقدر من حركة عارضة فبسبب الأغشية والرطوبات . وما ذكره من الحساب لا يقوم عليه دليل ولا تجربة مطردة ، فربما زاد على ذلك أو نقص منه ، ولكن الذي نقطع به أن الروح لا تتعلق به إلا بعد الأربعين الثالثة ، وما يقدر من حركة قبل ذلك إن صحت لم تكن بسبب الروح والله أعلم .

وقال أيضا الشيخ ابن القيم : فان قيل قد ذكرتم إن تعلق الروح بالجنين إنما

يكون بعد الأربعين الثالثة ، وأن خلق الجنين يجمع في بطن أمه أربعين يوما ، ثم يكون علقة مثل ذلك ، ثم يكون مضغة مثل ذلك ، وبيتتم أن كلام الأطباء لا يناقض ما أخبر به الوحي من ذلك ، فما تصنعون بحديث حذيفة بن أسيد الذي رواه مسلم في صحيحه عن النبي ﷺ قال (يدخل الملك في النطفة بعدما تستقر في الرحم بأربعين أو خمس وأربعين ليلة فيقول : أي رب أشقي أم سعيد ؟ فيكتبان فيقول أي رب ذكر أم أنثى ؟ فيكتبان ويكتب عمله وأثره وأجله ورزقه ثم يطوي الصحيفة فلا يزداد فيها ولا ينقص) . قيل نتلقاه بالقبول والتصديق وترك التحريف ولا ينافي ما ذكرناه ، إذ غاية مافيه أن التقدير وقع بعد الأربعين الأولى ، وحديث ابن مسعود يدل على أنه وقع بعد الأربعين الثالثة ، وكلاهما حق قاله الصادق ﷺ . وهذا تقدير بعد تقدير ، فالأول تقدير عند انتقال النطفة الى أول أطوار التخليق التي هي أول مراتب الإنسان ، وأما قبل ذلك فلم يتعلق بها التخليق ، والتقدير الثاني تقدير عند كمال خلقه ونفخ الروح ، فذلك تقدير عند أول خلقه وتصويره ، وهذا تقدير عند تمام خلقه وتصويره ، وهذا أحسن من جواب من قال : إن المراد بهذه الأربعين التي في حديث حذيفة الأربعين الثالثة ، وهذا بعيد جدا من لفظ الحديث ولفظه يأباه كل الإباء . فتأمله .

فإن قيل : فما تصنعون بحديثه الآخر الذي في صحيح مسلم عن عامر بن واثله أنه سمع عبدالله بن مسعود رضي الله عنه يقول (الشقي من شقي في بطن أمه والسعيد من وعظ بغيره) فأتى رجلا من أصحاب النبي ﷺ يقال له حذيفة بن أسيد الغفاري فحدثه بذلك من قول ابن مسعود وقال له : وكيف يشقى رجل بغير عمل ؟ فقال له الرجل : أتعجب من ذلك ؟ فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول « إذا مر بالنطفة اثنتان وأربعون ليلة بعث الله إليها ملكا فصورها وخلق سمعها وبصرها وجلدها ولحمها وعظامها ثم قال : يارب أذكر أم أنثى ؟ فيقضي ربك ما يشاء ويكتب الملك بالصحيفة في يده فلا يزيد على أمره ولا ينقص) .

وفي لفظ آخر في الصحيح أيضا : سمعت رسول الله ﷺ بأذني هاتين يقول (إن النطفة تقع في الرحم أربعين ليلة ثم يتسور عليها الملك الذي يخلقها فيقول : يا رب أذكر أم أنثى ؟ أسوي أم غير سوي ؟ فيجعله الله سويا أو غير سوي ثم يقول : يا رب ما رزقه ؟ وما أجله ؟ وما خلقه ؟ ثم يجعله الله عز وجل شقيا أو سعيدا) . وفي لفظ آخر في الصحيح أيضا (أن ملكا موكلا بالرحم إذا أراد الله أن يخلق شيئا بإذن الله لبضع وأربعين ليلة) ثم ذكر نحوه .

قيل : نتلقاه أيضا بالتصديق والقبول وترك التحريف ، وهذا يوافق ما أجمع عليه الأطباء : أن مبدأ التخليق والتصوير بعد الأربعين ، فإن قيل : فكيف التوفيق بين هذا وبين حديث ابن مسعود وهو صريح في (أن النطفة أربعين يوما نطفة ثم أربعين علقة ثم أربعين مضغة) ومعلوم أن العلقة والمضغة لا صورة فيهما ولا جلد ولا لحم ولا عظم ، وليس بنا حاجة إلى التوفيق بين حديثه هذا وبين قول الأطباء ، فإن قول النبي ﷺ معصوم ، وقولهم عرضة للخطأ ، ولكن الحاجة إلى التوفيق بين حديثه وحديث حذيفة المتقدم ؟ قيل : لا تنافي بين الحديثين بحمدالله. وكلاهما خارج من مشكاة صادقة معصومة ، وقد ظن طائفة أن التصوير في حديث حذيفة إنما هو بعد الأربعين الثالثة ، قالوا وأكثر ما فيه التعقيب بالفاء وتعقيب كل شيء بحسبه ، وقد قال تعالى ﴿ ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فتصبح الأرض مخضرة ﴾[1] بل قد قال تعالى ﴿ فخلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ﴾[2] ، وهذا تعقيب بحسب ما يصلح له المحل ولا يلزم أن يكون الثاني عقيب الأول تعقيب اتصال .

وظنت طائفة أخرى أن التصوير والتخليق في حديث حذيفة في التقدير والعلم ، والذي في حديث ابن مسعود في الوجود الخارجي ، والصواب يدل على

(١) الحج /٦٣ .
(٢) المؤمنون / ١٢ ـ ١٤

أن الحد ما دل عليه الحديث من أن ذلك في الأربعين الثانية ، ولكن هنا تصويران : أحدهما تصوير خفي لا يظهر وهو تصوير تقديري كما تصور حين تفصل الثياب أو تنجر الباب مواضع القطع والتفصيل ، فيعلم عليها ويضع مواضع الفصل والوصل ، وكذلك كل من يضع صورة في مادة لا سيما مثل هذه الصورة ينشىء فيها التصوير والتخليق على التدريج شيئا بعد شيء لا وهلة واحدة،كما يشاهد بالعيان في التخليق الظاهر في البيضة .

فهناك أربع مراتب : أحدها : تصوير وتخليق علمي لم يخرج إلى الخارج ، الثانية : مبدأ تصوير خفي يعجز الحس عن إدراكه ، الثالثة : تصوير يناله الحس ولكنه لم يتم بعد ، الرابعة : تمام التصوير الذي ليس بعده إلا نفخ الروح .

فالمرتبة الأولى علمية ، والثلاث الأخر خارجية عينية ، وهذا التصوير بعد التصوير نظير التقدير بعد التقدير ، فالرب تعالى قدر مقادير الخلائق تقديرا عاما قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة ،وهنا كتب السعادة والشقاوة والأعمال والأرزاق والآجال ، (الثاني) تقدير بعد هذا وهو أخص منه وهو التقدير الواقع عند القبضتين حين قبض تبارك وتعالى أهل السعادة بيمينه وقال (هؤلاء للجنة ويعمل أهل الجنة يعملون) ، وقبض أهل الشقاوة باليد الأخرى وقال (هؤلاء للنار ويعمل أهل النار يعملون) ، (الثالث) تقدير بعد هذا وهو أخص منه عندما يعني به كما في حديث حذيفة بن أسيد المذكور ، (الرابع) تقدير آخر بعد هذا وهو عندما يتم خلقه وينفخ فيه الروح ،كما صرح به الحديث الذي قبله ، وهذا يدل على سعة علم الرب تبارك وتعالى وإحاطته بالكليات والجزئيات ، وكذلك التصوير الثاني مطابق للتصوير العلمي ، والثالث مطابق للثاني ، والرابع مطابق للثالث ، وهذا مما يدل على كمال قدرة الرب تعالى . ومطابقة المقدور في المعلوم ، فتبارك الله رب العالمين وأحسن الخالقين .

ونظير هذا التقدير الكتابة العامة قبل المخلوقات ، ثم كتابة ما يكون من

العام إلى العام في ليلة القدر ، وكل مرتبة من هذه المراتب تفصيل لما قبلها وتنوع ، وكلام رسول الله ﷺ يصدق بعضه بعضا ، ويفسر بعضه بعضا ، ويطابق الواقع في الوجود ولا يخالفه ، وإنما يخبر بما لا يستقل الحس والعقل بإدراكه لا بما يخالف الحس والعقل وإنما بما يعرفه الناس ويستقلون بإدراكه على أمر عيني يتعلق به الإيمان أو على حكم شرعي يتعلق به التكليف . والله أعلم .

هذا ما قاله الإمام ابن القيم وإذا كان الأمر كما ذكر في آخر كلامه وهو بلا ريب حق وصواب أن رسول الله ﷺ يخبرنا بما لايستقل الحس والعقل بإدراكه لا بما يخالف الحس والعقل ، فإن علينا أن نفسر أحاديث رسول الله ونؤولها بما هو موافق الحس والواقع ، لأن هذا هو المراد منها ، والحديث وإن كان قطعي الورود فهو ليس قطعي الدلالة على ما فسره به الأقدمون ، ونرى ابن القيم يتعرض أقوال الأطباء القدامى عن أي الأعضاء خلق قبل . فيقول : اختلف في ذلك على أربعة أقوال (أحدهما) أنه القلب وهو قول الأكثرين (والثاني) أنه الدماغ والعينان . وهو قول أبقراط (والثالث) الكبد وهو قول محمد بن زكريا (والرابع) أنه السرة وهو قول جماعة من الأطباء .

قال أصحاب القلب : لا شك أن في المني قوة روحية بسبب تلك القوة بعد أن يكون إنسانا، وحاجته إلى الروح الذي هو مادة القوى أشد ، فلابد أن يكون لذلك الروح مجمع خاص منه تنبعث إلى سائر الأعضاء ، فالجوهر الروحي أول شيء ينبعث من المني ويجتمع في موضع واحد ويحيط به ما يتصل إليه ذلك الجوهر الروحي من جميع الجوانب ، فيجب أن يكون مجمعها هو الوسيط وسائر الأجزاء يحيط به وذلك الوسط هو القلب .

قالوا : ولأن تمام البدن موقوف على الحرارة الغريزة التي بها البدن ولابد أن يتقدم على ذلك العضو الذي منه القوة الغريزية التي بها ينمو وهو القلب .

قالوا : ولأن أفعال القوى إنما تتم بالروح وهي لابد لها من متعلق تتعلق به، ولابد أن يتقدم متعلقها عليها وهو القلب .

قالوا : وهذا هو الأليق والأنسب بحكمة الرب تعالى ، فإن القلب ملك والأعضاء جنود له وخدم ، فإذا صح القلب صلحت جنوده ، وإذا فسد فسدت ، وقد أشار النبي ﷺ في الحديث إلى ما يرشد إلى ذلك فقال (إن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد لها سائر الجسد ، ألا وهي القلب . فما أولى هذه المضغة بأن تكون متقدمة في وجودها على سائر الأعضاء وسائرها تبع لها في الوجود كما هي تبع لها في الصلاح والفساد .

قالوا : وقد شاهد أصحاب التشريح في المني عند انعقاده نطفة في وسطه .

قال أصحاب الدماغ : شاهدنا الفراخ في البيض أول ما تكون منها رأسها وسنة الله في بروز الجنين أول ما يبدو منه إلى الوجود رأسه .

قال أصحاب الكبد : لما كان المني محتاجا إلى قوة مغذية تزيد في جوهره حتى يصير بحيث يمكن أن تكون الأعضاء فيها، كان أول الأعضاء وأسبقها إليه وهو محل القوة المغذية وهو الكبد .

قال أصحاب السرة : حاجة الجنين إلى جذب الغذاء أشد من حاجته إلى الأقوات وإدراكه ، ومن السرة يجذب الغذاء .

وأولى هذه الأقوال القول الأول ـ فإن القلب ومنزلته وشرفه ومحله الـذي وضعه الله به يقتضي أنه المبدوء به قبل سائر الأعضاء المتقدم عليها بالوجود . والله أعلم .

فإن قيل : الجنين قبل نفخ الروح فيه هل كان فيه حركة وإحساس أم لا ؟ قيل كان فيه حركة النمو والاغتذاء كالنبات ولم تكن حركة نموه واغتذائه بالإرادة ،

فلما نفخت فيه الروح انضمت حركة حسيته وإراداته إلى حركة نموه واغتذائه .

يبدو أن ابن القيم هنا يقرر حياتين للجنين حياة كحياة النبات وعبر عنها بحركة النمو والاغتذاء وهي قبل نفخ الروح ، وحياة إنسانية وهي بعد نفخ الروح ، ولنا أن نعتبر أن الحياة الظاهرة هي الأولى وسواء كانت الحياة واحدة أو حياتين فإنه لا يجوز الاعتداء على حياة الجنين ، لا في أول الحمل ولا في آخره ، والذين أباحوا الإجهاض قبل الأربعة أشهر ليس لهم أن يحتجوا بظاهر حديث ابن مسعود ، إذ ليس فيه حجة لهم ، وعليهم أن يبحثوا عن دليل آخر إذ غاية ما في ظاهر هذا الحديث أن نفخ الروح كان بعد أربعة أشهر ، فأي دليل على جواز إسقاطه قبل نفخ الروح ؟ اللهم إلا الاستنتاج لعدم وجود الحياة ، وإذا كانت الحياة قد ثبتت بالحس والواقع فكيف نجيز الاعتداء عليها كما أنه لا يجوز قياس ذلك على العزل إذ العزل يكون قبل أن يتصل الحيوان المنوي بالبويضة ، ولا يقال له في هذه الحالة بداية إنسان، وليس هناك نص على المحافظة على الحيوانات المنوية قبل اتصالها بالرحم ، فهي في المني الذي قال بعض العلماء إنه نجس ولا أحد يقول إن الجنين قبل الأربعة أشهر نجس ،وقد أوجب الشرع تعويضا وهو عبد أمة أو عشر الدية أو نصف العشر على إسقاط الجنين قبل الأربعة الأشهر وبعدها، وقال الحنابلة إن كان سقوطه لستة أشهر فأكثر ففيه دية كاملة ، وقال ابن القاسم من المالكية : إن من تعمد قتل الجنين بضرب بطن أمه أو ظهرها فإنه يقتص منه .

وللجنين حقوق أثبتها له الشارع ، ويتمتع بأهلية وجوب وإن كانت ناقصة ، فله حق في الإرث ، وإن كان هذا الحق لا يتقرر إلا بعد خروجه حيا ، وقال الإمام أبو محمد بن حزم : لو أيقنا حياته لورثناه ، إلا أن الحمل قد يكون حركة ريح والجنين ميت ، وقد ينتفش البطن عن علة ، فإنما نوقن حياته إذا شاهدناه حيا .

بدء حياة الإنسان في ضوء القرآن الكريم والسنة النبوية

للشيخ صالح موسى شرف
عضو مجمع البحوث الاسلامية بالأزهر

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد خاتم الأنبياء والمرسلين وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهديه إلى يوم الدين .

وبعد

فقبل أن أتكلم عن هذا البحث أريد أن أبين أموراً نتفق عليها :

أولا : لقد استأثر الله سبحانه وتعالى بعلم أشياء لم يُعلمها لأحد حتى أنبيائه ورسله منها :

أ ــ الله يعلم ما تحمل كل أنثى وما تغيض الأرحام وما تزداد

ب ــ علم الروح ومتى تقوم الساعة .

جـ ــ في أي وقت يموت الإنسان وسائر من على الأرض .

د ــ ما يكسبه الإنسان في غده .

ثانيا : إن حكمة خلق الإنسان سرٌ لا نعلمه من تلقاء نفوسنا بل ذلك السر وعلمنا له يكون عن طريق الوحي .

ثالثا : إن جميع العلماء والمفكرين قديماً وحديثاً قد اتفقوا على أن الموت هو إزهاق الروح وخروجها من البدن .

رابعا : إن الفقهاء جميعا اتفقوا على أنه لا توارث بين الجنين وبين غيره إلاّ إذا نزل الجنين من بطن أمه مستهلاً صارخاً لتحقق حياته .

خامسا : إنهم اتفقوا أيضاً على أن الجنين إذا استكمل مراحل تطوره يغسل ويكفن ويصلى عليه ويدفن .

سادسا : إن القرآن الكريم لا يخضع للتجارب والنظريات الظنية بل الأمر بالعكس .

هذا ولما كانت معلوماتنا قاصرة عن كيفية حياة الإنسان ونهاية هذه الحياة كان لابد لنا أن نستضيء في ذلك بنور القرآن والسنة النبوية،فهما أصدق الحديث في ذلك،ومن ثم سيكون حديثي عن هذا البحث من الناحية الدينية،وقبل الحديث في ذلك أذكر تمهيداً له عن معرفة حقيقة :الإنسان.النفس . الروح . العقل . القلب . .

أما عن حقيقة الإنسان ومعرفة كنهها فأمر عسير المنال لأن جميع الذاتيات التي بها قوام الإنسان تخفى علينا .

وقول المناطقة في تعريف هذه الحقيقة بأنها حيوان ناطق وأن ذلك حدث تام لأنه يشمل جميع الذاتيات هو في الحقيقة مصطلح لهم يميز هذه الحقيقة عن غيرها الناقص لبعض هذه الذاتيات الظاهرة لنا،وإلا فلربما تكون هناك ذاتيات أخرى لم تصل إلى علمنا ويعلمها الله عز وجل .

أما النفس والروح فقيل إنهما بمعنى واحد وإن كان ذكر النفس في القرآن أكثر عدداً من ذكر الروح .

وقد اختلف المتكلمون في تجردهما . فمنهم من قال إنهما جوهران مجردان عن المادة ومن هؤلاء الإمام الغزالي .

ومنهم من قال إنهما مادتان يسريـان في البدن سـريان اللبن في المـاء وهذا الشمول لأكثر العلماء .

أما من قال إنهما مجردان فمثلوا لذلك بأشعة الشمس تتصل بالكرةالأرضية ، وكاتصال العاشق بالمعشوق وقد يقوي هذا الاتصال ويضعف .

والقول الثاني:إن النفس غير الروح بدليل أن النفس هي المخاطبة وهي قد تكون للشر والخير . بخلاف الروح فإنها لم تخاطب وهي مصدر للخير ، وهذا في الحقيقة خلاف لا طائل تحته ،فإن الإنسان لا يكون إنساناً إلا بالنفس وحياة الروح فإذا فقدا في الإنسان فقدت إنسانيته . ولذلك كان التكليف للإنسان جسماً ونفساً أو للنفس فقط .

فمثـال التكليف لهما معـاً الصلاة والصيـام والحج وسـائـر العبـادات . . والتكليف للنفس فقط مثل تكليف النفس بالإيمان بالله ومعرفتهومن ثم كان الجزاء في الآخرة من جنس التكاليف في الدنيا لينال كل حظه ونصيبه من النعيم المقيم أو العذاب الأليم .

فمن الجزاء لهما في الثواب التنعم بالجنات والحور العين والفواكه وغير ذلك مما يتمتع به الجسم والروح .

ومن الجزاء للنفس . قوله تعالى ﴿ **وفيها ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين** ﴾ وكذلك الفرح والسرور وغير ذلك مما هو متعة للنفس .

أما الجزاء في العقاب لهما معاًالنار وإحراقها ودوام ذلك .

وفي العقـاب للنفس فقط الحسرة عـلى ما فـرط الإنسـان في هـذه الحيـاة ﴿ **ياحسرتا على ما فرطت في جنب الله** ﴾ وتمنيه الرجوع إلى الدنيا ليعمل ويتدارك ما فاته ولا يجاب ، بل يقال لهم امكثوا فيها .

أما العقل فهو القوة المفكرة الواعية المدركة التي بها التمييز،أودعها الله سبحانه وتعالى في الإنسان ليفضله ويكرمه على سائر مخلوقاته . .

وأما القلب فالمراد به في القرآن الكريم هو العقل لا قطعة اللحم المكونة من لطائف الأغذية التي في نظر الأطباء .

ويرى الفلاسفة الإلَهيون أن النفس مجردة عن المادة وهي التي تدبر وتقنن وتؤثرّ في الجسم كتسخن البدن عند الغضب واحمراره عند الخجل واصفراره عند الوجل فهي أشبه بالسلطة التشريعية .

أما العقل عندهم فهو مجرد أيضاً وهو القوة المنفذة لما تدبره النفس وهو أشبه بالسلطة التنفيذية .

وأما الروح عندهم فهي جسم بخاري لطيف تفيض عليها النفس قوة بها تسير في جميع أجزاء البدن .

أما القلب عندهم فهو مادة من لطائف الأغذية .

ولنبدأ في بحث حياة الإنسان أولاً ثم نهاية هذه الحياة ثانياً .

بدء حياة الإنسان

لقد قص علينا القرآن الكريم قصة خلق الإنسان في كثير من الآيات مثل الآيات التي في سورة «المؤمنون»، وفي سورة «الحج»، وفي سورة «غافر». وفي سورة السجدة وأوضح الآيات التي تبين جميع أطوار الإنسان هي آيات"المؤمنون"فقد بينت أطوار خلقه من نطفة ثم تصييرها علقة ثم تصييرها مضغة ثم تفصيلها إلى هيكل الإنسان من يدين ورجلين وعينين ورأس فكسا هذا الهيكل لحماً ، ثم نفخ الروح ثم بعد حياته أماته ثم بعثه . قال تعالى ﴿ **ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة في قرار مكين ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا**

المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم أنشأناه خلقا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين ﴾ .

شرح هذه الآيات وما يستنتج منها

بعد أن بين الله سبحانه خلق آدم من سلالة من طين بين خلق نسله وهو الإنسان والمراحل التي مر بها وهو في بطن أمه .

فالمرحلة الأولى هي النطفة التي ألقيت في بويضة المرأة واستقرت في الرحم ثم صير هذه النطفة علقة أي دماً متجمداً ثم صير هذه العلقة مضغة ففصلها إلى هيكل وصورة إنسان من رأس ويدين ورجلين وعينين،كل ذلك كان عظاما ثم كسا هذه العظام لحماً ليستره .

المرحلة الرابعة ثم أنشأناه خلقا آخر بنفخ الروح فيه ، كما روي ذلك عن ابن عباس وغيره ، وإن لم تبين هذه الآيات زمن كل مرحلة من هذه المراحل إلا أن التعبير بلفظ ثم يفيد التراخي بين كل طور من هذه الأطوار،وقد بين ذلك الحديث المشهور :

« إن أحدكم يجمع خَلقُه في بطن أمه أربعين يوما نطفةً ، ثم يكون علقة مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك ثم يبعث إليه الملك فينفخ فيه الروح ، ويؤمر بأربع كلمات ، بكتب : رزقه وأجله وعمله وشقي أو سعيد » .

وقد استنتج بعض العلماء من قوله تعالى ﴿ خلقاً آخر ﴾ (أي مبايناً للخلق الأول) أن الحياة تبدأ من نفخ الروح وهذا الخلق بعد النفخ فيه قوى الوعي والإدراك والتمييز وغير ذلك من جميع الأجهزة المقومة للإنسانية بخلاف الأطوار السابقة على نفخ الروح .

فلم تكن الإنسانية موجودة بفقد أهم ركن من مقومات الإنسانية،والكل إذا

فقد منه جزء فقد : كالعشرة مثلاً إذا فقد منها واحد لم تكن عشرة .

هذه أدلة على أن الحياة تبدأ بنفخ الروح (أي من وقت النفخ) .

والدليل الثاني يؤخذ من آية الحج قال تعالى : ﴿ ياأيها الناس إن كنتم في ريب من البعث فإنا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة ﴾ .

فقوله تعالى ﴿ مخلقة وغير مخلقة ﴾ يدل على ألاّ حياة قبل النفخ لأنه تحتمل التخليق وغيره .

الدليل الثالث أنه لا يوجد الإنسان قبل النفخ ، إذ لم تكتمل عناصر وأجهزة مقوماته فكيف توجد حياة لمن لم يوجد بعد . ولذلك قال ابن كثير وغيره لم يكن نسمة ، بل قال الفخر الرازي في تفسيره الكبير إنه جماد ، ومن ثم كان التعبير عن البحث في العنوان بدء حياة الجنين ونهاية حياة الإنسان لأنه قبل النفخ جنين لا إنسان .

بقي أن يقال إذا لم تكن هناك حياة قبل النفخ فكيف نما الجنين وتطور كما تطورت الحبة في الأرض إذا تعهدت بالسقي حتى نبت منها الشجر ونما ؟ وقد يجاب على ذلك بأنه غير الجنين لأن تطوره جاء من الحيوان المنوي وهو كائن حي أثر في نمو الجنين وتطوره في المراحل السابقة على نفخ الروح .

أما من قال إن حياة الجنين من وقت التلقيح فقد نظر إلى اعتبار الشارع بهذا الجنين ورتب عليه أحكاما منها وقت تقسيم التركة حتى يوضع هذا الجنين وتبين أنه ذكر أم أنثى فيأخذ نصيبه .

وقال بعض الفقهاء تقسم التركة ويترك للجنين أحظ النصيبين وهو نصيب الذكورة حتى إذا تبين بعد الوضع أنه ذكر أخذه،وإذا تبين أنه أنثى أخذ نصيب الأنثى،ووزع الباقي على الورثة . ومن الأحكام أيضا حركة الإجهاض تغليباً

للتخليق على عدم التخليق، وإذا كان الإجهاض من تعدي الغير على المرأة حتى سقط الجنين عوقب وتتضاعف العقوبة بتضاعف المراحل مع وجوب الغرة عليه، ومنها غسله وتكفينه ومواراته في التراب بدون الصلاة عليه.

ومن الأحكام أيضا أن له أهلية وجوب ناقصة فيأخذ الهبة والصدقة والوقف عليه عن طريق وليه ولا يعطى شيئا إذا كان لعمال، إلى غير ذلك من الأحكام المبينة في الفقه الإسلامي مع اختلاف الأئمة في بعضها .

هل يمكن التوفيق بين رأيي بدء الحياة ؟

نعم يمكن التوفيق بين الرأيين بأن يقال إذا أريد بالحياة الحياة الحقيقية التي يكمل بها الإنسان بجميع عناصره المقومة له، يكون بدء الحياة من وقت النفخ وإن أريد ببدء الحياة أية حياة ولو كانت اعتبارية أو باعتبار المسائل ، كان بدؤها من وقت التلقيح .

والذي تميل إليه النفس وتطمئن إليه أنه متى قيل حياة فإنه يراد بها الحياة الكاملة التي يكون الإنسان بها إنساناً ، حتى أن الجناية عليه بعد النفخ جناية على إنسان تام الخلقة فيكون مرتكبها عامداً آثما، وعليه القصاص متى توافرت أركان العمد. والله أعلم .

بداية الحياة الانسانية

للدكتور مصطفى صبري أردوغدو
الأستاذ المساعد بجامعة
مرمره - في كلية الإلاهيات / استانبول

الحمد لله « الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا » والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين .

أما بعد ، فإن (المنظمة الإسلامية للعلوم الطبية) قد قررت أن تعقد ندوة في ١٥ يناير ١٩٨٥م في الكويت ، عنوانها (بداية الحياة الإنسانية ونهايتها) ، وطلبت منا أن نقدم بحثا عن جانب الفقه الإسلامي الطبي ، ومحاولة مسايرة التقدم الطبي الذي أصبح من بين سمات القرن العشرين .

ومن حق المنظمة أن تعقد ندوة أو ندوات في مثل هذه المحدثات التي تتعلق باختصاصها، وتعرّف بواسطة جمع آراء المختصين في الفقه الإسلامي موقف الشريعة إزاء تقدم العلم الطبي الذي وصل إلى إمكان نقل عضو من إنسان لإنسان، كان من الطبيعي بالنسبة لتلك الأعضاء التي لا غنى لحياة الانسان عنها كقلب أو كلية أو كبد . . . مثلا .

ومعرفة موقف الشريعة في مثل هذه المحدثات أمر مهم جداً لأطباء المسلمين المخلصين في خدمتهم لبني الإنسان ، ليتمكنوا من معرفة مزاولة أعمالهم الجراحية في جسم الإنسان وجثته ، حيث إن الفقه الإسلامي يضع بعض القيود على هذه الأعمال الخطرة، ولكيلا تخرج عن الهدف الأسمى

الـذي أبيحت من أجله .

وإذا كان الفقه هو علم الحلال والحرام وعلم الشرائع والأحكام،[1] فيجب على الكل أن يعرف أو يتطلع ماذا يقوله الفقه الإسلامي حتى يطمئن نفسه ؛ إذ من المقرر شرعاً أنه يجب على المسلم - بالإضافة إلى معرفة الأحكام العامة في حق الجميع كالعبادة - اكتساب المعرفة بما يخصه في عمله لتكون تصرفاته موافقة للشرع وليكون كسبه حلالا .

وإني أرى أن يتناول هذا البحث أمرين هامين : أولهما بداية الحياة الإنسانية،وثانيهما نهايتها .

بداية الحياة الإنسانية في الإسلام

أستهل هذا البحث بالقرآن الكريم وهو يتحدث إلينا عن خلق الإنسان : ﴿ ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين . ثم جعلناه نطفة في قرار مكين . ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم أنشأناه خلقا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين ﴾[2]. ﴿ إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج نبتليه فجعلناه سميعاً بصيرا ﴾[3]. ﴿ يا أيها الناس إن كنتم في ريب من البعث فإنا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة لنبين لكم ونقر في الأرحام ما نشاء إلى أجل مسمى ثم نخرجكم طفلا . . . ﴾[4]. ﴿ ألم يك نطفة من مني يمنى ثم كان علقة فخلق فسوى ﴾[5].

---

(١) بدائع الصنائع ، جـ ١ : ص ٣ .

(٢) سورة المؤمنون : ١١ - ١٤ .

(٣) سورة الإنسان : ٣ .

(٤) سورة الحج : ٥ .

(٥) سورة القيامة : ٣٧ - ٣٨ .

لقد تحدثت الآيات عن أطوار خلق الجنين في رحم الأم، وذكرت : مرحلة النطفة ، ومرحلة العلقة ، ومرحلة المضغة ، ثم خلق المضغة عظاما وكسوة هذه العظام باللحم ، وقالت : ﴿ ثم أنشأناه خلقنا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين . . . ﴾ .

يمكننا أن نزيد على هذه الآيات آيات أخرى، ولكن مع هذا نكتفي ونأتي بجانب السنة :

كما يرى في هذه الآيات ذكر الخلق بصراحة، ولم تتعرض الآيات للحياة إنما جاء في حديث صحيح رواه البخاري ومسلم عن ابن مسعود قال : « إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوماً نطفة ثم يكون علقة مثل ذلك ،ثم يكون مضغة مثل ذلك، ثم يرسل الملك فينفخ فيه الروح ويؤمر بأربع كلمات: يكتب رزقه وأجله وعمله وشقي أو سعيد . . . »[1] الحديث . فهذا الحديث مفسر لأحاديث أخرى فيها : « يجمع خلق أحدكم في بطن أمه أربعين يوماً نطفة ، ثم أربعين يوماً علقة ، ثم أربعين يوماً مضغة ، ثم يبعث الملك فينفخ فيه الروح »[2] .

«ولم يختلف العلماء في أن نفخ الروح فيه يكون بعد مائة وعشرين يوماً، وذلك تمام أربعة أشهر ودخوله في الخامس ، كما بيناه بالأحاديث ؛ وعليه يعول فيما يحتاج إليه من الأحكام في الاستلحاق عند التنازع ، وفي وجوب النفقات على حمل المطلقات، وذلك لتيقنه بحركة الجنين في الجوف . وقد قيل :إنه الحكمة في عدة المرأة من الوفاة بأربعة أشهر وعشر ، وهذا الدخول

---

(١) تفسير القرطبي : جـ ١٢ ، ص ٧ ، وصحيح البخاري ، انظر شرح فتح الباري جـ ١١ ، ٤٧٧ .

(٢) تفسر القرطبي : جـ ١٢ ، ص ٧ ـ ٨ ، وابن كثير جـ ٣ ، ص ٢٠٦ ـ ٢٠٧ .

في الخامس يحقق براءة الرحم ببلوغ هذه المدة إذا لم يظهر حمل »[1].

ويمكن أن نلاحظ آراء الفقهاء في كتب الفقه ، إذ إن كل الفقهاء يقولون :إنه لا حياة حقيقية للجنين قبل أربعة أشهر، أي قبل نفخ الروح، عملاً بظاهر حديث ابن مسعود . ورغم هذا ، لم يكن الطب في وقتهم متقدما كما في يومناهذا،وما كانت هناك أجهزة ترصد تحركات الجنين داخل البطن .

وبهذه الأدلة يمكن أن يقال : إن الجناية على الحمل في أي طور من أطوار الحمل غير مشروعة، وموجبة للإثم، إلا إذا كان هناك مسوغ شرعي كالخطر على حياة الأم وذلك بالإجهاض. فإن قيل: هل في الجنين قبل نفخ الروح حركة وحس أم لا ؟ وجواباً عن هذه الأسئلة، قيل : كأن فيه حركة النمو والاغتذاء كالنبات . . . كما قرر ابن القيم .

وبهذا يمكن أن يستنتج أن هناك حياة قبل نفخ الروح ، ولكن هذه الحياة ليست كحياة الإنسان ، وهي حياة النمو والاغتداء . وقد أوجب الشرع على إسقاط الحمل تعويضاً يسمى عند الفقهاء : (الغرة) وهي تساوي نصف عشر دية الإنسان الكامل .

والذين أباحوا الإجهاض قبل أربعة أشهر لايمكن أن يحتجوا بحديث ابن مسعود ، إذ ليس لهم فيه حجة وعليهم أن يبحثوا عن دليل آخر ، لأن في ظاهر هذا الحديث ، أن نفخ الروح كان بعد أربعة أشهر ، فبأي دليل يحتجون على جواز إسقاط الحمل قبل نفخ الروح ؟

ولقد استوفيت هذه القضية في ندوة االإنجاب ففيها كلام موسع مقنع نكتفي به . وأريد أن أطرح ضمن هذه القضية سؤالاً لإخواننا الأطباء : « لماذا تصرون على هذه القضية ، ما الذي يستفاد منها ، ومن أين هبت هذه الريح التي أثرت في بلادنا . . . ؟» .

---

(١) تفسير القرطبي : جـ ١٢ ، ص ٨ .

وإننا نعرف حق المعرفة هي أن الشريعة دائماً تحتفظ برأيها في المقاصد وهي الغاية منها ، والأسرار التي وضعها الشارع عند كل حكم من أحكامها ، وبذلك تكون الشريعة مستهدفة تحقيق مقصد عام، ألا وهو إسعاد الفرد والجماعة، وحفظ النظام، وتعمير الدنيا بكل ما يوصلها إلى أوج مدارج الكمال والخير والمدنية والحضارة ؛ ومن هنا كانت دعوة الإسلام رحمة للناس : ﴿ وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين ﴾[1]. ﴿ يا أيها الناس قد جاءكم موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين ﴾[2] .

وفي ختام الموضوع « بداية الحياة الإنسانية » أملي هذه الفتوى التي أصدرتها لجنة الفتوى بالكويت بتاريخ ٢٩/٩/١٩٨٤م ، ونصها مايلي :

« يحظر على الطبيب إجهاض امرأة حامل أتمت مائة وعشرين يوماً من حين العلوق، إلا لإنقاذ حياتها من خطر محقق من الحمل » .

ويجوز الإجهاض برضا الزوجين إن لم يكن قد تم للحمل أربعون يوماً من حين العلوق ، وإذا تجاوز الحمل أربعين يوماً ولم يتجاوز مائة وعشرين لا يجوز الإجهاض إلا في الحالتين الآتيتين:

« إذا كان بقاء الحمل يضر بصحة الأم ضرراً جسيماً لا يمكن احتماله، أو يدوم بعد الولادة ؛ وإذا ثبت أن الجنين سيولد مصابا على نحو جسيم بتشوه بدني أو قصور عقلي لا يرجى البرء منه .

ويجب أن تجري عملية الإجهاض في غير حالات الضرورة العاجلة في مستشفى حكومي، ولا تجري فيما بعد الأربعين يوماً، إلا بقرار من لجنة طبية مشكلة من ثلاثة أطباء اختصاصيين ، أحدهم على الأقل متخصص في

(١) سورة الانبياء : ١٠٧ .

(٢) ، سورة يونس : ٥٧ .

أمراض النساء والتوليد ، على أن يوافق على القرار اثنـان من الأطباء المسلمـين الظاهري العدالة » .

ثالثاً:


مناقشات بداية الحياة الإنسانية

الجلسة الاولى

عقدت الجلسة الأولى برئاسة سعادة الدكتور عبدالرحمن عبدالله العوضي وزير الصحة العامة ووزير التخطيط ورئيس المنظمة الاسلامية للعلوم الطبية وبحضور كلٍّ من الدكتور مصطفى صبري نائب الرئيس والدكتور محمد الجاسم مقررا حيث افتتح الندوة سعادة الدكتور عبدالرحمن عبدالله العوضي وتولى رئاستها لفترة ثم اعتذر عن عدم امكانية مواصلة الرئاسة لانشغاله في مناسبة هامة اخرى وتولى الرئاسة المستشار عبد الله العيسى بدلا من سعادته وتحدث في الجلسة الدكتور حسان حتحوت عن بداية الحياة الانسانية من الوجهة الطبية حيث أعطى موجزا عن الأبحاث التي وردت الى امانة المنظمة وشرح وجهة نظره أيضا بالتفصيل في هذا الخصوص .

ثم فتح باب التعليقات الطبية للأطباء الذين تقدموا بأبحاث ثم لبقية الأطباء الحاضرين ثم بدأت الاستفسارات الطبية من السادة الفقهاء المشاركين في هذه الندوة .

المحرر



المـناقشـات

بحث الدكتور حسان حتحوت مثبت في قسم الأبحاث ص ٥٥

ــ الرئيس : سعادة الدكتور عبد الرحمن عبدالله العوضي : ـ

شكرا للأخ الدكتور حسان حتحوت على هذا الإنجاز الجيد ولقد صار هناك مدخل للنقاش ـ وقبل أن نناقش أؤكد ما ذكرنا من أننا سنسمح لمن تقدموا بالأبحاث للتعليق لمدة خمس دقائق فقط رجاء عدم تجاوزها ، وبعد ذلك فإن النقاش لن يدور فقط بين الأربعة أو الخمسة المتقدمين بل نثري النقاش بآراء أخرى لمن يجب علينا أن نسمع آراءهم حتى نحاول أن نفقه أنفسنا أكثر .

وقبل أن أذهب سأترك الرئاسة للأخ المستشار عبد الله العيسى ، وآمل أن أرجع لكم في أقرب وقت ممكن وشكرا .

*** المستشار عبدالله العيسى : ـ**

بسم الله الرحمن الرحيم . الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين . السلام عليكم ورحمة الله وبركاته . نرجو من السادة الأطباء الذين يرغبون في التحدث أن يوافونا بأسمائهم حتى نبدأ الجلسة . .

*** الدكتور / عصام الشربيني :**

بسم الله الرحمن الرحيم أحمد إليكم الله تبارك وتعالى وأصلي وأسلم على رسول الله ومن تبع هداه .

أحب أولا أن أستأذن السيد الرئيس في تجاوز الدقائق الخمس لأنني سأطرح وجهة نظر مغايرة .

ومن المقبول علميا ما ألمسه من محاولة تجزئة القضية إلى عناصرها وطرح عنصر من هذه العناصر وهو بداية الحياة آملا في أن يتفق المجتمعون على عنصر إثْرَ عنصر إذا تعذر الاتفاق على القضية جملة واحدة إلا أن البحث والدرس لايستوفى حتى نعيد تركيب العناصر مرة أخرى فننظر هل يستقيم ما وصلنا إليه من فهم أو اتفقنا عليه من تصور لأحد هذه العناصر ، والذي أقصده من إعادة التركيب أن نصل إلى النظر في التطبيق فغاية ما نصل إليه من بحث ودرس أن نستفيد منه توجيها نتبعه أو سلوكا نلتزمه أو تشريعا نخضع له ونسلم به ، وقد كان صلى الله عليه وسلم يدعو الله فيستعيذ من علم لا ينفع .

ومن هذا المنطلق أعيد عرض القضية في ضوء حقائق ثلاث ، أو لنقل : مجموعات ثلاث من الحقائق .

وأبدأ بأن أشكر الدكتور حسان حتحوت على حسن عرضه وأمانته عندما ذكر أنها حياة أن نسمى حياة الجنين حياة ولا نتجاوز ذلك ، وما ذكره من أنها مراحل غير متشابهة من الحياة ، ثم ما ذكره من أن الحياة ليست شيئا ماديا وهذا يتيح لنا ألا نقيسه بالخلايا وبالتكون وما يجري في الرحم من ذلك .

المجموعة الأولى مجموعة طبية أو بيولوجية ، سبق أن سمعنا ها جميعا ، وهي ما نعرفه من صور أو درجات من درجات الحياة ، فكثير من الناس يعيشون الآن بيننا بكلى مات أصحابها منذ أمد ، وفي أطباق وأنابيب نستزرع خلايا بشرية جيلا بعد جيل ، وسمع أكثرنا كيف نحصل بهذه الطريقة على مساحات من الجلد نزرعها في جسم المريض الذي احترق جلده في بعض الحيوانات .

وأنا أذكر للاستئناس في التصور العلمي بعض الحيوانات كالضفادع

والفئران وهي ثدييات أمكن أن نزرع نواة من خلية عادية من الأمعاء مثلا ونزرعها في سيتوبلازم بويضة فينمو من ذلك حيوان كامل هو نسخة طبق الأصل من الحيوان الذي أخذنا منه النواة وسيتوبلازم واتحاد البويضة بالحيوان المنوي بداية الحمل لاشك في ذلك والبويضة والمنوى كل منهما حي قبل أن يتحدا وقد ذكر الدكتور حسان حتحوت أن ما قبل الاتحاد لاينمو إلى إنسان ونقول إن الإنسان لايمكن أن ينمو بغير ما قبل الاتحاد بل إننا نستطيع أن نتتبع هذه الحياة إلى أصلها الأول إذا علمنا أن الحقيبة الوراثية التي تحملها كل خلية قد ورثت بالضرورة خلال الأجيال جزءاً من الحقيبة الوراثية الأولى من خلايا آدم عليه السلام . وسنعود لهذه النقطة فهذه مجموعة من الحقائق الطبية أو البيولوجية .

المجموعة الثانية من الحقائق تشريعية ونحن مسلمون نلتمس التشريع من النص أو من الاجتهاد في غير موضع النص . نجد هنا حقيقتين :

الأولى : قول الرسول ﷺ « لايرث الصبي حتي يستهل » رواه ابن ماجه - وقوله ﷺ « إذا استهل المولود ورث » رواه أبو داود .

والثانية: ماصح عن الرسول ﷺ أن امرأتين من هذيل رمت إحداهما الأخرى فطرحت جنينها فقضى فيه ﷺ بغرة « عبد أو وليدة » وهي نصف عشر الدية فلو سلمنا أن اتحاد البويضة والمنوى هو بداية حياة إنسانية لوجب أن تجري عليه أحكام الإنسان الكامل بمعنى أن الحمل يرث منذ ثبوته ويورث منذ ثبوته فإن ولد حيا نال حقه وإن ولد ميتا وَرِثه ورثته . وهذا ما لم تأت به سنة رسول الله ﷺ وما لم يذكره الحديث وكذلك وجب لو كان إنساناً أن يحكم على مَنْ تسبب بطرحه بالدية الكاملة إن لم يكن بالقصاص .

من هاتين الحقيقتين الشرعيتين ندرك أن هناك فرقاً بين الجنين وبين الإنسان الكامل مع التسليم بأحقية الجنين في الحياة منذ بدايته وبعقوبة وتعزير من يهدد هذه الحياة . إن صح هذا التصور ينشأ السؤال : أين نضع هذا الخط الذي يفرق بين

الجنين وبين الإنسان ؟ الطب لم يقدم لنا خطا واضحا . وأنا أتكلم هنا عن الفرق بين الجنين الذي تكون من تلقيح البويضة وبين الإنسان . الدكتور حسان أوضح لنا في حديثه اليوم، وفي حديثه في ندوة الإنجاب ، وفي الفيلم الذي عرضه علينا آنذاك أنها عملية مستمرة لايستطيع أن يحدد فيها خطا واضحا ولهذا ترك الفقهاء الطب وبحثوا عن هذا الخط في مصادر أخرى .

وهنا تأتي المجموعة الثالثة من الحقائق . قول الله تعالى : ﴿ **ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة في قرار مكين ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم أنشأناه خلقا آخر** ﴾[1] فأحسوا أن هنا خطّاً يمكن أن يكون حدا فاصلا بين الجنين وبين الإنسان وازداد التحديد وضوحا بقوله ﷺ : « إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوما نطفة ثم يكون علقة مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك ثم يرسل إليه الملك فينفخ فيه الروح ويؤمر بأربع كلمات بكَتْب رزقه وأجله وعمله وشقي أو سعيد »[2] الحديث . . ثم ينفخ فيه الروح وهنا أيضا وجدوا خطا يمكن أن يحدّدوه ، ومما يزيد اطمئناننا لهذا الرأي قوله تعالى : ﴿ **الذي أحسن كل شيء خلقه وبدأ خلق الإنسان من طين ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين ثم سواه ونفخ فيه من روحه** ﴾[3] ولعل قوله تعالى : ﴿ **ثم جعل نسله** ﴾ وذلك قبل التسوية ونفخ الروح يؤيد ما سبقت الإشارة إليه أن الحقيبة الوراثية لكل إنسان تحوي وفق ما نفهمه من علم الوراثة جزءاً من الحقيبة الوراثية الأولى التي خلقها الله في آدم عليه السلام . والشفرة الوراثية التي تنتقل من سلالة إلى سلالة هي التي تحدد مسارات النمو المختلفة (الخلايا) وتحدد تفاوت خصائص هذه الخلايا ومنها تميز خلايا معينة إلى خصية وإلى مبيض ، تنتج منويا أو بويضة . وأشير هنا بأن الأستاذ عبد القادر

---

(١) سورة المؤمنون / ١٢ ـ ١٤

(٢) أخرجه البخاري ومسلم

(٣) سورة السجدة / ٧ ـ ٩

العماري ذكر في بحثه أن (ثم) في كلام العرب قد تأتي ولا يقصد بها التعقيب أو الترتيب وأحسب أن قصده هذا لاينسحب على تركيب لغوي يبدأ بكلمة « بدأ » ويعقبه « ثم » : ﴿ بدأ خلق الإنسان من طين ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين ثم سواه ونفخ فيه من روحه ﴾ فهذه المجموعة الثالثة تتحدث عن مراحل وتضع خطا واحدا في مرحلة معينة وآية السجدة التي ذكرناها تشير إلى مرحلة الخلق من طين ، تليها مرحلة الماء المهين الذي يكون منه النسل ثم مرحلة التسوية والنفخ .

وفي ضوء هذه الحقائق أجدني ـ أنا الطبيب ـ أكثر اطمئنانا للخط الذي اختاره الفقهاء وفرقوا به بين ما قبل نفخ الروح وما بعدها بالنسبة للحياة الإنسانية ، وأسترشد باختيار أساتذتنا الذين أقروا تطبيق هذا الفهم في صورة قانون مزاولة المهنة الطبية الذي أعدّوه ونصوصه موجودة ومعروفة وبعضكم شارك فيها .

وأخلص من هذا القول : إن اتحاد البويضة والمنوى يمثل بداية الحمل ، أما الحياة الإنسانية فأمر آخر أقرب ما يهدينا إليه الطب والفقه من أمرها حتى الآن أن نعتبر بدايتها نفخ الروح وشكرا . . والسلام عليكم ورحمة الله .

* الدكتور أحمد شوقي ابراهيم : -

بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله لي كلمة عامة أولاً وبعد ذلك ندخل في بعض التفصيلات .

الكلمة العامة : أنه إذا خرج العلماء أو الأطباء بأي رأي أو اكتشاف علمي جديد فلا يكون هذا الاكتشاف أو الرأي صحيحا إلا إذا وافق ما جاء في القرآن

والسنة ، فهو حينئذ حق . وإذا تعارض أي اكتشاف أو أي رأي علمي مع القرآن والسنة فلايكون حقا ، وسيأتي يوم أو عصر من العصور يعلم فيه البشر أنهم قد أخطؤوا وأن القرآن والسنة هما الحق . علم الأجنة علم حديث لأن الحقائق العلمية ثابتة حديثا ونقول نطفة كذا . . وعلقة كذا . . ومضغة كذا . . . النطفة مدتها كذا والعلقة مدتها كذا والمضغة مدتها كذا . . . والحق هو ما قاله النبي ﷺ ، ذلك لأنه وحي من الله تعالى الذي خلق هذا الجنين وهو أعلم بما خلق فإذا قال العلم إن العلقة مثلا أسبوع أو أسبوعان ، النطفة أسبوع أو أسبوعان ، فلا يكون ذلك صحيحا لأن رسول الله ﷺ قال : « أربعين يوما » وسيأتي يوم على العلماء يعلمون أن النطفة أربعون يوما ، والعلقة أربعون ، والمضغة أربعون ، لأن علم البشر قليل جدا بجانب علم الله تعالى وكما جاء في الحديث على لسان الخضر حين قال لموسى : « ما علمي وما علمك في جنب علم الله إلا كما أخذ هذا الطائر بمنقاره من البحر»[1]

بدء الحياة أمر غيبي ولا يخضع لعلومنا التجريبية وأي شيء لايخضع لعلومنا التجريبية لايكون له إلا مصدر واحد من العلم فحسب وهو الوحي الإلهي في القرآن والسنة إذا كانت الحياة في الجسم حيوانية أو نطلق عليها حياة حيوانية قبل نفخ الروح فيها فليس معنى ذلك أن الخلية في الجنين ليست إنسانية هي خلية بشرية وبها العوامل الوراثية البشرية والمميزة للإنسان من أول خلية ، وإذا كان هناك تطور في الخلق فإن التطور في الخلق لايتعارض مع القرآن والسنة قال الله تعالى : في سورة نوح ﴿ ما لكم لا ترجون لله وقارا وقد خلقكم أطوارا ﴾[2] فالتطور في الخلق - وهناك عنه أحاديث صحيحة - لا يتعارض مع القرآن والسنة ، ولكن على أساس كل نوع خلق من نوعه أما علماء التطور فقد أخطؤوا في الاعتقاد بأصل الأنواع يعني أخطؤوا في السبب لم يعلموا الأساس الصحيح .

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ١١٤/٦ ط. الشعب

(٢) سورة نوح / ١٣ - ١٤

بداية الحياة الإنسانية ليست متعلقة بالجسم فحسب ، ولكن متعلقة بالجسم والنفس والروح فينبغي أن نفهم هذه المكونات لأن الإنسان ليس جسما فحسب ، ولكن جسم ونفس وروح فينبغي أن نفهم شيئا عن الجسم وعن النفس وعن الروح وبذلك نفهم متى تبدأ الحياة الإنسانية ومتى تنتهي ؟

جسم الإنسان هذا طارىء وعارض ومكون من خلايا وهذه الخلايا تموت وتحيا ، خلايا جسم الإنسان كلها تفنى وتتجدد وتفنى وتتجدد وهكذا ما عدا الخلايا العصبية ، جسم الإنسان يموت ولكن سر الحياة باقٍ فيه ، وفي هذا دلالة على أن سر الحياة غير متوقف على موت الجسم ، بمعنى أن جسمي أنا الآن بعد سنة مثلا ستجدونه جسما آخر ، الجسم الأول مات وانتهى وسر الحياة باق ، إذاً الحياة الإنسانية غير متوقفة على الجسم نفسه ، الخلايا تموت وتحيا هذا شيء .

أما النفس البشرية فقد اختلف العلماء في شأنها هل هي كائن منفصل عن الجسم وعن الروح أم هي التقاء الروح بالجسم ؟ هناك اختلافات كثيرة في هذا الكلام . ابن عباس ذكر أن النفس غير الروح فقال : في ابن آدم نفسٌ وروح بينهما مثل شعاع الشمس فالنفس هي العقل والتمييز، والروح هي التي بها التنفس والتحرك . فموضوع النفس البشرية موضوع كبير جدا .

الروح ذكر في القرآن والسنة أنها تنفخ في الجسد ولم تذكر النفس . الروح تأمر بالخير ، النفس تأمر بالخير والشر ، أما الروح فهي الخير الخالص لأنها من أمر الله تعالى فأوجب ذلك أن تكون النفس البشرية غير الروح البشرية ، على قدر ما نعلم هناك كثير من التفصيلات . . فمثلا القرطبي قال : في ذلك كلام كثير .

أما الروح فالروح لها معان كثيرة الروح جاءت في القرآن في عشرين موضعا جاءت بمعنى (جبريل) قال الله تعالى : ﴿ فأرسلنا إليها روحنا فتمثل لها بشرا

سويا ﴾(1) وجاءت بمعنى (القرآن) وجاءت بمعنى (الوحي) الإلهي ، وجاءت بمعنى (النفس البشرية) كما قال الله تعالى : ﴿ إذ قال ربك للملائكة إني خالق بشراً من طين فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين ﴾(2) الروح لها معان كثيرة وقد جمع الله تعالى هذه المعاني جميعا في سورة الإسراء ﴿ ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم إلا قليلا ﴾(3) هذا ما أريد توضيحه وأما باقي الموضوع فقد شرحه الدكتور حسان .

ـ الرئيس : نودّ من السادة الأطباء المتحدثين أن يتعرضوا للنقاط التي يختلفون فيها مع الدكتور حسان أو التي لم يتعرض لها أصلاً .

* الدكتور أحمد القاضي : -

الحمد لله وأشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وصلوات الله وسلامه عليه . أنا أتفق تماما مع ما ذكره الدكتور حسان من أن بداية حياة الإنسان تبدأ من أو ل يوم بتلقيح البويضة ، وما أريد إضافته هو ردود إضافية على بعض ما ورد في بحوث الأطباء والتي لم يتعرض لها الدكتور حسان تأكيدا للاستنتاج الذي وصل إليه وهو أن بداية حياة الإنسان هي مع تخصيب أو مع تلقيح البويضة وأنا أتحرز من مخالفة أي رأي ذكره من يفوقني في العلم والخبرة ولكني أرى من الأمانة إبداء الرأي والشهادة .

ورد في أحد البحوث الطبية ذكر الحياة الخلوية وأنها مجموعة خلايا ، وهذا ما يسبق نفخ الروح ، وفرق بين الحياة الخلوية والحياة الإنسانية ، ويبدأ بوصف الحياة الخلوية بعد نهاية الحياة أي عند الموت ثم استعمل القياس ليدل على أن الحياة

---

(1) سورة مريم : 17

(2) سورة ص : 71 ـ 72

(3) سورة الإسراء : 85

الخلوية قبل نفخ الروح ليست حياة إنسانية . وفي نظري أن الأمر اشتبه عليه والقياس غير سليم في هذه الحالة . بعد نهاية الحياة الإنسانية بوفاة جذع المخ إذا اتفقنا على ذلك وبقاء حياة في بعض الأعضاء سواء أكان كبدا أو قلباً أو عضلات وسميناها بحياة خلوية ليست حياة إنسانية هذا صحيح نتفق معه فيها ، ولكن مجموعة الخلايا التي تسبق نفخ الروح وتتبع تخصيب البويضة يختلف تماما عن الحياة الخلوية بعد نهاية الحياة وكذلك تختلف عن الحالة قبل تخصيب البويضة وهي حالة البويضة غير الملقحة أو الحيوان المنوي ـ أحد الأدلة على هذا الاختلاف أن مجموعة الخلايا الحية بعد وفاة الإنسان إذا تعهدناها بالتغذية والرعاية تستمر في الحياة ولكنها لن تكون إنسانا وإنما خلايا الكبد ستظل كبداً ، خلايا العضلات ستظل عضلات وما إلى ذلك ، وخلايا الجلد ـ كما ذكر الدكتور عصام ـ ستظل كخلايا الجلد ، ولايمكن مهما توفرت لها التغذية والرعاية أن تصل إلى إنسان متكامل كتلك الحياة الخلوية قبل تلقيح البويضة ، ولكن إذا تلقحت البويضة ولو كانت في مرحلة الخلية الواحدة لا تحتاج إلا إلى تغذية ورعاية ، ثم هي مسألة وقت و زمن حتى تكون إنساناً كاملا ، حتى لو أخرجت هذه الخلية أو مجموعة الخلايا من جسد الأم ووضعت في جهاز حاضن غير الأم سواء أكان الحاضن رحماً طبيعياً أو رحماً صناعياً ، فالمسألة مسألة تغذية ورعاية ليس إلا ولذلك نعتبر أن الإنسان حي منذ بداية الخلية المخصبة وهي مسألة نمو وتطور فقط تحتاج إلى تغذية ورعاية ـ ومن الثابت حاليا بالممارسة إحكام ذلك عن طريق زرع الخلية المخصبة في رحم طبيعي عند أنثى غير الأم ، وتنمو الخلية وتصير إنسانا ، في الوقت الحاضر يستخدم رحم طبيعي ولكن ليس على الله بعسير ثم ليس على الأطباء بعسير ، أن يوجد رحم صناعي ، وربما في السنوات القادمة ينشأ ذلك وهي مسألة تحديد وظائف الرحم فإذا أمكن توفيرها في جهاز صناعي توفر عندنا الرحم الصناعي ، ووظائف الرحم ، أقل تعقيداً من وظائف الكبد ، وعندنا الآن ما يمكن تسميته بالكبد الصناعي ، إذا هي مسألة تغذية ورعاية ليس إلا .

أضرب بعد ذلك مثالاً آخر على أن الحياة الإنسانية يمكن أن تكون متوفرة ولاينقصها إلا التغذية والرعاية عند الإنسان المكتمل بعد أن يبلغ عشر سنوات أو عشرين سنة ، أو أربعين سنة ، وأصابه مرض أو حادث أو تلف قشرة المخ ، وليس المخ كله وإنما قشرة المخ بحيث غاب عنه الحس والإدراك والإرادة ولكنه في غير ذلك تكتمل له صفة الحياة الإنسانية بدون أي وسائل إنعاش صناعية ، كالتنفس التلقائي وضربات القلب التلقائية ولا يحتاج منا إلا إلى التغذية سواء عن طريق الفم أو أنبوبة في المعدة أو غير ذلك . هذا الإنسان لايمكن أن نسميه نباتاً له أوراق خضراء ، ولا نسميه حيواناً ، إذا قورن ما هنا بإنسان كان غائباً عن الوعي ، أو إنسان فيه مرض أو عجز أو كسور ، ولكن فيه حياة إنسانية لا يمكن للمحافظين ولا للمتحررين أن يحكموا بالقضاء عليه ، وهو إنسان حي بدون أي وسائل صناعية وإن كان يحتاج منا إلى التغذية والرعاية ، ولا أجد في ذلك فرقا كبيرا بينه وبين الخلية المخصبة من أم ، مرّ عليها يوم واحد بعد التلقيح ، فهي إنسان كذلك لايحتاج إلا للتغذية والرعاية حتى يتم له النمو .

نفس الرد على نظرية الحياة الحيوانية قبل نفخ الروح إذا تعهدنا هذه الخلية المخصبة بالتغذية والرعاية لن تصل في يوم من الأيام إلى حيوان وإنما لن تصل إلا إلى إنسان .

ربط الحياة الإنسانية بدخول الروح ـ كذلك ـ اعترض على ذلك، ربما في الجلسة الثانية بعد الظهر سيكون هناك ردود أخرى من الناحية الفقهية ، ولكن ردا على ما ذكر في بعض بحوث الأطباء نفهم أن للروح مواصفات مختلفة ، ذكر في أحد بحوث الفقهاء سبعة من هذه المعاني ، وربما يوجد غيرها ويستدل الفقهاء على مواصفات الروح بأنها هي التي تعبر عن الحس والإدراك والإرادة ، هذه المواصفات لا تتم بالجنين لا في الشهر الأول ولا في الرابع ولا في التاسع ، وبعضها لايتم إلا بعد فترة من الولادة ، الجنين في البدء يكون عنده سمع وبدون بصر ، ثم

يأتي البصر ، ثم يأتي الإدراك في فترة متأخرة ، وكذلك المثل الذي ذكرته وهو الإنسان المتكامل الذي أصابه مرض أو تلف في قشرة المخ وغاب عنه الحس والإدراك والإرادة ومع ذلك فهو إنسان .

كذلك ربط الحياة باكتمال الحياة الإنسانية باكتمال المخ كما ذكر في بحث آخر من بحوث الأطباء أن هذه إمكانية ممكن اعتبارها .

أرد على ذلك بأنه لا في الشهر الرابع ولا في الشهر التاسع من حياة الجنين نجد أن وظيفة المخ قد اكتملت من ناحية قشرة المخ ثم ذلك المثال الذي إذا ضاعت وظيفة قشرة المخ بعد ولادة الإنسان بسبب مرض أو تلف . وما ذكر عن الاستهلال وعن وظائف أخرى للمولود لا تتم له حقوق معينة إلا بها ، فلا أجد أن لها علاقة بين بداية الحياة الإنسانية ، وإنما هي وظائف أو دلائل على تطور معين أو نمو معين أو مرحلة معينة لهذا الإنسان الحي يجب له بموجبها حقوق شرعية أو واجبات شرعية . .

الخلاصة . . أعود إلى ما أكدت عليه في البداية من أنه بسبب هذه الأدلة وغيرها من الأدلة الكثيرة التي سنذكرها فيما بعد ، أجد أن حياة الإنسان تبدأ من أول يوم بعد التلقيح ، وأن ما يتم بعد ذلك هو نمو وتطور ، والنمو يكون جسمانيا وعقليا وروحيا ، وبالتالي فترة نفخ الروح أو توقيت نفخ الروح سواء أكان بعد الأربعين يوما أو ليلة ، أم بعد المائة والعشرين يوما أو ليلة هو جزء من هذا النمو والتطور على الأقل ، على المستوى الروحي يمكن أن يكون معنى الروح في اليوم الأربعين أو المائة والعشرين هو بمعنى الرحمة ، رحمة الله سبحانه وتعالى أو بمعنى قابلية الخير، أو بأي معنى من المعاني الأخرى التي يمكن أن تكتمل حياة الإنسان بدونها والأمثلة على ذلك كثيرة والسلام عليكم ورحمة الله .

* **الأستاذ الدكتور / مختار المهدي :**

بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على سيد المرسلين ـ أود قبل أن أدخل في بحثي أن أرد على كلمة قالها الدكتور / أحمد القاضي عن خلايا الجنين قبل نفخ الروح وتشابهها مع خلايا الجسم البالغ بعد ذهاب الروح . ما قصدته ليس مقارنة الخلية المخصبة ، ولكن مقارنة الأنسجة بعد أن دخلت في تكوين الأعضاء ، فالأعضاء تتكون من خلايا والخلايا متشابهة قبل نفخ الروح وبعد نهاية الحياة .

بالنسبة لما أعرضه الآن هو رأي علمي جديد يعتمد على اعتبار اكتمال تكوين المخ الإنساني ، وهو بداية عمله في الجنين في الأسبوع الثاني عشر من الإخصاب ، وهو بداية للحياة الإنسانية ، ولا أقصد هنا بالطبع اكتمال نضوج المخ . وهذا المخ هو سبب وجود الإنسان ، وعمله هو سبب استخلاف الإنسان في الأرض ، وعليه يكون الحساب وفي موته نهاية الإنسان وأعتقد أن الاختلاف ـ اختلاف الناس في تحديد بداية الحياة الإنسانية ـ هو في الغالب اختلاف في مفهوم الحياة الإنسانية أو اختلاف في تفسير النصوص الشرعية .

وفي رأيي أن الحياة الإنسانية يقصد بها الإنسان الحي وهو شكل ومضمون وأقل متطلبات هذا التعريف هو الحس والوعي والحركة الذاتية ـ فالإنسان الذي يبدأ من خلية واحدة تستمر في الانقسام لتكوين خلايا عديدة متشابهة أولا ثم تبدأ في الاختلاف فتبدأ في تكوين مجموعات يمتاز بعضها عن البعض شكلا ووظيفة ، ثم يصبح من الممكن تمييز رأس وجذع وأطراف في نهاية الأسبوع الرابع . أما الجنين في نهاية الأسبوع السادس وهي نهاية فترة النطفة كما أشارت إليها الأحاديث النبوية الشريفة فتعتبر في علم الأجنة فترة تحول هامة ، فعند هذه المرحلة يبدأ قلب الجنين في الخفقان للمرة الأولى وتبدأ دورته الدموية في العمل ، وينتقل جسم الجنين من مرحلة التغذي من السوائل المحيطة به بواسطة الانتشار من الأنسجة

المجاورة إلى التغذي من الدم الذي يجلب له الغذاء عن طريق دورة الأم الدموية ، ويكون طول الجنين عندئذ اثنين وعشرين مليمترا ، كما أنه في هذه المرحلة يبدأ ظهور نسيج العظام في مركز نمو صغير في عظمتي الفك والترقوة في الأسبوع السادس ، ثم يتوالى ظهور المراكز الأخرى : ففي الأسبوع السابع تظهر مراكز عظمتي الفخذ والساق ، وفي الثامن عظمتي العضد والساعد وهي كلها من علامة مرحلة المضغة كما أنه بواسطة أجهزة الرؤية بالموجات فوق الصوتية المعروفة بالسونار يمكن رؤية القلب ونبضاته الأولى في هذه المرحلة ، وعملية انقباض القلب وانبساطه لدفع الدم في الجسم ولو أنها علامة من علامات الحياة ولكنها الحياة على المستوى الخلوي وليست الحياة الإنسانية ، حيث إن من خصائص نسيج القلب العضلي الانقباض الذاتي ، سواء كان القلب داخل الجسم أو خارجه أو حتى عند تقطيعه إلى قطع صغيرة ، وفي خلال الأسبوع الثامن يبدأ ظهور حركات ضعيفة واختلاجات في جسم الجنين ، وفي الأسبوع التاسع تبدأ في الانتشار في أطرافه .

وهذه الانقباضات العضلية بدء ظهورها أيضا لا يمثل بدء الحياة الإنسانية وما هي إلا تفاعلات على المستوى الخلوي تحدث عند نمو الأعصاب الطرفية ووصولها إلى نسيج العضلات ، وعضلات الجذع أقرب إلى الأعصاب الناجمة من النخاع الشوكي من عضلات الأطراف وقد أكد هذا ما يظهر من عملية زراعة الخلايا والأنسجة ، ونحن يمكننا أن نزرع خلايا عصبية جنينية منفصلة بجوار خلايا عضلية جنينية في أطباق زراعة الأنسجة بالمعمل ، ومع تغذيتها بطريقة مناسبة ، وفي هذه الحالة تنمو الخلايا العصبية وتتفرع لتتصل بقوة جذب غير معروفة إلى الخلايا العضلية الجنينية التي تنمو هي الأخرى وتنقسم ، وعند تلامس أطراف الخلايا العصبية معها تبدأ الخلايا العضلية نبضات أو انقباضات متكررة بين مرة وثلاث مرات في الثانية الواحدة ، وتختلف في قوتها وتكرارها باختلاف عوامل عديدة ولكن هذه الانقباضات يمكن رؤيتها بالعين المجردة ، وهي تنتج عن تنبيهات كهربائية تظهر في الخلايا العصبية ، وتنتشر عن طريق أطرافها عن طريق

الخلايا العضلية ، وكل ذلك تعبير عن حياة خلوية وقد أجريت العشرات من البحوث الطبية مستخدمة أجهزة السونار في تتبع مراحل الجنين حتى في مراحله الأولى ، وتسجيل تفاصيل هذه الحركات ، وفي بعض هذه البحوث أمكن التعرف على إحدى عشرة حركة جنينية مختلفة يتوالى ظهورها حسب نمو الجنين العصبي ، كما أن الحركات ذاتها تزداد قوة وتعقيداً مع نمو جسم الجنين ، كذلك يبدو أن هذه الحركات قد تكون مفيدة لاكتمال نمو العضلات وتغذيتها .

وعندما يصل الجنين إلى أواخر الأسبوع الحادي عشر وبداية الثاني عشر أي عند اكتمال الشهر الثالث يدخل الجنين في مرحلة جديدة ، أرى أنها مرحلة بداية النفس الإنسانية ويلاحظ فيها الآتي :

أولا : تتطور حركات الجنين لتصبح حياة مركبة متوافقة وليس مجرد انقباضات تشنجية مثل ثني الظهر ورفع الظهر ، أو ثني الرقبة والالتفات بالوجه إلى الجانبين أو الحركة بالأيدي بصورة تلويح أو عمل قبضة اليد أو الرفس بالأرجل ، أو حركات مركبة للفم والفكين والشفتين واللسان بما يشبه حركات الرضاعة . وليس الجديد هو نوعية حركات فقط ، بل توقيتها كذلك ، فبالمراقبة المستمرة للجنين لوحظ أن هناك فترة حركة ونشاط تصل إلى سبع دقائق ونصف وكلها حركات لا تغير من مكان الجنين من موضعه في الرحم ، ولكن يعقب ذلك قفزات عالية لعدة مرات ويعقب هذا النشاط والتدريبات الرياضية فترة راحة ، قد تكون فترة نوم لا يستجيب الجنين في أثنائها للمؤثرات الخارجية ، وتصل هذه الفترة إلى خمس دقائق ويعود بعدها إلى الحركة من جديد وهكذا ، أي تتميز هذه المرحلة بفترات نشاط وفترات نوم .

ثانيا : تتميز هذه المرحلة أيضا بظهور حركات جديدة هي الحركات التنفسية وليس المقصود هنا أن الجنين يتنفس الهواء ، فالرئتان لا تعملان في فترة الحمل والأكسجين اللازم للجنين ينتقل من دم الأم إلى دم الجنين من خلال المشيمة ، إلا

أن هذه الحركات التنفسية هي فعلا الحركات التي تؤدي إلى تنفس بعد الولادة ففيها تنقبض عضلات الصدر والحجاب الحاجز بطريقة متوافقة متطورة ، والمدلول الأكيد لهذه الحركات ، هو بدء عمل جذع المخ فهو المولد لهذه التنبيهات الكهربائية التي تسري إلى عضلات الصدر والحجاب الحاجز ، وتصبح هذه الحركات ظاهرة في الجنين منذ هذه المرحلة ، ولا تتوقف هذه الحركات نهائيا إلا عند موت الإنسان .

ثالثا : أظهرت بحوث عديدة أخرى أنه في هذه المرحلة أيضا يبدأ ظهور إشارات كهربائية ، أمكن قياسها وتسجيلها صادرة عن مخ الجنين ، وهي تعبر عن بدء عمل ونشاط في قشرة المخ والنصفين الكرويين للمخ ، وهي تمثل رسم المخ الكهربائي للجنين فيما يشبه رسم القلب .

رابعا : بداية ظهور حركات جنينية ذات مدلول مختلف عن السابق تختلف عن كونها انقباضات خلوية ، أو أفعال منعكسة على مستوى النخاع الشوكي ، ولكنها حركات بناء على إحساسات من الخارج ، كما حدث أحيانا من مجيء جهاز الموجات فوق الصوتية وهو يتحرك على بطن الأم الحامل ، وحدوث هذه الحركة بناء على انفعالات حسية في مخ الجنين أدرك به حدوث شيء غير مألوف ، وهذا معناه الوعي بالمحيط الموجود فيه والتمييز بين المألوف وغير المألوف وهو وعي فطري فجانب الخبرة مايزال شاغرا .

وفي اعتقادي أن هذه المرحلة الجنينية بما يميزها من الظواهر السابقة التي يتحرك فيها الجنين ذاتيا ككيان ، فينام ويلعب ويقفز ويبدأ عمل المخ من حركات تنفسية إلى إحساس وتفاعل . هذه المرحلة نصفها بأنها مرحلة ميلاد المخ حيث إننا في نهاية الحياة الإنسانية بتوقف التنفس سميناها مرحلة وفاة المخ ، وهذه المرحلة في الأسبوع الثاني عشر والذي يكون الجنين فيه بلغ تسع سنتيمترات طولا وخمسا وأربعين جراما وزنا ، وقد أخذت تقاطيع وجهه الطابع الإنساني .

وهذه المرحلة من السهل جدا التعرف عليها حتى لو كانت مدة الحمل غير معروفة بالنسبة للأم ، فإن الفحص بجهاز الموجات الصوتية كاف ليظهر وجود الحركات التنفسية وأنشطة الجنين المختلفة .

وهنا أود أن أستعرض بعض الآيات القرآنية : في سورة (المؤمنون) الآيات التي سبق ذكرها تشرح أطوار تخليق الجنين وهذه الآية تعتبر أكثر الآيات شرحا تفصيليا لتخليق الإنسان ، كما أن في الأحاديث النبوية الشريفة الحديث المعروف بحديث الأربعينات هو المصدر الوحيد الذي يحتوي على نصوص زمنية لمراحل الحمل ، ويعتقد الكثير من الناس أن الروح تنفخ بعد الأسبوع الرابع أو اكتمال ١٢٠ يوما ، ولكن هناك حديث شريف آخر يقول « إذا مر بالنطفة اثنتان وأربعون ليلة ، بعث الله إليها ملكا فصورها وخلق سمعها وبصرها وجلدها ولحمها وعظامها ثم قال يارب ذكر أو أنثى فيقضي ربك ما يشاء ويكتب الملك»[(١)] فهذا الحديث وإن كان قد أكد أن الفترة الزمنية للفترة قد تمتد إلى ٤٢ يوما ، إلا أنه أظهر كذلك تزامن مراحل أخرى من مراحل الخلق في نفس مرحلة المضغة ، من مرحلة العلقة والمضغة ، كذلك يتواجد العظام واللحم ، وهذا هو مفهوم آيات سورة المؤمنين ، وهذا أيضا ما يراه بعض المفسرين ، كما أنه لا يوجد في هذا الحديث أو في غيره ما يؤكد صراحة أن المراحل الثلاث هي أربعونات متتاليات ، أو أن هناك نصّاً على أن نفخ الروح يكون بعد مائة وعشرين يوما ، بل إن تداخل هذه المراحل ممكن ، فإذا أخذنا بهذا الرأي فإن نفخ الروح قد يكون قبل تمام الشهور الأربعة . والسلام عليكم ورحمة الله .

*** الدكتور / عبد الله باسلامه :**

بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه عن حذيفة بن أسيد .

وعلى آله وصحبه أجمعين .

في البداية ـ هناك موضوع أو موضوعان من الناحية الطبية ـ بداية الحياة وبداية الحياة الإنسانية ـ بداية الحياة الإنسانية هي استمرار لبداية الحياة الموجودة في الخلايا كما سمعنا ، ولكن باختصار أرد على الدكتور أحمد القاضي ، ليس كل التقاء بين الحيوان المنوي الذي فيه حياة والبويضة سوف يؤدي إلى حياة إنسانية ، وفي بعض الأحيان التقاء الاثنين قد يؤدي إلى نمو غشاء داخل الرحم يؤثر على حياة الأم والتخلص منه واجب ، وهذا معروف طبيا بالحمل العنقودي ، إذاً ليس كل بداية حياة تؤدي إلى حياة إنسانية ، وليس كل خلية فيها حياة معناها سوف تصلنا في النهاية بالحياة الإنسانية إذا نظرنا إلى نمو الجنين داخل الرحم نجده من الناحية التشريحية يمر بأطوار عديدة . لكن في الندوة السابقة ارتضينا لكي نوفق بين الأطوار العديدة المختلفة ، وبين ما ورد في الأحاديث والشروحات الفقهية أن هناك ثلاثة أطوار رئيسية ، طور خلوي وفعلا الناظر إلى الجنين في الأسابيع الأولى يجد أنه يماثل جنين أي حيوان في أي رحم لا يختلف عنه إطلاقا وليس له أي صفات الإنسانية ، بعد ذلك عندما تبدأ النشأه الأخرى وبعد مرور حوالي أربعة أو ستة أسابيع من الحمل الناظر إلى الجنين داخل الرحم الإنساني يمكنه إذا نظر أيضا إلى الجنين في أرحام مخلوقات أخرى ، يمكنه الملاحظة بأنه سوف يكون إنسانا سويا بدأت ملامحه الإنسانية .

بعد ذلك نأتي إلى موضوع نمو المخ . علمياً الآن اتضح أن نهاية الحياة طبيا بموت المخ ـ إذا ارتضينا هذا ـ أو إذا كنا سنرتضيه غدا على أن موت المخ يعنى نهاية الحياة ، إذاً وكما قال بعض الفقهاء إن الروح مكانها المخ ، إذاً نرتضي أن الحياة الإنسانية تبدأ مع وجود الوعاء الذي سوف يستوعب الروح ـ فأنا في تصوري ـ مع قصور في النواحي العلمية المؤيدة لذلك ـ نمو المخ واكتماله يكون هو الفترة المناسبة لكي تستوعب الروح ، وهذا مصداق للحديث ـ حديث الأربعينات ـ لكن أعود

مرة أخرى باختصار إلى ما ذكرته في البداية أن الحياة الخلوية حياة ، وأعتقد أن فيها استمرارا من الروح ، لأن لا يمكن أن نقبلها علميا أنها حياة اتوماتيكية أو حياة كيميائية ، بدليل أنه لا يمكن أن ننتجها لو وضعنا كل المكونات الكيميائية في طبق لما أمكن أن تتحول إلى خلية أو تتناهى إذا لابد بالإضافة إلى المكونات العضوية والكيميائية من وجود شيء ما في هذه الخلية التي زرعناها ووضعناها لكي تنمو ، فهل هذا شيء هو الروح أم أن حل هذا شفرة إلهية فيها؟ هنا ندع للسادة الفقهاء شرح هذه القضية .

ــ الرئيس / المستشار عبدالله العيسى :

نود أن نذكر حضراتكم بأن الأبحاث الطبية وزعت على حضراتكم ، ولاشك أنكم درستموها دراسة متعمقة ، لذلك نود أن نذكر بأن المناقشات في هذه المواضيع ستكون في الجلسة المسائية ، ولذلك فباقي الجلسة سيكون مخصصاً للاستفسارات الطبية الموجهة لحضرات الأطباء ، فالذي يود أن يسأل ، رجاء يتفضل بكتابة اسمه . وأن المناقشات سواء كانت فقهية أو طبية ستكون في الجلسة المسائية وهي مخصصة لذلك . وقبل الاستماع إلى أسئلة الفقهاء الموجهة إلى الأطباء هناك تعليقان أحدهما للدكتور أحمد شوقي ابراهيم والآخر للدكتور عبد العزيز كامل .

*** الدكتور / أحمد شوقي ابراهيم :**

أولا الحياة الإنسانية لم تبدأ من أول يوم وإنما هو إنسان باعتبار ما سيكون تماما كالنبات ، نواة فيها نبتة ستكون نخلة ، إنما هذه النبتة هي نخلة باعتبار ما سيكون ، هذا شيء .

الشيء الآخر : هناك أساس جوهري في تفسير النصوص القرآنية

والأحاديث النبوية وهو ألا نفسرها على المجاز أو التشبيه إلا إذا كان في النص ما يدل على المجاز أو التشبيه ، وإلا وقعنا في خطأ كبير ونكون بذلك قد فسرنا بالرأي ، وهذا خطأ كبير جداً كما قال سيدنا أبو بكر أين أذهب من الله ؟ وأي سماء تظلني ؟ وأي أرض تقلني إذا فسرت حرفاً من القرآن برأيي . بدء الحياة الإنسانية أمر غيبي كما قلنا وليس من مصدر للعلم به إلا الوحي من الله وأنا أعتمد في ذلك على الحديث الصحيح الذي هو حديث الأربعينات وشكرا . . .

* الدكتور / عبد العزيز كامل :

شكرا سيدي الرئيس ، في مطلع جلسة الصباح وضعتم نظام السير لهذا العمل : عرض عام يتولاه طبيب ، بعد ذلك إلحاقات من زملائه يتولون بها استكمال ما يكون قد فاته ، ثم الأسئلة الاستفسارات ثم التعقيبات ـ أنا أتصور أن هناك فجوة معينة لو حاولنا أن نملأها سنوفر على أنفسنا جهدا كبيرا ، مجرد اقتراح بأن نقوم بعد تقديم الموضوع العام ، وبعد أن يتقدم الإخوة الأطباء بالإضافات ننتقل إلى تحديد المشكلات التي نود أن نفرغ منها في نهاية هذه الندوة ـ في موضوع البدء يقولون القضية الأولى ـ قضية بدء الحياة الإنسانية ، عندنا جانبان جانب فقهي ـ جانب طبي ، الأطباء بينوا المراحل أو التطورات الآتية من الإخصاب من العمل من التفكير من كذا . . من كذا . . . توضع نقاط محددة ، وبعد ذلك إذا ما تكلم إخواننا الفقهاء يتعرضون لهذه القضايا نفسها فيكون هناك تلاق بين ما عرضه الأطباء وبين ما تكلم فيه الفقهاء ثم نحاول في مرحلة ثالثة أن نقيم المعبر بين ما عرض طبيا وما عرض فقهيا وبهذا نستطيع أن نكسب وقتا كثيرا . شكراً سيدي الرئيس .

ـ الرئيس / المستشار عبدالله العيسى :

شكرا للدكتور/عبد العزيز كامل وأود أن أقول إن الموضوع كما تعلمون

يصعب حصره ، ولذلك فجلسة المساء من الرابعة إلى الثامنة ستكون هي الحلقة التي ستوضع فيها هذه الأشياء موضع النقاش وموضع التحليل ، وأما الآن فلم يبق من الوقت ما يكفي لو تطرقنا إلى نقطة واحدة من هذه النقاط التي تكرمتم بها وشكرا . . . .

والآن نستمع إلى أسئلة الفقهاء للأطباء :

* الدكتور / أحمد الغندور :

بسم الله الرحمن الرحيم ـ الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين ، أما بعد : فالسلام عليكم ورحمة الله وبركاته . في الحقيقة أحب أن أفكر أو أستعرض آراء الأطباء الخمسة الذين تحدثوا في ثلاث دقائق أو أربع دقائق .

أولا : الدكتور / حسان حتحوت قال إن بداية الحياة الإنسانية من وقت التحام المنوي بالبويضة ، وهذا ما أميل إليه للأدلة التي سأذكرها الآن مع احترامي للآراء الأخرى ، قال بعض الأطباء من وقت نفخ الروح ، قال طبيب ثالث من الشهر الثالث ، وقال طبيب رابع بعد ٤٢ يوما أو بعد ٤٥ يوماً ، إذاً المسألة دخلت في أقوال متعددة ، في حين أن القرآن الكريم والسنة النبوية وضحت هذا توضيحا جيدا حين سمى هذا (إنساناً) فقال : ﴿ خلقنا الإنسان من نطفة ﴾ وأخذ في التطور من النطفة إلى العلقة إلى المضغة مخلقة وغير مخلقة إلى غير ذلك من التطورات الأخرى فإذاً الأقوال التي تزيد غير ما جاء في نص القرآن. وأما حديث الأربعينات ورد ثلاثة أحاديث من هذه الأحاديث حديثان في الصحيحين الذي هو بعد ١٢٠ يوما ـ حديث آخر بعد ٤٢ يوماً . وهذه أشياء كما يقول أستاذنا الدكتور حسان أننا نؤمن بها إيماناً وتصديقاً ، بل نعتز بهذا ولكن ليست بالتجربة فأهل الاختصاص أهل العلم أهل المعرفة هم أدرى بمعرفة أن هذا الحيوان المنوي لقح هذه البويضة ،

وبدأت الحياة الإنسانية ، نعم قد تكون حياة خلوية كما ذكر من يقولون ذلك ، إنما إذا كان الحيوان المنوي صاحب الثلاثة والعشـرين التي هي الصفات الوراثية أو الحقيبة الوراثية تلتقي فيه الثلاثة والعشرون بالثلاثة والعشرين التي في البويضة إذا لابد من هذا الالتحام لتبدأ الحياة الإنسانية .

وأما الذين يقولون ـ مع احترامي للدكتور / الشربيني ـ إن الحيوان المنوي وحده هو حيوان وفيه حياة ، لا نستطيع أن نقول إنها حياة إنسانية الحيوان المنوي فقط أو البويضة فقط ، إنما لابد من التحام البويضة بالحيوان المنوي وكذلك ـ مع احترامي للدكتور / أحمد القاضي ـ أورد حديثا في مسألة نفخ الروح بعد ١٢٠ يوما فيه كلام وكذلك الشيخ المختار ـ رأيته يتكلم من عند تمام الأسبوع الثاني عشر وهو مسألة اكتمال المخ أو بداية كذا ، أو ما إلى ذلك ، كل هذه الأمور أنا أفتكر أن بداية الحياة الإنسانية من وقت الالتحام ومع ذلك أحكام الشريعة الإسلامية رتبت من أول يوم مسألة العدة ، مسألة وضع الحمل ، مسألة الغسُل والتكفين بدون صلاة عليه ، مسألة الغرة إذا حصل فيه كذا ـ مع الإجهاض ـ كل هذه الأمور تدل على أن الحياة الإنسانية تبدأ من وقت التحام الحيوان المنوي بالبويضة وشكرا لكم وأكتفي بهذا لكي أفسح المجال لغيري .

ـ الرئيس / المستشار عبدالله العيسى :

لو تفضلتم المناقشة نريد أن نستمتع بها في الجلسة المسائية ولـذلك نـريد التركيز على الأسئلة الطبية في المواضيع الفقهية والآن يتفضل .

* فضيلة الشيخ بدر المتولي عبد الباسط :

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه أما بعد ـ في الحقيقة أن الدكتور/حسان أتى بما في نفسي وبما أنا مؤمن به من قديم،

وهذه الندوة جاءت لأجل أن تبين الحياة الإنسانية في نظر الإسلام . الحياة الإنسانية في نظر الإسلام تبدأ كما قال الدكتور / أحمد الغندور من حين ما يتحقق وجود حمل ، فمتى تحقق تغيرت أحكام كثيرة في مسألة العدة وفي مسألة الميراث ، ولي تعليق الآن على كلمة قالها الدكتور / الشربيني إن الجنين لن يرث ، فالحقيقة أنه متى يثبت أن هناك جنيناً فإن له حق الميراث لا حقيقة الميراث وهناك فرق بين الاثنين فمن له حق الميراث يحجز له من ميراث مورثه ، وكما قال الفقهاء الأصوليون له أهلية وجوب ناقصة فهو له حقوق ، وليست عليه ، فهو له حق الميراث وحق الوصية فهو يمكن أن يوصى له ويقول الله تعالى : ﴿ **وأولات الأحمال أجلهن أن يضعن حملهن** ﴾[1] أولات الأحمال متى ثبت طبيا بطريقة مقطوع بها أن المرأة حامل انتقلت العدة في حقها من الأشهر أو من الحيض إلى وضع الحمل سواء كانت عدة وفاة أو عدة طلاق أو غير ذلك .

كذلك الوصية إذا أوصى واحد لحمل امرأة ولم تكن حاملاً وقت الوصية فليس للحمل بعدئذ أي حق ، لكن إذا ثبت أن هناك حملا وقت الوصية فهذه الوصية صحيحة ويكون له حق أخذ هذه الوصية بشرط أن يولد حيا ، وعندما يولد الحمل انتقل هذا الحق إلى حقيقة . أما الكلام في موت المخ وغير المخ فإن هذه أمور التحقق منها بعيد جدا ، ولكن المسائل الإسلامية واضحة جدا هناك حمل فتثبت له أحكام شرعية ، أما إن لم يوجد حمل فهناك أحكام شرعية أخرى ، فالإسلام ينظر إلى الجنين نظرة خاصة يعطى له حق الميراث وحق الوصية ، ولكن بشرط أن يولد الجنين حيا وكذلك تنتقل الأم من عدة الأقراء أو من عدة الأشهر إلى عدة وضع الحمل وكلما تقدمت أطوار الحمل كلما كانت المسئولية أكثر ، ولذلك أنا أميل وأقول بصراحة إذا ثبت أن هناك حملاً يحرم الإجهاض إلا لسبب معقول أما ما قيل في غير ذلك فأنا أبرأ إلى الله من أن أقول بجواز الإجهاض لغير سبب معقول متى ثبت أن هناك حملاً ، والسلام عليكم ورحمة الله .

---

(١) سورة الطلاق / ٤ .

*** الشيخ / عبد القادر العماري : -**

بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على رسول الله سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم وبعد فإني قد لاحظت أن الأطباء هنا مختلفون والمفروض أن يتفق الأطباء أولا على الأسئلة التي سيطرحونها على العلماء والفقهاء ، فهم غير محقين في اختلافهم ، فالفقهاء لايلامون على الاختلاف لكن الأطباء يلامون على الاختلاف لأن عندهم الأجهزة وعندهم الأدلة الكافية التي يمكن أن يتوصلوا بها إلى السؤال الذي سيطرح على الفقهاء .

ثم إني أريد من كل أحد أن ينطلق من اختصاصه فالطبيب يجب ألا ينظر إلا لما يكون أمامه ، أما الخوض في تفسير الأحاديث وفي كلام الفقهاء فليعرضه على الفقهاء والمختصين ، حتى ينظر الرأي المناسب وحتى يتفقوا جميعا على رأي واحد وحتى لاتكون هناك بلبلة ، لأن هذه المواقف تخلق بلبلة عند الفقهاء أنفسهم ، الذي أريد أن أقوله هنا وأسأل الأطباء جميعا متى تبدأ عندهم الحياة ؟

أما الفقهاء فقد وضحوا في أبحاثهم وفسروا الأحاديث ، لأن الأحاديث كما هو معروف في علمكم جميعا فيها اختلافات ، أحاديث توضح وأحاديث تجمل وأحاديث يظهر في ظاهرها التناقض قبل أن يجمع بينها ، فهذا يترك فيه البحث للمختصين من الفقهاء العلماء حتى يتوصلوا إلى الإجابة على السؤال الذي سيطرحه الأطباء ، ولذلك كان ينبغي أن يجلس الأطباء أولا فيما بينهم ويتناقشوا ويضعوا السؤال الموحد ولا ندخل في بلبلة ولا ننتهي إلى حل والسلام عليكم ورحمة الله .

*** الدكتور / محمد نعيم ياسين : -**

بسم الله الرحمن الرحيم والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين .

الحقيقة أولا نريد أن نحدد موضوع الندوة ـ الدكتور / حسان يستحق الشكر فعلا على ما قدم بالأسلوب العلمي المهذب ، ولكن الحقيقة نحا بالندوة منحى آخر غير ما حضرنا له ، الندوة الأولى بداية الحياة وليست الندوة الثانية ، نحن حضرنا لبداية الحياة الإنسانية ، أما بداية الحياة التي يتكون منها الإنسان فهذه لم نأت لأجل نقاشها ، والذي عنده خلاف في ذلك يقول ولا أعتقد بأن هناك أحدا يخالف بأن الحياة تبدأ من الالتحام المنوي بالبويضة ، الحياة تبدأ ولكن أي حياة إذا كان لايوجد أحد مخالف فلماذا نأتي بسيرتها على ألسنتنا فلنتخلص منها ، إن الأبحاث التي قرأتها كل الفقهاء مجمعون أن هنالك حياة لكن أريد أن أعرف متى تبدأ الحياة الانسانية التي فيها روح ، ولايجوز أن أضع هذه الروح على الرف هذا الذي يسعد (دارون) أن أضع هذه الروح على الرف وأجعلها أمرا غيبيا ليس له أثر في حياة الإنسان لايسعد دارون أن يسمى المرحلة الحيوانية فعلا أو المرحلة التي ليست إنسانية بأنها مرحلة حيوانية، الذي يسعد دارون أن لا نعطي اعتباراً للمخلوق الذي سماه القرآن ربنا روحا ، وسماه لنا رسولنا صلى الله عليه وسلم روحا ، وجعل له خصائص وجعل له تأثيرا على البدن وجعل له أنشطة مختلفة ، له أنشطة كبيرة مذكورة وألفت فيها مؤلفات كثيرة فنحن أتينا لنبحث هذا الموضوع ، لا أريد في الحقيقة أن أتوسع في الموضوع حتى أوفر للإخوة كلاماً كثيراً يمكن أن يقال لكن أردت أن أنبه إلى هذه الملاحظة إذا كانت القضية التي تبحثونها بداية الحياة الإنسانية فاستمروا في ندوتكم .

الحقيقة الدكتور / حسان كان دقيقاً في تحديد الموضوع والذين جاءوا بعده كانوا حسانين أكثر منه ـ قال الدكتور / حسان إن الحياة المجردة هي التي تبدأ بالتحام البويضة ولم يقل عن الحياة الإنسانية ثم حصل انعطاف في منحى الندوة . وقال ينبغي أن يكون هذا الأمر مدار بحث أو محل بحث ، أو لابأس أن يكون مدار بحث ولكن أعتقد أن البحث فيه لن يستغرق كثيرا لأننا متفقون على أن الحياة تبدأ ومتفقون على أن لها حرمة، ومتفقون على أنه لايجوز قتلها، ومتفقون على أنه

يجب أن يحسب حسابها في الميراث ومتفقون إذا نزلت أيضا أن نعتبر أن العدة قد انتهت لأن الله قال ﴿ وأولات الأحمال ﴾ ولم يقل أولات الأحمال ذات الأرواح فالمرأة التي في بطنها حمل عدتها نهايتها . الحقيقة أن موضوعنا الذي جئنا نبحث فيه متى يصبح الإنسان إنسانا والروح لاينبغي أن تهدر هكذا وترمى على رف المغيبات دون أن ندرس آثارها وتأثيرها ونشاطها وتأثرها وأشياء كثيرة وردت في الحديث الشريف ، فهذا الموضوع هو الذي أردت أن أركز عليه وإذا كان بقي لي شيء من الدقائق عندي بعض الأسئلة ؟ والحقيقة أنه لا أحد من الإخوة سأل أسئلة طبية فأريد إذا سمحت لي أن أسأل بعض الأسئلة ؟

أولا : زمن انقسام البويضة الملقحة إلى توائم أعتقد أنه أجاب عليها الدكتور .

ثانيا : متى يبدأ تكوين المخ في الجنين ومتى يكتمل ؟ أجاب الدكتور أيضا ليس عندهم رأي محدد في ذلك إذا كان هناك فيه رأي محدد أريد أن أسمعه ثانيا .

ثالثا : هل استطاع الطب أن يكتشف الزمن الذي تصدر فيه عن الجنين أول حركة إرادية ؟ وأقصد بهذه الحركة الإرادية تلك التي تكون صادرة عن المخ ويكون للمخ دخل فيها أما أنه كما أفاد الدكتور / القاضي أن المخ لا دور له في خلال دور الإنسان في بطن أمه ، والحقيقة أريد أن أعرف هذه النقطة معرفة محددة ، وبعد ذلك أسأل سؤالاً ربما أحتاج إليه في المستقبل : هل تعتبر دقات القلب إرادية أو غير إرادية ؟ يعني هل هنالك دخل للدماغ في نبض القلب أم ليس هنالك دخل للدماغ في ذلك ؟ وبارك الله فيكم . .

* **الشيخ ابراهيم الدسوقي :**

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه . وبعد . .

ـ شكرا سيادة الرئيس . عندى نقاط ثلاث :

النقطة الأولى : أؤكد أن العلم لم يعرف في نظرية من النظريات الكلمة الأخيرة التى ليس بعدها أى مجال من الحديث فيها والأمور التى نعالجها الآن فيها كثير من النظريات العلمية التى لم يستقر الرأى فيها نهائيا على كلمة واحدة . هذه واحدة .

ـ **الأمر الثاني :** أؤكد ما تفضل به أحد السادة الزملاء وقال إذا اختلف العلم مع كتاب الله وسنة رسوله ، فإن المصدر الصحيح الموثوق به هو كتاب الله وسنة رسوله ، وما جاء في هذا الدين الحنيف ، ذلك لأنه تنزيل من حكيم عليم لا يمكن أن يتطرق إليه الباطل ، وما لم يكشف عنه العلم اليوم ربما كشف عنه غدا ، وفى كثير من البحوث التى قرأتها وكل أمر الكثير منها إلى الكشوف العلمية المستقبلية إذا أمكن ذلك في المستقبل .

بعد هذا نأتى إلى حياة الجنين التى تفضل الدكتور/ نعيم بالحديث عنها ، حياة الجنين قبل ١٢٠ يوما هل هى حياة حقيقية ، بمعنى أنها يترتب عليها ما يترتب على حياة الإنسان نفسه ، أو هى حياة كما قالوا خلوية أى كحياة النبات أعجبنى أن نطلق عليها أنها حياة مطلقة يعنى لا توصف بأنها حياة نباتية أو حيوانية ، ولكنها كان لها احترامها لأنها البداية للحياة الإنسانية الكاملة بعد نفخ الروح ، ومن ثم كان في إتلافها الغرة ، وكان في العدوان عليها الجرم والإثم ، وكان واجباً على الإنسان أن يحترمها .

بعد كل هذا أنتقل إلى شيء آخر وهو : الناظر في الأربعين الأولى يجد أن الجنين يتفق مع جميع الأجنة في الكائنات الأخرى ، وهذه كلمة وردت على لسان بعض الزملاء ، ولكن نحن قد استمعنا من السادة الأطباء إلى أن هناك الحقيبة الوراثية التى هى بين الأب والأم أو بين الحيوان المنوى والبويضة ، وكلاهما يحمل النصف من الحقيبة الوراثية التى يحملها الولد . إذا هذه الحقيبة الوراثية تحمل صفات الأب وصفات الأم ، أو تحمل ما يمكن أن يرثه الجنين من أبويه ومن ثم لا يمكن إطلاقا أن نطلق على الجنين في هذه الفترة أنه يشبه الأجنة الأخرى في سائر المخلوقات من الحيوانات وغيرها وشكرا سيادة الرئيس .

*** الدكتور/ محمد عبد الهادى أبو ريدة :**

بسم الله الرحمن الرحيم في الواقع أنا كنت أحب أن أستفسر في الوقت نفسه كما أن أعلق على بعض الأشياء من ناحية أعتقد أنها تتفق في ناحية الأخذ بظاهر النص أو التأويل إذا وجدنا أن ظاهر النص لا يتفق تماما مع الوقائع التى نعرفها وهناك أكثر من مسألة . .

ثم هل المقصود بمعنى إنسانية عندما نقول عبارة الحياة الإنسانية المقصود الحياة الإنسانية الكاملة المنفتحة لا أعتقد أن هذا هو المقصود إنما المقصود أنها حياة منتمية إلى الإنسان وأنها منه فى الواقع وفيه بالفعل ، بالإضافة إلى أن من المعلوم أن في كل من آدم الأول نصيبا ماديا في النطفة المتوارثة ، وأيضا هناك خصائص طبيعية بيولوجية في هذه الخلية الأصليه فهى إنسانية بلا أدنى شك . إنما المهم الحكم على أن هذا إنسان أو غير إنسان ، فحسب ما نرى من الواقع المحسوس العلمى وما نفهم النص في مقابل هذا ـ حيث إننا أمرنا أن ننظر في العالم ونستدل ونضع آيات القرآن بإزاء آيات الطبيعة ، ونصوص الحديث الشريف الصحيح بإزاء الطبيعة ونحاول أن نفهم إما بالمعنى الحرفي أو بالمعنى الواقع ، ومن هنا أحببت أن أستفسر وفي نفس الوقت أعلق : في الربط بين النطفة والعلقة والمضغة والربط بينها وبين

تطوراتها كل أربعين يوما هل المقصود المعنى اللفظى للنطفة والمضغة والعلقة أم المقصود أنها مرحلة نمو عبر عنها الحديث الشريف بلغة قرآنية لا على أساس أن العلقة تستمر أربعين يوما أو النطفة تستمر أربعين يوما هذا غير واقع طبيا ؟ هل للنطفة أربعون يوما وللعلقة أربعون يوما ؟ ما معنى العلقة ؟ بضبطها بالمعنى الحرفى اللغوى الأصلى أم المعنى الآخر الذي يتفق مع طبائع الأشياء لأن الله ألهم الناس تسمية الأشياء بأسماء ثم جاء القرآن واستحدث معانى جديدة لألفاظ كثيرة .

من الناحية الثانية مسألة النفس أو الروح ـ هل النفس هى الروح والدكتور/ أحمد شوقى قال النفس كذا والروح كذا ، والواقع أن في جميع لغات البشر المتحضرين علاقة بين التصورات الأولى للأشياء وبين التصورات التى تطورت فمثلا مسألة النفس مرتبطة بفكرة أن النفس متوقفة على وجود النفس وكذلك الروح متوقفة على وجود الريح فالمنشأ اللغوى أدى إلى اختلاف في المفهوم ولكن يبقى السؤال هل الروح هى النفس أم لا ؟ ثم إن القرآن يقول ﴿ أخرجوا أنفسكم ﴾[1] ولم يقل : أخرجوا أرواحكم في الوقت نفسه هل يعنى الوظائف التي للإنسان وهو يتطور في الخلقة ؟ هل هى تخرج من الداخل ولا يضاف إليه من الخارج ؟ الواقع إن الفترة متضمنة في بدايتها الأصلية العناصر تتطور وتشكل وتفتح بحسب ما وضع الله في طبيعتها من مبادىء التطور ومبادىء التفتح والنمو والازدهار بالوظائف المختلفة .

ثم لو قلنا إن النفخ في الروح ، هل يقصد حقيقة روح تأتى من الخارج وينفخها الملك أو الملك ينفخ في شىء موجود يحدث وظيفة جديدة لكى يكون هناك توافق اجتهادى ـ ولو لم يكن نهائيا ـ بين ما في نصوص الدين في القرآن أو في الحديث وبين معطيات العلم ؟ علينا أن نتخذ موقف التأني حتى نفهم بالاجتهاد معاني الألفاظ والعبارات في سياق الواقع ويكون اجتهادنا لنا وكلام الله أو كلام الرسول

---

(١) سورة الأنعام / ٩٣

صلى الله عليه وسلم يبقى كما هو وتتجدد معارفنا بتطورها من غير أن نبعد عن النص ونأخذ من الناحية النظرية والإيمانية والاعتقادية ونفهم تطور المعرفة فهذه هى الملاحظات التي أحب أن أقولها .

وفي الوقت نفسه نظريات العلم أيضا كثيرة ليست فقط نظرية التطور التطور يمكن في الخلية الأولى موجود يمكن أن تتطور لأن الله يقول ﴿ خلقا من بعد خلق ﴾ والخلق مر في مراحل وخلقكم أطوارا والعالم أطوار وكل شيء متطور في حدود القدرة وما وضعه الله في الأشياء فكل غرضى فقط أننا لن نصل لا في العلم ولا في الفقه مثلا إلى حاجات حاسمة ونهائية إلا بعد أن نقارن ونحاول أن نفهم الواقع وشكرا . . .

ـ الرئيس / المستشار عبدالله العيسى :

شكرا لكم جميعا على حسن حديثكم وحسن استماعكم .

وسترفع الجلسة للاستراحة والصلاة على أن تنعقد في الثانية عشرة وإلى اللقاء وفي أمان الله .


الجلسة الثانية

عقدت الجلسة الثانية الساعة الثانية عشرة ظهرا حيث ترأسها سماحة الشيخ محمد المختار السلامي مفتي الجمهورية التونسية ، وبحضور كلٍّ من الدكتور عبدالله محمد عبدالله نائبا للرئيس والدكتور أحمد القاضي مقررا حيث ألقى الدكتور محمد نعيم ياسين موجزا عن وجهة النظر الفقهية في موضوع بدء الحياة الإنسانية مع شرح وجهة نظره بالتفصيل ثم أعطيت فرصة للسادة الفقهاء المشاركين بالأبحاث لإضافة ما لم يذكره الدكتور محمد نعيم ياسين أو شرح معلومة معينة بالتفصيل متعلقة بموضوع بدء الحياة الإنسانية .

ثم بدأت المناقشات الفقهية بعد ذلك . .

وانتهت الجلسة الساعة الثانية والنصف بعد الظهر .

المحـرر



ـ الرئيس : الشيخ محمد المختار السلامى :

ـ بسم الله الرحمن الرحيم :

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما ـ

أصحاب السماحة والفضيلة حضرات الأساتذة السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

ـ نواصل بحمد الله وبحسن عونه جلسات هذا اللقاء ويحضرني في بداية هذه الجلسة أن الفكر الإسلامي قد أنتج عباقرة استطاعوا أن يجمعوا بين الفقه والطب ، فكانوا بذلك يأتون بنظريات جديدة ويعدلون النظريات القديمة وفي موضوعنا الحاضر أذكر الإمام المازري رضى الله عنه فإنه لما نظر في الحياة وجد كثيرا من فقهاء المالكية يرون إذا ولد ولم تطل به الحياة إلاساعات قليلة ولم تكن الحياة واضحة فيه فإن كثيرا من الفقهاء لا يعتبرونه حيا ولو رضع من أمه رضعة أو رضعتين قال هذا الفقيه الطبيب : هذا كلام لا يمكن أن يقال ولا أن يعد قولا لأنه رجل جمع بين الفقه والطب وعلم أن العمليات التى لابد منها للامتصاص هى لا يمكن أن تصدر من جسم ميت واليوم قد أخذت فروع المعرفة تتسع وتنتشر كان للدولة الكويتية الفضل في جمعها، وفي هذا اللقاء أرجو أن تسمحوا لى أن أتوجه إلى أمير دولة الكويت وإلى حكومته الموقرة في كلمتى هذا بآيات الاعتراف بالفضل للتوجه الصحيح في جمع الفقهاء ـ والأطباء معاً ، كما أتوجه بالشكر إلى الدكتور/ المسلم معالى وزير الصحة ، وإلى صديقنا وزميلنا وأخينا الدكتور/ أحمد رجائى الجندى على نشاطه وحسن تنظيمه لهذا اللقاء ، فما كان هذا اللقاء ليتم على ما هو عليه لولا ذلك الدأب الذي عرفناه بالمراسلة ، ثم شاهدنا مشاهد منه اليوم مباركة فإليه تحياتى . وبعد هذه الكلمة استسمحكم إن هى طالت ثم أن أجعل الكلمة الآن حسب ما تقدم لنا من تنظيم تفضل به الدكتور/ أحمد رجائى إلى الأستاذ

الدكتور/ محمد نعيم ياسين بإلقاء ملخص للأبحاث التي وردت على الهيئة وعلى هيئة التنظيم والتى تجمع آراء الباحثين جميعا فشكرى إليه والآن يتفضل الدكتور/ محمد نعيم ياسين :

[كلمة الدكتور محمد نعيم ياسين ، مثبتة في قسم الأبحاث ص ٨٧ .]

ـ الرئيس / الشيخ محمد المختار السلامي :

شكرا للأستاذ الدكتور/ محمد نعيم ياسين على هذه الأضواء التي ألقاها على محاضرته وعلى بحثه وأضاف فيها من الإضافات والتحليلات التابعة لما قدمه ولا شك أن هذه الأبحاث قد تناولت وجهة من هذه النظرة وهناك وجهات نظر أخرى هى للسادة أصحاب البحوث أن يثيروها تتميما لما تقدم به الدكتور/ محمد نعيم ياسين وقبل أن نواصل أرجو من فضيلة مولانا فضيلة الشيخ بدر المتولى أن يقدم لنا لمدة ١٥ دقيقة طريقة الاستدلال على الأحكام الفقهية فإليه الكلمة مشكورا . .

* الشيخ / بدر المتولي :

بسم الله الرحمن الرحيم : الحمد لله الذي بحمده تتم الصالحات وبشكره تتنزل الخيرات والبركات ونصلي ونسلم على سيدنا ومولانا محمد الذي ختم الله به الرسالات وأقام به الحجة علينا جميعا وعلى آله وأصحابه الطيبيين الطاهرين ومن سار على دربهم إلى يوم الدين . أما بعد فالحقيقة أن هذه مهمة خطيرة جدا أن أبين في ١٥ دقيقة ما تلقيناه من الدراسة في سنين متعددة وما يستغرق الإجمال في الكلام عنه ساعات وساعات ولكن ما لايدرك كله فلا يترك جله ـ فأقرب المسألة بقدر الإمكان .

المفتي أو العالم الديني ـ ولا أقول رجل الدين فإن الإسلام لا يقر هذه التسمية ـ أقول العالم الديني إذا عرضت عليه مسألة من المسائل وما أكثرها في هذه الأيام إذا عرضت عليه مسألة تماما كالطبيب الذي يعرض عليه فأهم خطوة وأخطر خطوة يسلكها الطبيب هي تشخيص المرض ، كذلك المفتي أخطر مرحلة تمر عليه

تكييف الحادثة تكييفاً شرعياً ، هل هي من العبادات أو من الأمور المادية المدنية أو هي من قبيل أحكام الأسرة التي نسميها الأحوال الشخصية أو هي من قبيل الجنايات أو غير ذلك ؟ ثم بعد ذلك ينتقل خطوة ثانية إذا عرف أنها من العبادات هل هي صوم أو صلاة أو حج أو زكاة إلى غير ذلك ؟ ثم من أي نوع من أنواع العبادات ثم من أي نوع من أنواع المعاملات ؟ فإذا انتهى الطبيب من تشخيص المرض تشخيصا صحيحا سهل عليه أن يحدد الدواء كذلك المفتي أو العالم الديني إذا استطاع أن يكيف الحادثة ولا سيما الحوادث الجديدة المستحدثة يكيفها تكييفاً شرعياً فحينئذ ينتقل إلى مرحلة أخرى هذه المرحلة هي وصف الحكم أو الداء على تعبير الأطباء الدواء عندنا الذي هو معرفة الحكم الشرعي وبهذا قبل أن أقول ينبغي أن نتعلم جميعا أنه ما من حادثة من الحوادث قلت أو كثرت عظمت أو صغرت كانت من الأفراد أو الجماعات إلا ولله فيها حكم ، وهذه حقيقة لا بد أن نعرفها ، المسألة ليس الإسلام كما يتصوره البعض هو مسجد وصلاة وصيام . . فحسب . . كل شيء يصدر من الإنسان لابد أن يكون لله فيه حكم سواء أكان هذا الفعل صادرا من الفرد أو من الجماعة أو من الحاكم أو من المحكوم إلى غير ذلك وأظن إخواننا يعرفون أن أبواب الفقه تتناول كل هذه الأمور التي أخذت تسميات جديدة ، إذاً الخطوة الثانية ، بعد تشخيص أو تكييف الحادثة تكييفاً شرعيا أن أعرف من أي باب من أبواب الفقه هي .

أنتقل إلى خطوة أخرى إلى وصف الحكم - أو بعبارة أخرى إلى وصف الدواء وصف الدواء هذا يتطلب خطوات أولاً للبحث في القرآن الكريم هل هذه الحادثة ورد شيء عنها في القرآن الكريم أو لم يرد ؟ إن ورد هل هذا النص نص عام أو خاص هل هو مقيد أو مطلق ؟ لابد أن أبحث كل هذه الأمور فإن لم أجد في القرآن الكريم شيئاً يسعفني في هذه الحادثة أنتقل إلى سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنظر أيضاً في السنة إن وجد النص هل هو نص عام أو خاص ؟ هل هو مطلق أو مقيد هل نسخ أو لم ينسخ أو غير ذلك ؟ وهناك أمور كثيرة لا أجد عنها نصاً في كتاب

الله ولا في السنة وحينئذ أبحث هل ورد في كتاب الله أو السنة حادثة تشبه هذه الحادثة أو لم يرد ؟ فإن وردت حادثة تشبه فليست كل الصفات المتشابهة بين الأصل والفرع صالحة للتعليل بل لابد من معرفة العلة التي ينبني عليها الحكم وأنقل الحكم من حادثة منصوص عليها في الكتاب والسنة إلى حادثة أخرى جديدة ولابد أن آخذ كل الصفات وأستعرضها استعراضاً تحليلياً ثم لابد أن يكون الوصف وصفا ظاهرا منضبطاً مطردا منعكسا إلى آخر ما تعلمناه في علم الإصول فإن لم أجد نصا في هذه المسألة ولا نصا في مسألة تشبهها فلا يجوز أن تذهب هذه المسألة بل تنتقل في هذه الحالة إلى القواعد الشرعية العامة وهي كثيرة (مثل : لا ضرر ولا ضرار ، درء المفاسد مقدم على جلب المصالح . . .) وهنا تقع مشكلة كبيرة جداً تقدير المصلحة ما هو وهذه المسألة مشكلة كبيرة جداً وأحب أن أقول بأن بعض الأطباء أو غيرهم أخذوا من كلمة قالها بعض العلماء وهي : « أينما وجدت المصلحة فثمَّ شرع الله » هذه المسألة ليست بالسهولة أي مصلحة هي المقصودة ؟ المصالح فيها مصلحة الدين ـ مصلحة النفس ـ مصلحة العقل ـ مصلحة النسل ـ مصلحة المال وكل هذه المصالح الخمسة بعضها ضروري وبعضها حاجي وبعضها تحسيني والفرق كثير جدا ، نحن نقول المسألة فيها ضرورة والضرورة لابد أن نحدد الضرورة التي يعتبرها الشرع ، الضرورة غير الأمور الحاجية وغير الأمور التحسينية الضرورة ما يفوت الشيء بفواتها أما الحاجيات فلا يفوت بفواتها ولكن يكون معها الحرج الشديد والتحسينيات مجرد أمور تحسينية فلابد للفقيه أو العالم الديني ـ ولا أقول رجل الدين ـ لابد أن يقارن بين هذه المصالح هل هي ضرورة هل هي حاجة هل هي تحسينية ؟ وإذا تعارضت هذه المصالح كيف أقدم ، طبعا أقدم ضرورة الدين على ضرورة النفس ، وأقدم ضرورة النفس على ضرورة العقل ، وأقدم ضرورة العقل على ضرورة النسل ، وأقدم ضرورة النسل على ضرورة المال ، وإن تعارضت الضرورة مع الحاجة طبعا أقدم الضرورة على الحاجة وهكذا .

ثم هناك مسألة أحب أن أنبه إليها : المصالح التي ندركها منها مصالح

اعتبرها الشارع ـ وهذه على العين والرأس هذه نستطيع أن نبني عليها الأحكام ، مصالح مؤكدة ولكن ألغاها الشارع أضرب مثلاً ربنا قال ﴿ **ويسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير ومنافع للناس وإثمهما أكبر من نفعهما** ﴾[1] إذاً أثبت بأن للميسر وللخمر منافع إلا أنه ألغى هذه المنفعة طبعا سيأتي جماعة من الاقتصاديين ويكتبون لنا كتباً مطولة عن فوائد الربا ـ وأنه بسببه عملت عمارات وعملت شركات و . . . و . . . جميل إلا أن الشارع ألغى هذه المصلحة ـ فالمصلحة إن اعتبرها الشارع فهي على العين والرأس أما إن ألغاها الشارع فلا عبرة لها فتكون في الحقيقة في ظاهر الأمر هي مصلحة ولكن هي تتضمن مفسدة أكثر أو هي في الصورة مصلحة ، وكذلك الذين يبيحون التبني يكتبون لنا فوائد التبني لكن الضرر الذي يترتب عليه أكثر فالشارع ألغى هذه المنفعة وألغى هذه المصلحة فالمصلحة التي إذا وجدت وجد شرع الله هي المصلحة التي اعتبرها الشارع . وهناك مصالح لم يعتبرها الشارع ولم يلغها وهذه التي يقولون عليها المصالح المرسلة هذه تتطلب مقارنات قوية جدا تتطلب الدقة والحيطة في الأخذ بها ، لأنها تتعارض إذ جرت سنة الله في خلقه أن هذه الدنيا اختلط فيها الخير بالشر فليس هناك خير محض ولا شر محض ، ومع الأسف الشديد جدا أن أكثر الناس يحكمون أولا ثم يكلفون العقل أن يأتي بالحيثيات ، العقل مستعد لأن يأتي بحيثيات كل حاجة ما دام الهوى هو الحكم ، العقل مستعد أن يأتي بالحيثيات المبررة .

وعين الرضا عن كل عيب كليلة   كما أن عين السخط تبدي المساويا

وهكذا فالله سبحانه وتعالى لما أصبحت هذه الحياة لابد أن يختلط فيها الخير بالشر لم يتركنا سدى وأرسل إلينا الرسل مبشرين ومنذرين وجاءت الشريعة الإسلامية ووضعت المعالم إما بنصوص قطعية أو بنصوص ظنية والنصوص الظنية يجب العمل بها في المسائل الفرعية أما الاعتقادية فلا يعتمد فيها على الأدلة الظنية أما المسائل الفرعية والمسائل في المعاملات فيما بيننا أو المسائل التي ننظرها الآن يمكن أن

---

(١) سورة البقرة / ٢١٩ .

نأخذ فيها بالنصوص الظنية أو بالأدلة الظنية فالمهم أهم حاجة يتعرض لها الفقيه أن تتضارب أمامه المسائل فيها خير وفيها شر ، هنا تأتي الملكة الفقهية حتى يرجح ؟ إذا كان عامل الضرر أكثر فيأخذ بفكره درء المفاسد مقدم على جلب المصالح ، وهذه قاعدة شرعية فأي مسألة فيها خير وفيها شر ننظر إذا تساوى الخير والشر في مسألة من المسائل نرجح أحدهما وحين نرجح جانب الشر نحكم بحظر هذه المعاملة أو يُحظر هذا الأمر أما إذا ترجح جانب الخير على جانب الشر يحكم بإباحته أو بوجوبه يعني بجواز هذا على الأقل . فأول مرحلة من المراحل التي يتعرض لها الطبيب تشخيص المرض وبالنسبة للفقيه تشخيص الحادثة .

ثانيا : وصف الدواء هنا يتطلب الرجوع إلى التجريبات لا ننسى أن نأخذ بآراء من سبقنا من العلماء وأن نعتمد على هذا فإنه إذا كانت المسألة إجماعية أصبحت على العين والرأس أصبحت ملزمة للكل أما إذا كانت مسألة وقع فيها خلاف ولاسيما في الصدر الأول فينبغي للمفتي أن يأخذ بما هو أنفع للمجتمع بصرف النظر عن هواه أو غرضه أو اتجاهه وإنما ينظر في ذلك ، والفقيه الذي يحترم نفسه يحتاج أن يراجع ذوي الاختصاص فيما إذا اشتبهت الأمور عليه . فمسألة اقتصادية مثلا لا أقدر أن أحكم فيها إلا إذا أخذت رأي الاقتصادي ، مسألة طبية عرضت عليّ واشتبه عليّ الأمر فيها هل هذه خير أم شر ؟ فلايصح للفقيه أن يعتمد على نفسه ولا على أفكاره وإنما يرجع ﴿ **فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون** ﴾ .(1)

وإذا كانت المسألة فيها عرف فهذا العرف لابد أن ننظر فيه نظرة ، هل هذا العرف ألغاه الشارع أم اعتبره أم سكت عنه ؟ العرف الذي اعتبره الشرع له اعتبار أي إذا لم يلغه الشارع أما إذا تعارف الناس كل الناس على مسألة ألغاها الشرع فلا قيمة لهذا العرف . . .

---

(1) سورة النحل / ٤٣ .

ـ الرئيس / الشيخ محمد المختار السلامي :

شكراً لمولانا الأستاذ بدر المتولي ـ في الواقع لقد رجع بنا إلى حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ حديث معاذ المشهور فشرحه شرحا لا أقول وافيا ولكنه أشار إلى الذي هو أصل معتمد في تفريع علم الأصول وتقسيماته وكانت إشاراته إشارات بالغة فشكرا له على ما تفضل به وعلى تذكيرنا جميعا بالقواعد الأصلية في الاجتهاد .

فهو كما تفضل من أول الكلام قال إن هذا موضوع واسع وواسع جداً لأنه يتناول كل علم الأصول وما هي قضية بسيطة فشكرا للأستاذ على هذه التذكرة التي ذكرنا بها حتى نسير في عملنا سيرا سليما على قواعد صحيحة ونكون على ذكر منها ثم بعد هذا وكما قلت قبل إحالة الكلمة لفضيلته إن السادة الذين قاموا بالبحوث الفقهية لاشك أن لهم بعض آراء لم ترد في التقديم الذي تفضل به الدكتور/محمد نعيم ياسين فليكملوا ما شاءوا أن يكملوه مع الاختصار حتى تتناول الكلمة كل الباحثين . . .

* الشيخ / عبد القادر العماري

بسم الله الرحمن الرحيم ـ اختصاراً للكلام سأبدأ بما قاله الإمام ابن حزم وهو يناقش المالكية في مسألة توريث الجنين أو السقط أو المولود ـ يقول لو أيقنا حياته لورثناه أي لو أيقنا حياته قبل مولده لورثناه، فتعلق بهذا الحديث الذي يقول (إذا استهل ورث[1]) ويقول ابن حزم إنه ثبت في الأحاديث الصحيحة أن الشيطان ينخس المولود عند ولادته[2] والمالكية يقولون إنه إذا لم يستهل لا يورث فيقول ابن حزم معنى هذا أنكم تخالفون حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم لأننا نشاهد كثيرا من المولودين يولدون أحياء ولا يستهلون ولا يصرخون ، هذه حقيقة واقعة

---

(١) أخرجه أبو داوود في سننه في كتاب الفرائض

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الفضائل .

ليس كل مولود يصرخ بالضرورة وأما نخس الشيطان فهو ثابت على كل مولود سواء صرخ أو لم يصرخ إذ أن مسألة الاستهلال كما يقول ابن حزم لم تكن إلا أننا لم نعرف هل هو حي أو غير حي وهو في بطن أمه ؟ ولذلك احتاط الفقهاء لعدم علمهم بالحياة في البطن بأنهم لم يورثوا إلا إذا ثبت وتحقق أنه حي بعد نزوله ، وأجمعت على هذا كل المذاهب فلا يورثون المولود إلا بعد أن يولد ولكن كما قال أستاذنا الشيخ بدر إنه يستحق الإرث لكنه لا يورث إلا بعد أن يولد . . . المهم في هذا أريد أن أقول إن الحياة ثابتة وموجودة لكن تعليق الأحكام على هذه الحياة هل نعلقها على الحياة هذه ونورثه في بطن أمه ؟ وفي رأيي أننا حتى ولو قررنا الحياة وهو في بطن أمه أن نتقيد بآراء الفقهاء حتى لا نذهب لاختلافات الأطباء هذا يقرر الحياة وهذا لا يقررها ولهذا يجب أن نلتزم بآراء الفقهاء في مسألة إثبات الحقوق .

مسألة الحديث الذي جاء به ـ أو قاله ـ رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي رواه ابن مسعود والذي هو : « يجمع أحدكم في بطن أمه أربعين يوما نطفة ثم يكون علقة مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك . . » الخ .

ليس فيه نص صريح وإنما هو فهم للحديث وإذا كان هذا فهماً للحديث وهناك أحاديث صحيحة أيضا رواها مسلم قررت أن الملك يأتي ويقول شقي أو سعيد وهكذا كلها في أربعين يوما وهي الأربعون الأولى فما المانع أن نقول إن حديث ابن مسعود يقرر الأربعين الأولى لأن اللغة العربية لا تلزمنا بأن نستعمل كلمة (ثم) للترتيب ، ونحسب على أساس مائة وعشرين يوما وما دام أن هناك مجالاً لأن نفسر الحديث حديث ابن مسعود والأحاديث الأخرى بما يتفق والواقع ، فما هو المانع من ذلك؟ وعرفنا أن ثم ليست دائماً للترتيب والتراخي ففي القرآن نفسه أحيانا يقصد بها مطلق الجمع الذي تدل عليه الواو وأحيانا مثل ما قال الشاعر :

إن من ساد ثم ساد أبوه ثم قد ساد بعد ذلك جده

وكثير من كلام العرب يدل على أن ثم هذه ليست مقصوداً بها دائما الترتيب وفي رأيي أن ثم هنا في هذا الحديث ليست مقصودا بها الترتيب الزمني ولا الترتيب

الواقعي ولكنه أتي بها من أجل الجمع مثل الواو وغيرها وبذلك نجمع بين الأحاديث وبين ما قاله الطب من أن الجنين حي بدلا من أن نقول إن هناك حياتين حياة فيها روح وحياة كذا ولما نقول بحياتين فإننا لا نقول واقعا إنما نريد أن نرضي أنفسنا ونشعر بأننا اتفقنا مع الحديث ومع ظاهر الحديث . . .وشكرا . . .

ــ الرئيس / الشيخ محمد المختار السلامي :

شكرا للأستاذ عبد القادر على ما أثاره من موضوع حول الروح والحياة وابن حزم ومشاكله مع المالكية ومع بقية المذاهب في المشاكل الكبرى .

* الدكتور / عمر الأشقر :

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين في ظني أننا لا نبحث هذه القضية لذاتها وإنما لما يترتب عليها من أحكام وفي ظني أن كثيرا من الأحكام قد استقرت في الماضي بدون بحث هذه القضية ، فالعدة مثلا بوضع الحمل سواء قبل التخلق قبل الأربعة الشهور أو بعد الأربعة الشهور، هذه قضية قد فرغ منها ، كذلك إذا ثبت أن الجنين حي من الشهر الثامن بشهادة عشرين طبيباً أو خمسين طبيباً ولكن ولد ميتا فليس له ميراث ، قضية قد فرغ منها .

بقيت القضية هل يجوز الإجهاض بالنسبة للجنين في بداية التخلق قبل الأربعة الشهور أو بعد الأربعة الشهور ؟ هل صحيح أن هذه القضية مرتبطة مع حياة الجنين إذا كانت الحياة تبدأ عندما تلقح البويضة إذا كانت الحياة عند الأربعة الشهور هل هذه القضية مرتبطة تماما أو قضية الإجهاض مستقلة عن هذه القضية في ظني أن المسألة ليست كذلك ما دام المسألة تؤخذ للتطبيق هل أذن لنا الشارع أن نعتدي على البويضة في بداية الإخصاب عندما يكون عمرها أربعين يوماً عندما تتخلق عندما تنفخ فيها الروح فإذا كانت المسألة أن الشارع لم يأذن لنا بذلك وجاءت نصوص في ذلك صحيحة أن الرسول صلى الله عليه وسلم اعتبر هذا جريمة ورتب عليها غرامة مالية هي التي تعرف في الفقه الإسلامي باسم الغرة فالقضية في ظني ليست ذات موضوع كبير ببحث المسألة بهذا الشأن .

أما من الجانب الآخر الذي هو بداية الحياة فأنا أؤيد ما ذهب إليه الإخوة الكرام الدكتور / محمد نعيم والإخوة الباحثون في أن الحياة الإنسانية تبدأ بعد نفخ الروح لا قبل ذلك ، والاستدلالات التي استدل بها طبعا أوافق عليها وأضيف إليها قضية ذكرتها في البحث أحب أن أعرضها فمن تأملي في النصوص القرآنية التي تتحدث عن الموت رأيت الله تبارك وتعالى نص على حياتين وموتين موت منهما نعرفه ﴿ ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين ﴾[1] ﴿ وكنتم أمواتا فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم ﴾[2] موت نعرفه الذي يذوقه كل إنسان وحياة نعرفها هي هذه وحياة أخرى نعرفها يوم القيامة ، بقي الموت الآخر الذي كنا فيه قبل أن نخلق ؟ ذلك عدم لا يوصف بالحياة ﴿ هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئاً مذكورا ﴾[3] هذا عدم ، فأين الموت الثاني ؟ بالتأكيد ليس هو عندما كنا عدما وبالتأكيد ليس بعد أن تنفخ فينا الروح ، في ظني أن الموت الذي يسميه القرآن موتا عندما كنا نطفا عندما كانت بويضة قبل أن تنفخ فيها الروح في مصطلح القرآن أن هذا موت ، هذا فهم لابد من تحديده إذا استطعنا أن نحدد الموت الأول أي ـ الموتة الأولى لا نذوق فيها الموت لأن القرآن قال ﴿ لا يذوقون فيها الموت إلا الموتة الأولى ﴾[4] يعني هناك موت نذوقه وموت كنا فيه ولن نذوقه فما هو ؟ في ظني أن هذا الموت قبل أن تنفخ الروح ، في اصطلاح القرآن كنا أمواتا ولو كان في الطب الحيوان المنوي هي والخلية الملقحة حية لكن هذا في اصطلاح القرآن موت وإن كان فيه حياة من نوع خاص لكن عندما نفخت الروح أصبحت هناك حياة أخرى غير تلك الحياة التي كانت هذا ما أحببت أن أشير إليه .

ـ الرئيس / الشيخ محمد المختار السلامي :

شكرا للدكتور / على ما تفضل به من مواصلة لإثبات أن الروح لا توجد في

---

(1) سورة غافر / ١١ .
(2) سورة البقرة / ٢٨ .
(3) سورة الإنسان / ١ .
(4) سورة الدخان / ٥٦ .

الإنسان إلا بعد أربعة أشهر فهو اتجاه واضح له مؤيدوه .

*** الأستاذ / عبد الرحمن عبد الخالق :**

ـ الحمد لله والصلاة والسلام على عبده ورسوله محمد وبعد . . .

في الحقيقة أحب أولا أوضح الاتفاق والاختلاف فيما تفضل به الإخوة سابقا لتحدد في النهاية النقطة التي ينبغي أن ينصب حولها النقاش . هناك اتفاق بين من تكلموا جميعا في أن الحياة الإنسانية تبدأ بالتلقيح حياة تبدأ منذ التلقيح وأعجبتني كلمة للدكتور / حسان حتحوت في الندوة الأولى في العام الماضي أنه بعد تلقيح البويضة إننا أمام مشروع إنسان فلسنا أمام إنسان وإنما هو مشروع إنسان هذه أول قضية .

القضية الثانية التي هل محل اتفاق أن الحياة الإنسانية منذ التلقيح هي حياة محترمة لها حقوق لكنها حقوق غير كاملة وإن كانت هذه الحقوق تتوقف على حياة هذا المخلوق الجنين هذه قضيةأيضا تم الاتفاق عليها .

النقطة الثالثة التى هناك اتفاق عليها هى أن الحياة الإنسانية سر من أسرار الله تبارك وتعالى وأن كنه الحياة غير معروف .

أما بالنسبة لمواطن الاختلاف فالحقيقة أننا نختلف على شيء أساسي وهو فهم النصوص القرآنية والحديثية حسب معطيات العلم المادى المعاصر هذه النقطة التي نختلف حولها ، كيف نفهم الآيات والأحاديث الواردة في هذا الصدد حسب ما يعطيه لنا العلم المعاصر الآن ، لمست أن هناك اتجاهين الاتجاه الأول ـ اتجاه يحاول إقصاء النصوص القرآنية والحديثية بتاتا عن المنظور العلمي بحيث تجعل هذه النصوص القرآنية والحديثية مجرد إيمان بغيب لا ظل له ولا معنى مفهوم ، الحقيقة هذا ما لمسته من كلام الدكتور/ حسان وإن كان قد عبر عن هذا المنحى بأسلوب

مهذب ولكن النتيجة الحتمية لقبول كلامه في هذا الموضوع هو إقصاء النصوص القرآنية والحديثية عن أن تتدخل في هذه القضية علما أن الناظر في النصوص القرآنية والحديثية يجد أنها نصوص قطعية الثبوت وهذا لا جدال فيه هذا قرآن وأحاديث حتى الحديث أيضا أحاديث مفسرة للقرآن ثم هى في الحقيقة كذلك آيات وأحاديث قطعية الدلالة فالدلالة جاءت بالعدد الحالي ومعروف أن الحساب في اللغة قطعي عندما يقول مثلا النبي صلوات الله وسلامه عليه إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوما نطفة مفهوم مخالفة لهذا أن ٣٩ يكون كذبا لو نحن فسرنا هذا بأنها تكون ٣٩يوما معناه أن النبي لم يقل صدقا ـ صلى الله عليه وسلم ـ وهذه نقطة خطيرة ففي الحقيقة إنني أرى النصوص القرآنية والنصوص الحديثية في هذا كما هى قطعية الثبوت هى كذلك قطعية الدلالة ولذلك أى محاولة لتحريف هذه النصوص أو تأويلها عن غير معانيها هذه توقعنا لا شك ، لا أقول في إشكال شرعي وإنما في خطيئة شرعية ، هذا اتجاه .

هناك اتجاه آخر مما تفضل به الإخوة يحاول التوفيق يحاول تفسير آيات القرآن والحديث على ضوء معطيات العلم الحديث وهذا في الحقيقة ما لمسته من كلام الدكتور/ عصام الشربيني وأعجبنى جدا ما تفضل به الدكتور/ مختار المهدى مما استعرضه من محاولة تعليق الحياة الإنسانية ببدء عمل المخ عند الجنين وما ذكره في هذا الصدد من بدء الحركة المركبة للجنين والاستجابة للمؤثرات الخارجية والتى تكون عند بدء اكتمال نمو المخ لكن يبقى أننا لا نستطيع أن نجزم بذلك حتى يصل هذا الأمر إلى مستوى النظرية القطعية التي لا شك فيها وهذا ما ليس موجودا أمامنا الآن ، مما عرضه الإخوة الأطباء ما وصلنا بعد إلى النظرية القطعية الحاسمة التي نستطيع أن نقطع بها ونعرف اللحظة الحاسمة لملامسة الروح للجسد الإنساني ، هذه القضية هى الحقيقة الغائبة التي نحن نحاول البحث عنها متى نستطيع علما الآن يعنى نلمس هذا بحواسنا أن نعرف الوقت الذي تلامس فيه الروح التي جاءت في القرآن والحديث هذا الجسد أو هذا المشروع الإنساني وهو الجنين في الحقيقة

وحتى يأتي هذا الوقت إننا كمسلمين يجب أن نتمسك بالنصوص الشرعية القطعية ولا يجوز تأويلها وتحريفها لنخدم ما لدينا من علم هو على ما أراه ما زال قاصرا في ذلك الأمر ، وليس علماً كاملاً ـ أشكر في هذا الصدد الدكتور/ أحمد شوقى ابراهيم لتأكيده على هذا المعنى الشرعي .

وباختصار النظريات العلمية التي بين أيدينا وكذلك النظريات العلمية بوجه عام هي نظريات غير معصومة ولا يجوز بتاتا معارضة المعصوم بغير المعصوم فنحن مع المعصوم كلام الله تبارك وتعالى وكلام النبى صلوات وسلامه عليه حتى تأتينا نظرية علمية قطعية في هذا الأمر أما مع الظنون فلا يجوز بتاتا شرعا أن نحكم بظن في هذه القضايا وصلى الله وسلم على عبده ورسوله محمد .

ـ الرئيس / الشيخ محمد المختار السلامي :

شكرا للأستاذ على ما تفضل به وكون الجنين قبل الأربعة الأشهر لاحياة له. إنسانية وأنه بعد الأربعة الأشهر له حياة إنسانية هى وجهة نظر كما قلت في الكلمة السابقة لها من يؤيدها ولها من يعارضها .

* الشيخ / محمد المختار السلامى :

ـ تعليق بسيط اسمحوا لى به هو أنى ما فهمت أبدا أن واحدا من بيننا قال إنه يجب إقصاء النصوص القرآنية والحديثية عن ميدان البحث ، وما قال شخص إنه يرفض ـ أو نرفض ـ قرآنا بما أتى به العلم، لأنه من اليقين الأيقن أنه لاتناقض بين العلم وبين القرآن ، ولكن الذي يحدث فيه التناقض هو فهم الإنسان لنص القرآن أو نص الحديث وبين العلم ، وهنا يجب أن نقول : الافهام للنصوص حسب ما يثبته العلم لأنه لا يمكن أن يتناقض القرآن مع العلم فأظن هذه محل اتفاق فيما بيننا وحسب ما فهمت من المحاضرة القيمة من الدكتور/ حسان حتحوت التي افتتح بها جلستنا صباح اليوم كانت في الواقع ممتعة جدا ، ليس علميا ولكن بما فيها من

الذوق الأدبي بتخيره الكلمات وحسن تعبيره عن المفاهيم العلمية بلغة أدبية عالية فإليه شكري وتقديري ولكن ما فهمت منه أبدا أنه قال يجب إقصاء القرآن والسنة عن هذا الميدان ، ولكن يجب أن نفهم القرآن والسنة حسب المعطيات العلمية الثابتة لا الظنية أستسمحكم مرة ثانية إذا كنت تدخلت هذا التدخل وأخذت بنفسي الكلمة ففضلكم أفضل من أن يحرجنى .

* **الدكتور / محمد سليمان الأشقر :**

أستميح الأخ السيد الرئيس عذرا أن يعطينى المهلة لأنني سأقرأ أربعة أوراق لن أزيد عليها وإن شاء الله يكون في الوقت متسع حتى لا يتشتت الذهن .

والمسألة ركزت على نقطتين :

النقطة الأولى : هى حديث ابن مسعود لأنه في الحقيقة هو أساس هذا المؤتمر الذي بني عليه ، وكذلك المؤتمر السابق تقريبا دار على هذا الحديث وتعليقا على حديث ابن مسعود الذي رواه البخاري ومسلم أود أن أتكلم من وجهة نظر حديثية صرفة . وكم كنت أود لو فرغت بحثي الذي قدمته للمؤتمر في هذه النقطة خاصة .

هذا الحديث روى في الصحيحين وغيرهما وتضمن قضايا مختلفة :

القضية الأولى : أنه أخبر بكتابة الأجل والرزق ، وهذا اتفقت عليه الروايات عن ابن مسعود وغيره من الصحابة وقد بلغ عددهم كما في فتح الباري عشرة من الصحابة أو أكثر فلا يشك في هذه النقطة بالذات .

القضية الثانية في الحديث :

أنه أخبر بزيارة الملك للجنين في بطن أمه وهذه القضية متفق عليها بين جميع الروايات .

القضية الثالثه :

أن هذه الزيارة تكون بعد أربعين وأربعين وأربعين . وهذه النقطة بالذات اختلفت فيها هذه الرواية للحديث مع روايات كثيرة لغير ابن مسعود من الصحابة ، بعضها في صحيح مسلم كحديث أبي أسيد الغفاري أن المدة أربعون يوما فقط .

ولم يذكر عن رأي واحد من الصحابة غير ابن مسعود أنها ثلاث أربعينات . بل كلها اتفقت على أنها أربعون واحدة فقط ، فما موقف المحدث تجاه مثل هذا ؟ إن هذا النوع هو تعارض الروايات ، ولا يعني في نظري أن يقال إنها زورتان ، فإن التفاصيل المذكورة في الروايات تدل على أنها زورة واحدة .

إذن هذا نوع من التعارض . وإحدى الروايات صحيحة وتعبر عما صدر في الحقيقة والواقع عن النبى صلى الله عليه وسلم ، وأما الرواية الأخرى فإنها وإن صحت سندا ينبغي أن نحملها على تصرف من بعض الرواة بنوع من الوهم ، أو نؤولها أو نفهمها على وضع غير ما يتبادر منها . فقد قال بعض من تكلم من المحدثين في هذا الموضوع كما سمعنا من الأخ الدكتور/ محمد نعيم ياسين أن اختيار البخارى لرواية الأربعينات الثلاث وعدم ذكره لما خالفها نوع من الترجيح لهذه الرواية ولكن يمكن أن ننظر في هذا الأمر بطريقة أخرى ، وهى أن كثرة الرواة واتفاقهم على طريقة واحدة ترجح على رواية الواحد وهذا أمر معروف وفطرى تقريبا ومعترف به لدى الأصوليين والفقهاء والمحدثين وجميع العقلاء فيما أتصور إلا أن يكون هذا الواحد له ميزات فوق النصوص وهذا ليس موجودا هنا فإذا علمنا أن الرواة عن ابن مسعود في الروايات التي صحت سندا لم يأتوا بالأربعينات إلا واحد منهم فقط حتى عن ابن مسعود لم يذكروا إلا رواية أربعين فقط واحدة هو المسمى زيد بن وهب نعلم بذلك رجحان رواية أن الأربعين واحدة حيث إنها قد صحت واتفق عليها سائر الرواة وهذا الترجيح هو المطابق لكلام الأصوليين والمحدثين طبقا

لما يذكرونه في باب التعارض من أن الترجيح بكثرة الرواة أصل معتبر خاصة وقد صحت الروايتان من حيث السند .

فإذا صح هذا الترجيح لزمنا أن نعتبر أن نفخ الروح وما ذكر معه إنما يكون بعد أربعين أو اثنين وأربعين أو خمسة وأربعين يوما على اختلاف الروايات في الموضوع وليس بعد مائة وعشرين يوما . وينبغي أن تبنى الأحكام على هذا التوقيت الأقل لا على التوقيت بأربعة أشهر .

بقي أن أشير إلى أن رواية ابن مسعود التي فيها الأربعينات الثلاث رويت في الصحيحين بطريقتين :

الأولى : قالت : إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوما نطفة ثم يكون علقة مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك ـ ثم يرسل إليه الملك وهذه الرواية التي يشير إليها كل من تكلم في هذا الموضوع ، لكن الرواية الثانية أيضا في الصحيحين وأرجو أن يتنبه إلى لفظها : وهى تقول : إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوما ثم يكون في ذلك علقة مثل ذلك ثم يكون في ذلك مضغة مثل ذلك . فهذا الاختلاف لا شك أنه وقع بعد ابن مسعود وليس من ابن مسعود نفسه لأنه قالها بطريقة واحدة فإذا أمعنّا النظر في الرواية الثانية أمكن أن تحل الإشكالات كلها فهى قالت : إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوما ، ثم يكون في ذلك علقة مثل ذلك ، ثم يكون في ذلك مضغة مثل ذلك . فقوله في ذلك يعود إلى ماذا ؟ نرجو أن نتنبه إلى هذا في ذلك إشارة ولها مرجع في الكلام المذكور سابقا ولم أجد أحدا تكلم في الفرق بين الروايتين مطلقا ولعلهم استسهلوا فهم الرواية الأولى التي فيها أربعينات ثلاث ، ولكنهم أغفلوا الكلام عن الرواية الثانية كله مع أنها في الصحيحين أن كلمة في ذلك لا يظهر لها أى مرجع ترجع إليه إلا قوله ﴿ أربعين يوما ﴾ أى تكون أيضا علقة في الأربعين الأولى ، وكذلك مرحلة العلقة هى أيضا في الأربعين الأولى وبهذا تجتمع جميع الروايات عن ابن مسعود وغيره ولا

يبقى إلا أن تفيدنا الرواية هذه فائدة وهى أن كونه نطفة وكونه علقة وكونه مضغة كل واحد مثل الثاني يعني أسبوعين وأسبوعين ، أما القضية الرابعة التي ذكرت في رواية ابن مسعود ـ وهي نقطة أخرى في نفس الحديث ـ فهي أن الملك ينفخ الروح في الجنين في زورته تلك فهذه القضية لم تذكر في أى رواية أخرى إلا في رواية ابن مسعود إلا أنها رويت عن ابن عباس من قوله .

وأيضا هنا أتكلم من وجهة نظر أصولية وحديثية صرفة كذلك قد يظن أن هذا من باب تعارض الروايات فنترك رواية ابن مسعود ونحذف قضية نفخ الروح بالكلية ويقول الرواة الآخرون ما ذكروها ولكن نقول لا : ليس هذا من باب التعارض في شيء بل هذا من زيادة بعض الرواة عن البعض الآخر فقد أتى بتفصيل لم يذكره غيره فيكون هذا من باب (زيادة الراوى الثقة) وليس من باب التعارض . (وزيادة الراوى الثقة) قد تضعف بسبب عدم مشاركة غيره من الرواة وانفراده بذلك ، لأن غيره كان يسمع كما سمع فلماذا أتى هو بما لم يأت به غيره ؟ ولكن الراجح عند العلماء أن زيادة الراوى الثقة على غيره مقبولة ويعمل بمضمونها وعلى هذا فرواية (نفخ الروح) في زيارة الملك معتمدة ومقبولة وتؤيدها إشارات قرآنية وحديثية أخرى بخلاف الأربعينات الثلاث .

وقد تعرضت لهذه المسألة في ندوة الإنجاب بإيجاز ولم أزل أقلّبها في ذهني وقد رجعت إلى الروايات إلا أن الحقيقة ليست رجوعا كاملا وينبغي أن تبحث المسألة على نطاق علمى حديثي صرف بحيث تستكمل جميع الروايات الواردة في الموضوع ويقارن فيما بينها .

النقطة الأخرى التي أريد أن أعلق بها على كلمة أخينا الأكبر فضيلة الشيخ بدر المتولى هي أننا ولم نزل نختلف من مدة طويلة أنه إذا تعارضت أقوال العلماء فهل المتكلم في الفقه وفي العلم له أن يأخذ بأي رأي اختلفوا فيه لم نزل نختلف في هذه النقطة وأنا أطرحها هنا وقد طرحت سابقا وهي أن الاجتهادات إذا

اختلفت جاز للفقيه أن يأخذ بأى رأى شاء ، المعتمد عند العلماء فيما أرى أن الناظر إذا كان لديه إمكانية النظر ومعرفة الأدلة عليه أن يرجح بعد الرجوع إلى الأدلة فيرجح منها ما رجح في الدليل فقط لا بما يناسبنى أو ما لايناسبنى أما الجاهل والمقلد ومن لا معرفة له بالدليل فإنه يأخذ رأى من هو في نفسه أعلم بالكتاب والسنة أما عشوائيا دون اعتبار للأدلة فهذا لا يكون إلا في حالة واحدة وهى أن تتعارض لديه الأدلة ولا يجد وسيلة للترجيح فحينئذ بعض العلماء قال إنه يتوقف وبعضهم قال يأخذ بأى رأى شاء وإلا إذا قلنا فيختار ما يناسبه ـ ففي المذاهب الأربعة من يبيح شرب النبيذ المسكر مثلا وهذا يدعونا بأن نربي الأجيال القادمة من أهل الفقه والعلم على معرفة الأدلة والفهم عنها مباشرة بعد النظر في كلام العلماء وبعد التأهيل لذلك .

ـ الرئيس / الشيخ محمد المختار السلامي :

شكرا للدكتور/ محمد سليمان الأشقر فقد استمعنا في كلمته هذه إلى طرق الترجيح بين الأحاديث المروية في الصحيح في هذه القضية ثم تطرق بنا إلى قضية أخرى وهي طرق الترجيح بين أقوال الفقهاء والقضية ليست جديدة ولكن كتب فيها الشاطبي فيما أعتقد أفضل كلام وقال إن الإسلام جاء لإخراج المكلف عن داعية هواه وبذلك فهو عندما يقف يقول لا يكون إفتاؤه لأنه أنسب له ولكن أقرب إلى ما يظنه حقا أخذاً من كتاب الله أو من سنة رسوله أو أخذاً من أقوال الفقهاء وإذا كان الإنسان عاميا وليس مجتهدا فهو لا يستطيع أن يفتي أو أن يأخذ لنفسه إلا بما ترجح من الأقوال وهذه قضية انتهى منها كل الباحثين فيما عرض ـ

* الشيخ بدر المتولى عبد الباسط :

في الواقع أن أخي الأستاذ/ محمد الأشقر أثار هذه المسألة ولا بد من التوضيح : إن أعياني كفقيه أن أنظر في القضية الأدلة الأصلية من كتاب وسنة فلى

أن أعتقد وأن أرجح آراء من سبقني من الفقهاء وإذا كانت المسألة خلافية ولا سيما خلافية في المصدر الأول وتساوت أمامي الأدلة والترجيحات . . . . يبقى في الواقع من المرجحات أن آخذ بالرأى الذي ينفع المجتمع ، ليس كلامي أنا كذا كلامي على أن عجزت على أن أرجح رأياً على رأي وهنا آراء سبقني إليها السادة العلماء ولاسيما في الصدر الأول ولاسيما إذا كانت هذه الآراء اشتبهت على ولست قادرا أن أرجح ـ فمن ضمن المرجحات أن آخذ بما هو أيسر على الناس لأن الشريعة تطلب : (يسّروا ولا تعسّروا وبشروا ولا تنفروا) فإذا كانت المسألة مسألة خلافية واشتبه الأمر على المجتهد أو على المفتي في أن يرجح رأياً على رأي يبقى في الحالة هذه يتعين عليه أن يختار الرأي الذي هو أيسر على المجتمع هذا ما أقوله ولا زلت أقوله وأظن يعني تقاربنا أو تباعدنا كما تقدرون والله أعلم .

الرئيس/ نشكر الشيخ بدر المتولي وهذا رأي نتفق عليه جميعا وهذا مرجح من المرجحات في نظر الاجتهاد نتفق عليه كمرجحين فلا خلاف والحمد لله .

* دكتور/ أحمد شوقي ابراهيم :

حديث ابن مسعود ذكر نفخ الروح بعد ١٢٠ يوما أما الحديث الذي رواه مسلم عن أبي الطفيل بعد أربعين يوما فلم يذكر نفخ الروح وهذا معلوم لنا جميعا وهذا نص الحديث عن أبي الطفيل عن حذيفة بن أسيد قال النبي صلى الله عليه وسلم « يدخل الملك على النطفة بعد ما تستقر في الرحم بأربعين أو خمسة وأربعين ليلة فيقول يارب أشقي أو سعيد فيكتبان فيقول أي رب أذكر أم أنثى فيكتبان ويكتب عمله وأجره ورزقه ثم تطوى الصحف فلا يزاد ولاينقص ولم يأت ذكر الروح في ذلك ـ الروح لم تأت في هذا الحديث بعد أربعين يوما لم يأت الحديث بذكر الروح وأما نفخ الروح فلم يأت إلا في حديث ابن مسعود وشكرا .

* **الشيخ / ابراهيم الدسوقي :**

في الواقع أكثر الإخوة في الحديث عن الموضوع الذي معنا ولكن هناك بعض التساؤلات قبل نفخ الروح حينما يسقط الجنين في الفترة ما بين العلقة والمضغة أو في هذه الفترة حتى نفخ الروح إذا سقط الجنين ذكر بعض الإخوه أن هذا الذي يحدث أو هذا الإجهاض من الذي يحدث يترتب عليه ممكن جدا أن يكون سببا لانقضاء العدة واستشهد بقوله تعالى « وأولات الأحمال أجلهن أن يضعن حملهن » هنالك أحكام أخرى تترتب على هذه الناحية بالذات وهذه الأحكام المتفق على كثير أنها لا يحكم بها إلا إذا استهل الجنين صارخا أو بدأت فيه حركة حياة فهو هنالك بالنسبة للعدة بالذات حينما ينزل الجنين قبل هذه الفترة بالذات وإن كنا نقول يستدل بهذا على براءة الرَحِم لكن حياة الجنين في هذه الفترة حينما ينزل يتحرك تظهر فيه حياة. نرجع إلى نفس كتب الفقه أو السنة نجدها فرقت بين الفترة التي قبل نفخ الروح والتي بعد نفخ الروح فرتبت على ما بعد نفخ الروح أحكاما غير ما قبل نفخ الروح قلنا إذا حدث أن الجنين أسقط أو نزل بالعدوان فيه دية إذا كان بعد نفخ الروح ما دام نزل ميتا هنا أيضا إذا سقط الجنين ينزل الجزاء إلى الغرة ـ لنتفق على أن الحياة مستقرة قبل نفخ الروح وعلى ذلك ترتب عليها كل آثارها أو أن الحياة الإنسانية تبدأ بعد نفخ الروح وتكون الآثار كلها تترتب عليها بعد هذه الفترة أي بعد نفخ الروح هذه واحدة بالنسبة للموضوع الأول الذي هو سقوط الجنين قبل نفخ الروح .

بعد هذا أهمية هذه الندوة تبدو حقيقة في ظلال الحياة التي جرفتنا فيها التيارات المادية والفكر التجريبي الذي يريد أن يطمس معالم ديننا كلها خاصة منها ما يتصل بالغيبيات ، حقيقة نحن حينما نجتمع في هذا المكان اليوم ونقرر أن حياة الروح وأن الدين يعيش مع الإنسان منذ كان نطفة في صلب أبيه إلى أن يخرج إلى الوجود إلى أن يوارى في التراب نحن بهذا نؤكد للدنيا جميعا أن الإسلام هو دين الحياة حقا ولا سبيل إطلاقا لعزله عن الحياة وهو كما نظم علاقة الإنسان بنفسه

وعلاقته بربه وعلاقته ببني جنسه نظم حياته بعلاقته بالحياة من حوله وما يترتب عليها في هذه الحياة .

الذي أريده وأؤكد عليه أو أريد بيانه والإفصاح عنـه من السادة الإخـوة الأطباء هو هل الحياة قبل نفخ الروح معتد بها ومعتبرة شرعا يترتب عليها الآثار الكاملة لما بعد نفخ الروح أم إنها حياة خاصة حقيقية فيها الخصائص الإنسانية لكنها حياة خاصة لا ترقى إلى هذه الناحية وشكرا .

الرئيس : شكرا لفضيلة الشيخ / ابراهيم الدسوقي على ما تفضل به وفي الواقع هو أثار قضيتين :

القضية الأولى : هي أن الأحكام الشرعية هل تثبت للجنين في حياته قبل نفخ الروح وبعد نفخ الروح ؟ فهذه القضية بين الفقهاء هي محل اختلاف فإذا كانت الشافعية والمالكية والحنفية يجعلون الحكم يختلف قبل الأربعة أشهر وبعد الأربعة الأشهر وقبل التخلق الظاهر وبعد التخلق الظاهر فـإن المالكيـة (حسب الصحيح في مذهب مالك أنه بمجرد ما يثبت الحمل فإنه يأخذ الخصـائص التي تترتب عليه والأحكام التي تترتب عليه إلى تاريخ وضعه فلا فرق بين الشهر الأول وبين الشهر التاسع هذه القضية ليست إلا قضية إجتهادية فإذا ما أفادنا العلم حتى نرجح قولاً علميا آخر لا يكون إتيانا بجديد ولكنه ترجيـح لأحد المـذاهب التي سبقت والتي قال بها الفقهاء وكلهم قد استهدف الحق منهم من أصاب ومنهم من أخطأ والعلم يضيف أدلة جديدة ورأيا على رأي مع التفاهم للنص .

ثانيا : إن الإسلام قطعا لايقبل (هذه قضية نتحدث عنها إنها من القضايا الرئيسية)إنه لا يُقبل بحال من الأحوال أن نقول إن الإسلام لا يدخل في فترة من فترات حياة الإنسان ولا في فترة من فترات نشاطه فليس هناك نشاط بشرى إلا وله حكم من الله وهذه أظن أنها قضية متفق عليها .

وعندنا الجنين له أحكام وهووليدقبل أن يبلغ له أحكام وهو بالغ له أحكام وهو فاقد العقل له أحكام وهو إنسان في كل مراحله . . على كل لاأريد أن أناقش وليس لي حق المناقشة أستمع ولكن ربما تعجلت وخلق الإنسان من عجل فأستسمحكم في هذا والكلمة الآن للأستاذ الدكتور يوسف القرضاوي .

* **الدكتور / يوسف القرضاوي :**

بسم الله الرحمن الرحيم والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه وبعد فقد سمعنا من الإخوه الأطباء والإخوة الأساتذة الفقهاء وإن كان تعبير الفقهاء هنا مجازاً ، لأن كلمة الفقهاء كلمة كبيرة كانوا لا يقولونها إلا عن المجتهد فقيه النفس ونحن نشتغل بالفقه لا أدعي أني فقيه أنا أشتغل بالفقه فسمعنا الخير الكثير من هؤلاء وهؤلاء واجتماع الطائفتين ولا شك وراءه خير كثير إن شاء الله ودلنا هذا على أن القضية التي نبحثها قضية خلافية سواء كان ذلك بين الأطباء أو بين أهل الفقه أنفسهم واختلافهم رحمة سواء كان اختلاف الأطباء واختلاف الفقهاء لأن هذا يوسع على الناس في مثل هذه الأمور .

نحن نعتقد أن الله سبحانه وتعالى حينما يريد من الناس أمرا جازما لازما يريد أن يجمع الجميع عليه ينزل في ذلك نصوصاً محكمات لا تحتمل مدلولا آخر قطعية الثبوت قطعية الدلالة وحينما يريد التوسعة على عباده ينزل في ذلك من كتابه أو مما جاء على لسان الرسول صلى الله عليه وسلم النصوص التي تحمل أكثر من معنى أو أكثر من مدلول وهذا ما رأيناه في هذه القضية ولذلك اختلف فيها فقهاؤنا أنفسهم من قديم ولا زلنا نختلف فيها إلى اليوم والموضوع فعلا كما أشار الأخ الدكتور/ عمر الأشقر موضع الخلاف الوحيد هو قضية الإجهاض سواء كان ذلك قبل الثلاثة الأربعينات إذا أخذنا برواية ابن مسعود الشهيرة أو قبل الأربعين إذا أخذنا بالرواية الأخرى ، القضية الوحيدة ينبغي أن تحسم ليس هناك خلاف الأمور الأخرى لا خلاف عليها وأريد أن أقول هنا إن الموضوع ليس فيه نص قطعي

الثبوت ـ قطعي الدلالة ونخالف الأخ الشيخ عبد الرحمن عبد الخالق الذي يقول إن المسألة فيها نصوص قطعية الثبوت ـ قطعية الدلالة ، فيها قرآن فعلا قطعي الثبوت ولكنه ليس قطعي الدلالة فيها حديث أو جملة أحاديث ولكنها أيضا كما ذكر بحق الأستاذ الدكتور/ محمد الأشقر حتى من ناحية الثبوت يعني الحديث المحوري في القضية حديث ابن مسعود بروايته المشهورة رأينا فعلا وقد أحسن الأخ الأستاذ الأشقر حينما جمع هذه الروايات وليته فعلا فرغ نفسه لهذا الأمر لأنه هو محور الموضوع كله ـ موضوع إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه ـ الرواية التي جاءت عن ابن مسعود لو نظرنا إليها بميزان النقد الحديثي كما يقول علماء أصول الحديث أو مصطلح الحديث هذه الرواية شاذة ـ لأن الشاذ هو ما يرويه الثقة مخالفا من هو أوثق منه والأوثقية تأتي بأن الآخر أحفظ أو أن عدد الرواة المخالفين أكثر وهذا هو الذي رويناه حقيقة .

الذي أريد أن أصل إليه أن المسألة ليس فيها نص قطعي الثبوت وإذا كان فيها نص قطعي الثبوت من القرآن فليس قطعي الدلالة بل هو محتمل حتى نفخ الروح ، ما معنى نفخ الروح وهل يعني هذا أن ما قبل نفخ الروح يجوز إجهاضه هذه قضية أخرى ـ هذه قضية أيضا فيها احتمال وأيضا ما ذكره الاستاذ الدكتور/ حسان في أول الأمر أن منع النبي صلى الله عليه وسلم إقامة الحد على المرأة التي وجب عليها الرجم وطلبت أن يقام عليها الحد (الغامدية) وكان هذا في أول الحمل هذا دليل على أن الحمل في بدايته محترم هذا مرجح من المرجحات .

مسألة الغرة أيضا مرجح من المرجحات يعني المسألة عندنا الحقيقة فيها أكثر من وجهة متقابلة وهذا يجعل المسألة لا زالت مسألة اجتهادية ومسألة خلافية وأنا أرى الحقيقة أن من الخير دائما أن تظل المسائل القطعية قطعية وأن تظل المسائل الظنية ظنية لا نحاول أن ننقل مراتب الأحكام عما استقرت عليه فبعض الناس يريدون أن يشككوا في القطعيات ويحولوها إلى ظنيات وأن يجعلوا المحكمات

متشابهات وأن يناقشوا في الأمور التي استقر عليها إجماع الأمة وعلمت بالدليل ، هذا مرفوض قطعا كما أن أناسا آخرين يريدون أن يجعلوا الأمور الظنية قطعية والخلافية إجماعية وهذا أيضا أمر مرفوض يجب أن تظل مراتب الأحكام كما هي ولذلك لا زالت هناك حاجة إلى مزيد من البحث والرد ولعل جلسة المساء تزيد الأمر وضوحا وجلاءً وأكتفي بهذا القدر وشكر الله لكم والسلام عليكم ورحمة الله .

ـ الرئيس / الشيخ محمد المختار السلامي :

شكرا للدكتور / القرضاوي على ما تفضل به حين بيّن أن هذه القضية قضية خلافية وستبقى خلافية وهذا شأن الظنون لأنه لو لم تكن القضية ظنية لما أمكن أن يقع فيها الخلاف لأن القطعيات لا يختلفون فيها .

*** الدكتور حسان حتحوت :**

أما العتاب فبالأحبة أخلق ، والود يصلح بالعتاب ، قبل حضور الواحد منا إلى مثل هذه الندوة يكون قد اجتاز مراحل كثيرة منها بالقطع أنه مؤمن ومنها بالقطع أنه يلقى إخوة مؤمنين ومنها أنه مطمئن إلى أن كلا منهم قد بلغ مرحلة معينة ولو بسيطة من الإيمان أو من العلم بما يقول إلى آخره . . .

وقد كان في الود أن أعاتب أخي الدكتور/ أحمد شوقي وحده لأنه كان يكون أسهل على من يقول إذا اختلف العلم والقرآن فيجب أن أرجح القرآن ويعتبر أننا في حاجة إلى قول هذا عندما قلتها اعتبرتها كلمة زائدة فليس منا من يشك في أنه يفاضل بين العلم والقرآن كنت أتوقع أن نكون قد اجتزنا هذه المرحلة من زمان قبل أن نأتي إلى مثل هذه الندوة وإنما الذي قلته إنه من سوء الحظ أن استعملت مسميات مشتركة بين الاثنين قال أحد العلماء ليس بين ما في الدنيا وما في الآخرة من تشابه إلا في الأسماء فالاسم الواحد يستعمل لمدلولين مختلفين تماما فنحن كأطباء حين شئنا أن نصف المنى أو الجرثومة التوتية التي يسمونها المضغة التي تكون من بعد ١٨ ساعة من

الإخصاب إلى اليوم الخامس أو العلقة التي لا تعلق إلا يومين ثم تنغرس كان ينبغي أن نختار لها أسماء غير النطفة والمضغة والعلقة حتى لا يقع اللبس فيما بين ما ورد في حديث الأربعينات وبين ما يستعمله الأطباء فتسمية الأطباء بهذه المسميات تسمية خاطئة وكان ينبغي ألا تكون ولسنا في مكان المفاضلة بين أن أقول هذه أسميها المضغة والنبي عليه السلام يقول المضغة أربعون يوما يبقى أيهما يشك فيه وأيهما يصدق هذه قضية غير مطروحة .

سمعنا كثيرا من الاجتهادات والأفكار وأود أن أدلي بدلوى بفكرة أيضا إن الكتابة بمعرفة الملك والتي تكون في اليوم العشرين بعد المائة هذا ليس بدء شيء هذا نقل من اللوح المحفوظ إلى دفتر الملك وهو لا ينبىء عن شيء إلا عن بدء وظيفة ملكية في هذا التاريخ أما شقي أو سعيد وإما كذا أو كذا فهو في اللوح المحفوظ لم يبدأ ولم يبتدىء بكتابة الملك له ولكن الملك مكلف بعمل وأول بدء أداء الملك هذه الوظيفة هو هذا التاريخ إن الإنسان لا يعتبر ولد في وقت كتابة شهادة الميلاد قد أكون مولودا قبلها بزمن ولكن عندما أذهب إلى السجل المدني لتسجيل مولود ويكتب في دفتر هنا بدأ هذا الموظف في ممارسة مهنة التسجيل وهو في نظري أشبه الأشياء بفعل هذا الملك ولهذا نقول ويكتب أجله ماذا لو أسقط الجنين في شهرين وانتهى أجله قبل أن يأتي الملك أذهب إلى العدم ومن العدم أم كان في اللوح المحفوظ إن هذا الجنين يعيش شهرين وينقضي أجله وسبق بذلك علم الله وتقديره ولكنه لم يصل إلى المرحلة التي يبدأ فيها هذا الملك وظيفته التسجيلية سمعنا معاني الروح أكثر ما أستريح إليه (يسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي) ولكن سمعنا أن الروح فسرت بسبعة معان فلماذا نحبس أنفسنا ونقول نفخة الروح بدء إنسانية الإنسان هذا في نظري فكر ثامن يحتمل أنه يجوز ويحتمل أنه لا يجوز بجانب الأفكار السبعة الماضية وما كان يجوز أن يكون ويجوز ألا يكون فنحن غير ملتزمين بأن نحبس أنفسنا فيه والله أعلم وشكرا يا أخي الرئيس .

ـ الرئيس / الشيخ محمد المختار السلامي :

بعد هذه الجلسة الخصبة والتي استمعنا فيها جميعا إلى آراء السادة الذين تفضلوا بإبداء آرائهم يتلخص نقاط :

النقطة الأولى : وفيها عدة أمور : الأول وهو محل اتفاق ـ هو أن اليقين والجزم في هذه القضية لا سبيل إليه وأنها من الظنيات وشأن الظنيات أنها قابلة للاجتهاد والبحث ـ .

الأمر الثاني هو أن البويضة فيها حياة وهذا يقيني .

الأمر الثالث وهو أن الدين يدخل كل ميدان ويعطي حكما لكل قضية من القضايا ولكل نشاط بشري والمراد أن الحياة متى بدأت فهي محترمة ولا يجوز التعدي عليها بعد هذه النقاط التي هي محل اتفاق بين الجميع . . . أما أي حياة ؟ فهي من النقاط المختلف فيها أولا ـ هل أن الحياة تثبت بعد أربعة أشهر أو قبل أربعة أشهر هذه قضية اختلفنا فيها أو ما زالت محل البحث وستكون من القضايا التي ستثار بعد في الجلسة القادمة . . .

النقطة الثانية : هي أن الروح هل هي خاضعة للبحث الإنساني أو هي فوق البحث البشري ولا يستطيع الإنسان أن يبحث في الروح .

النقطة الثالثة : هي أن هذه النصوص التي نعود إليها ونرجع إليها لاستخلاص الأحكام الفقهية منها ما هو قطعي ومنها ما هو ظني حتى نطمئن إلى أن بحثنا هو من هذا أو ذاك اختلاف ـ الاجتهادات وما يؤخذ به أو مالا يؤخذ به .

والنقطة الأخيرة : هي نفخ الروح وما معنى كلمة نفخ ـ هذه أظن قضايا سنعرض إليها في جلستنا غداً بحول الله .

الجلسـة الثالثـة

عقدت الجلسة الثالثة الساعة الرابعة عصرا حيث ترأسها الدكتور يوسف القرضاوي وبحضور كلٍّ من الدكتور عبدالله باسلامة نائبا للرئيس والدكتور عبدالستار أبو غدة مقررا حيث خصصت الجلسة للمناقشات الفقهية لوضع تحديد دقيق لبداية الحياة الانسانية حيث تراوحت بين مجموعتين : الأولى تعتبر بداية الحياة منذ تلقيح البويضة والثانية تعتبر البداية عند نفخ الروح واتفق الجميع أنه منذ بداية الحمل هناك حياة يتعاظم احترامها بمرور الوقت عليها .

وأثيرت عدة نقاط أثناء الجلسة مثل استعمال اللولب وموقف الشرع منه وهل يعتبر ذلك اجهاضا ام لا ؟ .

واختتمت الجلسة الساعة الثامنة والنصف مساء .

المحـــرر

المناقشات

ـ الرئيس / الدكتور يوسف القرضاوي :

بسم الله الرحمن الرحيم :

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله تعالى من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وصحبه ومن دعا بدعوته واهتدى بسنته إلى يوم الدين خير ما أحييكم به أيها الإخوة ـ تحية الإسلام السلام . . . . والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته . .

ونستمر في جلساتنا هذه لخدمة موضوعنا المشكلات الطبية المعاصرة في ضوء الفقه الإسلامي هذه الجلسات التي تجمع بين رجال الفقه ورجال الطب ، وإذا كان من علمائنا السابقين من جمع بين الفقه والطب مثل ابن رشد فمن النادر أو من الصعب في عصرنا أن يجمع الإنسان هذا في عصر التخصص الدقيق ، ولذلك يمكن أن يغني عن هذا أن يجتمع الفقهاء والأطباء كما يجتمع الفقهاء والاقتصاديون وأهل الاختصاصات المختلفة حتى يبني الفقيه فقهه على معرفة الواقع معرفة دقيقة فإن الفتوى لا تكون صحيحة ولا تقع موقعها إلا إذا عرف الفقيه الواقع كما قال فضيلة شيخنا الشيخ بدر في الصباح عملية التشخيص لابد منها نحن نجتمع الآن لمعرفة موضوع بداية الحياة وأعتقد أنه في بداية الصباح قد تحدد لنا ما المراد من هذه البحوث حول هذا الموضوع ، الموضوع الوحيد المختلف فيه هنا هو ما يتعلق بالإجهاض والإجهاض قبل ١٢٠ يوما لأن ما بعد ١٢٠ أعتقد أنه قد اتفق على تحريمه المسألة تتعلق بما قبل الأربعين ـ بما قبل الأربعينات الثلاثة أي ما قبل الأربعة الأشهر وإن كان هناك مرحلة دون مرحلة أيضا ـ مرحلة الأربعين الأولى وهي أخف

مما بعدها فلا بد أن نحدد موضوعنا في هذه الناحية نحاول أن نضيّق الخلاف وأن نصل إلى رأي أقرب ما يكون إلى الحق وإلى الصواب لأن القطع في هذه الأمور أيضا صعب ما دام لم ينزل الله سبحانه وتعالى فيها نصا محكما ، ولا حرج أن نختلف إذا كان هدفنا الحق ومن أصاب منا فله أجران ومن أخطأ فله أجر إن شاء الله

نحن الآن عندنا الجلسة طويلة سنقسمها إلى قسمين قسم قبل المغرب الساعة ٥ ثم نستريح فترة للصلاة ولشرب الشاي في حوالي نصف ساعة بعد الخامسة ثم نعود إلى الثامنة وفي الغد إن شاء الله تبدأ جلسات البحث عن الموت بعد الحياة نسأل الله أن يطيل حياتكم في طاعته إن شاء الله أريد من الإخوة أن يلتزموا بالوقت المحدد قدر الإمكان حتى لا يجور أحد منا على أخيه ولا على الوقت العام ويساعد على هذا أن لا نحاول التكرار ما استطعنا والأمور المحسومة لا داعي للحديث فيها مرة أخرى يحاول كل منها أن يضيف شيئاً على الآخر ، أن يعارض إن كان عنده معارضة والمهم أننا نستدل أولا ثم نبني الرأي ثانيا لا نبني الرأي مقدما ليفترض كل منا أنه جادّ وليس عنده رأي ، وفعلا قد يغير الإنسان رأيه بعد أن يسمع وهذا هو الحق الذي يجب أن يكون شعارنا دائما سنفتح الآن الباب لمن يريد أن يتحدث من الإخوة وبعد ذلك ستكون الجلسة .

الآن النقاش مفتوح لا نحدد إنما نحدد بعد المغرب إن شاء الله . .

ويبدو أنه لابد أن يبقى بعض المتكلمين إلى ما بعد المغرب نعطي كل واحد مبدئيا خمس دقائق وإن احتجنا فيها بعد نعيد الكرة إن شاء الله .

*** الدكتور / عبد الحافظ**

بسم الله الرحمن الرحيم : دون أن أتجاوز التخصص ولا أتجاوز الوقت أو أن أشير إلى أشياء قد برزت في أثناء النقاش في جلستي الصباح .

المعنى الأول هو معنى الحياة وقد طلب بعض الزملاء أن نستنير برأي بعض

من سبق لهم دراسة هذا الموضوع ، ولا أقول هذا للاحتذاء ولكن للاستئناس فهذا هو الموضوع الأول وأنتقل منه إلى موضوعات قليلة أخرى لو كان هناك وقت فمعنى الحياة وبدؤها كان موضوع حوار واسع مثلا في الولايات المتحدة الأمريكية وأشير إلى مقال نشر في مجلة العلوم التي تصدرها أكاديمية العلوم الأمريكية في ديسمبر عام ١٩٨٢ م وكان عليه تعليقات في يونيو التالي وهذا التعليق أنا أقول ليس للاحتذاء ، ولكن فلننظر أنواع المشاكل التي أثيرت - الكونجرس الأمريكي قال إن هناك أدلة علمية حديثة معاصرة تدل على احتمال راجح بأن الحياة البشرية الفعلية توجد منذ الحمل صدر قانون الحق في الحياة عام ١٩٨١ وفيه تعريف أشد تحديدا لهذا المعنى : كون الحياة تبدأ منذ الحمل ودار حوار بما هو مقصود بمعنى الحمل اليكن شبسن هل هو الإخصاب كما ذكرتم الآن ، أو العلوق بالمصطلح الذي استخدمناه في هذا الصباح وترك النص مفتوحا بهذا الشكل لكي نستبين حقيقة الأمر .

وأود أن أشير أن المعلقين قالوا إن هذا سؤال سخيف بمعنى أنه من العسير أن نقول للحياة بداية وحصل خلط وأرجو أن يكون الفرق واضحا بين الأمرين إن الحياة بمعناها المطلق ليس لها بداية إنما هي مستمرة من جيل إلى جيل ومستمرة حتى في الحيوانات المنوية وحتى في البويضات ثم في اللقيمات ثم في الأجيال القادمة ولكن المسألة كما تبدو هي المسألة التي أستطيع أن أسميها الشخصانية أو الفردانية لا أقول الشخصية لأن لها معنى خاصا لدى علماء النفس لكن أقول الشخصانية : تفرد شخص أو فرد معين بميزات معينة وتبدأ حياته منذ كذا التي نحاول أن نحدد الآن إلى أن يريد الله .

الواقع أن المعنى البيولوجي كما تفضل الدكتور / حسان التحام الحيوان المنوي بالبويضة أو النخاع نويتهما بلغة أصح يعتبر هذا هو البداية ولكن نبدأ هنا ما نسميه احتمالات الحياة أو إمكانات الحياة فهذه الخلية التي فيها نويتان هي حياة محتملة بإذن الله ، لأنها قد تعلق أو لا تعلق فإذا علقت بدأت السلسلة وإذا لم تعلق

وملايين من هذه الخلايا المخصبة لا تعلق فهذه انتهت ولكنها في غيب الله ولا يعلم أحد عنها شيئاً هذا هو المعنى الأكبر - فإذاً لو أخذنا هذا المعنى إذا كان المفهوم أن كل قطع لهذا الاتصال هو قطع لاحتمال قائم يعني ما دام ثم اتصال حيوان منوي ببويضة فإذاً عناصر حياة هذا الشيء موجودة فعلاً إذا أراد الله لها أن تستمر ، كل من يقطعها فقط قطع سبيلها إلى استمرار الحياة، أعتقد أن هذا المعنى البيولوجي والمعنى الراجح لا أتكلم من ناحية الفقه أنا أتكلم من الناحية العلمية البيولوجية فقط وأستخدم الاستعارة الجميلة التي ذكرها الدكتور / حسان حقيبة المعلومات الوراثية الموجودة في هذه الخلية المخصبة التي هي بداية كل فرد منا طبعا وفيها عوامل الوراثة التي نسميها الجينات باختصار شديد وأرجو أن يكون غير مُخِلٍ الجينات تنقسم بعد استبعاد أشياء منها تنقسم إلى الآتي هذه الجينات التي نشترك فيها جميعا وتجعل كل منا ينتمي إلى آدم عليه السلام وإلا ما كنا ننتمي إلى آدم عليه السلام . . فما دام كل واحد منا اسمه ابن آدم ففيه جينات بها خصائص من آدم عليه السلام وهذا أمر نشترك فيه كلنا ثم تبدأ جينات نستمدها من أسلافنا بنسب مختلفة هي التي تجعل كل واحد منا هو فلان بخصائصه وهذا الإعجاز الحقيقي في الخلق لتشابهه العظيم الذي يجعل كل خلق الإنسان بني آدم وفي نفس الوقت يجعل كل منا إنساناً متفرداً دون سواه وأقول هذا إعجاز الخلق الحقيقي .

نتنقل إلى ما هو موجود ثالثا الجينات التي تحدد المظاهر التي سوف تحدث في حياتها هذا الكائن الذي تحدد الآن نموه واستعداداته المرضية مسجلة في هذه الجينات من الناحية البيولوجية وسأكمل النقطة الغامضة بعد قليل في هذه الجينات مسجل أيضا متى يحدد الشيء وأين لا أقول في أهداف الحياة ولكن في الجنين يعني متى تتحول هذه الخلايا إلى العمل كذا دون سواه وفي أي مكان هذا مسجل أيضا في الجينات أو في الحقيبة التي نتحدث عنها منذ البداية ولذلك لا يحدث الخلط بين خلية واحدة وملايين الخلايا في تصورنا لأن المعلومات كانت واحدة في الحقيبة التي لا تقتسم ولكن يطبع منها ملايين النسخ وتوزع على جميع خلايا الجسم فكل خلية في

جسمي تأخذ نصيبها من التعليمات وتنفذها في الوقت المعين وفي المكان المعين هذا كله مسجل كما يظن العلم أو يعتقد العلم في هذه الأيام .

يبقى شيء آخر هو أنه موجود فيها أيضا طريقة التنسيق والتعارف بين جميع هذه الخلايا في مراحل نمو مختلف ، هذه المجموعة من خلية تتكون خلية واحدة ثم تأخذ في الانقسام الكثير ولكنها تتعارف وهذه ليست مبالغة شعرية يعرف بعضها بعضا ويعرف كيف يتفاهم بعضها مع بعض وكيف يتعاون بعضها مع بعض وبذلك يكون الإنسان متكاملاً تتفاعل هذه الخلايا جميعا بالشيء المسجل فيها هنا نقطة مهمة جداً وتفتح لي فيها فكر بناء على ما سمعته من حضراتكم وتعلمته وخصوصا الذي تفضل به الدكتور / حسان وتفضل به الدكتور / محمد الأشقر هذا الحديث الذي هو محور بحثنا أو دار عليه الكلام كثيرا إلى أن لفت نظري ما هي الكلمات الأربع التي يمليها الملك الكريم ما هي إنها الرزق الأجل العمل الشقاوة أو السعادة هذه كلها ليست من عمل هذه الجينات الموجودة والتي تكلمت عنها فالحياة بمقوماتها والله أعلم موجودة ومستقرة ومثبتة ومكتوبة كتابة حقيقية كيميائية بإرادة الله سبحانه وتعالى منذ التقاء البويضة بالحيوان المنوي اللبس الذي كان في ذهني النقطة المهمة أرجوكم أن أوضحها وسأترك الباقي ـ النقطة الهامة كيف أوفق بين ما سمعتم عن ما يملى وعن ما هو مكتوب لأن هذه ستريح كثيراً من الضمائر التي تفكر في هذه النقطة الحرجة ، الذي وجدته بفضل الحوار أن كل هذه الأشياء هي قدر وليست حياة وأنا أحب أن أؤكد على هذه الكلمة هذه قدر وليست حياة الحياة شيء والقدر شيء آخر وأكتفي بهذا إطاعة للرئاسة .

* **الدكتور / عصام الشربيني :**

بسم الله الرحمن الرحيم : ـ في الواقع نقطة أحببت أن أتحدث فيها ردا على بعض ما أثير رفعا للحرج في النقاش وهو ما أثير أن يلتزم كل تخصصه ، وحبذا لو

أخذنا بالتخريج الذي خرجه الدكتور / محمدنعيم لهذه المقولة وهو أن يتحدث كل بما يشاء على أن تكون الكلمة النهائية في كل نقطة لصاحب التخصص وهذا شيء مسلم به ، وذلك أننا نعتقد أنه لا يمكن أن يصل الفقيه أو الطبيب إلى استجلاء كل جوانب الموضوع دون الأخذ والرد في النقاش في كلا التخصصين ثم إننا لسنا فقط أطباء ولكننا أطباء مسلمون ومن حق الطبيب المسلم أن يستوثق من الرأي ومن الحكم وأن يفهم الدليل إن استطاع وأن يراجع الفقيه إذا لم يفهم الحكم فهو عندما يقتنع يكون أكثر إيمانا وذلك مأخوذ من سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد كان الصحابة إذا قال لهم انصر أخاك ظالما أو مظلوما يسألون أنصره مظلوما فكيف ظالما فيشرح فلا بد لنا أن نستوثق الحق مثلا عندما يقول الدكتور الغندور إن الإنسان بدأ بالنطفة لأن الله تعالى يقول ﴿ إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج ﴾ أقول له لم لا تأخذ النص الثاني وتعتبره بدأ من الطين ﴿ ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين ﴾[1] وعندما يذكر الدكتور / حسان في بحث سابق ﴿ ولا تقتلوا أولادكم من إملاق ﴾[2] ﴿ ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق ﴾[3] ﴿ ولا يقتلن أولادهن ﴾[4] عندما يقول إن هذا ينسحب على الإجهاض في فهمه وليس على غير الإجهاض لأن الأولاد تشمل البنات والأولاد بينما الوأد المعروف عند العرب كان للإناث ، من حقي أن أقول يا دكتور إن استعمال كلمة الأولاد في القرآن التي وردت عدة مرات كان المقصود بها الولد والقرآن سمى الحمل حملاً ولم يسمه أبدا ولداً وسماهن أولات أحمال وإن كان في هذه الآية دليل على شيء فهو على أن الحمل حمل والمولود مولود .

النقطة الأخرى إن خوف الخطأ سواء الخطأ الطبي أو الخطأ الفقهي ينبغي أن

---

(١) سورة المؤمنون / ١٢ .

(٢) سورة الأنعام / ١٥ .

(٣) سورة الإسراء / ١٣ .

(٤) سورة الممتحنة / ١٢ .

لا يمنعني من تلمس الحكم وإصدار الحكم فالله لم يكلفنا إلا ما نطيق وإذا صحت عندنا أمور طبية الآن وحكمنا بها ثم ظهرت أمور طبية أخرى ، فلابد أن نغير الحكم وما دام الأمر لم يرد فيه نص فمعروف أن مردّه إلى الاجتهاد البشري والاجتهاد البشري متغير سواء كان فقهيا أو طبيا وأيضا هذا مأخوذ من السنة « إنما أنا بشر وإنكم تختصمون إلي ولعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض فأقضي له على نحو ما أسمع فمن قضيت له بشيء من حق أخيه فإنما أقضي له بقطعة من النار فليأخذها أو ليتركها »(١) ولم يمنع احتمال الخطأ في الحكم لأن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يمنعه أبداً أن يحكم فأنا أرجو أن يرتفع هذا الحرج بيننا في النقاش وفي الحديث في الاختصاصات المختلفة وفي احتمال الخطأ واحتمال التغير وشكرا .

* الدكتور / عمر الأشقر

ـ الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

أحب أن أشير إلى قضية في ظني هي مسلمة عند علماء الشريعة وفي ظني أن أكثر الإخوة يسلمون بها ولكن أحسست من بعض الكلمات أن قد يكون هناك احتمال ليس مجمعاً عليه عند علماء الشريعة وهي الروح في الإنسان كون الإنسان فيه روح قضية مسلمة عند علماء الشريعة لا يختلفون فيها. الخلاف هل هذه الروح وجدت في يوم كذا أو بدأت في يوم كذا قضية أخرى ، واستقراء علماء الشريعة لنصوص الكتاب ونصوص السنة يعطي حكما قاطعا في أن في الإنسان روحاً ، فمن نصوص الكتاب ﴿ أخرجوا أنفسكم ﴾(٢) وحضور الملائكة لقبض الروح

---

(١) أخرجه البخاري ومسلم

(٢) سورة الأنعام / ٩٣ .

﴿ فيمسك التي قضى عليها الموت ويرسل الأخرى إلى أجل مسمى ﴾[1] وحديث «إن الروح إذا قبض تبعه البصر»[2]نصوص كثيرة جداً ليست واحداً ولا اثنين ولا ثلاثة ولا خمسة ولا عشرة تعطي مدلولا قاطعا بأن في الإنسان روحاً ، أما متى تبدأ هذه الروح فهي النقطة التي نتناقش فيها لا بأس أن نختلف فيها لكن إن في الإنسان روحاً هذه قضية لا يختلف عليها أهل السنة والجماعة شيخ الإسلام ابن تيمية يذكر أنه ـ لا يقول بإنكار الروح أحد من أهل السنة ـ لكن هناك فرقة من الفرق التي ضلت في الإسلام قالت بغير هذا لكن أهل السنة والجماعة لا يمكنهم أن يختلفوا في هذا ليس عندهم اختلاف ولا عالم من علماء المسلمين قال ليس في الإنسان روح أما كون هذه الروح ـ فهذه قضية مغيبة عنا لكن نحن نحسّ بآثارها هي كما يقول العلماء هي القوة المدبرة للبدن لكنها تقبض وتمسك ومخلوقة فالشيء الذي أحب أن أشير إليه أن هذه القضية ليست مجال خلاف عند أهل السنة والجماعة وأحب إذا كان لأحد من العلماء والأفاضل رأي آخر في هذه القضية أو قول آخر في هذه القضية أن يعينوه لأن هذا يترتب عليه البحث إذا كان ليس في الإنسان روح قضية أخرى مختلفة وشكرا .

* د. محمد نعيم :

بسم الله الرحمن الرحيم :

ـ الحقيقة من الحجج التى يستند إليها الإخوة الذين يرون أن الحياة الإنسانية تبدأ من وقت تلقيح البويضة والتشابه الذي يلاحظ بين المخلوق الذي ينتهى ينتج هذا التلقيح تشابها في الحقيبة الوراثية مثلا تشابها في الأعضاء ـ والأجهزة وبخاصة إذا كانت الحالة التي يصير إليها الجنين قبيل نفخ الروح وأن الأمر ما دام

(١) سورة الزمر / ٤٢ .

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه .

كذلك فينبغي أن يكون الانسان قد بدأ من هذه اللحظة التى فيها كثير من خصائص الانسان والجواب يا إخوة أن كل مخلوق خصه الله سبحانه وتعالى بخصيصة تميزه عن غيره من المخلوقات ولا يعتبر موجودا إلا بوجود هذه الخصيصة مهما تشابهت المخلوقات في قدر من الصفات والخصائص والوظائف فلا يمكن ادعاء التطابق بينها حتى يتشابهوا في الخصيصة والميزة الجوهرية وأنا أعتقد أن الخطأ الذي وقع فيه (دارون) أنه ما كان يؤمن بالروح وإنما يؤمن بالجسد الإنساني بما فيه من أشياء محسوسة ملموسة ولذلك عندما وجد أن هنالك تشابها بين بعض الحيوانات قرب بينها وقال إنها تطورت بعضها عن بعض فمهما تشابه اثنان أو مخلوقان في قدر الصفات والخصائص لا يمكن إلا إذا انطبقت الخصيصة الجوهرية بينهما والله سبحانه وتعالى قد ميز الإنسان بالروح الإنسانية وبنفخها فيه في مرحلة معينة بقدر سابق طبعا مكتوب ينفذه الملك الموكل به في الوقت المقدر وليست هذه الروح خيالا وليست شيئا يمكن أن يكون له أى أثر في هذه الحياة العلماء ألفوا عنها كتبا وعن آثارها وعن نشاطها وتأثيرها في الجسم وتأثيرها في البدن .

والحقيقة أن الروح هذه تمنح الإنسان قدرات ومؤهلات لا تكون موجودة فيه قبل أن تنفخ فيه أو على الأقل تمنحه أصول تلك القدرات والمؤهلات وبهذه المناسبة فإن الروح كما نص كثير من العلماء تنمو وتزيد وتنقص وقبل وجود هذه الأصول وهذه المؤهلات لا يمكن أن يوصف المخلوق بالإنسان وإن تشابه في الخلق الظاهر مع الإنسان أما كون التشابه موجودا فهذا موجود في كثير من مخلوقات الله سبحانه وتعالى لعل حكمة الله سبحانه وتعالى في الخلق ـ خلق الإنسان إيجاد الإنسان وفق مرحلية خاصة فهذا آدم أبو البشر عليه السلام خلقه الله فجعله من تراب فترة من الزمن ثم جعله طينا فترة ثم صوره على الهيئة الإنسانية المقدرة وجعله صلصالا كالفخار فترة فلما بلغ الحد الذي يريد الله عزت قدرته أن يجعله إنسانا كاملا نفخ فيه من روحه وأمر الملائكة بالسجود له بعد ذلك ولا شك أن في كل مرحلة من المراحل السابقة لنفخ الروح قدرا من التشابه مع الخلق الأخير بعضها في المواد

الأولية وبعضها في الشكل الظاهر وكذلك نسل ابن آدم إذا أراد الله سبحانه وتعالى خلق أحدهم هيأ لوجوده مراحل يمر بها فيخلق له في أبيه مخلوقا يقال له المنوى ويخلق له في أمه مخلوقا يقال له البويضة ثم يأذن الله سبحانه وتعالى بالانتقال إلى مرحلة أخرى تتمثل في اتحاد المخلوقين المنوى والبويضة وتكون البويضة الملقحة سببا بإذن الله سبحانه في نشوء مراحل تالية وفي كل مرحلة قدر من التشابه مع الإنسان الذي سيتكون منها يزيد هذا القدر من التشابه كلما قربت تلك المرحلة من اللحظة التي سيأذن فيها الله عز وجل بوجود ذلك الإنسان ففي خلق المنوى خطوة نحو إيجاد ذلك المخلوق وعنوانها حقيبة وراثية تعادل نصف الحقيبة الوراثية الإنسانية وهذا التقدير النصفي الوراثي في المنوى إذا جمع مع التقدير الرباني الآخر في البويضة يشكل نوعا من التشابه فإذا حصل الاتحاد ازداد التشابه وهكذا يترقي الخلق ويزداد التشابه إلى أن يبلغ غايته حيث يصل الجنين إلى مرحلة الانتقال إلى حياة جديدة هي الحياة الإنسانية .

* الدكتور/ أحمد القاضى

السلام عليكم ورحمة الله أردت الحديث عن عدة أمور أحدهـا محظور والآخر رد شبهة والثالث هو مفهوم يؤدى إلى مزلق ـ المحظور أرى أنه لا يمكن بشكل علمي أن نفصل بين قضية الإجهاض وبين تحديد بداية الحياة الإنسانية كما تفضل بعض العلماء بقول ذلك يعنى ربما يمكن ذلك على مستوى معين من العلم والورع أن نفصل بين القضيتين ونقول حياة الجنين محترمة من أول يوم ولا تقبل الإجهاض ولكن بداية الحياة الإنسانية بتعريف معين تبدأ بعد أربعة شهور بالنسبة لعامة الناس ومن سيأخذ أو سيطبق الآراء التى تخرج من هذه الندوة هذا الفصل غير ممكن بشكل علمي بل هناك الأعداد الضخمة من الناس من ينتظر هذا التعريف إذا وجد أن الحياة الإنسانية تبدأ بعد فترة معينة إذا أباحوا الإجهاض فيما قبلها وهذا هو الواضح وأرجو أن الإخوة في هذه الندوة يقدرون هذه النتيجة

العلمية المحتملة لما سنخرج به من رأي .

الأمر الثاني هو رد شبهة أنه وردت ملاحظة من البعض تفيد بأن التصميم على اعتبار بدء الحياة الإنسانية منذ بداية الحمل هو نتيجة للتفكير المادى البحت الذي لا يعطى اعتبارا للروح والواقع هو عكس ذلك تماما فمن يصممون على إعطاء حياة الجنين صفة إنسانية منذ البداية . (سموها ما شئتم : حياة إنسان ، حياة إنسانية) هو لحرصهم الشديد على الحفاظ على هذا الإنسان بما فيه من روح أولا ونفس وحس وكل مقوماته ولزيادتهم في هذا الحرص يريدون أن يسدوا أى باب يمكن أن يؤدى إلى إهدار قيمة هذا الإنسان في أى فترة من الفترات وهذا الحذر والتخوف هو بناء على خبرة علمية مما يدور في العالم الآن من إهدار لأرواح قبل الشهر الرابع وبعد الشهر الرابع نتيجة لاختلال مفهوم بدء الحياة الإنسانية .

الأمر الثالث هو المفهوم الذي يؤدى بنا أو يمكن أن يؤدى بنا إلى مزلق من المزالق ألا وهو ربط الحياة الإنسانية بتوفر الصفات الروحية والتى عبر عنها الكثير إما بالحس أو الوعى أو الإدراك أو الإرادة إذا أتفقنا على أن هذه الصفات وغيرها هى من صفات الروح ودلائل على توفر الروح في الجسد البشرى لوصلنا إلى نقطة خطيرة لن يسهل علينا الخروج منها - يعنى أولا في نهاية الشهر الرابع لم يكتمل الجنين الحس والوعى والإدراك والإرادة ، إذا أخذنا البصر كأحد وظائف المخ وكأحد الحواس الخمسة هذه لا تتم وتكتمل إلا بعد الولادة بفترة وبالتالى هى غير واردة بالمرة في الشهر الرابع ولا في الخامس ولا في السادس إذا سندخل في مزلق في أحوال أخرى عملية نوه إليها في الصباح بعد ولادة الإنسان واكتمال رشده إذا أصيب بمرض أو تلف أصاب قشرة المخ ، إما بشكل مؤقت أو بشكل دائم وزالت منه قدرة الحس والوعى والإدراك والإرادة ولكن قلبه يتحرك ويتنفس ويعيش وهو إنسان لا نستطيع أن نهدر دمه لأنه فقد الصفات الروحية وهذا يحدث بدرجات متفاوتة أثناء النوم وأثناء التخدير في العمليات الجراحية بعد الإصابات بأمراض

معينة إما لأيام أو لفترة دائمة تطول أو تقصر ، إذا لا يمكن اشتراط توفر هذه الصفات لكى نسمى حياة هذا المخلوق إنسانية أو غير إنسانية وأنا أرى أن كل هذه الصفات الروحية وغيرها هى من صفات الإنسان، والإنسان المتكامل يجمع بين كل هذه الصفات ولكن يمكن أن يوجد الإنسان ويفتقر إلى بعض هذه الصفات كثرت أو قلت ولا يفقد إنسانيته وربما يفقد التكليف أو يفقد المسئولية ولكنه لا يفقد الإنسانية فإذا قسنا هذه الحالة للعاقل الراشد الذي فقد رشده واحتفظ بإنسانيته إذا قسناها على الجنين لوجدنا الشبه واضحا .

بلا شك نؤمن بالروح وبدورها في حياة الإنسان ولكننا لا نعرف كل شيء عنها وإذا عرفنا منها بعض المعاني ثلاثة أو سبعة أو ثمانية ربما لن ندرك معاني أخرى والتوقيت المحدد لدخولها وكيفيته ، كل هذه أشياء نوقن بحدوثها ولكن لا نعرف تفاصيلها ولا ندعى ذلك ولهذا وخوفا من الحرج لأن المسألة سيدخل فيها الظن والاجتهاد أرى أنه في الأمور الظنية أو التى يختلط علينا فيها الأمر نأخذ بالأحوط ، الأحوط هنا أن نسعى إلى كل ما فيه محافظة على هذا الإنسان وتقليل من إمكانية إهدار هذه الحياة نسميها حياة إنسانية أو حياة إنسان غير مكتمل .

بالنسبة لما ذكر عن جذع المخ اتفق الأطباء ومعهم كثير من الفقهاء على أن موت جذع المخ يعنى موت هذا الكائن البشري والسؤال متى يبدأ جذع المخ في الوجود أو في التواجد ؟ حسب فهمي للشكل الحيوي للكائن البشري أن مقومات جذع المخ موجودة منذ البداية في هذه الخلية الملقحة كما توجد مقومات بقية الأعضاء وإن لم تكتمل شكلا ووظيفة وهذه الأعضاء تكتمل بدرجات متفاوتة على فترات متفاوتة وبعضها وخاصة وظائف المخ ككل لا يكتمل بعد الولادة أو بعد الولادة بفترة فإذا هو موجود بشكل حى بمقوماته منذ البداية وإنما يأخذ فترات اكتمال مختلفة بين ستة أسابيع لبعض الوظائف إلى ثلاثة أشهر لوظائف أخرى إلى ما بعد الولادة بشهر لبعض الوظائف الأخرى للمخ .

* **الشيخ عبد القادر العماري :**

بسم الله الرحمن الرحيم :

أعتقد أننا لن نستطيع أن نصل إلى حل في هذا الموضوع من الناحية الفلسفية أو من ناحية تقرير متى تبدأ الحياة ؟ لكن يمكن أن نصل إلى حل من ناحية عملية بأن نقول مثلا هل الأجهاض حرام أم حلال ؟ وهل له مدة أم لا ؟ نستطيع أن نقرر سواء قلنا إن الحياة واحدة أو هناك حياتان وسواء كانت الحياة واحدة أو حياتين فإنه لا يجوز الاعتداء على حياة الجنين لا في أول الحمل ولا آخره والذين أباحوا الإجهاض قبل الأربعة الأشهر ليس لهم أن يحتجوا بظاهر حديث ابن مسعود إذ ليس فيه حجة لهم وعليهم أن يبحثوا عن دليل آخر إذ غاية ما في ظاهر الحديث أن نفخ الروح كان بعد أربعة أشهر فأي دليل على جواز إسقاطه قبل نفخ الروح اللهم إلا استنتاجاً لعدم وجود الحياة وإذا كانت الحياة قد ثبتت بالحس والواقع فكيف نجيز الاعتداء عليها كما أنه لا يجوز قياس ذلك على العزل إذ العزل يكون قبل أن يتصل الحيوان المنوى بالبويضة ولا يقال له في هذه الحالة بداية إنسان وليس هناك نص على المحافظة على الحيوانات المنوية قبل اتصالها بالرحم ولا أحد يقول إن الجنين قبل أربعة أشهر إنه نحس وقد أوجب الشرع تعويضا وهو الغرة عشر الدية أو نصف العشر على إسقاط الجنين قبل أربعة أشهر والذي نريد أن نتوصل إليه أنه يمكننا أن نتفق على منع الإجهاض وتحريمه سواء قبل أربعة أشهر أو بعدها ولو أننا اختلفنا متى يكون نفخ الروح ـ سواء قلنا نفخ الروح بعد أربعة أشهر أو قلنا قبل أربعة أشهر وهذا لن نصل فيه إلى حل أبدا ما دام لدى كل طرف من الأدلة والحجج ما ينبغي أن يتمسك به وشكرا .

* **الشيخ عبد الرحمن عبد الخالق**

ــ الحمد لله والصلاة والسلام على عبده ورسوله محمد وبعد اسمحوا لي ،

عندي أفكار بعضها غير مرتب قد يأتي البعض أولا والبعض آخرا وقد يستحق المتأخر التقدم ولكن أحاول أن أجمع فكري ما أمكن إن شاء الله يمكن نقطة الخلاف قبل الظهر والآن أيضا تحددت وهي كيف نفهم نصوص القرآن والسنة الواردة في هذا الصدد في ضوء معطيات العلم المعاصرة ؟ وقد ظهر للجميع أن ليست هناك نقطة تلاق محددة عن الوقت الذي عناه الشارع حتما لبدء نفخ الروح من خلال العلم المعاصر الآن ولم يبق إلا القضية التي ذكرناها قبل وهي الاعتصام بالنصوص المعصومة حتى يأتي ما ينقلنا عن هذه النصوص مرة ثانية أقول هذه النصوص معصومة معنى وكذلك هي ثابتة قطعية الثبوت فالآيات القرآنية عند نهاية سورة الحج جاءت في معرض التحدى للكفار ﴿ يأيها الناس إن كنتم في ريب من البعث فإنا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ﴾ إلى آخر الآية ومعلوم أن مقام التحدى وإقامة الحجة لا يصلح فيه الكلام بالمتشابهات لأن الله تبارك وتعالى لو أراد أن يقيم الحجة على الكفار الذين ينكرون البعث بكلام متشابه أي كلام يحتمل عدة معان لما كان مثل هذا إعجازا ، ولا نستطيع أن نسمى كلام الله تبارك وتعالى في هذا المقام أنه كلام غير قطعى الدلالة لأن معنى ذلك أن الله عز وجل قد كلم الكفار بكلام مشتبه عليهم وهذا يعنى يكون من باب التضليل لهم لاهدايتهم أما آية سورة النور فالخطاب فيها لاشك للمؤمنين حيث يقول الله تبارك وتعالى ﴿ قد أفلح المؤمنون ﴾ ثم قال الله عز وجل ﴿ ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة في قرار مكين ﴾ [٢] . . . . إلى آخر الآية ولا شك أن الآية في معرض الخبر وهو خبر للمؤمنين ولا شك أن الله يفصل في هذه الآيات معنى حسيا معروفا بأمور غيبية لم نطلع عليها كقول الله تبارك وتعالى ﴿ ثم أنشأناه خلقا آخر ﴾ لاشك أنه خلق غير هذا مجرد أن يكون من لحم وعظم ودم إنسان يفقه ويدرك وفيه هذا السر الإلهي ، وهو الروح .

---

(١) سورة الحج / ٥

(٢) سورة المؤمنون/ ١ و ١٢

أما بالنسبة للحديث لاشك أنه حديث قطعى الثبوت على الأقل عند أهل السنة والجماعة الذين يعتقدون بأن ما اتفق عليه البخاري ومسلم فهو من قسم الصحيح والحقيقة جاءت كلمة للدكتور/ يوسف قبل الظهر وهو أن هذا الحديث شاذ ومعلوم أن الشاذ قسم من الضعيف وتعريف الحديث الصحيح عند علماء الحديث أنه اتصل إسناده إلى منتهاه يعنى إلى النبى صلوات الله وسلامه عليه دون أن يشذ أو يعل ، فالحديث إذا كان فيه شذوذ يكون ضعيفاً وإذا كان فيه علة كذلك يعني مرض معروف يعرفه نقاد الحديث فيكون الحديث ضعيفا ـ فالحديث ليس ضعيفا وإنما هو حديث صحيح تلقاه أهل السنة والجماعة بالقبول ولا شك أما كون هذا الحديث معارضا بأحاديث صحيحة أخرى فالبحث في الحقيقة في هذه القضية الذي قدمه فضيلة الشيخ الدكتور/ محمد الأشقر لم يكتمل ولا نملك في الحقيقة يعني قضية ترجيحية يقينية تبين أن هذه الأربعين المتكررة أربعون ثم أربعون ثم أربعون أم هي أربعون واحدة كما أشار إليه أخونا الدكتور / محمد الأشقر في كلامه أقول لم يكتمل البحث بعد ولو أنه اكتمل لقلنا بأن البخاري ومسلم ليسا معصومين بل ممكن أن يخطئوا لكن نحن على كل حال مع أهل السنة والجماعة فيما تفقوا عليه من تلقي أحاديث الشيخين بالقبول حتى يرد شيء يقيني ينقلنا عن هذا اليقين كذلك معروف عند علماء أصول الفقه أنه عند التعارض في الأحاديث يقدم ما اتفق عليه الشيخان على غيرهما فيقدم ما اتفق عليه الشيخان ثم ما انفرد به البخاري ثم ما انفرد به مسلم وهكذا فيه لهم قواعد في الترجيح فمع الترجيح كذلك لا شك أن حديث ابن مسعود حديث مقدم على غيره لو كان هناك ما يعارضه ويخالفه وهذه القضية الذي يترتب عليها من خلاف علمي قليل جدا ولكن المهم في الحديث في الحقيقة والآيات هو المسائل العقائدية في الآيات والأحاديث كثيرة لكن الخلاف العلمي يسير الخلاف العلمي هو هل حرمة إسقاط الجنين قبل نفخ الروح أكبر من الحرمة قبل هذا أم لا وهذه قضية تقريبا الكل يتفق عليها أنه كلما زاد الجنين يوما في بطن أمه كلما أصبح احترامه أوجب وحقه أكبر هذه

قضية متفق عليها فلا يمكن بتاتا أن يسوي أي إنسان منا بين إسقاط البويضة بعد التلقيح بساعة وبين جنين بقى له ساعات حتى يخرج من بطن أمه لا يمكن أن يسوي بين الأمرين بل الأمر ولا شك يعني في الفقه وكذلك في النظر العقلي المجرد متدرج ولا شك .

ثم إن الشريعة جعلت للجنين أحكاما خاصة تختلف عن أحكام الوليد كما ذكر قبل ذلك أن الجنين إذا مات في بطن أمه ونزل سقطا لا حق له في الإرث كذلك العدوان على الجنين ليس كالعدوان على الطفل المولود بعد ثانية أو دقيقة فالذي يعتدى على أم حامل ويسقط جنينها جعل الشرع له دية وما جعل فيه قصاصا إذا لم تمت المرأة فعالجه في الحقيقة معالجة الممتلكات يعنى عالجه معالجة المال وإن كان هو في الأساس نفسا إنسانية فقضى فيه النبى صلى الله عليه وسلم بغرة عبد أو وليدة فجعله من المثمنات كأنه ثمن لكن لو كان هذا العدوان على الطفل بعد أن يولد لقتل به ذكرا كان أم أنثى وهذا هو الصحيح إن شاء الله من مذاهب العلماء يقتل به قصاصا إلا أن يعفو طبعا صاحب الدم فلا شك أن هناك فرقا علميا واضحا في الشريعة بين الجنين وهو في بطن أمه وبين الإنسان المكتمل الذي انفصل عن أمه بحياة مستقلة .

إذا نعود فنقول إن الخلاف في العمل حول قضية متى تنفخ الروح تماما ؟ ولندع الآن متى تبدأ الحياة الإنسانية التي نختلف فيها لأن الخلاف العملي فيها يسير ولا أظن أن هناك عالماً من علماء الشريعة يقول إن إسقاط البويضة بعد أن تلقح لا شيء فيه مطلقا لأن البعض يقول هو مكروه يعني أقل ما يقال فيه أنه مكروه إلا بعد أربعة أشهر فيحرم فالكل يرى أن هذا من باب الممنوع وإن كان البعض يشدد في المنع فيجعل هذا حراماً والبعض يرى أن هذا أخف مما لو كان بعد الأربعة الأشهر .

القضية الآن دفاعنا عن النصوص إنما هو دفاع عن عقيدة قبل أن يكون دفاعاً عن قضية عملية ، لماذا ؟ لأنه أولا هذه نصوص ما سيقت إلا لبيان قدرة الله تبارك وتعالى ـ لبيان الإيمان بأن هناك روحاً وهذه قضية مثل ما ذكر أخونا الدكتور/

عمر الأشقر قضية متفق عليها بين أهل السنة والجماعة و هي قضية أن الإنسان يختلف عن الحيوان بهذا السر الإلهي - قضية أن الله تبارك وتعالى يكتب مصير الإنسان وقدره ورزقه وعمله وشقي أم سعيد في هذه اللحظة قبل الولادة مع الاختلاف في اللحظة التي يكتب فيها أو ينفخ الملك في هذا الأمر فالقضية في الحقيقة دفاعنا عن النصوص إنما هو دفاع عن عقيدة قبل أن يكون دفاعاً عن عمل فالنصوص في الحقيقة ليس كما قيل هي ظنية الدلالة بل هي أمور واضحة الدلالة جدا ما أرى أن هنا من اختلف فيها ، الخلاف فقط بين الفقهاء إنما هو في الآثار العملية في الحقيقة الآثار العملية التي تترتب على هذا هل القضية هذه قبل نفخ هذه الروح هل يكون الأمر حراما أم مكروها فقط ومثل هذا لا ينقض بتاتا أن تكون النصوص نصوصا قطعية في دلالتها على المعنى الذي سيقت له لذلك أرجو أن لا نبادر عندما نرى خلافا بسيطا إلى القول بأن الآية هذه ظنية الدلالة والحديث ظني الدلالة والحديث هذا قال فيه فلان كذا القضية ما كل شيء اختلف فيه فأصبح معناه أنه ظني الدلالة لا هناك خلاف يقبل وخلاف لا يقبل وما أعرف أن هناك خلافاً في هذه القضية المهم أن هذا الحديث حديث ابن مسعود حديث صحيح ولا يجوز بتاتا أن نوهن في صحته ولايمكن إقامة الدليل على هذا وصلى الله وسلم على عبده ورسوله .

- الرئيس / الدكتور يوسف القرضاوي :

شكرالله للأخ الشيخ/ عبد الرحمن عبد الخالق على هذه الإيضاحات والحقيقة أنا لا أحب أن أستغل منصب الرئاسة للتعليق ولكن أما وقد ذكرني في حديثه فأحب أن أقول إنني لم أقل في الصباح إن حديث ابن مسعود شاذ وأجعله في قسم الضعيف لكن قلت الرواية التي ذكرت الأربعينات وهذا لا يعني أن الحديث كله ضعيف لأن الحديث فيه جملة حقائق متفق عليها ووجود بعض الألفاظ والجمل في بعض الأحاديث الصحيحة يختلف فيها هذا أمر معروف عند علماء مصطلح الحديث ، والحديث يمكن أن يكون كله صحيحاً ولكن فيه لفظة معينة

تأتي شاذة أو يختلف العلماء فيها هذا ما قلته ولم أقل إن الحديث كله من قسم الشاذ إنما قلت الرواية بهذا التحديد وأنا أعني ما أقول .

الأمر الآخر يعني كما ذكره الأخ الأستاذ / عبد الرحمن هو يعني لا خلاف فيه وأنا في الحقيقة أريد من يتحدثون حتى لا يطيل أن نحصر الكلام في موضوع الخلاف. والعقائد وهذه الأشياء ليس موضوعا والحقيقة لم نجيء لبحثه ولا يختلف أحد في القدر وفي كتابة رزق الإنسان وأجله وكذا ما جاء له الحديث من أجله أساسا إنه لأمر نختلف فيه ، وجود الروح في الإنسان هذا لا يختلف أحد فيه من أهل السنة ولذلك أنا أرجو حتى لا نطيل على أنفسنا أن نحدد الكلام فيما نريد أن نصل فيه إلى رأى في الأمور المختلف فيها ، أرجو أن يؤخذ هذا بعين الاعتبار للإخوة الذين يتحدثون فيما بعد ما قاله الشيخ عبد الرحمن إن عملية أن الحديث واضح الدلالة فرق بين واضح الدلالة وقطعي الدلالة الوضوح لا يعني القطعية وأحاديث الصحيحين هي متلقاة بالقبول عند الأمة ولكن أيضا قطعيتها موضع كلام وفيه أخذ ورد كثير طبعا لو أنها قطعية لكفر من ينكر أي حديث من أحاديث الآحاد وهذا ليس موضوعنا الحقيقة ولا نريد أن نخوض فيه نحن نحترم النصوص وما جئنا هنا إلا من أجل الإنطلاق من النصوص وجميع من حضر في هذه الندوة سواء كان من أهل الطب أو من أهل الفقه الكل يحترمون النصوص ويرجعون إليها ويحتكمون إليها . ﴿فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر﴾[1] الآن أعتقد أنه جاء وقت صلاة المغرب ولم يكمل حديث الإخوة الذين طلبوا الكلام فننصرف الآن لصلاة المغرب ولشرب الشاي ونعود بعد نصف ساعة إن شاء الله وشكرا لله ولكم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم .

جلسة جديدة

ـ الرئيس الدكتور يوسف القرضاوي :

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن اتبع هداه

(١) سورة النساء / ٥٩

أما بعد فنواصل جلستنا هذه في المناقشات الفقهية حول البحوث المقدمة وما عرضه الإخوة في الصباح ونستكمل حديث المقيدين عندنا الآن : خمسة منهم أرجو قبل أن نبدأ أرجو من الإخوة المتحدثين أن يحصروا الحديث في نقاط الخلاف لا داعي للتحدث فيما لا خلاف فيه هناك أمور متفق عليها لا داعي أن نتعرض لها نحن هنا بصدد مشكلة معينة فنحن نريد أن نعالج هذه المشكلة في ضوء معطيات هذه الندوة المباركة النافعة إن شاء الله أرجو أن يراعى هذا سيتحدث الإخوة الخمسة وبعد ذلك نحاول أن نصل إلى رأي محدد في الموضوع إن شاء الله نتناقش فيه .

*** الدكتور محمد عثمان شبير :**

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وعلى صحبه ومن دعا بدعوته إلى يوم الدين .

يبدو من خلال الطرح السابق أن الجميع متفق على أن الحمل في بطن الأم حي أو كائن حي ولكن الاختلاف في الحياة التي تكون قبل نفخ الروح - هل هي حياة نباتية أو خلوية أو حيوانية أو حياة مطلقة وأرى أن يطلق على هذه الحياة حياة بشرية تكون هذه الحياة أو تبدأ هذه الحياة البشرية منذ تلقيح البويضة وتستمر إلى نهاية الحياة وإما الحياة الأخرى وهي الحياة الإنسانية التي تبدأ مع نفخ الروح وتنتهي بنهاية الحياة فالإنسان له حياتان بشرية وحياة إنسانية الحياة البشرية شبيهة بحياة الحيوان بما يتغذى الكائن الحي وينتقل من طور إلى طور ويتكاثر ويتناسل وغير ذلك وهي مختلفة عن الحياة الأخرى وهي الحياة الإنسانية وقد أشار الله سبحانه وتعالى إليها في قوله ﴿ ثم أنشأناه خلقا آخر ﴾ بعد نفخ الروح وهي الحياة الإنسانية التي تميز الإنسان عن باقي المخلوقات ، الحياة التي بها الإدراك والعقل وتحمل الأمانة والعبودية لله عز وجل فالحياة الإنسانية تكون بعد نفخ الروح والحياة البشرية تكون قبل نفخ الروح أي منذ التلقيح تلقيح البويضة أو تلقيح الحيوان المنوي للبويضة وهذا الاصطلاح مأخوذ من القرآن الكريم فالآيات التي تحدثت عن الإنسان

تحدثت في بعض الأحيان عنه بالإنسان صراحة وتحدثت عنه بالبشر واستخدمت لفظة بشر وحينما نتكلم عن لفظة البشر تذكر ما يتعلق بـالحياة الشبيهـة بالحيـاة الحيوانية وهي الغذاء والنمو والتكاثر والتناسل وغير ذلك والآيات تدل على ذلك أما بالنسبة للحياة الإنسانية التي تكون بعد نفخ الروح ﴿ فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين ﴾[1] فقد رتب الله سبحانه وتعالى تكريم هذا الإنسان وطلب من الملائكة أن يسجدوا له بعد نفخ الروح فالإنسان مكرم ومتميز عن باقي المخلوقات بهذه الروح التي أودعها الله سبحانه وتعالى فيه وأيضا يدل على ذلك أن الله عز وجل حينما يصف الكافرين يعتبرهم أنعاماً لأنهم لا يقومون بمقتضى الأمانة التي حملوها ﴿ أولئك كالأنعام بل هم أضل ﴾[2] إذا الآيات والأحاديث التي فيها معنى الحياة أو التي تتكلم عن الحياة نستفيد منها أن الإنسان له حياتان حياة تبدأ بالتلقيح تلقيح البويضة وحياة تبدأ بنفخ الروح الحياة التي قبل نفخ الروح حياة بشرية محترمة وقد رتب الشارع عليها أحكاماً كما بين الأساتذة الأفاضل والحياة التي بعد نفخ الروح هي أيضا حياة إنسانية محترمة ورتب الشارع عليها أحكامـاً فلا تعارض بين احترام الحياتين الحياة الأولى الحيـاة البشريـة والحياة الثـانية الحيـاة الإنسانية وأقول قولي هذا والسلام عليكم ورحمة الله .

* الدكتور/ عبد العزيز كامل :

شكرا للأخ الدكتور/ شبير وأريد فقط أن أعقب على شيء إنه قال نحن متفقون على أن الجنين فيما قبل الأربعة الأشهر حى أقول يعني نحن شبه متفقين ولكن لم نتفق لأن هناك من قال أعتقد أو أظن الدكتور/ عمر الأشقر قال إن الإنسان في هذه الحالة ميت ﴿ وكنتم أمواتا فأحياكم ﴾[3] فسرها بأن أمواتا في حالة النطف

(١) سورة الحجر/٢٩

(٢) سورة الأعراف/١٧٩

(٣) سورة البقرة/٢٨

فهو يعترف أن النطفة ميتة في هذه الحالة كان يلزمه من هذا القول أن يجوز إجهاضها مع أنه لن يلتزم على قول القائلين أن لازم المذهب ليس بمذهب ، فنحن لم نتفق حتى على هذه النقطة ـ فقط أريد أن أنبه على هذا أما مناقشة الموضوع الحقيقي لا أحب أن أناقش الفرق بين البشر والإنسان ـ المناقشة الموضوعية فيما بعد .

*** الدكتور/ نجم عبد الله**

الحمد لله والصلاة والسلام على خير خلقه محمد وعلى آله وصحبه وسلم .
أيها الأحباب عندي تساؤلان اثنان (الأول) يخص الأطباء وهو بخصوص نفخ الروح إذا كنا سلمنا أن هناك روحاً من نصوص القرآن ومن الحديث الشريف فالذي أتساءل فيه بالرغم أنني سمعت خمسة بحوث هذا اليوم هل هناك دليل علمي طبي على التغير في الجنين في اليوم ١٢٠ وعلى حسب ظني إنني لم أسمع أي دليل يخصص هذا اليوم بالتحديد لأنه كما يقول فيه القرآن ﴿ ثم أنشأناه خلقا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين﴾ ومصداقا لحديث الأربعينات لابن مسعود فهي دعوة مفتوحة للأطباء والمسلمين منهم والمختصين بشتى التخصصات إنما نأخذ هذا اليوم لعلنا نجد بالدليل ما نتبين فيه من العلوم الطبية أموراً لم نكن نعلمها وندركها ونستفيد منها .

والتساؤل الثاني يخص الفقهاء وهو إذا كان اختلف الفقهاء في أمور مختلفة حتى يوم نفخ الروح هل هو الأربعون هل هو المائة والعشرون لا يهم في ذلك وهذا مشروعهم وهذا بحثهم وجدهم وجزاهم الله عنا كل خير ولكن الذي يهم هو الكلمة التي قالها عمر الأشقر وقالها يوسف القرضاوي بأنه حتى لو أخذنا بما قبل نفخ الروح ، أو بعد نفخ الروح هل يحق لنا أن نعدم هذا الجنين ؟ هذا تساؤل مهم .

فمن هذا أخرج إلى نقاط أخرى تهمنا كأطباء وهي مثلا استعمال موانع

الحمل وموانع الحمل نوعان نوع لا يضر بالجنين ولا يضر بالبويضة ـ مثلا حبوب منع الحمل التي تؤخذ كل يوم فهذه ثمنها إخراج البويضة ولكن هناك أنواع لمنع الحمل كاستعمال اللولب يمنع تعلق الجنين فإذا اخذنا بمبدأ أننا لا نسبب الضرر والأذى فإذا ما هو الحكم في هذا حتى نظهره للناس ولنتقي الله في ذلك سواء ما نعمله نحن وسواء ما يعمله الناس بجهل فهذا التساؤل مطروح لكم وجزاكم الله خيرا .

*** الشيخ محمد المختار السلامي :**

بسم الله الرحمن الرحيم :

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما أتوجه إلى سيادة الرئيس أطلب منه ألا أقتصر على خمس دقائق نظرا لأمر واحد هو أن تقديم الموضوعات شيء والمناقشة شيء آخر والزميل الذي تقدم بتقديم الموضوعات كما قلت صباحا ألقى أضواء جديدة على كلامه زاده بيانا وبقيت بقية وجهات النظر لم تأخذ حظها وبناء على هذا لا بد من بعض وقت للمناقشة وبعض وقت لتقديم الكلمات فإذا تفضلت سيادتكم بالموافقة على هذا لنلخص نظام عمل نستقر عليه .

ـ الرئيس / الدكتور يوسف القرضاوي :

الحقيقة أن النظام الذي استقر عليه الأمر أن واحداً يقدم الأبحاث لا يقدم بحثه ، فالمفروض أن يقدم بحوث الجميع انطلاقا من بحثه أساسا وعلى هذا يناقشه الآخرون أو يزيدون يعني يضعون يستدركون فالآن كلمتك يا شيخ محمد هي استدراك أو تكملة أو إضافة فنعطيك زيادة دقيقتين ليس فيه مانع . . .

*** الشيخ / محمد المختار السلامي :**

الكلمات التي استمعت إليها مع شكري للذين تقدموا بها فيها بعض نقاط

أريد أن أوضحها لأن قضية الدقة العلمية لا بد منها فاستمعت إلى أنه كلما تقدم الجنين في الحمل كانت قيمته الحياتية أكبر والذي أعرفه هو أنه لا فرق بين الجنين في الشهر الرابع أو الشهر الخامس أو الشهر السادس أو الشهر السابع في النظر الشرعي .

الأمر الثاني هو أننا نعتصم بالنصوص المعصومة معنى وهي قطعية الثبوت أقول إننا نعتصم بالنصوص فعلا وإذا كانت قطعية الثبوت فمعنى ذلك هو القرآن وبعض الأحاديث على خلاف في قطعيتها وما بقى كله مظنون ولما قالوا السنة مقطوع بها في الصحيحين فهو بالنظر إلى المجموع لا بالنظر إلى الأفراد وإلا لا نقلب العلم وأصبح الحديث المظنون حديثاً قطعيا والقطعي لا يمكن الخلاف فيه والذي إخواني العلماء يعرفونه أفضل مني ما قام به الدارقطني في دراسته للبخاري فقد نقد كثيراً من الرجال من حيث السند عند البخاري وأسقط بعضهم من دراية الضبط حوالي خمسين فهذه كلها وفي مسلم أكثر من هذا فجعل هذا من قبيل القطعي وهذا أمر لا يقول به أي عالم ولا هو خاضع للمقاييس العلمية ولا مقاييس مصطلح الحديث مايزال عندنا النصوص الحقيقية هي كلها ظنية الدلالة وظنية السند أيضا والحديث .

أعود إلى الأصل الذي أوجب الخلاف الذي رواه الإمام البخاري عن ابن مسعود وحديث الأربعينيات لكل نص لا يمكن أن يقتطع منه شيء وينظر إليه ولكن لا بد أن ينظر إلى النص من بدايته إلى نهايته وتمام هذا الحديث هو قوله صلى الله عليه وسلم«ثم ينفخ فيه الروح ويؤمر بأربع كلمات: بكتب رزقه وأجله وعمله وشقي أو سعيد، فوالله الذي لا إله غيره إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع ، فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها . وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه و بينها إلا ذراع فيسبق عليه

الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها »[1] فإذا الحديث كما استمعنا إليه في هذا الجزء الأخير منه يتجه إلى قدر سابق يظهره الله سبحانه وتعالى إلى الملك في ذلك الوقت وأن ظهوره على الإنسان ليس مرتبطاً بتاريخ ولادته أو بحياته الأولى ولكنه ارتباط بين الإنسان وبين المقدر والمقدور تارة لا يظهر إلا في آخر لحظة من لحظات حياته فاتجاه الحديث ليس لأن الروح هي شيء توجب على الإنسان تطوراً جديداً في ذاته ولكن معنى ذلك هو معرفة تحصل للملك الذي لا يطلع على شيء من غيب الله إلا ما يطلعه الله عليه وهذا أمر يقيني أنه ﴿عالم الغيب فلا يظهرعلى غيبه أحدا إلا من ارتضى من رسول ﴾[2] فهذا الأمر الثاني الذي أردت أن أبينه في هذه القضية .

الأمر الثالث هو أن الفقهاء قديما اتفقوا على أن ما بعد المائة والعشرين يوماً لا يجوز التعدي عليه ولا إسقاطه وهو يوجب الخروج من العـدة وهو يـوجب ديته الخاصة التي هي الغرة التي هي عشر الدية كون هذا بعدالأربعة الأشهر قبل الأربعة الأشهر بين العلماء خلاف واضح فبعضهم يرى أن تاريخ علوق الحمل هو بدء حياته الإنسانية ويمنع التعدي عليه ويحرم التعدي عليه ولو من الأم نفسها كحالته بعـد الأربعة الأشهر ، لأن منع التعدي على الحمل هو من الغير أو من الأم ذاتها أو من الأب وبعضهم يرى أنهم يجوز إسقاطه قبل الأربعة الأشهر لكن الذين قالوا يجوز الإسقاط نجدهم يضطربون في بقية الأحكام فهل تخرج المرأة من العدة إذا ما أسقطته بعد أربعين يوماً تراهم يختلفون ثم إن الذين يقولون يجوز إسقاط الحمل ما هو حكم التعدي على هذا الحمل أتجب فيه الدية أولا تجب أمر آخر فيه خلاف أيضا فهذا كله يدل على أن العلماء شكر الله لهم إنما كانوا يبنون أحكامهم على أساس وهو ما وصل إليه المستوى العلمي والمستوى المعرفي .

فالذي أريد أن أخلص إليه هو أنه ضبط أو جعل لا حياة قبل ١٢٠ يوما أو أن

---

(١) أخرجه البخاري ومسلم

(٢) سورة الجن ٢٦/٢٧ .

الروح هي الحياة هذا الفرق بينهما الاقتران بين الروح وبين الحياة هو أمر لا يقوم عليه نص ولا يقوم عليه دليل علمي وشكرا . .

* **الدكتور عبد الله باسلامه :**

بسم الله الرحمن الرحيم : أحب أن أشير إلى أربع نقاط باختصار شديد ومعظمها تدور حول نقاط علمية أكثر منها فقهية وهذا ما أعرف منه شيء بسيط .

أولا نحن ندرس في كلية الطب أن الحمل أو أن محتويات الرحم اذا نزلت أو تخلصت منها الأم من خلال العشرين الأسابيع الأولى من الحمل يعتبر إجهاضا على أن مدة الحمل كلها أربعون أسبوعا تحتسب من اليوم الأول لآخر دورة طمث في الماضي كنا نقول إن الإجهاض هو ما أسقط قبل ٢٨ أسبوعاً والسبب في الاختلاف بين الاثنين إنه كان أي جنين نزل إلى الحياة قبل ٢٨ أسبوعاً مصيره الموت لأن الوسائل الصحية المتاحة لم تكن متيسرة ولم يكن تعرف النواحي البيولوجية للجنين وكيف نحافظ عليه كان ما يستمر في الحياة مما ينزل قبل ٢٨ أسبوعاً لا يزيد من ٥ إلى ١٠٪ الآن وفي السنوات الأربع الأخيرة نحن في كلية الطب غيرنا التعريف وأصبح بدل ٢٨ أسبوعاً عشرين أسبوعاً والسبب أن هناك بعض مراكز علمية مؤهلة في العالم الآن إذا نزل الجنين بعد العشرين بالوسائل العلمية الحديثة أمكن الآن صيانته والمحافظة عليه واستمرار الحياة فيه إلى نسبة تصل لحوالي ٨٠٪ من هؤلاء الأجنة لكن معظم العلماء البيولوجيين الآن متفقون أنه أقل من عشرين أسبوعا من الصعب جدا لأنه يصبح إجهاضاً وليس فيه فرق في اللغة الافرنجية نسميه أدوار شند وأما تبدر ـ الـ هو أبوش أقل من عشرين أسبوعاً وأما تبدر غير كامل ما بين العشرين والثمانية والعشرين أسبوعاً هذه حقيقة أضعها ـ قد يمكن أن نقر أن الحياة في الجنين من قبل الالتقاء بين الحيوان المنوي والبويضة وبعد الالتقاء ، لكن الحياة المستقلة للجنين لا يمكن أن تسير إلا بعد ١٢٠ يوماً أو عشرين أسبوعاً من بداية الحمل هذه حقيقة .

الحقيقة الأخرى التي ذكرتها صباحا أنه ليس كل التقاء بين الحيوان المنوي والبويضة يمكن أن ينتج عنه إنسان أو حياة إنسانية بل قد ينتج عنه ما يضر ويجب التخلص منه : كتل من الخلايا الضارة بالأم .

ثالثا ـ إذا نحن أخذنا بمبدأ أن نهاية الحياة هي نهاية عمل المخ . فهذه حقيقة يجب أن ننظر لها الآن في بداية الحياة قد ينمو الجنين ويصل إلى مرحلة متأخرة من الحمل وهو ناقص نمو المخ الذي هو إلا من كفلى صحيح قد يكون موجوداً في جزء من جذع المخ لكن لا يكفي أن نسميها حياة أو حياة تفصل إشارات مخية يمكن تسجيلها كما تسجل بالنسبة للإنسان قبل الوفاة .

ورابع نقطة أنا أرى أن الحياة الإنسانية حياة موجودة قبل أن يتم التلقيح موجودة في الخلية وأن الخلية لا تنمو وحدها تلقائيا وإنما فيها شيء قد يكون هو الروح وإنما تبدأ النفخة الكبيرة من هذه الروح الموجودة في الخلية بعد فترة معينة قد تكون ١٢٠ يوماً مصداقاً للأحاديث وعلى ذلك فالحياة الإنسانية داخل الرَحِم يجب أن تصان من اليوم الأول وما يترتب على صيانتها يجب أن تحتسب يعني يجب الأم التي تتحمل هذا ما يترتب على صيانة هذه الحياة أن تحتسب لها أجرا عند الله . وشكرا .

* الدكتور توفيق الواعي

بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد .

في الحقيقة لا أدري إن كنا دعينا خطأً إلى هذه الندوة أم هو صحيح ؟ لأن الندوة هذه مكررة لقد تكلمنا في كل هذه الموضوعات في ندوة الإنجاب وكل إخواننا الذين كتبوا في الموضوع وقدموا بحوثاً أحالوا على ندوة الإنجاب وأرى الآن أن كل الموضوعات التي نتكلم عنها تكلمنا عليها في ندوة الإنجاب وكلها بالتفصيل

حتى الاعتراضات حتى الكلام في أن هذه عقيدةأو غير عقيـدة حتى حديث ابن مسعود وأحاديث البخاري كلها تكلمنا عنها وأخذت فيها قرارات فهل نحن نأخذ بمبدأ في الإعادة إفادة أم نأخذ بمبدأ العثور على خطأ في الندوة السابقة نـريد أن نصححه في هذه الندوة وكيف أن الحياة محترمة وتكلم الفقهاء في هذا وتكلم إخواننا الأطباء وشرحوا وتفضل الأخ حسان وعرض فيلماً وأبان لنا بداية الحياة من حين نبض القلب تكلمنا في كل هذه النقاط أنا كنت أحب أن هذه النقاط ستحذف من بداية الحديث من حين أن ينزل الجنين إلى آخر الحياة ونخدم الموضوع الأساسي الذي هو انتهاء الحياة الذي يركز عليه حيث إن هذا فيه ما فيه من أقوال العلماء فأرى أن تحول هذه الموضوعات إلى الندوة السابقة وتتلى القرارات السابقة ونبدأ من حيث انتهينا من تلك الندوة وإلا سندور في هذه الحلقة وسيكون الموضوع ندوة قررت أنه يحرم الإجهاض لوجود حياة إنسانية محترمة بعد الأربعين وعليه شبه اتفاق ثم هناك فريق من العلماء قالوا إنه من بدء الحمل ليس من عند الأربعين تكون حياة محترمة ، إذاً هناك رأيان رأي متفق عليه أو رأي عليه شبه إجماع وهو الحياة محترمة من عند الأربعين وفريق قال الحياة محترمة من حين ثبوت الحمل وثبوت العلوق وتكلمنا في هذه الموضوعات وخرجت القرارات جيدة ولا اعتراض عليها فإذا نبدأ الموضوع بالمسار الصحيح حتى ننتهي إلى نتيجة وإلا لا داعي لإضاعة وقت إخواننا ووقت الباحثين في هذه الإعادات وهذه التكرارات وأنا لست أحب أن أسهم في نصيب من هذا التكرار وشكرا .

والسلام عليكم ورحمة الله .

ــ الرئيس / الدكتور يوسف القرضاوي :

شكرا للأخ الدكتور / توفيق الواعي على هذا وأنا في الواقع سعدت بحضور جزء من الندوة السابقة ولكن كان الجزء الذي حضرته يتعلق ببنوك الحليب المختلط أما الجزء الآخر الحقيقة فلم يشأ الله أن أحضره لذلك لا أعرف ماذا تم فيه .

والإجابة على كل حال يا دكتور توفيق هناك باب في النحو ندرسه جميعا اسمه باب التوكيد لعل الأمر يراد توكيده أو الاستكمال لبعض الموضـوعات أو بعض الجوانب ولا شك أن جمعا كريما مثل هذا لابد أن يضيف شيئاً أو يستدرك شيئاً وقد يتغير اجتهاد البعض يمكن الدكتور / حسان كان متحمساً برأيه في المرة السابقة لعله . . بعد سنتين فتر حماسه وبدأ من جديد يراجع نفسه يمكن الدكتور / عصام أخذ موقفا آخر من يدري على كل حال البحث إن شاء الله لن يضيع سدى والآن ليس أمامنا إلا أن نناقش الموضوع ولكن أريد أن نحدد الحقيقة عن المواضيع التي فيها الخلاف .

*** الدكتور توفيق :**

ـ أنا أقترح يا دكتور / يوسف تقرأ القرارات السابقة وهي طبعت في كتاب مع جميع الأبحاث لكي نحدد الموضوع والذي له اعتراض على القرارات السابقة بندوة الإنجاب يبدي رأيه الآن .

ـ الرئيس / الدكتور يوسف القرضاوي :

ـ هذا أمر يرجع إلى الإخوة الحاضرين هل ترون أن ننطلق من قـرارات الندوة السابقة وننظر من جديد فيها فنقر ما نراه ونناقش البعض الآخر .

*** الدكتور أحمد الغندور :**

ـ شكرا لزميلي الدكتور توفيق على ما أبداه ولكني أحب أن أذكره أن الندوة السابقة كنت أحضرها على ما أتذكر وكان موضوعها الإنجاب في ضوء الإسلام وربما كان موضوع الإجهاض له دور بارز في تلك الندوة وأما هذه الندوة فإنها ـ وإن كان هناك تشابه في بعض الموضوعات ـ نرى أن هذه الندوة متخصصة أو حددت

البداية وإلا ما كنا اختلفنا من الساعة التاسعة صباحا حتى الآن في تحديد بداية الحياة الإنسانية ونهاية الحياة الإنسانية وأما كلمة نهاية الإنسان نعم وردت في الندوة السابقة على أنها أمر طارىء وليست ضمن الموضوعات التي كنا نتناقش فيها ولا ضير مطلقا في أننا نعد ندوة ونكرر في بعض أجزائها بما ينتج ويؤتي ثمراً جديدا وكما قال فضيلة الدكتور / يوسف القرضاوي إن فيها تأكيدا وإن فيها بحثا وإن فيها تحصيلا يعني أنني فعلا استمعت اليوم إلى مالم أسمع في الندوة السابقة فقد سمعت أمورا حول مسألة بداية الحياة الإنسانية وأحب أن أقول فعلا إن حياة إنسانية يا دكتور / واعي تبدأ وإن كانت ذكرت في العام الماضي وقبل الماضي من وقت التحام الحيوان المنوي بالبويضة فالبويضة التي لقحت لها كرامتها وأصبحت تحمل الخلاصة للإنسان وإن كنت أختلف مع زميلي العزيز الدكتور / شبير حيث قال إن هناك اختلافاً وإن هناك حياتين حياة تسمى الحياة البشرية والأخرى بالحياة الإنسانية قال الله تعالى﴿قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي﴾[1] ما هو البشر هو الإنسان فإذا كان كما وصفت اتفاق أو تقارب وجهات النظر فلنتفق ولنبحث جيدا ولننته في هذه الندوة قبل أن نغادرها إلى حل نهائي عن بداية الحياة الإنسانية ولنترك التفاصيل الأخرى كلنا نحترم حديث النبي صلى الله عليه وسلم وندافع عنه ولكنا مدافعون وكلنا حماة لكتاب الله وسنة رسول الله إنما الخلاف ليس صحة هذا الحديث أو كون الدلالة يعني قطعية أو واضحة أو كما تقولون أبدا إنما نريد الحياة الإنسانية بدأت من وقت التلقيح من وقت أول حمل إذا قلنا إن بدء الحياة الإنسانية من بعد مائة وعشرين يوما ما يمكن للمرأة أن تستعمل لولباً بعد شهر من حملها وهناك آراء في بعض المذاهب يمكن كالحنابلة إذا اتفق الزوجان على تفتيت العلقة أو المضغة لا شيء فيه ما دام لم تتم أربعة أشهر وقلنا كما قال أستاذنا أنا أذكرها مولانا الشيخ بدر في ندوة منذ سنتين ما زالت تضرب في أذني وقال يا أولادي الأحوط أن

---

(١) سورة الكهف / ١١٠ .

نأخذ بحرمة الإجهاض ولو بعد أسبوع من الحمل سدا لباب الذرائع وسدا للفساد هذا ما أردت أن أوضحه وإن كنت أريد أن أقول لكم إذا كان هناك أحكام موجودة على الجنين بعد الشهر الرابع هناك أحكام شرعية كبيرة جدا مترتبة على هذا الجنين وقد يطلق عليه جنين في الشهر الرابع كما يطلق عليه جنين في الشهر التاسع إنما نريد أن هذا الجنين هو أساس الإنسان هو الإنسان الذي نريد أن نحترمه ونقدسه هو الإنسان الذي له أهلية وجوب ناقصة هو الإنسان الذي يرث يوضع له أوفر النصيبين هو الإنسان الذي تعتد أمه بوضعه باعتبار أنه حمل سواء سقط أو لم يسقط وهو الإنسان الذي يأخذ وصية له أو هبة له أو وقفاً له فهو معتد فقهيا بأنه إنسان محترم وإن كان نطفة فعلقة فمضغة مخلقة أو غير مخلقة ثم يقول الله في الآية الأولى ﴿ ثم أنشأناه خلقا آخر ﴾[1] هذا الخلق الآخر هو عملية نفس الروح وكلنا نحترم الروح وكلنا نحترم هذا الخلق الجديد وهذا لا يمنعنا من تمسكنا واحترامنا ببداية حياة الإنسان من وقت البويضة الملقحة وشكرا سيادة الرئيس وآسف لهذا التعليق .

*** المستشار / عبد الله العيسى :**

ـ لقد أغناني الدكتور / أحمد لأن الموضوع الذي تطرقت إليه ندوة الإنجاب فعلا كان عدة مواضيع وإسقاط الجنين أحد المواضيع التي كانت مطروحة على بساط البحث في تلك الندوة ، والندوة التي الآن نشارك فيها هي في ا لواقع موضوع نهاية الحياة وموضوع نهاية الحياة له مقابل ومقابله هو بداية الحياة فلا ضير أن نتطرق بشيء من التوسع لأمر سبق أن بحثناه على نطاق ضيق ولا أعتقد أنه يضرنا أن توصلنا أو أوصينا بما سبق أن أوصت به ندوة الإنجاب التي عقدت قبل سنتين وكما قال بعض الزملاء إن الأبحاث التي قدمت في هذه الندوة كانت أبحاثا مستفيضة

---

(١) سورة المؤمنون / ١٤ .

متعمقة استطعنا أن نستفيد منها أكثر مما كان في ندوة الإنجاب ولذلك ففي هذه الندوة خير إن شاء الله وليس فيها تكرار وأرجو أن يتسع صدرنا لمثل هذه المواضيع ولو كانت مطروقة من قبل . . وشكرا .

*** الدكتور مأمون :**

بسم الله الرحمن الرحيم : الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ـ شكرا جزيلا لكم أيها الأساتذة الأفاضل على ما أفضتم به علينا في هذا اليوم والحقيقة أنني قد حضرت الندوة الماضية التي ذكرها الأخ توفيق وجئت إلى هذه الندوة لأجد الإجابة كطبيب ممارس على سؤالين وأسأل الله أن لا أخرج من هذه القاعة قبل أن أجد الإجابة على هذين السؤالين .

أولا : لا أهتم كثيراً بتعريف متى تبدأ الحياة ـ وما تسمية الحياة ونوعية الحياة قبل الأربعة الأشهر سواء سميتموها خلوية أو بشرية أو إنسانية أو غيرها ولكن الذي أريد أن أعرفه كطبيب ممارس ـ ما قيمة هذه الحياة في أطوارها المختلفة هذه من ناحية .

ـ وسأضرب بعض الأمثلة للمثال لا للحصر ثم السؤال الثاني .

ـ إذا وجدت ضرورة لإزهاق هذه الحياة ما رأي الشرع ؟

المثال الأول : ما قيمة الحياة في أنبوبة المختبر ، بالإمكان الآن تلقيح مجموعة من البويضات في المختبر وقد لا نحتاج إلى كل هذه البويضات في الإمكان أن نلقح وكل آتٍ قريب وقد يأتي الزمن الذي نلقح فيه في الكويت في الإمكان أن نلقح إلى حوالي عشرين بويضة في المختبر وقد نحتاج إلى اثنين أو ثلاثة ماذا نفعل بالبقية هل يمكن لنا أن نزهقها ؟ وهل نأثم إن أزهقناها أم لا هذا سؤال ؟ وأريد إجابة

واضحة :ـ الشيء الثاني أيضا في المختبر هنالك ضرورة إجراء البحث العلمي على هذه البويضات الملقحة فهل يجوز شرعا أن نزهق هذه البويضات الملقحة لإجراء البحث العلمي الشيء الثالث نحن الآن نستعمل اللولب لمنع الحمل ونعرف أن اللولب يمنع إنغراس البويضة الملقحة في جدار الرحم فما رأي الشرع في ذلك الشيء ؟ الرابع الحياة في أول الحمل كلنا متفقون على أن هذه نوع من الحياة يقل عن الحياة بعد نفخ الروح فإذا كانت هنالك ضرورة مثلا إذا أثبتنا طبيا أن هنالك تشوها بالجنين هل يجوز لنا إسقاط الجنين أم لا ؟ هذه أسئلة نريد الإجابة المحددة لأنها تؤثر على عملنا كأطباء ولكم جزيل الشكر .

ـ الرئيس / الدكتور يوسف القرضاوي :

شكرا للأخ الدكتور / مأمون وقد دخل بنا في المجال العلمي فلا أدري هل نبدأ فعلاً في الإجابة عن مثل هذه الأسئلة أو نفتح الباب لاستكمال من يريد الحديث من الإخوة ؟

* الدكتور / محمد الأشقر :

بسم الله الرحمن الرحيم : ـ الحقيقة النقطة التي أشار لها الأخ الدكتور/ توفيق هي نقطة أساسية وكان ينبغي أن ينظر فيها من الأصل حتى لا يذهب وقت الإخوان سدى فأنا أرى الاقتصار على ما جاء في عنوان الندوة وهو تحديد مبدأ الحياة وأما المسائل الفرعية كالإجهاض وغيره فهذه الأمور العلمية التي قد تلزم عن ذلك أو تنبني عليها نتركها ونكتفي بما جاء في الندوة السابقة وقد اعتنينا بها عناية كبيرة كما لاحظتم حضرات الإخوان جميعا .

ـ البحوث لم تتطرق إلى مسألة الإجهاض مثلا إلا عرضا لم يكن مقصوداً بذاته وإنما جاء عرضا فقط فالندوة حددت على أنها مبدأ الحياة فنحن نتكلم في هذا

فقط ولم نستعد لذلك ولم تذكر الأبحاث شيئا من ذلك مطلقا وأرى أن نكتفي بالمقررات في ندوة الإنجاب وما أظن الإخوان يعني على استعداد أن يعيدوا البحث من جديد ونذهب إلى كتبنا ومراجعنا ومشايخنا ونسألهم ونبدأ من جديد فهذه معركة تصبح فاشلة .

يكفينا ما نجحنا فيه في المرة السابقة وهذا جهد لا ينبغي أن يهدر ـ وهناك ملاحظات بسيطة على بعض من تكلم من الإخوان قوله تبارك وتعالى ﴿ وأولات الأحمال أجلهن أن يضعن حملهن ﴾(١) بعض المناقشات أوحت أن الإخوة فهموا أن أي شيء يسقط من المرأة فإنه تنقضي به العدة وهذا أشار لها الدكتور السلامي فنعم قبل تخلق الجنين أو قبل تبين تخلقه حينئذ لا تنتهي العدة وإنما تنتهي بالحمل الذي عندما يوضع يتبين فيه التخلق ولو بقول أهل الخبرة لكن امرأة كانت في البر أو في بيتها وأسقطت شيئا لا ندري ما هو ولم يتبين فيه التخلق فالعدة لا تنتهي بذلك .

بعض الكلام أوحى بأن هناك كفارة من حين إسقاطه وهذا أيضا غير صحيح إنما إذا تبين فيه التخلق كذلك الدية لها ثلاثة أحوال الجنين إذا أسقط له ثلاث أحوال إن أسقط ولم يتبين فيه التخلق فلا شيء فيه مطلقا وإن أسقط وقد تبين فيه التخلق إلى تمام التسعة أشهر ولكن ولد ميتا فليس فيه إلا عشر دية أمه وإن ولد حيا ثم مات ففيه دية كاملة وأما القصاص لا قصاص فيه مطلقا على الرأي المشهور إلا إذا ولد حيا ثم مات بعد أن ولد فحينئذ ربما يقال أو قال بعض الفقهاء إن فيه القصاص .

الكلمة التي يكاد الإخوان يعني استسلموا لها وهو أنه من مبدأ الحياة ـ الحياة محترمة قد يكون الاحترام يختلف من درجة إلى درجة يعني لو مات ميت مثلا ومعه في جيبه دينا ر ودفن والدينار في جيبه ممكن نستخرجه لأن الدينار محترم لكن ليس معنى

(١) سورة الطلاق / ٤ .

ذلك أنها جريمة إذا تركناه فهذه مثلا المرأة الحامل فيها حياة وممكن هذه تنفع من بعدها تنفع إخوان هذا الميت « الجنين » يعني يكون لها دور ممكن نحافظ عليه لكن هل معنى ذلك أنه فعل جريمة خاصة في مرحلة النطفة المرحلة الأولى ثم هناك نحن كما أشار بعض الإخوة أنه ينبغي عند تكافؤ الأدلة نستفيد مما فيه نفع للناس أحيانا في بعض الصور ، يكون فيه نفع كبير في الإسقاط خاصة في المراحل الأولى يعني تتخلص المرأة من الحمل فقد يضر صحتها أو في أحوال مختلفة كلها لا تخفى على الإخوان الأطباء ولا على الإخوان الفقهاء فإذا أغلقنا الباب نهائيا أعتقد نكون أقفلنا بابا فيه فرج لكثير من الناس .

الذي قال من الإخوة إن الجنين إذا جني عليه قبل الولادة هو مجرد مال أنا لا أوافق على هذا فيه إثم خاصة الجنين إذا كان متخلقا فهذا آثم في ضرب المرأة وخاصة إذا اقتضت إسقاط هذا الجنين ولذلك أثبتت الشريعة فيه كفارة ليس فقط الدية الدية مقابل مالي ولكن الكفارة عقوبة وعقوبة مقدرة فهي جناية وهي جريمة وليست مثل المال فقط المال ليس فيه إلا المال وحتى المال لم يقدر بالثمن إنما قدر كنوع من الدية .

يعني دية الإنسان الحر هي مثلا ألف مثقال من الذهب سواء كان غنياً أو فقيراً كبيراً أو صغيراً لأنه إنسان والحياة الإنسانية متساوية كذلك الجنين قبل إسقاطه جعل بدرجة واحدة وهو أن فيه عشر دية أمه فهذا أخذ نوعاً من مرحلة الإنسانية ولكن ليست إنسانية كاملة ، بعض الإخوة قال إن الإخوان متفقون على أنه في المرحلة الأولى إسقاط إما مكروه وإما حرام ولم يقل أحد بأنه مباح هناك أقوال في الفقه الإسلامي أنه مباح وقد تعرضنا لها في السنة الماضية ومن جملته أذكر أن في مذهب الحنابلة صراحة في جميع كتبهم المعروفة تقريبا أنه يجوز إسقاط النطفة قبل أربعين يوما بدواء مباح هذا نص يتكرر في كثير من كتب الحنابلة وربما في بعض كتب الحنفية أنه بعد الأربعين مكروه وقبل الأربعين جائز فليس لنا أن ننطلق مع

القول الآخر حتى نقفل الباب على ظروف أو أحوال تقتضي الإسقاط في مراحله الأولى ونغلق الباب نهائيا أعتقد هذا فيه خطورة شديدة جداً وأرجو أن لا يتجه المؤتمر إلى هذا الاتجاه .

والسلام عليكم ورحمة الله

ــ الـرئيس / الدكتـوريوسف القرضاوي:

شكرا للأخ الدكتور / محمد الأشقر والدكتور / الأشقر يعني حاول أن يحصر عمل الندوة في بداية الحياة يريد أن يحصرنا في بحث تجريدي وإذا كان هذا هو المقصود فيعني لا أدري لماذا جعل كلامه الأخير حول الإجهاض والإسقاط وأحكام عملية فالأمور العملية لا نستطيع أن نتركها ونحن هنا أطباء وفقهاء وهؤلاء كلهم عمليون ليسوا فلاسفة ليس هنا من رجال الفلسفة غير الأستاذ الدكتور / أبو ريدة على ما أعلم والكل ناس تشتغل بالجانب العملي .

* الدكتور / الأشقر

أنا أقول نكتفي فيما يتعلق بالإجهاض بما مضى وأما حديثنا في موضـوعنا الذي في الندوة هذه نحدد مبدأ الحياة لأجل أن نستفيد منه في البحث القادم فقط ونقارن بين الأمرين هذا الذي أتصور ينبغي أن يكون موضوع الندوة وحوارنا حول هذه النقطة

ــ الرئيس / الدكتور يوسف القـرضاوي :

إن كان الأمر كذلك في الحقيقة ما كان لنا أن نأخذ يوما كاملا في هذا الأمر من الصباح إلى الساعة الثامنة فعلى كل حال لا بد أن يكون من وراء هذا النقاش فائدة لاستيضاح أو تجلية بعض الأشياء التي ربما لم تـأخذ حقهـا في الندوة السـابقة أو

الاستدراك على بعض الأشياء لعل الإخوة أرادوا هذا فنستكمل على كل حال من أراد التعقيب من الإخوة .

* الدكتور / ابراهيم الصياد

بسم الله الرحمن الرحيم : أبدأ بالآية الكريمة ﴿ ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين فاعترفنا بذنوبنا ﴾[1] أشار لها الدكتور / عمر الأشقر ما من شك أن هناك في دورتنا حياتين ومماتين والآية الكريمة قدمت الموت على الحياة وأفهم من هذا أن هذا هو التركيب الزمني بدأنا بحالة موت ثم حالة حياة الدنيا ثم حالة الموت الذي سنمر به كلنا إن شاء الله ثم بعد ذلك حالة الحياة الأبدية ، هنا فسر البعض حالة الموت على أنها انفصال الروح عن الجسد وحالة الحياة على أنها التقاء الحياة بالجسد إذا كنا في كينونة هذه الكينونة كانت في ساعة الإشهاد والإماتة في عالم الذر أم أنها كانت في الوقت الذي أشار له الدكتور عمر ليس في يدنا أن نجزم لكن المرحلة التالية وهي الحياة التي نحياها ثم بعد ذلك تنتهي هذه الحياة بانفصال بين الروح والجسد يتحلل الجسد على ألا تختفي عناصره وإنما المادة تظل ثابتة حتى يجمعها الله تعالى في التقاء جديد للروح بالجسد في يوم البعث وهنا تبدأ مرحلة الحياة الثانية وبذلك نكون قد مررنا بمرحلتين ـ مرحلتين للحياة ومرحلتين للموت أريد هنا أن أصل إلى ما يسمونه بالحياة الجزيئية حياة جسدية وحياة جزيئية ـ الحياة الجسدية التي تكون فيها كل خلية من خلايا الجسم في حالة حياة أما الحياة الجزيئية فهي أن تختفي الوظائف الحيوية وهذا موضوع الندوة القادمة إن شاء الله أو موضوع الغد عندما ينتهي جذع المخ وتظل بعض الخلايا قادرة على الاحتفاظ بالحركة الذاتية أو بالحياة الجزيئية ولكنها لا يمكن أن تعيد الجسم إلى حالة التقاء الروح بالجسد .

---

(١) سورة غافر / ١ .

ونستطيع في هذه ا لحالة أن نقول إن الروح قد خرجت لأنه لا توجد أي وسيلة لإعادة هذا الكائن الحي إلى مفهوم الحياة بالتقاء روحه بجسده إذاً هذه الحياة الجزيئية لا تعتبر حياة بمعنى أنه لا توجد روح في هذا الجسد وهذا يوصلنا إلى أن الروح تخرج من الجسد كمرحلة ما.هذه المرحلة تسبق مرحلة وفاة كل خلية من خلايا جسم الإنسان نعود إلى الحديث الشريف عندما سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم في حادثة القطة فقالوا له ألنا في البهائم أجرا قال (في كل ذات كبد رطبة أجر) - (وفي كل ذات كبد حرّى أجر)[1] إذا هذا الحديث أنا فهمته على أنه لكم في كل كائن حي أجر فبدلا من أن يقول كائن حي قال كبد حرّى أو كبد رطبة - قد يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم وضع هذا تعريفا للحياة البشرية أن يكون هناك كبد حارة رطبة بدورة دموية تسري فيها إذا أنواع الحياة الدنيا التي لا يوجد فيها كبد رطبة حارة لا تدخل في تعريف الحياة التي يحترمها الإسلام ويعطيها أهمية الحياة البشريةعندما تخرج الروح من الجسد وتتوقف الدورة الدموية وتتوقف حرارة الكبد ويتوقف ميزان الدم فيه رغم أن خلايا العضلات ما زالت حية إلا أن هذا الكائن الحي لا تنطبق عليه مواصفات الكائن في الكبد الحارة إذاً فقد خرجت منه الروح .

إذاً ننتقل من هذا إلى ربط بداية الحياة ونهايتها وهم كانوا موفقين في اختيار الموضوع وربط المبدأ والنهاية ربطا واحدا نقول إن هناك مرحلة معينة يكون فيها الكائن الحي في بطن أمه ومع ذلك لا يكون له كبد حرى أنا أقترح كاجتهاد أن يكون هذا الكائن الحي ليس كائنا منفوخة فيه الروح لأنه ليست فيه كبد حرى في المراحل المتقدمة التي لم يتكون فيها الكبد أريد مرة أخرى أن أقول إن هناك مرحلة معينة من مراحل النمو سموها الاكلسبوس يستنتج أنـا للأسف لم أحضـر ندوة الإنجاب ولكن كنت في جده في فريق عمل من بعض أساتذة علم الأجنة الكنديين

---

(١) أخرجه البخاري ومسلم .

والأمريكيين مع الشيخ عبدالمجيد . في محاولة لتفصيل آيات القرآن الكريم المتعلقة بخلق الإنسان وتفصيل رأي علماء الأجنة في كل مرحلة .

والحقيقة في السعودية اعتمدوا على حديث الاثنين والأربعين يوما ولم نسعد بهذا التخريج الجميل الذي أخرجه اليوم أستاذنا الدكتور / محمد الأشقر بهذه الرواية الدقيقة الواضحة التي شفت النفس لأني لماذا أبتعد عن حديث يعطيني يوماً محدداً اثنان وأربعون يوماً حددت بستة أسابيع هذه الستة الأسابيع تتطابق تماماً مع انتهاء المراحل المعينة التي وصفت في الآية كيف أستطيع أن أغفل مرحلة النطفة فالعلقة فالمضغة كل هذه المراحل تتم قبل انتهاء الأسابيع الستة وليس من السهل أن أتجاهل حديث الستة الأسابيع أنقل جميع هذه المراحل جميعاً إلى مائة وعشرين يوماً لأن مرحلة المضغة ليست أربعين يوماً ـ مرحلة النطفة ليست أربعين يوماً ـ مرحلة العلقة ليست أربعين يوماً بل إن علماء الأجنة المسيحيين اقترحوا أن يغير علم التسمية في علم الأجنة وتسمى بتسمية قرآنية لأن أصدق أنواع التسمية هي التسمية القرآنية العلقة علقة وظيفة لأنها تعلق وعلقة شكلاً لأنها تشبه شكل الحيوان (العلق) المضغة مضغة شكلاً لأنها تشبه قطعة اللحم التي مضغت ثم ألقيت من الفم بشكل السومتك بارث الاندنتيشن أو التجزيعات الظاهرة على جسدها من شكل بداية تكون العمود الفقري أذاً هذه التسمية إعجاز في القرآن لا نستطيع أن نتغاضى عنه فإذا تطابق هذا الإعجاز المحصور زمنياً في ستة أسابيع مع حديث صريح واضح يحدد لي أنها ستة أسابيع اثنان وأربعون يوماً بالدقة، نص آخر أوضح للحديث ذلك النصّ الواضح الذي شرحه أستاذنا الدكتور / محمد الأشقر أشعر أني أستطيع أن أتغاضى عن الفهم الذي رواه ابن مسعود وخصوصاً أن هناك رواية تريحني وتنطبق مع حديث آخر صحيح .

رداً على كلام الأخ الدكتور / نجم أن هناك مرحلة الخلق الآخر ـ شرحوها بأنها الاكسبلوز كثير مرحلة الانفجار أنه في مرحلة ما تطابق مع مرحلة الخلق الآخر تطابق مع مرحلة النمو الانفجاري يحدث تغير تام في سرعة ومعدل نمو الخلايا

ويحدث تغير تام في شكل الجسم الحي في شكل الكائن الحي في ذلك الوقت بدلا من أن يكون شكلاً حيوانيا لا تستطيع أن تمسه إنه إنسان يتحول إلى شكل بشري آدمي يسهل تمييزه ، أخلص من هذا إلى أن بداية الحياة ونهايتها بنفخ الروح ، نفخ الروح يحدد لنا أن هناك حياة جزئية وحياة كاملة للجسم البشري وجود بعض الخلايا أو أنواع دنيا أو أنواع جزيئية من الحياة لا تعني أن هذا الكائن حي وهذا التعريف يفيدني في مرحلة تحديد وفاته رغم أن هناك بعض خلاياه حية مرحلة تحديد بدء حياته رغم أن هناك بعض الخلايا الموجودة لكنه لم يتكون كإنسان ذي كبد رطبة .

الشيء الثاني أني أريد أن أربط بين الواقع الذي نشاهده وهو حصر كل المراحل التي ذكرت في القرآن الكريم في ستة أسابيع وبين حديث الاثنين والأربعين يوماً وبين الحديث الذي شرحه الدكتور / الأشقر المرحلة الثالثة مرحلة الاكسبلوزفستيج أو النمو الانفجاري وهي مرحلة الخلق الآخر التي تتطابق مع مرحلة نفخ الروح .

ـ الرئيس / الدكتور يوسف القرضاوي :

شكراً للأخ الدكتور / ابراهيم الصياد وأحب أن أذكر أن الحديث في كل كبد رطبة أجر لم يجئ في شأن القطة وإنما في شأن كلب كما هو في صحيح البخاري - أيضاً الحديث الآخر حديث الإثنين والأربعين جاء بلفظ أربعين وبلفظ اثنين وأربعين وبلفظ وفيه خمسة وأربعون ويعني هذا التحديد أيضاً ليس صارما وحتميا أن نأخذ هذا في الحسبان .

*** الدكتور أحمد القاضي : -**

السلام عليكم :

أولا : رداً على سؤال الدكتور / توفيق الواعي أكون أميناً معكم وأصدقكم

القـول أني فعـلاً أطمـع وآمـل وأبتهـل إلى الله أن يشـرح صـدور البعض لما يستمعون إليه اليوم من حجج منطقية إضافة إلى ما سمعوه قبل سنتين فعلنا نغير أو نعدل أو نحسن مما وصلت إليه الندوة السابقة ـ ندوة الإنجاب ـ بحيث نزيد من درجة الاحترام والصيانة للجنين في الأربعين يوماً الأولى إذا وصلنا إلى ذلك نكون فعلاً وُفِّقنا إلى خير كثير لأنه يا إخواني من منكم لم يمارس أو يخبر حالاة الملايين التي تزهق كل عام في أمريكا لوحدها مليون وثلاثة من عشرة كل عام من الأجنة تزهق وهي ليست إهداراً للحياة فقط إنماإهداراً للأرواح لأن عدداً كبيراً منها هو فوق الشهر الرابع أو بعد الأربعين يوماً وهذا هو الفهم أحيل إليه كما تفضل به الدكتور / ابراهيم الصياد وإذا فتحنا باب الإجهاض ولو في أربعين يوماً تأكدوا إنه سيزيد عن الأربعين بكثير لخطأ الأم في تحديد موعد آخر دورة لخطأ الطبيب المشخص مما يصل من أسبوع إلى شهر في تقدير مدة الحمل وصعوبة التنفيذ العملي لصيانة الجنين من اليوم التاسع والثلاثين إلى اليوم الأربعين أو إذا أخذنا بالمفهوم القديم وكنت آمل ألا نصل إلى هذه المشكلة ونفخ الروح اتفق عليه إنه بين الأربعين والخمسة والأربعين يوماً على الأقل وبهذا نكون متفقين .

كان عندي نقطة للرد على إحدى القرائن التي ذكرت في الجلسة السابقة وهي قرينة التوقيت فإذا لم تتم معرفة القدر أو المقدر للملك إلا وقت نفخ الروح إذاً لا يوجد كائن قبل هذا الوقت وأنا أرى أن هذه القرينة ليست بالضرورة صحيحة أو ملزمة لأن عندنا أمثلة للذكورة والأنوثة هذه لا يعرفها الملك إلا في هذا الوقت سواء كان أربعين أو مائة وعشرين يوماً ومعروف باليقين أن الذكورة والأنوثة محددة قبل هذا الوقت من وقت التلقيح وهي بإذن الله وبعلمه وتقديره ولكن الملك لم يعرف عنها إلا بعد ذلك وكذلك كل الصفات الوراثية بما فيها من خير وشر موجودة وثابتة ولا تتغير بإذن الله حتى لو لم يعرف عنها الملك . هذا عن قرينة التوقيت . أما عن اختيار رواية نفخ الروح القائلة بأنه في الأربعين أو الثاني والأربعين فليلحظ أن في الحالتين عند تعريف الحياة البشرية يكون الفرق حياة وربما الحياة الإنسانية ستكون يومين

حياة ولا بأس إن كان في هذا التنازل أو المساومة بين الرأيين ما يربح الجميع نكون خرجنا منه بفائدة لأن الحياة قبل نفخ الروح حتى لو أخذنا بأنها أقل من الحياة الإنسانية شأنا لكنها تعطي الانطباع للسامع بأنها تستحق المحافظة عليها أما لو خرجنا من هذه الندوة ولم نذكر أي شيء عما قبل الحياة الإنسانية قبل وقت نفخ الروح أغلب من يستمع إلى هذا الرأي سيعتبر أنها حياة لا تستحق الاحترام ، وبالتالي ستكون معرضة بل هي حاليا تحت الهدر والتحطيم والسلام عليكم ورحمة الله .

*** الدكتور محمد فوزي فيض الله :**

بسم الله الرحمن الرحيم والحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا محمد رسول الله : أود أن أقول باختصار تحريرا لمحل النزاع لا ينبغي أن يكون خلاف بين الفقهاء في أن هناك نوعين لحياة الجنين :

(الأولى) حياة تكون وتبدأ من ساعة العلوق ، وهي حياة معتبرة عندهم جميعا بلا خلاف ، بدليل صحة الإيصاء له وتعليق انتهاء العدة بوضعه وما إلى ذلك ،

(الأخرى) حياة حقيقية وهي التي تبدأ بنفخ الروح ونفخ الروح لا يكون إلا بعد تمام التخلق كما يبدو من حديث الأربعينيات بروايته المختلفة في صحيح مسلم ، وقد لاحظ الفقهاء الفرق بين الحياتين فقرروا مثلا أن الإجهاض قبل التخلق مكروه تنزيها إذ هو بدء مرحلة الحياة الإنسانية ، أما بعد التخلق فمكروه تحريما لاحتمال بدء الحياة الإنسانية فيه كما في بعض روايات حديث الأربعينيات أما بعد نفخ الروح وبعد أربعة أشهر فحرام باتفاقهم جميعا إذ لا خلاف في بدء الحياة الإنسانية الحقيقية حينئذ .

والفقهاء وإن لم ينصوا على هاتين الحياتين لكن لابد أن تكون التفرقة بينهما

مراعاة عندهم بدليل الفروع التي ذكرناها فذهاب الأطباء المحدثين إلى بدء الحياة من لحظة العلوق هو الحياة التخلقية عند الفقهاء ، وذهـاب الفقهاء إلى تحـريم الإجهاض بوجه عام بعد التخلق ، إنما هو في الواقع لبدء الحياة الإنسانية الحقيقية عندهم بعد تمام التخلق ونفخ الروح ، فهل يمكن أن يعتقد الأطباء بوجود هذه الحياة الحقيقية في مرحلة معينة من الجنين من بعد الأربعين على الأقل إلى جانب اعتقادهم بالحياة الأولى من وقت العلوق ، يبدو أن هذا من الحكمة ذلك أنه لا نص في الشريعة على أن نفخ الروح يكون في بدء العلوق أعتقد أن هذه هي نقطة الخلاف بين الفقهاء والأطباء . . وشكرا لكم والسلام عليكم ورحمة الله .

*** الدكتور / عمر الأشقر :**

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله في ظني أن هناك فريقين سواء من الأطباء أو من الفقهاء ـ الموضوع بالنسبة لكل من الفريقين حُسِم ،وأدلته أصبحت واضحة ، وفي ظني أن الذين يقولون بدء الحياة الإنسانية تكون من العلوق أو من الإخصاب ـ سيجيبون على أسئلة الدكتور / مأمون يقولون إنه لا يجوز إطلاقا أن تهدر البويضة الملقحة في أنبوبة الاختبار ، وأيضا لا يجوز إجراء البحث العلمي على البويضات ، سيمنعون كل هذه التساؤلات ، أما الذين يقولون إن الحياة الإنسانية تبدأ من نفخ الروح بعد أربعة أشهر قد يجيزون مثل هذا وقد يمنعون أنا أريد أن أعود بالإخوة لما طرحته في الصباح . ما حكم الشريعة في مثل هذا الأمر ؟ هل هذا مبني على التأكد من بدء الحياة ، يعني هل ربطت الشريعة القضية ببدء الحياة أم للشريعة في هذا حكم بعيداً عن آراء الفقهاء ـ أنا يمكن أن آخذ على الفقهاء القدامى نفس القضية أنهم ربطوا البحث هل نفخ فيه الروح أو لم تنفخ فيه الروح ؟ هل حصل تخلق أم لم يحصل تخلق ؟ هل مسار البحث بهذا الشكل السديد هل هو سليم أم أن الشريعة الإسلامية تأبى أن يعتدى على الحرث والنسل ولو كان النسل متخلقاً في ساعته الأولى وهنا يجب بأن أذكر بكلمة الدكتور / القاضي في المسألة أن

لا يمكن الفصل بين بداية الحياة الإنسانية وحرمة الإجهاض . إذاً فلم هذا الربط أنا أقول يمكن الفصل بينها ، هناك حياة لكنت ليست هي الحياة التي هي نفخ الروح ومع ذلك فأنا لا أرضى أن يعتدى عليها لأن الله تبارك وتعالى ـ لا يرضى أن يعتدى عليها لأنها ستصير مؤهلة بأن تقوم بدور كبير جدا هي الإنسان ، فيمكن الفصل بين القضيتين فإذا سار البحث بها أصبحت القضية واضحة كل أدلى بحججه فما النتيجة ؟ لا شك أن سؤال الأخ مأمون يطرح نفسه الآن ماذا نجيب على هذا ؟ الذين يقولون الحياة من أول لحظة يقولون حتى البويضةالملحقة لها حرمة وأنا أذكر هذا من كلام الدكتور / حسان في الندوة السابقة لا يجوز أن نأخذ أكثر من بويضة من المرأة لماذا ؟ لأنه لو لقحت لا يجوز الاعتداء عليها وأن نلقيها في سلة الزبالة سيؤدي بنا البحث إلى هذه النتيجة . . . وشكرا .

* الشيخ محمد المختار السلامي :

بسم الله الرحمن الرحيم : متابعة لحديثي السابق أقول إننا هنا لسنا منتسبين إلى مذهب من المذاهب نؤيده على غيره ، ولكننا ننظر في المذاهب الفقهية الإسلامية ونرى أن كل مجتهد يمكن أن يكون مصيبا ويمكن أن يكون مخطئا في القضايا الضمنية . والخروج من العدة كما قلت بالنسبة للمالكية يرون أنه إذا وقع السقط ولو في الأيام الأولى فإن المرأة تخرج من العدة ، ووضعوا لذلك معيارا لتبين ما وضع وما خرج من رحم المرأة هل هو طور من أطوار الجنين أو هو أمر آخر . فقالوا إنه يصب عليه الماء الحار ، فإذا لم يتحلل فهو مجموعة من الخلايا خرجت بها المرأة من العدة وإذا صب عليها الماء الحار وتحللت فهو دم هذا إذا كما قلت في القضية من أول الأمر ليس تحيزاً لمذهب واحد ولكن هناك مذاهب واختلاف بين المذاهب وعلى هذا استشهدت .

الأمر الثاني هو أني أريد أن أعرف أو أذكر إليه بمفاهيم كلمة ثم ـ ثم هي

للتراخي قطعا التراخي بالنسبة لثم تراخيان - تراخٍ زمني وتراخ معنوي :

إن من ساد ثم ساد أبوه ثم قد ساد بعد ذلك جَدُّه

فقد انتقلت المرحلة إلى مرحلة ولكنها في الزمن وهو ما يلقب نحويا بالترتيب الإخباري الرتبي .

ثم الأمر الثالث الذي أردت أن أثيره هو كلمة تفضل بها الدكتور / عبد الله باسلامه ليس كل التقاء يمكن أن ينتج عنه إنسان ، هناك بعض التقاء بالبويضة بالحيوان المنوي لا يكون عنه إنسان ، لكن البحوث العلمية أو البحوث الفقهية لا تترتب على قواعد مائة في المائة ، كل قاعدة لابد أن يشذ عنها شيء ولكن العالم يبحث عن سبب الشذوذ ولا يهدر الغالب لأجل شذوذ واحد أو أكثر .

بقي عندي شيء آخر هو أني من آخر ما اطلعت لا أذكر في أي جريدة من الجرائد الفرنسية أنهم بدؤوا الآن عملية جديدة ، بويضة ملقحة توضع في رحم قردة وتنمو - وقالوا إن هذه العملية لم تنجح لكن عدم نجاحها لا يعود إلى استحالتها علميا ولكن لبعض أخطاء وقعت وسيعيدون العملية . ماذا نقول عن هذه البويضة الملقحة التي ألقيت في رحم القردة والتي ستنشأ في رحم القردة ؟ ماذا نقول عنها هذا يلتقي بالأسئلة التي طرحها الأستاذ الدكتور ، وهي أن العلم عوضا عن أن يلتزم بالالتزام الخلقي والالتزام التشريعي سواء أكان تشريعيا أم من هنا أم من هناك العلم تمرد على كل ذلك وأصبح يفعل ما يشاء ؟ ثم يقول ما هو حكم الله فأعتقد أنه يجب أن يعكس القضية وأن هذه القضايا يترتب عليها اختلاط أنساب وفساد كبير في المجتمع وفي الكون يجب أن يأخذ الأطباء قبل أن يقوموا بالتجارب وجهة النظر الخلقية من ناحية ووجهة النظر الدينية وشكرا على حسن استماعكم .

ـ الرئيس / الدكتور يوسف القرضاوي :

شكرا للشيخ محمد المختار السلامي وأنا أرجو في الحقيقة من الإخوة أن يختصروا بقدر الإمكان لنحدد المشكلة وننتهي من الموضوع .

* **الدكتور / حسان حتحوت :**

عندما طلبت الكلمة كانت للتعقيب على شيء ذكره الأخ عمر الأشقر وما دمت أعطيتني إياها فأنتهزها ـ لو كان الموضوع حسم بنصوص لما احتجنا إلى إعادة النقاش فيه ولما اختلف فيه العلماء عندما أسمع قول الله ﴿ **وإذ أنتم أجنة في بطون أمهاتكم** ﴾[1] من هم هؤلاء الأجنة أنتم وأنا الإنسان .

الموضوع الثاني هو أن الفقهاء القدامى كانوا يختلفون في أحكامهم نظرا لاعتماد كل منهم على الحقائق الطبية المتاحة في عصره ، وعندما يقال إن الحنابلة أباحوا الإجهاض قبل أربعين يوما بدواء مباح على الإطلاق ينبغي أن يثور هنا سؤال لماذا اختاروا هذا الحكم ؟ أغلب الظن أنهم كانوا يعتقدون أن الجنين في هذا قبل الأربعين يوما كان جنينا غير حي ، وأنهم لم يكونوا يهدرون حياة إنسانية ،الحقائق الطبية الآن تغيرت والرأي الذي بني على معلومة طبية ينبغي أن يكون قابلا للتغير إذا تغيرت المعلومة الطبية هناك على سبيل المثال ﴿ **وأولات الأحمال أجلهن أن يضعن حملهن** ﴾[2] هذا لا نقاش فيه ونؤمن به ولكن المسألة هل إن ألقت المرأة شيئا فصبت عليه الماء الحار ورأته يتحلل أم لا يتحلل هل أطعنا هذاالنص ،لو فعل السابقون لاعتبرتهم أطاعوا النص ،لو فعلناه نحن فقد عصينا النص .أو إذا ألقت المرأة شيئا فعرض على نسوة فقلن بأن هذا مبدأ خلق آدمي إذا فقد ألقت الحمل القاعدة واحدة (وأولات الأحمال أجلهن أن يضعن حملهن) أما التنفيذ والتطبيق فهذا ينبغي أن يختلف من عصر لعصر وأنا في عصرنا هذا شديد التشوق إلى أن يقوم واحد من إخوتنا الفقهاء ليقول تفسير (وأولات الأحمال أجلهن أن يضعن حملهن) هو أن يؤخذ ما ألقته المرأة ويعرض على الأطباء ويفحص بالفحص المجهري فإذا تبين أنه حمل لم تتم العدة وإنما ينبغي أن يقول الفقيه وليس الطبيب وتؤخذ هذه

---

(١) سورة النجم / ٣٢ .

(٢) سورة الطلاق / ٤ .

السيدة إلى مستشفى الولادة وتفحص بجهاز الأمواج فوق الصوتية لأنها قد تكون ألقت أحد توأمين ومازال التوأم الآخر في رحمها . وفي يدنا الوسيلة العلمية التي نستطيع أن ننظر بها إلى داخل الرحم لنرى إن كان فيه كيس حملي آخر أم أن الرحم فعلا تمت براءته .

أما الطرق الطبية التي كانت تستعمل منذ ألف سنة فهذا لم يعد له مجال في زماننا هذا ينبغي أن تصفًى كل الأحكام الشرعية التي بنيت على معلومات طبية لتراجع وفق ما بين أيدينا الآن من معلومات طبية فتصدر فتاوي جديدة وبعد خمسين سنة ستصدر فتاوي جديدة بتقدم العلم ينبغي أن يستخدم الفقيه ما بين أيدينا من معلومات علمية وطبية .

المسألة المحيرة الآن أننا في معركة تسميات إننا نؤمن بالروح وبأنها تنفخ في الكائن الحي الجنين في مرحلة ما ، لتكن أربعين أو مائة وعشرين ، كلنا نؤمن بهذا ولكن الذي نختلف فيه هو الإصرار على أن نقول إن نفخ الروح بداية الإنسانية لا تلجئنا النصوص الشرعية إلى أن نحبس أنفسنا في هذا التعريف إنني كطبيب مسلم أقول إن الحياة تبدأ من بدايتها وتمر بمراحل وفي إحدى المراحل تنفخ الروح أقولها لأنني مسلم ولا أقولها لأنني طبيب وأقول إن حياة الإنسان حياتان أو مرحلتان : هناك حياة الإنسان دون نفخ الروح وهناك حياة الإنسان بعد نفخ الروح أما أن أقول قبل نفخ الروح لم يكن إنسانا وأقول بعد نفخ الروح إذاً بدأت الإنسانية ما الذي يلجئني إلى هذا ؟ ليس هناك نص ولا قاعدة ولا حديث يضطرني إلى أن أقصر تسمية الإنسانية على نفخ الروح ولهذا أنا أقول هناك إنسان دون نفخ الروح (أجنة في بطون أمهاتكم) وله حياة وهي حياة محترمة لأنه لو حكم على أمه بالإعدام أجل تنفيذ الحكم وفي مرحلة ما تنفخ الروح ـ وليست الروح تمام إنسانية الإنسان لأن أخي الفاضل قال إذا تمت إنسانية الإنسان أصبح قابلا للتكليف وأنا أعتقد أن التكليف يبدأ عند البلوغ وليس عند نفخ الروح فلماذا نحبس أنفسنا ونصر بربط

الإنسانية بنفخ الروح الإنسان إنسان وهو إنسان من أوله وله مرحلة لم تنفخ فيه الروح بعد وله مرحلة نفخ فيها الروح ويولد ناقصا جسميا وبدنيا ولا يكتمل تكليفه إلا عندالبلوغ ،اقتراحي إذاً أن نرى . إذاً تفضلتم بالموافقة - إن الإنسان فيه حياة تبدأ بتجمع الشروط الخمسة التي ذكرتها في الصباح لا ينقض منها شرط واحد وأنا على استعداد لقراءتها مرة ثانية إن طلبتم ذلك وإنه خلال حياته الإنسانية تنفخ فيه الروح وإن هناك أحكاما شرعية ترتبت على نفخ الروح أن يولد ثم يكبر ثم يكلف ثم يشب ثم يهرم ثم يشيخ ثم يموت .

*** الدكتور عبد الحافظ حلمي :**

بسم الله الرحمن الرحيم : بأساليب تلغرافية سوف أحاول أن أعلق تعليقات قصيرة جدا قبل أن أُنذر بالسكوت عن الكلام - هناك أسئلة أثيرت وتاهت في النقاش ولعل السائلين يتساءلون عما كان مصيرهم ، فأنا أحاول أجيب من غير ترتيب .

أولا : السؤال الذي تفضل به الدكتور / مأمون - أثار عدة قضايا - المسألة التي أريد أن أتكلم عنها هي البويضات المخصبة في المختبر والزائدة عن الحاجة فما مصيرها ، وهذا يؤدي بي إلى شيئين أحدهما التطفل يعني على الناحية الفقهية فأقول إنه إذا حدث هذا فهناك استحالة لإبقاء هذه البويضات المخصبة إلا إذا وضعت في أرحام وهناك أنثى واحدة قد أعطت عدة بويضات ولا يجوز أن يوضع فيها إلا بويضة أو بويضتان والباقي إذا وضع في أرحام أخرى شيء محظور فإذا لعلها ضرورة تبيح محظورا أنا لا أفتي ولكن ما يأتي في قلبي أقوله .

الشيء الثاني إن هذه النقطة التي أثارها الدكتور / مأمون جعلتني أراجع ما دافعت عنه لأني حاولت أن أقول إن الحياة يجب أن تبدأ بالإخصاب ، والآن شرعا وعمليا يمكن أتراجع قليلا بضعة أيام فأقول بالعلوق ، كما قال كثير من الفقهاء وكما

قال بيلوجيون كثيرون لأن قبل العلوق هذا احتمال لم يتحقق له أول مراتب الحياة ، وهو أن يعلق فينمو فإذا لم يعلق فهو حقيقة فيه إمكانية حياة ولكن لم يقدر لها أن تبدأ فأنا أشغل عقلي وأقول والله قد أتراجع ففي هذه الحالة إذا كانت الضرورة تسمح بالبويضات فالتخلص منها لم ينطبق عليه هذا التعريف ، لأنها لم تعلق بعد والله أعلم هذا شيء .

والتعليق الثاني الذي قيل عن العلم وماذا يفعل العلم وماذا يفعل ؟ أحب أن أعلق تعليقاً قصيراً جداً وهو أن العلم نشأ في الحضارة الغربية مبرأ كما يقولون من القيم ـ قالوا إن العلم الجيد هو العلم البريء من القيم يعني علم فقط . فأنا أود أن أقول شيئاً . هم حاليا يدعون أنهم تراجعوا عن هذا المبدأ ويقولون إن العلم يجب أن يقترن بالقيم مثلا دعينا من بضع سنوات إلى ندوة مقفلة فيها عشرون شخصا في استكهولم كان محورها القيم والعلم ، يريدون أن يغيروا هذه المفاهيم على كل حال في الإسلام الفصل بين العلم والقيم والدين شيء غير وارد إطلاقا فما هو مقبول دينا ممكن علما والذي لا يقبل دينا غير مقبول علما ، لأن العلم عندنا جزء من الكيان الإسلامي الكامل .

التعليق الثالث سريع جدا كلمة البشرية أولا بيولوجيا لا أقبل التفرقة بين بشري وإنساني ويكفي أن أقول من الناحية اللغوية إن القرآن الكريم تكلم عن البشر السوي كيف يكون بشرا سويا فأنا أستعمل مصطلحاً : أن يكون البشر الحيواني الذي ليس فيه الروح الإنسانية وكيف يكون سويا أنا الحقيقة لا أفضل مع احترامي للاجتهاد العظيم الذي تفضل به الأخ الكريم .

هنا سؤال بسيط ورد وهو عن دقات القلب هل هي إرادية أو لا إرادية، فقيه فاضل سأل هذا السؤال ـ فأنا أقول هذا شيء غير إرادي ولو أنه حاليا هناك تمرينات بهدف إن الإنسان يتحكم في دقات قلبه بالإرادة وهذا مبحث جديد كيف يعود الإنسان أن يتحكم في ضبط دقات قلبه هذا مبحث جديد لا دخل لنا به فهو

للإنسان الواعي الكامل لكن الجنين يدق قلبه وهذه عملية لا إرادية ولعل فيها الإجابة على حضرة السائل .

* **الدكتور / حسان حتحوت :**

لدي تصويب صغير بشأن رأي الدكتور / عبد الحافظ أن البويضة المخصبة لا يمكن أن يكتب لها النمو إلا إن علقت برحم . الصواب هذا ممكن ومنذ عشرين سنة ابتدأ عالم إيطالي بالمنى والبويضة وخصبهما واستمر في رعاية هذا لغاية ما وصل الأسبوع الحادي عشر ، ثم نسيت هذه التجارب بأمر الكنيسة حتى عادت الآن من الطريق الآخر الذي هو محاولة إنقاذ الجنين إن نزل في ثمانية وعشرين أسبوعاً إلى ستة وعشرين إلى عشرين ثم إن الأبحاث ماضية في استنباط مشيمة صناعية بحيث يأتي الوقت الذي ينزل جنين في أربعة أشهر ثلاثة أشهر فيوضع في المشيمة الصناعية لإكمال نموه فصفة الحياة بدأت بالإخصاب وبدأت معها سمة رئيسية للحياة وهي النمو وهذا مستقل عن العلوق مادام أمكن تدبير الظروف الضرورية .

ـ الرئيس / الدكتور يوسف القرضاوي :

شكرا للدكتور / حسان ـ أحب أن أقول تعليقا على كلام الدكتور عبد الحافظ من ناحية العلوق الذي قال به الفقهاء إنهم لا يقصدون المعنى الاصطلاحي الذي يقصده ، هم يقصدون بالعلوق بداية الحمل من أول يوم وليس المعنى الذي قصدته على ما أفهمه ـ أريد من الإخوة الحقيقة الآن كثر الكلام ونحن لازلنا ندور حول الموضوع ولا ننتهي بهذه الطريقة ـ أنا سأعطي كل متحدث دقيقة واحدة لننتهي ، دقيقة واحدة لمن طلب الحديث وهم الآن خمسة .

* **الدكتور / عبد الله محمد :**

بسم الله الرحمن الرحيم ـ في الواقع الدكتور / حسان كفانى عن كثير مما

كنت أريد أن أقوله لأني كنت أريد أن أقول إن الندوة كان ينبغي أن يكون الكلام الكثير من نصيب الأطباء ، وأن يكون دور الفقهاء كالتعليق عرضا للحكم الشرعي لما سمعوه ، ولكن الذي حصل أن الفقهاء تكلموا كثيرا ، وسكت الأطباء حتى فصل القول بعض السادة الأطباء وخاصة الدكتور / حسان وإن كان فاتني سماع الشروط الخمسة التي اشترطها لإثبات بدء الحياة الإنسانية ، وفي الواقع لا أستطيع أن أرى الرأي الفقهي أو ما أريد أن أشارك به فقهيا قبل سماع هذه الشروط الخمسة ، ولكن أريد أن أقول في الثواني الباقية إن الفقهاء أجمعوا وخاصة في مسائل الحمل ، وما يترتب عليه من أحكام فقهية على رأي السادة الأطباء والمتخصصين وإن هم عبروا في كتبهم بالقوابل ونحوه إنما المقطع النهائي والحاسم في هذه المشاكل كلها فيما يتعلق بالحمل وما يتعلق بالعدة وما يتعلق بإسقاط الجنين وغيره على رأي الخبراء في هذا الشأن . والفقهاء المسلمون على اختلاف مذاهبهم ومشاربهم لهم آراء تتفق كثيرا مع ما وصل إليه الأطباء ، فمثلا لو سمحت لي في قراءة كتاب المغنى لابن قدامة في مسألة نهاية العدة بوضع الحمل يقسم إلى خمس حالات ، فالحالة الأولى التي يكون الوضع بجنين متكامل في الحالة الرابعة والخامسة التي تكون قد ألقت الحامل مضغة فقالوا المرجع في ذلك إلى الأطباء نجد بعد ذلك أن الفقهاء نقل ابن قدامه أن الفقهاء أجمعوا على أن آخر ما تنقضي به العدة من الحمل أن تضعه بعد ثمانين يوما منذ أن كان الوضع تجد خالف في هذا الإمام الحسن البصري وهو من أهل القرن الأول الهجري من كبار التابعين فإنه قال إذا علم إنها حمل انقضت به العدة وفيه الغرة أي بالجناية عليه .

*** الدكتور محمد نعيم ياسين :**

بسم الله الرحمن الرحيم

ـ الحقيقة هناك سؤال في صدري ولن أستريح حتى أسمع الجواب من الأطباء عليه ، وإن لم يجيبوا عليه فإنه سوف يشكك في جميع أقوالهم .

هذا السؤال رجل مريض في المستشفى وقد حكم الأطباء بصورة قاطعة أن دماغه قد مات ولكنه تحت الأجهزة وكل خلية من خلايا جسده غير الدماغ حية ، وفي الغرفة المجاورة أجروا تلقيح بويضة في أنبوب المختبر والبويضة خلية واحدة في الغرفة الأولى إنسان مات دماغه وكل جسده حي فأيهما أكثر حرمة يا ترى هذا ليس له دماغ مات ـ هذا خلاياه حية وهذا خلاياه حية . قال الدكتور / أحمد القاضي جذع الدماغ يتكون من بداية العلوق أو من بداية التخصيب ولما سألت إخوانه الأطباء قالوا أبدا لا يكون هنالك أي جذع ـ أما إذا كانت القضية قابلية التكون فالمنوي قابل أيضا لأن يتكون ، فلنقل إذا إن الحياة تبدأ من المنوي ورجوت أن يكون في جواب الدكتور / الصياد الحياة الأخرى التفريق بين الحياتين ـ الحقيقة لم أجد الجواب مقنعا لأن أجزاء هذا الإنسان الذي مات دماغه لايقبل الروح ـ يعني أن ينعكس ويصبح حيا بروح جديدة ـ الحقيقة أن هذه القضايا يقول إخواننا الأطباء أنه سيأتي يوم أو من الممكن نقلها إلى جسد فيه دماغ حي ولكن أعضاءه غير سليمة ، وبالتالي إذا وضعت تحت تصرف روح جديدة فسوف تستمر في الحياة القلب سيستمر في الحياة ، الكلية ستستمر في الحياة إذا ما الفرق ؟ لماذا جعلتم حرمة هذه العلقة (خلية واحدة) أشد بكثير من حرمة إنسان بحاله ، أنا أعتمد على أن هناك إجماعاً من إخواننا الأطباء أن هذا الرجل في مثل هذه الحالة يعتبر ميتا ولا حرمة له مثل حرمة الخلية التي تكونت من البويضة الملقحة ـ فأوجدوا لي الفرق حتى أستريح نفسيا وإلا الحقيقة أخشى أنه يترتب في ذلك تغير في بعض الآراء بالنسبة لنهاية الحياة .

*** الدكتور / القاضي :**

الأول ـ أنا كان عندي أمر آخر لكن أرد على السؤال العملي هذا ـ نعم في نظري إن الخلية الملقحة هي أولى بالمحافظة من الرجل الذي فقد دماغه ، والسبب كما ذكرت في الرد السابق الخلية الملقحة فيها مقومات الدماغ وليس الدماغ نفسه أي

إذا روعيت وغذيت فترة كافية سينشأ منها دماغ وهو إنسان كامل ، أما هذا الجسم المتكامل بدون دماغ لو راعيناه وغذيناه مائة سنة فلن ينتج عنه دماغ ولا إنسان كامل بالمرة وهذا هو الفرق الذي أردت أن أذكره في البداية عندما رفعت يدي .

من مواصفات العلم الإسلامي - أنا مدرس - بالتعريف أن يكون علما هادفا يؤدي إلى فائدة علمية وإلا يكون ترفاً فكرياً ومضيعة للوقت ، ولذلك الهدف على الأقل الذي أنا أهدف منه من هذا اليوم هو المنع أو الوقاية من إزهاق الأرواح كيف نصل إلى هذا الهدف ؟ لا يهم مسألةتسميات ، أفضل ما اقترحه الدكتور / حسان ولكن إذا لم يؤخذ برأيه فرأينا رأي المجموع ، ونحن نؤمن بالشورى ، إن الحياة الإنسانية ستبدأ في فترة ما بعد التلقيح أربعين أو مائة وعشرين يوما فأنا إذا أطلب وأصمم في الطلب من أعضاء الندوة أن يجدوا تسمية أخرى لما قبل نفخ الروح .

الروح تكون فيها من الشدة والقوة ما يكفي لمنع إزهاق الأرواح وأنا أقول إزهاق الأرواح وليس الأجنة الحية فقط لأن هذا هو ما يجرى إذا تركنا هذه الفترة بدون تسمية رادعة ، وهذا متروك للجنة الصياغة وبقية أعضاء الندوة .

* الشيخ إبراهيم الدسوقي :

لن أخوض فيما تحدث فيه السادة الأطباء ولكن هناك قضية فيما قرأت ، هذه القضية إذا تعارضت حياة الجنين مع حياة الأم هناك من الأبحاث من قال صاحبها إن حياة الجنين محترمة وحياة الأم محترمة ولا يمكن إطلاقا إزهاق حياة الجنين أو إضاعة حياة الجنين بالنسبه للأم أو من أجل الأم .

وهناك من الآراء وهذا رأي مشهور جداً إنهم يقولون أن حياة الجنين غير مستقرة أما حياة الأم فهي حياة مستقرة ومن ثم فلا تقتل الأم وحياتها مستقرة لأجل حياة غير مستقرة وهي حياة الجنين ومن ثم فقد قالوا بجواز الإجهاض في هذه الحالة ربما أميل إلى هذه الناحية خاصة إذا كان الجنين مشوها وكان بحيث إذا خرج إلى

الدنيا يمكن أن يلاقي المتاعب والمصاعب في هذه الناحية بالذات نقول لا مانع إطلاقا من الإجهاض في هذه الناحية .

أمر آخر وهو في السنة وكما استمعنا من الإخوة من الأحاديث أن أول الفترة التي يجب أن تحترم فيها حياة الجنين عند أربعين يوماً ، ومنهم من قال حياة نفخ الروح بعد مائة وعشرين يوما واتفقنا جميعا على أن حياة الجنين محترمة منذ علوق النطفة ، أو منذ عملية الإخصاب اتفقنا على هذا إذاً يبقى حياة الجنين منذ الإخصاب إلى أن تنفخ الروح وبعد نفخ الروح محترمة ولا يجوز التعدي عليها إطلاقاً إلا لضرورة كالضرورة التي ذكرناها . يبقى بعد هذا إن حياة الجنين في السنة أيضاً فيما قبل نفخ الروح حدد الشارع قيمة الجريمة والجزاء عليها . وفيما بعد نفخ الروح حدد الشارع قيمة الجريمة ومقدار ما يطالب به من اعتدى على هذا الجنين ، ومع كل ذلك فأنا دائما أقول إن النصوص ما دامت قد وردت في موضوع معين لا داعي لإهدار نص دون نص آخر إذا أمكن الجمع بين النصين وشكرا سيادة الرئيس .

ـ الرئيس / الدكتور يوسف القرضاوي:

شكرا فضيلة الشيخ ابراهيم ولكن أحب أن أقول أملنا أن نتفق على الجزء الأول الذي قاله ولا زال موضوع البحث وموضوع الندوة ونرجو أن نصل فيه إلى رأي نتفق عليه إن شاء الله .

*** الأستاذ الدكتور / مختار المهدى :**

كلنا نعلم ماذا يحدث عند ذهاب الروح عن الإنسان في هذه اللحظة ينتهي هذا الإنسان وأرى أننا في هذه الندوة قد أطلنا كثيرا عن فترة ما قبل نفخ الروح وإذا كان ذهاب الروح له تأثير ضخم على الإنسان فإن نفخها بالتأكيد له تأثير ضخم

أيضاً ، وهذا هو ما كان يحتاج إلى بذل جهد أكبر في تحديد وقته ، وهنا أحب أن أتقدم بسؤال للإخوة الفقهاء وأرجو أن أجد له الرد .

ـ لقد فسر حديث ابن مسعود تفسيرين : تفسير الأربعين الواحدة وتفسير الأربعينات الثلاث ، وفي رواية مسلم الذي ينقل عن هذا الحديث يقول إن أحدكم يُجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوما نطفة ثم يكون في ذلك علقة مثل ذلك وأنا أريد أن أعلق هنا على « في ذلك مثل ذلك » وأخرج بالسؤال هل يمكن أن يكون هناك تداخل في الأربعينات الثلاث بحيث تكون أربعينات اثنتين وليس واحدة ولا ثلاثة هل يمكن الوصول إلى هذا المعنى . . . شكراً للدكتور / المختار .

ـ الرئيس / الدكتور يوسف القرضاوي :

اعتقد أنه إما أن تكون أربعين واحدة وإما ثلاث أربعينات ، لم يأت من يقول إنها أربعينتان فقط حسب ما جاءت به الروايات .

* الدكتور / طلعت القصبي

هذا تعليق بسيط بالنسبة لمعلومة علمية تكملة لكلام الدكتور / مأمون البويضة المخصبة هي التقاء الحيوان المنوي بالبويضة وهذا يحدث في الجزء الوحشي من الأنبوبة ثم بعد ذلك تتجه نحو الرحم وتتكون منها العلقة ، وبعد ذلك يحدث الاندغام الاندغام هذا هو الحمل ، ولذلك التعريف العلمي للحمل هو اندغام البويضة المخصبة الحية في أنسجة حية ، هذا التعريف العلمي المعترف به للحمل ولهذا أعتقد بالمفهوم العلمي أن الحياة تبتدأ باندغام البويضة الملقحة في أنسجة الرحم ، أو في الأنسجة الحية سواء في الأنبوبة أو خارج الأنبوبة وشكرا .

* الشيخ عبد الرحمن عبد الخالق :

ـ أولا أنا أشكر إخواننا الأطباء الذين دافعوا عن الحياة هذا الدفاع الجيد

لكن أرجو أن لا يجعلوا حياة الجنين كلها منذ الإخصاب إلى الولادة بمستوى واحد من الاحترام ، وذلك أن الشريعة نفسها لم تعطها هذا الحكم الواحد، يعني محاولة جعل البويضة المخصبة العالقة بالرحم لها من الحقوق مثل الجنين المكتمل أظن هذا أمر ينبغي أن يعاد النظر فيه وأذكر أيضاً بعض المسائل الفقهية التي لم تذكر في هذه القضية بالنسبة لحقوق الجنين ، كقول بعض الفقهاء بأن الجنين بعد نفخ الروح إذا أسقط يأخذ اسماً ويدفن ، والبعض يرى وجوب الصلاة عليه كالميت بعد الحياة فهنا يعامل كإنسان وما أظن بتاتا أن مثل هذا الحكم ينبغي أن يعطى لمجرد بويضة ملقحة لو أسقطت ما تعطى مثل هذا الاحترام .

ـ الجنين لا شك إنه في هذا الترقي ليس بمستوى واحد وصلى الله وسلم على عبده ورسوله .

* الدكتور / عبد الفتاح عثمان

الحقيقة أنا لست فقيها ولست طبيبا ولست فقيها دينيا ويظهر الدعوه جاءتني خطأ ولكن أنا أستاذ اجتماع وأدرس في جامعة الكويت : لي الحقيقة طلب صغير أرجو أن هذه الثروة التي تقال في هذا المؤتمر لا تترك هدرا ليست القضية قضية طب وفقهاء دين القضية قضية سلوك ديني أو تعاملات ، أنا كأستاذ جامعة علي أن أعلم كل ما دار ، فلي رجاء صغير أن تعمل هذه الأشياء في كتيبات شعبية للقارىء العادي وتوزع فلا يمكن أن يكتمل هذه الصفوة بلا أي غرض بغرض المتعة .

النقطة الثانية هناك قلق عند الأطباء وأنا أعذرهم ، وهناك غيرة من رجال الدين على تعاليم الدين وأعذرهم . . . ما القول في كلمة واحدة إن الضرورات تبيح المحظورات وشكراً .

ـ الرئيس / الدكتور يوسف القرضاوي:

أعتقد الآن الموضوع نضج واتضح واستبانت معالمه يمكن كما يقول علماؤنا

نضج حتى احترق ـ الآن الحقيقة هناك أشياء تتعلق بالمصطلحات والتسميات وأشياء تبحث عنها من ناحية تجريبية ، وأشياء تتعلق بنواح عملية ، آن لنا أن نحدد الآن . الحقيقة هناك من ناحية المصطلحات ماذا نسمي المرحلة الأولى هذه سواء كانت ما قبل الأربعين أو ما قبل ١٢٠ يوماً ماذا نسميها ؟ نريد أن نتفق هنا على شيء أهي مرحلة حياة أم ليست مرحلة حياة ـ دكتور / حسان في كلمته الأولى في هذا اليوم قال إنها حياة ـ مطلق حياة لا داعي أن نسميها خلوية ولا حيوانية ، ولا ما اقترحه أحد الإخوة (الدكتور / شبير) إنها بشرية .

الحقيقة مسألة بشرية هذه لا أدري سر التفرقة بين بشرية أو إنسانية الواقع إن (بشرية) في نظر القرآن أرقى من (إنسانية) لأنه في القرآن معظم ذكر الإنسان مذموم ﴿ إن الإنسان لظلوم كفار ﴾[(١)] . ﴿ وكان الإنسان أكثر شيء جدلا ﴾[(٢)] ﴿ وكان الإنسان عجولا ﴾[(٣)] ﴿ إنه كان ظلوما جهولا ﴾[(٤)] فلا ندري لماذا نجعل الإنسان أفضل من البشر ؟ آدم نفسه قال الله عنه ﴿ إني خالق بشراً من طين فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين ﴾[(٥)] وكما ذكر الدكتور / الغندور ـ ﴿ قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي ﴾[(٦)] ولذلك إذاً اعتبرنا مطلق حياة .

وأرجو من الأخ الدكتور عمر الأشقر أن يتنازل عن رأيه إنه يعتبرها ميتة في هذا الوقت وأنه إنسان ميت لأن هذا قد يترتب عليه أنه ما دام ميتاً يجوز إجهاضه ولم يعد له حرمة ، أي حياة والتفسير الذي فسره لم يصب به الحقيقة ، وأما قوله تعالى ﴿ وكنتم أمواتا فأحياكم ﴾[(٧)] و ﴿ ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين ﴾[(٨)] ففيهما عدة تفسيرات معروفة لمن يراجع كتب التفسير فهل نتفق على هذه النقطة الأولى إنه

---

(١) سورة ابراهيم / ٣٤
(٢) سورة الكهف / ٥٤
(٣) سورة الإسراء / ١١
(٤) سورة الأحزاب / ٧٢
(٥) سورة ص / ٧١ ـ ٧٢
(٦) سورة الكهف / ١١٠
(٧) سورة البقرة / ٢٨
(٨) سورة غافر / ١١

البويضة أو (البييضة) لا ندري لماذا جعلوها (بـويضة) وهي من مـادة يائيـة (يبيض) و (بيضة) ومع هذا قالوا عنها (بويضة) أو (تبويض) أخذوها من أين لا أدري إنما هي البويضة الملقحة بهذا الحيوان المنوي منذ الإخصاب ، أو العلوق أو سموه ما تسمونه ، هناك قدر من الحياة قد حدث وهذه الحياة قطعا لها قدر من الاحترام وإن كان دون ما بعد ذلك ، وأنا أعتقد أن الفقهاء في اعتقادي لا نتألى على الله ولا ندعي الغيب ـ هم الحقيقة كانوا يغيرون آراءهم بناء على ما يذكر لهم من العلوق يعني الإمام الغزالي قال عند التقاء ماء الرجل بماء المرأة على حد تعبيرهم فيه أصبح هناك قابلية الحياة فكيف لو عرف أن هناك حياة بالفعل ، وهو رغم هذا قال إن هناك نوعاً من الجناية يتعاظم بمرور الزمن واستمرار هذه الحياة هل نتفق على هذا الجزء بأن هناك حياة منذ عملية الإخصاب هذه وأنها حياة لها قدر من الاحترام .

وهذا ما أرجو حتى نخرج بنتيجة وقلت (قدراً من الاحتـرام) لندخـل الأعذار والأشياء التي لابد منها . أنا أرجو من الدكتور / حسان والدكتور / القاضي أن يكون عندهما شيء من البحبحة والمرونة لإدخال بعض الأعذار التي تقتضي بعض الناس في بعض الأشياء كالقضية التي أثارها الدكتور / مأمون عمليـة البويضـة الملقحة هذه في المختبر ماذا نفعل بها . لابد أن نتخلص منها فهناك أشياء معينة قد ندخلها تحت الضرورات التي تبيح المحظورات ، تحت الحاجات التي تنزل منزلة الضرورة في بعض الأحيان ، فإذا كان الإخوة يوافقون على هذا القدر بأن هناك حياة منذ الإخصاب وهي حياة دون ما بعد ذلك ، حياة لها احترامها ولكنها ليست كاحترام الحياة التي عبر عنها الحديث بأنه قد نفخ فيها الروح ، هل نتفق على هذا القدر حتى نقرب بين وجهات النظر ونخرج بنتائج أقرب ما تكون إلى الإجماع أو الاتفاق هذه هي حياة محترمة في الجملة لكن ليست حرمتها كحرمة الحياة بعد نفخ الروح لا يجوز الاعتداء عليها بحال من الأحوال إلا إذا كان هناك خطر على حياة الأم أو نحو ذلك يعني بعد نفخ الروح يصبح إنساناً له احترامه ويعتبر كأنه قتل في هذه الحالة .

* الشيخ / المختار السلامي :

أتدخل في الحديث ـ بعد بحث طال نخرج بحل غير واضح لأنه عندما نقول حياة دون حياة أنه يجوز الإجهاض للأم ولو كان في الشهر الثالث أو السابع أو اتعرضت لخطر الإجهاض يجب أن نخرج الجنين فقضية الفصل بينهما لابـد من تدقيق .

ـ الرئيس / الدكتور يوسف القـرضاوي :

أريد أن أقول يا شيخ مختار ـ أنا عرفت من كلمتك اتجاهك إلى أن الجنين في جميع مراحله ، ومن أول يوم إلى آخر يوم له حياة مستوية القيمة والحرمة ، وأنا أرى الاتجاه العام في الندوة خلاف هذا ، وكلام الفقهاء أنفسهم يفرق بأن في المدة الأولى كذا والمدة التالية كذا والنصوص جعلت هناك مرحلتين لابد أن يكون هناك فرق في المسألة وعبارة « فينفخ فيه الروح » لابد أن يكون لهـا مدلـول عملي ومـردود في الحياة فنحن نفرق لتفريق النصوص نفسها بين المرحلتين .

* الشيخ بدر المتولي عبد الباسط :

ـ الإجهاض مظهر ومسألة خاصة فقط مسألة متفرعة على مبدأ الحياة ، لكن مبدأ الحياة يدخل تحته مسائل كثيرة جدا ، يدخل فيها مسـألة جـواز الإجهاض مسألة العدة مسألة أهلية الوجوب ـ وغير ذلك ـ في الحقيقة إن مبدأ الحياة موضوع أوسع من مسألة الإجهاض فالإجهاض مسألة واحدة فقط تتفرع على مبدأ الحياة .

ـ الدكتور عبدالله باسلامة :

نأمل في ختام جلستنا هذه أن نتفق على ثلاثة مواضيع رئيسية :

الموضوع الأول - بدء الحياة

الموضوع الثاني - حرمة الأجنة .

الموضوع الثالث - نفخ الروح .

ونتفق أولا : يعني إذا كان هذا الاتجاه بأن بدء الحياة - لكي نواصل جلسة غد - من بداية التقاء الحيوان المنوي بالبويضة ، إذا أردنا أن نتفق على هذا كبدء الحياة يمكن أن نأخذ هذا ملخصاً للباب الأول .

الثاني حرمة الأجنة : هذا موضوع كبير ويا ليتنا نكتفي بما نوقش ، وما اتخذ من قرارات في هذا الموضوع في الندوه السابقة ، أما عملية نفخ الروح فكما هو واضح مما دار اليوم ، لأن مجالها يصعب علينا كأطباء أن نحدد الخط الفاصل أو النقطة المعينة أو الفترة الزمنية لبدء الروح ، وأنتم قد أفضتم أيضا في التحديد الفقهي لهذا المعنى ، فإذا أردتم أن نتخذ هذا الثلاث النقاط واحدة واحدة ممكن نصل إلى نتيجة .

ـ الدكتور / عبد الحافظ حلمي :

إذا رأى الاحتفاظ بالتعريف السابق فهو تعريف يتضمن مجهولا ، إذا قلنا خاصة بعد نفخ الروح التي لا نتفق فيها لا أهل العلم ولا أهل علم الدين فنحن بنينا شيئاً وسميناه مجهولا - وما سمعناه الآن من فضيلة الدكتور / يوسف القرضاوي حول ما قاله الإمام الغزالي من ناحية الحرمة منذ البداية أعتقد أننا اتفقنا فإذا كان الإمام الغزالي قال نتغاضى فنحن نقول نتغاضى ولا بأس بذلك .

* دكتور / حسان حتحوت :

يمكن الالتقاء على أن تبدأ الحياة بالإخصاب وتستمر في مراحل وتكسب تشريعاً وتكريماً خاصا عند نفخ الروح فيها بإذن الله ، ويترتب على هذا النفخ

أحكام شرعية جديدة ـ أما من نفخ الروح فهو غيب ـ نفخ الروح غيب وقال عنه الفقهاء أربعين أو مائة وعشرين .

* **المستشار عبد الله العيسى :**

بالنسبة للذي تفضل به الدكتور / حسان أعتقد أنه جيد لكن أن يكون الإخصاب في الرحم حتى لا نقع فيما قاله الدكتور / مأمون من أن الإخصاب يكون خارج الرحم في المعامل ، ولأن هذا أعتقد لا حرمة له على الإطلاق ولأنه لو احترم سيؤدي إلى مشاكل عديدة ، بمعنى أن هذه البويضة التي خصبت لو أنها احتفظ بها مدة طويلة ومات الزوج ثم وضعت في رحم المرأة بعد وفاته سيترتب عليها إشكالات كثيرة ، ولذلك أريد آخذ بهذه التوصية وهي توصية جيدة أن يقال إذا كان الإخصاب في الرحم ـ أما خارج الرحم فأعتقد أنه لابد من استبعاده وشكراً .

* **الرئيس / الدكتور يوسف القرضاوي :**

أنا أعتقد أن الدكتور / حسان لا يجيز أخذ البويضات أساسا لمثل هذه الأمور

* **الدكتور / حسان :**

أولا : في العام الماضي قلنا إن الإخصاب خارج الرحم في إنبوبة اختبار جائز بين رجل وزوجته حال قيام الزوجية ، ودون تدخل طرف آخر من منى أو ـ بويضة أو رحم ، فهذه جامعة مانعة أحيانا يحدث الإخصاب خارج الرحم ولكن داخل الجسم في القناة الرحمية ، وقد يكبر وقد يصل إلى تمام الميلاد وقد يولد حيا وهكذا . . فأنا أعتقد أنه يجوز في أي مكان طالما هو في نطاق عقد زواج شرعي صحيح .

* **الدكتور / طلعت القصبي :**

نأمل أن يراعى في لجنة الصياغة الرأي بالنسبة لموانع الحمل ـ مثل اللولب ـ البويضة تبقى مخصبة ومانع الحمل يمنع هذه البويضة المخصبة من أن تندغم في جدار الرحم ، فما رأي الشرع في هذا مثل ما طلب الدكتور / مأمون ولم يجب عنه ـ نرى أن السادة الفقهاء يجيبوننا على هذه المسألة ، لأنها مسألة حساسة بالنسبة لعملنا ، لأن البويضة في بعض الأحيان تبقى ملقحة ، والمانع الذي في الرحم يمنعها أن تندغم في جدار الرحم ، لأنها تسبب بعض الخلايا بحيث تمنع الاندغام في هذا الرحم ، فما رأي الفقه في هذا ؟ وحبذا لو كانت الإجابة في لجنة الصياغة : ـ

* **الرئيس/الدكتور يوسف القرضاوي**

هل هذا الذي عرضه الدكتور / متفق عليه عند الإخوة الأطباء لأنني أخشى أن يكون هناك أيضا خلاف في هذا الأمر بهذه الطريقة ؟

* **الدكتور / ابراهيم الصياد :**

أريد أن أفرق بين ثلاثة أمور ـ الأمر الأول الحياة ـ أو نفخ الروح ـ الأمر الثاني : الحمل ـ الأمر الثالث العلوق أو الاندغام ـ أنا أعترض على تعريف الدكتور / طلعت بأن الحمل هو اندغام البويضة الملقحة في جدار الرحم الآية الكريمة تقول ﴿ **الله يعلم ما تحمل كل أنثى وماتغيض الأرحام وما تزداد** ﴾[1] ما هو الغيض ؟ ﴿ **وقيل يا أرض ابلعي ماءك ويا سماء أقلعي وغيض الماء** ﴾[2] عملية الغيض هي عملية الاندغام عندما تدخل البويضة الملقحة أو التونة في جدار الرحم تندغم إلى الداخل وتطرد جزءا منها إلى الخارج لكي تتخلص منه ، وبهذه الطريقة تكون الآية الكريمة ميزت بين الحمل وبين الغيض ـ إذاً فالغيض ـ أو الاندغام ليس هو عملية الحمل ـ لا يمكن تعريفهما بأنهما شيء واحد .

---

(١) سورة الرعد / ٨

(٢) سورة هود / ٤٤

الأمر الثاني ليس كل ناتج من نواتج الإخصاب حملا ـ درسنا أن نواتج الحمل ممكن أن يكون (جنين) ـ ممكن فيذكر ماء ممكن أن يكون كولونت في اليوم يعني نواتج الخلايا التي تنقسم من الحمل تقسم إلى نصفين : نصف يتكون منه الجنين ونصف يتكون منه المشيمة أو الجزء المغذي للجنين قد تطغى هذه الخلايا المشيمية على الجنين وتأكله ولا يتكون جنين ، وقد تتحول هذه الخلايا الجنينية إلى كتلة من الفقاعات العنبة والورم العنبي ، أو قد تتحول إلى سرطان رحم ، إذاً أنا أبالغ إذا افترضت أن كل نواتج الإخصاب إنما هي حمل ، وأعاملها بنفس المستوى كإنسان ككائن حي نفخت فيه الروح ، طالما إننا اتفقنا نحن أهل السنة والجماعة على أن هناك شيئاً اسمه نفخ الروح والخلاف كله في يوم النفخ ليس معنى هذا أن ألغي تماماً عملية نفخ الروح . كما قال الشيخ عبد الرحمن عبد الخالق ـ لابد من التفرقة بين المستويات .

أما مسألة ترجيح التشديد ليس من مصلحة الفقه في شيء ، لذلك أريد أن أقول إن مسألة الحياة هي نفخ الروح وأعود إلى الآية الكريمة ﴿ ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين ﴾[1] أين أذهب بهذه الآية ـ إن الحياة في هذا المفهوم تعني التقاء الروح بالجسد والموت انفصال الروح عن الجسد ـ في مرحلتي الحياة والموت كلنا اختلفنا مع الدكتور / عمر ـ هل هي في مرحلة الزرع أم هي في مرحلة الرحم ، لا يلغى مفهوم الحياة من هذه الآية الحياتين والموتين بأن مفهوم الحياة تعريفها هو التقاء الروح بالجسد وبذلك يكون تعريف بدء الحياة في ندوتنا هو بدء نفخ الروح ، فلنتفق على يوم بدء نفخ الروح سواء اثنين وأربعين أو مائة وعشرين وتكون هذه هي بداية الحياة ـ المرحلة التي قبل ذلك مرحلة ليست حياة بويضة مخصبة ليست بالضرورة حياة ، وقد لا ينتج عنها جنين وقد تعلق في خارج الرحم وتقضي فترة ثم تموت ، وأعود فأربطها أيضا بالمرحلة النهائية وهي مرحلة بعض هذه الخلايا الحية

---

(١) سورة غافر / ١١

التي تظل حية بعد خروج الروح إلى غير رجعة بمعنى أن الدكتور / إبراهيم الصياد الذي خرجت روحه من جسده إذا أخذنا قلبه إلى جورج أبونا وكبده وكليته إلى جورج أبونا لكي يعطيها إلى إنسان آخر هذا ليس إحياء لجسد ابراهيم الصياد أو إعادته كما كان ، وإنما هو مجرد عملية ترقيع لكن هذا الشخص ككائن حي انفصلت روحه عن جسده ، قد يكون أكلني حوت في البحر وأخذني جورج إلى إنسان آخر أو تحللت إلى غازات ـ مكونة للتراب تحللت إلى تراب إلى بدايتي في الأصل وبذلك تكون الروح والحياة قد انتهت ، لذلك أعود فألخص الحياة بدايتها بنفخ الروح ونهايتها بخروج الروح ، ولا يهمني إطلاقاً أن هناك خلايا حية في مرحلة ما قبل نفخ الروح في الرحم وما بعد خروج الروح من الجسد فيما بعد الموت . والحمل ليس هو عملية لالتصاق الحمل شيء آخر وشكراً .

* الدكتور / حسان :

ـ أرى أن أتجاوز عن التعليق على كلام الأخ ابراهيم ، وإنما أعود إلى الموضوع الذي كان مطروحاً تمنيت لو فحصه زملائي الأطباء ، خاصة زملائي أطباء أمراض النساء والولادة في عرض الموضوع على السادة الفقهاء ، لكي يكون لهم رأي فيه ، والآن لن أفصل إلا عرض الموضوع الذي هو موضوع اللولب فإن كثير الكلام ينسى بعضه بعضا ـ كنا نظن أن وضع جسم غريب في رحم المرأة سيحدث نوعا من الحساسية في الجهاز التناسلي كله ، وإلى عهد قريب جداً كنا نظن أننا لو وضعنا هذا الجسم الغريب الذي اسمه اللولب في رحم السيدة فإن البويضة غير الملقحة إن خرجت من المبيض فدخلت القناة كان في القناة ما يشبه الإسهال ، بحيث إن هذه البويضة غير الملقحة تسارع في اجتياز القناة إلى الرحم إلى المهبل إلى الخارج ، وتنتهي قبل أن يتاح لها أن تلقح بحيوان منوي ، الآن مع التقدم في القدرة على استنباط مفرزات البيضة الملقحة التي تدل على بداية كائن جديد له ستة وأربعون كرموزومة وهكذا هناك ما يمكننا من أن نعرف أن بويضة لقحت فعلا أي

إنه تكونت في جسم السيدة بيضة ملقحة أول مراحل الإنسان ، وهناك الدلائل تشير إلى أن وضع الجسم الغريب الذي هو اللولب في الرحم لا يحدث أثره في منع الحمل بطريقة الإسراع ببويضة غير ملقحة إلى الخارج ، إنما هناك أدلة مكنتنا أن نكتشف مفرزات بيضة ملقحة من هذه الأدلة انتقل الظن إذاً من أن اللولب مانع للحمل إلى أن اللولب لا يمنع الحمل بمعنى أن المنوي يستطيع أن يلتحم بالبويضة ليكون بيضة ملقحة ولكن هذه البيضة الملقحة تجتاز القناة إلى الرحم فإن حاولت الانغراس فيه في بطانته وهو ما يسمى بالاندغام لم تمكن من ذلك وخرجت إلى خارج الجسم ولم تغرس هنا اختلف الموضوع لم يعد اللولب في الحقيقة مانعاً للحمل ولكنه سامح بحدوث الحمل فمانع لهذا الحمل من أن يغرس في بطانة الرحم كما تغرس حبة أرزة في أرض مزرعة فما حكم الشرع في اللولب على هذا القياس ؟ واللولب ليس فيه عملية قتل مباشرة للبويضة بعد ما تلقح فهو لا يقتلها مباشرة ولكنه يصرفها عن الانغراس فلا تنغرس . . ولدي إضافة قصيرة قبل أن يتفضل أساتذتنا العلماء بإبداء الرأي الفقهي إننا نضع اللولب لضرورة والضرورة هي أن منع الحمل يصبح ضرورة طبية فعندما نضع اللولب تكون هناك ضرورة ، فهل تبيح هذه الضرورة التخلص من هذه الخلايا الحية فالحقيقة يعني تقييم قيمة الحياة ومقياس الضرورة وشكرا .

علما بأن اللولب ليس هو الطريقة الوحيدة لمنع الحمل وهناك طرق أخرى لا تعتدي على بيضات ملقحة لأنها تمنع أن تتكون بيضة ملقحة .

ــ الرئيس / الدكتور يوسف القرضاوي :

أنا أحيل الجواب على فضيلة الشيخ بدر .

*** الشيخ بدر المتولي عبد الباسط :**

ــ الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله سيدنا ونبينا محمد وعلى آله

وصحبه وسلم .

ـ في الحقيقة إذا لقحت البويضة واستقرت في الرحم كان هذا مبدأ الحمل وعندئذ تبدأ الحياة التي ينبغي أن تصان عما يفسد هذه الحياة ، بقى مسألة اللولب مسألة اللولب في الحقيقة الذي سمعناه أن اللولب يتسبب بإفرازات هذه الإفرازات تمنع وصول البويضة الملقحة إلى الرحم الذي يسمونه الاندماج الاندغام ، والواقع إن منع الحمل ذاته غير ما إذا كان هناك حمل بالفعل أو بويضة ملقحة ، أما منعها من الوجود أو منعها من أن تصبح صالحة للإنجاب هذا شيء آخر ، ومسألة منع الحمل أبسط من مسألة الإجهاض وسمعت بأن اللولب يكون في حالات الضرورة، حددوا لنا الضرورة ما هي الضرورة ؟ هي وجود خطر على حياة الأم إذا كان هناك خطر على حياة الأم نبيح الإجهاض نفسه ، فما بالك إذا كان ليس هناك حمل ولا أي شيء . فهذا ما يبدو لي الأمر فيما يتعلق بمسألة موانع الحمل ، وفيما يتعلق باللولب أمر أبسط من الإجهاض ، لابد أن يكون لأسباب معقولة ولأسباب ضرورية تصل إلى مستوى الضرورة حتى لا أقول لمستوى الحاجة لمستوى الضرورة ، الواقع أفاد أنها أصل من الحياة الإنسانية وكما قال الإمام الغزالي هذه حياة مستكنة وهي أصل للحياة المتحركة إن مسألة التقاء ماء الرجل بماء المرأة يشبه بمسألة الاعتداء على الحرم فنقول الاعتداء على بيض الحرم يعتبر جريمة يوجب الكفارة ، و مع ذلك البيضة ليس فيها حياة متحركة ولكنها لما كانت أصلا فيها الحياة المستكنة هي أصل للحياة المتحركة ، فكذلك ماء الرجل وماء المرأة أو بويضة المرأة مع الحيوان المنوي للرجل هي أصل للحياة التي ينفخ فيها الروح ، فلابد أن تثار هذه النقطة والا ستفتحون لنا باباً لا يمكن أن يسد أبدا ، كما قال بعض إخواننا الأطباء سيجعل النساء يتخلصن من كل حمل . . . والله سبحانه وتعالى أعلم .

*** فضيلة الشيخ المختار :**

هو سؤال حتى يتحدد عندي الموضوع هو أن كل بويضة لقحت لابد لها أن

تنغرس في الرحم ، أو هناك بعض البويضات تلقح ثم تنزل وتخرج من الرحم ، فإذا كان الأمر إنه ليست كل بويضة ملقحة تنغرس في الرحم فالأمر بسيط وسهل فكما إنه ليس من شأن كل حيوان منوي أن يلقح البويضة فأباح الشرع أن يعزل وألا يلقح البويضات فكذلك أيضا لما كانت ليست كل بويضة ملقحة هي لابد أن تنغرس في الرحم يمكن أن يتسبب اللولب لتصريفها لأنه لا تبدأ الحياة فعلا إلا حين تصبح ملتصقة بالأم وبالرحم أي إذا انغرست في الرحم وهو ما عبر عنه أحد الأطباء بالاندغام مأخوذاً من كلمة العلوق .

ـ الرئيس / الدكتور يوسف القرضاوي :

الآن البين من كلام فضيلة الشيخ بدر وفضيلة الشيخ المختار أن البويضة المحترمة هي التي تعلق أو تنغرس أو تندغم في الرحم ، وقبل هذا ليس لها احترام فإذا أطاح اللولب بها فلا بأس بذلك .

*** الدكتور / أحمد القاضي :**

اقتراح بسيط الآن عندنا رأيان رأي يرى أن بداية الحياة الإنسانية من وقت تلقيح البويضة ، ورأي يرى أن بداية الحياة الإنسانية (وهو رأي الدكتور الصياد وهو رأي قطاع كبير جداً من الحاضرين) إنها تبدأ بنفخ الروح ، بقطع النظر عن تحديد نفخ الروح ، هل في اثنين وأربعين أو مائة وعشرين ، لكن عندنا رأيان محددان ، إذا كانت الآراء العلمية بقدر واحد ومتساوٍ فينبغي التصويت وهو الحل إذا كانت الآراء العلمية متساوية في قيمتها .

وهناك رأي ثالث في الموضوع وهو من وقت العلوق يعني ليس مجرد التخصيب إنما هو من وقت العلوق وهو الذي تفضلت أنت وذكرته الآن وهذا الرأي هو في الحقيقة الذي نطمئن إليه وأن تكون الحياة من وقت العلوق لا من وقت التخصيب .

* **الدكتور / عبد الحافظ :**

من حيث فارق الزمن وأرجو من الدكتور / حسان أن يصوبني بين ثلاثة إلى ستة أيام أو أربعة إلى ستة أيام ثم تعلق في الرحم ، ثلاثة في الأنبوب وثلاثة في الرحم في المتوسط ثم تعلق .

* **الدكتور / عمر الأشقر :**

ـ في ظني أن هذا منحى خطير في البحث في الماضي ، حتى بحث الدكتور حسان وكلامه في ندوة الإنجاب أن هذه البويضة لها خاصية التكامل ، وليست القضية قضية علوق وكل مبنى البحث كان على هذا الأساس ـ هناك فرق بين الخلية الحية في الإنسان عندما يفقد الدماغ ولا يزال فيه حياة ، لأن الخلية التي آخذها من جسمي الآن ثم ألقي بها في الزبالة وهي خلية حية ، قال إن لها خاصية مختلفة جداً ثم أنا أذكر في الكلام الذي قيل في الصباح إنه ليس من الضروري أن نتفق نحن هنا على آراء مختلفة ، إذا لم يحدث اتفاق ، فلتذكر كل الآراء في الموضوع ، ثم قد يتفق في ندوة أخرى في بلد آخر وفي مجمع آخر ، لكن يكفي أننا استطعنا أن نبين أبعاد الموضوع في القضية . . ولهذا فإن هذا رأي آخر هذا رأي ثالث رأي بأن هناك حياة تحترم منذ التخصيب والرأي الثاني منذ العلوق والرأي الثالث منذ نفخ الروح ثم متى يكون نفخ الروح عندنا إذاً اتجاهات ثلاثة وآراء ثلاثة .

* **الشيخ / عبد القادر العماري**

أعتقد أن من الممكن التوفيق بين رأيين ـ الرأي الذي يقول إن بداية الحياة من العلوق ، والرأي الآخر ممكن هنا نحدد الروح ، لأن هناك الأحاديث التي جاءت غير حديث ابن مسعود تقول في الأربعين الأولى ، وإذا حملنا حديث ابن مسعود على هذه الأحاديث ممكن نحدد الروح ونحدد بداية الحياة أيضاً ، فنقول إن

الروح تنفخ عندما تغرس الحيوان في جدار الرحم هنا تنفخ الروح ، وهنا تبدأ الحياة ، وليس هناك أي تعارض مع النصوص الشرعية الموجودة كحديث ابن مسعود حديث حذيفة ابن أسيد وأعتقد إذا درستم الموضوع يمكنكم أن توصلوا إلى الحل، لهذا ـ هنا نقطة أود أن أقولها عن موضوع جواز الإجهاض في مسألة التشويه التي أشار إليها الشيخ ابراهيم الدسوقي فيجب علينا أن ندرس المواضيع هذه التي فيها احتمال التشويه ، لأنني أعرف ربما قال الأطباء إن هذا الحمل سيكون مشوها ، ثم بعد ذلك لا يخرج مشوها بل كان أجمل مما كان يتصور الناس .

* الدكتور / حسان :

إن البيضة الملقحة في وسعها أن تستغنى عن العلوق ، وكما ذكرنا إن أحد العلماء الطليان استطاع أن ينمو بها في غير رحم أي بغير علوق إلى الأسبوع الحادي عشر ، ولو استمر هذا البحث فيكون من منجزات المستقبل ، وإنني أرى أن جزءاً كبيرا من الحيرة التي نحن فيها يعود إلى نسيان الشروط الخمسة التي وضعناها لتحديد ما هو الكائن الحي ، ومع ذلك لست في حل لأن الرئيس لم يأذن لي أن أعيد على مسامعكم هذه الشروط الخمسة . والذي يترجح عندي في مسألة اللولب إنه في الوقت الذي كنا نظن فيه أن اللولب يمنع التحام الحيوان المنوي بالبويضة غير الملقحة ، لأن هذه البويضة تطير إلى الخارج فيما يشبه الإسهال ، تبين لنا هذا الرأي واستبنا أن اللولب يحدث إنه تكون بويضة ملقحة فيها ستة وأربعون كرموزون الحقيبة الإرثية الكاملة، وتسبب اللولب في حرمانها مسيرتها في الحياة ، فإن اللولب آنئذ يكون عاملا بالإجهاض وليس يمنع الحمل ، وعلى هذا لا يجوز ويكون من الإجهاض المبكر ـ تستطيع أن تشخص الحمل بعد التحام الحيوان المنوي بالبويضة بثماني ساعات تستطيع هذا بالتحاليل .

ما قيل عن البويضة إن لقحت تجتاز القناة وتذهب إلى الرحم في حوالي أربعة إلى خمسة أيام تعلق بجدار الرحم كما تعلق الذبابة على الحائط ، فتسمى العلقة

يومين ثم تدخل داخل جدار الرحم في حوالي اليوم السابع ، وطبعا بطبيعة الحال لا أظن أن بيننا من يريد أن يقول إن نفخ الروح موعده اليوم السابع .

ـ الرئيس / الدكتور يوسف القرضاوي:

شكرا أعتقد أنه يكفي هذا ـ الحقيقة يا أيها الإخوة لو فتحنا الباب للكلام لن ينتهي الكلام .

الآن أنا كنت أريد أن أقرب وجهات النظر ونصل إلى قرار يعني يشبه الإجماع ولكن يبدو أن بعض الإخوة متمسكون بآرائهم ، وهذا من حقهم ، وليس من الضروري أن نجمع ، وكما قلت في الظهيرة إن الموضوع خلافي والمسألة اجتهادية ، ومثل هذه المسائل لا يمكن أن نصل إلى القطعية ، فلا مانع من الاختلاف في هذا ، فإن شئتم أن نسجل أن هناك خلافاً وأن الأكثرية تميل إلى كذا وهناك من قال كذا ، وإذا أحببتم أن نصوت ، ولا أرى داعيا للتصويت والواضح أن الجمهور ـ بتعبير الفقهاء ـ يرون أن هناك حياة بمجرد الإخصاب لها احترام ، وإن كان هذا الاحترام يزيد ويتعاظم بنفخ الروح فيما بعد ذلك ، ويترتب على هذه الحياة حقوق وأحكام في الفقه الإسلامي معروفة ، بعد ذلك حينما تأتي مسألة نفخ الروح هذه طبعاً لاشك يترتب عليها أحكام أخرى مثل اتفاق الجميع على الحرمة ، في هذه الحالة حرمة الإسقاط أو الإجهاض المتعمد إلا لضرورة ، وما هي الضرورة ـ وهذه أيضاً أمور كما أشار فضيلة الشيخ بدر ما هي الضرورة لأن الناس الآن في عصرنا كل شيء يريدون أن يجعلوه ضرورة ، كل فيه ضرورة والضرورات تبيح المحظورات ما هي الضرورة ـ ضرورة أن هناك خطراً على حياة الأم مثلاً لأنه لا يضحي بالأصل من أجل فرعه ـ والضرورة مثل هل تدخل في هذه مسألة التشوهات وإلى أي حد ؟ لأن هذه الأمور أيضا يعني كما قال الشيخ عبد القادر يمكن أن يقولوا إن هناك احتمال تشوهات ، وبعد ذلك لا تظهر هذه التشوهات ، وأنا حدثت لي فعلاً استفتاني أحد الأصدقاء إذ قالوا في أمريكا إن الطفل أو الجنين هذا


معرض لتشوه خطير وكذا وكذا . . وسألني الحقيقة وأنا أقول لكم بصراحة سألته عن زمن الحمل ، فقال أكثر من أربعة أشهر ، طبعا لو كان أقل من أربعة أشهر كنت أخذت بالرخصة بالمذهب الآخر ، ولكن لما كان الأمر أكثر من أربعة أشهر لم أجد أمامي رخصة له ، فقلت له هل هذا مائة في المائة ، قال لا ليس مائة في المائة ، فيه احتمال آخر ، قلت له توكل على الله اترك الأمر وبعد شهور نسيت أنا الموضوع ، بعث إلى صورة طفل جميل جداً يقول أشكرك إنك أنقذتني من مباضع الجراحين .

فأنا أقول إنه في المرحلة الأولى عندنا الآراء الثلاثة الاتجاهات الثلاثة ، الأغلبية تتجه إلى أنه هناك نوع مزالحياة أو قدر من الحرمة ويترتب عليه أحكام ويجيز للأعذار المختلفة أو للضرورات أو للحاجات بعض عمليات الإجهاض أو اللولب أو غير ذلك لمثل هذه الأمور ، وهناك من يزيد على مجرد التخصيب لعملية العلوق التي تحدث عنها الدكتور / عبد الحافظ وبعض الإخوان ، وهناك الرأي الآخر الذي يرى إنه ليس هناك حياة قبل نفخ الروح وهو ما رأى الدكتور / الصياد وعدد من الإخوة إنه لا حياة قبل نفخ الروح ونفخ الروح متى ، هل هو في الأربعين أو الاثنين والأربعين أو الخامس والأربعين حسب ما جاء .

الجزء الثاني

نهاية الحياة الانسانية في المفهوم الاسلامي

أولاً:
الأبحاث الطبية



نهاية الحياة الإنسانية

للدكتور مختار المهدي
رئيس قسم جراحة المخ والأعصاب

مقدمة :

لم يكن التساؤل عن نهاية الحياة الإنسانية يثير الكثير من الجدل والنقاش مثل ما يفعل الآن ، ويرجع ذلك إلى طفرة التقدم في العلوم الحديثة ومنها العلوم الطبية . وقد كشف لنا هذا التقدم عن الكثير من دقائق الحياة ، وأيضا الكثير من أسرار الموت ، وذلك من خلال استعمال الأجهزة الحديثة في أقسام العناية المركزة ومنها أجهزة التنفس الصناعي ، وكذلك أجهزة قياس عمل المخ وقياس وظائف محددة بالمخ واختبار هذه الأجزاء المختلفة . ومن خلال تفهم هذه الظواهر الجديدة أصبح تحديد توقيت نهاية الحياة الإنسانية ممكنا على درجة كبيرة من الدقة ، ودقة هذا التحديد وأهميته لا ترجع فقط لما يترتب على هذه النهاية من شرع وقوانين ومراسم . ولكن أيضا لما قد يستخلصه ذلك من بعث فرحة الأمل في إنقاذ حياة ما من خلال مرارة فقد حياة ولت وانتهت ، وذلك بفتح آفاق علمية كبيرة في علم نقل وزراعة الأعضاء البشرية ، وهو الأمل في الحياة من جديد عندما يصل علاج بعض الأمراض إلى طريق مسدود وتبدو في الأفق علامات نهاية حياة المريض .

من هو الإنسان وما موضع المخ الحي منه ؟

كلنا يذكر ببساطة أن الإنسان عبارة عن جسد وروح ولن نتحدث هنا عن كنة هذه الروح حيث أننا لا نعلم عنها شيئا ولكننا ندرك تأثيرها في الجسد . فالجسد

الميت الجامد لا يختلف كيميائيا عن الجسد الحى على الإطلاق ، كما أنه لا يختلف عنه أيضا من الناحية الشكلية أو التشريحية أو حتى من خلال فحص الأنسجة بالميكروسكوب ، وبكلام أعم لا يوجد اختلاف مادى بين الجسد الحى والميت ولكن الفرق هو في تأدية الوظائف .

الجسد الحى جميع أجزائه تعمل وهذا العمل يكون على مستويات مختلفة من خلايا أو أعضاء أو كجسد متكامل . الخلية الواحدة تعمل ويتم في داخلها العشرات من الأعمال المختلفة ، كلها تتم في آن واحد ولكنها تدرك أنها ليست وحدها في هذا الجسد لأنها تتعامل مع خلايا أخرى في داخل العضو أو في أعضاء أخرى ، هذا التعامل يتم بأساليب مختلفة ، ولكن هذا الإدراك والتعامل ليس أدراك الواعى العاقل ولكنه إدراك البرمجة بما تحتويه نوايا هذه الخلايا من أشرطة متوارثة من وقت آدم ، بها تفاصيل أعمال كل خلية إنسانية ومتى تعلمها بحيث يكون عمل أجهزة الجسم كلها في انسجام وتوافق ، كل في اختصاصه . بعض هذه الخلايا دائم التجدد ، أى القديم يشيخ ويبلى ويحل محلها خلايا أخرى جديدة ، وأخرى لا تتجدد طوال حياة الإنسان وحتى هذه فإن مكوناتها من مركبات عضوية وغير عضوية دائمة التبديل ، حتى مادة الكالسيوم الصلبة التى في العظام فإنها تتجدد تدريجيا مرة كل عدة شهور مع المحافظة على الشكل العام وذلك أيضا بفعل البرمجة ، وبمعنى آخر فالإنسان الذى نراه أمامنا بكتلته التى قد تصل إلى سبعين أو ثمانين كيلو جراما يتبدل تماما جسده من ماء وأملاح ومعادن بجسد جديد تدريجيا كل فترة من الزمن وهذه الكيماويات تذهب في إفرازات الجسم المختلفة وتجدد من غذائه وهو ما يمكن أن نسميه بالبعث المتكرر في أثناء حياة الإنسان .

وهنا حقيقة كبرى يجب أن نتفهمها من البداية ، وهى وإن كانت الخلية الإنسانية تمثل حياة وهى إحدى مظاهر إعجاز الخالق ، سبحانه وتعالى ، إلا أن حياة الغالبية العظمى من خلايا جسد الإنسان وكذلك أعضاؤه التي يحتويها هذا

الجسد لها حياتها المستقلة عن حياة الإنسان كفرد ، وكحقيقة مطلقة لا ترتبط حياة إحداهما بالأخرى ، وبمعنى أوضح أن خلايا جسم الإنسان وأعضائه لا تشاركه « روحه » بدليل أننا يمكن أن نأخذ بعض خلايا من جسم الإنسان لزراعتها ودراستها بالمعمل ولا تفقد هذه الخلايا « حياتها » بخروجها من جسم الإنسان ومن الأمثلة الأخرى استئصال كلية حية من جسم إنسان لزراعتها في جسم إنسان أخر ، إنها لا تفقد حياتها باستئصالها ولا تكتسب حياة جديدة من الجسد المنقولة إليه ولا تتأثر لو حدث أن توفى صاحبها الأول ولكنها تستمر في حياتها الذاتية وتؤدى نفس العمل الذي خلقت له أساسا وتحيا حياة فيها نماء وهدم وبناء طالما توافرت لها امكانية الغذاء المناسب ، بصرف النظر عمن يحتويها .

هل يمكن أن نعود إلى التساؤل من هو الإنسان مرة أخرى ونقول هذه المرة هو جسد يحتوى على خلايا وأعضاء حية تعمل بوحى ذاتي على مستوى الخلية الواحدة وعلى مستوى العضو بشرط توافر أسباب هذه الحياة ماديا ، بالإضافة إلى روح قد نسميها نفسا أو ذاتا إنسانية وبها يتم تحديد شخصية هذا الإنسان وفرديته .

أين هى إذن النفس الإنسانية من هذا التركيب ؟ . . .

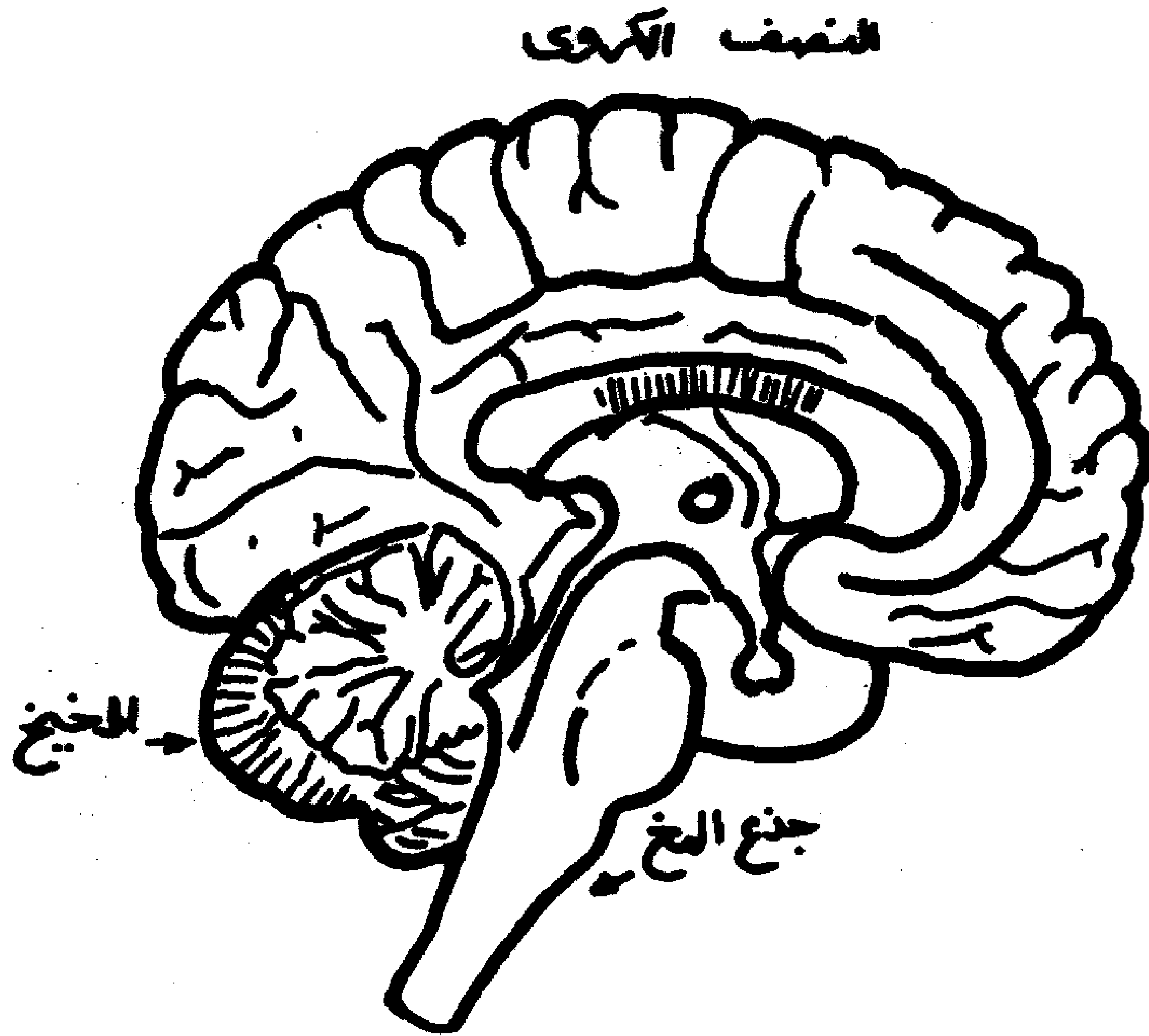
إننا نتعرف على بعضنا البعض بالمظهر الخارجي من شكل الجسم أو الوجه أو لون العينين أو لون البشرة وأحيانا من بصمة الإصبع ! ولكن كل هذا يمكن أن يتغير . ولن يغير ذلك من ذات الإنسان . أما عن الأعضاء الداخلية والأجهزة السابق ذكرها فإنها جميعا يمكن استئصالها والاستغناء عنها كما أسلفنا إلا المخ . . ، فالقلب والرئتان والكبد والكلى يمكن استئصالها واستبدالها بأعضاء أخرى إنسانية أو حتى بلاستيكية . . أيضا مع استمرارية الذات الإنسانية وعدم تغيرها . ما هى إذن وأين تكمن هذه الذات ؟

قد نظن الآن أن النفس الإنسانية تكمن في مخ الإنسان لأنه مكان استقبال جميع

الحواس من سمع وبصر وشم وذوق ولمس ، إنه مكان الاستقبال الوحيد من العالم الخارجي ، كما أنه يحتوى على مخازن الذاكرة من قراءات وسمع وبصر . . ألمخ والخبرات السابقة ومكان التفكير والابتكار ، وبه تم إرساء الطباع والعادات والمثل المكتسبة ، والمميزة لكل إنسان ومكان تواجد الغرائز الموروثة أيضا ، كما أنه مصدر الأفعال المترتبة على ما يستقبله من معلومات . وقد عرفنا ذلك كله لأن تلف أجزاء محددة من المخ ينتج عنه فقد قدرات معينة اختصت بها هذه الأجزاء ولكل هذه القدرات استخلفنا الله في الأرض وعلى استخدامها سنحاسب في النهاية وإذا ما فقدها إنسان فقد الأهلية وسقط عنه الحساب .

ولو نظرنا بتكبير مجهرى داخل المخ لوجدناه يتكون من ملايين الخلايا العصبية التي تشبه البطاريات الكهربائية الصغيرة يترجم فيها كل شيء من أحاسيس وأفكار ورغبات إلى ومضات كهربيه تحملها أسلاك دقيقة معزولة تنتهى إلى أطراف دقيقة تترجم هذه الومضات السابقة إلى طاقات كيمائية تقوم بدورها بتنبيه خلايا أخرى . وهكذا تستقبل الأحاسيس من سمعية وبصرية وخلافه وتنفذ المهام من فكر وأفعال .

وهنا يجب أن نلاحظ أن جميع الأحاسيس الواردة للمخ وأيضا جميع الإشارات الصادرة عنه لتنفيذ المهام تصل منها للعلم إلى مكان معين من المخ يكون باستمرار على علم تام بمجريات الأمور ذلك هو جذع المخ وعلى الأدق نسيج معين داخله يسمى النسيج الشبكي . وهذا الجزء له تأثير كبير على أجزاء المخ الأخرى . وقد أثبتت البحوث الكثيرة أن هذا النسيج الشبكى هو المسؤول عن وعى الإنسان ، وأنه إذا فقد الإنسان وعيه لسبب أو آخر فإن ذلك يحدث لأن هذا النسيج قد تعرض لضرر ما ، وذلك كالإصابة في الحوادث أو بالتأثير من السموم أو الأمراض ويدخل في ذلك التخدير أو تعاطى العقاقير من منومة ومهدئة ومهلوسة . وهو المسؤول عن نوم الإنسان ويقظته . . . ويبدو لنا الآن أن هذا هو في الغالب مكمن النفس الإنسانية . (شكل ٢)



قطاع طولى بالمخ

تأثير توقف القلب على أعضاء الجسم :

● في ظنى أن الجسم البشرى يحتوى على مستويات متعدد من الحياة وتعتبر الحياة الإنسانية هي المستوى الأعلى .

فعند توقف القلب عن العمل نهائيا لأى سبب من الأسباب ، وهو ما يحدث في الغالبيه العظمى من حالات الموت فإن ذلك يتبعه فورا فقدان الوعى وتوقف التنفس وهما وظيفتان من وظائف المخ الذي لا يتحمل توقف دورته الدموية إلا لثوان معدودة ولو أن خلاياه تظل حية لبضع دقائق إلا أنها تتوقف في أثنائها عن العمل .

ويستتبع توقف الدورة الدموية ذلك حرمان جميع أعضاء وأنسجة الجسم من الغذاء اللازم لها وهو أساسا سكر الجلوكوز والأكسوجين اللازمين لتوليد الطاقه وتشغيل الخلايا ، كما أن الفضلات السامة المتخلفة عن هـذه العملية وغـالبيتها حمضية تتراكم في أماكن تولدها لعدم تصريفها بتوقف الدورة الدموية بالأنسجة .

وبناء على هذه التغيرات الكيماوية تموت الخلايا والأعضاء المكـونة لجسم الإنسان وهذه الأعضاء تتفاوت في فترة بقائها حية بعـد توقف الـدورة الدمـوية والتنفس اعتمادا على درجة حساسية هذه الخلايا لنقص الغذاء وتحمل درجـات الحموضة فالمخ مثلا لا تتحمل خلاياه وبالذات خلايا القشرة (قشرة المخ) نقص الجلوكوز والأكسوجين أكثر من نحو أربع دقائق وهناك خلايا بالمخ قد تتحمل البقاء لثوان أخرى أكثر من ذلك ثم يلي ذلك خلايا الكبد والكُلَى . أما العضلات والعظام والجلد ، فقد تستطيع الحياة لعدة ساعات بعد توقف القلب والدورة الدموية ، كل هذه التوقيتات في درجات الحراة العادية للجسم .

فترة الاحتضار

● يتضح مما سبق أن هناك فترة لا تقل عن أربع دقائق بعد توقف القلب والتنفس عن العمل وتشخيص موت الإنسان الأكلينيكي من فقد للحس والوعى والإدراك والحركة والنبض والتنفس ولكن يكون الكثير من أعضائه لا يزال حيا بل وبعضها تعمل وقابلة للاستمرار في العمل إذا أمكن إنعاشها بتوفير المحيط الملائم لها من تغذية وتصريف للفضلات . وفي هذه الدقائق الأربعة تكون خلايا مخ الإنسان ما تزال حية ولو أسعف هذا الشخص بتدليك قلبه أو بإعطائه الصدمات الكهربية مع التنفس الصناعي لدفع الأكسوجين بالدم وإعطاء المنشطات والمسعفات الـلأزمة فقد يمكن أحيانا أن يعود القلب للعمل ويبدأ التنفس الذاتي في العمل من جديد ويعود الإنسان إلى وعيه هذا إذا كان سبب الوفـاة الأصلي يسمـح بذلـك وبهذه الطريقة يمكن إنقاذ حياة بعض المرضى في هذه الفترة الحرجة التي يعتبر فيها الإنسان

ميتا بكل المقاييس الأكلينيكية الطبية ولكنه بالفعل لا يكون كذلك لأن مخه ومن ثم معظم أعضاء الجسم لا زالت حية فنحن لا يمكننا أن نقول إننا نستطيع أن نعيد الحياة لإنسان قد مات بالفعل ، ويمكننا أن نسمى هذه الفترة بفترة الاحتضار وأرى أنه يتحتم على كل طبيب يحضر هذه الفترة أن يحاول هذه المحاولة وإذا لم يفعل فهو نوع من إهمال العلاج .

تلف قشرة المخ :

○ وفي أحيان نادرة ، عند محاولة إنعاش مريض في فترة الاحتضار قد يعود القلب والتنفس للعمل بعد فترة الدقائق الأربع بعدد من الثوان ولكن قشرة المخ الحساسة تكون قد تلفت جزئيا أو كليا ، على حين تستمر أجزاء المخ الأخرى ومنها جذع المخ في العمل . وقد يحدث هذا التلف نفسه نتيجة هبوط شديد في ضغط الدم لفترة طويلة حتى بدون توقف القلب والتنفس وذلك لوصول الغذاء للمخ بكميات غير كافية في هذه الفترة ، وأحيانا يحدث ذلك نتيجة إصابة شديدة ولكن غير مميتة للمخ .

وينعكس تأثير ذلك على حالة المريض بدرجات متفاوتة حسب درجة التلف ما بين عته بسيط أو ضياع كامل للعقل أو فقدان كامل للوعى وهذه الحالات ليس لها علاج على الإطلاق فخلايا المخ التي تموت لا يمكن تعويضها .

وفي الحالة الأخيرة حيث يكون هناك فقد كامل للوعى يستمر هذاالإنسان في حياة يصفها البعض خطأ بالحياة النباتية والبعض الآخر بالحياة الخلوية وكلها تعبيرات غير دقيقة من الناحية العلمية وقد تكون وصف « حياة جسدية » هو الوصف الأدق ومن الناحية النظرية يمكن لإنسان من هذا النوع أن يعيش مدى حياة كامل على هذا الوضع ويعتمد ذلك على مستوى كفاءة التمريض والرعاية الطبية وعلاج الأمراض العارضة والتي قد تصيبه نتيجة الرقاد الطويل .

وهذا المرض يحتاج إلى إطعام عن طريق أنبوب إلى المعدة بغذاء شبه سائل بنسب متوازنة وعناية مستمرة بالجلد وتقليب الجسد أو تغيير أوضاعه كل ساعتين تقريباً لمنع قرح الفراش وكذلك العناية بتصريف البول والبراز . وإنسان من هذا النوع يتنفس ذاتيا لأن جذع المخ سليم ولكن حياة مثل هذه لا تكون إلا داخل مستشفى وهى بالتأكيد كارثة اقتصادية ، للتكلفة المادية الباهظة وانعدام الأمل في عودة المريض إلى وعيه . وقد رأيت بنفسى إحدي هذه الحالات استمرت حياتها لمدة خمسة عشر عاما على هـذا الوضـع في إحدى المستشفيـات الأوروبية وكـان الاحتفاظ بهذا المريض من قبيل استعراض العناية التمريضية الفائقة ولعرضه على الزوار من الأطباء الأجانب . وعادة هذه الحالات تموت نتيجة قـرح الفراش أو النزلات الرئوية العارضة ومن الأطباء من يتراخي عمدا في علاج ما يطرأ عليه من الأمراض العارضة لتسهيل موت المريض من هذا النوع .

وفاة المخ (جذع المخ) :

● كما أسلفنا فإنه في أغلب الأحيان تنتهي الحياة الإنسانية بتوقف القلب الذي يعقبه فورا توقف التنفس وفقدان الوعي ثم تموت الأعضاء بدءا بالمـخ في الدقائق الأولى . . الخ ولكن هناك حالات أخرى يموت فيها المخ أولا . وأرجو ألا يستنتج البعض أن هناك أنواعا مختلفة من الموت ولكن هناك بالفعل أسباب مختلفة له فمريض الكبد أو مريض القلب أو مريض الرئة أو مريض الكلى قد ينتهى به الأمر إلى الموت لأن عضوا هـاما حيـويا قـد تلف في جسمه ويؤدى ذلـك إلى اختلال الوظائف الحيوية بهذا الجسم مما يؤدى في أغلب الأحيان إلى هبوط في الدورة الدموية وتوقف القلب عن العمل وبالتالي موت المخ ، ولكن هذا لا يمنع أبدا أن تلف المخ المباشر يؤدى أيضا إلى وفاة الإنسان حتى لو كانت بقية الأعضاء الأخرى بما في ذلك القلب سليمة وذلك مثل ما يحدث في بعض إصابات الرأس الشديدة في حوادث الطرق أو السقوط من أماكن مرتفعة وكذلك في بعض الأمراض مثل نزيف المخ أو

أورام المخ وفي هذه الأحوال يموت المخ بالكامل أو أساسا جذع المخ وطبيعي تبدأ سلسلة الموت في هذه الحالة بفقد الوعى وتوقف التنفس ، وانقطاع الأكسوجين عن الدم . إن الدورة الدموية التي ما تزال تعمل ينقص فيها الأكسوجين ويتراكم ثاني أوكسيد الكربون وبالتدريج تموت بقية الأعضاء الأخرى ولكن هـذا لا يعني أن تزويد الجسم بالأكسوجين بواسطة أجهزة التنفس الصناعي أن المخ الذي مات قد يعود ثانية ، كلا فكما أسلفنا فإن خلايا المخ التي تتلف لا يمكن تعويضها ، ولكننا بهذه الطريقة ، وأقصد باستعمال التنفس الصناعي ، يمكننا المحافظة على أعضاء الجسم الأخرى (خلاف المخ) حية لفترة من الزمن تمتـد من عدة سـاعات إلى أسبوعين أو نحو ذلك ، وهذه المدة لا تطول حتى مع استمرار اعطاء جميع المنشطات الممكنة ، فيبدأ ضغط الدم بعد ذلك في الانخفاض وتتباطؤ عمليات التمثيـل الغذائي وتنخفض درجة حرارة الجسم وأخيرا يتوقف القلب . ويمكننا أن نصف هذه الفترة التي يمكن الاحتفاظ فيها ببعض أعضاء الميت حية بفترة الحياة العضوية (نسبة إلى الأعضاء المتبقية) .

ومن الأمثلة المعروفة عن الموت الفوري بعملية الإعدام شنقـا وفيه تنخلع الفقرات العنقية العليا عن الرأس حيث يوجد جذع المخ وعلى الفور يموت جذع المخ ولا شك أنه كان من الفهم الخاطىء ، في وقت سابق ، أن طبيب السجن كان يقوم بجس نبض المذنب ولا يأذن بإنزال جثته حتى يتوقف النبض والذي يستمر لعدة دقائق ولكن جذع المخ يكون قد تلف من اللحظة الأولى لعملية الشنق والتي يفقد فيها الوعى ويقف التنفس ولو أسعفَ هذا المذنب في خلال هذه الـدقائق بجهاز تنفس صناعي لتكررت نفس الأحداث وطالت فترة الحياة العضوية لفترة من الزمن ، أسبوع أو أكثر ، ولكن هذا لا يعني أن الذي شنق قد استمر في الحياة لأن الذات الإنسانية تكون قد ذهبت بلا عـودة ، وأجهزة الاستقبـال والتفاعـل والإرسال التي تتعامل بها النفس الإنسانية مع البيئة قد تدمرت نهائيا .

تلخيصا لما سبق فإن موت الإنسان يكون عند وفاة جذع المخ سواء نتج ذلك عن توقف القلب أولا لأكثر من دقائق معدودة تقطع الجلوكوز والأكسوجين بدرجة تسبب تلف المخ أو تكون وفاة جذع المخ والمخ عموما بإصابة موجهة إليه مباشرة ولا يهم موقف الأعضاء الأخرى فهى تبدأ في التحلل والتعفن مباشرة أو يمكن الاحتفاظ بحيويتها لفترة محددة باستعمال أجهزة الإنعاش الصناعية . والحقيقة التي نريد أن نؤكدها أن توقف القلب عن العمل لا يعنى بالضرورة الوفاة (فترة الاحتضار) كما أن استمرار القلب في العمل بعد موت المخ لا يعنى الحياة .

تشخيص وفاة المخ :

لقد اتفقت بعض دول العالم المتقدمة على وضع تعريف لموت المخ ووضع أسس لتشخيصه وذلك بناء على وجود علامات معينة يتفق على وجودها أكثر من أخصائى في العلوم العصبية كل على حدة ويشترط ألا تربط أحدهما بالمريض أية معرفة سابقة وأن تمر فترة لا تقل عن ست ساعات بين فحص كل منهما للمريض ومن هذه العلامات :

١ ـ عدم استجابة المريض للتنبيه بالألم على أي صورة من الصور (مما يعبر عن الغيبوبة العميقة وفقد الحس والحركة) .
٢ ـ فشل التنفس التلقائي نهائيا ويختبر ذلك بفصل المريض عن جهاز التنفس الصناعي لمدة دقيقتين كاملتين وملاحظة أي محاولة ذاتية للتنفس .
٣ ـ اتساع حدقتي العينين وعدم استجابتهما للضوء .
٤ ـ اختفاء الموجات الكهربية الصادرة عن المخ في تخطيط المخ .
٥ ـ هبوط الوظائف الحيوية للمخ وجذعه وهذه يمكن الكشف عليها بأجهزة قياس حديثة .
٦ ـ توقف الدورة الدموية للمخ وهذه يمكن قياسها بطرق مباشرة أو غير مباشرة .

كل هذه الاختبارات أو حتى بعضها لا يدع أى مجال للشك فيما نحن بصدده ويكون التشخيص نهائيا ، ويستبعد من هذه الحالات تماما حالات الغيبوبة الناتجة عن التسمم أو التهابات المخ المختلفة .

وأما عن خبراتى الشخصية في هذا المجال فإننا في خلال السنوات العشر الأخيرة وحتى اليوم وبالرغم من تشخيص وفاة جذع المخ فإننا لا نرفع أجهزة التنفس الصناعي ولا نتوقف عن إعطاء كافة المسعفات حتى يتوقف القلب نهائيا وذلك أنتظارا لكلمة الشرع في هذا المجال من ناحية ، ولتوافر الأجهزة اللازمة وعدم وجود تكلفة مادية على أهل المرضى من ناحية أخرى . وعلى الرغم من ذلك ففي خلال هذه الفترة لم أشاهد أيا من هذه الحالات قد تحسنت حالته أو استمر قلبه في الخفقان لفترة طويلة بعد هذا التشخيص . وإذا تصادف وأجريت الصفة التشريحية لمتوفي من هذا النوع عند توقف قلبه نجد أن المخ قد تحلل تماما وتحول إلى مادة سائلة داخل الجمجمة .

وهنا قد يثار تساؤل : إذا كان نقل الأعضاء ممكنا فماذا عن نقل المخ لمن تلف مخه والرد على هذا التساؤل بديهي لأن القاعدة هي نقل العضو الحى ، ولكن المخ الحى لا يكون إلا في إنسان حى ونقل المخ منه هو قتل له ، ناهيك عن الاستحالة التكنيكية للعملية فإن ذلك يتطلب نقل المخ والنخاع الشوكى مع زوائد المخ وهى العينان والأنف وتوصيل عدد من الأعصاب يصل إلى ثمانين عصبا وعدد من الشرايين والأوردة يصل إلى مثل هذا العدد في فترة زمنية لا تتعدى الأربع دقائق ! .

وإذا فرضنا جدلا امكانية حدوث ذلك فالأغلب أن الذي يتم هو نقل الجسم الذي توفي مخه إلى المخ الحى وليس العكس لأن المخ الحى يحمل معه صاحبه أى تصحبه ذاته أما الذات الإنسانية التي توفى مخها فقد انتهت من عالمنا وسبحان من له الدوام ، ولنذكر قول الله تعالى في سورة الزمر آية ٤٢ :

﴿ الله يتوفى الانفس حين موتها والتي لم تمت في منامها فيمسك التي قضى عليها بالموت ويرسل الأخرى إلى أجل مسمى ﴾ صدق الله العظيم

فالموت اذن هو النهاية للحياة الإنسانية والنفس الإنسانية وليس بالضرورة لأعضاء وخلايا الجسم الأخرى والتي قد تعيش سنوات وسنوات بعد نقلها في أجساد أخرى وفي الآيات السابقة وصف الله النوم بالوفاة وهي درجة من درجات الحياة كما في حالات التخدير وهو ما أطلقنا عليه الحياة الجسدية .

وأرى أن أنتهز هذه الفرصة لأسجل هذه المسميات والتي قد تكون أقرب للناحية العلمية والمنطق من المسميات الشائعة والخاطئة والواردة حتى في الكتب الطبية .

أولا : الحياة الإنسانية اليقظة وهى التي تشمل على حس ووعى وحركة .
ثانيا : الحياة الجسدية وهي حياة النوم ، وقد رأيت ألا أطلق عليها « حياة الوفاة » لأن هذا الوصف قد يحدث منه لبس لشيوع المعنى العكسي للكلمة وهى على أى الأحوال حياة ليس بها حس ولا وعى ولا حركة ، ويجب أن نعرف أن للنوم درجات ، والدرجات السطحية منه يخالطها بعض اليقظة وبعض الحس والحركة من تقليب وخلافه وأما الدرجات العميقة فلا ، ونفس الشيء يحدث في التخدير وفقد الوعى المؤقت مهما اختلفت أسبابه وفقد الوعى الدائم كتلف قشرة المخ الكامل .
ثالثا : الحياة العضوية وهى ما تبقي من حياة في بعض أعضاء الجسم بعد وفاة الإنسان وهو ما زال تحت أجهزة الإنعاش ويكون جذع المخ قد تلف وما زال القلب يعمل وكلمة الحياة هنا لا تعود على الإنسان كفرد ولكن على ما تبقى من أعضائه حيا كالقلب والكبد والكليتين . . الخ ما عدا المخ ، وهي فترة محدودة ، وحدها الأقصى نحو أسبوعين وفي خلال هذه الفترة يكون كل شيء امتداداً لما كان معتادا قبل وفاة الإنسان من تغذية وهدم وبناء .

رابعا : الحياة النسيجية وهي تصف مجموعة خلايا حية غالبا ما تكون في مزرعة في مختبر ما .
خامسا : الحياة الخلوية وهى عبارة عن خلية إنسانية واحدة .

وفي المعامل تؤخذ خلية أو أكثر في أطباق زجاجية وتحاط بسوائل معينة بغرض تغذيتها وذلك لأعمال الدراسة المعملية .

ولو تأملنا بداية الحياة الإنسانية لوجدنا أن هذه الدرجات أو المستويات المختلفة للحياة تتجمع تدريجيا فتبدأ بخلية واحدة هى البويضة المخصبة ثم بتكاثرها وتقاسمها تكون الحياة النسيجية ثم يتكون الكثير من الأعضاء كالقلب ولم تنفخ الروح بعد فهنا تكون الحياة العضوية ثم تنفخ الروح في الجنين فتتنابع الحياة الجسدية مع الحياة الإنسانية اليقظة حسب نومه ويقظته .

في ضوء ما وصلنا إليه الآن لو عدنا مرة ثالثة للسؤال من هو الإنسان ؟ فإن الأجابة تكون : الإنسان هو مخ حى يحمل نفسا إنسانية ، هذا المخ الحى تقوم على خدمته أجهزة كثيرة ، بعضها لتغذيته وبعضها لتصريف فضلاته والبعض الآخر لحركته والتنقل به حيث يشاء ، ومن خلال المخ تقوم النفس الإنسانية بالتحكم والسيطرة على جميع أعضاء الجسم وأفعاله .

نعود بعد ذلك لبحث موضوع تحديد وقت وفاة المخ لما لذلك من أهمية شرعية كبيرة . وأري أن هناك أكثر من طريقة ولكن أكثرها دقة وتحديدا هي أن يوصَّل أى مريض مصاب بإصابة شديده بالمخ بأجهزة تخطيط المخ أو أجهزة قياس عمل المخ . أو أجهزة فحص عمل جذع المخ وهذه كلها أجهزة دقيقة تقوم بتحديد المطلوب وعندما تعطى هذه المؤشرات ما يفيد وفاة المخ تتم عملية الفحص الإكلينيكي بغرفة طبيبين ذوى خبرة كما ذكر سالفا .

والأهمية الكبرى لهذا التوقيت ليس فقط من الناحية الشرعية ، ولكن أيضا

من ناحية قواعد علم نقل وزراعة الأعضاء والذي يتطلب الحصول على الأعضاء بعد الوفاة الإنسانية وأثناء الحياة العضوية للمتوفي وهى الطريقة الوحيدة علميا البديلة لعملية تبرع الأحياء بأحد أعضائهم لذويهم وهذا التبرع الأخير لا يكون إلا في حالات محدودة (الأعضاء المزدوجة) كالكلى مثلا وذلك علاوة على ما قد يتعرض له المتبرع من أخطار جراحية أو احتمال احتياجه مستقبلا للعضو الذي تبرع به .

وفي النهاية إذا ما ثبت لنا ذهاب الحياة الإنسانية فعلى الشرع عندئذ أن يدلى برأيه آخذا في الاعتبار مئات المرضى الذين يموتون كل يوم في عالمنا الإسلامي وقد تلفت أعضاؤهم من قلوب وأكباد وكلى والذين كان بالإمكان إنقاذ بعض منهم .

الموت والحياة بين الأطباء والفقهاء

للدكتور عصام الدين الشربيني
مستشار الأمراض الباطنية
م . الصباح الكويت

الطب علم سريع التطور والنمو ، والطبيب في عمله يتعرض بالتالي لقضايا متجددة يجب أن يؤدي فيها واجبه ، ويجب في أدائه هذا أن يسترشد بهدى دينه ويلتزم بحدود شريعته .

والدين رسالة الله في الناس ، قد كملت يوم نَزَلَ قول الله تعالى ﴿ اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا ﴾ .

فلا ينبغي أن تعرض للناس قضية لا يكون للشريعة حكم فيها بنص أو باجتهاد ، سواء كان الحكم بالفرض أو المنع أو الإباحة .

ومع ذلك يبدو للطبيب في عمله ، كما يبدو لغير الطبيب ، أن هناك فجوة بين الأحكام الشرعية وبين القضايا المستحدثة في الممارسات الطبية .

وَمَرَدُّ ذلك في نظري الى أمرين :

أولهما : المحاولات الجارية منذ أكثر من قرن لعزل الشريعة الإسلامية عن المجرى الرئيسي لحياة المسلمين ، والتي بلغت ذروتها بعد سقوط الخلافة العثمانية وسيطرة دول غير إسلامية على بلاد المسلمين ، وترتب على ذلك أن الطلب لم يعد مستمراً ولا ملحاً لرأي الشريعة فيما يعرض من قضايا ، وكذلك الاستجابة من الفقهاء لم تكن متصلة ولا شاملة ولا مسلّمة ، كما فقد عنصر التطبيق وما يقدمه

من خبرة وإثراء .

ثانيها : التفاوت الكبير في ثقافة الأطباء وتربيتهم الدينية .

ونستطيع أن نجملهم في طوائف ثلاث . . .

١ ـ طائفة بحكم إيمانها والتزامها وثقافتها ، تحرص على تحرّي التوجيه الديني والحكم الشرعي ، وتستطيع أن تصل إليه في أغلب الأحوال ، وأحسبهم قلة نرجو أن تزيد .

٢ ـ طائفة لا تستطيع ولا تهتم بتحري ذلك .

٣ ـ طائفة يحرصون أو يغفلون عن تحري الحكم ، ويصيبون أو يخطئون إن تحروا ذلك ، معتمدين على أنفسهم أو مستعينين بسواهم ممن هم أكثر معرفة .

ولا شك أن جهود المنظمة الإسلامية للعلوم الطبية هي محاولة لسد هذه الفجوة بمؤتمريها الأول والثاني،والندوات التي تعقدها لموضوعات محددة مثل ندوة الإنجاب ، وندوتكم هذه،وهي جهود تستوجب الشكر والتقدير، وتحفز الهمم لمواصلة السعي وتكثيف الجهد .

وندوتنا هذه عن الحياة والموت ، أو الحياة بدايتها ونهايتها،وهي كما فهمت ندوة حوار بالدرجة الأولى يطلّع فيها الفقهاء على بعض ما يعرض للأطباء وما يعانون ويواجهون ، ووجهة نظرهم في ذلك ، ويطلع فيها الأطباء على بعض ما يبني عليه الفقهاء آراءهم، وما يستمدون منه أحكامهم ، ويسمع بعضنا لبعض وهو مالا غنى عنه لكلا التخصصين ، استقصاء لجوانب البحث وتقليباً لأوجه الرأي واستجلاء لمشاكل التطبيق .

وأحسب أن خير ما أشارك به من جهد هو أن أعرض على سيادتكم بعض ما يواجه الطبيب من قضايا ، ومحاولتي كطبيب مسلم أن ألتمس الطريق الذي أسلكه إزاءها في ضوء التزامي المهني بالمحافظة على حياة المريض وتخفيف آلامه ما استطعت ، واحترامي كذلك لنهاية هذه الحياة في مرحلتها الدنيوية وهي الموت ،

ثم أسألكم فقهاء وأطباء جميعاً أن تروا فيه رأيكم وتقدموا نصحكم ، لا رأيا في نقطة بعينها وحسب ولكن توجيها للمنهج الذي يجدر أن يتبع .

اجتهاد أم نصّ :

وأقول ابتداء إنني حاولت فيما يتيسر لطبيب مسلم متوسط الثقافة أن أجد للموت تعريفاً محدداً للحياة أو للموت ، فلم أصل إلى نص شرعي يحدد أيا من الاثنين ، الابتداء أو الانتهاء ، فإن صح ذلك معناه أنها تركت للاجتهاد البشري والخبرة البشرية .

وقد أجد إشارات في أبواب كالإرث،مثل قول الرسول ﷺ « إذا استهّل المولود يرث » (رواه أبو داود) أو قوله « لا يرث الصبي حتى يستهل » (ابن ماجه)، جاء في الموسوعة الفقهية : وتعرف حياته بالاستهلال صارخا،واختلف الفقهاء فيما سوى الاستهلال . . . ولأن الاستهلال لا يكون إلا من حي والحركة تكون من غير حي . . . الخ ، وفي رواية عن أحمد إذا علمت حياته بصوت أو حركة أو رضاع أو غيره ورث . وثبتت له أحكام المستهل لأنه حي ، وبهذا قال النوويّ والأوزاعي والشافعي وأبو حنيفة وأصحابه[١] . . .

وواضح أن هذا يستند إلى خبرة بشرية بجانبيها الفقهي والطبي ، وأجد في باب الجنازة[٢]، المسارعة في تجهيز الميت إذا تيقن موته ، وإن اشتبه أمر الميت اعتبر بظهور أمارات الموت ، وإن مات فجأة انتظر به حتى يتيقن موته » (معجم الفقه الحنبلي) .

فإذا رجعت إلى كتاب من كتب الفقه الحديثة وجدته يقول « لابد من تحقق الموت بواسطة الأطباء وغيرهم من العارفين »[٣] .

ولست هنا أحاول إيجاد حكم فقهي ، فتلك مهمة السادة الفقهاء ، وكل ما

أقوله هو توضيح ما يلمسه الطبيب من أن الحكم يعتمد على خبرة بشرية وهذه قابلة للتطور مع تطور المعرفة البشرية .

النقطة الثانية التي أحب توضيحها :

عمليــة الموت :

إن الموت ليس نقطة واحدة أو خطاً رفيعاً، ولكنه عملية لها امتداد يطول أو يقصر،والناس من قديم يعرفون أن فلاناً دخل مرحلة الموت أو بدأ عملية الموت أو في حالة احتضار، وتتحدث كتب السنة عما يسنّ «عند الاحتضار»، وربما كان اللفظ مأخوذاً مما في الكتاب الكريم ﴿ أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب المـوت إذ قال لبنيه . . ﴾[٤] وقوله تعالى﴿كتب عليكم إذا حضر أحدكم المـوت إن ترك خيـراً الوصية للوالدين والأقربين ﴾[٥]. . ولا شك أن الآيتين الكريمتـين تشيران إلى مرحلة من الموت دون المرحلة التي لا تقبل عندها التوبة والتي تشـير إليها الآيـة الكريمة ﴿ وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى إذا حضر أحدهم الموت قال إني تبت الآن ﴾[٦].

وفي حديث رسول الله ﷺ « لقنـوا موتـاكم لا اله إلا الله »[٧]. (مسلم وغيره)(وفي حديث آخر إن الله يقبل توبة العبد ما يُغَـرْغِرْ)[٨] (التـرمذي)وهنـا أيضا مرحلتان مختلفتان .

والخبرة الطبية لا تختلف عن ذلك .

فالجسم مجموعة من الخلايا والأعضاء والأجهزة تقوم كل منها بوظيفتها،ولها متطلبات لأداء هذه الوظائف من غذاء أو طاقة أو وسط يحيط بها في توازن دقيق ، ويعتمد كل منها في ذلك على الآخر ، فإذا اختلّت وظيفة عضو أثر ذلك على أداء الأعضاء الأخرى لوظائفها بدرجات متفاوتة كما في تشبيه الرسـول ﷺ للمؤمنين

بالجسد « إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى »[٩]. . . والخلل إذا لم يتوقف تداعى إليه عضو بعد عضو حتى يحدث الموت .

ولنذكر بعض الأمثلة :

لابد للأعضاء والخلايا من أكسجين،وهذه وظيفة الجهاز التنفسي فإذا امتنع ذلك لخنق أو غرق أو توقف إدخال الهواء إلى الرئتين لشلل في عضلات التنفس أو كسر في عظام القفص الصدري ، أو غلبة غاز غير الأكسجين ، أو مرض بالرئتين يمنع إنتقال الأكسجين إلى الدم أو مادة كيميائية تمنع انتقال الأكسجين من الدم إلى الأنسجة ، اختلّت وظيفة الأعضاء وتداعى الخلل حتى يموت الإنسان ، وتختلف الأعضاء في المدة التي تحتملها بغير أكسجين قبل أن تتلف تلفاً كاملاً .

وإذا عجز القلب عن القيام بوظيفة ضخ الدم إلى أعضاء الجسم حدث مثل ذلك ، سواء كان العجز لسبب من خارج القلب يعوق عمله ،أو لسبب في العضلة نفسها يجعل ضخها غير مجد أو لاضطراب في نظام القلب الكهربي ، مثل ارتجاف البطين الذي يجعل كل مجموعة من الألياف تنقبض مستقلة عن غيرها من الألياف فلا يكون هناك ضخ على الإطلاق ، وتختلف الأعضاء كذلك في تحملها لهذا الخلل قبل أن تتلف ، ومن المشهور بين الناس أن الضخ الفعال إذا لم يعد قبل مرور دقائق أربع فإن المخ يتلف تلفاً لا يمكن علاجه .

ومثل ذلك إذا أصيب الإنسان بنزف ،ولم يصل للأعضاء حاجتها من الدم ولم يوقف النزف ،ويعوض الدم المفقود في الوقت المناسب ، أي قبل أن تتلف الأعضاء .

وإذا عجزت الكليتان عن أداء وظيفتها وتعذر تخلص الجسم من المواد التي لابد أن يتخلص منها ،وتعذرت المحافظة على التوازن الحمضي القاعدي في سوائل

الجسم ، والتوازن الدقيق بين عناصر الأملاح التي تدخل في تركيبها وما يصحبها من شحنات كهربية ، وكلهذا مرتبط ارتباطاً وثيقاً بالوظائف البيولوجية العديدة التي تقوم بها الخلايا والأعضاء، أقول إذا حدث هذا اختلت وظائف الأعضاء وتداعى الخلل، حتى يموت الإنسان، إلا أن نقدم ما يوقف الخلل ويصححه في الوقت المناسب كالكلية الصناعية مثلا . .

وربما لاحظتم في الأمثلة السابقة تكرار تعبير الوقت المناسب، وذلك أن الخلل الوظيفي إذا لم يعالج قبل فوات هذا الوقت استمرت الأعضاء في تداعيها إلى خَلَلٍ إثر خلل وقصور إثر قصور إلى أن يتم الموت، حتى لو أمكن علاج وتصحيح الخلل الأول الذي بدأ سلسلة التداعي هذه .

ومن أوضح الأمثلة على ذلك . . النزيف الدموي ، فإنه إذا لم يسارع بوقفه قبل مرحلة معينة استمرت عملية الموت حتى لو أوقف النزيف بعد ذلك وعوض ادم المفقود .

ويختلف الوقت أو المدة التي نحن بصددها تبعاً لسرعة أو بطء حدوث الخلل الوظيفي ،لأن الجسم يحاول تلقائياً تصحيح أو تعويض الخلل بما خلق الله فيه، كما تختلف بطبيعة المرض أو قل بطبيعة العضو أو الجهاز الذي يكون قد أصابه الخلل قبل وصول العلاج إلى المريض . فالعضو الواحد يختلف عن غيره في مدة احتماله لهذا القصور أو ذلك قبل أن يتلف تلفاً غير قابل للإصلاح ،وقد سبق أن المخ يحتمل توقف القلب أقل من أربع دقائق ،فإذا عاد القلب لعمله بعد ذلك بقي المخ تالفاً، كما أن توقف التنفس يتبعه توقف القلب بعد أقل من ذلك وهكذا . .

موت الأعضاء وموت الإنسان : ـ

وفي ضوء ما سلف ، نستطيع أن نستوعب إعلان سيدني[١٠] ، الذي صدر عن اتحاد الأطباء العالمي في جمعيته الثانية والعشرين في سيدني باستراليا سنة

١٩٦٨ م ، وجاء فيه « أن الموت على مستوى الخلية (أو مستوى الأنسجة) عملية تدريجية ، والأنسجة تختلف في تحملها لحرمانها من الأكسجين ، وليس المهم تحديد موت الأعضاء المختلفة أو مجموعات الخلايا ،وإنما المهم التأكد من أن عملية الموت قد وصلت إلى نقطة لايمكن عندها وقفها مهما استعمل من وسائل العلاج والإنعاش . وأن وجود عضو أو مجموعة من الخلايا حية لا يعني بالضرورة أن الكائن ذاته حي » .

وربما اتضح ذلك أكثر إذا تذكرنا أن القلب يستمر في الضرب بعد أن يشنق صاحبه ، وقد جرت عادة المنفذين أن يسجلوا المدة التي استمر فيها النبض بعد التنفيذ ، وما نشاهده الآن من نقل كلية من أمريكا أو أوروبا بالطائرة لتزرع في مريض في الكويت مثلا ، وهي كلية حية لمريض مات ودفن قبل أن تزرع ، وما نعرفه من إمكان استزراع خلايا بشرية مرة بعد مرة في المختبر بعد فصلها عن صاحبها .

ويبذل أهل الاختصاص جهودا متنامية للإبقاء على حياة هذه الأعضاء أو تلك الخلايا أطول مدة ممكنة بحفظها مثلا في درجة حرارة معينة ، وقد تصل إلى التجميد ، أو بإبقائها في سائل ذي خواص معينة جار أو غير جار ، يمر أو لايمر خلاله الأكسجين .

كيف يحدد الموت :ـ

وهنا لابد أن تنشأ قضايا أو أسئلة ، هي ما نحاول في ندوتنا هذه أن نجيب على بعضها.

أولها كيف يحدد الموت ؟ حتى يترتب على هذا التحديد ما يترتب من قضايا فقهية وقانونية لا غنى للناس عنها .

وهذا سؤال قديم لم يزل الناس على مر العصور يجتهدون في تحري الدقة في الإجابة عليه،وفي اتباع إجراءات تتيح الفرصة لبعض التصحيح إن كان القرار خاطئا ، أو للتثبت إن كان الشك قائما .

وقد نذكر من بعض الوثائق صورة الراهب الذي يمر بشمعة مضاءة أمام وجه

الميت حتى يتأكد أن التنفس قد توقف ، ونذكر تعليمات المستشفيات منذ كنا طلبة للطب أن يسجل الطبيب في أوراق المريض الذي شهد وفاته ماقام به من محاولات لإسعافه أو إنعاشه ثم يكتب : ينقل إلى غرفة الموتى بعد ساعتين .

ومنذ ظهرت السماعة الطبية تركز الانتباه على دقات القلب كعلامة مؤكدة على استمرار الحياة تتوقف بتوقفها .

ولا يزال العديد من الموتى تحدد وفاتهم بهذه العلامات التقليدية،أي توقف القلب والتنفس كمن يموت في منزله أو في المستشفى نتيجة تطورات مرضية معروف انتهاؤها بالموت،أو كمن يموت لأي سبب وفي أي مكان قبل أن تتاح الفرصة لإسعافه بوسائل العلاج الحديثة، ولا توجد عادة صعوبة في تحديد الموت في مثل هذه الأحوال فإن مرور دقائق بعد توقف القلب والتنفس يحل المشكلة ، ويحيل الشك إلى يقين .

موت جذع الدماغ :-

إلا أن الصورة تغيرت بعض الشيء بتطور المعرفة البشرية في مجال الطب والعلوم المساعدة له،ومن أهم هذه التطورات إمكان استمرار التنفس إذا عجز أو توقف بواسطة أجهزة صناعية،حتى فيمن يصاب إصابة قاتلة،فإذا أصيب شخص في رأسه ودماغه أمكن استمرار التنفس الصناعي،وفي هذه الحالة يستمر القلب في النبض أياما بعد أن يكون الدماغ قد توقف،بل بعد أن يكون قد بدأ في التحلل .

ومن هنا بدأت ـ تظهر فكرة تحديد الموت بواسطة العلامات الدالة على موت الدماغ ونعني بالتحديد موت جذع الدماغ . (Brain-stem death) .

وقد أتيحت الفرصة لاستعمال هذه الأجهزة على نطاق واسع على جرحى الحرب الكورية (١٩٥٠ ـ١٩٥٣) ثم على المصابين في وباء شلل الأطفال في

الدانمارك ١٩٥٢ م وفي أمريكا ١٩٥٣ (إذ أن الشلل يصيب أيضا عضلات التنفس) ، ثم بدأت تنتشر وحدات العناية المركزة التي تتوفر فيها هذه الأجهزة، ثم استعملت بصورة واسعة لعلاج إصابات الرأس (في انجلترا) . . . وهكذا .

وتزايدت الخبرة المتجمعة ، وتوافرت المعلومات الدقيقة ، وبدأت تظهر دراسات محدّدة تحاول تحديد علامات واضحة يمكن عند توافرها الاطمئنان إلى تشخيص « موت الدماغ »، ونشرت دراسة فرنسية ١٩٥٩ م ثم العلامات التي حددتها جامعة هارفارد ١٩٦٨ م بعد دراسة قامت بها لجنة من الأطباء والمحامين ورجال الدين، ثم إعلان سيدني ١٩٦٨ الذي سلفت الإشارة إليه ، ثم دراسة جامعة مينيسوتا . . . الخ ،[١٣] كما أخذت السلطات الطبية في بلد إثر بلد تصدر تعليمات محددة يعتمد عليها الأطباء في تشخيص موت الدماغ .

وحسبنا هنا الإشارة إلى الاعلان الصادر ١٩٧٦ عن المؤتمر المشترك للكليات الملكية للأطباء في المملكة المتحدة[١٤] فهو يعتبر تلخيصا وتنقيحا ومراجعة للدراسات التي سبقته، وقد أصبح بعد عام من صدوره تعليماتٍ قائمةً من السلطات الصحية في ا لمملكة المتحدة للأطباء العاملين بها ، وهي تحدد شروطا لا بد من توافرها لتشخيص موت الدماغ .منها على سبيل المثال :

١ ــ أن يكون المريض في حالة غيبوبة عميقة، وأن نستبعد أسباب الغيبوبة القابلة للعلاج كليا أو جزئيا مثل العقاقير المهدئة أو المنوّمة أو الانخفاض الشديد في حرارة الجسم . . . الخ .

٢ ــ أن يكون المريض معتمدا على أجهزة التنفس الصناعي ، لانعدام التنفس التلقائي .

٣ ـ ألا يكون هناك شك في وجود تلف في الدماغ غير قابل للعلاج (مثل إصابة بـالـرأس ، أو نـزيف تلقـائي بـالـدمـاغ ، أو بعـد عمليـة جـراحيـة في المخ . . . الخ) .

٤ ـ أن يثبت الفحص السريري علامات موت جذع الدماغ كاتساع إنسان العينين اتساعا ثابتا لا يتأثر بالضوء ، و انعدام التأثر الانعكاسي في منطقة الأعصاب القحفية وهكذا .

٥ ـ انعدام الاستجابة لمحاولات تنبيه التنفس التلقائي . . . . .

وليس هنـا مجال استقصاء هذه الشروط والعلامات ، ويسهل التماس ذلك في مظانّه ، وإنما أحببت أن أبين أنها علامات محددة اتضحت وتجمعت وتأكدت بعد دراسات ومراجعات امتدت على طول سنوات عديدة،وأصبح من الثابت أنه متى حدث موت جذع الدماغ ،فإن الأعضاء الأخرى ستتوقف عن العمل عضـوا إثر عضو مهما استمرت أجهزة التنفس الصناعي وغيرها من الأجهزة في العمل .

أما إذا أوقفت الأجهزة فإن القلب يتوقف بعدها مباشرة .

(وأنبه إلى أن جذع الدماغ قد يكون حيا في مرضى مصابين بغيبوبة أو بمرض يمنع الكلام ويمنع الحركة أو يمنع الإدراك أو يمنع الاستجابة لمحاولة الاتصال به الخ وهذه لا تندرج تحت تعبير موت جذع الدماغ بشروطه المحددة) .

مراجعة وتمحيص :ـ

والأطبـاء مثلهم مثل الفقهـاء لا يسلمون بالجديد، عـلى كثـرة البحـوث واستمرارها ، حتى يقتلوه بحثاوتمحيصا،وذلك ما اتبعوه مع قضيتنا هذه أي اعتبار موت جذع الدماغ موتاللمريض،ولما كان قرار تشخيص الموت يتبعه إيقاف الأجهزة

الصناعية ووقف أجهزة التنفس يتبعه توقف القلب ،فقد كان من الضروري تمحيص هذه القضية بصورة أخرى .

فأجريت دراسة استقصائية للحالات التي تم فيها تشخيص موت الدماغ، ولكن الأجهزة لم توقف لسبب من الأسباب،وقد زادت على سبعمائة حالة وقد ماتت الحالات جميعا رغم استمرار الأجهزة، هذا وقد توقف القلب فيها جميعا . بعد ساعات أو أيام من موت الدماغ ،وكان متوسط المدة ثلاثة أيام ونصف يوم إلى أربعة أيام ونصف يوم وأقصى مدة سجلت لاستمرار القلب في الدق هي أربعة عشر يوما(١٦) .

ثم أجريت دراسة أخرى من الزاوية المقابلة على أكثر من ألف حالة أدخلوا إلى المستشفيات في حالة غيبوبة عميقة إثر أصابة بالغة بالرأس وتمت معالجتهم ، وكانوا جميعا أحياء وقت إجراء الدراسة ، أي بعد ثلاثة أشهر من إصابتهم ، وقد روجعت البيانات المسجلة لكل منهم ، وذلك للإجابة على سؤال واحد محدّد « هل كان يمكن أن يشخص موت الدماغ في إحدى هذه الحالات»؟

فلم يجد الدارسون حالةواحدة من بين هذه الحالات استوفت شروط هذا التشخيص ، حتى في أسوأ مراحل الإصابة .(١٦)

وبتعبير آخر فإن الحالات السبعمائة التي تم فيها تشخيص موت الدماغ لم يعش أحد منها على الرغم من استمرار الأجهزة الصناعية في عملها .

والحالات الألف التي عاشت لم يكن من الممكن أن يشخص في إحداها موت ـ الدمـــاغ .

متى توقف الأجهزة :ـ

وبهذا يطمئن الطبيب عندما يشخص موت الدماغ إلى اتخـاذ قرار بـوقف

الأجهزة،وهو هنا لا يوقف علاجا ليسلم المريض إلى الموت،وإنما يوقف إجراءات لا طائل من ورائها في شخص قد مات بالفعل(١٧) .

وقد أوضح بعض الباحثين أننا لسنا بصدد مفهومين للموت: أحدهما توقف الدماغ والآخر توقف القلب والتنفس بل هما مجموعتان من الأدلة والظواهر تنتهيان إلى نهاية واحدة هي محل الاعتبار،وهي موت جذع الدماغ في كل الأحوال،إذ أن ذلك هو ما يحدث أيضا عند التوقف النهائي للقلب والتنفس خلال دقائق إن لم تكن ثوان(١٨) .

ولعل ما أسلفت يكفي للإجابة على السؤال الثاني من الأسئلة المطروحة وهو متى يوقف الطبيب أجهزة الإنعاش ؟

وكما أن المهنة الطبية لم تستقر على قبول موت جذع الدماغ كموت للإنسان إلا بعد معاناة ومخاض فكري ودراسي وتمحيصي ، فكذلك الطبيب الذي يتخذ القرار وينفذه لا يأتي ذلك بسهولة أو دون روية أو دون معاناة نفسية .

فالعاطفة الإنسانية غلابة بالرغم من الاقتناع العقلي وخاصة إذا كان القرار يصدر من الطبيب الذي يتولى العلاج المباشر للمريض ، وقد شهدت أكثر من مرة أطباء لاجدال في طول خبرتهم وعلو كفاءتهم ، وكأنهم لايستطيعون أن يتوقفوا عن محاولات الإنعاش ، بل يقاومون وقفها بالرغم من ثبوت الموت حتى يفيئوا بعد جهد إلى تذكير زملائهم وإلحاحهم .

زراعة الأعضاء :-

وينشأ بعد ذلك السؤال الثالث وهو عن زراعة الأعضاء .

وقد صدرت فتاوي تبيح نقل عضو من حي تبرع به لسواه بشروط .

من أهمها ضرورة ذلك للمستفيد وعدم هلاك المتبرع ، وسؤالنا هنا عن جواز

أخذ أعضاء من الموتى لزراعتها في الأحياء .

ونقول ابتداء إنه لا يوجد طبيب صحيح العقل فضلا عن طبيب مسلم يفكر في الإجهاز على مريض محتضر لنقل عضو من أعضائه إلى مريض آخر يوشك أن يموت، فللطبيب التزامه المهني بالمحافظة على الحياة الإنسانية ابتداء من لحظة الحمل حتى تحقق الموت، والمسلم يعرف قوله تعالى ﴿ وماكان لنفس أن تموت إلا بإذن الله ﴾[٢٩] ويستشعر حرمة الحياة الإنسانية في قوله تعالى ﴿ من قتل نفسا بغير نفس أو فسادٍ في الأرض فكأنما قتل الناس جميعا ﴾[٢١] . ويحدُوه في عمله الطبي قوله تعالى في نفس الآية ﴿ ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعا ﴾[٢١] وإحياء النفس بإنقاذها من هلكة يندرج تحته كل أنواع العلاج بما فيها زراعة الأعضاء .

وإذا كانت الفتاوي قد أجازت للحي أن يتبرع بعضو من أعضائه أثناء حياته فما يمنع أن يوصي - بالانتفاع - بهذا العضو بعد وفاته؟ وإذا لم يُوصِ هل يجوز ذلك من وليّه ؟ وهل يجوز أن يحل الحاكم أو المجتمع أو القانون مكان الولي إذا لم يكن الميت قد أوصى بالتبرع أو بعدم التبرع ؟

بعض الدول سنت قانونا يبيح أخذ الأعضاء من الميت ما لم يكن قد أوصى بغير ذلك ، وبعضها يمنع أخذ الأعضاء ما لم يكن الميت قد أوصى بالتبرع ، وبعضها يشترط فوق ذلك موافقة الولي على إنفاذ الوصية .

أين نحن كمسلمين من هذا الخضم ؟ هذا ماننتظر جوابه من الندوة الموقرة .

احتياط واستبراء :-

وسأكتفي هنا بذكر الاحتياطات التي تتخذها المهنة الطبية حتى تتأد من صحة القرار الصادر بأن المريض قد مات قبل أن يؤخذ أي عضو من أعضائه ومن ذلك[٢٢] :

١ ــ وجود تعليمات واضحة بشروط محددة يجب توافرها لتشخيص الموت وقد سبق توضيح ذلك .

٢ ــ اشتراك أكثر من طبيب ذي خبرة كافية في قرار تشخيص الموت .

٣ ــ في الحالات التي ينتظر أخذ أعضاء منها لا يكون أَحَدٌ من الأطباء المشار إليهم في الفقرة السابقة مرتبطا بالفريق الطبي الذي ينتظر الأعضاء لزراعتها .

٤ ــ أن تكون الشروط والإجراءات واحدة سواء كان الميت ستؤخذ منه أعضاء أو لا تؤخذ

« وليس صحيحا أن الأطباء قد يستعجلون وقف الأجهزة ، بهدف أخذ أعضاء للزراعة وهي في حالة أفضل،بل العكس هو الذي قد يحدث بمعنى أن المريض عندما يتأكد موته قد يؤجل وقف الأجهزة حتى يُتَاحَ لوليه أن يفكر في روية ويقرر في غير عجلة الموافقة على أخذ أعضاء إن شاء . »

الخلاصة :

وتلخيصا لما سبق أقول إننا تحدثنا عن تحديد الموت في غيبة النص الشرعي باجتهاد بشري(بشقيه الفقهي والطبي)وأن الموت عملية لها امتداد يطول أو يقصر، وأن حياة عضو أو مجموعة من الخلايا لا تعني بالضرورة حياة الإنسان نفسه،وأن تحديد الموت يتم عند توقف القلب والتنفس ، أو عند توقف جذع الدماغ في الحالات التي يستمر فيها التنفس بوسائل صناعية،وأن موت الدماغ له شروط وعلامات محددة استقرت المهنة الطبية عليها بعد سنوات من الدراسة والتمحيص. ويترتب على هذا التشخيص وقف الأجهزة،ثم تعرضت لجواز أخذ أعضاء من الميت وتساءلت عن موقفنا من بعض القوانين التي تنظم أخذ أعضاء الموتى في دول مختلفة .

ماذا عن الأحكام التي تترتب على الموت ؟

وأضيف جوابا على سؤال بعض الزملاء أننا هنا لم نتعرض لشيء من الأحكام الفقهية التي تترتب على الموت كإرث أو وصية أو قصاص . . . . فهي أحكام تترتب على الموت ، والذي نتحدث عنه هو الموت كيف نحدده ؟ ومتى صدر هذا القرار فالأحكام هي هي لم تتغير .

وأحسب الوقت المتاح لي لا يتسع للحديث عن حياة الجنين والمولود ،وحسبي أن أحيل إلى مداولات ندوة الإنجاب ،وإلى مداولات اللجنة التي شكلها ورأسها معالي وزير صحة الكويت ورئيس المنظمة ، والتي كان لي شرف عضويتها ، وقد أعدت المواد الخاصة بالإجهاض من قانون مزاولة المهن الطبية الذي أقره مجلس الأمة الكويتي بعد موافقة لجنة الفتوى عليه .

وأشكر للسادة الذين نظموا هذه الندوة إتاحتهم الفرصة لي كي أتشرف بالحديث إليكم وأشكركم جميعا على استماعكم .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ،،،

١ ــ الموسوعة الفقهية الجزء الثالث فقرة ١١٢ ص ٦٦ .

٢ ــ معجم الفقه الحنبلي جـ ١ ص ١٩٣ .

٣ ــ فقه السنة (سن سابق) ط ، جـ ٤ ص ٥٣

٤ ــ سورة البقرة/١٣٣ .

٥ ــ سورة البقرة / ١٨٠ .

٦ ــ سورة النساء / ١٨ .

٧ ــ مختصر صحيح مسلم ٤٥٣ .

٨ ــ رياض الصالحين للندوى باب التوبة .

٩ ــ مختصر صحيح مسلم ١٧٧٤ .

١٠ ــ BMJ 1968, 3, 493-494

١١ ــ Jennet, B 1981 B.J. Anaesth, 53, 1112

١٢ ــ المصدر السابق .

١٣ ــ Julius Korein, 1980, Anaesthesia & NeuroSurgery, 289-Mosby Co, Ed. James E. Gothell

١٤ ــ B.M.J. 1976, 2, 1187-1188.

١٥ ــ :Jinnet B, 1981 BJ. Anaesth., 53, 1112

(Julius Korein 1980 Anaesthesia & NeuroSurgery)

١٦ ــ Jennet B et aL 1981 BMJ, 282, 533-39

١٧ ــ Jennet B 1981 BJ Anaesth. 33, 1113

١٨ ــ Julius Korein 1980 Anaesthesia & NeuroSurgery

١٩ ــ سورة آل عمران / ١٤٥ .

٢٠ ، ٢١ ــ سورة المائدة / ٣٢ .

٢٢ ــ Jennet B, 1981 BJ Anaesth, 53, 117

(BMJ 1976, 2, 1188)

نهاية الحياة البشرية

للدكتور احمد شوقي ابراهيم

إن خلق الإنسان سر من أسرار الخلق . . ومن أسرار الفطرة التي فطر الله خلقه عليها . . وليست معرفة سر خلق الإنسان ميسورة لعلومنا التجريبية قط . . وبالتالي فإن فهمنا لبدء حياة الإنسان ونهايتها أكثر صعوبة على فهمنا وأبعد يسرا ومنالا .

ولا شك أن هذا الموضوع سيفتح باب الاجتهاد فيه على مصراعيه ، إلا أنه يجب أن يكون أي اجتهاد في الرأي ، مؤسسا على الحق المبين الذي جاء به الوحي الإلهي في القرآن والسنة . . . وينبغي قبل الحديث عن بداية الحياة البشرية ونهايتها أن نحاول التعرف على الإنسان الذي هو موضوع القضية .

فمن هو الإنسان ؟

قال الدكتور الكسيس كاريل المتوفي سنة ١٩٤٤م[١] « إن علوم التشريح والفسيولوجيا والكيمياء والنفس والاجتماع وغيرها من العلوم لم تعطنا نتائج قطعية في ميادينها عن ماهية الإنسان . وإن الإنسان الذي يعرفه العلماء ليس إلا إنسانا بعيدا جدا عن الإنسان الحقيقي،فالإنسان كائن مجهول لنفسه وسيظل جهلنا به إلى الأبد » .

---

(١) الإنسان ذلك المجهول للدكتور الكسيس كاريل .

وقال أيضا « إن معرفتنا بالإنسان لازالت معرفة بدائية » وقال دوكاس « إن الإنسان الحقيقي لا نعرف عنه شيئا » . ولقد سبق كل ذلـك في علم الله تبارك وتعالى . . . لذلك يتحدى البشـر ويرد الله عـز وجل عليهم في سـورة الإنسان بقوله : ﴿ إنا خلقنا الإنسان ﴾

والإنسـان كما علمنـا من الوحي الإلهي في القـرآن والسنة ، ليس جسـما فحسب ، بل هو نفس وروح أيضا . . وهنا اختلف العلماء في معرفة الإنسان . . . فالأطباء يعرفونه جسما وخلايا ، يتعرض للصحة والمرض . . وعلماء النفس يرونه شعورا ولا شعور . . . والجميع لا يدركون كنه النفس البشرية وأسرارها . . ولا يعلمون عن الروح إلا ما أخبرنا به القرآن والسنة من حق . .

ولما كانت بداية حياة الإنسان ونهايتها متعلقة تعلقا وثيقا ، بكل من الجسم والنفس والروح والعقل والقلب ، فينبغي على الباحث في هذا الموضوع أن يتعرف على كل هذه المكونات في الإنسان أولا،حتى يتمكن بعد ذلك من أن يفهم متى تبدأ حياة الإنسان ومتى تنتهي . ؟

فماذا عن حياة الجسم وموته ؟

خلق جسم الإنسان من طين هذه الأرض لأن كل مكونات الجسم موجودة في تراب هذه الأرض . . وجعله الله تعالى نطفة ثم علقة فمضغة فعظاما فلحما ، ثم نفخ فيه الروح وبذلك صار « خلقا آخر » كما قال ابن عباس والشعبي وأبو عاليه والضحاك[١] ثم بعد ذلك صار في الحياة الدنيا بشرا . .

وجسم الإنسان مكون من خلايا . وخلايا الجسم تموت وتحيا . . كل خلية لها أجل مسمى . . تموت بعده وتنتهي وتحل محلها خلايا جديدة[٢] . وذكر بعض

(١) تفسير القرطبي الجزء ١٢ ص ١٠٩ .

(٢) سنريهم آياتنا للدكتور أحمد شوقي ابراهيم .

الباحثين أن ١٢٥ مليون خلية تموت في جسم الإنسان كل دقيقة وتحل محلها خلايا جديدة . . وتتساقط الخلايا من الجسم كما تتساقط أوراق الشجر الميتة من أشجارها . . وأن الذرات التي تكون جسم أي إنسان منا غير موقوفة عليه . . فهي تأتي له من مصادر شتى . . . وبعد أن تغادر الجسم تذهب إلى مصادر شتى كذلك[١] .

فجسم الإنسان يموت ويحيا ثم يموت ويحيا في الحياة الدنيا ، وهو حي يرزق . . . إذن فسر الحياة غير متعلق بموت الجسم أو حياته[٢] . وهذه حقيقة ينبغي أن نلتفت إليها في بحثنا عن بدء حياة الإنسان ونهايتها .

ما هي النفس البشرية ومتى تحيا ومتى تموت ؟

ــ اختلف العلماء بشأنها . . . فهل هي كائن منفصل عن الجسم والروح ؟
ــ أم هي كائن نشأ من التقاء الروح بالجسد ؟

ونرجح أن النفس البشرية شيء غير الروح البشرية ، لأن الروح ذكرت في القرآن والسنة تنفخ في الجسد ، ولم تذكر النفس . . كذلك فالروح تأمر بالخير والشر . . . أما الروح فهو الخير الخالص لأنه من أمر الله . . فأوجب ذلك أن تكون النفس البشرية غير الروح البشرية على قد قدر ما نعلم .

وقال الإمام أبو حامد الغزالي المتوفي سنة ٥٠٥ هـ . عن النفس البشرية[٣] : « إن النفس هي الأصل الجامع للصفات المذمومة في الإنسان » وروى البيهقى عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : « أعدى

---

(١) العلوم الذرية الحديثة في التراث الإسلامي (لأحمد عبد الوهاب) .
(٢) الإسلام يتحدى : وحيد الدين خان .
(٣) إحياء علوم الدين الجزء ٣ ص ٤ للإمام أبي حامد الغزالي .

عدوك النفس التي بين جنبيك » .

وروى الإمام أحمد والترمذي عن فضالة بن عبيد أن رسول الله ﷺ قال : « المجاهد من جاهد نفسه » .

ونفس الإنسان هي سر الحياة فيه . . . وهي حقيقة الإنسان وذاته . والحيوان يعيش بنفس حيوانية . . . وقد يكون بالإنسان نفس حيوانية ونفس إنسانية كما سنبين فيما بعد . .

وتوصف النفس البشرية بأوصاف تختلف أحوالها[1] . فإذا زايلها الاضطراب بسبب معارضة الشهوات ، سميت « بالنفس المطمئنة » وإذا لامت صاحبها على تقصيره في عبادة الله ، سميت « بالنفس اللوامة » وإذا أذعنت لشهوات الجسم ، سميت « بالنفس الأمارة بالسوء » .

وذكرت النفس في القرآن في ٢٩٥ موضعا .

ـ والنفس متعلقة بالجسم وداخلة فيه ، كما وصفها الرسول ﷺ إذ قال : « النفس التي بين جنبيك » ولكنها ليست مادية . . . وإذا التقت بالجسم دبت فيه الحياة . . وإذا فارقته انتهت من الإنسان الحياة . . . كما قال تعالى ﴿ يأيتها النفس المطمئنة ارجعي إلى ربك راضية مرضية ﴾ .

والنفس هي التي تموت . . . وهي التي تقتل . . وليس الجسم . . . لأن الجسم يحيا ويموت وسر الحياة باق في الإنسان . . وقد يموت الجسم فيصبح غير صالح لوجود النفس والروح فيه . . إلا أن الموت هو موت النفس كما قال الله عز وجل في سورة الكهف : ﴿ قال أقتلت نفسا زكية بغير نفس ﴾ .

---

(١) إحياء علوم الدين للإمام أبي حامد الغزالي جزء ٣ ص ٤ .

وفي سورة آل عمران / ١٤٥ يقول عز وجل : ﴿ **وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله كتابا مؤجلا** ﴾ ويقول عز وجل في سورة العنكبوت / ٥٧ ﴿ **كل نفس ذائقة الموت** ﴾ والحيوان فيه حياة ففيه إذن نفس حيوانية . . . والإنسان حي في بطن أمه قبل نفخ الروح فيه ففيه نفس حيوانية أيضا . . أما بعد نفخ الروح فيه فإنه يصير خلقا آخر بشرا له نفس بشرية أو تأخذ نفسه الصفة البشرية .

فبدء حياة النفس بتكون النطفة ونهايتها بخروجها من الجسم ورجوعها إلى خالقها .

ما هي الروح البشرية ؟

جاء لفظ الروح في القرآن الكريم في عشرين موضعا وله مدلولات كثيرة :

جاء بمعنى جبريل كما في سورة مريم / ١٧ في قوله تعالى : ﴿ **فأرسلنا إليها روحنا فتمثل لها بشرا سويا** ﴾ .

وجاء بمعنى القرآن كما في سورة الشورى / ٥١ في قوله تعالى : ﴿ **وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا** ﴾ .

وجاء بمعنى الوحي الإلهي كما في سورة النحل / ٢ في قوله تعالى : ﴿ **ينزل الملائكة بالروح من أمره على من يشاء من عباده** ﴾ .

وجاء بمعنى الروح البشرية كما في سورة الحجر / ٢٩ في قوله تعالى : ﴿ **وإذ قال ربك للملائكة إني خالق بشرا من صلصال من حمأ مسنون فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين فسجد الملائكة كلهم أجمعون** ﴾ .

فالروح في أي معنى من معانيه هو من أمر الله عز وجل . . ولا يحيط بعلمه إلا الله تعالى،لذلك جاء لفظ الروح بصفة شاملة بمعنى الوحي وجبريل والروح

البشرية في سورة الإسراء / ٨٥ في قوله تعالى : ﴿ ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم إلا قليلا ﴾ .

وقال الإمام أبو حامد الغزالي : الروح هي اللطيفة العالمة المدركة في الإنسان وهو أمر رباني عجيب تعجز أكثر العقول والأفهام عن إدراك حقيقته[١] .

وقال الإمام الشعراني : (لم يبلغنا أن رسول الله ﷺ تكلم عن حقيقة الروح مع أنه سئل عنه فنمسك عن الحديث عنها أدبا) .

وقال الإمام الجنيد (إن الروح شيء استأثر الله تعالى بعلمه ولا يجوز لأحد البحث عنه أكثر من أنه موجود) .

ولا تخضع الروح للعلم التجريبي أبدا . . . ومن هنا فليس لها من مصدر للعلم من علوم البشر . . وليس له من مصدر وحيد إلا ما جاء بالوحي الإلهي في القرآن والسنة . . فينبغي إذن أن نأخذ من الوحي الإلهي العلم عن الروح بدون نقاش لأن علومنا التجريبية تعجز عن أن تكون طرفا في هذا النقاش .

ما هو قلب الإنسان ؟ . . . وهل لو توقف القلب عن النبض توقفت الحياة ؟

ليس القلب الذي ينبض في صدر الإنسان هو الذي جاء ذكره خاصة في القرآن والسنة . . . وإنما جاءت كلمة القلب لتعني الوعي والعقل وذكر الإمام الغزالي[١] أن القلب يطلق على معنيين :-

١ ـ أحدهما : العضو الذي يضخ الدم الموجود في الجانب الأيسر في الصدر ويتعلق به غرض الأطباء ولا يتعلق به الأغراض الدينية وهذا القلب موجود في

(١) إحياء علوم الدين : جزء ٣ ص ٤ .

البهائم . . بل هو موجود للميت . . . وهو قطعة لحم لا قدر فيه .

٢ ـ المعنى الثاني : هو لطيفة ربانية روحانية لها بهذا القلب الجسماني تعلق . . وتلك اللطيفة هي حقيقة الإنسان . والقلب هو المدرك العالم العارف من الإنسان وهو المخاطب والمطالب . . . وقد تحيرت عقول أكثر الخلق في إدراك وجه علاقته بالقلب الجسماني .

وأن تعلقه به يضاهي تعلق الأعراض بالأجسام ، والأوصاف بالموصوفات ، وأننا إذا أطلقنا لفظ القلب ، فإننا نعني به هذه اللطيفة الربانية . ويمكننا أن نذكر أوصافها وأحوالها . ولكننا لا نستطيع أن نذكر حقيقتها في ذاتها . . . ويمكن أن يكون القلب هو عقل الإنسان وفكره ، فلم تذكر كلمة العقل في القرآن وذكر القلب للدلالة عليه .

وذكر الصحاح أن كلمة « قلب » تعني العقل . . . كما قال الله تعالى في سورة ق ﴿ **إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد** ﴾ .

وجاء في تفسير القرطبي : لمن كان له قلب قال : لمن كان له عقل يتدبر به فكنى بالقلب عن العقل . . وقيل لمن كان له نفس مميزة ، فعبر عن النفس البشرية بالقلب .

وقال الفيروز بادي في القاموس المحيط : القلب هو الفؤاد والعقل ومحض كل شيء . . . كما في قوله تعالى ﴿ **في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا ولهم عذاب أليم بما كانوا يكذبون** ﴾ . أي من كانوا مرضى في عقولهم وأفكارهم وفي سورة الشعراء / ١٩٢ يقول الله عز وجل ﴿ **نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين** ﴾ . أي على وعيك وإدراكك وفكرك وعقلك .

وفي سورة الكهف : ٢٧ ﴿ **ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطا** ﴾ .

وفي سورة التغابن / ١٠ ﴿ ومن يؤمن بالله يهد قلبه والله بكل شيء عليم ﴾ .

وفي سورة آل عمران / ٧ : ﴿ ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب ﴾ .

وكما جاء ذكر القلب بمعنى العقل ، فقد جاء ذكر الصدر بمعنى النفس . . كما في سورة الأحزاب / ٣١ ﴿ إن اتقيتن فلا تخضعن بالقول فيطمع الذي في قلبه مرض ﴾ أي نفسيته مريضه .

وقوله تعالى في سورة الناس /٤ ﴿ الذي يوسوس في صدور الناس ﴾ أي في نفوس البشر .

وفي سورة يونس / ٥٦ ﴿ قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور ﴾ أي وشفاء لما في النفوس .

وفي سورة الحج / ٤٥ جاءت آية ذكرت القلب والصدر معا في قوله تعالى : ﴿ أفلم يسيروا في الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها فإنها لا تعمي الأبصار ولكن تعمي القلوب التي في الصدور ﴾ .
قلوب يعقلون بها : أي عقول إدراكات يعقلون بها .

ولكن تعمى القلوب التي في الصدور : أي العقول التي هي نفس الإنسان .
وقال مجاهد في شرح هذه الآية[1] إن لكل إنسان أربع أعين : عينان في رأسه لدنياه وعينان في قلبه لآخرته فإن عميت عينا رأسه وأبصرت عينا قلبه فلم يضره عماه شيئا ، وإن أبصرت عينا رأسه وعميت عينا قلبه فلم ينفعه نظره شيئا . . . وقال

---

(١) تفسير القرطبي الجزء ١٢ ص ٧٧ .

ابن عباس : لما نزل قوله تعالى ﴿ ومن كان في هذه أعمى فهو في الاخرة أعمى وأضل سبيلا ﴾ .

قال ابن أم مكتوم : يا رسول الله فأنا في الدنيا أعمى أفأكون في الآخرة أعمى ؟ فنزل قوله تعالى : ﴿ فإنها لا تعمي الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور ﴾ أي من كان في هذه أعمى بقلبه عن الإسلام فهو في الآخرة في النار .

فالقلوب التي في الصدور هي اللطيفة الواعية المدبرة في النفس البشرية وقال ابن كثير[1] في شرح هذه الآية : ليس العمي عمى البصيرة إن كانت القلوب الباصرة سليمة ، فإنها لا تنفذ إلى العبر ولا تدري ما الخبر.

وقال الزمخشري : في شرحه لهذه الآية الكريمة :[2] ﴿ لهم قلوب ﴾ أي لهم عقول يعقلون ما يجب أن يعقل من التوحيد ويسمعون ما يجب سماعه من الوحي ، والمعنى أن أبصارهم صحيحة سالمة لا عمى بها وإنما العمى في القلب استعارة ، فلما أريد إثبات ما هو خلاف المعتقد من نسبة العمي إلى القلوب ونفيه عن الأبصار ، احتاج هذا التصوير إلى زيادة تعيين ، وفضل تعريف ، ليتقرر أن مكان العمى هو القلوب لا الأبصار . . » .

وقوله تعالى : ﴿ القلوب التي في الصدور ﴾ زيادة في التوكيد على أن العمى ليس عمى الأبصار ولكنه عمي القلوب . وقد استعمل كلا اللفظين ، « القلوب » « الصدور » استعارة ، للدلالة على الوعي والإدراك في النفس البشرية ، وذكر البخاري أن رسول الله ﷺ قال : « لا يزال قلب الكبير شابا في اثنتين حب المال وطول الأمل » . . وواضح أن كلمة القلب هنا معناها الحس والإدراك .

وروي مسلم في صحيحه أن رسول الله ﷺ قال : « لا يدخل الجنة من كان قلبه مثقال ذرة من كبر » في قلبه أي في نفسه . .

(١) ابن كثير الجزء ٣ ص ٢٢٧ .

(٢) الجزء ٣ ص ١٧ .

وروى الإمام أحمد في مسنده عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال « القلوب أوعية بعضها أوعى من بعض فإن سألتم الله عز وجل أيها الناس فاسألوه وأنتم موقنون بالإجابة فإن الله لا يستجيب لعبد دعاه عن ظهر قلب غافل » . وواضح من الحديث أن القلب والقلوب هي الوعي والعقل والإدراك وليس القلب الذي يضخ الدم في الصدر .

وروى أبو داود عن أسامة بن زيد قال بعثنا رسول الله ﷺ سرية إلى الحرمات فنذروا بنا فهربوا فأدركنا رجلا فلما غشيناه قال : (لا إله إلا الله) فضربناه حتى قتلناه فذكرته للنبي ﷺ فقال : « من لك بلا إله إلا الله يوم القيامه . فقلت يا رسول الله إنما قالها مخافة السلاح فقال ﷺ : « أفلا شققت عن قلبه حتى تعلم من أجل ذلك قالها أم لا . . . من لك بلا إله إلا الله يوم القيامة وما زال يقولها حتى وددت أني لم أسلم إلا يومئذ » .

نفهم من ذلك أن القلب الذي ذكر بالقرآن والسنة ، هو الوعي والإدراك والفكر والعقل . . . وأن القلب إذا توقف عن النبض فلا يعني هذا انتهاء العقل أو الإدراك . . أو انتهاء الحياة . . . فقد يتوقف القلب عن النبض فترة والإنسان حي يرزق ، ثم يعود إلى النبض مرة أخرى . بأي صنف من صنوف العلاج . . وأما انتهاء الحياة الإنسانية فهو موت المخ نفسه موتا نهائيا . . . لأن المخ هو آلة الوعي والعقل والفكر والإدراك . . فإذا ما انتهى من الإنسان كل ذلك فلم يعد إنسانا . . وإن عاش بعد ذلك بقلب ينبض ونفس يدخل ويخرج . . سواء من تلقاء نفسه أو تحت تنفس فإنه يعيش حياة حيوانية . . وليس حياة بشرية . .

الإنسان يتميز على غيره من المخلوقات بحمل الأمانة .

كما قال تعالى : ﴿ إنا عرضنا الأمانة على السماوات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان إنه كان ظلوما جهولا ﴾ .

وقال الفخر الرازي : الأمانة هي التكليف وهي الأمر بخلاف ما في الطبيعة أما السماوات والأرض والجبال فهي على ما خلقت عليه .

والعقل هو محل تلقي التكليف . . والمخ هو مورد العقل . ومن هنا فإذا تعطل المخ أو ماتت خلاياه سقط عن الإنسان التكليف وأصبح هو والحيوان سواء . . وبذلك تسقط عنه الصفة البشرية .

وهكذا نجد أن العقل والقلب والأمانة والفؤاد كل هذه الطاقات البشرية تتصل اتصالا وثيقا بالمخ . . . فإذا مات المخ انتهت كل هذه الطاقات ولم يعد بالجسم إلا حياة حيوانية ولم يعد إنسانا ولم يعد بشرا .

ونأخذ من هذا دليلا على أن نهاية الحياة الإنسانية هي بموت المخ ولو ظل القلب ينبض،ولو ظل التنفس يعمل ولو ظلت باقي خلايا الجسم تدب فيها الحياة .

علاقة الجسم بالنفس والروح :

الجسم إطار مادي عارض . . والجسم والنفس كمصباح معد تماما للإضاءة ولكنه لا يضيء بذاته حتى تنفخ فيه الروح فحينئذ يشرق ويضيء وتكتمل وظائفه .

وليس علاقة الجسم بالروح في اليقظة مثل علاقته أثناء النوم . . فأثناء اليقظة تكون العلاقة كاملة . . أما أثناء النوم فتضعف الرابطة بين الجسد والروح والنفس البشرية . .

فالروح هو الوعي والإدراك والنفس البشرية هي شخصية الإنسان وفهمه وفكره وهو سر الحياة فيه . .

نقرأ في سورة الزمر / ٤١ يقول الله عز وجل : ﴿ الله يتوفى الأنفس حين

موتها والتي لم تمت في منامها فيمسك التي قضى عليها الموت ويرسل الأخرى إلى أجل مسمى إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون ﴾ .

فالله يقبض الأنفس حين موتها . . وحين نوم الجسم . فأما الذي قضى عليها الموت فيمسكها عنده ولا يردها لجسدها . . والتي لم يقضه عليها فيرسلها إلى جسدها إلى أجل مسمى .

كما قال تعالى : ﴿ وهو الذي يتوفاكم بالليل ﴾ .

فالنائم ليس ميتا حقيقة فهو حي . . . ولكنها الوفاة الصغرى لأن الجسم أثناء النوم يكون حيا،ولكن الوعي والإدراك اختفيا عن الجسم بابتعاد النفس البشرية والروح عنه .

ونقرأ في السنة من دعاء رسول الله ﷺ عند نومه كان يقول :
(باسمك اللهم وضعت جنبي وبك أرفعه إن أمسكت نفسي فارحمها وإن أرسلتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين) .

وقال ابن عباس في تفسيره لآية سورة الزمر : (إن أرواح الأحياء والأموات تلتقي في المنام فتتعارف ما شاء الله منها فإذا أراد جميعها الرجوع إلى الأجساد أمسك الله أرواح الموتى عنده وأرسل أرواح الأحياء إلى أجسادها) .

وقال سعيد بن جبير : إن الله يقبض أرواح الأموات إذا ماتوا وأرواح الأحياء إذا ناموا فتتعارف ما شاء الله أن تتعارف فيمسك التي قضى عليها الموت ويرسل الأخرى أي يعيدها .

وقال النبي ﷺ : (كما تنامون فكذلك تموتون . وكما توقظون فكذلك تخرجون)

وروى القرطبي عن ابن عباس أنه قال : « في ابن آدم نفس وروح بينهما مثل

شعاع الشمس فالنفس هي العقل والتمييز والروح هي التي بها النفس والتحريك فإذا نام العبد قبض الله نفسه ولم يقبض روحه » .

وقال القشيري : (المفهوم من الآية أن النفس المقبوضة في الحالين واحدة واختلف الناس في هذه الآية في النفس والروح وهل هما شيء واحد أم شيئان ؟ والأظهر أنهما شيء واحد) .

وروى البخاري ومسلم عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : « إذا أوى أحدكم إلى فراشه فليضطجع على شقه الأيمن وليقل : « سبحانك ربي باسمك وضعت جنبي وبك أرفعه إن أمسكت نفسي فاغفر لها وإن أرسلتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين » .

وكان النبي ﷺ يقول عندما يستيقظ من نومه : « الحمد لله الذي أحيانا بعد أن أماتنا وإليه النشور لله الذي رد إلى روحي وعافاني في جسدي وأذن لي بذكره » .

وقال الزمخشري في تفسير آية الزمر :

أي يتوفى الله الأنفس حين تنام تشبيها للنائمين بالموتى حيث لا يميزون ولا يتصرفون ، كما أن الموتى كذلك ، فيمسك الأنفس التي قضى عليها الموت الحقيقي أي لا يردها . . ويرسل الأخرى النائمة إلى جسدها إلى أجل مسمى . . وقالوا إن التي تتوفى في النوم هي نفس التمييز لا نفس الحياة ، لأن نفس الحياة إذا زالت زال معها النفس والنائم يتنفس .

وقال ابن كثير : إن الله يتوفى الأنفس الوفاة الكبرى بما يرسل الحفظة الذين يقبضونها من الأبدان . والوفاة الصغرى عند المنام « وهو الذي يتوفاكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهار ثم يبعثكم فيه ليقضي أجل مسمى ثم إليه مرجعكم ثم ينبئكم بما كنتم تعملون وهو القاهر فوق عباده ويرسل عليكم حفظة حتى إذا جاء

أحدكم الموت توفته رسلنا وهم لا يفرطون » . فذكر الوفاة الصغرى ثم الوفاة الكبرى .

نفهم من ذلك أنه في حالة انتهاء الحياة البشرية تقبض الروح وترجع النفس إلى بارئها . . وقد سبق أن علمنا أن النفس والروح هما الوعي والإدراك والعقل والفكر . . وكل ذلك متصل بالمخ . . أو أن المخ هو رافدها الوحيد . . . إذن فإن نهاية الحياة هي موت المخ . . وليس توقف القلب أو التنفس . . لأن توقفهما معا أو توقف أحدهما لا يعني بالضرورة موت المخ وبالتالي لا يعني نهاية الحياة .

إن رجوع النفس إلى بارئها وقبض الروح من الغيبيات التي لا تخضع للعلم التجريبي . . وبالتالي فإن الوحي الإلهي في القرآن والسنة هو المصدر الوحيد للعلم فيها .

أما الذي يخضع للعلم التجريبي ، فهو مظهر ذلك في الجسم ، وهو موت المخ . فإذا ثبت موت المخ ثبتت نهاية الحياة البشرية . . ولو كان الصدر يتنفس والقلب ينبض تحت جهاز تنفس مثلا ، فالجسم حي تحت الجهاز . . ولكنها حياة حيوانية . . وليست بشرية قطعا . .

وكما سبق أن تحدثنا عن القلب والصدر ، فهما يعنيان العقل والفكر والنفس البشرية . . وليس القلب والصدر كأعضاء في جسم الإنسان ،فليس مرض القلب أو الصدر أو أي عضو بالجسم هو السبب المباشر لنهاية حياة الإنسان . . . ولكنه يكون سببا غير مباشر لأن السبب الوحيد لنهاية الحياة هو موت المخ . . سواء بمرض في المخ نفسه أو بمرض في أي عضو آخر بالجسم أدى إلى موت المخ .

ما هي علامات موت المخ ؟

ليس لدينا من العلم في ذلك إلا رسم المخ الكهربائي . . . وهو قطعي في

معظم الحالات . . ولا يكون كذلك في بعض الحالات . . . كحـالات التسمم بالأدوية المنومة مثلا . .

ويهمنا هنا تعيين وقت نهاية حياة الإنسان لأهمية ذلك في شئون المعاملات مثل الإرث وغيره . . . ويمكننا الجزم بأن نهاية الإنسان هو عندما يموت مخه . ولو كان القلب ينبض ولو كانت الرئتان تتنفسان . . فلو تأكد الطبيب أن المخ قد مات والمريض يتنفس وقلبه تحت جهاز . . . فلا حرج عليه في أن يقرر أن هذا الإنسان قد مات . .

متى تنتهي الحياة

للدكتور حسان حتحوت

منذ كان الإنسان عرف الحياة وعرف الموت . . ودفن موتاه ولا يزال يستوى في ذلك إنسان القرون الأولى وإنسان القرن العشرين . . . ومجتمع لا يعرف القراءة ولا الكتابة وآخر يعيش آخر صيحات العلم الطبي وغير الطبي . وما عرف الإنسان الحيرة ولا التردد وهو يقرر أن فلا ناقد مات ، ولا شغل فكره أو فتح على نفسه باب القلق بأن يجابه نفسه سائلا ماذا يعني الموت بالضبط وما هي على وجه الدقة والتحديد اللحظة من الزمن التي يقال عندها إن العمر انتهى ووقعت الوفاة؟

وواضح أن موت الإنسان في جملته لا يعني موت أعضائه أو أنسجته أو خلاياه كلا على حدة . . . فهناك فترة زمنية بعد إعلان الوفاة لو أخذت خلالها عضلة منه ونبهتها بالكهرباء لانقبضت ، ولو أخذت جزءا من خلاياه فاستزرعتها في سائل مغذ مناسب لتكاثرت ، بل لو أخذت قلبه أو كليته ووصلتها بالدورة ـ الدموية في شخص آخر لاستمرا في الحياة مظهرا ووظيفة بكل ما تعنيه الحياة . . ويمر وقت بين وفاة الإنسان ككل وبين دبيب الموت إلى أجزائه المتفرقة ثم إلى خلاياه في كل أجزائه .

وقد كان تعامل البشر مع الموت ولا يزال قائما على اعتبار أن الموت هو انتهاء حياة الفرد في إجمالها، وليس انتظار تطرق الموت إلى آخر خلية من خلاياه . فلما تقدم العلم الطبي حتى وصل إلى إمكان نقل عضو من إنسان لإنسان ، كان من الطبيعي بالنسبة لتلك الأعضاء التي لا غنى لحياة الإنسان عنها كالقلب مثلا ، أن يثور

السؤال الحتمي المنطقي : إن فلانا من الناس قد مات لتوه ولكن قلبه أو كبده ، أو رئتيه لم تمت بعد ، فماذا لو شققنا عنها فاستخلصناها لتزرع في مريض لا أمل له في الحياة إلا إن استبدل بعضوه التالف عضو صحيح ؟ وهو سؤال أجاب عنه الإسلام بالإيجاب . بحكم أن الضرورات تبيح المحظورات فالضرورة في إنقاذ الحي تبيح المحظور في جرح الميت وأخذ عضو منه . وبحكم أنه حيثما كانت المصلحة فثم شرع الله والمصلحة في إبراء المريض المشرف على الهلاك جلية واضحة ، وقد صدرت بذلك ـ الفتاوي كتلك التي أصدرتها لجنة الفتوى بوزارة الأوقاف بالكويت في ١٩٧٩/١٢/٣١ مفصلة تفصيلا .

ثم تسلسل الأمر إلى تلك المواقف التي لم تعلن فيها وفاة الإنسان بعد ، لأنه مازال محتفظا بأمارات تعارف الناس على أنها من أمارات الحياة كنبضة القلب وتردد الأنفاس شهيقا وزفيرا ،في حالات معلوم فيها أن هذه الإمارات ليست ذاتية ولا تلقائية ، ولكنها ترتكز على وصل الجسم بوسائل الإنعاش الصناعية، وما دامت دورة الدم والتنفس قائمتين ففي وسع سائر أعضاء الجسم أن تستوعب نصيبا من الغذاء والأكسجين يبقى عليها حياتها فلا يدب إليها الموت . . . ويمضي زمان يطول أو يقصر حتى تفشل وسائل الإنعاش الصناعية فتنطفيء الحياة تماما .

نقول هذه حالات لم تعلن فيها وفاة الإنسان بعد . . . فلماذا استعملنا هذا التعبير ولم نقل إنهم أحياء؟

ذلك أن العلم الطبي قد اهتدى إلى أن العبرة في الموت ليست أساسا بتوقف القلب والتنفس . . . ولكنها تتوقف أولا وآخرا على موت المخ . . الذي يستبين بتوقف النشاط الكهربائي للمخ تماما وهو ما يمكن قياسه بجهاز خاص . فإذا غاضت كهرباء المخ تماما ، فهو مخ ميت ويكون باقي الجسم قد دخل في نطاق الموت إلى مرحلة اللاعودة ، ومهما احتفظ الإنعاش الصناعي بالتنفس ودورة الدم

فمحال أن يعود المريض إلى الحياة أبدا .

موت المخ إذن هو معنى الموت عند الأطباء . . . واللحظة التي يخمد فيها المخ تماما كهربائيا هي لحظة حدوث الوفاة علميا،ووسائل الإنعاش الصناعي تصون الجسم أو فلنقل الجثة في نطاق الحياة فترة ما فلا تتحلل ولا تتفتت ولكنها فترة إلى انتهاء .

ونشأ عن هذا في العالم الطبي موقفان :

الأول : مادام الكشاف الكهربائي للمخ قد أعلن وفاة المخ . . . بصدق وإخلاص وعدم تزييف،فقد أصبح الأطباء في حل من نزع أحد أعضاء الميت الحيوية كالقلب مثلا لزرعه لمريض تالف القلب مشرف على الهلاك ولا أمل له إلا قلب بديل صحيح ،وتستغل وسائل الإنعاش الصناعي في حفظ هذا القلب حيا في جثة صاحبه،ريثما يتم الإعداد للعملية واستدعاء المريض وتحضيره للجراحة،وهي إجراءات تستغرق بعض الوقت ، ولولا تلك الوسائل الصناعية لخاس القلب وبدأت فيه تحللات الموت وفقد صلاحيته للزرع ،ولما يتم تجهيز المريض المنقول إليه بعد .

الثاني : أنه ما دام المخ قد مات فهذه هي الوفاة فعلا ويكون الإصرار على الإستمرار في الإنعاش الصناعي مالم يكن مؤقتا وهادفا إلى استخلاص لعضو لزرعه في مريض من الناحية الفعلية إطالة لعملية الموت وليس حفاظا على الحياة وإرهاقا لأعصاب الأهل في غير طائل،وإسرافا في استعمال وسائل الإنعاش الصناعي،وهي باهظة الكلفة شحيحة التعداد،وحرمانا منها لمريض آخر قد يكون في حاجة إليها ولم يزل مخه حيا فله الفرصة إذن في شفاء حقيقي وحياة سوية .

فهل للطبيب إذن أن يمد يده إثر موت المخ فيفصل الكهرباء عن جهاز الإنعاش ويرفعه عن جسم المريض حتى ولو كان نابض القلب متردد الأنفاس ،

فإن فعل توقف التنفس وتوقف القلب عاجلا أو آجلا وعجل الغسل والدفن .

كلا الموقفين بطبيعة الحال رهن بموافقة الأهل أو وصية المتوفي، أما الموقف الأول فمن أمثلته أول عملية زرع قلب ناجحة وكان إجراؤها في جنوب افريقيا على يد الجراح كريستيان برنارد . أسرة زنجية شابه تسثروح في نهاية الأسبوع بلعب الكرة في الحديقة وفجأة يسقط الزوج الشاب ، ويحمل للمستشفى، ويكون التشخيص نزفا في المخ لا يجدي العلاج ويموت المخ ومازال قلبه الفتى ينبض بفعل الإنعاش الصناعي ، وهناك طبيب أسنان يهودي على شفا الهلاك من هبوط قلبه ويشرح الطبيب الموقف للزوجة الشابة وللأم فتوافقان على أخذ القلب ليزرع في طبيب الأسنان فيعيش به . . . تصرف نبيل وحاسم في موقف عصيب وقاس . . وقلب شاب زنجي لرجل أبيض في جنوب أفريقيا التي لا تقدم للزنوج إلا كل ما يثير الحقد ويبعث على المرارة .

وبقى أن ننظر بشيء من التفصيل إلى مسألة مد اليد لإيقاف أجهزة الإنعاش في المريض الذي انطفأ مخه ، ومازال قلبه يدق ومازال يتنفس ومازال جسمه يتغذى ويفرز .

والخلاف حول هذه النقطة في العالم الطبي ليس خلافا علميا، فالموت العلمي هو موت المخ رغم أن باقي الجسم لم يزل حيا .

فريق يبنى تصرفه على هذه الحقيقة العلمية ويقول أمد يدي لإطفاء الجهاز ، والفريق الآخر يرى أن الأفعال والتصرفات لا تحكمها الحقائق العلمية ولكن تحكمها القوانين الوضعية أو الأحكام الشرعية .

وفي الشريعة والقانون تعتبر دقة القلب وتردد الأنفاس واستيعاب الغذاء وإفراز العصارات والفضلات بالتأكيد من دلائل الحياة، فإن مد الطبيب يده وبحركة واحدة أطفأ كل ذلك فهل اعتدى على الحياة ؟ فيقع بذلك تحت طائلة المساءلة أو

العقوبة بالدية أو القصاص ؟

وليس هذا كل ما في الأمر فلو اعتبرنا لحظة الموت هي لحظة موت المخ وإن بقي الشخص من بعدها نابض القلب متنفسا متغذيا مفرزا من بعد ذلك شهرا أو شهرين ثم مات من بعد ودفن .

فمن أي التاريخين تكتب شهادة الوفاة . . .
ومن أي التاريخين تبدأ عدة زوجته التي توفى عنها ؟

وأي التاريخين يحتسب أساسا للمواريث ؟ وهل يحجب إخوته أبناءه إن مات أبوه فيما بين التاريخين ؟ لأنه مات (بمخه) قبل موت أبيه ، أو يرث ثم يرثه أبناؤه لأنه كان حيا بدليل النبض والتنفس حال موت أبيه ؟

هذه وغيرها أمور تدل على أن في الموضوع أكثر مما يظهر للنظرة السطحية العجلى أو الطبية المجردة .

ولابد أولا من أن يضع الأطباء هذه الحقائق أمام رجال التشريع ،فإن استقر الرأي على أن الموت موت المخ وأن الوفاة تبدأ من لحظته فمن الطبيعي إذن أن يقنن هذا ويدخل إلى أحكام المساءلة وأحكام عدة المتوفي عنها زوجها وأحكام المواريث .

وليس من الصالح أن يظل الأطباء في عزلة عن القوانين ،أو تظل القوانين في غفلة أو في إغماض على هذا المجال الهام من مصالح الناس .

ونوقن أن شريعة الإسلام لا تضيق عن استيعاب المحدثات والتقنين للجدائد والوفاء بالمصالح وحيثما كانت المصلحة فثم شرع الله .

القلب وعلاقته بالحياة

مدخل في مناقشة « متى تنتهي الحياة »

للدكتور أحمد القاضي

مستوصف أكبر ، باناما سيتي ، فلوريدا

التعريف اللغوي لكلمة القلب وما يتعلق بها :

القلب : الفؤاد العقل ، اللب (مختار الصحاح)

ـ عضو عضلي أجوف يستقبل الدم من الأوردة ويدفعه في الشرايين في الجهة اليسرى من التجويف الصدري ، وسط الشيء ولبه ومحضه (المعجم الوسيط) .

ـ مضغة من الفؤاد معلقة بالنياط ، الفؤاد ، العقل ، اللب ، خالص الشيء ومحضه (لسان العرب) .

اللب : العقل (مختار الصحاح)

ـ خالص الشيء وخياره ، العقل (المعجم الوسيط)

ـ خالص الشيء وخياره ، العقل ، نفس الشيء وحقيقته (لسان العرب)

الصدر : أول الشيء (مختار الصحاح)

ـ مقدم كل شيء ، الطائفة من الشيء ، الرئيس ، الجزء الممتد من

أسفل العنق إلى فضاء الجوف (المعجم الصحيح) .

ـ أعلى مقدم كل شيء وأوله ، كل ما واجهك من الشيء وما أشرف من أعلاه الطائفة من الشيء (لسان العرب) .

النتيجة المبنية على التعريف اللغوى :

القلب نوعان : قلب عضوي وقلب معنوي

المواصفات التشريحية والوظائفية للقلب العضوى :

هو عضو عضلي في حجم قبضة يد صاحبه متصل بالشرايين والأوردة الرئيسية ،ومتواجد في وسط القفص الصدري من الجسد الإنساني (أو الحيواني). ومهمته الرئيسية ضخ الدم وتسييره عبر الدورة الدموية، وكأي عضو آخر في الجسد له شرايينه الخاصة التي تغذيه بالدم النقي وله أعصابه التي تؤثر فيه،وهي فروع من شبكة الاتصالات العصبية العامة. ولو أن القلب له محركه الكهربائي الذاتي إلا أنه يتأثر بالحالة العامة لجسد صاحبه عن طريق الفروع العصبية التي تصله بالشبكة العصبية العامة للجسد كله .

المواصفات التشريحية والوظائفية للقلب المعنوى :

هو لب الإنسان وجوهره ، وتجتمع فيه الصفات التي نعرفها عن العقل والشخصية والنفس كلها مجتمعة ، ونعتقد أن هذا هو القلب الذي يعنيه القرآن حين يذكر القلب أو الفؤاد (انظر الدليل فيما بعد) ، وهو الذي يتم به الشعور والتفكير والإدراك ، وهو ليس قاصراً على المخ وإنما هو وحدة مركبة من المخ ،وما يرتبط به من شبكة اتصالات عصبية تربط بينه وبين الحواس المختلفة ، وما يدور في هذه الشبكة من تحصيلات واتصالات وردود فعل ، وما يتخزن في هذه الشبكة من

معلومات مدركة وغير مدركة ، كل هذا المذكور أعلاه يكوّن القلب المعنـوي أو الفؤاد الذي يتحدث عنه القرآن .

والقلب المعنوي له قوام عضوي وقوام معنوي ، والقوام العضوي للقلب المعنوي في الجسد هو المخ وما يتصل به من شبكة اتصالات عصبية ، أما القوام المعنوي للقلب المعنوي فهو مجموع الأحاسيس والمشاعر والمعرفة المكتسبة وما يترتب عليها من عاطفـة وفكر وإدراك . ولتقـريب المفهوم يمكن تشبيـه القلب المعنوي بالحاسب الكهربي (الكمبيوتر) وما يتضـمنه من جزء آلي وجزء برمجي معنوي ، وهذا التشبيه لتقـريب المفهوم فقط ، لأن خلق الخـالق ليس له شبيـه من صنع المخلوق .

القلب القرآني هو القلب المعنوى والدليل على ذلك :

١ ــ كلمة « القلب » في اللغة تحتمل المعنيين: المعنى الحرفي المباشر وهو القلب العضوي في القفص الصدري ، والقلب المعنـوي بمعنى اللب والجوهـر ، ولتحديد الاختيار بين المعنيين وأيهما يناسب ما سماه القرآن بالقلب أو الفؤاد علينا مراجعة المواصفات التي أعطاها القرآن للقلب والفؤاد ،ومحاولة مطابقتها على مواصفات كل من القلب المعنوى والعضوي ،وأيهما يتفق مع المواصفات القرآنية يكون هو المقصود .

٢ ــ صفات القلب أو الفؤاد كما ذكرها القرآن تشمل التالي :

أ ــ القلب القرآني يبصر (فإنها لا تعمي الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور) [1] وهذه الصفة لا تتوفر في القلب العضوي وإنما تتوفر في القلب المعنوي .

---

(١) ٢٢/٤٦

ب ـ القلب القرآني يسمع (ونطبع على قلوبهم فهم لا يسمعون)[١]، وهذه الصفة لا تتوفر في القلب العضوي وإنما تتوفر في القلب المعنوي .

جـ ـ القلب القرآني يفقه (فطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون)[٢] و (جعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه)[٣] وهذه الصفة لا تتوفر في القلب العضوي وإنما تتوفر في القلب المعنوي .

د ـ القلب القرآني يحس ويشعر بالوجل والرعب والريبة والاطمئنان والخشوع وغيرها من الأحاسيس والمشاعر (إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم)[٤] و (وقذف في قلوبهم الرعب)[٥] و (وارتابت قلوبهم فهم في ريبهم يترددون)[٦] و (ألا بذكر الله تطمئن القلوب)[٧] و (ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله)[٨]، وكل هذه الصفات لا تتوفر في القلب العضوي وإنما تتوفر في القلب المعنوي .

هـ ـ القلب القرآني يمرض (في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا)[٩] ، وهذه الصفة متوفرة في كل من القلب العضوي والمعنوي .

٣ ـ استعمل القرآن عبارتين لتحديد مكان القلب في الجسد ، إحداهما « الجوف » (ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه) وهي كلمة تدل على داخل الجسد بدون تحديد جزء معين منه ، وبالتالي تتناسب مع كل من القلب العضوي والمعنوي والثانية « الصدر » (فإنها لا تعمي الأبصار ولكن تعمي القلوب التي في الصدور) وهي كلمة تدل على معنيين : إما الجزء الأعلى من الجسد ويحيط به القفص الصدري ويحتوي على القلب العضوي والرئتين والمريء وبعض الملحقات الأخرى ، أو المعنى الآخر للصدر وهو المكان أو التجويف الرئيسي أو الأساسي أو الأعلى في الجسد أو في مقدمته (انظر التعريف اللغوي) ، وإذا أخذنا بالمعنى الأخير فهو ينطبق على كل من القلب العضوي والمعنوي .

---

(١) ٧/١٠٠ (٣) ١٧/٤٦ (٥) ٣٣/٢٦ (٧) ١٣/٢٨ (٩) ٢/١٠
(٢) ٦٣/٣ (٤) ٨/٢ (٦) ٩/٤٥ (٨) ٥٧/١٧

وعلى ذلك فالعبارة القرآنية بخصوص مكان القلب ليس لها دور في تحديد الاختيار بين أي من المعنيين للقلب القرآني .

شرح تعبير « موت القلب » أو « موت المخ » :

ـ موت القلب هو توقف القلب عن العمل تماماً ، وكذلك عدم قابليته للحياة .
ـ موت المخ هو توقف المخ عن العمل تماماً ، وكذلك عدم قابليته للحياة .

شرح تعبير « قابلية القلب للحياة » أو « قابلية المخ للحياة » :

يمكن أن يتوقف عضو ما عن العمل تماماً ولكنه يتمكن من العودة إلى العمل إذا تغيرت ظروف معينة ، وفي هذه الحالة يمكن القول بأن العضو مازال قابلاً للحياة ، أو حيا ولكنه متوقف عن العمل . أما إذا توقف العضو عن العمل وأصابه تلف غير رجعي لسبب من الأسباب ففي هذه الحالة تنتفي قابليته للحياة ويصير ميتا .

ولتوضيح المذكور أعلاه نستعرض أمثلة عملية للقلب والمخ :

فالقلب يمكنه أن يتوقف عن العمل تماماً بسبب قطع الأكسجين عنه ، أو قطع وصول الدم الذي يحمل الأكسجين إليه ، إما تلقائياً بسبب المرض أو بواسطة الجراح أثناء عمليات القلب المفتوح ، وإذا حدث ذلك وحرارة القلب طبيعية (أي بدون تبريد) فإن القلب يبقى حيا أو قابلاً للحياة لمدة تتروواح بين ٢٠ إلى ٣٠ دقيقة بدون تلف كبير ، وإذا عاد الأكسجين إلى القلب خلال هذه المدة (بعودة الدورة الدموية التاجية) يعود القلب إلى العمل كما كان . وإذا زادت فترة قطع الأكسجين يزداد التلف تدريجياً حتى إذا وصلت المدة إلى ٩٠ ـ ١٠٠ دقيقة (أو أقل) يفقد القلب قابليته للحياة ، أي أنه لا يمكن إعادته للعمل حتى ولو عادت الدورة الدموية إلى الشرايين التاجية .

أما لو انقطع وصول الأكسجين إلى القلب وحرارته منخفضة بسبب تبريده إلى درجة معينة من البرودة ، فيمكن للقلب حينئذ أن يتحمل قطع الأكسجين عنه ساعات بدون تلف وبدون أن يفقد قابليته للحياة ، ويمكن أن يعود إلى العمل بعد

ساعات من التوقف حين تعود الدورة الدموية إلى شرايينه التاجية وترفع حرارته إلى الدرجة الطبيعية .

وبالنسبة للمخ فتوجد ظروف مشابهة لما ذكر عن القلب إلا أن المخ يفقد قابليته إذا انقطع عنه الأكسجين لمدة دقائق معدودة (٣ ـ ٥ دقائق) وحرارته طبيعية (أي بدون تبريد) ويمكن إطالة فترة تحمل انقطاع الأكسجين إلى ساعات إذا تم تبريد المخ إلى درجة معينة من البرودة أو شبع بكمية معينة من العقاقير الحافظة . وفي هذه الحالة يمكن للمخ أن يعود للعمل بعد عدة ساعات من التوقف إذا عادت إليه الدورة الدموية الحاملة للأكسجين ورفعت درجة حرارته إلى الدرجة الطبيعية .

تأثير موت القلب العضوى على حياة صاحبه :

يمكن أن يتوقف القلب العضوي عن العمل تماماً بصفة مؤقتة أو بصفة دائمة، وتستمر حياة صاحبه بجسده وفكره وعاطفته وحواسه وإدراكه وكل مقومات شخصيته ، مادامت هناك مضخة بديلة تضخ الدم وتسيره عبر الدورة الدموية ، وهذه المضخة يمكن أن تكون قلباً عضوياً آخر من إنسان أو حيوان ، أو تكون المضخة آلية بصفة تامة .

وتوقف القلب العضوي عن العمل يكون تلقائيا بسبب حالة مرضية مثل انسداد الشرايين التاجية المغذية للقلب ، وما يعقب ذلك من انقطاع الأكسجين عن القلب ، أو انقطاع الموصلات الكهربائية داخل القلب ، أو انخفاض أو ارتفاع الضغط داخل القلب خارج نطاق معين ، أو غير ذلك من الحالات المرضية للقلب أو أن يكون توقف القلب العضوي عن العمل مفتعلاً بواسطة الطبيب المعالج مثل حالة القلب أثناء جراحات القلب المفتوح حيث يوقف الجراح القلب بوسائل فنية خاصة مثل منع وصول الأكسجين إلى القلب ، أو حقن الشرايين التاجية بمحلول معين أو تبريد القلب أو كل هذه الوسائل مجتمعة ، ويكون إيقاف القلب لفترة تتراوح بين الدقائق والساعات حسب الحاجة الجراحية .

وإذا توقف القلب العضوي عن العمل إما تلقائياً أو افتعالاً ،ولكنه احتفظ بقابليته للحياة حسب الشرح المذكور أعلاه،فيمكن إعادته إلى العمل بوسائل فنية مختلفة مثل استعمال الصدمة الكهربائية أو إعادة الأكسجين إلى القلب، أو إعادة درجة الحرارة في القلب إلى المستوى الطبيعي، أو توصيل محرك كهربائي بعضلات القلب أو كل هذه الوسائل مجتمعة حسب الحالة والحاجة المتواجدة . أما إذا فقد القلب قابليته للحياة ومعنى ذلك أن القلب العضوي قد مات ففي هذه الحالة يمكن استعمال مضخة بديلة تقوم بضخ الدم وتسييره عبر الدورة الدموية بصفة دائمة ، أي استبدال القلب كلية ، وهذا يكون إما بزرع قلب عضوي آخر محل القلب الأصلي، أو استبدال القلب العضوي بمضخة آلية .

وهناك حالات يكون فيها القلب العضوي عاجزا عن القيام بأعماله كاملة ولكنه مازال على قدر من الحياة وإن كان لا يكفي لتوفير احتياجات صاحبه ، وفي هذه الحالة يمكن الإبقاء على القلب الأصلي لمساعدته .

من هذا الغرض يظهر بوضوح أن موت القلب العضوي لايعني بالضرورة موت صاحبه .

تأثير موت المخ على حياة صاحبه :

موت المخ يؤدي بالضرورة إلى موت صاحبه . ومن الممكن أن يتوقف المخ عن العمل جزئياً بسبب صدمة أو احتقان أو توقف الدورة الدموية لفترة من الزمان ثم يعود إلى حالته الطبيعية مالم يفقد الحياة أو القابلية للحياة تماماً (حسب الشرح المذكور أعلاه) أما إذا فقد القابلية للحياة وانعدمت كل المؤشرات الكهربائية فيه فلا يمكن إصلاحه بعد ذلك ، ولا يمكن للإنسان الحياة بدونه إلا إذا وجد البديل له ، وبما أنه لا يوجد بديل للمخ في الوقت الحاضر ولا ينتظر أن يوجد له بديل في المستقبل القريب أو ربما البعيد، فإن موت المخ تحت الظروف الحاضرة يؤدي بالضرورة إلى موت صاحبه، وبما أن المخ هو الجزء الأساسي من القوام العضوي

للقلب المعنوي ، فإن موت المخ يعني موت وتعطيل عمل القلب المعنوي .

تأثير موت الأعضاء الأخرى على حياة صاحبها :

من الممكن أن يموت أي عضو آخر أو يستأصل جراحياً ويحتفظ صاحبه بحياته وعقله وتفكيره وإدراكه وشخصيته وكل ما له من مقومات ، إما لأن العضو يمكن الاستغناء عنه والحياة بدونه ، مثل الأطراف وأجزاء من المعدة والأمعاء وما إلى ذلك ، أو لتوفير البديل الذي يقوم بوظيفة هذا العضو ولو لفترة من الزمان،طالت أو قصرت مثل حالة الكلى والكبد والرئة .

تساؤل والرد عليه :

كيف يمكن اعتبار الإنسان ميتاً بموت المخ وربما قلبه مازال ينبض ؟

والرد على ذلك بأن بقاء عضو من الأعضاء على قيد الحياة أو في حالة قابلية للحياة لا يتعارض مع موت صاحبه ، فمثلا الشعر يستمر في النمو لمدة ٢٤ ساعة أو أكثر بعد موت صاحبه ودفنه وبدون أي دورة دموية جارية .

والقلب العضوي يمكنه أن يستمر في العمل خارج الجسد منفصلاً عن صاحبه لساعات عديدة إذا وفر له الغذاء والحرارة المناسبة ، وفي هذه الأثناء يكون صاحبه قد مات ودفن ، وكذلك كثير من أعضاء الجسد ، ولذلك لايمكن الاستدلال بحياة عضو من الأعضاء على حياة أو موت صاحب هذا العضو .

تساؤل آخر والرد عليه :

ولو أنه لايوجد حالياً بديل كامل للمخ ووظائفه ، فإنه يوجد بديل لإحدى وظائف المخ وهي تحريك الجهاز التنفسي عن طريق آلة التنفس مما يوفر الأكسجين للقلب وبقية الجسد ، ويمكن القلب العضوي وبقية أعضاء الجسد من الاحتفاظ

بقابليتهم للحياة ولو لفترة من الزمان ، فلماذا لا تستعمل آلة التنفس هذه لفترة غير محدودة طالما هناك حياة في بعض الأعضاء ؟ والرد على ذلك يكون بالنقاط التالية :

١ ــ أثناء الإبقاء على حياة بعض أعضاء الجسد بالطريقة المذكورة أعلاه يكون هناك انعدام تام لحركة الإنسان وفكره وعاطفته وحواسه وإدراكه وكل مقومات شخصيته ، وبالتالي لا يوجد من الإنسان إلا وعاء حاضن لتغذية الأعضاء الأخرى ، ولا يفترق كثيرا عن التوصيلات الغذائية الصناعية التي توصل بالقلب أو الكلى أو غيرهما من الأعضاء المنفصلة من الجسد تماماً بعد موت صاحبها للمحافظة على قابليتها للحياة في المختبر .

٢ ــ سبق أن ذكرنا أن بقاء بعض الأعضاء على قيد الحياة لا يعني بالضرورة حياة صاحبها .

٣ ــ لا يمكن الحفاظ على هذه الحالة لفترات غير محدودة، بل تتدهور الحالة تدريجيا حتى يتوقف القلب العضوي والأعضاء الأخرى بالرغم من كل الآلات المستعملة .

٤ ــ من الناحية الخلقية الشرعية فإن الجسد الإنساني له حرمته ولا يجوز التدخل في أموره إلا إذا كانت هناك فائدة منتظرة أو تحسن مرتقب من هذا التدخل ، وفي حالة موت المخ لا ينتظر حدوث أي فائدة أو تحسن من التدخل الآلي ، وبذلك لا يوجد مبرر أو مبيح للتدخل .

أو بعبارة أخرى فإن الأصل في الأمر هو عدم التدخل إلا إذا انتظرنا شفاء أو تحسنا من جراء هذا التدخل ، وهذا غير منتظر في حالة موت المخ .

الخلاصـــة :

المناقشة المذكورة أعلاه هي مقدمة لمحاولة الرد على السؤال عن أي الأعضاء

ثانياً :
الأبحاث الفقهية

ثانياً :
الأبحاث الفقهية

نهاية الحياة الانسانية

للدكتور عبدالله محمد عبدالله
مستشار محكمة الاستئناف العليا ـ الكويت

الموت معناه وما يتعلق به من الأحكام

عرف علماء الكلام وكذلك الفقهاء الموت بأنه صفة وجودية تضاد الحياة تزول بها قوة الإحساس والنماء والتعقل فلا يعرى الجسم الحيواني عنهما ولا يجتمعان فيه(١) . والقول بأن الموت أمر وجودي يضاد الحياة هو مذهب أهل السنة وعند المعتزلة هو عدم الحياة عما من شأنه أن يكون حيا لأن الموت قطع مواد الحياة عن الحي واختاره كثير من المحققين(٢) . وقال المازري من المالكية الموت عرض من الأعراض يضاد الحياة . ويدور نقاش بين العلماء في الروح هل تموت مع البدن أم أن الموت للبدن وحده رأيان ذهب فريق إلى أن الروح تذوق الموت لأنها نفس وكل نفس ذائقة الموت ولقوله تعالى : ﴿ كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال وا لإكرام ﴾ . . وقال آخرون لا تموت الأرواح ، فإنها خلقت للبقاء وإنما تموت الأبدان مستدلين بالأحاديث التي دلت على نعيم ا لأرواح وعذابها بعد المفارقة إلى أن يرجعها الله في أجسادها ، ولو ماتت الأرواح لانقطع عنها النعيم والعذاب .

وذهب إلى التوفيق بين الرأيين وجمعا بين الأدلة فريق من العلماء بأن موت النفوس هو مفارقتها لأجسادها وخروجها منها لا بمعنى إنعدامها وإضمحلالها وبهذا الإعتبار فهي باقية بعد مفارقتها الجسد في نعيم أو عذاب نعيم .

---

(١) الخرش علي خليل ح /٢ ص ١١٣ الد ر المختارح /٢ ص ١٨٩ .
(٢) حاشية البيجوري ص ٢٩ والدر المختارح /٢ ص ١٨٩ .

ويذهب ابن القيم إلى أن الروح لها بالبدن خمسة أنواع من التعلق متغايرة الأحكام :-

الأول : تعلقها به في بطن الأم وجنينا .

الثاني : تعلقها به بعد خروجه إلى وجه الأرض .

الثالث : تعلقها به في حال النوم فلها به تعلق من وجه ومفارقة من وجه .

الرابع : تعلقها به في البرزخ فإنها وإن فارقته وتجردت عنه فإنها لم تفارقه فراقا كليا بحيث لا يبقى لها التفات إليه البتة .

الخامس : تعلقها به يوم بعث الأجساد وهو أكمل أنواع تعلقها بالبدن لأنه تعلق لا يقبل البدن معه موتا ولا نوما ولا فسادا .

أمارات الموت وعلاماته :

للموت علامات ظاهرة يعلمها عامة الناس فمن هذه العلامات إنقطاع نفس الميت ، واحداد بصره ، وانفراج شفتيه فلا ينطبقان وسقوط قدميه فلا ينتصبان[1] كما ذكروا علامات تدل على قرب حدوث الموت ممن وصل إلى درجة الاحتضار من هذه العلامات .

الموت في الطب الحديث :-

عرف الأطباء الموت بأنه توقف حياة الإنسان أو الحيوان في وقوف الأجهزة الثلاثة وهي جهاز التنفس ، والدورة الدموية ، والجهاز العصبي .

وذكروا علامات تحدث عقب الوفاة منها أنه يترتب على توقف الدورة الدموية تغييرات كبهاتة الجثة وتكون الرسوب الدموية (الزرقة الرمية) . ويتوقف التنفس . كما يتوقف تحكم الجهاز العصبي على الجسم وعلى

---

(١) الخرش على خليل خ /٢ ص ١٢٢ .

العضلات ويشمل ذلك الإرتخاء الأدمي الرمسى وأن الجهاز العصبي متمثلاً في المخ الذي يوجه الشخص الحي في عقليته وتنبهه وتحكمه على حواسه وحركته كما تحدث تغيرا في العينين وتفقد الجثة حرارتها الحيوية ثم ينتهي إلى التيبس الرمي ثم التعفن الرمي ثم التصبن الرمي ثم التحول إلى مومياء[1] .

ويقرر الأطباء أن الجسم يموت أولا كوحدة بتوقف التنفس وحركة القلب وأما الأنسجة فتموت شيئاً فشيئاً بهيئة تدريجية الواحدة تلو الأخرى ويعبر عنه بموت الخلية أو الموت الجزيئي . ويقولون أن بعض الأنسجة العضلية تعطي إستجابة على هيئة تقلص لتنبيهات التيارات الكهربائية بعد الوفاة . وأنه يلاحظ استمرار تدرج الخصية في النمو المتتابع من خلية الخصية الأولية غير المميزة إلى أن تصل في نضوجها إلى الحيوان المنوي الإنساني المميز بعد الوفاة لمدة بضع ساعات .

وإن خلايا الكبد تستمر في تخزين السكر العادي إلى جليوكوجين بعد الوفاة بساعات إلى أن يتم نهوكها وتفقد الحياة[2] .

وهذا الذي يذكره الأطباء ويعبرون عنه بالموت الجزيئي يعبر عنه الفقهاء بآثار الحرارة الغريزية التي تبقى عقب مفارقة الروح البدن[3] فتبقى بعض التفاعلات نتيجة تلك الحرارة الغريزية ثم لا تلبث أن تنطفىء .

الأحكام الفقهية المترتبة على الموت

نبحث تحت هذا العنوان ثلاث مسائل وهي الإرث . العدة . الجناية .

---

(١) الطب الشرعي ح /١ ص ٢٨٥

(٢) المصدر السابق .

(٣) نهاية المحتاج ح /٢ ص ٤٢٩ .

المسألة الأولى : الإرث

من شروط الميراث يشترط في الإرث شروطا منها :

أولا : موت المورث حقيقة أو حكما أو تقديرا . الموت الحقيقي معروف وهو ما سبق الكلام عليه أما الموت الحكمي فكما في المفقود والغائب الذي انقطع خبره ولم تعلم حياته ولا موته فيرفع أمره إل القضاء فيقضي القاضي بموته بشروط لا محل لبحثها في هذه العجالة . والموت التقديري فكما لو كانت إمرأة حاملا فضربها إنسان على بطنها فأسقطت جنينا ميتا فإن الجنين الميت يورث عنه مع أنه من الجائز أن يكون الجنين قد مات قبل الضرب .

ثانيا :ـ أن يكون الوارث حيا في الوقت الذي مات فيه المورث حياة حقيقية أو تقديرية الحياة الحقيقية معروفة بالمشاهدة أما الحياة التقديرية فكما في الحمل يكون في بطن أمه في الوقت الذي يموت فيه أبوه حتى ولو كان علقة أو مضغة لم تدب فيه الحياة(١) .

ميراث من وصل إلى حركة المذبوح بالجناية عليه :ـ

نص الشافعية في كتبهم على أن من وصل إلى حركة مذبوح بأن لم يبق فيه أبصار ونطق وحركة إختيار بالجناية عليه أعطي حكم الأموات مطلقا فيجوز تجهيزه ودفنه ويجوز تزوج زوجته حينئذ إذا انقضت عدتها كأن ولدت عقب صيرورته إلى هذه الحالة وأنه لا يرث من مات عقب هذه الحالة وتقسم تركته قبل موته(٢) .

واختلف علماء المالكية على أقوال فيمن وصل إلى حركة المذبوح .

---

(١) شرح الرجبية ص ٤٤ .

(٢) نهاية المحتاج ح ٧ ص ٢٥٠ .

القول الأول : يرث ويورث .

الثاني : لا يرث ولا يورث .[1]

المسألة الثانية : العدة

العدة تجب من وقت وفاة الزوج حقيقة أو حكما وقد سبق بيان الموت الحقيقي والحكمي ويقصد بالموت الحكمي الغائب الذي قضى القاضي بوفاته طبق الشروط المنصوص عليها بقي مسألة واحدة وهي من وصل إلى حركة مذبوح بالجناية عليه فقد نص الشافعية على اعتباره كالميت في سائر الأحكام فيجوز تجهيزه ودفنه وتزوج زوجته إذا انقضت عدتها بالوضع وأنه لا يرث من مات وهو في هذه الحالة وتقسم تركته .

الجناية على منفوذ المقاتل

نص الفقهاء على أنه لو أجهز شخص على منفوذ المقاتل من غيره فلا يقتص إلا من الأول[2] هذه عبارة خليل الخرشي من المالكية ووضح هذه العبارة العلامة العدوي في هامشه بقوله « أشار أبو الحسن لهذه الأقوال فقال : لو أجهز شخص على منفوذ المقاتل من غيره فقيل يقتل به الأول ولا يرث ولا يورث والثاني يقتل به الثاني ويرث ويورث والثالث يقتص منه الأول ويرث ويورث وهو أحسن الأقوال وفي سماع ابي زيد أنه يقتل به الثاني ولا يكون على الأول إلا الأدب لأنه من جملة الأحياء ويرث ويورث إلى أن قال ولو قيل يقتلان به جميعا لأنهما قد اشتركا في قتله لكان له وجه[3] .

---

(١) الخرشي علي خليل ح ٨ ص ٧ .

(٢) الخرشي علي خليل ح /٨ ص ٧ .

(٣) المصدر السابق .

ونص الشافعية على أن من أوصله جان إلى حركة مذبوح بأن لم يبق فيه إبصار ونطق وحركة اختيار ثم جنى آخر عليه فالأول قاتل لأنه سيره إلى حالة الموت ومن ثم أعطي حكم الأموات مطلقا ويعزر الثاني لهتكه حرمة ميت ، وعلق الشبراملسي في حاشيته على قوله ومن ثم أعطي حكم الأموات جواز تجهيزه ودفنه ـ وفيه بعد ـ وأنه يجوز تزوج زوجته حينئذ إذا انقضت عدتها . كأن ولدت عقب صيرورته إلى هذه الحالة وأنه لا يرث من مات عقب هذه الحالة ثم عقب بقوله « ولا يعد أيضا على قياس ذلك أنه تقسم تركته قبل موته »[1] . ويقاس على من ذكر من تعاطي السم فوصل إلى حركة المذبوح في ا لأحكام المشار إليها[2] .

الفرق بين من وصل إلى حركة مذبوح لمرض وبين من وصلها لجناية عليه .

فرق الفقهاء بين الحالتين ونصوا على أن من وصل الى حركة المذبوح وهو الذي لا يبقى معه سمع ولا إبصار ولا حركة إختيار[3] بالأسباب العادية من غير جناية عليه كمرض ونحوه قال الإمام النووي في المنهاج ولو قتل مريضا في النزع وعيشة عيش مذبوح وجب بقتله القصاص « قال في الشرح لأنه قد يعيش بخلاف من وصل بالجناية إلى حركة مذبوح » قال العلامة عميرة في حاشيته « وعبارة الإمام لو انتهى إلى سكرات الموت وبدت أمارته وتغيرت أنفاسه لا يحكم له بالموت بل يلزم قاتله القصاص وإن كان يظن أنه في مثل حالة المقدور ـ أي من قد نصفيه بالجناية عليه ـ ويفرق بين المريض الذي انتهى إلى سكرات الموت وبين المجني عليه فإن المريض لا

---

(١) نهاية المحتاج ح / ٧ ص ٢٥٠ .

(٢) منهاج الطالبية ح / ٤ ص ١٠٣ ، ١٠٤ يراجع المتن والشرح والهامش .

(٣) ويفرق بين هذه الحالة وبين الحياة المستقر والحياة المستمرة فحركة المذبوح ما سبق بيانه أما الحياة المستقرة هي التي يوجد معها الحركة الاختيارية تغلب على الظن بقاء الحياة ، كما الحياة المستمرة فهي الباقية إلى خروجها بذبح أو نحوه نهاية المنهاج ح / ٨ ص ١٠٩ ، ١١٠ .

تشرع زوجته في العدة ولا تنتهي عدتها لو ولدت حينئذ ولا تجب مؤنة تجهيزه ولا يجوز تجهيزه ولا تصح الصلاة عليه ولا يجوز دفنه ولا ينتقل ماله للوارث بخلاف الجريح »[1] .

ومحصل ذلك أنه من وصل إلى حركة مذبوح ولو لم يمت بعد بالجناية عليه أو بانتحاره بشرب سم ونحوه يجوز الإستفادة من أعضائه وكذلك يجوز إيقاف الأجهزة الطبية عنه بخلاف من وصل إلى حركة مذبوح بالأسباب العادية كمرض ونحوه فإنه لا يجوز الإستفادة من أعضائه إلا بالموت الحقيقي . لأن الأول في حكم الميت من سائر الوجوه بخلاف الحالة الأخيرة وقد نص الفقهاء على جواز الإستفادة من عظم الميت للعلاج كما نص على جواز أكل لحمه في حالة الاضطرار إن لم يجد ما يأكله من ميتة ونحوها[2] ومن الفتاوي الحديثة الصادرة عن لجنة الفتوى بالأزهر والمنشوره بالمجلد العشرين عدد شعبان ١٣٦٨ هـ تحت عوان نقل الدم وحاسة البصر وهذه صيغة السؤال وجوابه « أتشرف بأن أطلب بيان حكم الله تعالى في هاتين المسألتين وذلك للأهمية ذلك حيرا عندنا في تونس » .

ـ نقل الدم للمسلم المريض المحتاج من شخص غير مسلم .
٢ ـ الإنتفاع بجزء من عين شخص متوفي لرد بصر شخص آخر حي .

الجواب :ـ
« الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين » .

أما بعد ، فقد اطلعت اللجنة على هذا الاستفتاء وتفيد بأن الله تعالى قال في كتابه الكريم ﴿ إنما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل

(١) منهاج الطالبية ح / ٤ ص ١٠٣ ، ١٠٤ .
(٢) الخرشي علي خليل ح /٢ /١٤٥ مبحث الجنائز ، ونهاية المنهاج ح ٢/ ص ٢٠ .

لغير الله ، فمن اضطر غير باغ ولا عاد فلا إثم عليه » . وقال سبحانه في آية أخرى ﴿ فمن اضطر في مخمصه غير متجانف لإثم فإن الله غفور رحيم » . وفي آية أخرى ﴿ وقد فصل لكم ما حرم عليكم إلا ما اضطررتم إليه ﴾ .

وهذه الآيات الكريمة تفيد أنه إذا توقف شفاء المريض أو الجريح وإنقاذ حياته على نقل الدم إليه من آخر بألا يوجد من المباح ما يقوم مقامه في شفائه وإنقاذ حياته جاز نل الدم إليه بلا شبهة ولو من غير مسلم ، وكذلك إذا توقفت سلامة عضو وقيام هذا العضو بما خلقه الله له على ذلك جاز نقل الدم إليه ، أما إذا لم يتوقف أصل الشفاء على ذلك ولكن يتوقف عليه تعجيل الشفاء فنصوص الشافعية تفيد أنه يجوز نقل الدم لتعجيل الشفاء وهو وجه عند الحنفية فقد جاء في الباب الثامن عشر من كتاب الكراهية من الفتاوي الهندية ما نصه » يجوز للعليل شرب الدم والبول وأكل الميتة للتداوي إذا أخبره طبيب مسلم بأن شفاءه فيه ولم يجد من المباح ما يقوم مقامه . وإن قال الطبيب بتعجيل شفائك فيه وجهان » .

أما الجواب على السؤال الثاني فقد أجاز كثير من متأخري علماء الشافعية جبر المنكسر من عظم إنسان حي بعظم إنسان ميت إذا لم يمكن جبره بغيره . وقياسا على هذا ترى اللجنة جواز نقل جزء من عين الميت لإصلاح عين الحي إذا توقف عل ذل إصلاحها وقيامها بما خلقها الله له » .

هذا هو ما قضت به اللجنة والله الهادي إلى سواء السبيل .

رئيس لجنة الفتوى

« عبد المجيد سليم »

هذا ما عن لنا تدوينه في هذه العجالة والله ولي التوفيق وهو حسبنا ونعم الوكيل .

نهاية الحياة الإنسانية في ضوء اجتهادات العلماء المسلمين والمعطيات الطبية

للدكتور محمد نعيم ياسين
كلية الشريعة والدراسات الإسلامية
جامعة الكويت

تمهيـد :

لا شك في أن محاولة تحديد اللحظة التي تنتهي فيها حياة الإنسان في الدنيا ، تحديداً دقيقاً من الناحية الشرعيّة ، أصعب من البحث في معرفة الزمن الذي تبدأ منه تلك الحياة ؛ ذلك أننا وجدنا في هذه الثانية منطلقاً من نص نبوي شريف صحيح ننطلق منه في النظر ، ونبني عليه ملاحظاتنا واستنتاجاتنا المستفادة من النصوص الأخرى ، وأما قضيتنا هذه فليس فيها نصّ من قرآن أو سنة يمكن اتخاذه منطلقاً للبحث .

ومع غيبة النصوص في هذا الموضوع ، وتعلقه بواقع مخلوق من مخلوقات الله عز وجل هو الإنسان ، وابتنائه على الملاحظة والاختبار والتشخيص . أمام هذه الحقيقة نجد أنفسنا ملزمين بالاعتراف بأن الدور الحاسم في هذه القضيـة (متى تنتهي الحياة) ينبغي أن يكون من نصيب أهل التخصص ، المشتغلين بملاحظة ذلك المخلوق وهم الأطباء ؛ فهم الذين يقفون على الثغرة الحرجة من هـذه المسألة ، وعلى خط التمّاس مع الواقع محل البحث .

ولولا وجود النص في المسألة الأولى (بداية الحياة الإنسانية) لكان الأمر فيها كما هو في هذه القضية .

وهذا الاعتراف لا يعني الغض من الدور الذي يجب على علماء الشريعة أن يقوموا به ، جنباً إلى جنب مع إخوانهم الأطباء المسلمين ، الذين يطلبون في ممارسة مهنتهم الانسجام مع حقائق الدين الحنيف .

ودور علماء الشرع سابق لدور أهل الاختصاص ولا حق له ؛ فهم في أول الأمر يضعون بين أيدي إخوانهم الأطباء المبادىء والحدود والشروط العامّة التي يلتزم بها المسلم في ممارسة اختصاصه ، مهما كان متعلَّقه من موجودات هذه الحياة . وهم بعد ذلك يتسلمون من إخوانهم نتائج بحوثهم وملاحظاتهم ، وينطلقون منها في تقرير الأحكام المتعلقة بها . وجميع هذا محصور في القضايا التي لم ترد فيها نصوص حاسمة كهذه القضية التي نبحث فيها .

منطلق البحث :

وبسبب ما ذكرنا من عدم وجود نص ننطلق منه في البحث عن اللحظة التي تنتهي فيها حياة الإنسان ، فإن منطلقنا في ذلك سيكون من بعض المبادىء التي توصلنا إليها خلال بحثنا السابق عن مبدأ الحياة الإنسانية .

المبدأ الأول :

أن حياة الإنسان تنتهي بعكس ما بدأت به ؛ فإذا كانت قد بدأت ـ كما توصلنا في المبحث السابق ـ ببدء تعلق مخلوق سماه الله تعالى ورسوله ﷺ الروح ، بالبدن ، بناء على أمر الله وقدره سبحانه ، فإن انتهاء هذه الحياة لابد كائن بمفارقة هذا المخلوق للجسد الذي تعلق به .

المبدأ الثاني :

أن الروح مخلوق خلقه الله تعالى ، يمكن للإنسان البحث فيه من حيث خصائصه وصفاته وأنشطته ، وآثاره في البدن وتأثره ، ووقت تعلقه به ، ووقت مفارقته له .

أما المبدأ الأول فهو نتيجة منطقية ، أصلها قاعدة السببيّة التي جعلها الخالق متحكمة في هذا الوجود ، وفي كل نشاط يصدر عن موجوداته ، والتي تفيد بأن كل شيء جعله الباري متوقفاً على سبب لا يمكن أن يقوم مع غيبة ذلك السبب . وبما أن الله عز وجل قد جعل لبداية الحياة سبباً هو اقتران الروح بالجسد ، فإن نهايتها ينبغي أن تكون عند افتراقهما .

وكان مقتضى هذا أن يبدأ البحث من هذه النقطة (مفارقة الروح للجسد) ، وأعتقد أن هذه قناعة كل باحث في هذا الموضوع ، لولا أن طائفة من الإخوة المفكرين أعرضوا عن ذلك ؛ لاعتقادهم بأن الروح غيب حجب الله معرفته عن عباده ، وأنه لا يجوز إدخاله تحت البحث بأية صورة من الصور ؛ مما اضطرهم إلى التحول في البحث إلى منطلقات أخرى لا علاقة لها بالروح .

ولكن الدافع لهذا الإعراض عن الانطلاق المنطقي في البحث عن الوقت الذي تنتهي فيه حياة الإنسان ، مبناه على سبب غير مسلّم به عند كثير من العلماء المسلمين المعروفين بالحرص على الانسجام مع نصوص القرآن وكلام الرسول عليه الصلاة والسلام ؛ ذلك أن اعتماد أولئك المعرضين إنما هو على نص غير قاطع الدلالة على حشر الروح في قائمة الغيبيات التي يحظر على المسلم الخوض فيها ، وهو قول الله عز وجل ﴿ ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم إلا قليلا ﴾ ، وإعراض الرسول عليه الصلاة والسلام عن الخوض في هذه الروح المسؤول عنها بأكثر مما أمره الله سبحانه وتعالى .

وقد تقدّم في مبحث (بداية الحياة الإنسانية) أقوال العلماء في هذه الآية ، وتفسيراتهم لموقف الرسول ﷺ بما يدل في محصلته على أن هذا الدليل ليس فيه الكفاية لاعتبار الروح من الغيّبيات التي لا تقع تحت طول الاجتهاد البشري ، ولا يجوز له أن يحوم حولها .

ولسنا بمضطرين لتكرار ما أثبتناه هنالك ؛ فيمكن الرجوع إليه وإلى المصادر التي أخذ منها ، ولكنا نذكر مرة أخرى بأن كثيراً من العلماء بحثوا في الروح ، وألفوا حولها المؤلفات ، وتكلموا عن صفاتها ونشاطها وأثرها في جسم الإنسان ، وأثر الجسم عليها وغير ذلك ، غير خائفين من الوقوع في التعارض مع النصوص مع تدينهم وحرصهم الفائق على الالتزام بمقتضيات الهدي القرآني والنبوي ، حتى صرح بعضهم بأن الروح ليست من الغيب الذي يحرم الكلام فيه، وحتى الذين ذهبوا إلى حمل النصّ القرآني على إرادة الروح الآدميّة ، والنهي عن الكلام فيها بأكثر مما ورد في ذلك النص صرحوا بأن المقصود بذلك هو البحث في كنه الروح وذاتها ، ولم يمنعهم ذلك الحمل تناولها من جوانب أخرى ، بصورة قد نستفيد منها في بحثنا هذا حول تحديد نهاية الحياة الإنسانيّة .

ومما يدل على سلامة منهج أولئك العلماء الذين تكلموا في الروح وفصلوا القول في كثير من شؤونها ؛ أنهم أرجعوا كلامهم في الروح إلى نصوص من كتاب الله ، وسنة رسوله ﷺ ؛ فمنها أخذوا حقيقة أنها مخلوقة وليست قديمة ، ومنها أخذوا مبدأ دخولها في الجسد الإنساني ، ومنها أخذوا كثيراً من أحوالها ؛ مما يشير إلى أن الروح التي أمر الرسول بالاقتصار في الكلام عنها على القول ﴿ من أمر ربي ﴾ ، ليست هي الروح الآدميّة ، أو أن المقصود بهذه الجملة ليس النهي عن أي بحث في الروح ، وإنما البحث عن حقيقة ذاتها ، وإلا ألبسنا النصوص ثوب التناقض من غير قصد ، أعاذنا الله من الخطأ في فهم كلامه ، وكلام رسوله ﷺ ؛ ذلك أن الرسول عليه الصلاة والسلام لو فهم أن المقصود بقول الله تعالى ﴿ من أمر ربي ﴾

وأنه لا تجوز الزيادة في الكلام عن الروح عن هذا الجواب الرباني ، لالتزم بتوجيه ربه ، ولما بين في أحاديثه الشريفة أي بيان يزيد عن ذلك . غير أننا وجدناه ﷺ قد بين لنا أشياء كثيرة عن الروح ، كمبدأ تعلقها بالجسد ، وتآلفها وتعارفها ، وتناكرها واختلافها وكيفيّة خروجها من جسد المؤمن ، ومن جسد الكافر ، وغير ذلك ؛ فدل هذا على ما أسلفنا .

استلهام المبدأين السابقين في البحث عن نهاية الحياة الإنسانية :

فإذا سلم لنا المبدآن السابقان أمكننا استخدامهما في استثمار ما توصل إليه العلماء المسلمون من خلال النظر في النصوص الشرعيّة حول الروح ، وما توصل إليه أهل الاختصاص من الأطباء بالنظر في واقع الكيان الإنساني ، للخروج بنوع من غلبة الظن في تحديد نهاية الحياة الإنسانية ، يمكن أن تجعل أساساً لبناء الأحكام الضروريّة ، وذلك على النحو الآتي :

أولاً ــ الدور الذي قام به علماء الشريعة :

من خلال النظر في كثير من نصوص الشرع استطاع علماء الإسلام تحصيل تصوّر معين عن الروح ، التي تنفخ بإذن الرب تبارك وتعالى في بدن الإنسان ، أهم معالمه ما يلي :

أ ــ أن الروح مخلوق من المخلوقات ، ينشئها الخالق في الجسد الذي يريد خلقه إنساناً ، يشير إلى هذا قول ابن قيّم الجوزيّة (يرسل الله سبحانه الملك إلى الجسد ، فينفخ فيه نفخة تحدث له الروح بواسطة تلك النفخة فتكون النفخة هي سبب حصول الروح وحدوثها له ، كما كان الوطء والإنزال سبب تكوين جسمه ، والغذاء سبب نموه ، فمادة الروح من نفخة الملك ومادة الجسم من صبّ الماء في الرحم ، فهذه مادة سماويّة ، وهذه مادة أرضيّة . . . فالملك

أب لروحه ، والتراب أب لبدنه وجسمه)[1].

ب ـ أن من أهم وظائف الروح العلم والإدراك ؛ بهذا عرفها من تعرّض لتعريفها من العلماء ؛ فهذا الجرجاني يعرف الروح الإنسانية «بأنها اللطيفة العالمة المدركة من الإنسان الراكبة على الروح الحيواني نازل من عالم الأمر ، تعجز العقول عن إدراك كنهه . وتلك الروح قد تكون مجردة وقد تكون منطبقة في البدن . »[2] وأبو حامد الغزالي يعرفها بقريب من هذا فيقول : «الروح هي المعنى الذي يدرك من الإنسان العلوم وآلام الغموم ولذات الأفراح » .[3]

وبناء على هذا التصور لوظيفة الروح ، فإنها هي التي تدرك مختلف المعاني التي يمكن إدراكها ، فهي التي تدرك العلوم ونتائج تحليلها ، فتتعلم وتستنبط الجزئيات من الكليات ، والكليات من الفروع وغير ذلك ، وهي التي تدرك مختلف المعاني من ألم ولذة وفرح وحزن ، وهي التي ترضى وتغضب وتنعم وتيأس ، وتغتر وتحب وتكره ، وتعرف وتنكر . . .

ويرى بعض العلماء أن جانباً من مدركات الروح يحصل لها بواسطة أعضاء الجسد وأجهزته المختلفة ، وجانباً آخر منها يحصل لها من غير توقف على الجسد ، كالتألم بأنواع الحزن والغم والكمد ، والتنعم بأنواع الفرح والسرور؛ فإن عمل الروح المتعلق بهذه المعاني لايتوقف على توظيفها لأي عضو من أعضاء الإنسان ، وإنما تقوم به الروح بنفسها .[4]

جـ ـ ويرى العلماء أن الروح تؤثر في البدن الإنساني ، وأن من أهم آثارها الحركة الاختيارية ، وأن كل نشاط اختياري يقوم به الإنسان هو أثر من آثار الروح ، وأن كل ما في العالم من الآثار الإنسانية إنما هو من تأثير الأرواح بواسطة الأبدان التي تعلقت بها ؛ فالأبدان آلات للأرواح وجنود لها[5].

ويفهم من ذلك أن العلماء المسلمين يرون أن الحركة الاضطراريّة التي لا اختيار فيها ليست أثراً من آثار الروح . وبما أن الحركة الذاتية لا يمكن صدورها عن

جماد ، وإن كانت هذه الحركة اضطرارية ، فإنه لا مناص من الاعتراف بوجود نوع من الحياة وراء كل حركة اضطرارية ، يقوم بها الجسد الإنساني بنفسه ، أي بغير تحريكه بمحرك خارج عنه . ولعل هذه هي الحياة التي خلقها الله عز وجل في الجسد الإنساني قبل نفخ الروح ، وجعلها في خدمة الروح بعد نفخها ، وقد تبقى في بعض أعضاء الجسد بعد مفارقة الروح لها ، وهي التي سمّاها بعض علماء الطب بالحياة الخلويّة ، وشبهها بعض علماء الإسلام بحياة النبات كما تقدم . ومقتضى ما تقدم من تصورهم لوظائف الروح أن الحركة الاضطراريّة الناشئة عن هذا النوع من الحياة ليس فيها دلالة على وجود الروح الإنسانية .

د ـ ومع أن علماء الإسلام لم يحددوا اللحظة التي يفارق فيها الروح بدن الإنسان، لكن الذين بحثوا في هذه القضية، منهم أشاروا بصورة واضحة إلى قاعدة ، سنرى مدى فاعليتها في تحديد زمن مفارقة الروح للبدن ، إذا ما جمعت مع الاكتشافات الطبية الحديثة ؛ ذلك أنهم أكدوا أن ملازمة الروح للجسد الإنساني مرهونة بصلاحيّة هذا الجسد لخدمة هذه الروح ، وتنفيذ أوامرها . وقبول آثارها ، وأن الله عز وجل قد كتب عليها أن تفارق مسكنها المؤقت ، وهو جسد الإنسان عندما يغدو عاجزاً عن القيام بتلك الوظائف .

فهذا ابن قيم الجوزيّة يعرف الروح (بأنه جسم مخالف بالماهية لهذا الجسم المحسوس ، وهو جنس نوراني علوي خفيف حي متحرك ينفذ في جوهر الأعضاء ، ويسري فيها سريان الماء في الورد ، وسريان الدهن في الزيتون والنار في الفحم . فمادامت هذه الأعضاء صالحة لقبول الآثار الفائضة عليها من هذا الجسم اللطيف ، بقي ذلك الجسم اللطيف مشابكاً لهذه الأعضاء ، وأفادها هذه الآثار من الحس والحركة الإراديّة . وإذا فسدت هذه الأعضاء ؛ بسبب استيلاء الأخلاط الغليظة عليها ، وخرجت عن قبول تلك الآثار ، فارق الروح البدن ، وانفصل إلى عالم الأرواح) ثم عقب على ذلك بقوله (وهذا القول هو الصواب في المسألة ، وهو

الذي لا يصح غيره ، وكل الأقوال سواه باطلة ، وعليه دل الكتاب والسنّة وإجماع الصحابة وأدلة العقل والفطرة . . .) ، ثم ساق على هذا المذهب في تعريف الروح وعلاقتها بالجسد الإنسان مائة وستة عشر دليلاً من القرآن والسنة والمعقول، وأجاب بعد ذلك على اثنتين وعشرين شبهة أوردها المخالفون عليه(٦) . وممن تبنى مذهب ابن القيم في الروح شارح العقيدة الطحاويّة والشيخ محمود السبكي(٧).

ومذهبه هذا فيه شبه كبير مما ذهب إليه أبو حامد الغزالي في تفسير الموت ، ودور الروح فيه ؛ حيث قال (معنى مفارقة الروح للجسد انقطاع تصرفها عن الجسد بخروج الجسد عن طاعتها ؛ فإن الأعضاء آلات الروح تستعملها ، حتى إنها لتبطش باليد وتسمع بالأذن ، وتبصر بالعين ، وتعلم حقيقة الأشياء بنفسها . . . وإنما تعطل الجسد بالموت يضاهي تعطل أعضاء الزّمن بفساد مزاج يقع فيه ، وبشدة تقع في الأعصاب تمنع نفوذ الروح فيها ، فتكون الروح العالمة العاقلة المدركة باقية مستعملة لبعض الأعضاء ، وقد استعصى عليها بعضها . والموت عبارة عن استعصاء الأعضاء كلها ، وكل الأعضاء آلات ، والروح هي المستعملة لها . . . ومعنى الموت انقطاع تصرفها عن البدن ، وخروج البدن عن أن تكون آلة له ؛ كما أن معنى الزمانة خروج اليد على أن تكون آلة مستعملة ، فالموت زمانة مطلقة في الأعضاء كلها . . .)(٨).

والنتيجة التي نخرج بها من أقوال هؤلاء العلماء أن حياة الإنسان في هذه الدنيا تنتهي عندما يغدو الجسد الإنساني عاجزاً عن خدمة الروح والانفعال لها . ومعنى هذه النتيجة أن العلم إذا استطاع أن يعرف اللحظة التي يصبح فيها الجسد عاجزاً عن القيام بكافة وظائفه الإرادية بصورة نهائية ، فقد وصل إلى الجواب عن السؤال : متى تنتهي الحياة الإنسانية ؟

هـ ــ ذلك هو فهم طائفة من علماء المسلمين حول علامات رحيل الروح الإنسانية عن بدن الإنسان ، لم ينطلقوا في بحثهم من حاجتهم إلى استنباط أحكام

فقهية لتصرفات إنسانية لها علاقة بنهاية الحياة ، ولكن من منطلق الحاجة إلى معرفة حقيقة الإنسان من خلال المعلومات التي حصّلوها من النصوص والحقائق الشرعيّة . فماذا كان موقف العلماء الذين سخروا طاقاتهم للبحث عن الأحكام العمليّة الشرعيّة ، وهم الفقهاء ؟ ألم يتعرضوا لحاجات واقعيّة ومواقف عمليّة اضطرتهم لإظهار رأيهم في هذه القضية بحسم ووضوح ؟

الواقع أن استخراج رأي الفقهاء في هذه المسألة من أصعب الأمور ، والذي يظهر أن معظم القضايا الواقعيّة التي تعرضوا لها في هذا المجال لم تكن كافية لتضطرهم إلى البحث عن نهاية الحياة الإنسانية بدقة وتحديد ، وإنما كفاهم فيها الصورة الواضحة القاطعة لهذه النهاية والتي يندرج ضمنها النهاية الحقيقية وجزء من الزمن يمرّ عليها في حالات الوفاة ، وهي الصورة المشاهدة المعلومة لمعظم الناس ؛ عالمهم وجاهلهم ، فبنوا أحكامهم عليها ، سواء ما تعلق منها بجسد الميت من غسل وتكفين وصلاة ودفن وغير ذلك ، وما تعلق منها بالحقوق التي كانت له قبل الوفاة ، من نفوذ وصيّة وقسمة تركة ، وما تعلق بالواجبات التي تفرض على زوجة المتوفى كالعدة . والفرق في النتيجة بين بناء هذه الأحكام على لحظة الوفاة الحقيقية ، وبين بنائها على زمن الوفاة المتضمن تلك اللحظة وسويعات أخر ، ليس بكبير .

وبالرغم من أن هذا هو حال معظم القضايا المتعلقة بنهاية حياة الإنسان ، فإن الفقهاء تعرضوا لمسألة وجدوا فيها أنفسهم مضطرين للبحث عن الزمن الدقيق الذي حصلت فيه الوفاة ، وتحصيل غلبة الظن فيه ، وبناء الأحكام عليه ؛ وذلك التماساً لتحقيق العدل في توزيع مسؤوليات خطيرة ، يترتب على الخطأ فيه إهدار أرواح لا تستحق الموت ، وإفلات أرواح مجرمة من العقوبة العادلة . وهذه هي مسألة الاشتراك في القتل العمد على التتابع ، وصورتها : أن يعتدي مجرم على شخص ويتركه في حالة خطيرة ، ثم يأتي مجرم آخر ، ويجهز على المجني عليه ، فمن

منهما يعتبر قاتلاً ويستحق القصاص ؟

وفي الجواب على هذا السؤال ، وتحديد القاتل في نوع هذه المسائل يكاد الفقهاء يجمعون على قاعدة أساسها النظر إلى الحالة التي صار إليها المجني عليه ، بسبب الفعل الأول ، وقبل ورود الفعل الثاني عليه ؛ فإن صار إلى وضع يفقد فيه كل إحساس من إبصار ونطق وغيرهما ، وكل حركة اختياريّة إلى غير رجعة ، كان صاحب الفعل الأول هو القاتل الذي يستحق القصاص ، وصاحب الفعل الثاني ـ مهما كان ـ يعزر ولا يقتص منه . وأما إذا صيّره الفعل الأول إلى حالة لا يفقد معها كل إحساس وكل حركة اختياريّة ، كان صاحب الفعل الثاني هو القاتل الذي يستحق القصاص . ولزيادة هذه المسألة وضوحاً نثبت فيما يلي بعض النصوص الفقهيّة :

يقول بدر الدين الزركشي (الحياة المستقرة هي أن تكون الروح في الجسد ومعها الحركة الاختياريّة ، دون الاضطراريّة ، كما لو كان إنسان ، وأخرج الجاني أو حيوان مفترس حشوته وأبانها ، لا يجب القصاص في هذه الحالة . . . ولو طُعن إنسان وقطع بموته بعد ساعة أو يوم ، وقتله إنسان في هذه الحالة وجب القصاص ؛ لأن حياته مستقرة ، وحركته الاختياريّة موجودة ؛ ولهذا أمضوا وصيّة عمر بن الخطاب رضي الله عنه . بخلاف ما إذا أبنيت الحشوة ؛ لأن مجاري النفس قد ذهبت وصارت الحركة اضطراريّة . . .

وأما حياة عيش المذبوح ، فهي التي لا يبقى معها إبصار ولا نطق ولا حركة اختياريّة . . . .)[٩].

وقال الرملي (وإن أنهاه ـ أي المجني عليه ـ رجل إلى حركة مذبوح ، بأن لم يبق فيه إبصار ونطق وحركة اختيار ، وهي ـ أي حركة الاختيار ـ المستقرة التي يبقى معها الإدراك ، ويقطع بموته بعد يوم أو أيام ، ثم جنى عليه آخر فالأول قاتل ؛ لأنه صيّره إلى حالة الموت ؛ ومن ثمّ أعطي حكم الأموات مطلقاً ويعزّر الثاني ؛

لهتكه حرمة ميت . . .) . وقال الشبراملسي (ظاهر إطلاقهم عدم الضمان على الثاني أنه لا فرق في فعل الأول بين كونه عمداً أو خطأ أو شبه عمد ، بل عدم الفرق بين كونه مضموناً أو غير مضمون ، كما لو أنهاه سبع إلى تلك الحركة فقتله آخر . ويلحق بالحياة المستقرة حياة من شك في موته) ثم قال الرملي (ويرجع فيمن شك في وصوله إلى حالة الحياة غير المستقرة إلى عدلين خبيرين . . .)[١٠].

وهذا الذي ذهب إليه الفقهاء في هذه المسألة يشير إلى أنهم اعتبروا فقدان الإحساس والحركة الاختيارية علامات تورث غلبة الظن بوصول المجني عليه إلى مرحلة الموت ، وأن الحركة الإضطرارية الصادرة عن المجني عليه لا تعطي غلبة الظن ببقاء الروح في الجسد إذا كانت وحدها ، ولم تقترن بأي نوع من الإحساس أو الحركة الاختيارية ؛ وإلا لجعلوا القصاص من نصيب الجاني الثاني ؛ إذ يكون فعله القاتل وارداً على جسد فيه روح . ولعلهم في هذا قد تأثروا بما قرره علماء الطائفة الأولى أمثال ابن القيم والغزالي من أن الروح ترحل عن جسد صاحبها في اللحظة التي يصبح فيها الجسد عاجزاً عن الانفعال للروح بأي نوع من الإحساس أو الاختيار .

هذا وإن من مقتضى الأمانة العلميّة في عرض مذهب الفقهاء في هذه القضيّة ، أن نشير إل مسألة يمكن أن ترد على ما استنتجناه من أقوال الفقهاء في صورة الاشتراك في جريمة القتل على التتابع ، وتشكك في قوته . . وهذه المسألة هي أن المجني عليه إذا كان قد صار إلى مرحلة الحياة غير المستقرة بسبب مرض ، لا بسبب جناية ، أو فعل حيوان مفترس ، كما لو صار إلى مرحلة النزع ، فأجهز عليه مجرم وهو في هذه الحالة ؛ فإن جمهور الفقهاء يذهبون إلى إيجاب القصاص على هذا المجرم ؛ حتى قال الزركشي (إن المريض لو انتهى إلى سكرات الموت ، وبدت مخايله لا يحكم له بالموت ، حتى يجب القصاص على قاتله . . .)[١١].

وفرق الزركشي بين حالة ورود الجناية على الجناية ، وبين هذه الحالة ، أن

هذه لا يوجد فيها سبب يحال عليه الهلاك ، بخلاف الحالة الأولى(١٢).

والذي يظهر أن هذا الفرق الذي ذكره الزركشي بين الصورتين غير مؤثر في اختلاف الحكم ؛ ويدل على ذلك ما صرح به نفسه ، وصرح به غيره من علماء الشافعيّة ، فيما نقلناه سابقاً ، أن صاحب الفعل الأول لو كان حيواناً مفترساً ، وأخرج حشوة المقتول وأبانها فإن القتل لا يضاف إلى أي صاحب فعل لاحق ، مهما كان . وإضافة الفعل الأول إلى حيوان مفترس لايختلف من حيث النتيجة عن إضافته إلى أي حادث سماوي ، يوصل الشخص إلى النتيجة نفسها ، كانهيار بيت عليه مثلاً ونحو ذلك .

ولكن المعنى المعقول الذي يمكن أن يفرق به بين الصورتين هو مدى التحقق من وصول الشخص إلى الحياة غير المستقرة التي يتيقن من عدم إمكان انعكاسها إلى حياة مستقرة . ومظاهر النزع في عهد أولئك الفقهاء لم تكن كافية لتغليب الظن ـ فضلاً عن التيقن ـ على أن المريض قد انتقل فعلاً إلى مرحلة عيش المذبوح ، كما سموه ؛ بدليل أن حالات كثيرة يوصف فيها الشخص بأنه وصل إلى حالة النزع الأخير ثم يتجاوزها ويعيش إلى ما شاء الله تعالى .

وإذا كان هذا هو الفرق الحقيقي بين الصورتين السابقتين ، فإنه لا يؤثر على فهمنا السابق لموقف الفقهاء من تحديد زمن الوفاة في مسألة الاشتراك على التتابع في جريمة القتل بل يؤيده ويقويه .

خلاصة تصور علماء الشريعة عن الروح وعلاقتها بالجسد :ـ

وخلاصة ما تقدم من بيان حول دور العلماء المسلمين في مسألة الروح وعلاقتها بالبدن الإنساني :

أن الإنسان في تصورهم جسد وروح ، ولا يكتسب وصف الإنسانية

بواحد من العنصرين دون الآخر .

وأن الجسد مسكن الروح في هذه الدنيا طوال فترة الحياة المقررة للإنسان .

وأن العلم والإدراك والحس والاختيار أهم وظائف الروح .

وأن وظيفة الجسد بكل ما فيه من أعضاء وأجهزة وأنظمة ، خدمة الروح والانفعال لتوجيهاتها ، وليس له وظيفة أخرى في فترة حياة الإنسان .

وأن الروح تقوم بجانب كبير من وظائفها بواسطة الجسد ، وتقوم بجانب آخر بدون وساطته .

وأن الجسد الإنساني لا يصدر عنه أي نشاط اختياري في هذه الدنيا بغير أمر الروح ، وأن كل ما يصدر عنه هو بتأثيرها الذي أودعه الله فيها .

وأن الموت معناه مفارقة الروح للجسد ، وأنه يحصل للإنسان عند صيرورة الجسد عاجزاً عن الانفعال لأمر الروح .

وأن وجود أي نوع من الحس والإدراك والحركة الاختيارية يدل على بقاء الروح في الجسد ، وغياب هذه المظاهر غياباً كاملاً يدلّ على مفارقة الروح للجسد .

وأن مجرد وجود حركة اضطرارية لا معنى له سوى وجود بقايا الحياة المجردة عن معيّة الروح .

ثانيا ـ دور أهل الاختصاص :ـ

ذلك هو دور علماء الإسلام واجتهاداتهم حول معنى الحياة والموت . وأما دور أهل الاختصاص ، فالذي يظهر لنا منه بصورة إجماليّة : أن الجسد الإنساني

الحي هو مجال بحثهم ، وأنهم في سبيل المحافظة عليه وتقديم المعونة له من أجل تمكينه من القيام بوظائفه ، قاموا بدور جليل يحمدون عليه :ـ

فكشفوا الستار الذي ظل مسدلاً آماداً طويلة عن مجاهل كثيرة من جسد الإنسان ؛ فتعرفوا على أعضائه وأجهزته والأنظمة التي تسير عليها ، وعلاقة بعضها ببعض ، وتوقف بعضها على بعض ، ووظيفة كل منها وأهميته .

ومن أهم معالم الدور الذي قاموا به أنهم تمكنوا من التعرف على الكيفيات التي يؤدي بها ذلك الجسد كثيراً من وظائفه ، كالحس والإدراك والحركة وغير ذلك ، ووصفوا بدقة العمليات الداخليّة التي تتم بها كلّ وظيفة من تلك الوظائف ، وما يحدث في الجسم عندما نبصر أو نسمع أو نتألم خطوة خطوة حتى تتم العمليّة بكاملها .

ومن أخطر ما توصلوا إليه اكتشافهم العضو الذي يقع من أعضاء الجسم وأجهزته المختلفة في مركز القائد المتحكم ، الذي يعتبر صلاحه شرطاً لتمكن أي عضو آخر من القيام بوظيفته ، ألا وهو المخ ؛ فقد أفادوا أنه ما من عمليّة إراديّة يقوم بها أي عضو من أعضاء الجسم ، إلا كان مصدرها نشاطاً معيناً يقوم به الدماغ . وأنه هو الأساس في كل ذلك . وأن أي تلف جزئي فيه يقابله عجز أو تلف في أعضاء وأجهزة معينة . وأن عجزه الكامل سبب حتمي لعجز بقيّة الجسد عن القيام بجميع وظائفه الإراديّة .

كذلك أفادوا أنهم يستطيعون بواسطة الأجهزة الحديثة تشخيص حالة هذا العضو الرئيس إجمالاً وتفصيلاً ، وتحديد مدى قدرته على مزاولة نشاطاته وإدراك نوعية عجزه ، وتحديد ما إذا كان هذا العجز مستمراً أو غير مستمر ، قابلاً للعلاج أو غير قابل ، وبالتالي تحديد حالة الجسد الإنساني ومدى قدرته على القيام بالأعمال الإراديّة .

ومن أخطر ما أنجزوه تمكنهم من المحافظة على أصل الحياة (أو الحياة الخلويّة) في أعضاء الجسد الإنساني ، وهي في معزل عنه وعن المخ وعن الروح المتعلقة به ، ونقل هذه الأعضاء من جسد إلى جسد آخر .

ثالثاً ـ محصّلة الجمع بين الدورين :ـ

الذي يغلب على الظن بالنظر فيما توصّل إليه علماء الإسلام من نتائج ، وما توصل إليه أهل الاختصاص من الأطباء ، أنه ليس بينهما أي تناقض ، وأن دور كل منهما مكمل للآخر على طريق البحث عن جواب السؤال المطروح : متى تنتهي حياة الإنسان ؟

نعم قد يقع باحث متعجل يلتقط من ظواهر الأمور ، ولا يغوص في أعماقها ، قد يقع مثل هذا الباحث في ظن التناقض بين الطرفين فيما قدماه من تصور حول نهاية الحياة الإنسانيّة .

فقد يظن أن علماء الشريعة قد نسبوا إلى الروح من الوظائف والأنشطة ما يشبه إلى حد كبير ، ما اكتشفه أهل الاختصاص أنه من وظائف المخ وأعماله . وأنهم أطلقوا الروح على عضو حسّي يخضع للاختبار والتشريح والملاحظة في عرف أهل الطب ، في الوقت الذي جزموا فيه أن الروح لا يمكن أن تكون جسماً مادياً ، وأن هذا الخطأ إنما وقعوا فيه بحكم وجودهم في عصر من التاريخ لم يكن علم الطب فيه متقدما كما هي حاله الآن .

واعتقادي أن هذا نظر سطحي منطلقه أساساً من طغيان التفسير المادي ، وتعميمه على كل الظواهر ، حسية كانت أو غير حسيّة .

ذلك أن العلماء الماديين لايبحثون إلا في المحسوس، ولايعترفون إلا بنتائج هذا البحث المادي ؛ فإذا أرادوا تفسير أي نشاط يقوم به الإنسان ، تتبعوا ما يحدث

لأجزاء الجسم المحسوسة عند ممارسة هذا النشاط، ولاحظوا مختلف التطورات والأفعال وردود الأفعال المحسوسة ، التي تقوم بها أعضاء الجسم المختلفة ، فإذا انتهى بهم المطاف إلى آخر نشاط حيوي يقع تحت آلاتهم ، نسبوا إلى العضو الذي صدر عنه هذا النشاط الأخير التصرف الذي قام به الإنسان .

وهكذا عندما اكتشفوا أن المخ هو العضو الأخير الذي ينفعل بأنواع من الانفعالات لكل تصرف يصدر عن الإنسان ، نسبوا إليه كل تصرف إنساني مادي كان أو غير مادي .

والحقيقة أنهم قد يكونون على حق في تفسير جميع الخطوات الماديّة التي تتم داخل الجسد عند قيام الإنسان بتصرف ما ؛ فهذا مجالهم وهم أدرى به .

ولكن الذي لا يقروّن عليه أن ينسبوا النتائج النهائية ، وهي صدور التصرفات الإنسانية بأشكالها النهائية ، إلى العضو المادي الذي كانت فيه خاتمة الانفعالات المادية قبيل صدور ذلك التصرف ؛ وذلك أن جميع التصرفات الإراديّة الصادرة عن الإنسان فيها عنصر معنوي غير مادي هو الإرادة . والذي تدل عليه سنن الحياة ومعهودات الكون أن المادة لا يمكن أن تنتج المعاني ، وإنما ينتج عن المادة مادة مثلها . ولا بد من أن يكون هناك مخلوق غير مادي في جسد الإنسان خلقه الله عاقلاً ، يستفيد من الحركات المادية التي تقوم بها أعضاء الجسد بتأثيره هو ، وتتجمع محصلتها في المخ ، فيصدر عن ذلك المخلوق التصرف الإنساني بصورته النهائية .

إن مما يصعب تصديقه أن مجرد حركات تظهر على الأعضاء وتظهر محصلتها على العضو الرئيس - المخ - تنتج في النهاية إحساساً بالألم ، واللذة والسرور والطمأنينة وغير ذلك من المدركات بمختلف أنواعها .

صحيح أن المخ وبقية أعضاء الجسد تختلف عن الأجهزة المادية الجامدة بأنها

تتكون من خلايا حيّة تنمو وتتطور وتموت ، ولكن هذه الحياة غير عاقلة ، وهي عينها حياة الجنين قبل نفخ الروح ، وهي عينها حياة القلب النابض المقلوع من جسد الإنسان، المحفوظ تحت ظروف معينة .

إن محاكمة عقلية بسيطة تدلنا على خطأ تلك النتيجة النهائية التي يدعيها العلماء الماديون بنسبة كل تصرف إنساني إرادي للمخ والوقوف عنده ، وهذه المحاكمة هي :-

أنه إذا كان المخ وراء كل حركة إراديّة في أعضاء الجسد فهل عمله هو ـ أي المخ ـ عمل إرادي أو غير إرادي ؟ أي عندما يصدر المخ أوامر للأعضاء ، وعندما يتسلم منها نتائج تنفيذ تلك الأوامر ، ويقوم بتحليلها وإصدار النتائج النهائيّة على ضوئها : هل هذه الأنشطة المختلفة الصادرة عن المخ إراديّة أو غير إراديّة ؟

لا سبيل إلى القول : إنها أنشطة اضطراريّة غير إراديّة ؛ فإنها دعوى مخالفة للمحسوس ، وتؤدي إلى القول بأن كل عمل يقوم به الإنسان عمل اضطراري ، كأي نشاط يصدر عن خلايا النبتة الحيّة ، أو خلايا الكلْية الحيّة المفصولة عن جسد صاحبها !

وإذا كانت تلك الأنشطة إراديّة ، فإنه لا سبيل إلى نسبتها إلى خلايا المخ المادية المحسوسة ؛ لما تقدّم من استحالة صدور المعاني عن المواد دون تدخل من مصدر آخر لهذه المعاني ، له طبيعة خاصّة مختلفة عن المحسوسات .

وإذا كان كذلك فلا مناص من التسليم بوجود مخلوق حي عاقل غير مادي وغير محسوس يقف وراء كل نشاط إرادي من أنشطة الدماغ المختلفة .

والذي يغلب على الظن في تفسير علاقة الروح بالجسد بصورة عامّة ، وبالمخ بصورة خاصّة ، على ضوء ما استقيناه من تصور علمائنا المسلمين، الذي

يمتد بجذوره إلى كثير من النصوص ، ومن النتائج العلميّة التي توصل إليها أهل الاختصاص في تفسير نشاطات الأعضاء ، الذي يغلب على الظن أن الجسد الإنساني الحي ، بما فيه من مخ وأعضاء أخرى عبارة عن مجمّع دقيق من الآلات الحيويّة المتشابكة بأسلوب معجز ، جعله الباري في خدمة مخلوق عاقل نفخه الله في ذلك المجمع الحيوي ، اسمه الروح في مصطلح القرآن والسنة . وأن هذه الروح تسيطر على ذلك الجسد الحي في هذه الدنيا بواسطة المخ ؛ فهو يشتغل بتشغيلها له وينفعل بتوجيهاتها ، فيحرك أعضاء الجسد الأخرى ، فيرسل عن طريقها ما تريد الروح إرساله ، ويستقبل عن طريقها ما تريد الروح استقباله ، فتقرأ الروح ما يتجمع في الدماغ ، وتصدر الأحكام والنتائج في صورة تصرفات إنسانية ، وأنه - أي المخ - إذاأصابه تلف جزئي عجز بصورة جزئية عن الانفعال لأوامر الروح ، وظهر ذلك العجز الجزئي على بعض الأعضاء ، وأثمر بالتالي عجزاً جزئياً عن ممارسة التصرفات . وأنه - أي المخ - إذا أصابه تلف كامل بسبب ما يطرأ عليه مما سماه علماؤنا بالأخلاط الغريبة ، التي تبدأ بالأمراض والحوادث ، مما يعرف تفصيلاته أهل الاختصاص ، إذا حدث ذلك للمخ كان عاجزاً بصورة كلية عن الاستجابة لإرادة الروح ، وعجزت سائر الأعضاء أيضا بعجزه . فإن كان هذا العجز نهائيا لا رجعة فيه ، ولا أمل في استدراكه ، رحلت الروح عن الجسد بإذن ربها ، وقبضها ملك الموت ، وأخذها في رحلة جديدة لا نعلم منها إلا ما علمنا ربنا عن طريق المصطفى عليه الصلاة والسلام ، وليس مجال تفصيله في هذا البحث .

فإذا استطاع أهل الاختصاص أن يعرفوا بصورة جازمة الوقت الذي يصبح فيه المخ عاجزاً عجزاً كاملاً عن القيام بأي نشاط بسبب انتهاء حياته الخلوية ، ومستعصياً استعصاء كاملاً على العلاج ، لم يكن هناك أي مبرر لإنكار موت الإنسان عند هذه الحالة .

هذا ما يمكن تحصيله من إجراء التفاعل بين دور علماء الشريعة الإسلاميّة ودور علماء الطب . المفصلين آنفا ، ويمكن تلخيصه في هذه المقابلة بين الفريقين :-

علماء الشرع	علماء الطب	النتيجة
١ - الروح التي تدرك مختلف المدركات	عمليات الحس والإدراك تتم في مخ الإنسان	الروح تدرك المدركات باستعمال المخ
٢ - الروح هي التي تتصرف بالجسد في جميع حركاته الاختيارية	المخ هو الذي يسيطر على بقية أعضاء الجسد في حركاتها الاختيارية	الروح هي التي تتصرف بالأعضاء بواسطة المخ
٣ - علامة اتصال الروح بالجسد الحس والحركة الاختيارية	علامة صلاحية المخ الحس والحركة الاختيارية	علامة اتصال الروح بالجسد صلاحية المخ
٤ - علامة مفارقة الروح للجسد غياب الحس والحركة الاختيارية بصورة نهائية	علامة موت المخ غياب كلي نهائي للحس والحركة الاختيارية	علامة مفارقة الروح للجسد موت المخ بصورة نهائية
٥ - الحركة الاضطرارية لا تدل على اتصال الروح بالجسد	الحركة الاضطرارية لا تدل على صلاحية المخ لا كلّياً ولا جزئيا	الحركة الاضطرارية لا تدل على حياة أو موت الإنسان
٦ - لا تتصل الروح بالجسد في الدنيا إلا بعد مرور أربعة أشهر على تكوّن الجنين	إمكان فصل كثير من أعضاء الجسد مع المحافظة على حياة الخلايا المكونة لهذه الأعضاء	حياة الخلايا الجسدية غير حياة الروح ، وإمكان اتصالها وانفصالها .

قوة تلك النتيجة :ـ

لا نستطيع أن ندعي أن تلك النتيجة في تحديد نهاية الحياة الإنسانية قطعيّة يقينيّة ، لا تقبل إثبات خلافها . وإنما هي نتيجة مبناها على غلبة الظن ؛ لأن مقدماتها وإن كان بعضها قطعيا ، لكن بعضها ظني ؛ ذلك أن تحديد العجز الكامل النهائي للمخ ، بما وصل إليه العلم الحديث ، قد يدخله بعض الشك ؛ فإن المخ كما تبين مما سبق ذكره عضو من أعضاء الجسم وإن كان رئيسها ، وليس هو الروح بعينها ، ولم يقم دليل شرعي ولا علمي على حلول الروح فيه دون غيره . وتعطله يكون نتيجة أمراض معينة . وكل مرض وجد أو سيوجد ، اكتشف علاجه أو لم يكتشف فيه قابلية الشفاء ، كما أخبر الصادق المصدوق عليه الصلاة والسلام (ما أنزل الله داء إلا أنزل له شفاء)(١٣) . وقد يأتي يوم يتقدم فيه العلم أضعافاً مضاعفة عما هو عليه الآن ، ويكتشف أن العلامات التي يقررها أطباء اليوم لموت المخ نهائيا ليست قاطعة ، وأن معالجة المخ بالرغم من ظهور تلك العلامات عليه ممكنة . أو قد يأتي يوم يتمكن العلماء فيه من نقل مخ حي إلى إنسان تلِفَ مخه بصورة كاملة . ولا يرد على ذلك ما أورده أحد الإخوة الأطباء من أن نقل مخ حي يُقطع بعدم جوازه شرعاً ؛ لأن صاحبه يكون حيا بالاتفاق ، ونقل مخه يكون قتلاً له ؛ إذ قد يتصور أن يكون صاحب المخ الحي محكوماً عليه بالإعدام بفصل رأسه عن جسده بالسيف مثلا ، كما هو الحال في بعض الدول ، وما دام العلم كما ذكر بعض الإخوة الأطباء ، قد توصل إلى إمكان تبريد المخ لبضع ساعات ، محتفظاً بقابليته للانبعاث من جديد ، فإن احتمال إمكان النقل يظل وارداً عقلاً وشرعاً . ولو حصل هذا الاحتمال فإن معناه إمكان الحفاظ على الروح في الجسد بتعويضها عن مخ صاحبها بمخ جديد(١٤) .

هل يمكن بناء الأحكام العمليّة على هذه النتيجة ؟

ليس هنالك خلاف يعول عليه بين علماء الإسلام في أن الأحكام العمليّة

تبني على غلبة الظن المحصّلة بالأمارات والدلائل، وقد أشار إلى ذلك علماء الأصول .(١٥)

وترتيباً على ذلك فإنه يمكن بناء ما يحتاج إليه من الأحكام العمليّة على تلك النتيجة التي توصلنا إليها في تحديد نهاية الحياة الإنسانيّة ؛ فيمكن الاستفادة منها لتحديد القاتل عند اشتراك الجناة على التتابع ، كما يمكن استخدامها لمعرفة حكم نقل الأعضاء الآدميّة .

غير أنه في كل مرة تتخذ هذه النتيجة أساساً لبناء حكم عملي عليها ينبغي توفر جميع الشروط اللازمة لمنع استغلالها أو الخطأ فيها ؛ فينبغي أن يصدر قرار انتهاء الحياة الإنسانية بموت المخ النهائي عن لجنة من أهل الاختصاص ذوي الكفاءة والنزاهة ، وأن يكون ذلك بالإجماع ، وأن تسبق عملية النقل موافقة صاحب المخ الميت في خلال حياته ، وأن لا يكون قد رجع عنها قبل موته ، وموافقة ذويه بعد وفاته ، وأن لا يكون هنالك أي بديل آخر يتوصل إليه العلم ويحقق المراد .

هذا ولقائل أن يقول :ـ كيف يصح أن تبنى أحكام خطيرة ، كحكم نقل القلب ، على نتيجة مبناها على غلبة الظن ، والخطأ فيها معناه إهدار حياة موجودة ؟

والجواب عن هذا الاعتراض أن جانباً كبيراً من حقائق الحياة لا يعرف إلا بغلبة الظن لا بالقطع واليقين . والاقتصار في بناء الأحكام على تحصيل اليقين ، فيه تعطيلٌ لكثير من المصالح الخطيرة . وكثير من أحكام الشرع مبناه على الظن الغالب ، وبعض هذه الأحكام خطيرة جداً قد يترتب على الخطأ في بنائها إزهاق أرواح بريئة ؛ من ذلك إلزام القاضي ببناء أحكامه في قضايا الحدود والقصاص على طرق الإثبات الشرعيّة ؛ فيجب على القاضي أن يحكم برجم الزاني المحصن الذي

يشهد عليه أربعة من الرجال العدول . وأن يحكم بالقصاص على القاتل الذي تثبت جريمته بشهادة اثنين من الرجال العدول وغير ذلك . واحتمال كذب الشهود مهما كانوا عدولاً في الظاهر أمر قائم ، واحتمال خطأ الحاكم في حكمه في أمثال هذه القضايا الخطيرة لا ينكره أحد ، والخطأ فيها قد يؤدي إلى إهدار أرواح بريئة كما يرى ، ولم يقل أحد بحرمة إصدار الأحكام في غير محل اليقين ، بل الكل مجمعون على وجوبه بحصول الظن الغالب عن طريق اتباع الطرق الشرعية .

على أن هناك من الصور الواقعيّة ما تقترب فيه غلبة الظن من اليقين ، بحصول الوفاة ، قبل فقدان أعضاء الميت ، ومنها القلب ، لقابلية الانبعاث من جديد ، والاستفادة من نقلها في إحياء إنسان مشرف على الموت ؛ وذلك كما لو أصيب شخص بحادث أدى إلى انفصال رأسه عن جسده ، وتناثر دماغه على مسرح الحادث ، واستطاع الأطباء الوصول إلى قلبه ، وهو في حالة يمكن فيها الاستفادة منه : أليس من المبالغة الواضحة الجنوح إلى تحريم تلك الاستفادة ؟! كذلك عندما يحكم على إنسان بالإعدام شنقاً أو بالسيف ، فإذا تمت عملية الإعدام وبقي القلب نابضاً ، واستطاع الأطباء الاستفادة من ذلك القلب في إنقاذ إنسان آخر من الموت في حدود ما تقدم من الشروط والقيود ، فأي قاعدة شرعية تمنع ذلك ؟!

خلاصة ومثال من الواقع :

وبناء على ما تقدم فإن أغلب الظن عندي أن مجرد وجود قلب ينبض أو كِلْية خلاياها حية ، أو غير ذلك من أعضاء الجسد الإنساني سوى المخ ، ليس قرينة على وجود الروح أو عدم وجودها ؛ وذلك لإمكان قيام هذه الأعضاء بخلاياها الحية مع وجود الروح ومع غيابها . وإنما ترتبط الروح الآدمية وجوداً وعدماً مع حياة الدماغ .

وإلى الذين يخالفون هذا الرأي أضرب هذا المثل الذي لا يستبعد وقوعه في الحياة :

إنسان حكم عليه بالإعدام بالسيف ، وله ولد أفاد الأطباء بصورة قطعية أن قلبه تالف ، ولا أمل له في استمرار حياته إلا بتعويضه عن قلبه بقلب سليم (بعد مشيئة الله تعالى) فأوصى الوالد بقلبه بعد تنفيذ الحكم عليه لولده المريض . وفور تنفيذ الحكم عليه ، وفصل رأسه عن جسده ، تلقفه الأطباء وحفظوا الجسد المفصول بما فيه من قلب وغيره بوسائلهم وأمدوه بما يلزم للحفاظ على حياة الخلايا فيه ، وبقي القلب الموصول بالأجهزة نابضا :

ففي هذه الحالة هل يمتنع في حكم الدين أن ينقل هذا القلب النابض إلى ذلك الولد المبتلى بقلب يوشك أن يخمد ويتوقف نبضه ؟! وهل يستطيع أحد أن يدعي بقاء الروح في هذا الجسد الذي استطاع الطب ـ بعون الله تعالى ـ المحافظة على الحياة في خلاياه ؟!

لا أعتقد أن أحداً يقول ببقاء الروح في جسد بلا رأس ، مهما كانت خلاياه حية . وأما نقل بعض أعضاء ذلك الجسد فقد يتمسك متمسك بالمنع معتمداً على حرمة الميت في شرع الله تعالى ، ولكن حرمة الميت ليست أشد ولا آكد من حرمة الإنسان الحي الذي أفتى كثير من العلماء بجواز نقل بعض أعضائه خلال حياته برضاه ، كالكِلْية مثلا . ولا شك في أن حاجة الإنسان الحي إلى كليته ، بل إلى ظفره أشد من حاجة جسدٍ مفصول عنه الرأس إلى القلب الموجود فيه .

وكأني ببعض الإخوة الكرام يقول: إن هذا المثال الذي ضربته يختلف عن حالات موت الدماغ ، بأن المخ فيه قد ذهب إلى غير رجعة ، لانفصال الرأس عن الجسد ، بينما الصور الأخرى يفترض فيها بقاء الدماغ في الرأس المتصل بجسده .

والجواب أن هذا فرق غير مؤثر في الحكم ، وهو لا يزيد عن الفرق بين إنسان

مات بسكتة قلبية ، وإنسان احترق بالنـار ، وصار جسـده كله رمادا ؛ كـلاهما ميت ، ولا ومضة أمل في حياته ولا فرق كذلـك بين دمـاغ ذهب وانفصل عن جسده ، ودماغ حكم أهل الاختصاص بصورة قاطعة أن خلاياه قد ماتت كلها (١٦) .

وليس الفرق في حقيقة الأمر ، إلا من حيث وضوح الموت في الحالة الأولى لكل ناظر وعدم وضوحه في الحالة الثانية إلا لأهل الاختصاص . وهذا فرق غير مؤثر في الحكم ؛ لأن عدم إدراك الإنسان غير المختص لواقع معين ليس له أثر في نفي هذا الواقع ، وإنما الأمر في ذلك للمختصين . وهذه قاعدة مضطردة ؛ ألا يُرى أن المبصر لو شهد برؤية ما لا يدرك بوسيلة أخرى غير البصر ، ونفى ذلك أعمى ، فإن الحكم يُبنى على شهادة المبصر . ولو أن الأحكام توقفت على إدراك كل الناس للوقائع ، لكان هذا تعطيلاً لمعظم الأحكام .

ولا شك في أن معرفة أحوال الدماغ من حيث صحته ومرضه ، وحياته وموته أمر من أمور الدنيا ؛ وليس أمراً دينيا ولا غيبيا . والرسول المصطفى ﷺ أمرنا بالرجوع في أمور دنيانا إلى المختصين العدول ، فـإذا وجد بيننـا علماء في الطب مسلمون لا نشك في علمهم ولا نتهمهم في إخبارهم عن الواقع ، وجب أن نبني الأحكام على قولهم .

هذا وقد يقال لي : لماذا لم تلتـزم بهذه القـاعدة في رأيـك عن بدء الحيـاة الإنسـانية؟ أليس أكـثر الأطباء يـرون خـلاف مـا ذكـرته هنـاك ، وهم أهـل الاختصاص؟

والجواب عن ذلك أن تلك القضية فيها نص حـديث شريف ، أسنـدت ظهري إليه ، وفسرت الواقع بناء عليه ، وهذا واجب كل مسلم مهما كان تخصصه ولم أخالف الأطباء فيما يدخل في اختصاصهم ، وإنما فسرت بالشرع الواقع الذي

أفادوه ، ورددت عليهم ما ليس من تخصصهم ؛ حيث حاولوا تفسير الواقع الذي اكتشفوه بما يتعارض مع حقيقة شرعية أخبر عنها الرسول الكريم ﷺ .

وأخيرا قد يجادل مجادل بأن المثال الذي ذكرته فيه فرق آخر، وهو أن المحكوم عليه بالإعدام لاحرمة له ؛ لأنه مهدر الدم . وهذا فرق آخر لا قيمة له ولا أثر له في الحكم الذي ذكرناه ؛ لأن المحكوم عليه بالإعدام غير محكوم عليه بخلع قلبه من صدره ؛ وهذا أمر زائد عن العقوبة ، وهو من المثلة المنهي عنها لو تجرد عن إذن صاحبه وعن غرض مشروع . وعلى أية حال فإن هذا مجرد مثال ، والواقع قد يتمخّض عن أمثلة كثيرة ، وخاصة في هذا الزمان الذي تضاعفت فيه الأخطار على حياة ابن آدم . وهو متصور في حوادث السيارات والطائرات والقطارات وغيرها ومتصور بكثرة في الحروب .

الهوامش والمراجع

١ ــ الروح ص ١٩٩ طبع بيروت ـ سنة ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢ م .

٢ ــ التعريفات ص ٩٩ طبع الحلبي سنة ١٣٥٧هـ / ١٩٣٨م .

٣ ــ إحياء علوم الدين أبو حامد الغزالي حـ ٤ ص ٤٩٤ طبع بيروت ـ دار المعرفة .

٤ ــ إحياء علوم الدين حـ ٤ ص ٤٩٤ ، الروح ص ٢٨٦ ، ٢٨٧ .

٥ ــ الروح ص ٢٤٢ ، ٢٨٥ ، شرح العقيدة الطحاوية ص ٣٨١ الطبعة الثالثة .

٦ ــ الروح ص ٢٤٢ ــ ٢٩٠ .

٧ ــ شرح العقيدة الطحاوية ص ٣٨١ . الدين الخالص ـ محمود السبكي حـ ٧ ص ١٨٦ طبع سنة ١٣٦٨هـ .

٨ ــ إحياء علوم الدين حـ ٤ ص ٤٩٤ .

٩ ــ المنثور في القواعد ــ بدر الدين الزركشي حـ ٢ ص ١٠٥ وما بعدها نشر وزارة الأوقاف ــ الكويت ــ الطبعة الأولى سنة ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢ م .

١٠ ــ انظر هذه الأقوال في نهاية المحتاج وحاشية الشبراملسي عليه حـ ٧ ص ١٥ ، ١٦ . وانظر أيضاً قريباً مما ذكر : المهذب ــ أبو اسحق الشيرازي حـ ٢ ص ١٧٤ ، ١٧٥ ــ مطبعة عيسى البابي الحلبي ــ مصر . والإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف على مذهب الإمام أحمد حـ ٩ ص ٤٥١ ، ٤٥٢ ــ علاء الدين أبو الحسن علي بن سليمان المرداوي ــ تحقيق محمد حامد الفقي ــ الطبعة الأولى سنة ١٣٧٧ هـ/١٩٥٧ م . والجريمة للشيخ محمد أبو زهرة ص ٤٠٤ هـ طبع دار الفكر العربي . والبحر الرائق شرح كنز الدقائق لابن نجيم حـ ٨ ص ٣٣٥ ، طبع بيروت ــ دار المعرفة ــ الطبعة الثانية . والأم ــ الشافعي حـ ٦ ص ٢٠ ، ٢١ ــ طبعة مصورة عن طبعة بولاق ١٣٢١ هـ .

١١ ــ المنثور في القواعد حـ ٢ ص ١٠٦ .

١٢ ــ المرجع ذاته .

١٣ ــ أخرجه البخاري في كتاب الطب من صحيحه .

١٤ ــ ولو حصل هذا لم يكن هناك أي داع للتخوف من انتقال المعاني والمسؤوليات من إنسان إلى إنسان ؛ لأن المخ كما استنتجنا ليس هو الروح ، وإنما هو الآلة الرئيسة لبقية آلات الجسد ، ومثله في ذلك كمثل القلب ، وإن كان أبلغ في أهميته .

١٥ ــ انظر : كتاب المنخول من تعليقات الأصول ــ لأبي حامد الغزالي ص ٣٢٧ وما بعدها طبع دمشق سنة ١٤٠٠ هـ ــ ١٩٨٠ م ــ دار الفكر .

١٦ ــ أكد ذلك كثير من الأطباء الذين حضروا ندوة الحياة الإنسانية : بدايتها ونهايتها في المفهوم الإسلامي ، ولم يخالف في ذلك أحد منهم .

نهاية الحياة

للدكتور محمد سليمان الأشقر
الموسوعة الفقهية الكويت

بدأت حياة البشرية بنفخة ، وتنتهي بنفخة ، فسبحان الله الحيّ القدير . بدأت بنفخة في جسد آدم ، وتنتهي بنفخة ينفخها اسرافيل في الصور ﴿ فصعِقَ من في السموات ومن في الأرض ﴾ أي ماتوا في الحال . وأما الواحد من بني آدم فقد يطول احتضاره ومعاناته لسكرات الموت الذي كان منه يحيد ، حتى إن محمداً ﷺ قال : « اللهم أعنّي على سكرات الموت» .

ونهاية الحياة الإنسانية بما يقوم به ملك الموت ورسل الله ، من إيجاد الانفصال الكامل بين تلك الروح وبين الطين الذي كان مسكنها ومطيتها ، وذلك بتوفيّها وإرجاعها إلى ربها الذي هي من أمره ﴿ وما أوتيتم من العلم إلا قليلا ﴾ .

وبينها الروح بعد ذلك في روح وريحان وجنة نعيم أو في نزل من حميم وتصلية جحيم ، يبدأ ذلك الطين المشكّل ، والمسكن الذي كان معداً لإقامة النزيل ، يبدأ بالتحلل ، بعد رحيل ذلك النزيل شيئاً فشيئاً ليعود تراباً كما كان ، وليندمج في الأرض التي منها بدأ .

ولن تستطيع قوة أو علم أو حكمة أن تجمع بين ما فرقه الله ﴿ فلولا إن كنتم غير مدينين . ترجعونها إن كنتم صادقين ﴾ .

وقد ذكر النبي ﷺ لحصول ذلك الافتراق أمارةً تُرى : فعن أم سلمة أن رسـول الله ﷺ قال « إن الـروح إذا قُبِض أتبعـه البصـر » (رواه مسلم) وعن شداد بن أوس أن رسول الله ﷺ قال « إذا حضرتم موتاكم فأغمضوا البصر ، فان البصر يتبع الروح . وقولوا خيراً ، فإنه يؤمِّنُ على ما يقول أهل الميت » رواه أحمد في المسند .

ويذكر الفقهـاء أماراتٍ أخـرى وصل إليهـا علمهم ، وعرفـوها بمقتضى التجربة البشرية : « استرخاء رجليه ، وانفصال كفيه ، وميل أنفه ، وامتداد جلدة وجهه ، وانخساف صدغيه » (المغني ٢/٤٥٢)

ولابد للحكم بموته من أن تنعدم كل أمارات الحياة . ويذكـرون ذلك في استهلال المولود ليرث ، قالوا « لابد أن ينفصل حياً حياة مستقرة ، فلو مات بعد انفصاله حيّا حياة مستقرة فنصيبه لورثته ، ويعلم استقـرار حياتـه عند الحنـابلة والشافعية إذا استهلّ صارخاً ، أو عطس ، أو تثاءب ، أو مصَّ الثدي ، أو تنفس وطال زمن تنفسه ، أو وجد منه ما يدل على حياته ، كحركةٍ طويلة ونحوها . فلو لم تكن حياة مستقرة ، بل كالحـركة اليسيـرة ، والاختلاج ، والتنفس اليسـير ، لم يرث ، لأنه لا يعلم بذلك استقرار حياته ، لاحتمال كونها كحركة المذبوح ، أو كما يقـع للانتشـار من ضيق ، أو استواء الملتـوي (العذب الفـائض في الفـرائض ٣/٩١)

وفي شرح السراجية مما تعلم الحياة المستقرة به « صوت أو عطاس أو بكاء أو ضحك أو تحريك عضو » .

ولو كان عندك شاة أصيبت وقاربت الموت ، فذكّيتها بـالذبـح ، فإن علمت أنك ذبحتها وفيها حياة مستقرة فهي حلال ، وإن ذبحتها وهي ميتة فلا ذكاة لميت . وروي « أن امرأة كانت ترعى غنماً ، فأصيبت شاة لها ، فذكتها بحجر ، فقـال رسول الله ﷺ : كلوها » .

قال الإمام أحمد بن حنبل : اذا مَصَعَتْ بذنبها ، وطَرفَت بعينها ، وسال الدم ، فأرجو إن شاء الله أن لا يكون بأكلها بأس .

قال الشيخ الموفق : إن أدركها وفيها حياة مستقرة حلَّت ، لعموم الآية والخبر ، سواء كانت قد انتهت إلى حال يعلم أنها لا تعيش معه ، أو تعيش (المغني ٥٣٨/٨)

ومع أنه يتوقف على تحديد لحظة الموت أمور شرعية ضخمة إلا أننّا لم نجد في ما رجعنا إليه من كتب الفقه تحديداً بشيء غير ما تقدم .

فمما يتوقف على ذلك :

تحديد مبدأ عدة زوجته ونهايتها . وقد يتوقف على معرفة النهاية الحكم بصحة زواجها من غيره أو البطلان .

والتوارث : فقد يموت الأَخوان أو القريبان في وقت متقارب ، ويتوقف على التحديد أن تنتقل ملايين هذا أو ألوفه إلى ورثة الآخر ، أو عكس ذلك .

والوصايا : فقد يوصي ثم يموت الموصَى له في الفترة المتحيّرة ، فلا يدرى أيستحق شيئاً أم لا ؟

وغسله والصلاة عليه : فإن غسل وصلِّي عليه ، وعليه أجهزة الإنعاش وقلبه يدق ونَفَسَه يربو وصُلِّي عليه ، فهل تلك الصلاة صحيحة لأنه ميت ، أم لا لأنه حيّ ؟

وإيقاف أجهزة الإنعاش : هل هو سَلْبُ سببٍ تعلّقت به حياة نفس إنسانية يفضي إلى موتها ، أم هو كإيقاف صنبور ماء يصبّ على شجرة قد يكون من الخير والاقتصاد فصله عنها .

وأخذ قلبه أو كليته أو عينه : هل هو جناية أو قتل عمد ، فيؤخذ قلب

الجراح أو كليته أو عينه قصاصاً ، أم هو عمل في ميت قد انتهى وسبقت روحه إلى السماء ، يستطيع أهله بإذنهم فيه أن يهزّوا ضمائر البشر لو كان يهتز لبيض الجنوب الأفريقي ضمير .

هذا وفرقٌ بين موت الجنين وحياته عند ولادته وبين موت الحيّ ، فإن الأصل في الجنين عدم الحياة حتى يتحقّق أنه حيّ ، والأصل في من ثبتت حياته أنه حيّ حتى يتحقق أنه ميت ، والأصل بقاء ما كان على ما كان ، لا يزول ذلك اليقين بأمر مشكوك فيه .

والقلب الإنساني ـ دينامو الجسم البشري ـ يتبع فسادَه وتلفَه الموتُ لا محالة « فإذا فسد فسد الجسد كله » .

إن نضال الطب ضد الموت حقق إنجازاته الرائعة ،وقامت أجهزة الإنعاش بدور يقدر الكل قدره ، في حفظ الحياة بإذن الله على مئات الألوف من البشر ، وحفظ الستر على مئات الألوف من الأسر .

وإن محاولة الطب الاستفادة من قلب من تحقّق موته لإحياء نفس أخرى ، محاولة يقدر الكلّ قدرها أيضا .

وكانت حياة القلب ونبضه والتنفس دليلَ الحياة ووجود الروح ، فأمكن أن تحلّ أجهزة الإنعاش محل القلب، ومحل التنفس التلقائي لساعات محدودة ، أو أيام معدودة ، وإذا كان الدماغ في تلك الأثناء قد مات ، فهل الإنسان في تلك الساعات المحدودة ، أو الأيام ، حيّ أم هو ميت ؟

إنها الفترة المتحيرة .

وتأتي المشكلات التي تقدم بيانها عبئاً يلقيه التقدم الطبي على عاتق فقهاء العصر .

وحِرْصُ إخواننا الأطباء على أن يكونوا ممن (أحيا الناس جميعا) يحدوهم إلى

أن يمهّدوا الطريق ، ليكون عملهم ضمن الإطار الشرعي ، حيث لا إثم ولا ضمان .

وقد ورد السؤال إلى لجنة الفتوى بوزارة الأوقاف الكويتية في جلستها المنعقدة في ١٨ صفر ١٤٠٢هـ الموافق ١٤/١٢/١٩٨١م . من كل من الدكتور/ رعد عبدالوهاب شاكر ـ مدرس في كلية الطب بجامعة الكويت ، والدكتور/ عبدالرحمن حمود السميط ـ أخصائي الباطنية بمستشفى الصباح . وكان نصه :

« في حالة التأكد من حصول الموت الدماغي ، والذي تتوقف فيه كل وظائف الدماغ ، ويتبعه فوراً موت بقية أعضاء الجسم لولا وجود أجهزة إنعاش التنفس والقلب وغيرهما ، والتي تؤخر موت بقية أعضاء الجسم لبضعة أيام فقط :

هل يجوز للطبيب المسلم العمل ، وبأسرع ما يمكن ، لإنهاء هذه الحالة المصطنعة ، التي تؤخر توقف بقية أعضاء الجسم عن العمل لأيام ، وتؤخر دفنه؟»

وقد أفتت اللجنة بما يلي :

« إنه إذا قطع الأطباء بأن هذا المصاب لا يمكن شفاؤه ، وأنه لا يعيش أكثر من عدة أيام مع وضع هذه الأجهزة عليه ، ووجد من هو أحوج لهذه الأجهزة من هذا المصاب ، فيجب رفع هذه الأجهزة عنه ووضعها للأحوج .

أما إذا لم يكن هناك حاجة لرفعها عنه فتبقى ـ وجوبا ـ إذا كان هناك أدنى أمل في شفائه .

أما إذا لم يكن هناك أدنى أمل في شفائه فيكون الأمر متروكاً للطبيب : إن شاء أبقاه تحت هذه الأجهزة ، أو صرفها عنه . ولا يمكن اعتبار هذا الشخص ميتا بموت دماغه متى كانُ جهاز تنفّسه وجهازه الدمويّ فيه حياة ولو آلياً .

وعلى هذا فلا يجوز أخذ عضو من أعضائه ـ ولا سيما إذا كان رئيسياً ـ كالقلب والرئتين لإعطائها لغيره ، أو للاحتفاظ بها للطوارىء . كما أنه لا تُجرى عليه

أحكام الموت : من التوريث ، واعتداد زوجته ، وتنفيذ وصاياه ، إلا بعد موته الحقيقي ، وتعطيل كل أجهزته .

هذا وبالله التوفيق وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم »

وهـذا الحكم الـذي أصـدرتـه اللجنـة عـلى سبيـل الجـزم ، عـادت في ٢٩/٩/١٩٨٤م فشككت فيه ، فقد أصدرت الفتوى التالية وبناء على استفتاء مشابه :

« لا يُحكم بالموت إلا بانقضاء جميع علامات الحياة ، حتى الحركة والتنفس والنبض ، فلا يحكم بالموت بمجرّد توقف التنفس أو النبض أو موت المخ ، مع بقاء أي علامة من العلامات الظاهرة أو الباطنة التي يستدل بها على بقاء شيء من الحياة . وذلك لأن الأصل بقاء الحياة ، فلا يعدل عن هذا الأصل بالشك ، لأن اليقين لا يزول بالشك . هذا ما انتهت إليه اللجنة مبـدئياً وهي تـرى أن الأمر يستحق مزيداً من البحث المشترك بين الأطباء والفقهاء . والله أعلم » .

لقد تراجع أهل الفتيا السابقة عن الجزم بأنه لا يحكم بالموت إلا بتعطيل جميع أجهزة البدن ، وقالوا إن ذلك ما انتهوا إليه مبدئيّاً .

والآن تتبدّى حقائق لم تكن متوفرة .

ولكن يبقى تساؤلات لمزيد من الاستيضاح :

أولاً : هل يُظَنُّ أنـه قد يـأتي يوم يتمكن العلم أيضـاً من إعادة النشـاط الكهربائي للدماغ ، أو نقل جذع الدماغ من بدن إلى بدن آخر ؟ أم إن عجزنا الحاليّ هو الذي دعانا إلى أن ندعي أن الموت في حقيقته هو موت الدماغ دون موت القلب ؟

ثانياً : ونتساءل أيضاً عن الحكايات التي يتناقلها الناس من أن فلاناً مات ، ثم دفن ثم سُمع صوته صدفة ، فحفر القبر وإذا به حي ، أو قد غيرَّ وَضْعَهُ ثم

مات مرة أخرى ، هل يصح علمياً من هذه الحكايات شيء ؟ وهل كان القلب متوقفاً طيلة هذه المدّة . ويستغرق ذلك أحياناً ساعات طويلة والمريض غائب عن الوعي ؟

وفي حالة الموت بالسكتة والصعقة والخوف والسقوط ونحوها مما قد ينتج عنه الموت المفاجىء ، يطلب الفقهاء أن يُنتظر بالميت احتياطياً حتى تظهر به العلامات المعتبرة في غير هذه الأحوال من استرخاء الرجلين ، وانخساف الصدغين ، إلى آخره ، ليتحقق الموت (المغني ٢ /٤٥٢)

ويقول ابن عابدين (١ /٥٧٢) « إن أكثر الذين يموتون بالسكتة يدفنون وهم أحياء ، لأنه يعسر إدراك الموت الحقيقي إلاّ على أفاضل الأطباء . »

فهل يصح هذا كله ؟ وإذا صحّ فكيف التنسيق بينه وبين ما يقوله الأطباء من أن القلب إذا توقف تبعه موت الدماغ يقينا بعد مالا يزيد عن خمس دقائق ؟

ثالثاً : يذكر إخواننا الأطباء أن الموت يتبين يقيناً بانعدام كهرباء المخّ ، وأن من السهولة بمكان قياس ذلك . فبماذا يفسّرون أن الجهات العلمية البريطانية وغيرها تشترط أنواعاً من الاختبارات غير هذا ، وتقيس به وتطلب أن تعمل الاختبارات كلها . فهل يستطاع القول إنه يبقى الشك في الوفاة قائماً حتى مع انعدام كهرباء الدماغ ؟

رابعاً : لتحديد حجم المشكلة : هل يُعْتَقَد أنه يمكن أن يأتي اليوم الذي نستغني فيه نهائياً عن زراعة الأعضاء الإنسانية بأعضاءٍ صناعيّة ، أو بأعضاء الحيوانات . وقد سمعنا أخيراً بأن طبيباً غرس لطفلةٍ قلبَ قردٍ ، فهل النجاح في هذا الميدان يبطل الحاجة إلى انتهاك حرمة المرضى الذين قد يدّعى أنهم أحياء وتؤخذ قلوبهم ؟

خامساً : إذا أخذنا بالرأي القائل بأن الإنسان لا يعتبر ميتاً حقيقة إلا بتوقف عمل القلب ، بالإضافة إلى توقف عمل الدماغ ، فهل يعني ذلك القضاء على عمليات زراعة القلب بصورة شرعية قضاء نهائياً ؟ ومثل القلب سائر الأعضاء المفردة التي تتوقف عليها الحياة .

ولو كان المفتي يفتي بجواز زراعة القلب ، ويفتي أيضا بأن الإنسان حيٌّ مادام قلبه يعمل إن كان دماغه قد مات ، فهل تعتبر فتاواه متناقضة من وجهة النظر الطبية ؟

سادساً : ما الذي وصلت إليه القوانين بهذا الخصوص في الدول المعاصرة ؟

عودة إلى الفقه الإسلامي :

نعود إلى فقهنا الإسلامي العظيم لنبحث عن نورٍ يعيننا على استجلاء ما نحن فيه من الحيرة .

ونجد فقهاءنا قد تعرضوا لشيء شبيه بما نحن فيه .

فقد ذكر فقهاء الحنفية لمن (قَتَل) إنساناً قد وجد فيه سابقاً سبب الموت ثلاث حالات :

الحالة الأولى : لو جرح إنسانٌ آخر بأن شق بطنه أو نحو ذلك ، وأشرف المجروح على الموت ، ولكن فيه حياة مستقرة ، فقطَعَ عنقَه آخر ، فالثاني هو القاتل وليس الأول .

ومعنى « فيه حياة مستقرة » أن يتوهم فيه أن يعيش يوماً أو بعض يوم .

الحالة الثانية : قطع إنسان عنق آخر ، وبقي من الحلقوم قليل وفيه الروح ، فجاء آخر فقطع عنقه ، فلا قصاص على الثاني ، والقصاص على الأول ، لأنه لا يُتوهم بقاؤه ، ولم يَبق إلا اضطراب الموت ، وحركته حركة مذبوح ، فكأن الثاني ضرب من هو في حكم الميت ، ولا قصاص في ذلك على الثاني .

الحالة الثالثة : مريض في النزع ، من غير جناية ، لم يبق منه إلا مثل حركة المذبوح ، فقتَلَهُ قاتل . فاختلف كلام الحنفية . وقيل إن الصواب أن عليه القصاص وإن كان القاتل يعلم أنه لا يعيش به . وهذا هو الذي صوّبه ابن عابدين .

وقيل : إذا كان يُعلم أنه لا يعيش فلا قصاص على القاتل ، لأن المقتول كان في حكم الميت .

وذكر ابن قدامة من الحنابلة الحالتين الأوليين وقال : لا نعلم فيهما خلافاً (المغني ٦٨٤/٧) ومثله في (كشاف القناع ٥١٦/٥) والشافعية أيضاً ذكروا الحالات الثلاث ، ولم يختلف كلامهم في الحالة الثالثة أن على القاتل القصاص .

أما الفرق بين الحالة الأولى والثانية فواضح .

وأما الفرق بين الحالتين الثانية والثالثة فقد قال ابن عابدين « لعل الفرق بين هذا وبين من هو في حالة النزاع أن الموت في حالة النزاع غير متحقق : فإن المريض قد يصل إلى حالةٍ تشبه النزاع ، بل قد يظن أنه قد مات ، ويفعل به كالموتى ، ثم يعيش بعده طويلاً ، بخلاف من شُقّ بطنه ، وقطعت حشوته ، أو قُطِع عنقه ، ولم يبق منه إلا حركة المذبوح ، فإنه يتحقق موته . لكن إذا كان فيه من الحياة ما يعيش معها يوماً فإنها حياة معتبرة شرعاً ، فلذا يكون القاتل هو الثاني . أما لو كان يضطرب اضطراب الموت من الشقّ فالحياة فيه غير معتبرة أصلا ، فهو ميتٌ حكماً ، فلذا كان القاتل هو الأول . وقال : هذا ما ظهر لي . فتأمل »

وكذلك فرّق الشافعية : قال النووي والمحلّ : « لو أوصله رجل إلى حركة مذبوح بأن لم يبق إبصار ونطق وحركة اختيار ، ثم جنى عليه آخر ، فالأول هو القاتل ، ويعزّر الثاني لهتكه حرمة ميّت » ثم قال : « ولو قتل مريضاً في النزع ، وعيشه عيش مذبوح ، وجب بقتله القصاص ، لأنه قد يعيش ، بخلاف من وصل

بالجناية إلى حركة مذبوح » (شرح المنهاج ٤/١٠٣)

قالوا « ولا ينتقل ماله ـ أي مال الذي في النزع ـ للوارث ، بخلاف الجريح » .

وهذا الذي قالوه من التفريق بين من فيه حياة مستقرة ، وبين من لم يبق فيه إلا مثل حركة المذبوح ، واضح ، فإن الأول حيّ يجري عليه حكم الأحياء . أما الثاني فهو (في حكم الميت) كما عبرّ الحنفية والحنابلة ، أو هو (ميت) كما عبّر الشافعية . ولذا نأخذ في حقه بأنه لا يرث لو مات له قريب في تلك الحال . ولو ضربه آخر ضربةً أقعصته في الحال ، فالقاتل الأول . ويكون على الثاني التعزير للإساءة . وقد لا يكون ثمة تعزير إن لم يكن الغرض الانتهاك .

إنني أرجو تدقيق النظر من هذه الوجهة ، والتأمل الحق الذي دعا إليه ابن عابدين رحمه الله :

أولاً : الجريح الذي لم يبق منه إلا مثل حركة المذبوح ، والذي اتفقت كلمة من ذكرناهم على اعتباره ميتاً أو في حكم الميت ، فإن قلبه يعمل ، وأعضاءه تتحرك ، ومع ذلك فلا يعامل معاملة الحي ، ولا يحكم له بحكم الحي . وما ذلك إلا لليقين الحاصل بأنه إلى الموت سائر ، وأنه قد تجاوز نقطة اللاعودة ، ولم يبقَ من حياته ما يعتد به .

وثانياً : الذي في النزع من غير جناية ولم يبق منه إلا مثل حركة المذبوح ، اعتبروه في حكم الحي ، لكنهم عللوا ذلك بأمر واضح ، هو عدم العلم . قالوا : « لأنه لا يتحقق موته » كما عبّر الحنفية ، أو « لأنه قد يعيش » كما عبّر الشافعية .

إذن يبدو أن الأمر في حق من لم يبق منه إلا مثل حياة المذبوح راجع إلى التحقق وعدمه . ووسيلة التحقق قد تكون ظاهرة لكل أحد ، كالذي قطعت عنقه أو أبينت حشوته ، وقد تكون خفية لا يعلمها إلا حذاق الأطباء ، لكنهم منها

متيقنون ، كالذي مات منه الدماغ .

هذا ما نقوله في هذا المؤتمر على سبيل البحث والنظر ، لا على سبيل الإفتاء به ، والإذن في الأخذ به لأحد من الناس .

فإذا تأيد هذا في مؤتمركم الموقر ، ووافق على الأخذ به علماء الشرع ، يبقى القول في أمرين :

الأول : أنه هل ينبغي أن يقال : إن المريض في تلك الحال (ميتٌ حقيقة) . أم أن يقال : (هو في حكم الميت) كما قال الحنفية ؟

والذي أراه أنه ينبغي أن يقال : هو حيٌّ في حكم الميت . أي يعامل معاملة من قد مات في نزع أجهزة الإنعاش عنه ، وفي أخذ أعضائه ، لا في الميراث ونحوه[1] .

الثاني : ما هي الاحتياطات التي ينبغي اتخاذها من حيث الخبرة ، ومن حيث الثقة والأمانة ، لنضمن عدم حصول التجاوزات غير المنضبطة ؟

والله أعلى وأعلم . والحمد لله رب العالمين . وصلى الله وسلم على عبده ورسوله نبينا محمد وآله وصحبه .

---

(١) أي فلا يورث حتى يتوقف قلبه ليكون ميتاً حقيقة . وكذلك عدة زوجته ونحو ذلك .

نظرة في حديث ابن مسعود

للدكتور محمد سليمان الأشقر

بسم الله الرحمن الرحيم

تعليقاً على حديث ابن مسعود الذي رواه البخاري ومسلم أود أن أتكلم من وجهه نظر حديثيةٍ وأصوليةٍ صرفة . وكم كنت أود لو فرَّغت بحثي الذي قدمته للمؤتمر في هذه النقطة خاصة ، لأنها أساس الكلام تقريبا في هذا المؤتمر فيما يتعلق ببدء الحياة .

هذا الحديث روي في الصحيحين وغيرهما . وتضمن قضايا مختلفة :

القضية الأولى :

أنه أخبر بكتابة الأجل والرزق ، وهذا اتفقت عليه الروايات عن ابن مسعود وغيره من الصحابة . وقد بلغ عددهم كما في فتح الباري عشرة من الصحابة ، فلا يُشَكُّ في ذلك .

القضية الثانية :

أنه أخبر بزيارة الملك للجنين في بطن أمه . وهذا أيضا تتفق فيه الروايات .

القضية الثالثة :

أن هذه الزيارة تكون بعد أربعين وأربعين وأربعين . وهذه النقطة بالذات اختلفت فيها هذه الرواية للحديث مع روايات كثيرة لغير ابن مسعود من الصحابة ، بعضها في صحيح مسلم ، كحديث أبي أسيد الغفاري ، أن المدة أربعون يوما ، فقط ، ولم يذكر عن أى واحد من الصحابة غير ابن مسعود أنها ثلاث أربعينات ، بل كلها اتفقت على أنها أربعون واحدة فقط ، أو أربعون وبضعة أيام .

فما موقف المحدث تجاه مثل هذا ؟

إن هذا النوع هو من تعارض الروايات . ولا ينبغي في نظري أن يقال إنها زورتان ، فإن التفاصيل المذكورة في الروايات تدل على أنها زورة واحدة .

إذن هذا نوع من التعارض ، وإحدى الروايات هي الصحيحة ، وتعبر عما صدر في الحقيقة والواقع عن النبي صلى الله عليه وسلم . وأما الرواية الأخرى وإن صحت سنداً ، فينبغي أن نحملها على تصرف من بعض الرواة بنوع من الوهم ، أو نؤولها ، أو نفهمها على وضع غير ما يتبادر منها .

قد قال بعض من تكلم من المحدثين في هذا الموضوع : إن اختيار البخاري لرواية الأربعينات الثلاث ، وعدم ذكره لما خالفها ، نوع من الترجيح .

ولكن يمكن أن ننظر في هذا الأمر بطريقة أخرى ، وهي أن كثرة الرواة ، واتفاقهم على طريقة واحدة ، ترجح على رواية الواحد .

فإذا علمنا أن الرواة عن ابن مسعود في الروايات التي صحت سندا لم يأت بالأربعينات إلا واحد منهم فقط هو المسمى زيد بن وهب : نعلم بذلك رجحان رواية أن الأربعين واحدة ، حيث إنها قد صحت واتفق عليها سائر الرواة .

وهذا الترجيح هو المطابق لكلام الأصوليين والمحدثين ، طبقا لما يذكرونه في باب التعارض ، من أن الترجيح بكثرة الرواة أصل معتبر ، خاصة وقد صحت الروايتان من حيث السند ، وتكون رواية الأربعينات الثلاث شاذّة .

فإذا صح هذا الترجيح ، لزمنا أن نعتبر أن نفخ الروح وما ذكر معه إنما يكون بعد أربعين ، أو اثنين وأربعين ، أو خمسة وأربعين يوما ، وليس بعد مائة وعشرين يوما .

وينبغي أن تبنى الأحكام على هذا التوقيت لا على التوقيت بأربعة أشهر .

ويمكن أن نذهب إلى طريقة الجمع بين الروايتين ، حيث إن الجمع في حال التعارض أولى من الترجيح .

فأشير إلى أن رواية ابن مسعود التي فيها الأربعينات الثلاث رويت في الصحيحين بطريقتين :

الأولى : قالت : « إن إحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوما نطفة ، ثم يكون علقة مثل ذلك ، ثم يكون مضغة مثل ذلك ، ثم يُرْسَلُ إليه الملك » .

أما الرواية الثانية : فأرجو أن يُتَنَبَّهُ إلى لفظها : هي تقول : « إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوما ، ثم يكون في ذلك علقة مثل ذلك ، ثم يكون في ذلك مضغة مثل ذلك » .

فهذا الاختلاف لاشك أنه وقع بعد ابن مسعود وليس من ابن مسعود نفسه .

فإذا دققنا النظر في الرواية الثانية أمكن أن تُحَلَّ الإشكالات كلها . فهي قالت : «إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوما ، ثم يكون في ذلك علقة مثل ذلك ، ثم يكون في ذلك مضغة مثل ذلك» .

فقوله « في ذلك » يعود إلى ماذا ؟

لم أجد أحداً تكلم في الفرق بين الروايتين . ولعلهم استسهلوا فهم الرواية الأولى ففهموا إنها أربعينات ثلاث . ولكن أغفلوا الكلام عن الرواية الثانية :

إن كلمة « في ذلك » لا يظهر لها أي مرجع ترجع إليها إلاقَوْلَه (أربعين يوما) أي تكون أيضا علقة في الأربعين الأولى . وكذلك مرحلة العلقة هي أيضا في الأربعين الأولى . وبهذا تجتمع جميع الروايات عن ابن مسعود وغيره . ولايكون بينها تعارض .

ومآل الطريقتين واحد : إن قلنا بالتعارض والترجيح فالمدة أربعون يوما فقط . وإن قلنا بالجمع فالمدة أربعون يوما فقط كذلك .

أما القضية الرابعة : التي ذكرت في رواية ابن مسعود ، **فهي أن الملك ينفخ** الروح في الجنين في زورته تلك . فهذه القضية لم تذكر في أي رواية أخرى إلا في رواية ابن مسعود . إلا أنها رويت عن ابن عباس من قوله .

وأيضا هنا أتكلم من وجهة نظر أصولية وحديثية صرفة .

قد يظن أن هذا أيضا من باب تعارض الروايات .

ونقول : لا : ليس هذا من باب التعارض في شيء ، بل هذا من زيادة بعض الرواة عن البعض الآخر . فقد أتى بتفصيل لم يذكره غيره . فيكون هذا من باب (**زيادة الراوي الثقة**) وليس من باب التعارض .

(**وزيادة الراوي الثقة**) قد تضعف بسبب عدم مشاركة غيره من الرواة له في تلك الزيادة ، وانفراده بذلك ، لأن غيره كان يسمع كما سمع ، فلماذا أتى هو بما لم يأت به غيره ؟

ولكن الراجح عند العلماء أن زيادة الراوي الثقة عن غيره مقبولة ، ويعمل

بمضمونها . وعلى هذا فرواية (نفخ الروح) في زيارة الملك ، معتمدة ومقبولة ، وتؤيدها إشارات قرآنية وحديثية أخرى . بخلاف قضية الأربعينات الثلاث .

وقد تعرضت لهذه المسألة في ندوة الإنجاب بإيجاز ولم أزل أقلِّبها في ذهني . وقد رجعت إلى كثير من الروايات ، وأرجو أن يكون هذا الأمر الذي وصلت إليه كاشفا للأمر ، وجامعاً بين الروايات . ويثبت عندنا أن زيارة الملك إنما هي بعد أربعين واحدة فقط ..

والمسألة ـ مع ذلك ـ بحاجة إلى مزيد من البحث ، بحيث تجمع جميع الروايات من كتب الحديث ، بأسانيدها ومتونها ، جمعا مستقصياً ، ثم ينظر فيها بعد ذلك بحسب ما تقتضيه الأصول المقررة لدى المختصين ، ويخرج برأي حاسم في الموضوع . والله أعلم .

نهاية الحياة الإنسانية في نظر الإسلام

للشيخ بدر المتولي عبد الباسط

باطلاعي على ما كتبه إخواننا الأطباء يكاد إجماعهم ينعقد على أن الحياة الإنسانية تنتهي بتوقف المخ عن العمل، ورتبوا على ذلك أحكاما في غاية الخطورة، وهي جواز الانتفاع بأعضاء من هذا الشخص لآخرين حتى ولو كانت أجهزته الأساسية يقوم بعضها بأداء مهمته كالجهاز الهضمي والتنفسي والدموي، سواء أكان قيام هذه الأجهزة بنفسها أم بواسطة أجهزة من صنع الإنسان.

وقبل أن أبين رأيي أسائل السادة الأطباء عن أمرين :

أولهما : لو مات الجهاز التنفسي مثلا هل كان يستجيب لأداء وظيفته بالأجهزة المستحدثة؟

ثانيهما : هل الجسم الميت يكون فيه عامل الهدم والبناء معا . . أم لا يبقى إلا عامل الهدم دون غيره ؟ .

وعلى ضوء الإجابة يتضح هذا الأمر الخطير . . فإن كان الجواب عن الأول بأن الأجهزة البشرية إذا ماتت حقيقة لا تستجيب للأجهزة الحديثة، فيكون الموت بموت هذه الأجهزة وليس بتوقف المخ وحده .

وإن كانت هذه الأجهزة البشرية لا تستجيب إلا إذا كانت بها حياة فكيف يقال بأن الموت إنما هو بتوقف المخ فقط . ؟

أما السؤال الثاني فإن توقف المخ مع بقاء الأجهزة البشرية لأداء وظيفتها

بوسائل حديثة يبقى هناك عامل الهدم والبناء في الجسم البشري وهذا دليل على وجودالحياة،فكيف يقال بأن الموت يعتبر بتوقف المخ وحده مع بقاء الجسم في حالة هدم وبناء . ؟

والإسلام رتب على انتهاء الحياة الإنسانية أحكاما كثيرة منها : ـ

وجوب غسله وتكفينه ودفنه وانتقال عدة المرأة إلى عدة المتوفى عنها زوجها إن لم تكن حاملا . . كما رتب على ذلك وجوب القصاص أو الدية إذا كان انتهاء الحياة بسبب جناية ، كما رتب على ذلك أيضا أحكام الميراث والوصية فكان لابد من تحديد الموت الحقيقي المعتبر شرعا والذي يترتب عليه هذه الأحكام وغيرها .

وبالرجوع إلى المصادر الفقهية تبين ما يأتي : يكاد يجمع الفقهاء على أنه إذا شق شخص بطن إنسان ولم يخرج حشوته، فجاء آخر وذفّف عليه أي ذبحه فالقصاص على الثاني دونالأول،لأن شق البطن يمكن أن يعيش الإنسان معه ما لم تفصل حشوته من أمعاء ومعدة وكبد وغير ذلك .

أما إذا شق انسان بطن آخر وأخرج حشوته وبقي فيه حياة وجاء من ذفّف عليه أي ذبحه فالقصاص على الأول ، والثاني يجب تعزيره ، لأن ما بقي من الحياة بعد إخراج الحشوة هي حياة غير مستقرة ولكن لكرامة الانسان وجب أن يحافظ على هذا القدر ولا يعتدى عليه .

كما أن الفقهاء قرروا أنه لا توارث بين شخصين نفذ فيهما القتل في لحظة واحدة، إلا أنه بقي أحدهما يضطرب أكثر من الثاني، فاشترطوا أن تكون الحياة التي بموجبها يستحق الحي الميراث أن تكون حياة فوق حياة المذبوح .

وبهذا يمكنني أن أقول : إن الحياة الإنسانية تنتهي ـ بالنسبة لبعض الأحكام كالميراث ـ بمباشرة سبب الوفاة وأنه لا بد في الميراث من أن تكون حياة الوارث فوق حياة المذبوح .

ولكن هل يعقل أن أجرى على من توقف مخه الأحكام الأخرى من غسل وتكفين وأن تزوج أمرأته وهو لا يزال تحت الأجهزة يتنفس ويتغذى ؟ !!!

وقد وقع ما يكاد يبطل نظرية توقف المخ فقط ، فقد نشرت جريدة الأهرام في صفحتها الخامسة بتاريخ ١٩٨٤/٩/٣٠ م هذا الخبر أنقله حرفيا وعنوانه : « حالة فريدة من نوعها : أمٌّ في غيبوبة تضع طفلا مكتمل النمو . . . .

« حالة وضع غريبة أثارت اهتمام العلماء في العالم أجمع ، تلك حالة السيدة الفنلندية انجاليتالو ٣٢ عاما التي وضعت طفلها الرابع وهي في غيبوبة تامة منذ شهرين ونصف، وقد دخلت الأم في هذه الغيبوبة إثر إصابتها بنزيف في المخ . والغريب أن الأم قد توفيت بعد أن وضعت طفلها ماركو بيومين . . ويؤكد د . جورما هيكينين الطبيب الذي باشر حالة السيدة أن هذه الحالة تعتبر نادرة للغاية ، فقد كانت الأم تتنفس صناعيا وتتغذى بالأنابيب وينقل لها دم مرة أسبوعيا ، وذلك لمدة عشرة أسابيع .

أما الشيء الذي حير الأطباء فهو كيف أمكن اكتمال نمو الطفل بطريقة طبيعية تحت هذه الظروف ؟ بل إن الطفل ولد بصحة طيبة ووزن طبيعي . . يقول الأب : إنه يعتقد أن ولادة ابنه ماركو تعتبر شيئا من قبيل المعجزة إذ أنه كان قد فقد الأمل في أن يعيش الجنين بعد الغيبوبة التي دخلت فيها الأم ، غير أن عناية الله كانت تفوق كل توقع ، وكان الأطباء يباشرون حالة الجنين بانتظام عن طريق الموجات الصوتية . . وفي الأسبوع الـ ٢٢ كان على الأطباء أن يتموا عملية الوضع لكنهم تركوا القرار الأخير للأب الذي وافق على الفور ، وكان لمولد الطفل ماركو وقع مهدىء على الأسرة لتعويضهم عن الصدمة المؤلمة التي شعروا بها بعد موت الأم وللطفل ماركو ثلاثة إخوة تتراوح أعمارهم بين ٥ ، و ١١ عاما .

فما يدرينا لعل الله سبحانه وتعالى أن يوفق بعض الباحثين إلى ما يعيد للمخ حياته بعد توقفه، كما وفق الأطباء إلى زرع الكلى والقلوب والأعضاء الأخرى .

وما أفتى به بعض العلماء من جواز الانتفاع ببعض أعضاء الميت لإنقاذ حياة حي فإن ذلك لا يكون إلا بعد التحقق من وفاة المأخوذ منه عضو لا يعيش إلا به ، كالقلب والكبد، ويحفظ بالوسائل العلمية الحديثة لينتفع بـه . . ولا أعتقد أن عالما في الشريعة يستطيع أن يفتي بجواز نزع قلب شخص لا تزال به حياة ـ مهما كانت هذه الحياة ضئيلة ـ لينقل إلى شخص آخر .

ومما ينبغي أن يعلم أن فقهاء الإسلام جميعا مجمعون على أنه لو كان شخص في النزع الأخير ـ من غير جناية ـ فجاء من قتله وجب القصاص إذا كان القتل عمدا والدية إذا كان خطأ .

والذي يستريح له ضميري بعد مراجعة النصـوص الفقهية ، أن مثـل هذه المسألة يفتى فيها بالأحوط أخذا بقاعدة (اليقين لا يزول بالشك) .

فبناء على هذا إذا كانت الحياة بعد توقف المخ مثل حياة المذبوح ، فإن هذا الشخص لا يرث غيره ، لأن شرط الميراث تحقق حياة الوارث بعد المورث ، وحياة مثل هذا الشخص حياة مشكوك فيها ، والشك لا يعارض اليقين .

كما أن هذا الشخص إذا كان بهذه الحال لا يورث حتى تتحقق وفاته ، لأن حياته كانت ثابتة بيقين ، وحياته في هذه الحال مشكوك فيها ، كما يجب أن لا تجرى عليه الأعمال التي تجري في الوفاة من غسل وتكفين ودفن .

أما عن زوجته فالذي أطمئن إليه أنه لا تبدأ عدتها إلا بعد التحقق من وفاته ، بحيث لا يكون هناك شك في حياة أي جهاز من أجهزته الحيوية .

تنبيه :

جاء في بعض ما كتبه إخواننا الأطباء العبارة الآتية « إذا وجدت المصلحة فثَمَّ شرع الله » .

وهذه العبارة تحتاج إلى توضيح فأقول وبالله التوفيق :

إن المصالح التي جاء بها الشرع خمس :

١ ــ مصلحة الدين .

٢ ــ مصلحة النفس .

٣ ــ مصلحة العقل .

٤ ــ مصلحة النسل .

٥ ــ مصلحة المال .

وهذه المصالح منها ما هو ضروري بحيث تفوت المصلحة بفوته ، ومنها ما هو حاجي بحيث تبقى المصلحة ولكن مع الحرج الشديد ، ومنها ما هو تحسيني . . وقد تتعارض هذه المصالح فتقدم مصلحة الدين على مصلحة النفس ، ومصلحة النفس على مصلحة العقل ، ومصلحة العقل على مصلحة النسل . . وكل هذه المصالح تتقدم على مصلحة المال . . كما يقدّم الضروري منها على الحاجي . . والحاجي على التحسيني . ثم إن المصالح بالنسبة لاعتبار الشارع ثلاث :

١ ــ مصلحة معتبرة شرعا .

٢ ــ مصلحة ملغاة شرعا .

٣ ــ مصلحة سكت عنها الشارع فلم يعتبرها ولم يلغها .

* فأما المصالح التي ألغاها الشارع فهي كالمصلحة في الخمر والميسر فالله سبحانه وتعالى يقول ﴿ **يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير ومنافع للناس وإثمهما أكبر من نفعهما** ﴾ . . وكالمصلحة في الربا كما كان يزعم المرابون قديما بقولهم « إنما البيع مثل الربا » فألغى الله ما في الربا من مصلحة بقوله ﴿ **وما آتيتم من ربا ليربو في أموال الناس فلا يربو عند الله** ﴾ وكالمصلحة في التبني فقد ألغاها الله بقوله ﴿ **وما جعل أدعياءكم أبناءكم ذلكم قولكم بأفواهكم** ﴾ . .

فكل مصلحة ألغاها الشارع لا ينبغي أن نبني عليها حكما بل هي مهدرة وهي من تخييل الهوى .

وأما المصالح التي سكت عنها الشارع فلم يعتبرها ولم يلغها، وهي ما يعرف عند العلماء بالمصالح المرسلة فالأمر فيها موسع ، ويؤخذ فيها برأي المختصين .

بعد هذا البيان ينبغي أن يفهم ما قالوه من أنه إذا وجدت المصلحة فثَمَّ شرع الله . . أن المراد بالمصلحة التي تتفق مع شرع الله هي التي لم يلغها الشارع ولم يملها الهوى وقديما قيل :

وعين الرضا عن كل عيب كليلة
كما أن عين السخط تبدي المساويا

ولعله بعد هذا البيان يجب أن لا نحكم أولا ثم نلتمس الأسباب والعلل والمسوغات التي لا يعجز العقل البشري عن التماسها عندما يكون خاضعا للأهواء والأغراض .

هذا ما بدا لي في هذا الموضوع الخطير حتى لا ننساق وراء كل جديد .

والله من وراء القصد . . . . . .

متى تنتهي الحياة

للشيخ محمد المختار السلامي

مفتي تونس

إن انتهاء الحياة له حالتان ـ حالة ظرفية وحالة مطلقة .

الحالة الظرفية : هي حالة توقف الأجهزة الأساسية عن العمل توقفا نهائيا لا يمكن للعلم حسب إمكاناته ومستواه أن يعيدها إلى العمل من جديد . والأجهزة الأساسية هي القلب باعتباره المغذي لكل الأجهزة البشرية وجذع الدماغ باعتباره المنظم وبرج القيادة لكل الأجهزة فإذا امتنع الغذاء أو خربت القيادة أبديا كان الموت .

ثم إن عمل هذين قد يكون عملا طبيعيا ولا إشكال في هذا،وقد يكون العمل غير طبيعي كتركيب آلات بوظائف القسم المعطل . فهل يعتبر الإنسان مادامت فيه الحياة ولو كانت حياة خلوية أو آلية هل يعتبر حيا له حكم الأحياء ؟

يقول خليل بن اسحق ولا سقط ما لم يستهل ولو تحرك أو بال أو رضع .

إن هذه الفقرة تجعل مقياس الحياة الصوت وقد فصل اللخمي ما تكون به الحياة فقال :

اختلف في الحركة والرضاع والعطاس فقال مالك لا يكون له بذلك حكم الحياة،قال ابن حبيب وإن أقام يوما يتنفس ويفتح عينيه ويتحرك حتى يسمع له صوت،وإن كان خفيا،قال اسماعيل وحركته كحركته في البطن لا يحكم له فيها بحياة . قال عبدالوهاب وقد يتحرك المقتول . وعارض هذا المازري وقال لا معنى لإنكار دلالة الرضاع على الحياة لأنا نعلم علما يقينيا

أنـه محال بـالعادة أن يـرضع الميت،وليس الـرضاع من الأفعـال التي تكون بـين الطبيعية والاختيارية، كـما قال ابن المـاجشون إن العـطاس يكون من الـريح ، والبـول من استرخـاء المواسـك . لأن الرضـاع لا يكون إلا من القصـد إليه ، والتشكك في دلالته على الحياة يطرق إلى هدم قـواعد ضـرورية ـ والصـواب ما قاله ابن وهب وغيره إنه كالاستهلال بالصراخ (١).

ويقول المواق معلقـا على هـذا البحث انظر هـذا البحث من الإمام فقـد كـان عمر رضي الله عنـه لما طعن معـدودا في الأموات لـو مات لـه مـورث لمـا ورثـه،وهو قـول ابن القاسم . ولـو قتل رجـل عمر رضي الله عنـه لما قتـل بـه وإن كـان عمر حينئـذ يتكلم ويعهد،وفـرق بين ولـد البقـرة مثـلا تـزلقـه ومثله يعيش وبـين المريضـة التي أيس من حياتهـا،هذه يـراعى الاستصحاب فتحسب حية وتتعلق بها الـذكاة بخـلاف المزلق (٢)

لقد نقلت هذا النص بطولة لبيان أن المجتهدين قد اختلفوا متى تعتبر الحياة منتهية فينتفى تبعا لذلك ترتب أحكام الحياة . لقد رأينا أنهم لم يعتبروا الحياة تثبت إلا بالصوت والصوت حركة مرتبطة بالدماغ ، فإذا كان الدماغ هامدا لايعـطي أوامره ولايضبط الإرجاع عن المؤثرات فإنه لا حياة . ولذلك قدروا أن العطاس والبول والرضاع لايعبر عن الحياة . وتنبه المازري إلى أن الرضاع حركة إرادية يعني أن الدماغ هو الذي يتدخل ليرضع الإنسان ، فالامتصاص ليس عملية طبيعية وإنما هو عملية إرادية لا تكون إلا إذا كان الدماغ عاملا .

ولكن حتى عمـل الـدمـاغ لم يعتبـره المـواق دليـل حيـاة مـالم يكن عمله محكـوما عليـه بالـدمار القـريب،فإذا حصـل في أجزاء الجسم مـا يدمـر الطاقـة الذهنية وحركة الدماغ كان في حكم الميت لا يرث غيره في هذه الحالة .

---

(١) الزرقاني ج ٢ ص ١١٢ .

(٢) شرح المواق علي خليل ج ٢ ص ٢٥٠ .

الرأي عنـــدي

بعـد هذا العـرض من الاختلاف في تحـديد حيـاة الإنسان واعتبـاره ميتا إذا كانت الحياة السارية ليست حياة بالمعنى الكامل كحيـاة الذي نفذت مقاتله، أو حياة الموضوع تحت الأجهزة الآليـة التي تبقى على الـدورة الدمـوية ، أقـول إن هذا الرأي يبدو لي أنه رأي غير وجيه ويتـرجح عنـدي أنه مـادامت الأجهزة الأساسية حية فالإنسان حي يأخذ كل أحكام الأحياء .

إن الـذي رجح عنـدي هذا هـو أنه في السنـة الماضيـة قـرأت فصـلا في إحدى الجرائد جاء فيـه أن فتاة أميـركية تعيش اصـطناعيـا لمدة سنـوات وطلب أبـواها أن تـراح من هذا العـذاب المتواصـل،وأن يقطع الأطبـاء أجهـزتهم عن العمل لفائدتها،وبعـد تدخـل القضاء ورضـا الأطباء بـذلك كـانت المفاجـأة إذ استمرت الحياة فيها غير معتمدة على الأجهـزة ، وأيضا فـإنه قبـل سنوات كـان المريض الذي يتـوقف قلبه عن النبض تمـاما يعتبـر قد انتقـل من حالـة المرض إلى حالة الموت ، لكن توقف القلب بعد تقدم الجـراحة الـطبية أصبـح لا يدل على موت صاحبه بل إن عملية القلب المفتوح تقتضي توقيف القلب .

الحالة المطلقة : أعتقد جازمـا أنه لا يمكن إعـطاء تحديـد مطلق للمـوت لأن العلم يتـطور تـطورا مبـدعـا . وإذا أمكنـه اليـوم أن يعيـد للقلب نبضـه وانتـظامه،فـما المـانـع من أن يتمكن في يـوم من الأيـام من أن يعيـد إلى جـذع الدماغ قدرته ودوره ؟ خاصة وقد دخل الدماغ الألكتـروني في الساحـة الطبية، ويسـر على الجـراحين العمليـات المعقدة والخـطيرة وحقق نجـاحا مـذهلا ولـذا يكـون إعطاء تعـريف مطلق للمـوت فيه من التجني عـلى المستقبـل مـالا يمكن قبوله بحال .

طريقة طرح السؤال

إنـه بناء عـلى ما تقـدم يكون من الخـير أن يقدم السؤال لا عـلى أسـاس

تحديد الموت.والمقياس الضابط لذلك،ولكن على أساس هل يجوز شرعا نقل اعضاء حية إلى المصابين والذين حياتهم في خطر إذا لم يسعفوا بهذا العضو الذي لابد أن ينقل في حالة حياة قبل أن تدمر خلاياه ؟

إن التكييف الشرعي لنقل الأعضاء لا يرتبط بتحديد الحياة والموت ولكنه يرتبط بأمرين آخرين :

الأول : المضطر لما حرم عليه

المضطر هو الإنسان الذي يبلغ درجة الاختيار بين أمرين لا ثالث لهما، الموت المحقق أو تناول ما يحرم عليه وقد جاءت الآية صريحة في جواز الإقدام على المحرم حفاظا على الحياة قال تعالى : ﴿ وقد فصل لكم ما حرم عليكم إلا ما اضطررتم إليه ﴾[1] وقال تعالى ﴿ فمن اضطر غير باغ ولا عاد فلا إثم عليه ﴾ [2] ونص الفقهاء على أن المضطر يجب عليه أن يبقى على حياته بتناوله للمحرم ، والخلاف بينهم إنما هو في تفصيلات كالبيع والتزود وأمور أخرى يهمنا منها :

أ ـ هل التداوي كالأكل ؟

يقول ابن تيمية:والتداوي بالمحرم ليس مثل أكل المضطر للميتة فإن ذلك يحصل به المقصود قطعا وليس له عنه عوض،والأكل منها واجب فمن اضطر إلى الميتة ولم يأكل حتى مات دخل النار،وهنا لا يعلم حصول الشفاء ولا يتعين هذا الدواء ، بل الله تعالى يعافي العبد بأسباب متعددة والتداوي ليس بواجب عند جمهور العلماء ولا يقاس هذا بهذا [3] .

ويقول الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور ـ ومما اختلفوا في قياسه على

---

(١) سورة الأنعام آية ١١٨ .

(٢) سورة البقرة آية ١٧٣ .

(٣) الفتاوي ج ٢٤ ص ٢٦٦ وما بعدها .

ضرورة الجوع ضرورة التداوي،فقيل لا يتداوى بهذه المحرمات ولا بشيء مما حرم الله كالخمر،وهو قول مالك والجمهور ولم يزل الناس يستشكلونه لاتحاد العلة وهي حفظ الحياة ، وعندي أن وجهه أن تحقق العلة فيه منتف إن لم يبلغ العلم بخصائص الأدوية ظن نفعها كلها إلا ما جرب منها وكم من أغلاط كانت للمتطبيين في خصائص الدواء ؟ ونقل الفخر عن بعضهم إباحة تناول المحرمات من الأدوية.وعندي أنه إذا وقع قوة ظن الأطباء الثقات بنفع الدواء المحرم من مرض عظيم وتعينه أو غلب ذلك في التجربة فالجواز قياسا على الأكل للمضطر وإلا فلا [1] .

ملاحظة : إن المتتبع لكلام الفقهاء يتبين له أن سبب الخلاف هو مقدار ثقة الفقيه في وصف الأطباء ، إذ الطب لم يكن واثقا من كثير من العقاقير ، ولا من تشخيص المرض،ولا من ملاءمتها للمريض،والمرض كما يدل عليه تعليل ابن تيمية وهنا لا يعلم حصول الشفاء ولا يتعين هذا الدواء . لذا ولأنه بمقدار ما تزيد الثقة في الصحة بالتجربة يزداد الاطمئنان إلى جواز تناول الدواء وإن ركب من محرم .

أكل الميتة

إذا اضطر الإنسان لأكل الميتة جاز له الأكل منها بلا خلاف ، وذلك بنص القرآن لكنهم اختلفوا رغم ذلك في أمور :

أ ـ هل يجوز للمضطر أن يأكل ميتة الإنسان ؟

يقول خليل للضرورة ما يسد (أي الرمق) غير آدمي وخمر

يقول شارحه الزرقاني واستثناؤه الآدمي مسلما أو كافرا موافق للمشهود

---

(١) التحرير والتنوير ج ٢ ص ١٢١ .

الذي صدر به في الجنائز ، ثم ذكر مقابلة ـ ونصه « والنص عدم جواز أكله لمضطر وصحح أكله ، وهل علة الحرمة التعبد وهو المشهور أو الإذاية لأنه قيل إذا جافت صارت سما . وهو لابن عمران الجوراني . ثم قوله وصحح أكله وما قبله من المنع شامل لأكله من نفسه كيده أو رجله . ولا يبعد القول بإباحة أكله من بعض أعضائه حفاظا لنفسه كما ذكروه فيمن لدغته أفعى في يده وكان يرجو الحياة بقطعها قبل سريان السم فيه ، أو طولها فإنه يجب » [1].

ومذهب أحمد كما فصله المغني

وإن لم يجد المضطر شيئا لم يبح له أكل بعض أعضائه . وقال بعض أصحاب الشافعي له ذلك لأن له أن يحفظ الجملة بقطع عضو كما لو وقعت فيه الأكلة .

ولنا أن أكله من نفسه ربما قتله فيكون قاتلا لنفسه،ولا يتيقن حصول البقاء بأكله،أما قطع الأكلة فإنه يخاف الهلاك بذلك العضو فأبيح له إبعاده ودفع ضرره المتوجه منه بتركه كما أبيح قتل الصائل عليه . ولم يبح له قتله لمأكله .

وإن لم يجد إلا آدميا محقون الدم لم يبح له قتله إجماعا ولا إتلاف عضو منه مسلما كان أو كافرا لأنه مثله:فلا يجوز أن يبقى نفسه بإتلافه . وهذا لا خلاف فيه وإن كان مباح الدم كالحربي والمرتد فذكر القاضي أن له قتله وأكله لأن قتله مباح . وهكذا قال أصحاب الشافعي لأنه لا حرمة له فهو بمنزلة السباع . وإن وجد ميتا أبيح أكله لأن أكله مباح بعد قتله فكذلك بعد موته . وإن وجد معصوما ميتا لم يبح أكله في قول أصحابنا.

---

(١) الزرقاني ج ٣ ص ٢٨ .

قال الشافعية وبعض الحنفية يباح ، وهو أولى لأن حرمة الحي أعظم ومذهب الشافعي كما ذكره الهيثمي في التحفة .

وله أي المعصوم بل عليه أكل آدمي ميت محرم إذا لم يجد ميتة غيره ولو مغلطة،لأن حرمة الحي أعظم،ومن ثم لو كانت ميتة نبي امتنع الأكل منها قطعا،وكذا ميته مسلم والمضطر ذمي . وظاهر كلامهما أنهما حيث اتحدا إسلاما وعصمة لم ينظر لأفضلية الميت،وإذا جاز أكله حرم طبخه وقيده شارح الأذرعي بما إذا أمكن أكله نيئا .

وله بل عليه قتل مهدر نحو مرتد وحربي وزان محصن ومحارب وتارك صلاة بشرطه ومن عليه قود بغير إذن الإمام للضرورة لاذمي ومستأمن لعصمتهما . وصبي وحربي وامرأة حربية لحرمة قتلهما قلت الأصح قتل الصبي والمرأة الحربيين،وكذا الخنثى والمجنون ورفيقهم للأكل والله أعلم لعدم عصمتهم . وحرمة قتلهم إنما هي لحق الغانمين ومن ثم لم تجب فيه كفارة [1] .

إن هذه النصوص الثلاثة يمكننا أن نستخلص منها ما يلي :

أ ـ أكل الميت

مذهب مالك أن الأكل من الإنسان الميت للضرورة مختلف فيه المشهور عدم الجواز والصحيح الجواز .

مذهب أحمد أن الأكل من الإنسان الميت للضرورة إن كان غير محترم الدم جاز أكله وإن كان محترم الدم فالأولى الجواز .

مذهب الشافعي جواز الأكل من الميت إلا إذا كان المضطر ذميا أوالميت مسلما .

---

(١) المغني ج ٨ ص ٦٠١ ـ ٦٠٢ .

ب ـ قتل الحي لأكله

مذهب مالك الحرمة

مذهب أحمد إن كان محقون الدم فلا يجوز له قتله لأكله،وإن كان غير محقون الدم جاز قتله وأكله .

مذهب الشافعي أنه يجب عليه قتل الحربي والمسلم المرتكب ما يوجب قتله ، وكذا الحربي المحقون الدم كالمرأة والصبي .

جـ ـ أكل بعض أعضائه

مذهب مالك ترجيح أكله بعض أعضائه .

مذهب أحمد ترجيح عدم الجواز .

مذهب الشافعي جواز أكل بعض أجزائه .

النتائج

بناء على هذا فإن نقل بعض أعضاء من إنسان إلى آخر مع بقاء حياة كل منهما لا مانع منه،لأنه حتى على مذهب أحمد هو معلل بأن الانتفاع ببعض الأعضاء ربما يؤدي إلى الموت فمتى اطمأننا إلى السلامة فلا مانع .

ـ أنه بناء على ما ذكر صاحب التحفة

فإنه يجوز أكل كل من أجزاء المحكوم عليهم بالإعدام وكذا كل من لم يكن معصوم الدم .

ـ إذا جاز الأكل لاستبقاء الحياة فإنه يجوز الانتفاع بالعضو لاستبقاء الحياة أيضا بواسطة زرعه .

ـ بناء على أن أولياء الميت يملكون العفو فإذا كان الإنسان في حالة حياة اصطناعية فلا مانع من الاستفادة ببعض أعضائه لإنقاذ حياة غيره .

الثاني : الوجه الثاني من التكييف الشرعي ـ الإيثار

يقول الزركشي :

قال الإمام في باب صول الفحل لا خلاف في استحباب الإيثار وإن أدى إلى هلاك المؤثر وهو من شيم الصالحين،فإذا اضطر وانتهى إلى المخمصة ومعه ما يسد جوعه وفي رفقته مضطر فآثره بالطعام فهو حسن،وكذا القول في سائر الإيثارات التي يتدارك بها المهج . قال والده في باب التيمم من الفروق ، المضطر إن أراد الإيثار بما معه لاستحياء مهجة أخرى كان له الإيثار وإن خاف فوات مهجته (١) .

هذا وإنه أثناء كتابة هذا البحث اطلعت في النشرة الإخبارية لوكالات الأنباء السعودية على الخبر التالي:يستضيف مستشفى القوات المسلحة بالرياض خلال الفترة من ٢٥ إلى ٢٧ ربيع الأول الحالي الموافق ١٧/٩ ـ ٥ ديسمبر ١٩٨٤ مؤتمر الشرق الأوسط الدولي الثاني عن زراعة الأعضاء .

وفي الصفحة التالية ودعا الفريق المواطنين للاستعداد للتبرع بكلاهم وذلك بعد الموت حتى يستفاد منها ، مشيرا إلى أن ذلك واجب ديني قبل أن يكون وطنيا ، مشيرين بذلك إلى قرار هيئة كبار العلماء رقم ٩٩ وتاريخ ١٤٠٢/١١/٦ وقرار مجلس الوزراء رقم ٢٩٢٢١/٤ اللذين أجازا التبرع بالأعضاء (٢) .

إني سأعمل للتحصيل على الفتوى التي تفضلت بإصدارها الهيئة الموقرة لكبار علماء المملكة المشار إليها بالخبر أعلاه . وإني ادعو بهذه المناسبة رجال الإعلام ان يتوخوا الدقة فيما يكتبون وأن لا ينساقوا مع أقلامهم المغموسة بالعواطف ففرق كبير بين أن التبرع بالكلي واجب ديني وبين قولهم بعد الذي

---

(١) قواعد الزركشي ج ١ ص ٢١١ .

(٢) وكالة الأنباء السعودية بمكتب تونس عدد ١١ .٢١/٣/١٤٠٥ ص ٥ و ٦ .

أجـاز التبرع إن معنى أنـه واجب ديني أن كل من لم يتبـرع آثم لأنه تـرك واجبا ومعنى جائز أنه مختار له أن يفعل وأن يترك .

وأنهى كلمتي هذه التي كتبتها معجـلا إذ لم يرد عـلي عرض المشـاركة إلا في نهايـة شهر نـوفمبر أنهيهـا بالتـأكيد عـلى أن القضية اجتهـادية لا مـطمـع في اليقــين لأي عـالم ولا بــاحث،وإنـه من الخــير ان يقـع التنسيق أفضـــل بـين مؤسســات العـالم الإسـلامي في تبـادل المعلومـات،فكلما بحثت دائـرة أو هيئــة قضية من القضايا فإنه يكون من المتـأكد أن تتـولى نشرهـا في الجهات المختصـة تعميما للفائدة .

والله من وراء القصد والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

حقيقة الموت والحياة في القرآن والأحكام الشرعية

للدكتور توفيق الواعي
كلية الشريعة والدراسات الإسلامية

يجب أولا أن نعرف أن الحياة والموت بيد الله سبحانه ، مصدقا لقوله تعالى : ﴿ هو الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا ﴾ .

فكما أن الحياة سر من أسرار الله سبحانه ، فكذلك الموت ، كل بقدر ، وميعاد . وقد تتنوع معاني الحياة ، ويتنوع معاني الموت ، واللغة العربية ، والدلالات القرآني تستوعب هذا التنوع .

والمعروف أن الحياة مقابلة للموت ، والموت مقابل للحياة ، فإذا عرفنا الحياة كان ما يخرج عن التعريف ميت ، وإذا عرفن الموت كان ما يخرج عن التعريف حي .

تعريف الموت :

إذا أردنا أن نعرف الموت لغة وجدنا أن الميم ، والواو ، والتاء . تشير إلى ذهاب القوة من الشيء سواء كان حيوانا أو نباتا . قال ﷺ : « من أكل من هذه الشجرة الخبيثة » يعني الثوم « فلا يقربن مصلانا إلا إذا أماتها بالطبخ .

فأصل الكلمة في اللغة إذن تدل على ذهاب القوة النامية . وقد تستعمل في ذهاب القوة الحسية ، أو النفسية .

وعلى هذا تنوعت دلالات الكملة ، من هذه الدلالات إطلاقها على ،

١ ـ السكون . فكل ما سكن فقد مات ، يقال : ماتت النار إذا برد رمادها فلم يبق من الجمر شيء ، وماتت الريح ركدت وسكنت .

٢ ـ النوم . يطلق على النوم أنه موت حيث يقال في الدعاء المعروف : الحمد لله الذي أحيانا بعد ما أماتنا وإليه النشور .

٣ ـ ذهاب القوة النامية . فيطلق على ذهاب القوة النامية الموجودة في الحيوان والنبات كقوله تعالى : ﴿ فانظر إلى آثار رحمة الله كيف يحي الأرض بعد موتها ﴾ الروم / ٥٠ ﴿ يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ويحي الأرض بعد موتها وكذلك تخرجون ﴾ الروم / ١٩ .

٤ ـ يطلق على زوال القوة الحسية كقوله تعالى : ﴿ ياليتني مت قبل هذا وكنت نسيا منسيا ﴾ مريم /٢٣ .

٥ ـ الجهالة . فيطلق على الجهالة موت : كقوله تعالى : ﴿ أو من كان ميتا فأحييناه وجعلنا له نورا يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمات ﴾ الأنعام /١٢٢ .

كقول القائل

ليس مات فاستراح بميت ... إنما الميت ميت الأحياء
إنما الميت من يعيش ذليلا ... كاسفا باله قليل الرجاء

٦ ـ مقدمات الموت « الاحتضار » كقوله تعالى ﴿ أم كنتم شهداء إذا حضر يعقوب الموت ﴾ البقرة /١٢٣ .

٧ ـ باعتبار ما سيكون :ـ يطلق الموت على الشيء باعتبار ما سيكون ، كقوله تعالى : ﴿ إنك ميت وإنهم ميتون ﴾ ﴿ كل من عليها فان ﴾ .

٨ ـ فقدان الحياة : كما يطلق الموت على فقدان الحياة ومغادرة الروح للجسد الإنساني كقوله تعالى ﴿ وجاء سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد ﴾ ﴿ أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة ﴾ النساء /٧٨[١].

الـــروح :

للروح في اللغة العربية إطلاقات ومعاني منها .

١ ـ يطلق على جبريل أنه روح لقوله تعالى : ﴿ نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين ﴾ الشعراء ١٦٣ .

٢ ـ يطلق على الوحي أنه روح : لقوله تعالى : ﴿ وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا ﴾ الشورى /٥٢ .

٣ ـ وتطلق على السر الذي أودعه الله في آدم لقوله تعالى : ﴿ ونفخت فيه من روحي ﴾ كما تكون بمعنى اللطيفة الربانية التي أودعها الله في الإنسان والتي أشار إليها الحق سبحانه بقوله : ﴿ ويسألون عن الروح قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم إلا قليلا ﴾ الإسراء / ٨٥ .

وإذا أردنا نلقي الضوء على الروح التي هي اللطيفة الربانية التي أودعها الله في الإنسان ، وجدنا أنفسنا أمام تعريفات عدة ، ولكن حسبنا أن نذكر التعريف المعول عليه عند المحققين من العلماء . وهو :

« الروح عبارة عن جسم نوراني علوي حي متحرك مخالف بالماهية لهذا

---

(١) انظر في ذلك لسان العرب ، ومقاييس اللغة ، وبصائر ذوي التميز والفروق في اللغة لأبي هلال العسكري في المادة .

الجسم المحسوس » سرى فيه سريان الماء في الورد ، والدهن في الزيت ، والنار في الفحم ، لا تقبل التحلل والتبدل والتفريق والتمزق ، تعطي الجسم المحسوس الحياة وتوابعها إذا كان الجسم قد تم استعداده لها ، وهو المراد بقوله تعالى : ﴿ **فإذا سويته ونفخ مفيه من روحي** ﴾ وتظل هذه ملازمة له ما دام صالحا لقبولها ، لعدم حدوث ما يمنع من السريان كالأخلاط الغليظة ، أو التلف والفساد ، ومتى حدث ذلك حصل الموت لعدم صلاحية الجسم » . وهذا هو رأي ابن سينا ، والفخر الرازي وابن القيم وجمهور العلماء .

إذن فالروح هي التي تعطي الجسد الحياة ، والجسد هو الذي يكون به الإنسان إنسانا يتحرك وتجري عليه الأحكام ، فبدونه أو بدون صلاحه لا روح ولا حياة .

والإنسان لا يصير إنسانا إلا بالروح والحياة معا . لقوله تعالى ﴿ **فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين** ﴾ فما أمر الله الملائكة بالسجود لآدم إلا بعد أن استكمل خلقه جسدا وروحا .

الجسم الإنساني .

يعرف الفخر الرازي الإنسان فيقول : الإنسان جسم موصوف متولد عن امتزاجات أجزاء العناصر بمقدار مخصوص .

والفخر الرازي بهذا يعرف الإنسان بجسمه المادي الموجود أمامه يراه ويحسه ويسميه الجسم الأرضي ، كما يسميه الناس اليوم الجسم العضوي .

ثم يزيد الفخر الرازي تعريف الجسم إيضاحا فيقول : الجسم الذي تغلب عليه الأرضية . هو : الأعضاء الصلبة الكثيفة كالعظم والغضروف والعصب والوتر والرباط والشحم واللحم والجلد والدم ثم قال : ولم يقل أحد من العقلاء أن

الإنسان مغاير لهذا الجسم ، ولم يقل أحد من العقلاء كذلك أن الجسم عبارة عن عضو معين من هذه الأعضاء »[1] انتهى كلام الفخر .

علاقة الجسد والروح بالإنسان .

صرح المعتزلة بأن الإنسان جسم مخصوص بشرط كونه موصوفا بصفة الحياة والعلم والقدرة . والحياة عرض قائم بالجسم . أي أن الروح عرض قائم بذلك الجسم ـ وهم بذلك قد جعلوا الروح غير منفصلة عن الجسم ، وليس لها ذات مستقلة .

فالإنسان على رأيهم عبارة عن جسم مخصوص بشرط كونه موصوفا بصفة الحياة والعلم والقدرة ، ويمتاز عن سائر الحيوانات بشكل جسده ، وهيئة أعضائه وأجزائه وبماأوتي من تمييز وعقل .

أما أهل السنة : فيقولون أن الإنسان مكون من جسد ، وروح تحل في هذا الجسد ما دام صالحا لاستقبال الروح . فإذا فقد صلاحيته فقد روحه .

وكل من الرأيين يلتقي مع الآخر في أن الإنسان جسم يفترق عن الحيوان ، لأن فيه إحساسا وعقلا وعلما وقدرة ، وصفات عليا .

ويفترق الرأيان في الروح فبقول المعتزله : الروح عرض قائم بالجسم ولا يفترق عنه والجسد والروح شيء واحد ولا إنفصال بينهما .

أما أهل السنة فيقولون : أن الروح شيء والجسد شيء آخر ، فهي منفصلة عنه بدليل قوله تعالى : ﴿ كل نفس ذائقة الموت ﴾ فهذا دليل على أن النفس لا

(١) الفخر الرازي ٢١/٤٣/٤٤ .

تموت بموت البدن . لأن القرآن جعل النفوس ذائقة للموت . والذائق لابد أن يكون حيا حال الذوق . والمعنى كل نفس ذائقة موت البدن . وهذا يدل على أن النفس غير البدن ، وعلى أن النفس لا تموت بموت البدن . وأيضا فيه تنبيه على أن ضرورة الموت مختص بالحياة الجسمانية »[1] لقوله تعالى : ﴿ فإذا سويته ونفخت فيه من روحي ﴾ « فالجسد إذا غير الروح المنفوخة فيه » .

الإشارة إلى الإنسان بالجسد والروح .

تكلم القرآن عن الإنسان مشيرا إليه بالجسد وحده ، وأعلم الخلق أن هذا الجسد ليس بخالد ، وذلك في مثل قوله في الأنبياء عليهم السلام : ﴿ وما جعلناهم جسدا لا يأكلون الطعام وما كانوا خالدين ﴾ .

فقد اقتضت حكمة الله أن يكون الرسل من البشر ، يتلقون الوحي ، وما كان الرسل من قبل إلا رجالا ذوي أجساد ، وما جعلهم الله أصحاب أجساد ، ثم جعلهم لا يأكلون الطعام . فأكل الطعام من مقتضيات الجسدية ، والجسدية من مقتضيات البشرية ، والموت من مقتضيات تلك الجسدية ، فهم إذن غير خالدين في هذه الحياة .

وأشار القرآن أيضا إلى الإنسان بالروح والنفس فقال تعالى : ﴿ وإذ قتلتم نفسا فادار أتم فيها ﴾ ﴿ ونفس وما سواها فألهما فجورها وتقواها ﴾ الشمس /٧ إذا فالقرآن يخاطب الإنسان بالجسد مرة وبالروح أخرى . وهذا دلالة واضحة على أن الإنسان بجسده وروحه يشار إليه بكل منهما .

الموت في القرآن .

ذكر الموت في القرآن بمعانيه المختلفة التي سبقت الإشارة إليها . والذي نعنيه

١ ــ تفسير الفخر الرازي ـ ١٢٥/٩ .

هنا من هذه المعاني ، هو حديث القرآن عن موت الإنسان ، وعن صفة هذا الموت . وحالة الإنسان بعده فنجد أن القرآن دائما يركز على موت الجسد ، ثم يتبع ذلك بذكر صفة هذا الجسد الميت سواء ذكر مع هذا الجسد الروح أو لم تذكر .

فالقرآن مثلا يقول في وصف هلاك العصاة ﴿ إن كانت إلا صيحة واحدة فإذا هم خامدون ﴾ يس /٢٩ .

والخمود : هو سكون الجسد وخلوه من الحركة أو التنفس أو أي علامة للحياة الجسدية ثم يقول في آية أخرى :

﴿ فترى القوم فيها صرعى كأنهم أعجاز نخل خاوية ﴾ الحاقة /٧ ويقول ﴿ إنا أرسلنا عليهم ريحا صررا في يوم نحس مستمر تنزع الناس كأنهم أعجاز نخل منقعر ﴾ القمر /٢٠ .

يصف القرآن بذلك أجساد الهلكى بأنها صرعى لا حراك بها ، قد تحللت ولم يبق إلا هياكلها كأنها أعجاز نخل خاوية منقعرة لا حراك بها ولا حياة .

ثم نجد أن القرآن يأتي بصورة أخرى للموت تخمد فيها الحياة والحس والنفس والحركة فيقول : ﴿ وكم أهلكنا قبلهم من قرن هل تحس منهم من أحد أو تسمع لهم ركزا ﴾ مريم ٩٨ لا حياة لا حركة لا همس لا نبض لا تنفس ، بل خمود وزوال .

تصور لك الآية فقد الحياة بكل معانيها ودلالتها وإحساساتها . ويتحدث القرآن في آيات أخرى على موت الإنسان ويحكي منظر مشاهدة الناس لهذا الوداع الأخير فيركز على أمرين ، أمر غير مشاهد للناس وإنما هو معلوم لله سبحانه وأمر مشاهد للناس ومعلوم لهم وبه يعرف الحياة والموت .

فيقول : ﴿ حتى إذا بلغت الحلقوم وأنتم حينئذ تنظرون ونحن أقرب إليه

منكم ولكن لا تبصرون ﴾ فالناس لا يبصرون خروج الروح وهم جلوس حول الميت ، إذا فبماذا يعرفون الموت ؟ بعلامات جسدية تأتي في الآية اللاحقة .

فيقول القرآن : ﴿ كلا إذا بلغت التراقي وقيل من راق ، وظن أنه الفراق والتفت الساق بالساق إلى ربك يومئذن المساق ﴾ قال المفسرون بردت وماتت وفقدت حرارتها وكان عليها جوالا » الماوردي ٤/٣٦٢ .

وقال الفخر الرازي : يبست ساقاه والتصقت إحداهما بالأخرى فاقدة الحركة . الفخر الرازي ٣٠/٢٣٢ .

موت القلـــب .

أشار القرآن في بعض آياته إلى أن توقف القلب من علامات الموت ، فقال تعالى ﴿ لا يزال بنيانهم الذي بنو ريبة في قلوبهم إلا أن تقطع قلوبهم ﴾ التوبة / ١١٠ .

المعجزة القرآنية في الأحياء والاماته .

نجد القرآن ينبه ويلفت دائما إلى الإعجاز الباهر في خلق هذا الإنسان وفي تكوينه وتصويره على أحسن صورة وأفضلها ، فيقول في سورة المؤمنين :

﴿ ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة من قرار مكين ، ثم خلقنا النطفة علقة ، فخلقنا العلقة مضغة ، فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم أنشأناه خلقا آخر ، فتبارك الله أحسن الخالقين ثم أنكم بعد ذلك لميتون ، ثم أنكم يوم القيامة تبعثون ﴾ أي أن هذا الجسد البديع الخلق ينحل ويزول ويخمد ويتلاشى ثم يحييه الله سبحانه يوم القيامة . والإماتة والإحياء ينصب على تلاشي الجسد وخموده بكل يقين نسمع في ذلك القرآن الكريم في كثير من

الآيات التي تقرر ذلك .

﴿أإذا متنا وكنا ترابا وعظاما أإنا المبعوثون﴾ الصافات/١٦ والمؤمنون/٨٢.
﴿أإذا متنا وكنا ترابا وعظاما أإنا لمدينون﴾ الصفات /٥٣ .
﴿ وكانوا يقولون أإذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمبعوثون ﴾ الواقعة /٤٧ .
﴿ وضرب لنا مثلا ونسي خلقه قال من يحي العظام وهي رميم قل يحييها الذي أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم ﴾ يس /٧٩ .

إذا فحياة الجسد سواء كانت حياة خلوية أو حياة متحركة هي حياة تدل على إبداع الخالق وعلى عظيم صنعه. فما زالت الكلية تعمل وهذا إعجاز وما زال القلب يعمل وهذا إعجاز ، وما زال الكبد والطحال والأمعاء وسائر أجهزة الجسم تعمل بإعجاز تام مع الحياة الخلوية التي يقال عنها . فهل يكون هذا حياة أو موت ، تلك الأجهزة الإلهية العاملة هل هي صناعة إنسان أم خلق خالق . وإن كان الأطباء يمدون الجسد ببعض ما يحتاجه من غذاء أو أشياء منشطة وإن كان ، ولكن هذا يديم الحياة لا يديم الموت أو يلغي الحياة .

القصص القرآني يوضح الفرق بين الجسد الميت وبين الجسد الحي .

نرى القرآن في قصصه عن الموت والحياة يسير حسب القاعدة العامة في حديثه عن الأحياء والإماته ، فيوضح لنا الفرق بين إنسان مات ثم بعث وبين إنسان فقد إحساسه ثم أيقظ وكان الفرق الوحيد بينهما ، إنحلال الجسد في الموت ، وعدم انحلاله في الإيقاظ .

ولنأخذ مثلا من القصص القرآني الذي يتكلم عن موت الجسد وحياته . فنذكر قصتين .

الأولى : عن الرجل الذي مر على قرية وهي خاوية على عروشها .

والثانية : قصة ابراهيم عليه السلام وطلبه من الله أن يريه إحياء الموتى ،

فأما عن القصة الأولى فهي قصة عزير كما يسميها بعض المفسرين فقد قال الله تعالى : ﴿ أو كالذي مر على قرية وهي خاوية على عروشها ، قال إني يحيى هذه الله بعد موتها ، فأماته الله مائة عام ثم بعثه قال كم لبثت قال لبثت يوما أو بعض يوم قال بل لبثت مائة عام فانظر إلى طعامك وشرابك لم يتسنه وانظر إلى حمارك ولنجعلك آية للناس وانظر إلى العظام كيف ننشذها ثم نكسوها لحما ، فلما تبين له قال : أعلم أن الله على كل شيء قدير ﴾ البقرة/٢٥٩ .

قال ابن كثير أحياه الله ، فأول ما أحيا منه أحيا عينية ليرى بهما كيف تسري الحياة إلى جسده ويرى بهما صنع الله في خلق الحياة في الجسد .

ثم لفته الله سبحانه إلى حياة حماره فنظر إلى العظام التي تجمع واللحم الذي يكسو تلك العظام .

يقول الفخر الرازي انضمت أجزاء العظام بعضها إلى بعض ، ثم التصق كل عضو . بما يليق به ، الضلع إلى الضلع والذراع إلى مكانه ، ثم الرأس ثم العصب والعروق ثم أنبت اللحم عليهما ثم ا لجلد ثم نبت الشعر على الجلد ، ثم نفخ فيه فإذا هو قائم »

وأما القصة الثانية فهي قصة إراءة ابراهيم عليه السلام إحياء الموتى : إذا قال : ﴿ رب أرني كيف تحي الموتى قال : أو لم تؤمن قال : بلى ، ولكن ليطمئن قلبي ، قال : فخذ أربعة من الطير فصرهن إليه ثم اجعل على كل جبل منهم جزاء ثم ادعهن يأتينك سعيا :

قال المفسرون: قطع ابراهيم عليه السلام أجساد الطيور الأربعة ثم فرقها على جبال أربعة ثم أمسك برؤوسهن في يده ، ثم دعاهن فتجمعت الأجزاء المتفرقة وجاءت الأجساد تسعى إليه كل يعرف رأسه التي مع ابراهيم عليه السلام . فقال ابراهيم اعلم أن الله عزيز حكيم . من هذا نعرف أن حياة الجسد حياة ، قد ركز

القرآن عليها ولفت إليها الأنظار لأنها محل الإعجاز والدلالة على قدرة الله سبحانه .

وسائل الإنسان نفسه قائلا : إذا لم تسم حياة الجسد حياة ، فمباذا تسمى ، وإذا كان في الدماغ حياة تستطيع أن تؤثر على باقي الجسم ، ففي الجسم كذلك أعضاء تفعل نفس الشيء مثل القلب والرئتين والكبد والأمعاء وكثير من الأشياء في جسم الإنسان ، بدونها لا تستمر حياة الإنسان ، فلماذا التركيز على عضو معين وترك باقي الأعضاء . ولماذا إضافة الحياة والموت إليه فقط .

القرآن لا يعد تعطل الإحساس موتا .

إن تعطيل الإحساس لا يدل على فقد الحياة اللهم إلا إذا كان ذلك على سبيل المجاز أو التشبيه ، فلا يقول عاقل مثلا أن النائم ميت ، ولا يقول أن المجنون فاقد للحياة، كما لا يقال ذلك لناقص الأهلية كالصبي غير المميز ، لا يقال إن هؤلاء يعاملون معاملة الأموات ، كما لا يقال أن المريض حين يكون في غيبوبة طالت أم قصرت تحت أي ظروف يعامل معاملة الأموات ، إلا إذا كان الموت والحياة أصبح بيد البشر وحاشا لله أن يدعي أحد ذلك .

ولهذا نرى القرآن الكريم يقص علينا قصة غيبوبة طويلة ظلت ثلاثمائة عام ، وظل الجسد فيها صالحا ثم عاد إليه الاحساس بعد تلك المدة الطويلة وبعد هذه الغيبوبة الكبيرة ولم يسم ذلك القرآن موتا . مع العلم أن تسميت ذلك موتا كان سهلا وميسورا ويدل في نظر البعض على معجزة تساوي حفظ الأجساد حية . وهي المعجزة التي أظهرتها القصة الآتية .

قال تعالى ﴿ أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا ، إذ أوى الفتية إلى الكهف فقالوا ربنا آتنا من لدنك رحمة ، وهيىء لنا من أمرنا رشدا فضربنا على أذانهم في الكهف سنين عددا ، ثم بعثناهم لنعلم أي الجزئين

أحصى لما لبثوا أمدا ﴾ - أجمع الفقهاء والمفسرون على أن كلمة بعثناهم معناها أيقظناهم لأن أجسامهم كانت حية وفيها الحياة ولم تفقدها بدليل قول الله في الآيات بعد ذلك « وترى الشمس اذا طلعت تزاور عن كهفهم ذات اليمين واذا غربت تقرضهم ذات الشمال وهم في فجوة منه » إلى أن قال : ﴿ ونقلبهم ذات اليمين وذات الشمال وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد لو أطلعت عليهم لوليت منهم فرارا ولملئت منهم رعبا ﴾ .

فرق بين موت وحياة :

والناظر في القصتين قصة عزير السابقة وقصة أصحاب الكهف هذه يلاحظ في النظرة العجلى أمورا منها :

١ ــ عبر القرآن في قصة أصحاب الكهف بقوله ﴿ فضربنا على آذانهم ﴾ ولم يقل فأمتناهم أو القينا عليهم الموت ، مثلا وإنما خلت القصة من ذكر الموت تماما لأنه فقدان للإحساس فقط ، والحياة مستمرة ، ولهذا حرص القرآن على أن ينبهنا إلى سلامة الجسد وعلى عدم تحلله ، بل وعلى نمـاء شعورهم في تلك الفترة الطويلة التي ذكرها القرآن على خلاف العادة وهي ﴿ ثلاثمائة سنين وازدادوا تسعا﴾ونماءما ينمو في الجسد مثل الأظافر وغيرها وذلك مشار إليه في القصة بقوله ﴿لو اطلعت عليهم لوليت منهم فرارا ولملئت منهم رعبا ﴾ وذلك لطول شعورهم ونمو أظافرهم ولحاهم إلى غير ذلك مما يغير الملامح ويخيف عند زيادته عن المألوف والمتعارف .

أما في قصة عزيز فقد تحلل الجسد وذهب وصرحت القصة بالموت صراحة . ثم البعث بعد جمع العظام والاشلاء ، فقالت ﴿ فأماته الله مائة عام ثم بعثه ﴾ إلى أن قالت ﴿ فانظر إلى العظام كيف ننشذها ثم نكسوها لحما ﴾ .

٢ ــ حرص القرآن في القصةعلى أن يعلمنا كيف نحفظ الأجساد حين ذهاب العقل

حتى لا يتلف الجسد ويفقد الحياة إلى أن يقضي الله أمراً كان مفعولا ، ويفيق الإنسان أو ترد إليه الحياة الشعورية ، وذلك بأمرين :

أولهما : التدفئة المناسبة .

ثانيهما : التقليب المستمر .

وكأنَ القصة بهذا تعلمنا صورة من صور التمريض المتقدم ، والتي تقول : يستمر الإنسان في الحياة بدون القوى العاقلة فترات طويلة ، بشرط كفاءات التمريض ، وعلاج الأمراض العارضة وانتظام الغذاء الانبوبي والعناية المستمرة بالجلد وتقليبه ، أو تغيير أوضاع المريض كل ساعتين بصفة مستمرة ، لمنع قرح الفراش ، مع العناية بتصريف البول والبراز وإذا تم ذلك بعناية يمكن أن يعيش الإنسان حياة عادية حتى سن الستين » ونلحظ في القصة أن القرآن يركز على عنصرين أساسيين ، التدفئة والتقليب الجسدي المستمر ، أما الغذاء فهو غذاء رباني تولاه الله ، ومثل هذا الغذاء لا بول معه ولا براز فبقي ما ذكرته القصة من التقليب والتدفئة المشار إليها في القصة بقوله تعالى : ﴿ وترى الشمس تزاور عن كهفهم ذات اليمين وإذا غربت تقرضهم ذات الشمال وهم في فجوة منه ﴾ هذه هي التدفئة . وقوله تعالى ﴿ ونقلبهم ذات اليمين وذات الشمال ﴾ هذه هي العناية السريرية .

إذن فقصة أصحاب الكهف قصة فقدان للإحساس والشعور استمر ثلاثمائة عام ولم يسم هذا القرآن موتا وإنما سماه إيقاظا لأن الجسد لم يفقد طبيعته أو يتحلل أما في قصة عزيز فالأمر مختلف ولهذا سماه القرآن موتا وبعثا .

فلماذا نسمي من يفقد الإحساس لبضعة أيام ميت ، ولم يسمه القرآن كذلك في ثلاثمائة عام وازدادوا تسعا » .

الحياة والموت عند فقهاء المسلمين :

تكلم الفقهاء على الموت والحياة في أبواب عدة من كتب الفقه ، في الجنائز ، وفي الميراث وفي الجنايات وفي الجهاد « الاستشهاد » وغير ذلك من الأبواب التي تتعلق بهذا الإنسان الميت .

فمثلا تكلم الفقهاء في تحديد الحياة والموت ، في بدء حياة الإنسـان ، لما يترتب على ذلك من حقوق كالميراث : لقـول الرسـول ﷺ « إذا استهل المـولود ورث »[1] وقوله : « لا يصلي عليه ولا يرث ولا يورث حتى يستهل »[2] لهذا احتاج الفقهاء أن يعرفوا الحياة والموت ، بعلامات الحياة التي تظهر على جسد الجنين في حركاته وسكناته وصوته إلى غير ذلك مما ستعرض إليه ، لأن الحياة لا تعرف إلا بدلالاتها واثارها : قال تعالى : ﴿ فلما قضينا عليه الموت مادلهم على موته إلا دابة الأرض تأكل من سأته ، فلما خر تبينت الجن أن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين ﴾ سبأ/١٤ .

علامات الحياة :

تكلم الفقهاء على علامات الحياة مثل الصياح ـ الصوت الخارج من جسد الطفل ـ أو العطاس أو التنفس ، أو الحركـة طويلة كـانت أم يسيرة ، كحـركة القلب ، أو التنفس أو الجسد . ويناسبنا في هذا المقام أن نتكلم على قسمين من هذه العلامات وهما :

التنفس :

قرر الحنفية والشافعية والحنابلة[3] أن التنفس يأخذ حكم الحركة في إثبات

(١) رواه أبو داود .

(٢) رواه الترمذي وابن ماجة .

(٣) المبسـوط ١١٤/١٦ ، الجمل ١٩١/٢ ، شـرح الروض ١٩/٣ ، الخـرش ٤٦/٢ ، الانصـاف ٣٣١/٧ .

الحياة لأن التنفس حياة وحركة ذاتية يتحرك فيها الصدر وينبض بها القلب تلقائيا في الجسد فكان ذلك دلالة حياة صاحب الجسد .

الحركة :

اتفقت المذاهب على أن الحركة في الجسد من علامات الحياة ، غير أن بعضهم اعتبر الحركة الطويلة ـ أي التي تستمر دقيقة أو أكثر ـ وبعضهم اعتبر مطلق الحركة في الجسد . ومن هذا يتبين أمران :

الأول : أن الجسد هو المعول عليه في معرفة الحياة والموت حيث أن الحركة تنبعث منه .

الثاني : اعتبر العلماء مطلق الحركة ، أو الحركة الطويلة التي تدل على الحياة . وهل هناك مثلا حركة تدل على الحياة أكثر من حركة القلب ونبض الدم في العروق والتنفس وحركة الصدر وعمل باقي الأعضاء من كبد وكلية وأمعاء وغير ذلك . ولهذا نجد أن الفقهاء لم يجعلوا أبدا العقل أو الاحساس هو مصدر الحياة ، وإلا فكيف يعرف ذلك في الوليد حتى يقولوا به .

أقوال الفقهاء في نهاية الحياة :

تكلم الفقهاء عن نهاية الحياة في الإنسان ، وما يجب أن يتبعها من أعمال خاصة بتجهيزه وقبره ، لأن الموت دائما يعقبه قبر الميت مباشرة مصداقا لقوله تعالى ﴿ ثم أماته فاقبره ﴾ وما يلزم ذلك المقبور من تغسيل وتكفين وصلاة وغير ذلك .

فقالوا : اذا تيقن الحاضرون من موت الميت ، وعلامة ذلك ، انقطاع نفسه وانفراج شفتيه ، وأضاف بعضهم أوصافا أخرى ، مثل انخساف صدغيه أو ميل أنفه واسترخاء أعصابه ورجليه ، وامتداد جلد وجهه ، وتقلص خصيتيه الى فوق

مع تدلي الجلده[1].

ثم يتبعون تلك الأوصاف بشروط أخرى ، فيقول النووي في روضة الطالبين جـ ٢ ص ٩٨ ، : فان شــك في موته بأن يكون به عله ، واحتمل أن يكون له سكته ، أو ظهرت عليه أمارات فزع أو غيره . كأن يكون هناك احتمال اغماء أو خلافه ـ آخر حتى اليقين بتغير الرائحة أو غيره » .

بعد هذا البيان في علامات الموت عند الفقهاء ، نرى أنهم حرصوا على أنه لا يحكم بالموت الا بعد فقد الجسم للحياة ، أي حياة فقدانا كاملا ، واشترطوا اليقين في ذلك والتأكد الذي لا يخالطه شك ، فاذا كان هناك ادنى ريبه . ترك الجسد حتى تتغير رائحته وينتفي معه أي شك في الموت ، هذا هو ما عليه إجماع الفقهاء من لدن الصدر الأول إلى اليوم .

لكن أن يكون الجسد حيّ والصدر يعلو وينخفض والنفس يتردد والقلب ينبض والأعضاء والغدد تعمل وكل شيء حيّ ، ماعدا المخ كما يقال ، ثم يأتي من يقول : إن الإنسان قد مات ، وهو مازال راقدا وفيه ما فيه من الحياة هذا أمر غريب لم يقل به فقيه أو حتى طبيب إلى اليوم احتراما للحياة وللإنسان وللآدمية . إلا إذا أطلق عليه أنه ميت بإعتبار ما يؤل إليه . وما يكون من أمره بعد وقت بعينه .

والأحكام الإسلامية دائما تبنى على التحري لا على الشك وخصوصا في مثل هذه الحالات فنرى مثلا في أجراء احكام الميت على المفقود في سفر أو في جهاد أو حرب أو غير ذلك . فإنه ينتظر مدة معينة حددها الفقهاء للتأكد من موته أو لغلبة الظن بحسب عادة الناس انه لا يعيش بعد هذه المدة ، ثم يعلنون موته ، فتعتد امرأته ويقسم ماله ويؤخذ فيه العزاء إلى غير ذلك .

---

(١) انظر الفتاوي الهندية ١/١٥٤ ، مختصر خليل ١/٣٧ ، منتهى الايرادات ١/٣٢٣ ، روضة الطالبين ٢/٩٨ ، ابن عابدين ط الحلبي ١/١٨٩ .

الشريعة وكرامة النفس الآدمية :

قررت الشريعة الإسلامية في كثير من النصوص حرمة النفس البشرية ، كما أعلت شأنها ورفعت قدرها ، فقال سبحانه ﴿ ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا ﴾ الاسراء ـ

وقد أكدت الشريعة حرمة الإعتداء على النفس البشرية بما لم يسبق إليه فقال تعالى : ﴿ من قتل نفسا بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعا ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعا ﴾ .

ورتب الإسلام عقوبات رادعة لكل من تخول له نفسه الجناية عليها ، ولم يكتف بمضاعفة الاثم والوعيد بالعذاب الأليم والخلود في الجحيم لقوله تعالى : ﴿ ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذابا عظيما ﴾ النساء ـ ٩٣ ، وإنما رتب على ذلك عقوبات دنيوية رادعة أيضا . وهذه العقوبات وإن اختلفت حسب العمد أو الخطأ أو النيه إلا أنها مغلظة في كل أحوالها ويصاحبها مع ذلك القصاص أو الديه كل ذلك ـ حفاظا على النفس الإنسانية لما لها من كرامة وحقوق وحرمه .

ومما يجب أن يذكر في هذا المجال اتفاق فقهاء المسلمين على أن للجنين حرمة من حين نفخ الروح فيه ، لما في ذلك من ازهاق نفس محترمة بغير حق . هذا وقد ارتفعت شفافية بعض الفقهاء فقالوا بحرمة البويضة الملقحة وحرمة النطفة حتى قبل نفخ الروح فيها ، لأنها بويضة وبذرة أدمي له حرمته وكرامته .

ولهذا ينبغي أن نلفت النظر إلى ما يلي :

١ ـ إذا كان هذا هو منطق الشريعة الإسلامية ، وهذه هي أقوال فقهائها أفلا يكون من الأولى والأجدر حفظ حياة إنسان مازالت فيه حياة نابضة منظورة قوية ، واحترام حياة تتنفس وتنمو .

٢ ـ الإنسان مازال موطن الأسرار ، وحياته وموته مازالت يكتنفها الغموض وإن كان العلم قد بدأ يزيح الستار عن بعض هذه المجاهيل ، إلا أنه كل يوم يظهر تقدم جديد في مجال خدمة الحياة الإنسانية ، فالحكم على حياة الإنسان وموته بدون تحقق وتأكد ، يكون حكما مبنيا على المجازفة .

٣ ـ من الأدلة الشرعية المعترف بها الإستصحاب . وهو الحكم على الشيء بما كان ثابتا له مادام لم يقم دليل قطعي بغيره . فمن عرف إنسانا حيًا حكم بحياته وبنى تصرفاته على هذه الحياة ، حتى يقوم الدليل الأكيد على وفاته ، ومن عرف فلانه زوجة فلان شهد بالزوجية مادام لم يقم له دليل على إنهائه . فأين هو الدليل الشرعي على إنتهاء الحياة الإنسانية والجسد حي ومازال يقبل الغذاء ويبول وجسده لم يتغير بل ينمو . وكيف يحكم بالموت في هذه الحالة والقاعدة الشرعية المعروفة تقول « الأصل بقاء ما كان حتى يثبت ما يغيره » وكذلك قاعدة « ما يثبت باليقين لا يزول بالشك » فكيف يدعى اليقين والجسد ينبض والحياة مليئة بالأسرار وما ثبت اليوم ينقص غدا « وما هو مستحيلا اليوم هو حقائق الغد » .

الأحكام الشرعية لفاقد الحياة العاقلة :

قد يكون الإنسان فاقدا للحياة العاقلة فيكون فاقدا للأهلية . كالطفل في زمن طفولته وكالمجنون في أي سن كان ، فكل منهما لكونه لا عقل له فلا يكون له أهلية للأداء ولا تترتب آثار شرعية على أقواله وأفعاله .

قال ﷺ « رفع القلم عن ثلاث عن النائم حتى يستيقظ وعن المبتلي حتى يبرأ ، وعن الصبي حتى يكبر » حديث صحيح ، أخرجه أبو داود من حديث عائشة بهذا اللفظ ، وأخرجه من حديث علي وعمر بلفظ « عن المجنون » حتى يبرأ وعن النائم حتى يعقل . وأخرجه أيضا عنهما عن المجنون حتى يتفيق ، وبلفظ عن

الصبي حتى يحتلم فلا يجب إذن على المجنون صلاة ولا صوم ولا حج ، وإذا بريء لا يقضي صلاة ولا صوما وإذا صلى أو صام أو حج لا يقبل منه .

كما يكون له أحكام شرعية في غير العبادات فعقوده وتصرفاته باطلة ، غاية مافي الأمر إذا جنى أحدهما أي المجنون أو الطفل على نفس أو مال يؤاخذ ماليا لا بدنيا فإذا قتل الطفل أو المجنون أو أتلف مال غيره ضمن دية القتيل أو ما أتلفه ولكنه لا يقتص منه وهذا معنى قول الفقهاء « عمد الطفل أو المجنون خطأ » لأنه مادام لا يوجد العقل لا يوجد القصد فلا يوجد العمر .

ومع أن فاقد الأهلية يكون فاقداً للأداء كما قدمنا إلا أنه تكون له أهلية وجوب كاملة .

فتثبت له الحقوق ، فيصح أن يوهب له وأن يرث ويورث ، وأن تفرض له نفقة ويكون عليه واجبات كذلك من ماله من نفقة زوجته وأولاده وما عليه من حقوق ، أو تلف في مال الغير ، إذن فتثبت له حقوق ويجب عليه واجبات . وهذه تثبت لكل إنسان من حين ولادته ، فهو في طفولته وفي سن عدم تمييزه وبعد التمييز وبعد البلوغ وفي حالة العقل وفي حالة زواله على أي حال كان وفي أي طور من أطوار الحياة له أهلية وجوب كاملة بوصفه أنه إنسان سواء كان ذكرا أم انثى وسواء كان جنينا أم طفلا ، مميزا أم بالغا أم رشيدا أم سفيها ، عاقلا أو مجنونا صحيحا أو مريضا لأنها مبنية على خاصة فطرية في الإنسان فأهليته للوجوب هي انسانيته . أي بمعنى أوضح هي حياته الجسدية لا حياته العقلية . فمادام له جسد حيّ فله أهلية وجوب كاملة .

إذن فالحياة الجسدية هي المعتبرة في هذه الحالة لا الحياة العقلية وقد اعتبرت الحياة العقلية في الأداء كما قدمنا ، وغالب ذلك مختص بالعبادات والتكاليف الشرعية بين العبد وربه . فكيف يأتي من يقول لا اعتبار للحياة الجسدية ولا حرمة لها ويخالف الكتاب والسنة وأجماع المسلمين في ذلك .

الحياة غير المستقرة :

الحياة غير المستقرة في عرف الفقهاء هي اللحظات التي تسبق خمود الجسد ، وهي ما يسميها الناس بحركة خروج الروح .

وهذه وإن كان لها أحكامها الخاصة من حيث حلّ الذبح في الحيوان وعدمه ، فلها أحكامها كذلك عند الإنسان في إثبات الفعل المؤثر في إنهاء الحياة الإنسانية ، إذا تعددت المؤثرات ، لما يترتب عليه من عقاب للمتسبب الحقيقي ، ولما يترتب عليه من تحديد حجم الجناية والعقوبة اذا لم تتعدد المؤثرات على أثر واحد .

ومما تجدر الأشارة إليه أن هذه الحياة غير المستقرة سماها الفقهاء حياة لا يجوز تخطيها أو إعلان حالة الوفاة إلا بعد الانتهاء من أي حياة والتحقق من ذلك بجمود الجسد وسكونه سكونا أبديا .

والسؤال الذي يطرح الآن ، وهو إعتداء الطبيب على الإنسان في هذه الحالة بوقف الأجهزة المنشطة أو بنزع الأنابيب المغذية ما حكمه :

نقول : إذا كان الإعتداء بدون سبب ضروري . فله حكمه المعروف . وهو قتل بالتسبب ولذلك عقوبته المعروفة .

أما إذا كان لا يوجد إلا جهاز واحد في المستشفى وهناك من يتحقق شفاؤه إذا وضع له هذا الجهاز فنقول : أولا : يجب على أولي الأمر أن يوفروا الأجهزة اللازمة لذلك وإلا أثموا لأن ذلك من الضروريات ، فإذا لم تتوفر لقلة ذات اليد أو لعدم العثور عليها أو عدم توفرها أو إمكان الحصول عليها فلا بأس بنزع الجهاز ممن يتأكد أنها لا تجدي معه ، وتركب للذي يحتاجها لإنقاذ حياته . وهذا يشبه في نظري إجهاض الأم وإخراج الجنين للإبقاء على حياة الأم المريضة التي لا تتحمل الحمل أو تستطيعه لما فيه من التضحية بحياة مشكوك فيها لبقاء حياة مؤكدة .

وقد أجازت لجنة الفتوى بوزارة الأوقاف الكويتية بتاريخ ١٤/١٢/٨١ نزع الأجهزة من شخص يتحقق موته بعد قليل إلى شخص تتحقق حياته في نظر الأطباء اذا ركبت له هذه الأجهزة .

نقل الأعضاء :

أفتى العلماء بجواز نقل الأعضاء من حيوان إلى إنسان ولا شيء في ذلك ومن إنسان إلى إنسان بشروط :

فإن كان من إنسان حي فإنه يشترط لذلك شروط :

١ ــ أن يكون المتبرع بالعضو المنقول عاقلا بالغا راشدا حيّ يستطيع الحكم على الأشياء ويكون أدرى بمصلحته .

٢ ــ يشترط ألا تتعرض حياة المتبرع للخطر المحقق .

٣ ــ أن تكون هناك ضرورة لذلك كأن يكون هناك إنسان يحتاج ذلك العضو للإبقاء على حياته .

٤ ــ أن يكون البديل معدوماً أو لا يؤدي إلى الغاية المطلوبة .

أما نقل الأعضاء من الميت عند موته لأحياء نفس معرضة للهلاك فهذا لا بأس به لقول الله تبارك وتعالى : ﴿ من قتل نفسا بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعا ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعا ﴾ ولأن هذا يدخل في إغاثة الملهون وهي واجبه لأنقاذ نفس مشرفة على الهلاك ، ولأن هذا ليس فيه إنتهاك لحرمة الميت ، لأن المصلحة الراجحة في إنقاذ انسان مشرف على الهلاك والموت أولى أما عن إستئذان الأهل فهذا شيء للترضية وتطيب الخاطر ولمنع حدوث فتنة ، فهم لا يملكون بذل شيء من الميت أو عدمه وبهذا يكون لا مشكلة في نظري حتى تستبقي الأجساد حيّة للأخذ منها فالأعضاء التي تؤخذ من الميت حال الوفاة ، تحفظ وتثلج وتنقل اليوم من قطر إلى قطر دون تلف فما هو الداعي لترك

الإنسان حيا والحكم عليه بالموت ، حتى تؤخذ منه قطع غيار بدون حاجة فورية إلى هذا .

ثم ما هو الضمان حتى لا تكون هناك تجاوزات بأن تكون هذه وسيلة أخرى لبيع الأعضاء وانشاء سوق معينة لبيعها ، كما يلاحظ بعض التجاوزات في بعض الدول التي يباع فيها جثث أو أعضاء الموتى للطلاب ولغيرهم دون ضوابط ، أو زواجر مما لا يكون في أي مجتمع يحترم نفسه فضلا عن المجتمعات الإسلامية التي تجعل للميت حرمة كحرمة الحيّ ، يشهد لذلك ما روته السيدة عائشة رضي الله عنها فيما أخرجه الموطأ والترمذي بسند صحيح « كسر عظام المؤمن ككسره وهو حي » وهذا معروف بأن يكون هذا للتعدي أو الإستهجان أو بغير ضرورة أو لمجرد التسيب أما إذا كان لضرورة ومنفعة كما بينا . فلا بأس .

ما يترتب على إعلان الوفاة :

تترتب على الوفاة أمور معينة في الدين والدنيا منها :

١ ــ ثبات عقود معينة كان قد أبرمها الميت ، وانفساخ عقود أخرى كالقراض وغيره .

٢ ــ نفاذ الوصية حيث تخرج من ماله بقدر معين منه ، أو من الشريعة ، وتدخل في ملك الموصى له .

٣ ــ خروج ماله عن ملكه وذهابه إلى الورثة ومن يستحقون التركة من الورثة .

٤ ــ اخراج ديونه ، ما حل منها وما لم يحل .

٥ ــ آثار الموت في الكفالة والحوالة .

٦ ــ سقوط النفقة التي كانت تجب عليه لاربابها زمن حياته .

٧ ــ ارتفاع النكاح ـ وبدء العدة للمرأة ، ولزوم ما تأخر من مهر .

٨ ــ رد الأمانات إلى أصحابها .

٩ ــ تولية خليفة أو تنصيب إمام أو قاضي بدلا عن الميت .
١٠ ــ عزل بعض الولاة بموت الإمام .
١١ ــ نقض الهدنة والنظر في العهود وما إلى ذلك .

هذه مثلا بعض الأمور الدنيوية التي تلزم باعلان الوفاة .

وهناك أمور أخرى ، يجب أن تتم وأحكام يجب أن تتبع ديانة منها :
١ ــ غسل الميت ودفنه لما ورد في ذلك من عدم تأخير دفن الميت إذا تحقق موته .
٢ ــ الصلاة عليه ـ حيث يجب الصلاة على الميت قبل الدفن ، فهل يصلي عليه ويغسل فور إعلان توقف مخه أو دماغه ، أم بعد وفاة الأعضاء ، وغسله والقصد إلى دفنه ، أم لا صلاة ولا دفن مادام الميت سيفتت قطعا ويوزع على المرضى كما يقول بعض الأخوة الأطباء .
٣ ــ العزاء : هل سيؤخذ العزاء بعد الدفن أم قبله والمريض يرقد في المستشفى وهل هذه الأحكام الدنيوية السابقة يبدأ فيها فور إعلان وفاة المخ أم بعد وفاة الجسد .

تطلق المرأة وتعتد وتوزع التركة إلى غير ذلك .
وهل سيستبقى شيء للتكفين والتجهيز أم ماذا ؟
يجب أن يلقي الضوء على ذلك . . .

أســـئلة :

١ ــ لقد استطاع العلماء أن يوجدوا بديلا للمخ في إدارة حركة الدورة الدموية والجهاز التنفسي والجهاز الهضمي والإبقاء على صلاحية الجسد والحياة فيه وذلك هو الأجهزة فلم يعتبرون الإنسان ميتا والبديل يعمل .

٢ ــ ركز القائلون بالموت إذا فقد المخ الحياة على فقدان الشعور ، وهذا لا ينهض

دليلا على الموت .

وإلا كان المجنون والمغمى عليه والمشلول ميتا . وهذا ما لم يقل به إنسان إلى اليوم .

٣ ـ ما حكم من وقف قلبه وتنفسه وحركته ، ثم عولج بالتدليك أو بـالصدمـة الكهربائية وعاد القلب إلى النبض من جديد هل يسمى في عرف الأطباء أنه مات ثم رجعت له الحياة من جديد أم لا يعتبر هذا في الحياة والموت وإنما يعتبر الدماغ فقط وما قولهم فيمن يموت اليوم ومن مات أمس ولم تقاس لهم موجات الدماغ أماتوا أحياء ، أم أن هناك موت وموت ، موت إذا وجهد الجهاز وموت بدونه .

٤ ـ تدحرجت بعض الأمم حتى اعتبرت الأنسان في الشيخوخة عبء يستحسن التخلص منه ، أما بايداعه في مصحـة ، أو دار للعجزة ، أو ملجأ للرعاية مادام قد أصبح عديم التأثير أو النفع ، فهل ستعمم تلك الفكر وتطور حتى تنسحب على الناس كافة في حالة عجزهم أو فقدهم للقوى المؤثرة .

إذا كان هذا اليوم شعار يسري في الأمم التي جنحت إلى الألتفات إلى المادة فقط فنحن والحمد لله مازلنا نتمسك بتعاليم الإسلام التي تعتز بالأنسان قويا كان أو ضعيفا وصدق رسول الله ﷺ « هل ترزقون وتنصرون إلا بضعفائكم » . .

نهاية الحياة

للأستاذ عبد القادر بن محمد العماري
القاضي بالمحكمة الشرعية الأولى بقطر

الموت :

لا ريب أن الموت الطبيعي يكون تدريجيا ، فتموت الخلايا أولا ثم الأنسجة ثم الأعضاء والأجهزة الحيوية ، وبعد ذلك يتوقف الجسم بكامله عن العمل ، ولكن هناك موتا غير طبيعي ، فإذا قطع الوتين مثلا مات الشخص .ولذلك قال الله سبحانه وتعالى ﴿ ولو تقول علينا بعض الأقاويل لأخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين فما منكم من أحد عنه حاجزين ﴾[1] وقالوا : إن الوتين هو نياط القلب وهو عرق يجري في الظهر حتى يتصل بالقلب إذا انقطع بطلت القوى ومات صاحبه ، قال ابن تيمية : ولم يرد أنا نقطع ذلك العرق بعينه ولكنه أراد لو كذب علينا لأمتناه ، فكان كمن قطع وتينه ، ومثله قوله ﷺ مازالت أكلة خيبر تعاودني وهذا أوان قطع أبهري ، وقالوا إن الأبهر عرق يتصل بالقلب فإذا انقطع مات صاحبه فكأنه قال هذا أوإن قتلي بالسم فكنت كمن انقطع أبهره .

وقال الفقهاء في امارات الموت في الذي يموت من علة باسترخاء قدميه ولا ينتصبان ويميل أنفه أو ينخسف صدغاه أو تمتد جلدة وجهه أو ينخلع كتفاه عن ذراعيه ، أو تتقلص خصيتاه إلى فوق مع تدلي الجلدة .وقال الفقهاء فإن كان هذا

---

(١) سورة الحاقة /٤٤ ، ٤٥ ، ٤٦ ، ٤٧ .

شك واحتمل أن يكون به سكتة لعدم العلة ، أو ظهرت امارات فزع أو غيره أخرى إلى اليقين بتغير الرائحة أو غيرها .

وقال بعض الفقهاء : إن حقيقة الموت تعتبر بجس العرق الذي بين الكعب والعرقوب وبجس عرق في الدبر : وقالوا أيضا : إن من علامات الموت سكون الحركة في البدن كله وتغير لونه وانقطاع نفسه ، ولذلك يعتبر موت الحامل بوضع كفة الميزان أو ما أشبهها على سرتها، فمادامت الكفة تتحرك فهي حية وهذا إذا تبين حملها إما بقولها أو بقول غيرها مما لا يتهم على ذلك . وهم يقولون ذلك لأنهم عاجزون عن الكشف عن الحقيقة إذ لم يكن في متناول أيديهم أجهزة كما هي الآن .

والواقع أننا لا نستطيع أن نحدد الحد الفاصل بين الحياة والموت ، وإذا كان الأطباء قد قالوا سابقا : إن توقف القلب عن العمل هو الحد الفاصل ، وقالوا الآن إن موت الدماغ هو الحد الفاصل ، فما يدرينا أن يكتشف العلم وسائل لإنعاش المريض وتنشيط الدماغ مثل ما حصل للقلب ؟

لذلك فنرى ألا نعتبر الحياة شرعيا قد انتهت ونحكم على الشخص إنه في عداد الموتى إلا إذا كانت هناك امارات ظاهرة كما قررها الفقهاء ، فنرتب على ذلك الإرث وانتهاء العدة وغيرها من الأحكام الشرعية، أما مسألة ما توصل إليه الطب من أن موت المخ هو الموت الحقيقي للشخص ، فيكون ذلك في حكم الميئوس من حياته فلا يلزم الطبيب أن يبقى عليه الأجهزة التي تطيل عليه حالة النزع والاحتضار بما لافائدة فيها. وقد قال الفقهاء إن حكم من هو في النزع حكم الميت فلا حرج على الطبيب أن هو مد يده إلى إطفاء الجهاز لأن الحياة المتوقفة على جهاز غير طبيعي ، ليست حياة في الحقيقة .

وهم يقولون ذلك لأنهم عاجزون عن الكشف عن الحقيقة إذ لم يكن في متناول أيديهم أجهزة كما هي الآن .

غير أن ترتيب الأحكام الشرعية على أمور واضحة يطلع عليها أكبر عدد من الناس العاديين أولى من ترتيبها على أشياء لا يطلع عليها إلا المختصون أو عدد محدود ، ولذلك فنرى أن التقيد بما قاله الفقهاء في مسألة إرث الجنين وغير ذلك من الأحكام سيمنع كثيرا من المشاكل لو أننا رتبنا الأحكام هذه على الحياة في بطن الأم اعتمادا على قول الطبيب ، وكذلك في مسألة علامات الموت الظاهرة فنرى التقيد بها عند ترتيب الأحكام الشرعية .

نهاية حياة الإنسان

للشيخ صالح موسى شرف
عضو مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر

عرف الإمام الغزالي وغيره الموت . بأنه إزهاق الروح أي خروجها بعد البدء ولهذا الخروج أسباب كثيرة كما قال القائل : تنوعت الأسباب والموت واحد . فمن الأسباب القتل ومرض القلب وتلف أجهزة المخ وغير ذلك من الأسباب التي تؤدي إلى الموت .

فإذا وجد في شخص واحد من هذه الأسباب التي شوهدت وجربت استحالت حياته ، ولذلك يقول الإمام الغزالي في التوفيق بين من يقول المقتول ميت بأجله أو بغير أجله : للموت أسباب كثيرة منها القتل وغيره من الأمراض التي تؤدي للموت ، فإذا تجمعت هذه الأسباب كلها في المقتول مات بأجله لأنه لو لم يقتل لمات .

أما إذا لم يوجد غير القتل فقط وباقي الجسم سليم فإنه يكون ميتاً بغير أجله وعندئذ تضاعف العقوبة ، ولذلك قال بعض المفسرين في قصة سيدنا موسى عليه السلام حينما وكزه فقضى عليه أن موسى عليه السلام لم يقصد قتله،وإنما كانت هناك أمراض لهذا الشخص تؤدي إلى موته،ومن أجل هذا حينما يحصل حادث لشخص يستدعى الطبيب الشرعي لمعرفة هل هذا الحادث هو الذي أدى إلى الموت أم هناك أسباب أخرى مع الحادث أدت إلى الوفاة ؟

بقي سؤال هل يكفي في انتهاء حياة الإنسان تلف جميع أجهزة المخ مع أي

نـوع من الأسباب التي تؤدي إلى المـوت أم يكتفىْ بأي نـوع من أنواع المقـاتـل الأخرى؟ وأيضاً فإن المشاهد من التجارب هو الثاني .

فإن ذبح الإنسان مثلاً فيه إتلاف للأوردة الموصلة للدم لجميع أجزاء الجسم اللهم إلا أن يقال إن في هذا الذبح إتلافا لأجهزة المخ الذي انقطع عنه الشريان الذي يوصل إليه الدم بسبب الذبح .

لكن تلف المخ قد توجد معه الحياة زمناً كما تحدث للمريض غيبوبة طويلة مع بقاء الأجهزة الأخرى سليمة ،كما حدث للمريضة في فنلندا فإنها كانت في غيبوبة طويلة ثم ماتت ووضعت طفلاً كامل النمو . فلو كانت بعض أجهزة المخ كافية في نهاية حياة الإنسان لماتت هذه المرأة .

بقي سؤال آخر حاصله أنه إذا وجد بعض أسباب الموت مثل تلف المخ أو القلب أو الكبد ثم وجدت معه اضطرابات وحركات كالمذبوح فكيف مع هذا يقال إنه قد مات ؟ وقد نشاهد في الحيوان بعد هذا اضطرابا وطيرانا مما يتنافى مع الموت الذي هو سكون للجسم .

والجواب على ذلك أن هذه الاضطرابات والحركات ناشئة من بطء خروج الروح وكل عضو من أعضاء الجسم يتنازع مع خروج الروح ، ويقـال إن هذا الاضطراب أثر من آثار الحياة السابقة على الذبح .

والأحوط في هذا المقام الانتظار حتى يهدأ المذبوح ويتبين موته،ومن ثم تطبق الأحكام الشرعية المترتبة على الموت .

ثم إن المذبوح يتحرك ويضطرب إذا جاء شخص وأجهز عليه ينظر في الذبح فإن كان الذبح كاملا بأن قطع الأول الودجين فالمجهز الثاني لا يعد قاتلاً إنما عليه الإثم والتعزير حتى لا يجر ذلك لكثير من الناس للتعدي على المذبوح بحجة أنه يريحه مادام أنه لا يقصد لأن للميت حرمة وكرامة ، أما إذا كان الذبح غير كامل فإن

المجهز عليه يعد قاتلا وعليه القصاص كالأول الذابح .

بقي أن يقال إن إتلاف المخ وحده هو السبب الوحيد للقتل وأن الحياة تبقى في جميع بدن الجسم، واستدل القائل على هذه النظرية بزرع القلب في بدن آخر قلبه تالف فيحيا .

فما ذاك إلا أن أعضاء الجسم فيها حياة

والرد عليها نقول وبالله التوفيق :

أولا : إن الموت والحياة متضادان فكيف يجتمعان في شخص واحد .

ثانيا : إن القرآن الكريم دل على إبطال هذه النظرية حيث يقول الله تعالى وقوله صدق : ﴿ الله يتوفى الأنفس حين موتها والتي لم تمت في منامها فيمسك التي قضى عليها الموت ويرسل الأخرى إلى أجل مسمى ﴾ .

فقوله تعالى يمسك التي قضى عليها دليل على موت جميع أجزاء الجسد لأن النفس بها الحياة والإدراك والوعي،فمادام قد أمسكها الله عنده فقد انقطعت الحياة عن جميع أجزاء البدن .

ثالثا : إن الإنسان إذا دخل على مريض محتضر يرى أن الروح تخرج منه شيئاً فشيئاً والعضو الذي خرجت منه لا يتحرك وأصبح كالثلج بارداً لا حرارة فيه .

أما الاستدلال بزرع الأعضاء في جسم حي فإن الحياة لهذا العضو المزروع قد استمدت من جسم الحي، فهو قد أفاض عليه حياة جديدة بعد أن قد مات، كالبذرة التي تضعها في الأرض ولا تتعهدها بالسقي فتموت،ثم إذا أرسلت إليها الماء عادت إليها الحياة،ولو أخذنا هذا القلب من إنسان ميت وزرعناه لإنسان آخر ميت فهل يحيا هذا القلب المزروع ؟ طبعا لا يحيا .

أما الحديث عن أخذ عضو من ميت ليوضع في آخر أشرف على الموت فقد

أجاز ذلك العلماء بشرط أن يتحقق موت صاحب القلب،وبأن يأذن أهله في ذلك، لأن للميت حرمته ولا يجوز التمثيل به .

وقـد نهى النبي ﷺ عن التمثيـل بجثث أعـداء الإسـلام فكيف بجثث المسلمين ولكن للضرورة وهي أن الحي أبقى من الميت أجاز الشارع ذلك، إذا أذن جميع أهله .

والله سبحانه وتعالى ولي التوفيق

بدء الحياة ونهايتها

للدكتور عمر سليمان الأشقر
كلية الشريعة والدراسات الاسلامية
جامعة الكويت

نظراً لعدم امكانية فصل بداية الحياة الانسانية عن نهايتها في هذا البحث وجدنا أن نضعه كما هو في الجزء الأول عن بداية الحياة الإنسانية ومن يريد الاطلاع على رأي الباحث في نهاية الحياة يمكنه الرجوع اليه في الجزء الأول .

المحـــــرر

نهاية الحياة الإنسانية

للدكتور مصطفى صبري أردوغدو
مرمره كلية الإلاهيات - استنبول

إن الجسم في الإنسان له خلايا، والأعضاء تقوم بوظيفتها، فإذا اختلت وظيفة عضو، يؤثر ذلك على أداء الأعضاء الأخرى لوظائفها بدرجات متفاوتة. وإذا توقف عضو ما عن العمل تماما، ولكنه قد يتمكن من العودة إلى العمل إن تغيرت ظروف معينة، فمعنى ذلك أن العضو مازال قابلاً للحياة، أو كان حياً ولكنه متوقف عن العمل، فبذلك يمكن أن نستنتج من هذا الأمر، أنه إذا مات الإنسان تماماً وتأكد من هذا الأطباء فهل يمكن أن ينقل من هذا الميت عضو ما أم لا ؟ وهل يجوز لنا نقل الأعضاء من إنسان لإنسان ؟ وهل يحق للشخص أن يوصي بأعضائه في الحياة بعد الموت ؟ وهل تسمح الشريعة بالتصرف في الأعضاء أو في الجسم بأي حال من الأحوال ؟

وهناك جانب آخر، هو أن الأطباء يقولون إن القلب يتوقف عن العمل تماماً بسبب قطع الأكسجين عنه، أو قطع وصول الدم إليه، وإذا عاد الأكسجين إلى القلب خلال ٢٠ - ٣٠ دقيقة يعود القلب إلى العمل كما كان. وإذا زادت فترة قطع الأكسجين يزداد تدريجياً، حتى إذا وصلت المدة إلى مدة تتراوح بين ٩٠ - ١٠٠ دقيقة يفقد القلب قابليته للحياة.

والمخ كذلك مشابه للقلب، إلا أن المخ يفقد قابليته إذا انقطع عنه الأكسجين لمدة أربع دقائق؛ وإذا كان المخ قد دخل في نطاق الموت إلى مرحلة اللاعودة بتقرير الأطباء مهما بذل الجهد لإنعاش صناعي بالتنفس وتحريك الدم في الجسم. ففي مثل هذا الأمر، قد يمكن نقل الأعضاء من إنسان لإنسان وقد يدخل

في إغاثة الملهوف ، فهي واجبة لإنقاذ إنسان مشرف على الهلاك : ﴿ ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعا ﴾[١] .

ولكن الفقهاء متفقون على أنه لا يجوز في غير حالة الحرب الاعتداء ـ ولو عند الاضطرار ـ على حياة الإنسان ؛ كذلك نرى أنه لا يجوز استئصال عضو من إنسان يوشك أن يموت، كالعين والقلب ، لإعطائه إنساناً آخر ، تحت ستار الضرورة والرحمة المزعومة بالإنسانية ، إذ إن أجزاء الإنسان ليست مملوكة له ، ولا يمكن القطع بموت المريض، حيث إنه لا يعلم الغيب إلا الله سبحانه .

لذلك نرى الكثيرين من أطباء العلم يعلنون أن عملية نقل القلب من رجل إلى رجل لا تتفق مع الأخلاق والقيم، لما فيها من تحقيق منفعة غير مضمونة النتائج غالباً، على حساب مصلحة وحياة إنسان آخر . لكن إذا تأكد الطبيب المسلم الثقة العدل من أن الذي يؤخذ قلبه أو عينه سيموت حتماً ، جاز نقل القلب أو العين وزرعه لآخر مضطر إليه ، لأن الحي أفضل من الميت ، ورعاية المصالح أمر مطلوب شرعا ، وتحقيق النفع للآخرين مندوب إليه في الإسلام ، والضرورات تبيح المحظورات ، لأنه يترتب على النقل إنقاذ مريض بالقلب ، أو إعادة البصر لإنسان، وتوفير الحياة أو البصر نعمة عظمى مطلوبة شرعاً . ويجوز التشريح لأغراض تعليمية، أو لمعرفة سبب الوفاة، وإثبات الجناية على متهم ، عملاً بما أباحه المالكية والشافعية والحنفية : من شق بطن الميت لإخراج مال غيره الذي ابتلعه، إذا تعذر تسديده من التركة وكان المال كثيراً .

أقول إن الفقهاء قد تكلموا في نهاية الحياة في الإنسان وما يتبعها من أعمال خاصة بتجهيزه وتكفينه وصلاته وغير ذلك .

---

(١) سورة المائدة : ٣٢ .

فقالوا : إذا تيقن الحاضرون من موت الإنسان، وعلامة ذلك انقطاع نفسه ، وإحداد بصره ، وانفراج شفتيه فلا ينطبقان، وسقوط قدميه فلا ينتصبان [1] . والتأكد من الموت هو خمود الجسد وسكونه سكوناً أبدياً . وحكم الموت في الإنسان بدون تحقق وتأكد يكون حكماً على المجازفة ؛ إذا فكيف يتصرف الأطباء في جسم الإنسان ومازال مشكوكا في حياته ، والقاعدة هي : « ما ثبت باليقين لا يزول بالشك » ، وكذلك « الأصل بقاء ما كان حتى يثبت ما يغيره » . فكيف يدعي الطبيب اليقين ، والجسد لا يزال ينبض ، والذي ثبت اليوم قد ينقض غداً » .

وأمام هذه الحقائق حقائق أخرى ، ألا وهي حرمة الميت ، والنهي عن التمثيل بالأموات ولو كانوا كفارا ؛ كما نهينا عن إيذاء الميت المؤمن ، ففي الحديث الصحيح الذي أخرجه أبو داود والترمذي وابن ماجه والطحاوي والدارقطني والبيهقي وأحمد « كسر عظم الميت ككسر عظم الحي » ، وفي رواية الدارقطني زيادة عليه: «في الاثم»[2] وجاء في كتب الحنابلة:«ويحرم قطع شيء من أطراف الميت ، وإتلاف ذاته ، وإحراقه ، ولو أوصى به »[3] .

لذلك لا يمكن أن نعتبر الحياة شرعاً قد انتهت، ونحكم على الشخص أنه في عداد الموتى، إلا إذا كانت هناك إمارة ظاهرة كما قررها الفقهاء في كتب الفقه، فيترتب على ذلك الإرث وانتهاء العدة وغيرها من الأحكام الشرعية .

إن إخواننا سوف يبدون آراءهم وقد يقولون : إن هناك مصلحة ، « وإذا وجدت المصلحة فثم شرع الله » .

---


(١) مختصر خليل جـ ٣٣/١ ، روضة الطالبين جـ ٩٨ ، الفتاوي الهندية جـ ١٥٤/١ ، ابن عابدين جـ ١٨٩/١ .

(٢) إرواء الغليل : ٢١٤/٣ .

(٣) كشاف القناع : ١٢٧/٣ .

مناقشات

نهاية الحياة الإنسانية



الجلسة الرابعة

عقدت الجلسة الساعة التاسعة صباحا برئاسة سعادة الدكتور عبدالرحمن عبدالله العوضي وحضور الدكتور محمد الأشقر نائبا للرئيس مكان الدكتور عمر الأشقر لانشغاله في الامتحانات ومشاركة الدكتور مختار المهدي مقررا .

حيث ألقى الدكتور مختار المهدي وجهة النظر الطبية لنهاية الحياة الانسانية (الموت) ثم أعقب ذلك اضافات الأطباء المشاركين في الأبحاث وتلا ذلك الاستفسارات من المشاركين سواء الفقهاء أو غيرهم عن الجوانب الطبية المتعلقة بالموضوع .

هذا وقد غادر الدكتور عبدالرحمن عبدالله العوضي الجلسة قبل نهايتها لانشغاله في اجتماع آخر حيث ترأس الدكتور سداد صبري الجلسة بعد ذلك .

وانتهت الجلسة الساعة الثانية عشر ظهرا .

المحرر

المـناقشـات

ـ الرئيس (الدكتور عبد الرحمن العوضي) :

نبدأ اجتماعنا الثاني اليوم ـ وأولا أحب أشكر عما سمعته أمس من التداولات التي دارت ، وأشكر كل الإخوان الذين شاركوا ، وأيضا أعتذر لكم لأنني لم أستطع الحضور أمس للمشاكل التي دائما يجابهها أي إنسان يسمونه وزيراً عندما يقع مع الحوار البرلماني والسياسي وغير ذلك ، وأيضاً اليوم كنت أتمنى أن أقعد معكم ساعة أيضاً ثم أخرج حوالي الساعة العاشرة والنصف أو الحادية عشرة إلا ربعاً ، فأنا أيضا يؤسفني رغم أنني أشتاق أن أجلس معكم في هذه الجلسات وأستمع لها ولكن هنا وسائل الإعلام وإن شاء الله إذا أعطانا الله عمراً نجلس نستمع إليها بالتفصيل . سعدت كثيراً أمس عندما سمعت رد فعل الأطباء بالذات لأن كثيراً قالوا نحن ـ والله ـ كنا كثيراً متخلفين عن الفقهاء . . أنا سعدت لأنني أعتقد هذا هو الواقع ، لأن نظرة الطبيب وتعليمه وتدريبه على الحديث نظرة تفصيلية تذهب إلى الدقائق ، وفي كثير من الأمور هذه النظرة تنسى الشمولية والعمومية والنظرة الواسعة التي هي نظرة الإسلام ، وبطبيعة الحال ما دام المنطلق يختلف ـ منطلق الإنسان المسلم أو المثقف أو المفقه المسلم يختلف تماما عن الطبيب وهو المفقه طبيا ، لأنه أصلا الطبيب مهما كان أفقه الواسع موجوداً متوفراً إنما نظرته الأساسية تنطلق من نظرية تحليلية بالدقيقة ، الخلية ، الكرموزوم . . والجزيئات كل هذه ، هي السبب ، لأنه مهما عملنا لا يمكن للإنسان أن يفترق عما جبل عليه وتعلم فيه وهو نظرة التحليل الدقيق وفي كثير من الأمور ومع الأسف الشديد ينسى

الشموليات ينسى أن أي عملية يرتكبها داخل العمليات لكي يجهض أو يولد طفل معوق أو غير ذلك ينسى أن هذا المولود هو سيكون جزءاً من المجتمع عليه ترتيبات عليه مشاكل عليه ردود فعل .

فأنا فعلا سعيد لأن ما سمعت أن هذا هو الطابع الإسلامي ، أصلا الإسلام نظريات متفتحة نظريات بعيدة كثيرة بشمولية عظيمة استطاعت أن تستوعب في عصر قارس الظلمات جميع العلوم وأعطت العلوم المجال ـ وأعطته مجال التقدم وأنا مؤمن بأن النظرة الإسلامية بعيدة جداً عن كل النظريات التي نعرفها ، نظرية أشمل أكثر تقدماً أكثر ثورية ، لكن مع الأسف الشديد مفهومنا للنظريات كان ضيقاً جداً ونحن نحاول أن تكبر هذه المفاهيم فأنا سعيد جداً وهو الذي كنت أتوقعه وأنا حين ما بدأت في البداية أفكر في أن هذا التوجيه أصل من نظرة الطب الإسلامي ، أعرف أن الإسلام أكثر تقدماً من كل ما نعرفه من نظريات ومن علوم ، وأنا مؤمن بهذا إيماناً كاملاً ، لأن النظرة الشمولية الكبيرة للإسلام لا يراها الإنسان العالم المتمحص الدقيق مهما كان ، ولو كان إنسان مسلم ومتفق المنطلق تختلف النظرة وتختلف الأرضية فأنا سعيد جداً ، وإن شاء الله نستمر وأرجو أن الأطباء ما يقنعون بأن الفقهاء غلبوهم ، وأنا أعتقد أن الفقهاء في موضوع كهذا أكثر تفقها وأكثر سعة في الأفق ، إلا أن هذا مفهوم جديد جداً ، وأنا كنت أتناقش مع الإخوان وشعرت هذا الشيء وأنا سعدت كثيراً لأنني أعتقد أن الإسلام سيظهر دائما فوق جميع المفاهيم ، وهذا منطلقنا الذي علينا أن نفخر به لأن فهمنا لديننا ضعيف جداً ، ويجب علينا أن نرى تاريخ هذا الدين ، وكيف استطاع أن يخلق مجتمعات ويخلق حضارة ، هذا ليس شيئاً بسيطاً أبداً .

فأحب أن أقول أنا فعلاً سعيد وأرجو أن نستمر في هذه الروحية إن شاء الله ، وأن نستمر في البعد الآخر لمناقشتنا هذا اليوم ، وهو بعد نهاية الحياة ـ وهو طبعاً يعد أصعب وأكثر ألماً وأسى على الإنسان ، وأيضاً أخذ القواعد فيه أصعب

بكثير من أخذ القرار في بداية الحياة ، مهما كان يجب علينا أن نعرف ماذا يقول لنا ديننا وكيف يفقهنا في الموضوع ؟ وكيف نستطع أن نطور مفاهيمنا العملية لمفاهيمنا الدينية ؟ أنا أؤمن بالعملية ، هذا هو الأساس من دون هذا المفهوم العام ما أعتقد أننا ستتقدم ، وقد يختلف معي بعض الإخوة ولكن هذه وجهة نظري ، وإنسان يعتقد إنه عندما يرى الأمور في حدود معينة يجب أن ـ يذكرها وتطرح للنقاش وطبعاً أنتم أفقه حتى في كثير من الأمور .

هذا وأرجو أن نوفق إن شاء الله إلى التوصل إلى التوفيق العام في النـظرة والتوفيق في العملية كلها ، ونبدأ اليوم نقاشنا ونطلب من الأخ الدكتور / مختار المهدي أن يقدم تلخيصاً عن الموضوع حول نهاية الحياة وأيضاً بعدها طبعا كما اتفقنا إن المشاركين لهم حق أن يبدوا وجهات نظر إذا تغافل عنها الدكتور أو انحاز لنقطة معينة وبعدها سيكون موضوع النقاش .

[بحث الدكتور مختار المهدي مثبت في قسم الأبحاث ص ٣٣٣ .]

الرئيس الدكتور / عبد الرحمن العوضي :

شكراً للدكتور مختار على عرضه للموضوع وأرجو أنه استـطاع أن يعرض وجهات نظر للباحثين في هذا المجال . وكما اتفقنا لاحظنا أن هناك أوصافاً جاءت من الأخ الدكتور / مختار ما بين الحياة الذاتية والحيـاة العضويـة ، وبين هـاتين الحياتين هناك مسافة بعيدة جدا ويجب أن نقربها ونحاول نعرف أين نلتقي ، والآن سأعطي الإخوان المشاركين بالأبحاث خمس دقائق فقط وسأكون صارماً .

* الدكتور / أحمد شوقي إبراهيم :

الإنسان ليس جسماً فحسب ولكنه نفس وروح أيضاً ، وقد نعلم شيئاً عن

الجسم ، ولكن عن حقيقة النفس والروح لا نعلم شيئاً ، وليس له مصدر وحيد إلا ما جاء بالوحي الإلهي (القرآن والسنة) فينبغي أن نأخذ من الوحي العلم عن الروح والنفس بدون نقاش ، لأن علومنا التجريبية تعجز على أن تكون طرفا في هذا النقاش ، وكل دورنا في ذلك هو محاولة فهم النصوص الفهم الصحيح .

هناك سؤال هل لو توقف القلب عن النبض توقفت الحياة ، ليس القلب الذي ينبض في صدر الإنسان هو الذي جاء ذكره خاصة في القرآن والسنة ، وإنما جاءت كلمة القلب لتعني الوعي والعقل والإدراك ، وذكر الإمام الغزالي في إحياء علوم الدين إن القلب يطلق على معنيين .

(أحدهما) : العضو الذي يضخ الدم الموجود من الجانب الأيسر من الصدر ، ويتعلق به غرض الأطباء ، ولا تتعلق به الأغراض الدينية ، وهذا القلب موجود في البهائم بل هو موجود للميت وهو قطعة لحم لا قدر فيه ، (المعنى الثاني) هو لطيفة ربانية روحانية لها بهذا القلب الجسماني تعلق ، وتلك اللطيفة هي حقيقة الإنسان والقلب هو المدرك والعالم والعارف من الإنسان ، وهو المخاطب والمطالب . وقال الغزالي وقد تحيرت عقول أكثر الخلق في إدراك وجه علاقته بالقلب الجسماني إن تعلقه به أيضاً هو تعلق الأعراض بالأجسام والأوصاف بالموضوعات ، وإنما إذا أطلقنا لفظ القلب فإننا نعني به هذه اللطيفة الربانية ، ويمكننا أن نذكر أوصافها وأحوالها ، ولكننا لا نستطيع أن نذكر حقيقتها في ذاتها ، ويمكن أن يكون القلب هو عقل الإنسان فكره ، ولم تذكر كلمة العقل في القرآن وذكر القلب للدلالة عليه ، وكلمة قلب تعني العقل كما قال الله تعالى ﴿ إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد ﴾[1] وجاء في تفسير القرطبي لمن كان له قلب أي كان له عقل يتدبر به ، فكنى بالقلب عن العقل، وقيل

---

(١) سورة ق/٣٧

من كان له نفس مميزة فعبر عن النفس البشرية بالقلب وفي قوله تعالى ﴿ **ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب** ﴾(١) وهنا جاء ذكر القلب بمعنى العقل ، وكذلك جاء ذكر الصدر بمعنى النفس ﴿ **الذي يوسوس في صدور الناس** ﴾(٢) أي في نفوس البشر . هناك آيات كثيرة في سورة الحج يقول الله تعالى في آية جمعت القلب والصدر معا ﴿ **أفلم يسيروا في الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور** ﴾(٣) قلوب يعقلون بها أي عقول ـ وإدراكات يعقلون بها ، وقال ابن عباس لما نزل قوله تعالى ﴿ **ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى وأضل سبيلا** ﴾(٤) قال ابن أم مكتوم يا رسول الله فأنا في الدنيا أعمى أفأكون في الآخرة أعمى ، فنزل قوله تعالى ﴿ **فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور** ﴾ أي من كان في هذه أعمى بقلبه عن الإسلام فهو في الآخرة في النار ـ فالقلوب التي في الصدور هي اللطيفة الواعية المدركه ، في النفس البشرية .

النبي ﷺ قال : لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر في قلبه أي في نفسه .

هناك أمر آخر نفهم من ذلك أن القلب الذي ذكر بالقرآن والسنة هو الوعي والإدراك والفكر والعقل ، أن القلب إذا توقف عن النبض فلا يعني هذا انتهاء العقل أو الإدراك أو انتهاء الحياة ، فقد يتوقف عن النبض فترة والإنسان حي يرزق ، ثم يعود إلى النبض مرة أخرى بأي صنف من صنوف العلاج ، أما انتهاء

---

(١) سورة آل عمران /٨

(٢) سورة الناس / ٥

(٣) سورة الحج/٤٦

(٤) سورة الإسراء/٧٢

الحياة الإنسانية فهو موت المخ نفسه نهائياً ، لأن المخ آلة الوعي والعقل والفكر أوافق تماما رأي الإمام الغزالي عن القلب إذ قال إن للعقل بهذا القلب العضوي تعلقا لا نعرفه ولا تفهمه علومنا التجريبية مصداق قوله تعالى ﴿ وما أوتيتم من العلم إلا قليلا ﴾[1] فالذي أستريح له أن نهاية الحياة الإنسانية تكون بموت المخ ، وتوقف القلب معا ، فلا يحكم على إنسان مات وانتهت حياته إلا إذا توقف قلبه أيضا ، لأن لهذا القلب بالعقل تعلقاً لا تدركه علومنا التجريبية وهو شيء نجهله ، فإذا كان هناك مريض قد مات مخه تماما وهو تحت جهاز إنعاش وبواسطته قلبه ينبض فيجب اعتباره في هذه الحالة إنسانا تحترم آدميته وإن فيه حياة واجبة الاحترام ، لا حرج على الطبيب أن يوقف جهاز الإنعاش إذا تأكد من موت المخ نهائيا . وبتوقف جهاز الإنعاش يتوقف القلب والتنفس هنا فقط تكون نهاية الحياة الإنسانية .

*** الدكتور / عصام الشربيني :**

قبل أن أتكلم أحب أن أراجع الحساب مع الرئاسة لو سمحت ، بالنسبة لتحديد خمس دقائق أرجو أن تسمح لي ، الموضوع جديد على الأطباء وجديد على الفقهاء ويحتاج إلى تجلية وتوضيح فأعطني وقتا أكثر من ذلك وأنا أعدك أن لن أكرر انما سأوضح ما أجمل وأؤكد ما لم يستبن ، إنما قبل ذلك أطلب دقيقتين أو ثلاثة إضافة لكي أتكلم كلاماً عاماً للندوة . . . وهو أنني أود أن أكرر ما ذكرته في مطلع حديث أمس يجب ألا ينفصل البحث النظري عن البحث التطبيقي ، وإلا جاء متناثراً ، وأصبح كثير من جوانب البحث مثل قولنا : ولا تقربوا الصلاة ، وأرجو ألا نقع فيها وقعنا فيه بالأمس ، فبعد جلسة استمرت لأكثر من عشر ساعات بخلنا

(١) سورة الإسراء/٨٥

بدقائق على سؤال عملي نواجهه كل يوم كأطباء ، ويواجهه الناس جميعا ، ويدخل في كل بيت ، وهو سؤال الدكتور / مأمون عن استعمال اللولب ، وبعد ان كنا نتحدث عن الحمل المستقر أصبحنا نتحدث عن بويضة لا علقت ولا لصقت وإن خرجت من الرحم عجلى ، وإن كانت ملقحة كما أن ما يسبب القلق أن يظهر اتجاهان غير متوازيين أو غير متواصلين ، فعندما نطرح سؤالا عمليا يقال نحن ملتزمون بعنوان الندوة مبدأ الحياة ونهاية الحياة بعد ذلك يتوجه أحد الأطباء وأظن الدكتور / أحمد القاضي برجاء إلى الندوة أن تخرج بتوصية قوية حاسمة في موضوع الإجهاض ، لأن في أمريكا سبعمائة ألف حالة ، وأنا أناشد الأطباء عامة والإخوة الذين اختاروا عنوان الندوة بصورة خاصة ، أناشد دينهم وضميرهم وأمانتهم أن يتقوا الله ولا يغلوا في دينهم ولا يدخلوا الفقهاء مدخلا ضيقا ، ثم يطلبون منهم الفتوى وألا ننسى في غمرة استغراقنا الطبي وحماسنا الديني روح الشريعة الإسلامية التي تبنى أكثر أحكامها كما علمنا الأساتذة الفقهاء على البساطة والوضوح والظاهر الذي يدركه الخاص والعام في أغلب الأحوال .

وبعد ذلك أنتقل إلى موضوع الموت وأنا رجل مثل الأعرابي الذي قال لرسول الله ﷺ : « أما إني لا أحسن دندنتك ولا دندنة معاذ » أنا لن أبحث في الروح ولا في النفس ولا في كل هذه الأشياء ـ أنا أحدد الأسئلة التي تطرح ـ متى يموت الشخص متى أقرر إنه مات ؟ متى أقفل الأجهزة ؟ متى أفتح وآخذ عضواً منه ؟ هذه هي القضية ـ أما ما هي الحياة الإنسانية ؟ وما هي النفس وما هي الروح ؟

فأرجو ألا يستغرقنا هذا البحث وننسى الأسئلة التطبيقية ، أقول هنا إن الناس حتى الآن أكثرهم مازالوا يموتون كما تعودنا من قبل سواء كان مريضاً في المستشفى يدرج إلى الموت بمرض معروف وينتهي كما هي العادة عندما يقف قلبه تنفسه ونعمل له الفاشات ، ثم نقول هذا مات وإذا لم نكن متأكدين ننتظر بضع دقائق أو ربما أكثر تنفيذاً للتعليمات التي هي من الأصل أيام كنا طلبة من ثلاثين

سنة ، بأن ينقل إلى غرفة الموتى بعد ساعتين ، هذه الأشياء مازالت تحدث حتى الآن ، وأغلب الحالات هكذا في المستشفى أو الذي يموت في البيت أو الذي يموت مخه ولا يدرك أجهزة الإنعاش فهذا هي الأغلب الأعم ، ولكن هناك مشكلة تحدث حالياً لابد أن يواجهها الفقه برأي فيما أعلم وفيما ذكر لنا السادة الفقهاء في أبحاثهم ليس هناك نص فهو اجتهاد طبي ينبني عليه اجتهاد فقهي .

الدكتور / مختار أوضح معنى موت جذع المخ ، أحب أن أضيف هنا أن قضية موت الإنسان أو تحديد الموت بجذع المخ ، قضية لم يقبلها الأطباء بسهولة أبدا وإنما استمرت سنوات طوال بدءاً من استعمال أجهزة التنفس الصناعي على صورة واسعة في الخمسينات في الحرب الكورية في وباء شلل الأطفال في الدانمارك وفي أمريكا ، وبدأ يدرك الأطباء أن المخ يمكن أن يموت ويبتدئ في التلف وأقصد جذع المخ بالذات ويبدأ في التلف والقلب مستمر إذا كان هناك جهاز تنفسي صناعي ، وإن هذه العملية استغرقت سنوات أبحاث في فرنسا وايطاليا وامريكا وانجلترا ولجان مختلفة مثل لجاننا هذه من الأطباء ورجال القانون ورجال الكنيسة إلى أن ظهرت تعريفات وتحديدات مرة بعد أخرى ، لعل من آخرها (وبالذات أنا أشير لهذا لأن فيه تلخيصا وإجمالا ومراجعة لما سبق) تعريف مؤتمر كليات الأطباء الملكية البريطانية الجراحين وأمراض النساء وأمراض الجراحة والباطنية ، ووضعوا شروطا وقواعد محددة هذه الشروط ذكرها الدكتور مختار ولا مجال للتفصيل فيها ، إلا إننا نذكر التوضيح حتى يطمئن الساده الفقهاء إلى أن الأطباء لا يغفلون ، أوربما كانوا أصعب من الفقهاء في تقبل الجديد رغم البحوث الكثيرة الطويلة العريضة .

الدكتور / مختار ذكر أنه يكون في غيبوبة ولأبد أن يستبعد الطبيب هنا الأسباب التي تؤدي إلى غيبوبة وتكون قابلة للعلاج ، كالمواد المخدرة وكالبرودة الشديدة في البلاد التي فيها برد شديد ألا يكون هناك شك في وجود تلف في الدماغ

أو في المخ يؤدي إلى مثل هذه الوفاة يعني عندما لا يتأكد عندنا سبب الغيبوبة لا نشخص موت جذع الدماغ .

معنى ذلك أن الأطباء يعتقدون الآن أنه عندما يموت جذع الدماغ فقد حدثت الوفاة ، مهما استمرت الأجهزة الصناعية في استبقاء الأعضاء حية لفترة أو أخرى ، وقد أوضح الباحثون بعد هذا التصور الطبي أنه ليس هناك مفهومات للموت ، ولكنه مفهوم واحد لمجموعات من الظواهر ، فإذا مات القلب أو توقف القلب أو توقف التنفس أو توقفت الدورة الدموية يموت الإنسان عندما يموت جذع دماغه لأنه عند توقف القلب والتنفس يموت جذع الدماغ ، وعندما يبدأ الموت بجذع الدماغ يتبع القلب والتنفس ، ولكن المفهوم واحد في جميع الحالات وهو موت جذع الدماغ . قلنا إن الأطباء لم يقبلوا هذا بسهولة فما الذي عملوه لكي يستوثقوا من هذه النظرية؟لايمكن أن يفحصوا هذه النظرية لأنه يتطلب توقف جهاز التنفس ، وأعيد التذكير أن المشكلة أمامنا مريض على جهاز التنفس لا يستطيع أن يتنفس من تلقاء نفسه وقد اختبرنا ذلك ووجدنا أنه لا يستطيع ولا يمكن أن يتنفس ، وإننا نعرف أن في مخه تلفا يؤدي به إلى الموت ، وإنه في حالة غيبوبة عميقة وفحوصات ومختبرات جاء لها الدكتور / مختار ماذا نفعل لفحص هذه النظرية حتى نتثبت لو وقفنا الأجهزة الصناعية هو سيموت على أي الأحوال سواء كان مخه ميتا أم غير ميت ؟ فإذا لابد من فحص الأمر بطريقة أخرى فحص هذا الموضوع من ناحيتين .

الناحية الأولى : أننا نحن جمعنا الحالات التي شخص فيها الأطباء موت جذع الدماغ كما في مقال الدكتور / مختار ولسبب أو لآخر لم تتوقف الأجهزة ـ رجل قلبه رقيق مثل الدكتور مختار غير قادر أن يوقف الأجهزة عن أم كلثوم ، أو هو في دولة لا تبيح فيها القوانين هذه المسألة ولسبب أو لآخر بعد تشخيص جذع الدماغ لم

توقف الأجهزة جمعت اللجنة الطبية التي قامت في انجلترا في هذه الدراسة ٧٠٠ حالة أو ٧٣٤ حالة وبحثت هل عاش أحد من هؤلاء فوجدت أنه لم تعش حالة واحدة من هذه الحالات التي شخص فيها موت جذع الدماغ ولا حالة واحدة ، وعلى ذكر الحوادث كنت أود أن أسأل الدكتور / مختار وهل أم كلثوم الله يرحمها قعدت أسابيع بعد تشخيص موت جذع الدماغ ، لأن الدراسة هنا تكون بعد تشخيص موت جذع الدماغ تموت الأعضاء ، ويتوقف القلب بالذات بعد مدة تتراوح بين ساعات وأيام في المتوسط ثلاثة أيام ونصف ، وسجلت في بعض الحالات في الأطفال أربعة عشر يوما ، وحكاية خمسة أسابيع جديدة علينا إنما لابد أن ينتهي العضو رغم استمرار الأجهزة إلى الموت ، لأن هذا الإنسان نقول عنه مات طبياً ونحاول أن نعيد النظر من زاوية أخرى ، هل يمكن أن نشخص موت جذع المخ بهذه الشروط المحددة في إنسان ليس عنده موت جذع المخ ؟ جمعت أيضا أكثر من ألف حالة أدخلت جميعا إلى المستشفيات في حالة غيبوبة شديدة بعد إصابة في الرأس ١٢٠٠ حالة مصابة بغيبوبة شديدة وفيها إصابة بالرأس أدت إلى الغيبوبة ـ ثم تتبعنا هذه الحالة وكانت جميعا حية بعد الثلاثة الأشهر التي هي وقت إجراء الدراسة ، يراجعون الملفات كلها لينظروا هل كان من الممكن أن يشخص في إحدى هذه الحالات موت جذع المخ ، حسب الشروط المحددة لم يجدوا حالة واحدة منها يمكن أن تستوفي شروط تشخيص موت جذع الدماغ ، وبذلك فحصنا الموضوع من الناحيتين : من شخصته هل يمكن أن يصحو ويستعيد وعيه والذي لم يشخص هل يمكن أن أخطئ وأشخصه ، هاتان الناحيتان إحدى الوسائل التي لجأ إليها الأطباء تمحيصا لهذه النظرية ، نظرية موت جذع المخ ، ولابد من احتياطات أخرى حتى يتأكد الأطباء أنه لا يندفع أحدهم إلى التشخيص ، هكذا وضعت شروط وأصبحت أوامر ثابتة في بعض البلدان ، منها أن تكون هناك تعليمات واضحة بشروط محددة يجب توافرها لتشخيص الموت وسبق ذلك في إعلان اتحاد الأطباء ـ مؤتمر جمعيات الأطباء الملكية في بريطانيا ووضعت هذه الشروط وأقصد

سنة ٧٦ وبعدها بعام أصبحت أوامر ثابتة لوزارة الصحة البريطانية في المستشفيات ، وأيضا لسنا سنعيد البحث فيها ، ولكن يشترط أن تكون هناك تعليمات واضحة محددة من السلطات الطبية من الوزارة أو المستشفى ، لابد من توافرها عند تشخيص الموت أن يشترك أكثر من طبيب ذي خبرة كافية في تشخيص الموت وطبعا الدكتور / مختار أشار إلى بعض هذه الشروط وكل وزارة وسلطة طبية تحدد هذه الشروط في الحالات التي ينتظر لن يأخذ منها عضو أو أكثر للزراعة ، لا يكون أحد الأطباء الذي أشرنا إليهم في الفترة السابقة الذي هم سيشخصون الموت ولا يكون أحد هؤلاء الأطباء مرتبطا بأي صورة بالفريق الطبي الذي ينتظر العضو لزراعته ، وليس هذا شكلا وإنما حتى لا يعجل الإنسان إذا كانت له رغبة شديدة في شيء فقد يعجل ويغفل عن بعض الأشياء ، كما لو كان لي رأي شديد أو اتجاه شديد إلى رأي معين فألقط الكلمة التي قالها الفقيه المعين وأستمسك بالاشارة التي قالها الطبيب المعين ، ولذلك يجب ألا يكون أحد هؤلاء مرتبطا بالفريق الذي سينقل عضواً ، والشروط التي ذكرت في أول الفقرة واحدة سواء في حالة نقل أعضاء أو عدم نقل أعضاء هي شروط واحدة للموت .

نقطة أخرى عندما أشخص الموت فإن موعد الوفاة ليس بأثر رجعي ، أي ليس من ساعة ما دخل ولكن عندما تشخص أنت عن تثبت ويقين أنه حدث الموت هنا تنبني الأحكام الفقهية التي سيقولها السادة الفقهاء ، ولكن ليس بأثر رجعي عندما تكون في شك فالإنسان حي وعندما تستيقن الموت فالإنسان مات .

الرئيس شكراً .

*** الدكتور / مختار المهدي :**

السؤال الذي ذكره الدكتور / عصام عن مدة وفاة المخ فيما ذكرته أنا من أسابيع لم نقم فعلا بعمل جميع الفحوصات التي تؤكد موت جذع المخ تماما ، لأننا لم

نكن ننوي العمل بها ، ولذلك يجوز أنها أخذت فترة أطول من اللازم لأنها لم تحسب بالطريقة السليمة ، والسبب أننا لا نغفل أجهزة التنفس الصناعي لأننا في انتظار هذه الجلسة والرأي الشرعي فيها .

*** الدكتور / أحمد القاضي :**

الحمد لله وأشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وصلوات الله وسلامه عليه أتفق تماما مع ما ذكره الدكتور / مختار في التفسير العضوي للموت ودور المخ فيه ، وأشكره على حسن تقديمه وعرضه ، وهذه أحد مزايا الموت وحّدت بين أغلب الأطباء ، وسأرجىء ما عندي من ملاحظات هي مكتوبة في الورقة التي بين أيديكم إلى الجلسة التالية ، لأنها أقرب إلى موضوع الجلسة ولكن عندي من الدقائق ودقائق الدكتور / حسان نستغلها في عرض سؤال أقض مضجعي فجر اليوم سأعرضه عليكم ، ربما يساعد ذلك على حسن صياغة ما يخرج من هذه الندوة ، سواء جلسات اليوم أو جلسات الأمس ، سهرت الليلة الماضية وكنت أنوي النوم بعد صلاة الفجر ساعة أو ساعتين ، ولكن هذا السؤال دار في ذهني وسأعرضه عليكم بلغة العوام ، لأن لغة العوام ربما تكون أقرب إلى المنطق من لغة العلماء ، وأثار هذا السؤال عندى ما سمعته بالأمس ممن شككوا في حياة أو إنسانية الجنين في الأسابيع أو الأشهر الأولى من حياته أو وجوده ، وأعتذر عن سوء التعبير الأسابيع الأولى من عدم حياته أو عدم وجوده ، ونفترض أن سيدة حاملاً في الأسابيع الأولى أو الشهور الأولى أتتنى الآن نفترض أنها زوجتي وسألني سائل ماذا يوجد في بطنها فأجبته بأنه جنين، وسألني سؤالا سفسطائيا عن فصيلة هذا الجنين ليس عن جنسه أذكر أو أنثى ، وإنما عن فصيلته هل هو جنين إنسان أو حيوان أو نبات وأقول (سفسطائي) لأن المعتاد أن السائل إذا رأى السيدة الحامل من فصيلة الإنسان فهو يفترض أن الجنين جنين إنسان ، كذلك وإنما ربما سألني كعالم طبي إسلامي حاضر من أمريكا . هي مشكلة : إذا كنت من أنصار النظرية النباتية ماذا

أقول هذا جنين نخلة أو شجرة أو عود ذرة أو عود قصب ، أو إذا كنت من أنصار النظرية الحيوانية أقول هذا جنين كلب أو قطة أو جمل أو فيل أو زرافة ـ أو أقول هذا جنين حيوان لم يتفق علماء الحيوان على تصنيفه بعد . . . هي مشكلة في أي حالة من الحالات ، إذا قلت إنه جنين حيوان سيظن أن هذه السيدة البريئة قد اعتدى عليها حيوان وحملت منه جنين حيوان ، وإذا قلت له جنين نبات فربما يشك على التأكيد وربما يشك في قواي العقلية وسيتصل بالشرطة أو مستشفى الصباح قسم الأمراض العقلية ـ فحفظاً على سمعة السيدة وعلى سمعتي العقلية أجبت بأن هذا جنين إنسان ، ثم جاءت الطامة وسألني السؤال الثاني هل هذا الجنين حي أو ميت ، وهي مشكلة كذلك وإذا قلت له إن الجنين ميت السائل يعلم من أمه وجدته ونساء حارته إن الجنين إذا مات ومعنى مات أنه كان حيا ثم مات فتسقط السيدة أي ستخرج منها دم أو نزيف ومعه الجنين الميت ، لأن من المعتاد أن الرحم السوي يتخلص من الجنين الميت فحرصا على عدم إثارة البلبلة بين السائل وبين أمه وجدته ونساء حارته قلت له إن الجنين حي اطمئن ومن فضل الله وحسن الطالع أنه لن يسألني السؤال الثالث وهو ماذا تسمى حياة هذا الجنين ، وهو لم يسأل لأنه كان عنده بقية من منطق تفكير فطري ، والإنسان يخلق على الفطرة فهو جمع الأشياء فبعد إذا كان هذا جنين إنسان وهو حيّ إذاً حياته حياة إنسانية أو حياة جنينية إنسانية وأقول من حسن الحظ أو من حسن الطالع أنه لم يسألني لأني لا أعرف كيف أجيب عليه ، كان عندي الإجابة قبل أن أحضر إلى الندوة إنها حياة جنينية إنسانية بكل بساطة ، ولكن بعد حضوري جلسات الأمس وقبل صياغة نتائج الندوة . . أنا فعلا لا أعرف الإجابة لأني أريد أن أكون أمينا لا أنفرد بالرأي وأحترم الشورى وأحترم رأي العلماء والخبراء مما سمعناه أمس .

ولذلك أتوجه بالسؤال إلى إخواني وأخواتي في هذه الندوة حتى يصوغوا التسمية بصيغة يفهمها العامة ، يعني إذاً يئسنا من العلماء فعلى الأقل تكون الصيغة يفهمها العامة ، وأنا أتوجه بهذا السؤال ليس إلى عقولكم ، وإنما إلى ضمائركم ،

لعل الله يشرح صدوركم إلى ما فيه خير أجنتكم والسلام عليكم ورحمة الله .

*** الدكتور / عبدالله باسلامة : -**

بسم الله الرحمن الرحيم : سيادة الرئيس أنا تبرعت بثلاث دقائق والباقي لي دقيقتان ، الآن أوجز بقدر الإمكان والحقيقة في إجابتنا اليوم في تحديد نهاية الحياة يعني مثل ما تفضل الدكتور / الشربيني يجب أن تكون لوصولنا لنتائج ، والنتائج التي نريد أن نصل إليها (أولا) ما يترتب على نهاية الحياة من التزامات شرعية (ثانيا) متى توقف الأجهزة (ثالثا) متى ننقل عضوا من هذا الشخص إلى شخص آخر .

وعلى هذا يجب أن تكون الإجابة عن نهاية الحياة واضحة لنستطيع أن نتصرف في هذه الأمور أو نلغي التصرف فيها ، وإذا ربطنا نهاية الحياة بنهاية المخ فهنا يعود بنا الموضوع على الأقل فلسفيا ، لأن بداية الحياة أيضا تبتدىء مع بداية المخ ، إذا هذا يعود إلى بعض التساؤلات التي أثارها الدكتور / أحمد أعتقد إذا كان يريد أن يحل المسألة على أساس حقائق علمية تفيده أو تنقل ما كان في باله لأن هذا الجنين إذا نظرت إليه نظرة سطحية في الأسابيع الأولى والأيام الأولى فلا أستطيع لا أنا ولا أنت ولا أي عالم أن يفرق بينه وبين أي جنين آخر بأي رحم من الأرحام الحيوانية ، إلا إذا فحصنا بالميكرسكوبات أو افترضنا جدليا وإنسانيا وفكريا أن هذا امتداد لإنسان ، فالجنين داخليا إنسانيا شكليا لا يختلف إنما هو شيء فيه حياة ، وهذا حي أو ميت ؟ نعم حيّ لأن الحياة موجودة في الحيوان المنوي قبل ذلك وفي البويضة ، وما بالك في البويضة المخصبة إذاً فيها حياة هل فيه روح ، هنا أقف معك إذا كنت أنا الذي سوف أجيب نعم لأن في تصوري أن الروح موجودة في كل خلية ولا تتوقف على وجود المخ فقط ، وإن كان الظاهر للروح هي في جذع المخ أو في المخ في ذاته هذا لا ينفي أن الحياة أيضا موجودة في خلية القلب نفسه خلية الكبد في أي خلية أخرى ، بدليل أن هذه الخلايا كما ذكرنا أمس لا يمكن أن تولد تلقائيا أو

من نفسها ، فيها سر ما فيها حياة ، وأعتقد أن الموت النهائي يتم بتوقف كل الحياة في جميع الأجهزة ، بدليل أن الله إذا أراد أن يموت القلب بعد موت المخ أرسل التهابا للرئة أو أرسل قروحات في الجسم فمشيئة الله تحل يمكن على مراحل بعد موت المخ ، لكن أنا أعتقد أن الموت هو بموت كل الخلايا التي يمكن أن نسجل فيها علامات في الجسم وشكرا .

وملاحظة للتحكيم فقط من غير دخول في التفاصيل الفنية ـ المسألة تفرعت من كلام الدكتور / المحاضر ومن ملاحظات الزملاء هي المسألة مسألة النفس والروح والبدن والحياة والموت مسائل كلها معقدة ، وليست فقط من المسائل التجريبية ، ولكن فيها أعماق بعيدة معنوية وروحانية، المهم أنني أحببت فقط أن أنوه بنقطة أن مشكلة النفس أو الروح أو العقل كلها لها معنى اعتباري بالنسبة للحياة الواقعية ، ولها معنى في حقيقتها هي مسألة ليست تجريبية ولكن نستدل عليها ونعرفها بالاستدلال ، وإن كنا كلنا لا نعرفها المهم أن الدكتور / المحاضر يريد أن يحدد أن مكان النفس ومكمن الوعي هو في جذع المخ ، آخر يقول لا هو في القلب ، آخرون يقولون في أماكن أخرى ، المهم أن مسألة وجود النفس كجوهر هي المشكلة لوحدها لها كيان خاص وطبيعتها مشكلة ، مشكلة مكانها ومقرها مشكلة مشكلة علاقتها بالبدن ولو فرضنا مكانها المخ ، أو مكانها القلب أو أي مكان من البدن في أي مكان بالضبط ، وأين نقطة الالتقاء بينها وبين البدن ، في الواقع الآراء كثيرة ونحن نستدل على وجود النفس أو الروح بمظاهر الوظائف التي نراها ، كما نستدل على وجود الحياة بوظائفها نستدل على وجود الروح بوظائف خاصة في الإنسان لكن يبقى كل ذلك الشيء غير مدرك لنا والآراء فيها كثيرة جدا الدخول فيها يخرجنا عن الموضوع المهم ، فقط إننا نفرق بين الأداة البدنية كلها أي إن كانت بكلها أو بقسم منها (المخ) ذلك الشيء الذي للآن لم نصل إلى إدراكه وإن كنا يمكن بالاستدلالات المنطقية أو الواقعية أن نتصور أن بين الروح والجسد أو بين ذلك نسميه الروح وما يسميه الجسد الآدمي وهو هذا المزيج الخاص بنوع من

التناسب العميق في أعماق وجود كل منهما يسمح بالاتصال والاستعمال وهذا لا يتيسر إلا بنوع من التجانس أعمق من الظاهر . وشكرا .

ــ الرئيس / الدكتور عبد الرحمن العوضي :

وأنا أحب قبل أن نستمع إلى النقاش أكثر لكن أحب أن أطرح شيئا نحن عندما نناقش هذا الموضوع دائما الأطباء يناقشونه من طرفين تجابههم يوميا ـ أولا المنطلق هو منطلق علاقته بالإنسان الذي يعالجه ، منطلق آخر العلاقة القانونية ونعتقد أن هذا الموضوع القانون الوضعي يجب أن يترتب على ما يتفق عليه ، وما يترتب عليه تعاليم دينية ، والقوانين الوضعية التي عندنا كثيرا ما تحكمنا واجتمعنا لأنه يجب أن نتوصل إلى مفهوم واضح لما يمليه الإسلام علينا من تصور لهذه الحياة ، وأنا أعطيكم مثلا بسيطاً حدث أن جاءت لنا امرأة أرادت أن تتحول إلى رجل هذا الموضوع أنا أطرحه لكم حتى تكونوا كلكم في الصورة طبعا هذا ـ وهـذه المرأة الكاملة الأنوثة من جميع نواحيها (والتي كتبت عنها الصحافة الكويتية) راحت عند طبيب ، وبدأ هذا الطبيب يحولها إلى رجل عن طريق عدة طرق ، أعطاها هرمونات وعمل لها نوعا من القضيب (الذكر)وبدأ يستأصل المبايض حتى يعمل لها أولا من الناحية الهرمونية ذكرا ويعمل لها من ناحية جسمية ذكرا طبعا أنا علمت بالموضوع وناقشت المسئولين في تلك الدولة ما هي مسئولية هذا الطبيب، طبعا القانون هذا يعني أولا شخص يغير خلق إنسان بشكل معين ولن يستطيع أن يغيره يعني سيعمل له شكلية ، ولكن ستظل امرأة لن تنجب ولن تتكاثر . هنا يأتي الحكم ـ ما هو دور هذا الطبيب ؟ ـ هل يحكم تعاليم دينية تقول له أنت لا تتدخل في خلق الله أو يحتمي بالقانون ويقول الإنسان حر بجسمه وأنا أغير جسمي ، وما نريد أن نناقشه الآن لسنا بعيدين عن هذا التصور ، لأنه يجب أن نتأكد من شيء علينا أن نحدد كأطباء ونشرح للإخوة الأفاضل الفقهاء ، ونقول لهم هذا هو الموت ـ إذا أردت أن يكون الموت كاملا ، إذاً كنا كما قال الدكتور موت الذات أو الحياة الذاتية أو الحياة العضوية بين هاتين الحياتين ، هناك يجب أن يوجد الموت ، لا نأتي ونفلسف نحن

كأطباء أعلنا النقاط علينا أن نبرز الحقائق ، وأن نطلب من الفقهاء والذنب عليهم لأنهم أفقه منا لأن يتحملوا الذنب ـ أيضا بعد ذلك لو أخطأ الأطباء أو أخطأ الفقهاء في الحكم بأن نقفل الجهاز وربنا سيحاسب إذا كنا مخطئين في هذا التصور ، لأنه الأداة المباشرة هو الطبيب الذي سيغلق هذا الجهاز أو كما يقولون سيقتل هذا الإنسان ـ بعد ما قال الدكتور / أحمد شوقي لا نتورط ما دام العقل المخ تلف فهذا ميت فلا مانع من توقف الجهاز ـ والفقيه إذا قال لي هذا الجنين كذا أنتقل إلى قرار وضعي . أي الطبيب سيحاسب على قرار وضعي ـ ليس سيحاسب على المفهوم الحقيقي للموت كما يقول الدين ، فأنا أريد التحديد إذا اتفقنا على التصور ، نفس الشيء الدكتور / أحمد القاضي ـ نريد أن نعرف ما هو الحكم الديني في هذا الموضوع الفقهي ـ عند ذلك نغير جميع القوانين لكي تمشي مع الحكم ، هذا لأنه قال القوانين الوضعية هي تابعة لما نحن عليه من تعاليم ديننا الحنيف ـ فأرجو أن هذا الموضوع يكون واضحا ، وأنا سأحاول أن أعود معكم بعد الظهر إن شاء الله ، إنما أعتقد من هذا المنطلق نكون واضحين نحن الأطباء ، وأرجو أن لا نرجع لحيننا نحاول أن ندخل في الخلايا وندخل بالقتل . . أنا ما أحب أن أصل في الروح لأعرف ظاهرة علمية أمامي ـ أنا أترك للفقهاء بطريقة أحسن لكي يقولوا هذا هو في نظري أو معروف أو في تعاليم الدين هذه هي الروح ـ وأرجو أن نصل إلى نتيجة أنا أعتبر إذا وصلنا إلى نتيجة سنكون دائما في نوع من عدم الاستقرار الفكري ، وعدم الاستقرار للضمير يوميا لأن هذا الموضوع ستقع المسئولية فيه على الوزير حتى لو أنا أعطيت أمراً بما تفضل الدكتور / عصام وزودت بنظام لتقرير الحياة والموت بالتالي الذي سيحاكم إذا لم يكن في الدنيا ففي الآخرة عند ربنا هو أيضاً رئيس هذا الجهاز الذي أعطى هذا الأمر وقال اعملوا بالشكل كذا ، لذلك أرجو أن أطمئن عندما أتخذ قراراً بهذه الشمولية أن يكون فعلا متمشيا مع تعاليم ديننا كما يفهمها الفقهاء الأفقه منا حتى في هذا الموضوع وسأذهب الآن ويكون النقاش حراً بين الإخوان وأشكركم .

ـ الرئيس / سداد صبري :

بسم الله الرحمن الرحيم : والصلاة والسلام على سيد المرسلين أنا أمامي الأستاذ الدكتور / حسان يطلب الكلمة لكن أنا الحقيقة يبقى لي سؤال يمكن سيزيد الموضوع تعقيداً ، أنا مررت على حالة والحقيقة أنه يجب أن تثار في نقاش مثل هذا وكان عندنا مريضة كان فيها كسر عملنا لها عملية قلب مفتوح وعلى طول العمليات توفيت ، عملنا لها عملية إنعاش عملنا لها مرتين ، وبعدها صحت واستمرت وبعد العملية ما صحت وظلت فاقدة الوعي لمدة ثلاثة أشهر ، وبعد ثلاثة أشهر ـ والرئيس ، أقنعني بأن توقف كل حاجة وتتركها تموت لأنها انتهت فأنا طرحت عليه وقلت له إنني سمعت أشياء تجريبية على الحيوانات ، إن بعضهم يعطيها جرعة كبيرة من الكورتيزون وهي متوفرة أصلا ، وما في ضرر نجرب عليها ففعلا أعطيت الجرعة العادية ثلاثين مرة وبعد ثلاث ساعات صحت خرجت من المستشفى وذهبت إلى بيتها ـ أنا فعلا أقول إن الحالات هذه التي نكتبها متوفاة هل هي فعلا متوفاة ؟ وشكرا .

*** الدكتور / حسان :**

ايماء إلى قصتك أعتقد أنه بطبيعة الحال لم يكن جذع المخ قد مات ، ولكن هذه نقطة أخرى أود على ضوء تجربة أمس ، ولترشيد استهلاك الوقت في ندوتنا هذه ، وبغية الوصول إلى ثمرة طيبة إن شاء الله أن يدور النقاش في مراحل محددة . اقتراحي (الأول) ألا نتعرض من قريب أو بعيد إلى بحث كنه الموت ، مسألة الكنه هذه غير معروفة وغير مطلوبة ، فلا ينبغي أن نضيع فيها وقتا (ثانيا) الموضوع المطروح تشخيص الوفاة ما هي الشروط الواجب توافرها لتشخيص وفاة إنسان (ثالثا) هل هذه الشروط ذات صفة طبية أم غير ذلك ، وأعتقد أنها شروط ذات صفة طبية حتى فقهاء الأمس كانوا ينصحون بوضع مرآة أمام الأنف لاكتشاف تردد الأنفاس أو لتحسس الصدر أو النبض لاكتشاف دقات القلب ، فهذه وسائل

طبية فإن سلمنا بأن الوسائل وسائل طبية فلعل من الخير احتراما للتخصص أن نطلب من الأطباء أن يضعوها تحت أنظار الفقهاء ، وسائل الأمس الطبية حدث عليها تطور نتيجة التقدم العلمي فأصبحت هناك شروط طبية أخرى يود الأطباء أن يقترحوها كشروط تكفي لتشخيص الموت . الذي سيخرج الحكم هو الفقهاء ولكن الأطباء يريدون أن يطمئنوا على أن الفقهاء قد استوعبوا الناحية الطبية للموضوع حتى نطمئن إلى أن الحكم صدر نتيجة حسن بصر بالموضوع الطبي .

ولهذا أقترح فيما بقي أن نسلك مرتين من النقاش (الأولى) أسئلة يوجهها السادة الفقهاء إلى الأطباء حتى يطمئنوا إلى أن الصورة مستقرة في ذهنهم تماما (ثانيا) أقترح لكي نطمئن أن يقوم واحد من السادة الفقهاء بأن يشرح أمامنا الموضوع من الناحية الطبية المجردة ، لكي نطمئن إلى أن الخامة وصلت والتصقت واستوعبت ، فإذا كان في كلامه ما يستدعي التوضيح الطبي أو الزيادة أو التصويب قمنا به ـ نعم هو امتحان لأننا أمام فتوى فإن اطمأننا تماما بالدليل الحي الواقع المحسوس الملموس إلى أن الجانب الفقهي قد استوعب الحقائق الطبية فنحن رهن إشارتهم فيما يفتون به .

*** الدكتور / أحمد الغندور : -**

بسم الله الرحمن الرحيم السلام عليكم ورحمة الله . . فشكرا سيادة الرئيس وبعد أن استمعت إلى الأستاذ الدكتور / مختار وقال : إن تلف جذع المخ به تنتهي الحياة الإنسانية هذا ما ثبت طبيا واستمعت إلى الأستاذ الدكتور / أحمد شوقي ابراهيم وهو يقول إنه لابد من توقف الحركة والحياة من القلب ومن المخ ، واستمعت إلى الدكتور / باسلامه يقول إنه لابد من أن تنتهي الحركة من جسده التساؤل الذي أريد أن أطرحه على حضرات الأطباء الذين لاشك أننا نعتزبفكرهم وآرائهم وطبهم ، ولكننا نمد أيدينا إلى أيديهم في أن تدفع المفسدة عن المريض أو ما إلى ذلك . فالسؤال هل إذا أردنا أن نخرج شهادة وفاة كما يقول الدكتور / حسان

هل نخرجها من تاريخ وقف المخ أو من وقت خروج الروح من جميع البدن ؟

ثانيا : امرأة هذا الرجل هل تعتد من تاريخ تلف المخ أو من تاريخ وقف حركة القلب وخروج الروح ؟

ثالثا : هل يتم الميراث من تاريخ وقف المخ أو من تاريخ وقف دقات القلب ؟ هل في الإمكان أن نكفن هذا الإنسان الذي لم نتحقق بعد من موته .

ألا يقول الأطباء بما ثبت لديهم أن تلف المخ كاف نعم نحن معهم في إن تلف المخ كاف ، إنما من يدري لعل الله يحدث بعد ذلك أمراً مادام القلب يخفق ومادام القلب ينبض وهذه روح تخرج من جزء إلى جزء إلى أن تغادر هذا المسكن فلماذا لا نعتد بالساكن الكريم الذي يسكن في هذا الجسم الإنساني ، وكما استمعت من الدكتور / مختار يقول إنها مدة ثلاثة أيام ومن يدريهم لو انتظرنا أربعة أيام بأجهزته الإنعاشية حتى نحافظ على الحياة الإنسانية فإنها ليست ملكا للأطباء ولا ملكا للفقهاء .

إنما هي ملك لخالق الأطباء والفقهاء والحقيقة نرى أموراً فقهية سوف تترتب على هذا ولا يمكن أن يفتي أحد لا طبيب ولا فقيه ولا قانون بأن حياة إنسان تنتهي مادام جسده يتحرك ولو بما يعطى له من أغذية ـ وما المرأة الفنلندية بعيدة عن الأذهان التي وقف كما قالت الصحافة مخها لمدة شهرين ونصف ، ثم وضعت طفلا كاملا في الوزن وفي كذا وكذا وأنتم تقولون إنه يمكن تغذيته صناعيا ، إذا في هذا الجسد روح إذا مازالت الروح لم تزهق من كل الجسم هي أزهقت من المخ وفي الطريق إلى الخروج نهائيا كما لا ننتظره وهذه الأيام حتى ـ ولذلك يقول القانون إنه يعاقب الطبيب الذي يتسبب في هذا وله نظائر في الفقه الإسلامي لا داعى لقولها حرصا على الوقت وإعطاء الكلمة لزملائي وأساتذتي من رجال الفقه والطب والقانون وشكرا سيدي الرئيس .

* الدكتور / مختار المهدي :

سأبدأ بالتعقيب على كلام الدكتور / أحمد القاضي عندما لم يستطع النوم بالأمس ، كذلك إن نفس الشيء حصل معي ، وكان النتيجة أنني قعدت أفكر وانتهيت إلى وضع بعض مسميات سأقرؤها الآن ، وأرجو أن تحتويها توصيات هذه الندوة . أرى أن نضع هذه المسميات ونوافق عليها حتى نتفق عليها جميعا .

* الشيخ بدر المتولى عبد الباسط :

بسم الله الرحمن الرحيم :

ـ الحق أن هذه المسألة من أخطر ما عرض علي في حياتي من مسائل تطول إلى أن أفتي فيها ـ لأن الحكم بالوفاة يترتب عليه أحكام كثيرة جدا جدا ، وأنا أتساءل (طبعا نحن الآن في التساؤلات) .

هل لو مات القلب حقيقة موتا حقيقيا هل الأدوات التي استحدثت يمكن أن تعيد إليه الحياة ؟

السؤال الثاني : هل الجسم الذي مات يمكن أن يكون فيه هـدم وبناء ؟ وأظن أنكم قرأتم عن المسألة التي نشرتها الصحافة بشأن المرأة (الفنلندية) وأنا أحضرت الصفحة وبينت فيها ما قيل مثل ما قال الدكتور الغندور ، ولا أريد أكثر من ذلك ، قيل وقرأنا في الصحف أن المرأة أو الفتاة الأمريكية التي مكثت تحت أدوات الإنعاش شهورا إلى أن طلب أبوها نفسه رفع هـذه الأدوات ، فبعد أن رفعت بقيت الحياة فيها هل معنى هذا ـ هو مع العلم أن الكل مجمع على أن جذع المخ مات وحكم عليها بالموت بموت المخ ، ومع ذلـك وبعد أن رفعت الأدوات كانت في حياة ذاتية فهل من المعقول أن الجسم بعد أن مات يمكن أن يكون فيه بناء وهدم مثل ما حصل للمرأة الفلندية ؟ ـ طبعا كونها حاملاً وتضع طفلاً كاملاً هذا أمر عجيب جدا ، ثم الأمور التي ستترتب بعد هل لو أن إنساناً اعتدى على هذا

الشخص اعتداء متعمدا أقتص منه أم لا ؟ هذه أحكام ستترتب عليه ، هذه أحكام فيما يتعلق وهل الشخص إذا افترضت في آن واحد أحضرنا اثنين في مشنقة واحدة وبقي النبض في أحدهما أكثر من الثاني أيهما يرث الآخر ، هذه مسألة قد وجدنا لها القاعدة الشرعية ، كما أحب أن أقول إن الأصل بقاء ما كان على ما كان فحياة الإنسان كانت محققة ـ حياته كانت محققة ، فلا أستطيع أن أقضى أو أحكم بانتهاء هذه الحياة مع وجود أي مظهر من مظاهرها ، يا إخواننا الحقيقة أحب من السادة الأطباء أن يفحصوا لنا هل تمكن الحياة والجسم مستمر في البناء والهدم ونقول عن صاحبه مات ـ هذه مسألة مهمة جدا .

* الدكتور / عبد العزيز كامل :

شكرا سيدي الرئيس :

أنا في الواقع عندي ثلاثة أسئلة محددة في ذهني ، وأرجو أن أجد عليها إجابة محددة ، وبين يدي الأسئلة الثلاثة ، أود أن أقول لعله من الأفضل جدا في هذه المرحلة من البحث أن نفصل فصلا كاملا بين الجانب القانوني من الجانب ا لطبي .

ــ أحيانا نتأثر نفسيا بالجوانب القانونية فإذا بها تلقي ظـلالاً على التفكـير العلمي البحت ، ولهذا سؤال ليس موجها إلى ناحية قانونية ولا إلى ناحية فقهية وإنما هو سؤال طبي بحت .

الأول : هل طبيا يعتبر الموت مرحلة أو لحظة ؟

السؤال الثاني : إذا كان مرحلة فمتى تبدأ يقينا هل بتلف جذع المخ وحتى تنتهي يقيناً بتوقف القلب ؟

الحقيقة هذه هي الأسئلة وشكرا ؟ سيدي الرئيس .

* الدكتور / يوسف القرضاوي :

بسم الله الرحمن الرحيم :

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه :

الأخ الدكتور / حسان حتحوت اقترح منهجا للبحث في هذه القضية الشائكة ، وهو منهج أراه طيباً بشرط أن نتفق على بعض الأمور

من هذه الأمور (أولاً) ، أن نعرف أن الموضوع هذا لم يأت حتى في اللغة يعني كتب اللغة نفسها هذه الكتب تقول الحياة ضد الموت وبعدين نذهب نبحث في مادة (مات) نجد الموت ضد الحياة يعني على أساس أن هذه أمور كانت معلومة ، ولكن الأمر طبعا من ناحية اللغة ومن ناحية الشرع متروك ـ هنا يأتي أمر آخر متروك لمن ؟ من الذي يحدد معنى الحياة ومعنى الموت. كان متروكا هذا للناس لعرف الناس فيا ترى هل الذي يحدد هذا أو الذي يتمثل فيه العرف الآن هم الأطباء ـ هذه قضية يجب أن يحكم فيها الأطباء ـ هذه أيضا مسألة يجب أن يفصل فيها حتى يكون ما طلبه الدكتور / حسان مقبولا لأنه قد يقال ليس من الضروري أن يحكم الأطباء بأن المريض قد مات ، قد يعترض على هذا بأن الشريعة الإسلامية جاءت شريعة عامة ، هي ليست للمتعلمين وحدهم ولا للأميين وحدهم ولا لأهل المدن وحدهم هي للمتعلم والأمّي وللحضري وللبدوي والغزالي وابن سينا وللشخص في عزبة من العزب في آسيا أو أفريقيا ، ولذلك ينبغي أن تكون الأحكام مبنية على أشياء يمكن أن يعرفها الناس وهذا ما رأيناه في الشريعة أنها تبني الكثير من الأحكام على علامات حسية (صوموا لرؤيته وافطروا لرؤيته)[1] عند الزوال عند الشروق عند الغروب عند صيرورة ظل كل شيء مثليه إلى آخر أشياء يمكن أن يحكم فيها الشخص العادي ، فيا ترى هل هذه

---

(١) أخرجه البخاري ومسلم (اللؤلؤ والمرجان رقم ٦٥٦) .

المسألة مرجعها إلى الأطباء وحدهم بحيث لا نحكم بموت الشخص إلا إذا حكم الطبيب أن جذع دماغه قد مات وهل يستطيع الإنسان العادي في قرية في آسيا وأفريقيا أن يعرف هذا ومن أين يعرف أن جذع المخ قد مات ؟ هذا أمر يجب أن نحسمه ثم هناك أمر آخر أريد أن أقرب فيه المسافة لماذا نحرص على مسألة أن الموت ، هو موت جذع الدماغ أو جذع المخ كما يقول الإخوة الأطباء كما رأيت هذا لأمرين : قضية زرع الأعضاء ، جواز نقل بعض الأعضاء من هذا الشخص إلى شخص آخر خاصة الأعضاء التي لا يعيش الإنسان إلا بها مثل القلب والكبد مثلا (والقضية الأخرى) قضية إيقاف الأجهزة أجهزة الإنعاش الصناعي - أنا أترك القضية الأولى إنما أحب أن أطمئن الإخوة الأطباء أن من ناحية إيقاف الأجهزة الصناعية هذا يعني حقيقة الموضوع رأيته قد جسم تجسيما خطيرا وهو متأثر بالقوانين الوضعية ، والذي أراه في الشريعة غير هذا ، ولم أر إخواننا الذين قدموا البحوث تعرضوا لهذا الأمر وكأنه مسلم عندهم أن المداوة والعلاج بهذه الأجهزة أمر واجب وفرض حتمي ديني ، ولابد منه ، القضية ينبغي أن نبحث وأنا كنت أعد فيها بحثا ولكن الوقت لم يسعفني إن الاتجاه الأكثر عند فقهاء الشريعة خاصة عند الحنابلة والشافعية وقد جمعت نصوصا عديدة في هذه الناحية أن التداوي ليس فرضا ولا واجبا قال الإمام أحمد إن ترك التداوي أفضل والإمام الغزالي في كتابه الإحياء في كتاب التوكل عمل فصلاً بعنوان الرد على من قال ترك التداوي أفضل بكل حال ، أي أنه يرى أنه يمكن أحيانا يكون التداوي أفضل فالبحث في الأفضلية وعدم الأفضلية فهناك كثير من الفقهاء قالوا إن التداوي مشروع ، ولكن عملية الوجوب هذه تحتاج إلى أدلة حاسمة ، فمن هنا نقول أنا طبعا لا أتبنى هذا الرأي بمجرد الجواز أنا يمكن أتبنى أن الدواء يكون واجبا حينما يتيقن الشفاء به أو على الأقل يترجح إنما حينما لايكون هناك يقين ولا رجحان بشفاء هذا المريض بهذا الدواء فمن يوجب ذلك من يوجب أن أبقي المريض تحت أجهزة إنعاش صناعية بالأسابيع والأشهر ولا أمل في شفائه فقط ولا استفادة له إلا تعذيبه . إذا كان عنده بعض

الحس أو تعذيب أهله أو إنفاق المصاريف الهائلة عليه ، أنا ربما أقول وقد يوافقني الشيخ بدر وبعض الأساتذة أنه حرام إضاعة الجهود وإضاعة الأموال على مثله ، وإذا أوقفنا الأجهزة الصناعية والله ما عطلنا بذلك شرعا ولا واجبا ويشير إلى ذلك كلام الأستاذ الدكتور / عبد العزيز كامل أن أخرجوا القانون والأشياء هذه من تفكيركم نحن تسيطر علينا أفكار معينة بناء عليها أقمنا أحكاما أن لابد من الأجهزة الصناعية واعتبرنا استمرار أجهزة الإنعاش الصناعية مشكلة من المشاكل ، وهي ليست مشكلة في نظري من الوجهة الشرعية ، أنا أكتفي بهذا الآن وأدع للإخوة الكلام وشكرا لكم والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

ـ الرئيس / الدكتور سداد صبري :

شكرا دكتور يوسف والحقيقة أنه أثار موضوعاً مهماً جدا وأعتقد أنه سيغير مجرى النقاش وبعض الأسئلة تكررت من السادة الفقهاء ، وأنا أعتقد أنه ضروري أن يقول أحد الإخوة الأطباء الجواب عليها قبل أن نستمر في النقاش ، ولذلك سنسأل الدكتور / مختار رجاء أن يوضح بعض المسميات قبل أن نستمر في النقاش .

*** الدكتور / مختار المهدي :**

أعود ثانيا للكلام عن المسميات لأنها توضح ماذا نتكلم ـ إذا قلنا إن هناك درجات من الحياة فلنتفق على الآتي : الحياة الإنسانية الواعية هي تكون فينا كلنا ، الحياة الجسدية هي الحياة أثناء النوم أثناء التخدير وتعاطي السموم في إصابات المخ وحالات الغيبوبة وحالات وفاة قشرة المخ ، هذه الحياة الجسدية موجودة وفيها روح ، المرتبة الثالثة الحياة العضوية وهذه الحياة تكون بعد وفاة جذع المخ ولازالت بعض الأعضاء موجودة حية ، طبعا ذلك يستدعي وجود تنفس صناعي بعد ذلك يأتي نوع من الحياة الحياة النسيجية ـ الحياة الخلوية وهي أنواع من الحياة لاتكون إلا

في المعمل بزراعة الأنسجة وزراعة الخلايا ، هذا بالنسبة للإنسان الكامل لو دخلنا بالنسبة للجنين للإجابة عن سؤال الدكتور / أحمد القاضي فإنها تبدأ بالعكس فتبدأ حياة الجنين بحياة خلوية فنسيجية فعضوية وعند بعث الروح تكون جسدية وإنسانية واعية ، هذا بالنسبة للمسميات وأرجو إذا وافقتم على ذلك أن ـ يحصل بها اتفاق .

* الدكتور / مأمون :

بسم الله الرحمن الرحيم :

أولا أبدأ بأن أشكر الأستاذ الدكتور / يوسف القرضاوي أعتقد بحق قد كفاني مشقة الحديث المفصل في هذا الموضوع ، وقد وجدت في حديثه كثيرا من الإجابات لأن السؤال ـ واسمحوا لي أن أعود بكم إلى الناحية العملية لأنني طبيب ممارس ومسلم ، وأريد الإجابات العملية والناحية العملية في نهاية الحياة للطبيب الممارس هي فعلا هل يوقف الأجهزة أم لا يوقفها ، وبعد أن توقف الأجهزة يمكن الانتظار حتى يوقف القلب وتأخذ الأعضاء هذه من ناحية عملية لاتشكل مشكلة بالنسبة للأطباء .

أما الشيء الذي أريد كما ذكر الأخ أحمد القاضي قد أصابني بقلق أيضا بفعل أمس بما حدث في الندوة وهو عن بداية الحياة لو أخذنا يقينا ما ذكر الأخ المختار من أن موت جذع المخ هو يعني من الناحية العلمية على الأقل الموت ، وأذكر أن آخر كلمة ذكرها في بحثه أن الموت يثبت للطبيب عند موت جذع المخ بواسطة التخطيط ، فعندما قد ذهبت الروح أو النفس وذكر هذه النقطة وفي الأمس أثناء الحديث قد أصر الدكتور مختار أن يحدد كما وردت في روايات حديث ابن سعود أن تحدد فترة الأربعينات ، هل هي أربعون واحدة أم ثلاثة أربعينات أم أربعينان ؟ وقد مال إلى رواية تحدد بثمانين يوما وقد سألته بعد مغادرتي لهذه الجلسة ـ ماذا

كان يدور ـ في خلد الأخ مختار وربطت هذا بشيء تيقنت منه عند حضوري هذا الصباح عند سؤاله من أن اكتمال نمو المخ من الناحيةالامبريولوجية ـ من ناحية تطور المخ يكتمل في حوالي الأسبوع الحادي عشر ، أو الثاني عشر ولعل الأخ مختار يفكر في أن دخول الروح للجسد يتوافق علميا مع اكتمال نمو المخ ، الحقيقة أنا لي طلب بسيط من الأخ مختار هو أن يوضح هذه النقطة وبصراحة إذا كان هذا ما يريد من إشاراته التي ذكرها البارحة واليوم أن جذع المخ إذا كان هو من ناحية علمية يعتبر مكمن الحياة أو النفس أو الروح ، وكما علمنا البارحة أن الحديث في الروح غير منهي عنه كما ذكر الإمام ابن القيم والمذكور في الآية ليس هو أرواح ابن آدم ولكن الملك الذي يقوم يوم القيامة كما ذكر الدكتور / محمد نعيم أريد من الأخ مختار لو سمح له الرئيس بتفصيل قليل ماذا يعني بإشاراته البارحة واليوم . . . وشكرا .

*** الدكتور / مختار المهدي :**

لقد كان البحث بالأمس هو ما فكرت فيه من أننا علميا على الأقل نتكلم عن ذهاب الروح وتوافقها مع وفاة جذع المخ ، فإذا كان موت المخ يحدث عند ذهاب الروح فالعكس صحيح ، أو قد يكون صحيحا وهو مولد المخ عند نفخ الروح وقد كانت هذه الفكرة مجال بحث قمت به واستعنت به بكثير من البحوث التي أجريت في أنحاء كثيرة من العالم ، والغرض منها كان دراسة تكوين الجهاز العصبي للجنين في الفترات الأولى من الحمل ، ومتى يتم استكمال عمل المخ وقد اتضح من هذه البحوث أن ذلك يتم في الأسبوع الثاني عشر ، وفي هذا الأسبوع يبدأ الجنين في التنفس ، ولكنه لا يأخذ الهواء طبعا ويبدأ الجنين يصحو وينام ويبدأ الجنين يأخذ الطابع الإنساني ويمكن تفرقته من أي جنين آخر .

ـ أحد الحاضرين :

أود أن أقترح ملخصا تيسيرا للمناقشة أن نفصل موضوع بداية الحياة عن موضوع نهاية الحياة ، لأن الأخ مختار فصله في انتهاء الحياة يقول إذا كـان هناك

إنسان وليس جذع مخه حياً فلا أصل له حياة فقط وصل من الموت إلى نقطة اللاعودة بينما البويضة الذاكرة ليس فيها جذع مخ ومع ذلك أمامها مستقبلها الكامل في الحياة يرجى فصل البحثين تماما لعدم تشابه الطرفين .

* الدكتور / أحمد القاضي :

عندي أجوبة على بعض الأسئلة التي ذكرت وأبدأ قبل الإجابة على الأسئلة أن أطمئن الفقهاء أن موت جذع المخ أو توقف جذع المخ عن العمل الذي أتفق فيه مع الدكتور / مختار يتفق زمنيا مع توقف القلب الذي ذكره القرآن ، وهذا هو القلب المعنوي كما شرح في الوريقة التي بين أيديكم ، والقلب الذي يبصر ويسمع ويفقه ويشعر بالريبة والشك واليقين ، وهذه الأشياء كلها ـ هذا القلب المعنوي له قوام مادي وقوام معنوي مثل الكمبيوتر ، الجهاز الكهربائي في جزء منه مادي هو الهاردوية هذا يشكله المخ وما يتصل من الشبكة العصبية ، والجزء المعنوي الذي مثل البرنامج الذي يدخل الكمبيوتر والذي هو مجموع الأحاسيس والمشاعر والأفكار المختزنة والمدركة وغير المدركة ، وبالتالي إذا توقف جذع المخ في ذاته ، توقف القلب الذي يحدثنا عنه القرآن ولايكون فيه أي تضارب .

أما القلب العضلي الذي ينبض فهذا خارج المعادلة بالمرة وهذا التفسير الآن نفهمه من المعنى اللغوي للقلب حسب المعاجم ومن المعنى التشريحي حسب ما نفهمه وينطبق تماما على النصوص القرآنية وهي قطعية الدلالة ولذلك لا نحتاج أن نكون في دوامة بين الفرق الزمني وبين توقف جذع المخ وبين توقف القلب ، لأنه تحدث في نفس الوقت إذا فهمنا القلب القرآني بالمعنى الصحيح وهو القلب المعنوي .

أبدأ بالإجابة على الأسئلة كان هناك سؤال إذا مات القلب هل ممكن أن تعاد الحياة إلى الشخص الذي مات قلبه ، الإجابة نعم وهذا باستبدال القلب إما بقلب

طبيعي أو بقلب صناعي وهذا وارد .

ـ السؤال هل القلب الذي مات تشغلونه بالأدوات الجديدة أو الحديثة ، هذا القلب الذي مات فعلا هل تستطيعون أن تعيدوا إليه الحركة ؟ الإجابة أحيانا القلب يتوقف عن الحركة ولم يمت إذا مات لايمكن عودته .

والقلب يتوقف عن النبض أحيانا ويظهر كأنه مات ولكنه لم يمت ، وهنا التفرقة بين توقف القلب عن الحركة وبين موته لأنه ممكن أن يتوقف ومازال على قابلية للحياة وهنا يمكن إعادة عمله . وإذا قطعنا بأنه مات لايمكن أعطي الحياة إليه .

السؤال الآخر : عمن مات جذع مخها ووضعت طفلا حيا فهل في جسدها روح ؟ والإجابة في تصوري لاهي لم يكن في جسمها روح وإنما هي استعملت كحاضنة صناعية للجنين الذي في جوفها الجنين كان له روح ، أما جسد الأم لم يكن فيه روح وإنما استعمل كحاضنة .

* الشيخ بدر المتولي عبد الباسط

هل الجسد الذي حمل هذا الجنين كان ميتا ؟

* الدكتور / أحمد القاضي

نعم . . . .

* الشيخ بدر المتولي عبد الباسط

وهل الميت يتقبل البناء والهدم ؟

* **الدكتور / أحمد القاضي :**

يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحيّ .

* **الشيخ بدر المتولي :**

الذي نعرفه أن إذا مات الإنسان تكون عملية الهدم دون البناء ، لكن تجيء أمرأة فيها هدم وبناء ، وهذه علامة من علامات الحياة ، ويكفيني أن أتشكك في وجود حياة يكفيني هذا حتى أحكم بأن فيه حياة ولا أجري عليها أحكام الموتى ، يكفيني بأنكم تشكون في هذا . المسألة في منتهى الخطورة فيه ميراث لو اعتدى إنسان على أحد مات جذع مخ ولكن قلبه يشتغل . وجاء إنسان وقتله أقتص منه أم لا؟

أنا كفقيه أقول أقتص منه لأنه فيه حياة ـ الفقهاء قالوا لو أن إنسانا ذبح آخر أو شق بطنه وجاء آخر فذفف عليه فالقصاص من الثاني .

الأمر الثاني لو أن إنساناً شق بطن آخر وأخرج كل مافي حشوته كما هو تعبير الفقهاء فيه حياة ثم جاء آخر فذفف عليه ، فقالوا لابد أن يقتص من الأول ولكن الثاني يعاقب وإنما يعاقب لأن فيه حياة إنسانية ، ليست المسألة سهلة لهذه الدرجة يا إخواننا فهذه الحياة الإنسانية هي حياة قررها الله ولايمكن أبدا حتى صاحب الحياة ذاته ليس له أن يتبرأ بها أبدا ، المسألة في منتهى الخطورة حددوا المسائل والله شاهد على في حياتي ، وتقولون رجل شايب ومرت على أشياء كثيرة ، وما مرت عليّ في حياتي مسألـة أعوص من هذه المسألة لأنكم مجمعون على أن الموت موت المخ ، إذن يكون الإنسان يتحرك وكل شيء وأذهب لأدفنه ، المسألة في منتهى الخطر .

* **دكتور / توفيق الواعي :**

الحقيقة نحن نريـد أن نسأل أسئلة ، قلتم اسألوا وحجرتم علينا الأسئلة الحقيقة

نحن نريد أن نسأل هل الحياة الواعية أم الحياة المتحركة هل هي الحياة التي يصحبها الوعي أم الحياة المتحركة ؟ إذا كانت الحياة المتحركة هي فهذا الذي مات جذعه فيه حركة وإذا كانت الحياة الواعية هي التي ذهبت ونحكم بالموت لذهاب الحياة الواعية إذا نحكم بموت المجنون والمعتوه ، لأن هذا ليست فيه حياة واعية وإنما هي حياة حركية فقط ، والحقيقة أنه كما قال فضيلة الشيخ بدر . تترتب على هذا أشياء كثيرة جدا منها مصادمة العرف ـ يعني مصادمة العرف ـ في الحقيقة عرف الناس ومصادمة الإجراءات الشرعية التي توجد في هذه الحالة والمعاملات والأحوال التي تتربت على هذا وأنا أفضل أن أذكر هذه الأشياء حتى نكيف الموضوع في أثناء العقود التي أبرمت منها نفاذ الوصية وخروج ماله عن ملكه وإخراج ديونه وما حل منها وآثار الموت من الكفالة والحوالة ، وسقوط النفقه وارتفاع النكاح وبدء العدة للمرأة ورد الأمانات لأصحابها وتولية خليفة أو تنصيب إمام وعزل بعض الولاة بموت الإمام ونقض الهدنة والنظر في العهود ـ هذه أمثلة ـ وبعدئذ نأتي إلى الإجراءات الشرعية تغسيل الميت ودفنه وأخذ العزاء فيه والصلاة عليه ـ وهذه كلها أشياء إسلامية تحتاج في الحقيقة إلى إيضاحات حتى يستطيع الفقيه أن يطمئن فلندخل في هذا وليكن التوضيح من السادة الأطباء على قدر الأسئلة لا يسأل بعضهم بعضا وإنما يجاوبون على هذه الأسئلة المحددة حتى يستطيع إخواننا وأساتذتنا الفقهاء أن يعطوا الحكم في هذه المسألة ويوجهوا هذه المسائل الأخرى المطلوبة منهم ، كما أنكم مطلوب منكم أشياء ـ مطلوب من الفقهاء أشياء ـ فيسئلون هل نصلي على الميت كيف وهو ينبض في المستشفى حتى ندفنه ؟ متى نأخذ فيه العزاء ؟ إذا كان الإنسان الغائب لا يحكم بموته إلا إذا تأكد موته وتنتظر امرأته أربع سنوات حتى تنقطع أخباره ويظن ألا يرجع ظنا يقينيا ، ثم تعامل معاملة الأرملة فيؤخذ فيه العزاء من جديد .

هذه أشياء يجب توضيحها لأنه يترتب عليها أحكام فقهية في الحقيقة وسيسأل ـ العلماء عنها أسئلة كثيرة في هذه الناحية .

* الدكتور / محمد الأشقر :

بسم الله الرحمن الرحيم :

ـ أنا أؤيد كلمة الأخ الدكتور / عبد العزيز كامل في أن لا نؤثر على الإخوان الأطباء إنه ينبني على قرارهم أحكام فقهية كثيرة ، إذا نفكر في المسألة من ناحية طبية صرفة ثم بعد ذلك نبني عليها الأحكام الشرعية ، فكثير من إخواننا بدؤوا يناقشون مناقشة فقهية ويستبقون الحوادث ، والمجال أمامنا مفتوح ، ونحن نريد الآن نتصور تصوراً كافيا نتصور الناحية الطبية تصورا يؤهلنا لأن نصدر عليها حكما بموجب ما نسمعه ونفهمه .

وأنا عندي أسئلة كتبتها كلها وما سمعت الآن إجابة عنها .

فمنها إعادة النشاط الكهربائي إلى الدماغ هل هذا ممكن أم غير ممكن في المستقبل ولو غير المنظور ؟

وهل يعتقد إخواننا الأطباء أنه من الممكن أن يعود هذا ، كما أنه مثلا كنا سابقا نعتقد أن القلب إذا توقف لايمكن إعادته إلى الحياة وقد أمكن ذلك فهل يمكن أن يأتي يوم أيضا بالنسبة إلى جذع الدماغ يعاد للعمل أم لا ؟

مسألة أخرى ـ الأخ الدكتور / مختار ذكر أن القلب إذا توقف أربع دقائق وانقطع وصول الدم إلى الدماغ ، فإنه يتوقف أو يموت يبدأ موته في حدود أربع دقائق أحوال السكتة القلبية من قديم الزمان مشهورة ، إنه قد يموت إنسان ويحكم ظاهرا بموته ويستمع إلى دقات قلبه فليس هناك دقات قلب ، ثم بعد ذلك ربما بعد ساعات يموت ، وبعد أن يغسل ويدفن وقد يخرج هل هذه أمور لها تفسير طبي أو أمور هي وهمية هذا ما سمعنا الجواب عنه الآن .

وبالنسبة إلى الشروط التي ذكرت في بعض أبحاث إخواننا الأطباء في بريطانيا بالذات يشترطون شروطاً مختلفة كثيرة غير قياس الدماغ لتحقيق الموت إذا كان

قياس الدماغ ـ يعني كهرباء الدماغ ـ يكفي بالحكم بالموت فلماذا يشترطون الشروط الأخرى ؟ ما الداعي إلى ذلك مادام هذا أمراً يكاد (عند إخواننا الذين صوروه لنا) يقيناً ما هذا الأمر الذي يخشون من وقوعه هناك بعد ذلك بالنسبة لما ذكره إخواننا ـ بعض إخواننا الفقهاء أن المسألة يعني تكاد تكون واضحة وأن هناك عقودا كثيرة وأمورا كثيرة تنبني على الحكم بالوفاة أيضا هناك تأخير الحكم بوفاة جميع الأجهزة بالبدن ينبني عليه فيما أتصور منع نقل الأعضاء المفردة من الإنسان فنحجر باباً واسعاً جدا .

الآن أمكن إنقاذ نفوس كثيرة جدا إذا قلنا لاموت إلا بعد توقف جميع أجهزة البدن ، فمعنى ذلك في تصوري كفقيه ولست واسع الدراية بالناحية الطبية ، في تصوري أن هذا يمنع نقل الأعضاء البشرية من جسد إلى جسد الأعضاء المفردة بالذات التي يتوقف عليها الحياة هل تصورنا هذا سليم أم غير سليم؟

أيضا كلمة أخيرة إذا أمكن توضيحا للأمر أن البلاد الأخرى وخاصة في نقل الأجهزة بالذات مثل أمريكا مثلا وبريطانيا هل صدر قانون بمنع نقل الأجهزة وقد ترد أحيانا في بعض الصحف كما في هذا الأسبوع بالذات يوم ـ السبت فيما أتصور في جريدة السياسة نقلوا أن رجلا في المستشفى وضعت عليه الأجهزة ويعيش بها وأن ابنه لم يستطع فصل هذه الأجهزة عنه إلا بعد أن استصدر حكما قضائيا فنريد توضيحات حول هذه النقاط إذا تيسرت .

* الشيخ عبد الرحمن عبد الخالق :

بسم الله الرحمن الرحيم : والحمد لله والصلاة والسلام على عبده محمد في الحقيقة القضية الأولى في الندوة وهي قضية تحديد اللحظة الحاسمة للوفاة ، للآن لم نصل إلى جواب حولها ـ سمعنا الآن ثلاثة آراء بالنسبة للإخوة الأطباء في هذه القضية ، إن الوفاة تتحقق بموت جذع المخ ، أنه لابد أيضا أن يوقف القلب هذا

رأي ثانٍ ، إنه لابد من التحقق من موت خلايا الجسم .

الحقيقة النقطة الأولى التي ينبغي أن يتم النقاش حولها تماماً إنما لم تصل بعد إلى جواب هذا السؤال فيمن يفارق الحياة طبيا بحكم طبي صحيح ـ ماهو الوقت الذي يستطيع الطبيب أن يحكم فيه بانتهاء الحياة ؟ لأن على هذا السؤال ستنبني الأحكام الأخرى أرجو أولا أن نصل إلى جواب هذه القضية .

ثم بعد ذلك أثير قضية للمستقبل . وهي قضية الحكم بالوفاة يعني مما ظهر من النقاش الآن أنني بين إفراط وتفريط ، بين إفراط في أنه ينبغي معالجة الذي هو تحت الأجهزة إلى مالا نهاية ، حتى نتحقق بيقين أنه فارق الحياة ، وأنه لاأمل بتاتا في العودة ، وهناك رأي ثانٍ بأنه إذا ظهرت عليه أمارات الوفاة فإنه يحكم بوفاته لاشك أنه لا ينبغي أن يكون هنا إفراط وتفريط ، ولاشك أن حكم الطبيب غير حكم الإنسان العادي من باب ﴿ **لا يكلف الله نفسا إلا وسعها** ﴾[1] فإنسان عادي في قرية لاشك أنه ليس مطلوباً منه إذا لم يكن هناك مستشفى أو هناك أطباء أن يحكم إلا بالظاهر بالنسبة للمتاح ، لكن لاشك أن طبيبا في مستشفى لايجوز له أن يأخذ بظاهر الأمر ، دون أن يتحقق ويتيقن يقينا بأن هذا الشخص الذي أمامه الآن مسجّي أمامه ، أنه بالفعل قد فارق الحياة بالفعل وأنه لا أمل في عودته مرة ثانية للحياة ، أحد الإخوة مرة سألني سؤالاً محرجاً جدا لم أستطع الجواب عليه قال لي هاتفياً من أمريكا أخي في أمريكا صدمته سيارة وغاب عن الوعي وقال الأطباء إن مخه قد توقف وأنه الآن تحت الأجهزة جسده حي تحت الأجهزة وكل يوم يبقى فيه في المستشفى ، فهذا معناه زيادة كبيرة جدا في المصروفات لا أستطيع أن أنفق على أخي ، وأن أبقيه إلى مالا نهاية ، ولا أستطيع أن أنقله إلى الكويت هنا حتى يكون تحت أجهزة موجودة وأريد منك جواباً الآن حاضراً(يتكلم بالتليفون من أمريكا أريد منك جواباً حاضراً الآن) وقال إن الأطباء الآن يريدون مني رأيا ، وأنا ولي

---

(١) سورة البقرة / ٢٨٦ .

المتوفى ويريدون مني حكماً في هذه القضية وتنازلاً برفع الأجهزة ، وأنا الآن توجهت إليك بالسؤال ماهو الأمر وماهو الحكم وما هي القضية ؟ وعلى الكلمة التي تقولها الآن إما أن أستدين وأدبر المبلغ الكافي لبقاء هذا الأمر وهذا أمر معروف نهايته ، وإما أن أوقع لهم بأن يرفعوا الأجهزة ـ فلذلك علينا أن ننظر للأمر من جميع جوانبه بلا إفراط ولا تفريط ، وأن نراعي محتملاته .

وهذه المسألة أقولها في المستقبل لأن النقاش فيها بعد الظهر ، لكن الآن نرجو الآن مخلصين جواباً من الإخوة الأطباء محدداً واضحاً ؟ متى تحكمون طبيا بنهاية الحياة ؟ وأرجو أن لا ندخل في نقاش آخر حتى تتم هذه القضية .

ـ دكتور / عبد الحافظ حلمي :

بسم الله الرحمن الرحيم :

ما أكثر الأشياء التي تدور في الذهن ، ولكن سوف أركز على نقطة واحدة وهي أنني لن أحاول أن أتطبب ولا أتفاقه من الناحيتين ، ولكني سأحاول أن أدلي بفكرة بيولوجية بسيطة وقد تساعد حضرات الفقهاء على تصور بعض الألفاظ التي تتردد في حوارنا ولعلها تكون غير مفهومة ، لأن الأطباء يفهمون بعضهم بعضهم قد لاتكون كل الألفاظ والعلاقات بينها واضحة تماما فإذا أذن لي سأتكلم دقائق لإيضاح هذه العلاقات لأنه دار كلام عن الوعي ودار كلام عن الحياة إلى آخره ، أود أن أوضح على قدر الإمكان هذه الصورة في دقائق أولا إذا أخذت مثالين اثنين هما القلب والرئتان لأن كلًا منهما يختلف عن الآخر فيما سوف أتكلم عنه ، أقول لحضرات الفقهاء إذا نظرنا إلى هذا القلب الذي هو عضو نتكلم عنه ، ولا أتكلم عن غيره فيه جهاز ذاتي ينظم نبضه هذه أول نقطة ، ولكن هذا العضو كأي عضو في الجسم لاشك أنه يحتاج إلى غذاء وإلى هواء ـ يعني أكسجين فإذا توقفت دورة الدم ـ الدم لا يصله لأي سبب كان هو نفسه سوف يشكو الظمأ والجوع ويتوقف عن العمل لهذا السبب ففيه جهاز كهربائي يساعده أو ينظم نبضه .

ولكن ننتقل إلى مستوى أعلى ــ مستوى المدير المساعد الذي قد يتدخل في هذا النبض الذاتي ويقول أحيانـا أسرع إذا دعت الضـرورة أو أبطىء إذا دعت الضرورة هذا موجود فيما سمعتموه بجذع المخ .

ــ جذع المخ هذا إن صور مخ هكذا فله ساق أو جذع تصل بينه وبين العمود الحبل الشوكي الذي يجري إلى آخـر الجسم في هذا الجـزء المحدد يـوجد مـركز للإسراع ومركز للإبطاء للقلب ، وفي هذه الحالة الإنسان الحي الواعي يستجيب قلبه لهذه الظروف المتغيرة فهذا مستوى .

المستوى الثالث إن المدير العام الذي قبل أن يشتغل بهذه الأمور هو الذي نسميه قشرة المخ ، ونقول الإنسان إنسانا بقشرة المخ لأنه مركز الـوعي الحقيقي والإدراك الحقيقي والتفكير واختزان المعلومات . لأن الدكتور / القاضي يمكن قال كلمة إن جذع المخ يكون مختصاً بالوعي والاختزان ، يعني بعد إذن الدكتور المختص بهذه العمليات الترابطية التي تفكر والتي تدرك ويجعل الإنسان إنسانا هو المدير العام الذي في قشرة المخ ، وظيفة الجزء الشبكي الذي في جذع المخ أن ينبه المدير العام أو يدعه ينام ـ التي هي مسألة اليقظة وليس الوعي يعني جذع المخ قد ينبه المخ بالعمل والنشاط في النهار ، أو قد يأذن له ويسمح له بالنوم فيحجب عنه المؤثرات الخارجية ويدعه ينام وهذا الذي يسمى اليقظة أو عدم اليقظة هذا ليس الوعي الذي قد يتبادر إلى أذهان حضرات الفقهاء هذا القلب ، فالقلب لو نزعناه ومونا‌ه بالغذاء جهـازه الذاتي سـوف يجعله ينبض ، ولكن بتوقيـع رتيب ولا ينفعـل بشيء ولا يستجيب بشيء غير عادي ، هذا لو ـ سمحتم فكرة واضحة عن هذه العلاقة وإذا جئنا إلى الرئتين جهاز التنفس الموضوع مختلف ، لأنه ليس لهما مدير مساعد الا تحكم في بعض التنظيمات البسيطة ولكنهما للتنفس بحـركة عضـلات عاديـة لا إرادية ، ونحن نتنفس ولكن كما نعلم جميعا نستطيع أن نأخذ شهيقا عميقا أو زفيرا عميقا ، فهذا جزء من الإرادة يتحكم في حركة التنفس ، فهنا المسألة حسية من

مركز أيضا للتنفس موجود في جذع المخ ، ولكن الرئتين نفسهما ليس فيهما جهاز ضابط تختلف في هذا عن القلب نأتي لقشرة المخ إذا تصورنا حجز هذه المستويات بعضها عن بعض واحد مثل ما يحصل في التجارب الحيوانية وفي الحوادث الإنسانية قشرة المخ تلفت لأنها مدير عام ولكن ليس له من يقدم له الغذاء فسوف يموت جوعا في حوالي أربع دقائق ، مثل ما تفضل حضرات الأطباء أو ما نحوها فإذا انقطع عنه الغذاء مات جوعا ولو أنه مدير عام يبقى إذا راح بعد الأربع دقائق ينيب المديرين المساعدين بدون الإشراف العالي الإدراكي الذي يوجد في قشرة المخ ، وأنا أود أن أوضح الفكرة أقرب ما يكون إلى حضرات الفقهاء لأن هذا يمكن أن يساعد في اتخاذ القرار في هذه الحالة إنسان له جهاز أو أجهزة تعمل ولكنه يكون يوما إنسانا مفكرا مدركا مختزناً بمعلومات مستجيباً . طبعا لو توقف المدير العام ، سيتبعه ببداهة وبسرعة تلف جذع المخ سيتوقف عليه ، بالتالي المدير العام - لأن المديرين المساعدين هم الذين يديرون التنفس ودورة الدم يمدونه بالغذاء ويمدونه بلوازم الحياة ، فإذا في هذه الحالة المخ نفسه بما فيه قشرته . فحينما نتكلم عن المخ نتكلم عن شيئين على الأقل في هذا الحوار : هي القشرة ونتكلم عن الجذع ودار كلام عن الجذع وهذا كلام هام جدا من الناحية الوظيفية وهم ركزوا على الجهاز ا لذي يدير هذه الأنشطة لم يركزوا على الجهاز الإنساني ولكن ركزوا على الجهاز الحيوي الذي يدير هذه الأنشطة ، فإذا فعلا توقف هذا الجذع ليس لأنه الأعظم ولكنه هو المدبر لهذه الحركات فأنا أقول - فالحياة لا نعرفها ولكن نعرف مظاهرها ونعرف أجهزتها وكيف تعمل أرجو أن أكون بهذه الطريقة قربت إلى الأفهام ما يدور بين الجانبين وشكرا .

***الدكتور / حسان حتحوت**

بسم الله الرحمن الرحيم :

ــ اعتقد أن الكلام الذي تقدم به الأخ الدكتور / يوسف القرضاوي يجمع

شذرات ومتفرقات ، ويمكن أن نبني عليه في النقاش ، أعتقد أن الطبيب المعالج إنما يقصد الشفاء أن يدفع المرض وتبقى الحياة وأن يعيدها إلى الصحة وهكذا فإذا بنينا على كلام الدكتور يوسف إذا كانت وسيلة العلاج في نظر الطبيب لا تحمل أملا معقولا في الشفاء فهو في حل من تركه في حالة موت جذع المخ لايكون لدى الطبيب أمل معقول في الشفاء ، فإذا هو في حل من أن يفصل الكهرباء عن هذه الأجهزة ، ولكن إذا فصلت الكهرباء عن الأجهـزة وظل القلب ينبض أو التنفس والقلب يشتغلان هنا هذه أمارات حياة وهي تلقائية لا تعتمد على الأجهزة ـ لا أعتقد أن من بين الأطباء في مثل هذا المريض من يكتب له شهادة وفاة أو يوصي بدفنه أو حتى يأخذه إلى غرفة العمليات يشق صدره ليأخذ منه القلب .

بقي أن نجد حلا لمسألة الموت الذي دب إلى قشرة المخ ثم دب إلى جذع المخ ثم دب إلى القلب والرئتين ، هنا لاتعود هناك أمارات حياة في هذا المريض ولكن نكون فقدنا الفرصة للاستفادة من قلبه أو من كبده التي لا يستفاد منها إلا إذا كانت غضـة حديثة عهد بوفاة بحيث لو مضى عليها في نطاق الموت وقت طويل فقـد خاست ولم تعد صالحة للاستعمال . والذي يراه الأطباء أنه بوفاة جـذع المخ لا يوجد أمل طبي في عودة الحياة إلى هذا المريض ، ناهيك بعودة الشفاء إليه ـ البرزخ بين وفاة جذع المخ وبين استبقاء القلب نابضا بالوسائل الصناعية وهي الفترة التي تتيح للاستفادة من أعضائه ما حكمها إذا لم يكن هناك حاجة إلى هذا القلب أو العضو المنقول ، فلاشك أن كل طبيب بلا استثناء سيصبر حتى يتـوقف القلب والرئتان . المشكلة الآن انحصـرت في جذع المـخ مات القلب والرئتان تتحـركان بالوسائل الصناعية هل يصرح بالاستفادة منهما أم لا لولم تكن هذه لأطفأنا الكهرباء ثم انتظرنا حتى يقف القلب والرئتان أما وهناك طبيب محتاج فما العمل ليست في العالم إجابة الآن على هذا السؤال وكل قضية تؤخذ عـلى حدة ويحكم بحكمهـا وأمثالنا في أرجاء العالم يجلسون هذه الجلسات ومازالوا يحكون رؤوسهم إلى الآن وشكرا .

* الأستاذ الشيخ / محمد المختار السلامي :

بسم الله الرحمن الرحيم :

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما - في متابعتي القليلة للفقه الإسلامي وجدت أن الفقهاء يربطون بين الموت وبين مادار في عصرهم ، وقد اعتقدوا أن تلك المظاهر هي سبب الموت باعتبار أن الطب يعجز عن إعطاء الحياة أو تمكين الإنسان من حياة أطول وسموا هذه بالمقاتل ، فإذا ضربه فأخرج حشوته اعتبروا ذلك مقتلا لا أمل لشفائه ، وقبل سنوات كان القلب إذا توقف فإن ذلك أمارة على انتهاء الحياة وكان كل فقيه يجزم تبعا لما يقدم إليه من هذه المعطيات الذي يقول الطب فيها إنه عجز عن استمرار الحياة وعن عدم إيقاف تهدم جسمه التهدم المتواصل . في العظام أو غيرها ، كما يقول الأطباء يعتمد الفقهاء رغم ذلك أن الإنسان ميت ويعتبرون الإنسان ميتا أيضا في بعض الأحكام الفقهية إذا ماحصل لهم ظن بموته كما إذا غاب فيعطونه حكم الميت وإن لم يكن ميتا . أخلص من هذا إلى أن قضية الموت هي بناء على ظن أنه لا أمل في بقاء الحياة ، فإذا انتهى هذا الأمل في رجوع الحياة للإنسان حكموا بموته . ومن هنا إننا في حاجة إلى موقف واضح أوإلى تحديد واضح حسب ما وصل إليه الطب اليوم ، ولا نقول إن هذا الموقف سيكون نهائيا بالنسبة للفقه أو للفقه البشري لأنه ربما يصل الطب في يوم آخر ويتقدم الطب حتى يستطيع أن يعيد في اللحظات الأولى إلى جذع المخ حياته ، لا أقول إنه يعطيه حياة جديدة ولكن أقول إن التصور أو المقدرة العلمية أو المستوى العلمي البشري كان عاجزا في وقت ثم إنه بعد ذلك الوقت أصبح قادرا على إجراء سنن الله بالخليقة كما قدرها الله سبحانه وتعالى وقد خفيت على الإنسان قرونا ، وليست هذه أول قضية في الكون فإذاً السؤال المطروح اليوم على السادة الأطباء وأريد أن يكون واضحا هو أنه إذا حصل الموت في جذع المخ فهل هناك أمل أو انتهى كل أمل هذه واحدة لأنه سنرتب على هذا أحكاما فقهية .

الأمر الثاني الذي أريد أن أقوله هو أن الأطباء سامحهم الله وجهونا توجيها ربطوا بين زرع الأعضاء وبين الموت ، مع أن القضية يجب أن تعطي للفقهاء في حكم زراعة الأعضاء ، وقد نسألهم نحن عن الموت وقد لا نسألهم ، لأن قضية نقل عضو من شخص إلى آخر في حالة الحياة تحدث عنها الفقهاء بطرق أخرى حسب مستواهم الثقافي العلمي آنذاك - فإذاً ماهو السؤال نستطيع أن يكون لنا منهج جديد في بحث الموضوع لأن ليس بحثنا في قضية متى يدفن فإنه بالإجماع لـن يدفن إلا إذا توقف نبض قلبه وتوقف كل شيء فيه ، حتى تاريخ بداية الميراث خلاف بين العلماء هل إنه إذا أصيب مقتل من مقاتله انتهى وأصبح الميراث حقا للورثة ؟ بمعنى أنه قال الفقهاء في عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه أنه لومات أحد من أهله بعد أن ضرب فإن عمر لا يرثه هكذا رأى بعض ، ورأى بعض الفقهاء أنه يرثه فالقضية هي في حيّز الاجتهاد لكن الذي يهمني من هذا الأمر هو أمر واحد هو أن أقول نأخذ القضية في زراعة الأعضاء وزراعة الأعضاء وحدها ثم القضايا الأخرى التي تهم الأطباء واحدة فواحدة ونعطيها أحكامها حسب ما جاء في الفقه الإسلامي . وشكرا .

*** الدكتور / ابراهيم الصياد :**

ـ أقول لأستاذي الشيخ بدر / إن هناك شيئاً تسمى مزرعة الأنسجة بمعنى أنني أستطيع أن أحضر محلولا فسيولوجياً صالحاً لتكاثر الخلايا وأزرع فيـه خلية فتتكاثر هذه الخلايا - هذه الخلايا حية بالمفهوم الذي ذكره الدكتور / مختار حياة خلوية أو حياة جزيئية وليست حياة روح وبناء عليه نستطيع أن نقول إن تلك الأم التي استعملت كمزرعة أنسجة لتغذية جنينها لم تكن فيهاحياة كاملة بشرية ماهي إلا مزرعة أنسجة .

أقول لأستاذي الدكتور / عبد العزيز كامل إن الموت ليس مـرحلة وإنما - الموت لحظة ، هذه اللحظة هي لحظة خروج الروح وسأتجاوز توصية الدكتور /

حسان وأتخطاها وأحاول أن أقرأ ما ذكره رسول الله ﷺ عن الموت ما رواه مسلم من أن رسول الله ﷺ دخل على أبي سلمـة وقد شق بصره فأغمده وقال عليه السلام إن الروح إذا قبض تبعه البصر بدأ المفسرون يقولون إنه تبعـه البصر نـاظرا إليـه ـ سأحاول كطبيب أن أتبين هذا الموقف إن هذا الشخص مات حدث ارتخاء تام في كل عضلاته عينه مفتوحة يأتي رسول الله ﷺ فيغلقها أعود فأقول إن الوفاة هي وفاة جذع المخ .

وأضيف إلى كلام أستاذي الدكتور / عبـد الحافظ إن جـذع المخ نسميه المراحل الدنيا أو الأقل ، أما المراحل العليا أو المراكز العليا فهي مرحلة القشرة ، المراحل الدنيا لا تعني أهميتها بالنسبة للحياة ، بالعكس المراحل العليا ـ المنطقة العليا هي التي تميز الإنسان من الحيوان بما رزقه الله من ملكات إنسانية ، ولكن المراحل الدنيا أو المنطقة الدنيا هي الحد الأدنى اللازم للحياة وهو جـذع المخ . لذلك ردا على كلام أستاذي الشيخ توفيق أن المعتوه هل نعتبره ميتاً ؟ لا المعتوه ليس ميتا لأنه فقد الخاصة العليا وهي قشرة المخ ولكنه مازال يحتفظ بالحد الأدنى وهو جذع المخ هو فيصل التعريف بين الحياة والموت .

أعجبني الأخ الدكتور / مختار عندما قال إن جذع المخ هو مركز الإحساس بالعالم الخارجي والتفاعل معه ، ومن هنا كان تحديد ما إذا كان الإنسان حيا أو ميتا بمقدرته على التفاعل مع العالم الخارجي سواء كان هذا العالم الخارجي خارج المخ أو خارج الجسم أوفي داخل الجسم . وأعود إلى حديث رسول الله ﷺ عندما قال من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه فقالت عائشة أو بعض أزواجه كلنا نكره الموت قال ليس ذلـك ولكن المؤمن إذا حضره الموت بشر برضوان الله وكرامته فليس شيء أحب إليه مما أمامه ، فأحب لقاء الله وأحب الله لقاءه ، وأن الكافر إذا حضره الموت بشر بعذاب الله وعقوبته ، فليس شيء أكره إليه مما

أمامه فكره لقاء الله وكره الله لقاءه[1] ـ أريد أن أستخلص من هذا الحديث الشريف أن هناك لحظة اللاعودة لحظة الخروج من الإحساسات الدنيوية والذهاب إلى مرحلة أخرى من الإحساس بالعالم الآخر . وهذه أعرفها للأستاذ الدكتور / عبد العزيز كامل لحظة خروج الروح يدرك يبدأ النظر إلى عالم آخر وهو العالم الذي يشعره بلقاء الله بالرضا أو الغضب ـ بالرضا أو بالحزن في هذه اللحظة إحساساته البشرية وتفاعلاته مع العالم الدنيا أو مع الحياة الدنيا قد انقضت وتحددت لحظة الموت ، هذه اللحظة التي عرفها الأخ الدكتور / مختار لحظة انتهاء الاتصال بالعالم الدنيوي . سواء كان جزءا من جسمه أو جزءا مع العالم الخارجي هي لحظة انتهاء جذع المخ وهي لحظة مغادرة الروح الجسد ومازلت أطالب بالتوصية باعتماد ما طلبه وهو أن هناك فرقاً كبيراً بين الحياة الخلوية على مستوى الخلايا وحياة الأنسجة وحياة الأعضاء المستقلة فهذه كلها ماهي إلا مزرعة أنسجة بعد خروج الروح من الجسد في هذه اللحظة التوقيتية المحددة وهي لحظة انتهاء المخ وشكرا .

ـ الرئيس : ـ

حضرات الإخوان نرفع الجلسة لصلاة الظهر وإن شاء الله نعود الساعة ١٢ ١/٢ . . . وشكرا .

(١) أخرجه البخاري ومسلم .

الجلسة الخامسة

عقدت الجلسة الخامسة الساعة الثانية عشر والنصف ظهرا برئاسة الدكتور عبدالعزيز كامل وحضور الدكتور أحمد الغندور نائبا للرئيس والدكتور عادل التوحيد مقررا حيث تولى الدكتور عبدالله محمد عبدالله تقديم وجهة النظر الفقهية المقدمة للندوة في هذا الخصوص وأعقب ذلك تعليقات واضافات السادة الفقهاء في هذا المجال مما لم يكن قد ذكر من الدكتور عبدالله محمد عبدالله .

وخصص الجزء الباقي من الجلسة للمناقشات الفقهية حيث قدم الدكتور محمد نعيم ياسين دراسة مقارنة عن الروح بين الفقهاء والأطباء .

واختتمت الندوة الساعة الثانية والنصف بعد الظهر .

المحـرر

المناقشات

ـ الرئيس (الأستاذ الدكتور / عبد العزيز كامل) :

بسم الله الرحمن الرحيم : والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن دعا بدعوته إلى يوم الدين وقبل أن نبدأ عرض ما تبقى من موضوعات ونتابع فيها الحوار أخبرني الصديقان الدكتور / أحمد رجائي الجندي والأستاذ الدكتور / توفيق الواعي أن حضرة صاحب الفضيلة الشيخ صالح موسى شرف عضو هيئة كبار العلماء وعضو مجمع البحوث الإسلامية وعضو مجلس جامعة الأزهر وأستاذ الدراسات العليا بها والذي كان على نية أن يعرض موضوعه الذي بين أيديكم عن بدء حياة الإنسان ونهاية حياته في ضوء القرآن الكريم والسنة بعد أن رتب نفسه لكي يكون معنا توفاه الله سبحانه وتعالى ونسأل الله له واسع رحمته وجنته وقد أمضى فضيلة الشيخ صالح موسى شرف حياة طويلة ملؤها العلم وخدمة الأزهر والإسلام في أكثر من موضع هكذا الحياة نتكلم في الموت والحياة وهذه نهاية الحياة .

في جدول جلسة اليوم أقترح ما يأتي أن يتفضل الأستاذ الدكتور / حسان بالإجابة على الأسئلة التي طرحها الأستاذ الدكتور / الأشقر والأستاذ الدكتور يوسف القرضاوي ثم بعد هذا يتفضل الأستاذ الدكتور / عبد الله محمد عبد الله بعرض موضوع نهاية الحياة الإنسانية ويلي هذا تعليق من الإخوة الذين قدموا البحوث إما إضافة إلى ما قيل أو رأيا خاصا لم يرد في عرض الموضوع .

تأتي بعد هذا أسئلة مرتبطة بنهاية الحياة موجهة أساسا من الأطباء إلى الفقهاء ولو أذنتم لي بين يدي هذا أن أقول إننا هنا في الواقع لسنا فريقين فقط من الأطباء والفقهاء وإنما نحن ثلاثة أقسام القسم الثالث أناس ليسوا بفقهاء وليسوا بأطباء اعتبروهم يمثلون القاعدة الشعبية والقاعدة العامة للمجتمع ، وأنا فرد من هؤلاء وعلى هؤلاء ستطبق نتائج هذه الدراسات كلها ، ومن المفروض إذا كانت لهم كلمة

أن تكون الصياغة بحيث تكون مقبولة من الرجل العادي يمكن أن يكون هناك مستوى من الحوار خاص بنا ، ثم بعد هذا الصياغة ممكنة التطبيق ، ومن أجل ذلك لخصت العمل كله في ست كلمات لا تزيد تختارون منها كلمتين في البدء ثلاث كلمات وفي النهاية ثلاث كلمات والمفروض منا أن نرجح منها كلمتين . فيما يتعلق بالبدء : الإخصاب ـ العلوق ـ الحس . ما يتعلق بالنهاية : الكلمة الأولى جذع المخ ، الثانية : القلب لا أقول بالمعنى المعنوي لكن بالمعنى الحسي ، الثالثة بقية الأعضاء الموجودة في الجسم هذه ستة كلمات ونحن كمواطنين عاديين نرجو من االمختصين من علماء وفقهاء أن يرجحوا لنا من هذا كلمتين طبيا ، بعد هذا تبنى عليها الأحكام الفقهية والقانونية ، ولنذكر أننا الآن في النصف الثاني أو في الثلث الأخير من هذا العمل وعلينا أن نكثف جهودنا حتى نصل إلى نتيجة نحب جميعا أن نصل إليها والآن فليتفضل الأستاذ الدكتور / حسان حتحوت مشكورا بالإجابة على ما طرحه الأستاذ الأشقر ويوسف القرضاوي من أسئلة .

الدكتور / حسان

أرجو أن أتلقى سؤالا سؤالا ـ وقد لا أجيب أنا على كل سؤال ولكنني سأوزع

ـ ما هو السؤال الأول :

السؤال الأول : أرجو أن يتفضل الأستاذ الدكتور / الأشقر فهو صاحبه فهو أولى به مني .

*** الدكتور / محمد الأشقر :**

يتفضل الدكتور / القرضاوي أولا بأسئلته المحددة .

*** الدكتور / يوسف القرضاوي :**

بسم الله الرحمن الرحيم : الحقيقة أنا وجهت بعض الأسئلة هي ليست للأطباء فقط لكن بنيتها على ما اقترحه الأستاذ الدكتور / حسان من منهج للبحث في موضوعنا ، وهو إذا لم يكن لدينا نصوص حاسمة في مسألة الحياة والموت ،

والشرع ترك هذا الأمر حكمةً منه ورحمةً بنا غير نسيان لنحيلها إلى العرف أو إلى معارف البشر فقد أذن لنا هنا أي يعتبر نوعاً من الإذن العام بمعرفة ما الحياة وما الموت وما علاماتها ؟ أحببت أن نتفق عليها ثم نعود مرة أخرى إذا كان الأمر كذلك فهل يترك معرفة الحياة والموت للأطباء فقط أم يكون ذلك للناس العاديين ، كما هو المعهود في الشريعة الإسلامية أنها تبني أحكامها على الأمور المقدورة للناس كما في مسائل الصيام والفطر وغيرها كما أنها ـ كما يعبر الشاطبي ـ شريعة أمية يقصد أنها فطرية يعني طبيعية للناس عامة فهذه القضية :

ثم القضية الأخرى الحقيقة أحببت أن نخرج من البحث موضوع الإنعاش وأجهزة الإنعاش لأنه استغرق كثيرا من البحث والتفكير ، وأنا لا أجده مشكلة من الناحية الشرعية ولا أريد أن أعيد كلامي ، وبذلك ينحصر الموضوع في مسألة زرع الأعضاء أو نقل الأعضاء فإذا انحصر في هذا نحدد موضوع النقاش وموضوع الخلاف إذا قبل إخواننا الأطباء أن موضوع الإنعاش يعد مشكلة انحصر الموضوع فيما أرى في عملية الزرع نقل الأعضاء لزرعها بالذات ، هنا الأعضاء المفردة التي لا يعيش الإنسان إلا بها وهذه تنحصر في عملية القلب أو الكبد أو نحو ذلك هذا ما أردت أن أعرضه وأعتقد أن الدكتور / حسان كان علق على هذا بشيء وممكن أن يستكمل الموضوع . . . وشكرا .

*** الدكتور / حسان :**

إذا توقف جذع المخ فإن الأطباء يعتبرون أن هذا الشخص قد استدبر الحياة إلى مرحلة اللاعودة ولا أمل له في العودة إلى الحياة من جديد ، ولكن المشكلة أن هذا قد يتم في وجود أمارات تعتبر عرفاً من أمارات الحياة ، كاستمرار القلب في النبض ـ ويرى الأطباء أن المعول عليه في الحياة ليس القلب . لأن إنساناً من الناس قد ينتزع قلبه انتزاعا فإن ركبت له ماكينة مقام القلب فإنه يستطيع أن يستمر في الحياة وكذلك القلب الذي مات صاحبه يمكن أن يؤخذ فيودع جسم رجل آخر مازال على قيد الحياة ، فيستمر القلب في حياته بالرغم من موت صاحبه ودفنه ، أما

من يقول إن فلانا مات أم لم يمت بعد فهذا متروك للعرف المتروك للطبيب ، في كثير من البلاد كالكويت مثلا لا يدفن ميت إلا إذا وقع له طبيب شهادة وفاة ، لا تتصور أن كل ميت ستجرى له مقاييس كهرباء المخ وهكذا وهكذا إنما تعرض هذه في ظروف خاصة ولعل هذه الظروف الخاصة هي موضوع بحثنا اليوم . لعلي أجبت ؟

*** الرئيس / الدكتور عبد العزيز كامل :**

شكرا يا دكتور / حسان والآن يتفضل الدكتور / الأشقر يطرح أسئلته .

*** الدكتور / محمد الأشقر :**

بسم الله الرحمن الرحيم : السؤال الأول : في تحديد حجم المشكلة هل يظن أنه قد يأتي يوم يتمكن العلم أيضا من إعادة النشاط الكهربائي إلى الدماغ ـ أو نقل جذع الدماغ مثلا ؟

*** الدكتور / حسان :**

لا نستبعد هذا لأن العلم لا يستطيع أن يقطع بشيء وقد علمتنا التجربة أن حقائق اليوم هي أحلام الأمس ، فلعل أحلام اليوم ـ تكون حقائق الغد . إن العلم لايستطيع أن يرسم خطا ويقول لا نستطيع تجاوز هذا الخط ، إنما تحدث للناس أقضية بقدر ما أحدثوا ، وما كان عليه العلم الطبي أو العرف في زمن قد يتغير في زمان ثانٍ وليس المستقبل باستثناء من هذا ، نعم قد يأتي يوم مازال في طي الغيب القريب أو البعيد يتمكن فيه العلم من « الحياة أو إنقاذها حتى مع ما يعتبر اليوم موتا لجذع المخ ولكن هذا غير كائن في يومنا هذا ولا في عصرنا هذا .

*** الدكتور / محمد الأشقر :**

السؤال الثاني الموت بالسكتة القلبية فيما يتسامع الناس أن فلاناً دفن ثم عاش ما تفسير الطب لهذا ؟ وهل يدل على أنه يمكن أن الدماغ يتأخر موته عن الأربع دقائق ؟ كما ذكر في بحث الدكتور / مختار .

* **الدكتور / حسان : ـ**

للإجابة على السؤال : إذا توقف القلب معنى هذا أن الدم وما يحمله من الاكسجين لايذهب إلى أعضاء الجسم ومنها المخ ، قشرة المخ تتحمل الصيام عن الأكسوجين أربعة دقائق وما يظن من أن بعض الناس دفنوا على ظن أنهم أموات ثم ثبتت حياتهم يرد هذا في الغالب العام إلى خطأ في التشخيص ، لعلهم تبينوا توقف قلبه بجس نبضه أو جس نبض شرايين الرقبة أو الاستماع إلى صدره ، وقد تعجز الحواس الطبيعية عن أن تذكر الاختلاجات الضعيفة ، ولعلهم إن رسم لهم رسام القلب الكهربائي كانوا يستنبطون أنه حي ، ولكن ليس في الإمكان أن يخضع كل ميت لهذه الوسائل وإلى عهد قريب كنا نمنع ذهاب الميت إلى مخزن الموتى قبل مضي ساعتين زيادة في التأكد كلما دقت وسيلة التشخيص ضؤل هذا الاحتمال بأن يدفن حي ولكنه وارد .

* **الدكتور / محمد الأشقر :**

السؤال الثالث : إن الإخوان هنا وفي البحوث وفي المؤتمر ذكروا أن انعدام كهرباء المخ تدل يقينا على الوفاة ـ ما معنى الاشتراطات الأخرى التي تأخذها السلطات البريطانية في التأكد من الموت هل هذا يعني التشكك في هذه الوسيلة ـ ما معنى ذلك ـ لماذا لم يكتفوا بتسجيل انتهاء كهرباء المخ ؟

* **الدكتور / حسان :**

الجواب : إنه من باب (بلى ولكن ليطمئن قلبي) ورجل من الناس يريد أن يتأكد مائتين في المائة لا مائة في المائة ، خاصة والموضوع لم يقطع فيه بشيء بعد مازالت تعقد أمثال هذه الندوات والمؤتمرات في بريطانيا أو أوروبا وأمريكا ، وهي للآن لم تصل إلى شيء فلعله من باب زيادة التأكد أن خمود النشاط الكهربائي لجذع المخ هو أقرب وأوفى وأكبر حقيقة نسبية نستطيع أن ننسب بها شخصا إلى الموت .

---

(١) سورة البقرة / ٢٦٠ .

* الدكتور / عصام الشربيني :

أريد أن أزيد هذا الأمر إيضاحا إذا أذنت لي ليس وجود عدم نشاط كهربائي في المخ ضروريا لتشخيص موت جذع المخ ففي الحالات الأكثر يمكن تشخيص موت جذع المخ بالشروط التي ذكرت بعضها كما في إعلان مؤتمر كليات الأطباء البريطانية كما أنه يمكن أن نحصل على خمود كهربي في المخ في غير وفاة جذع المخ ، كما في حالة الغيبوبة الناتجة عن جرعات منومة ولا يشخص موت جذع المخ إلا بمجموعة من الشروط قد يكون أحدها هذا لنا لنستوثق كما قال الدكتور / حسان بعد أن نكون قد استبعدنا الأسباب الأخرى .

* الدكتور / حسان :

هناك شبهة لابد أن تستبعد حتى نخلص أنه فعلا حدثت وفاة لجذع المخ .

* الدكتور / مختار المهدي :

أريد أن أكرر كلمة سبق أن قلتها في بحث الصباح ، وهي أن هناك بعض حالات لا يمكن إدخالها في المفهوم الذي نتحدث فيه حاليا ، المفهوم الذي نتحدث فيه عن وفاة جذع المخ حاليا هو في حالات الإصابات للرأس وفي حالات نزيف المخ ، ولكن إذا كان هناك سموم أو التهابات بالمخ فلا تنطبق عليها هذه الشروط إطلاقا .

ـ الرئيس / الدكتور عبد العزيز كامل :

والآن ننتقل إلى الأستاذ الدكتور / عبد الله محمد عبد الله ليتفضل : بعرض الموضوع :

[بحث الدكتور عبدالله محمد مثبت في قسم الأبحاث ص ٣٩٥]

ـ الرئيس / الدكتور عبد العزيز كامل :

شكرا للأستاذ الدكتور / عبدالله محمد والإخوة الذين قدموا أبحاثهم هم فضيلة الشيخ بدر المتولي والدكتور / محمد الأشقر والأستاذ الشيخ عبد القادر العماري والأستاذ الدكتور / عمر الأشقر والأستاذ الدكتور / توفيق الواعي وفضيلة الأستاذ الشيخ محمد المختار السلامي والأستاذ الدكتور / مصطفى صبري وأرجو من حضراتهم بالترتيب الذي قلته أن يتفضلوا بإضافة ما يرون أن الأستاذ الدكتور عبد الله قد تجاوز في شرحه .

* الشيخ / بدر المتولي :

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه أما بعد فإن فضيلة الأستاذ الدكتور / عبد الله محمد في الحقيقة تناول أمورا كثيرة ولكن المسألة بقيت عند الخط الأول وهو هل يعتبر الشخص مات بمجرد موت المخ أم لا مع بقاء الأجهزة الرئيسية باقية ؟ هذا أمر لم يقطع فيه بعد إخواننا . أغلب ما قرأت من بحوث أبنائي الأطباء يقطعون بأن الموت حقيقا بمجرد موت جذع المخ ولكن مع هذا سمعت اليوم من الدكتور أحمد شوقي ابراهيم في الواقع كلاما يريح القلب وهو أنه إذا كان المخ فيه العقل ففيه اتصال بالقلب أيضا ، فلابد من التأكد من موت الاثنين مع بعض وهذا أمر يقرب المسألة لأن يجب أن لا ننسى أيضا أن الحياة موجودة بالفعل والموجود بالفعل لا نحكم بنهايته مع الشك ، وهنا شكوك وليس شكا واحداً حتى جعلت جمعية أطباء (انجلترا) تضع قيودا أخرى غير مسألة موت جذع المخ فهناك شكوك فكيف أحكم مع الشك بموت هذا الشخص وإذا أنا حكمت بالموت ستترتب أحكام كثيرة جدا عرض بعضها الأستاذ عبد الله محمد منها أحكام كثيرة تتعلق بنفس الشخص ، وأحكام تتعلق بغيره ، ففي الحقيقة أريد من أبنائنا الأطباء أن يحددوا لنا تماما هل معقول أن أحكم على شخص مهما كان وأنا وضعت السؤال هل إذا مات القلب فعلا هل هناك وسيلة إلى إنعاشه مرة أخرى ؟ هذا سؤال فإذا كان هناك يأس فهذا شيء آخر إذا كانت المسألة أنه هو في الواقع

استجاب بوجود بعض الحياة لأنه هو عندما استجاب للأدوات هذه لوجود بعض الحياة فيه وجاءت هذه الأدوات لتنعش أو لتقوي هذا الجزء الضيئل من الحياة ، فهل مع وجود هذا الجزء الضيئل من الحياة أستطيع أن أحكم بالوفاة ؟ هذا أمر في منتهى الخطورة وحياته موجودة بالفعل بيقين فلا أحكم بموته إلا بيقين أبينها ـ لا أحكم بالموت إلا بيقين كونه لايورث هذا صحيح ، وأؤيد ما ذكره أخي الشيخ السلامي فيما قال إن سيدنا عمر لو أن أحداً مات من أقاربه لايرثه هذا صحيح لأن حياة عمر في هذه الحالة ليست دون حياة المذبوح ـ أو كحياة المذبوح فهو لا يرث يقينا لأن فيه حياة بالفعل مسألة كون زوجته تعتد والله أنا أتشكك في هذا أنا لست أقدر أن أقول واحد لا يزال يتنفس ويتغذى بالفعل وجسمه فيه بناء وهدم وأقول في هذه الحالة بانتهاء عدة زوجته إذا وضعت . أظن هذا أمر ينبغي أن يكون محط بحث قوي في الحقيقة أن الذي ينشرح له صدري أن الوفاة تتحقق بانتهاء الأجهزة الرئيسية في الإنسان ، كالجهاز الهضمي والجهاز الدموي والتنفس إذا انتهت هذه الأمور انتهى الأمر ، وطبعا إذا ماتت هذه الأجهزة أو تعطلت هذه الأجهزة بطبيعة الحال يتعطل جذع المخ هذا ما أريد أن أعلقه أما ما أثاره فضيلة الأستاذ الشيخ يوسف القرضاوي من مسألة اشتغال الأجهـزة أمر في منتهى البسـاطة ليس من الضروري مسألة الأجهزة فليكن ولاسيما إذا كان هناك واحد فيه أمل وأمل قليل جدا في أن ينتفع بهذه الأجهزة إذا كان هناك أمل في أن شخصاً آخر ينتفع بهذه الأجهزة أنا أقدر أقول حرام استعمال هذه الأجهزة في الميئوس منه ، أما إذا كان لا حاجة لغيره أبقوا الأجهزة وعطلوها سيان وأمرها بسيط ، لكن أخطر شيء مسألة التعجل في أننا نجعل هذا الميت في عرف الأطباء ثلاجة لكي نأخذ منـه أعضاء نزرعها في غيره ، لأن الحياة الإنسانية حياة كريمة لكن بعد الوفاة تعجلوا إذا تحققتم بالوفاة وخذوا القلب بسرعة قبل أن يخيس واعملوا الأعمال التي تنوون أن تعملوها وأعطوها لغيره ، لكن مادام فيه حياة وفيه قلب القلب هذا ينبض بالفعل ، ثم نأخذ هذا القلب بالفعل ونقول سنعطيه لواحد ثان ، وهذا أمـر لا أستطيـع أنا

كمسلم أن أقول به أبدا والله سبحانه وتعالى أعلم .

الاستاذ الدكتور / محمد الأشقر :

بسم الله الرحمن الرحيم الحقيقة أنا ليست عندي إضافات على ما ذكره الإخوان إلا قضية ترك التداوي التي أشار لها الدكتور / عبدالله محمد هناك نصوص صريحة تقريبا إن الإنسان يتداوى لأن النبي ﷺ أمر بالتداوي وكان يتداوى، وقال تداووا فإن الله جعل لكل داء دواء ، وهذا أمر معروف للمبتدىء إن الأمر إما للوجوب وإما للاستحباب في مثل هذا فأما القضية فيما قيل إنه يحرم التداوي في بعض الأحوال هذه أعتقد نظرة دخلت الفقه الإسلامي من جانب التصوف وليس من الفقه الشرعي الصحيح فينبغي للإنسان أن يتداوى أقل الأحوال أنه مستحب وهذا يترك نوعاً من الفرصة في الحقيقة لنزع الأجهزة هذا .

* الشيخ / عبد القادر العماري :

هناك آية في القرآن الكريم ـ تقول : ﴿ ولو تقول علينا بعض الأقاويل لأخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين فما منكم من أحد عنه حاجزين ﴾[1] وقالوا إن الوتين هو نياط القلب وهو عرق يجري في الظهر حتى يتصل بالقلب إذا انقطع مات صاحبه قال ابن قتيبة ولم يرد أن نقطع ذلك العرق بعينه ، ولكنه أراد لو كذب علينا لأمتناه أو قتلناه فكان كمن قطع وتينه ، ومثل قوله ﷺ : « مازالت أكلة خيبر تعاودني وهذا أوان انقطاع أبهري » وقالوا إن الأبهر عرق يتصل بالقلب فإذا انقطع مات صاحبه ، فكأنه قال هذا أوان قتلي بالسم كمن انقطع أبهره وقال الفقهاء في أمارة الموت في الذي يموت من علة باسترخاء قدميه ولا ينتصبان ويميل أنفه أو ينخسف صدغاه أو تمتد جلدة وجهه أو انخلع كتفاه أو تتقلص خصيتاه إلى فوق مع

---

(١) سورة الحاقة / ٤٥ ـ ٤٨ .

تدلي الجلدة ـ قال الفقهاء فإن كان هناك شك واحتمل أن يكون به سكتة بعدم العلة أو ظهرت أمارات فزع أو غيره أخر إلى اليقين بتغير الرائحة أو غيرها . وقال بعض الفقهاء للتحقق بجس العرق الذي بين الكعب والعرقوب ـ ويجس عرق في الدبر ، وقالوا أيضا إن من علامات الموت سكون الحركة في البدن كله ، وتغير لونه وانقطاع نفسه ، ولذلك يعتبر موت الحامل بوضع كفة الميزان وما أشبهها على صرتها فمادامت الكفة تتحرك فهي حية ، وهذا إذا تبين حملها إما بقولها أو بقول غيرها ممن لايتهم على ذلك . والواقع أننا لا نستطيع أن نحدد الحد الفاصل بين الحياة والموت وإذا كان الأطباء قد قالوا سابقا إن توقف القلب عن العمل هو الحد الفاصل وقالوا الآن إن موت الدماغ هو الحد الفاصل فما درينا أن العلم يكتشف وسائل لإنعاش المريض وتنشيط دماغه مثل ما حصل للقلب لذلك فنرى ألا نعتبر الحياة شرعا انتهت ونحكم على الشخص أنه في عداد الموتى إلا إذا كانت هناك أمارات ظاهرة كما قررها الفقهاء فنرتب على ذلك الإرث وانتهاء العدة وغيرها من الأحكام الشرعية .

أما مسألة ما توصل إليه الطب من أن موت المخ هو الموت الحقيقي ـ للشخص فيكون ذلك في حكم الميئوس منه من حياته ، فلا يلزم الطبيب أن يبقى عليه الأجهزة التي تطيل عليه حالة النزع والاحتضار بما لا فائدة فيه ، وقد قال الفقهاء إن حكم من هو في النزع حكم الميت فلا حرج على الطبيب إن هو مد يده إلى إطفاء الجهاز ، لأن الحياة المتوقفة على جهاز غير طبيعي ليست حياته في الحقيقة وهم يقولون ذلك ، غير أن ترتيب الأحكام الشرعية على أمور واضحة يطلع عليها أكبر عدد من الناس العاديين أولى من ترتيبه على أشياء لايطلع عليها إلا المختصون أو عدد محدود .

ولذلك فنرى أن التقيد بما قاله الفقهاء في مسألة إرث الجنين وغير ذلك من الأحكام يمنع كثيراً من المشاكل لو أننا رتبنا الأحكام هذه على الحياة في بطن الأم

اعتمادا على قول الطبيب ، وكذلك في مسألة علامات الموت الظاهرة نرى التقيد بها عند ترتيب الأحكام .

وهنا سؤال أسأله وقبل أن أسأل أحب أن أعلق على كلام أستاذنا الشيخ يوسف القرضاوي في مسألة العلاج وعدم وجوبه وترتب المسألة في جواز نزع الجهاز على عدم وجوب الدواء ، وأنا أؤيد الشيخ الأشقر في هذا إن الدواء واجب هناك أحاديث صحيحة أمرت بالتداوي والأمر إذا أطلق كان للوجوب ، ولكن عندما ينزع الجهاز ليس هو علاجاً فهو بناه على أنه علاج ، ولكن أرى أنه ليس علاجاً ولكن إطالة للمرض كما أوضح لنا الأطباء أما إذا تعين أن الجهاز علاج هناك أمل في إنقاذ المريض فيجب إبقاء هذا الجهاز ، ومادام أنه ليس هناك أمل في الإنقاذ فليس الأمر إذاً علاجاً .

وهنا أطرح سؤالاً أيضا على السادة الأطباء هل إذا مات المخ ولم يكن هناك جهاز إنعاش هل تستمر الحركة في الجسم ؟ فإذا كانت لا تستمر ففي إمكاننا أن نجعلها من العلامات التي ذكرها الفقهاء وشكرا .

*** الدكتور / عمر الأشقر :**

الحمد لله رب العالمين أحب أن أؤكد على قضية أثرتها أكثر من مرة وهي أن علماء الشريعة يقولون إن الحياة تنتهي بقبض الروح . كما قال الإمام الغزالي بمفارقة الروح للجسد وهذا استقراء للشريعة الإسلامية من خلال النصوص القرآنية ومن خلال الأحاديث النبوية ، هذا الاستقراء استقراء صحيح ، الأطباء يقولون الحياة تنتهي بموت جذع المخ الشيء الذي أريد أن أؤكد عليه أن الروح ليست هي جذع المخ ، الروح تقبض وتمسك وأرواح الشهداء في حواصل طير خضر في الجنة - حديث صحيح - الروح تُنعَّم وتعذب الروح غير جذع المخ هل بين وجود الروح في الإنسان وبين الحياة ارتباط ، هل يمكن أن يموت جذع المخ ويبقى للروح شيء

من الاتصال ببقية أعضاء الجسد ؟ قضية لا نستطيع أن نحكم فيها بمعنى أنه عندما نقول إن جذع المخ قد مات من حيث الحقيقة هل يمكن أن يبقى للروح اتصال ببقية أجهزة الجسد أو ستزول حتما كما لو قطع رأس إنسان ؟ الروح ملازمة لوجود الرأس فإذا فارق الرأس الجسد لابد أن تزول الروح فإذا كان هناك تلازم ما بين جذع المخ وبين الروح نقول فعلا إن الإنسان قد مات إذا لم يكن هناك تلازم وممكن أن يكون الجذع قد مات والروح لايزال لها بعض اتصال إذا لايزال في الإنسان حياة وفي هذه الحالة احتمال أننا إذا اعتدينا على هذا الإنسان نكون اعتدينا على إنسان لايزال حيا وشكرا .

*** الدكتور / توفيق الواعي :**

بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد في الحقيقة تكلم إخواني في نقاط كثيرة مما كنت أحب أن أتكلم فيها ولكنني أحب أن أشير إن للموت علامات وتكلم الفقهاء في هذه العلامات تكلموا عن النفس والحركة وقد وضح إخواني هذا ولم يتركوا هذا بل قالوا إن الموت يكون بتخلي الجسد عن الحركة منهم من اعتبر التنفس الطويل ومنهم من اعتبر حركة القلب ـ التنفس والجسد .

وقد قرر الحنفية والشافعية والحنابلة أن التنفس يأخذ حكم الحركة لإثبات الحياة لأن التنفس حياة وحركة ذاتية يتحرك فيها الصدر فينبض فيها القلب والذي أحب أن أتكلم فيه إنهم أرادوا أن يتأكدوا تأكدا أن الجسد قد انتهى أو انتهت الحياة فيه بما قالوه مما أوضحه كثير من إخواننا فإن شك في موته بأن يكون به علة أو احتمل أن يكون به سكتة أو ظهرت عليه أمارات الفزع وغيرها كأن يكون هناك احتمال إغماء أو خلافه أُخر حتى اليقين لتغير الرائحة وغير ذلك والواقع أن القرآن أشار إلى هذا أن الموت الروح لا نراها وإنما نرى علامات ذلك وقد ذكر القرآن في كثير من آياته هذا ﴿ حتى إذا بلغت الروح الحلقوم وأنتم حينئذ تنظرون ونحن

أقرب إليه منكم ولكن لا تبصرون ﴾[1] ووضح في آية أخرى علامات ذلك ﴿ والتفت الساق بالساق إلى ربك يومئذ المساق فلا صدق ولا صلى ﴾[2] قال العلماء عند هذه الآية أي التفت الساق إنه ذهبت الحياة منها كليًا ولا حياة في الواقع بعد كل هذه الأشياء التي ذكرها إخواننا وأردت أن أضيف إضافات قليلة أحب أن أقول أرى أن يكون موت المخ علامة قوية ومؤشراً قوياً على ابتداء الاحتضار ولكن لا نحكم بالموت إلا بعد خمود الجسد تلقائيا بعد أن مات المخ فإذا أراد الطبيب أن يحكم بالموت فلينزع الجهاز فإذا مات كما قال الدكتور / حسان تلقائيا حكمنا بموته وتؤخذ على عجل ما يسمح به من الأعضاء بشروطه المعروفة أما إذا استمرت الحياة وهذا رأي أقره الدكتور / حسان فهذه حياة لا يجوز التعدي عليها ولكن لا يحكم بالموت إلا بعد أن يخمد الجسد سواء خمد تلقائيا أو خمد بعد نزع الجهاز . وشكرا .

* **الشيخ محمد مختار السلامي :**

بسم الله الرحمن الرحيم : وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما عندي بعض الإضافات التي لم ترد في التلخيص العام . السؤال الذي أطرحه أولا : هو متى تنتهي الحياة ؟ وقد قسمت هذا إلى نوعين أو إلى قسمين الحكم المطلق على أن الحياة انتهت وأنه لا يمكن أن تعود الحياة لهذا الإنسان أو أن بالعمل لعله أن نحقق ما قدر له الله من حياة أطول أقول حكما مطلقا هذا لا يمكن لأن العلم يتقدم ويعطي كل يوم نتائج .

الحالة الثانية وهي الحالة الطريفة حسب ما وصلنا إليه من علم فإذا توقفت الأجهزة عن العمل توقفا نهائيا لا يمكن للعلم حسب إمكاناته ومستواه أن يعيدها إلى العمل من جديد والأجهزة الأساسية هي القلب باعتباره هو المغذي لكل الأجهزة البشرية وجذع الدماغ باعتباره المنظم وبرج القيادة لكل الأجهزة فإذا امتنع الغذاء أو خربت القيادة كان الموت . ثم إن عمل هذين . . قد يكون عملا طبيعيا

---

(١) سورة الواقعة / ٨٣ .

(٢) سورة القيامة / ٢٩ .

ولا إشكال وقد يكون العمل في بقية الأجهزة عملا غير طبيعي أي حركة تحدث في القلب أو في بعض الأجهزة بواسطة الأجهزة الكهربائية فاذا حصلت حركة الإنسان في بعض أجهزته أو في بعض أعضائه ليست ناتجة عن الدماغ فنريد أن نستأنس بما يقوله الفقهاء من قبل ، فقد رأى الفقهاء أو رأى بعضهم على أصح تعبير أن حركة الإنسان إذا كانت ليست مبنية على أمر من الدماغ هي ليست حركة دالة على الحياة وكذلك إذا أخرج منه بعض الفضلات لا إراديا فإن ذلك لا يدل على حياة ، ويعتبر هذا كما قالوا من ارتخاء المواسك ثم من قديم ربط بعض الفقهاء بين نشاط الدماغ في إعطائه الأوامر وتلقي الأجهزة عنه أعطوا هذا التحديد صفة الحياة وإذا كانت الحركة لا تنبني على طاعة هذه الأوامر الواردة من الدماغ لا يعتبرون ذلك حياة عند بعض .

الأمر الثاني :

الذي أردت أن أضيفه إلى ما ورد هو قضية نقل الأعضاء ـ قضية نقل الأعضاء تعرض إلى قريب منها الفقهاء قديما وهي وجود الإنسان في حالة اضطرار يؤدي به إلى الموت أيجوز أن يأكل من أعضائه .

أيجوز له الأكل من أعضاء غيره الحيّ تعرضوا لها بكامل الشجاعة فقالوا إن الإنسان له أن يأكل من أعضائه ليستبقي حياته ، أما من أعضاء غيره فقالوا إنه على قسمين إما أن يكون معصوم الدم أو غير معصوم الدم ونعني بغير معصوم الدم هو المحكوم عليه بالإعدام شرعا فهذا يجوز الأكل من أعضائه بل قال الإمام الشافعي يجب قتله والأكل منه وكذلك ما يراه المسلمون من غير معصوم الدم الحربيين هذه ناحية أولى .

الناحية الثانية هو أن الإمام الزركشي في قواعده أريد أن أقرأ القاعدة العامة بتمامها يقول الزركشي : قال الإمام في باب صول الفحل لا خلاف باستحباب الإيثار وإن أدى إلى هلاك المؤثر وهو من شيم الصالحين فإذا اضطر وانتهى إلى

المخمصة ومعه مايسد جوعته وفي رفقته مضطر فآثره بالطعام فهو حسن وأريد أن أقف عند الجملة التالية وكذا القول في سائر الإيثارات التي يتدارك بها المهج وأورد في باب التيمم من الفروع المضطر إن أراد الإيثار بما معه باستحياء مهجة أخرى كان له الإيثار وإن خاف فوات مهجته - إذاً قضية نقل الأعضاء بالنسبة للإنسان الذي هو في حالة احتضار ، أو أخذ بعض الأعضاء منه ليست مسألة قاطعة في حرمتها ولكنها هي مسألة في محل الاجتهاد مع أني لا أخفي إن قضية الاجتهاد (كما تفضل الشيخ بدر المتولي) في هذا الموضوع هي من أخطر القضايا التي يرتعش لها الفقيه ارتعاشا كبيرا .

* الدكتور مصطفى صبري :

إن الأساتذه الأجلاء قد بحثوا الموضوع وأنا أريد أن أضيف سؤالين :

(أولا) هل يحق للشخص أن يوصي بأعضائه في الحياة لما بعد الموت ؟

(ثانيا) هل تسمح الشريعة بالتصرف في الأعضاء أو الجسم بأي حال من الأحوال هذه الأسئلة أريد أن أعرفها - أنا لن أستطيع أن أجيب عنها والسلام عليكم ورحمة الله .

* الدكتور / محمد نعيم ياسين :

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادى له ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله :

أخي الرئيس : إذا سمحت والله الذي فهمت من خلال إدارتك للجلسة أنك تعطي للإنسان الحق أن يتكلم فيما يخالف فيه يعني في كل ما يخالف فيه ، وليس هنالك وقت محدد للكلام .

ـ الرئيس / الدكتور عبد العزيز كامل :

فيما يتعلق بالوقت أظن هناك عرف بيننا يا دكتور / نعيم . . لو أذنت لي المطلوب إضافة جديد يكون قد أغفله الذين تحدثوا أو رأى تنفرد به .

ـ الدكتور / نعيم :

ما بالك إذا كان البحث إضافات وآراء ننفرد بها .

ـ الرئيس :

تفضل .

ـ الدكتور / نعيم :

قبل أن أدلي بدلوي في هذه المسألة أشهد الله وأشهدكم جميعا أنني كنت تحت ضغط شديد لا يقل عن الضغط الذي ألاحظه عند كثير من إخواننا وأساتذتنا ضغط عاطفي شديد يضغط على أن أتبنى الرأى الدارج وهو أن القلب ونبض القلب والنفس الذي يجري في العروق هي التي تدل على الحياة وقد وضعت والله خطة بحث على هذا الأساس وأخذت أفتش عن الدليل لهذه العاطفة ولكن تدرجت في الأدلة وأسلمت نفسي من دليل إلى دليل حتى وجدت نفسي في مسار آخر لا ترضى عنه العاطفة ، يرضى عنه دليل عقلي ولا ترضى عنه العاطفة فاعتذرت لعاطفتي وخرجت بالرأى الذي ترونه في البحث إن شاء الله ووالله أعيد وأكرر عليكم أنه لو حفر لي خندق مثل أخدود أصحاب الأخدود ووضعت فيه ما كنت في البداية أطيق أن أقول إن شخصا في قلبه نبض يجوز أن يؤخذ هذا القلب ، لكن هكذا أداني الدليل ووالله بعد أن أداني الدليل إلى هذا لا أستطيع أن أتنازل عنه إخواني .

إن الدور الحاسم في هذه القضية هو للأطباء والشرعى يأخذ من الطبيب الواقع فقط ويعطيه الوصف الشرعي أو الحكم التكليفي والمسلمون مجمعون على أن حياة ابن آدم تنتهي في اللحظة التي تفارق فيها الروح جسده أحسن منطلق في

نظري هو استحضار تصور علماء المسلمين عن الروح من حيث وظائفها وعلاقتها بالجسد لنحتفظ به إلى أن نضع بجانبه تصور إخواننا الأطباء المسلمين الموثوقين عن كيفية قيام الإنسان بوظائفه المتميزة ، فما خصائص الروح عند المسلمين وكيف يقوم الإنسان بوظائفه في هذه الحياة عند الأطباء ودور المخ في ذلك ثم نقوم بعد ذلك بإجراء مقابلة بين التصورين الشرعي والطبي لنخرج بعد ذلك إن شاء الله بنتيجة محددة في هذا الموضوع؟هذا هو أسلوب البحث لا أريد أن أفسر عليكم ما قاله الأطباء والعلماء المسلمون في خصائص الروح ولكن أريد أن أعطيكم ملخصاً وكل كلمة أقولها في هذا الملخص لها أدلة في عشر صفحات تسبقها . فخلاصة ما قاله علماء المسلمين في مسألة الروح وعلاقتها بالبدن الإنساني أن الإنسان في تصورهم جسد وروح ولا يكتسب وصف الإنسانية بواحد من العنصرين دون الآخر وأن الجسد مسكن الروح في هذه الدنيا طوال فترة الحياة المقدرة للإنسان وأن العلم والإدراك والحس والاختيار هي أهم وظائف الروح . العلم والإدراك والحس والاختيار سواء وظيفة الجسد بكل ما فيه من أعضاء وأجهزة وأنظمة لخدمة الروح والانفعال لتوجيهاتها وليس لها وظيفة أخرى في فترة حياة الإنسان وأن الروح تقوم بجانب كبير من وظائفها بواسطة الجسد وتقوم بجانب آخر بدون وساطة الجسد وأن الجسد الإنساني لا يصدر عنه أي نشاط اختياري في هذه الدنيا من أمور اختيارية هو بتأثير الروح بما أودعه الله سبحانه وتعالى فيها وأن الموت معناه مفارقة الروح للجسد هذه العبارة أرجو أن تضعوا تحتها خطاً وأنه يحصل يعني مفارقة ـ أو تحصل مفارقة الروح للإنسان عند صيرورة الجسد عاجزا عن الانفعال للروح .

متى ترحل الروح عن الجسد عند علماء المسلمين ؟ قالوا عندما يصبح الجسد عاجزا عن الانفعال لأمر الروح وإن وجود أي نوع من الحس والإدراك والحركة الاختيارية يدل على بقاء الروح في الجسد الحركة الاختيارية وغياب هذه المظاهر غياباً كاملا يدل على مفارقة الروح للجسد وأن مجرد وجود حركة اضطرارية لا معنى له سوى وجود بقايا الحياة المجردة التي أشار إليها الدكتور/ حسان حتحوت في

الندوة السابقة .

ثانيا تصور علماء المسلمين إذا أحد منكم شك فيما نقلته من هذه التصورات ، فهذه عشر صفحات سابقة ذكرت فيها لكن أريد أن ألخص عليكم الوقت لو قلتم لي أن آتي بالدليل أنا آتيكم به . الآن ماذا فعل الأطباء أنا لست طبيبا لكن من خلال مطالعاتي لأبحاثهم ومن خلال علاقاتي الشخصية ذلك هو دور علماء الإسلام واجتهاداتهم حول معنى الحياة والموت وأما دور أهل الاختصاص فالذي يظهر لنا منه بصورة إجمالية وليس لنا أن نفصل ذلك ليس اختصاصنا أن الجسد الإنساني الحيّ هو مجال بحثهم وأنهم في سبيل المحافظة عليه وتقديم المعونة له من أجل تمكينه من القيام بوظائفه قاموا بدور جليل يحمدون عليه فكشفوا الستار الذي ظل مسدلاً آماداً طويلة على كثير من جسد الإنسان فتعرفوا على أعضائه وتعرفوا على أجهزته والأنظمة التي تسير عليها وعلاقة بعضها ببعض وتوقف بعضها على بعض ووظيفة كل منها وأهميتها ومن أهم معالم الدور الذي قام به إخواننا الأطباء أنهم تمكنوا من التعرف على الكيفيات التي يؤدي بها ذلك الجسد كثيرا من وظائفه كالحس والإدراك والحركة وغير ذلك ووضعوا بدقة كبيرة العمليات الداخلية التي تتم بها كل وظيفة من تلك الوظائف وما يحدث في الجسم عندما نبصر أو نشم أو نتألم خطوة خطوة حتى تتم العملية كلها ومن أخطر ما توصلوا إليه اكتشاف العضو الذي يقع من أعضاء الجسم وأجهزته المختلفة مركز القائد المتحكم الذي يعتبر صلاحه شرطا لتمكن أي عضو آخر من القيام بوظيفته ألا وهو المخ وقد أفادوا وجزاهم الله خيرا إنه ما من عملية إرادية يقوم بها أي عضو من أعضاء الجسم وإذا كنت مخطئا طبعا سيصحح لي إخواني الأطباء أي عملية إرادية يقوم بها أي عضو من أعضاء الجسم يكون مصدرها نشاطا معينا يقوم به المخ وإنه هو الأساس في كل ذلك وإن أي تلف جزئي فيه يقابله عجز في أعضاء وأجهزة معينة وأن عجزه الكامل سبب حتمي لعجز بقية أعضاء الجسد عن القيام بجميع وظائفها الإرادية كذلك أفادوا أنهم يستطيعون بواسطة الأجهزة الحديثة تشخيص حالة هذا العضو الرئيسي إجمالا

وتفصيلا وتحديد مدى قدرته على مزاولة نشاطاته وإدراك نوعية عجزه وتحديد ما إذا كان العجز مستمرا أو غير مستمر قابلا للعلاج أو غير قابل وبالتالي تحديد حالة الجسد الإنساني ومدى قدرته على القيام بالأعمال الإرادية ومن أخطر ما أنجزوه تمكنهم من المحافظة على أصل الحياة التي سماها البعض الحياة الخلوية في أعضاء الجسد الإنساني وهي في معزل عن الروح وعن الجسد وعن الدماغ ونقل هذه الأعضاء من جسد إلى جسد آخر هذا دور الأطباء تعالوا نضع الاثنين في أنبوبة اختبار وماذا تكون النتيجة .

الحقيقة هنا ملخص لهذا المزج عندي التفصيل يقع في صفحتين ونصف والملخص في نصف صفحة من البحث تستطيعون أن تفتحوا الكتاب الذي بين أيديكم وتصححوا لي استنتاجاتي إذا أردتم فإن أقررتموني على هذه الاستنتاجات فنلتزم بنتيجتها أنا أعددت جدولا فيه آراء علماء الشرع عن الروح وعلماء الطب عن وظائف الإنسان والنتيجة هذاملخص لكن الكلام الحقيقة الذي في داخل البحث يعطي صورة أوضح بكثير فلا أدري وأنا أتبع اختيار الرئيس في هذا الأمر بعض أساتذتنا الكرام وإخواننا يطالبون بقراءة الجدول الذي في صفحة ٣١ أولا . إن كان الأمر كذلك فإني أدعوهم لقراءة المحصلة في الجدول .

علماء الشرع	علماء الطب	النتيجة
١ ـ الروح هي التي تدرك مختلف المدركات .	عمليات الحس والإدراك تتم في مخ الانسان	الروح تدرك المدركات باستعمال المخ
٢ ـ الروح هي التي تتصرف بالجسد في جميع حركاته الاختيارية .	المخ هو الذي يسيطر على بقية أعضاء الجسد في حركتها الاختيارية .	الروح هي التي تتصرف بالأعضاء بواسطة المخ .
٣ ـ علامة اتصال الروح بالجسد الحس والحركة الاختيارية وقد ضرب بذلك مثالين الأخوين الكريمين د . عبد الله محمد والأستاذ الكبير باسلامه .	علامة صلاحية المخ الحس والحركة الاختيارية .	علامة اتصال الروح بالجسد صلاحية المخ .
٤ ـ علامة مفارقة الروح للجسد غياب الحس والحركة الاختيارية بصورة نهائية .	علامة موت المخ غياب كلي نهائي للحس والحركة الاختيارية .	علامة مفارقة الروح للجسد موت المخ بصورة نهائية لا انعكاس فيها .
٥ ـ الحركة الاضطرارية لا تدل على اتصال بالجسد وهذا ما تفضل به الأخ الكريم .	الحركة الاضطرارية لا تدل على صلاحية المخ لا كليا ولا جزئيا وقد سألت البارحة عن حركة القلب الإرادية لهذا المعنى القلب إرادية فأفادنا الدكتور/ أنها ليست إرادية .	الحركة الاضطرارية لا تدل على حياة أو موت الإنسان .

ألغي بند رقم ٦ لأنكم لن تتفقوا عليه في بداية الإنسان وحياته .

ـ النتيجة النهائية والتي وصلت إليها في صفحة ٣٠ والتي تحتها خط .

والذي يغلب على الظن في تفسير علاقة الروح بالجسد بصورة عامة ، والمخ بصورة خاصة ، على ضوء ما استقيناه من تصور علمائنا المسلمين ، الذي يمتد بجذوره إلى كثير من النصوص .

ومن النتائج العلمية التي توصل إليها أهل الاختصاص في تفسير نشاطات الأعضاء ، الذي يغلب على الظن أن الجسد الإنساني الحي ، بما فيه من مخ وأعضاء أخرى عبارة عن تجمع دقيق من الآلات الحيوية المتشابكة بأسلوب معجز ، جعله الباريء في خدمة مخلوق عاقل نفخه الله في ذلك المجمع الحيوي اسمه الروح في مصطلح القرآن والسنة ، وأن هذه الروح تسيطر على ذلك الجسد الحي في هذه الدنيا بواسطة المخ ، فهو يشتغل بتشغيلها له وينفعل بتوجيهاتها فيحرك أعضاء الجسد الأخرى ، فيرسل عن طريقها ما تريد الروح إرساله ، ويستقبل عن طريقها ما تريد الروح استقباله ، فتقرأ الروح ما يتجمع في الدماغ وتصدر الأحكام والنتائج في صورة تصرفات إنسانية المخ إذا أصابه تلف جزئي عجز بصورة جزئية عن الانفعال لأوامر الروح وظهر ذلك العجز الجزئي على بعض الأعضاء ، وأثمر بالتالي عجزاً جزئياً عن ممارسة التصرفات ، والمخ إذا أصابه تلف كامل بسبب ما يطرأ عليه مما سماه علماؤنا بالأخلاط الغريبة التي تبدأ بالأمراض والحوادث مما يعرف تفصيلاته أهل الاختصاص، إذا حدث ذلك للمخ كان عاجزا بصورة كلية عن الاستجابة لإرادة الروح وعجزت سائر الأعضاء أيضا بعجزه فإن كان هذا العجز نهائيا رحلت الروح عن الجسد بناء على قول علمائنا إنها ترجع عن الجسد عندما يصبح الجسد عاجزاً عن الانفعال لها في أي شيء من الانفعالات في رحلة جديدة لا نعلم منها إلا ما علمنا ربنا عن طريق المصطفى عليه الصلاة والسلام وليس مجال تفصيله في هذا البحث .

وأنا أقول لإخواني الفقهاء ألقوا المسئولية على عاتق الأطباء إذا استطاعوا أن يعرفوا وقوع الموت بما لم نعرفه .

وعندي مثال سوف يشكك كل الإخوة أضرب لكم هذا المثال وهو أرجو أن تتحملوه ولو أخذت بعض وقتكم وأثقلت عليكم .

ـ إنسان حكم عليه بالإعدام بالسجن في السعودية ، وله ولد حكم الأطباء بصورة قطعية أن قلبه تالف ولا أمل له في الحياة إلا بتعويضه عن قلبه بقلب سليم فتبرع الوالد الراحل المحكوم عليه بالإعدام بقلبه بعد تنفيذ الحكم عليه يعني أوصى لولده المريض وفور تنفيذ الحكم عليه كان الأطباء يعرفون في السعودية أو في الكويت ، وفور تنفيذ الحكم عليه وفصل رأسه عن جسده تلقّفه الأطباء وحفظوا الجسد المفصول بما فيه من قلب وغيره بوسائلهم وزودوه بما يلزم للحفاظ على حياة الخلايا فيه ويبقي القلب المفصول بالأجهزة نابضاً . في هذه الحالة هل يمتنع في حكم الدين أن ينقل هذا القلب النابض إلى ذلك الولد المبتلى بقلب يوشك أن يخمل ويتوقف نبضه ؟ وهل يستطيع أحد أن يدعى بقاء الروح في هذا الجسد الذي استطاع الطب المحافظة على الحياة في خلاياه ؟ وهل يعتبر في حكم الشرع مجرما ذلك الطبيب الذي ينزع ذلك الجسد من الأجهزة التي تحافظ على الحياة في خلاياه ؟ لا أعتقد ـ صبركم إخواني إن أقررتم معي فسوف تجدون أنفسكم في النتيجة التي أستنتجتها إن شاء الله ـ لا أعتقد أن أحداً يقول ببقاء الروح في جسد بلا رأس ، مهما كانت خلاياه حية وأما نقل بعض أعضاء ذلك الجسد فقد يتمسك متمسك بالمنع مستنداً إلى حرمة الميت في شرع الله تعالى ، ولكن هذه الحرمة إنما هي مقدرة لحق العبد وله أن يتنازل عن حقه ممكن يأذن فيها في حياته يوصي بها وعلى أية حال فإن حرمة الميت ليست أشد ولا أكثر من حرمة الإنسان الحي الذي أفتى كثير من علمائنا بجواز نقل بعض الأعضاء خلال حياته برضاه كالكلية مثلا ولا شك في أن حاجة الإنسان الحي إلى كليته بل إلى أظفره أشد من حاجته أو أشد من حاجة جسد مفصول عنه الرأس إلى القلب الموجود فيه . وكأني ببعض الإخوة الكرام من إخواننا الفقهاء يقول إن هذا المثال الذي ضربته يختلف عن حالات موت الدماغ

بأن المخ فيه قد ذهب إلى غير رجعة وانفصل عن الجسد بينما الصور التي نناقشها في هذه الندوة يفترض فيها بقاء الدماغ في الرأس المتصل بجسد على كل حال لو قالوا هذا الكلام سآخذ منهم حكماً جزئياً هو السماح بنقل قلب ذلك المقطوع الرأس .

مثال آخر : شخص أصيب بسكتة قلبية أو إنسان احترق بالنار حتى صار جسده رماداً كلاهما ميت ولا ومضة أمل في حياته ولا فرق كذلك بين دماغ ذهب وانفصل عن جسده ودماغ حكم أهل الاختصاص قطعا أنه ماتت خلاياه جميعا وليس الفرق في حقيقة الأمر إلا من حيث وضوح الموت في الحالة الأولى لكل ناظر وعدم وضوحه في الحالة الثانية إلا لأهل الاختصاص .

وهذا فرق غير مؤثر في الحكم قطعا لأن عدم إدراك الإنسان غير المختص لواقع معين ليس له أثر في نفس هذا الواقع وإنما يكون الأمر في ذلك للمختصين . وهذه قاعدة مقررة ألا يرى أن المبصر لو شهد برؤية مالا يدرك بوسيلة أخرى غير البصر ونفى ذلك أعمى فالحكم يبنى على شهادة المبصر ولو أن الأحكام توقفت على إدراك كل الناس للوقائع كان هذا تعطيلا لكل حكم . وأخيرا قد يجادل المجادل المتعنت بأن المثال الذي ذكرته فيه فرق آخر وهو أن المحكوم عليه بالإعدام لا حرمة له لأنه مهدر الدم وهذا فرق آخر لا قيمة له أيضا ولا أثر له في الحكم الذي ذكرناه لأن المحكوم عليه بالإعدام غير محكوم عليه بخلع قلبه من صدره وهذا أمر زائد عن العقوبة وهو من المثلة المنهى عنها لو تجرد عن إذن صاحبه وعن غرض مشروع . وعلى أية حال فإن هذا مجرد مثال والواقع قد يتمخض عن أمثلة كثيرة وخاصة في هذا الزمان الذي تضاعفت فيه الأخطار على حياة ابن آدم وهو متصور في حوادث السيارات والطائرات والقطارات وهو متصور في الحروب . والآن جاء في ذهني صورة لو أن الجيش المسلم وهو يقاتل معه جهاز طبي كامل يستطيع أن يأخذ مثلا الكلى والقلوب ويحفظها ويعطيها للجنود الآخرين الذين يكونون بحاجة إليها . وهذه الأمثلة هي لتأكيد أصل القضية وأنا خائف أن يطلع أحد بفرق من الفروق في الحقيقة وعلى كل حال أنا أدعو للزملاء بالخير على سماع ما قلت فإن كان خطأً فهو

إن شاء الله خير من روحي الخيرة وأذكركم بقول رسول الله ﷺ إذا اجتهد الحاكم فأصاب فله أجران وإن أخطأ فلا تجعلوا أنفسكم أقسى أبدا من ذلك - إذا كنت أخطأت فلي أجر عند الله ولا أستحق لومكم أبدا وإن كنت أصبت فأجري عند الله سبحانه وتعالى . والله العظيم ما دفعني إلى هذا إلا إحساس بأن كثيرا من إخوتي لم يقرؤوا البحث ولو أحسست أنهم قرؤوه ما كنت أمامكم وشكرا .

- الرئيس (الدكتور عبدالعزيز كامل):

أشكر للزميل الأستاذ الدكتور / محمد نعيم ياسين على جهد كبير في الإعداد وحماس وإيمان بما قال وتلخيص وتكثيف لكل ما قاله في الجدول الذي قدمه إليكم وأكاد أعتبره جدول الأعمال في الجلسات الأخيرة ولا أريد أن أشق عليكم بمزيد من القول ولكن بين يدي أموراً يمكن أن تحول إلى جلسة ما بعد الظهر تبقى من البحوث المعروضة بحث للأستاذ الدكتور / عبد الفتاح عثمان الرؤية السيكولوجية أو الإجتماعية لموضوع الموت والحياة وتعقيب من الأستاذ محمد فؤاد توفيق ويهمنا هذان الموضوعان لأنني قلت إننا لسنا طرفين وإنما ثلاثة ، فهؤلاء إنما يتكلمون عن غير الأطباء وعن غير الفقهاء ، يتكلمون باسم المجتمع وباسم القانون فإذا أذنوا فليكن حديثهم في أول جلسة مقبلة إن شاء الله ونكتفي الآن بما سمعنا على أن يبدأ الحوار في جلسة ما بعد الظهر إن شاء الله شكرا لكم جميعا على الحضور وعلى الاستماع وعلى العرض وعلى الحوار .

الجلسة السادسة

عقدت الجلسة السادسة الساعة الرابعة بعد الظهر برئاسة الدكتور خالد المذكور وحضور الدكتور يونس المفتو نائبا للرئيس والدكتور علي السيف مقررا حيث خصصت الجلسة بالكامل للمناقشات الفقهية حول تحديد نهاية الحياة الانسانية وموقف الشرع من ذلك وكذلك موقف الشرع من توقيف أجهزة الانعاش الصناعي في الحالات المختلفة .

وانتهت الجلسة الساعة الثامنة والنصف مساء .

المحرر

المناقشات

*** الرئيس (الدكتور خالد المذكور) :**

ـ أما بعد السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ونبدأ بالذي هو خير . اللهم لا سهل إلا ما جعلته سهلا وأنت تجعل الحزن إذا شئت سهلا . كنت قد حضرت في نهاية الجلسة الماضية فلما سمعت ما دار بها من نقاش قلت إن مهمتي ستكون صعبة ولذلك بدأت بهذا الحديث وبهذا الدعاء إن شاء الله . الدكتور / عبد الفتاح عثمان لم يكن الوقت كافيا في الجلسة الماضية لكي يقدم بحثه وهو قد كتب . وهو بحث برؤية سيكولوجية وهو من القاعدة الشعبية . وإذا كان هناك أسئلة من السادة العلماء للسادة الأطباء قبل أن نفتح باب المناقشة في هذا الموضوع موضوع نهاية الحياة ، فإذا كان هناك أسئلة واستيضاحات حول نقط معينة فليتفضلوا حتى نسجل الأسماء . . . أنا قصدي أسئلة العلماء للأطباء ثم بعد ذلك إذا كانت هناك نقط توضيحية يتقدم بها الأطباء للعلماء فإذا كان أحد من السادة العلماء يود أن يستوضح أو يسأل فليتفضل :

*** الدكتور / محمد شبير :**

بسم الله الرحمن الرحيم

نحن سمعنا في جلسة الصباح أن موت جذع المخ لا يدل يقينا على الموت وخاصة من الدكتور / حسان ونريد أن نتأكد من هذه النقطة .

السؤال : ما هي الفترة التي يستمر فيها القلب بالنبض بعد موت جذع الدماغ في حالة رفع الأجهزة ؟

*** الدكتور / حسان :**

نحيل هذه الأسئلة إلى الدكتور / مختار فيمكن أن يجيب على هذه الأسئلة .

* **الدكتور / مختار المهدي :**

بسم الله الرحمن الرحيم

أعتقد بعد البحوث الكثيرة التي عملت في فترة السنوات الأخيرة اتضح منها نهائيا وبصفة قاطعة أن وفاة جذع المخ هي وفاة للإنسان نهائية ، أما عن الفترة التي يستمر فيها النبض مع رفع الأجهزة من البداية ـ ومن أمثلتها عملية الشنق فهي وفاة لجذع المخ فورية ويستمر النبض من ثلاث إلى أربع دقائق .

* **الدكتور / عمر الأشقر :**

أنا أريد أن أسأل السؤال الثاني الذي سأل عنه الدكتور / محمد الأشقر ولم يجب عليه ، وهو إذا كان الإنسان قد مات جذع مخه حكمنا عليه بأنه قد مات والأجهزة تشتغل ، إذا رفعنا هذه الأجهزة ثم توقف القلب نهائيا هل يمكن أن نستفيد من القلب بشكل طبيعي ؟ هل يمكن أن نستفيد منه وفي أي مدى ساعة ساعتين خمس ساعات ست ساعات بعد توقف القلب ؟

* **الدكتور / مختار :**

من المبادىء العامة في عملية زراعة الأعضاء البشرية أن تنقل هذه الأعضاء بدون أن يحدث فيها أي تلف نتيجة نقص الأكسوجين أو نقص الغذاء ، وكلما كان ذلك في أثناء الدورة الدموية كان ذلك أحسن ، وإذا تأخر ذلك بعد توقف الدورة الدموية بفترة فهذا العضو يفسد ولا ينفع للزراعة .

* **الدكتور / الأشقر :**

لو كان بعد ما توقف بخمس دقائق مثلا عشر دقائق .

* **الدكتور / صلاح الددح :**

ـ عند توقف الدورة الدموية إذا كان ضغط الدم عند المريض طبيعياً وهو في سكتة قلبية مفاجئة فإمكانية أخذ عضو لكي يزرع لآخر لا تتجاوز وقتا كبيرا من بين خمس عشرة إلى عشرين دقيقة فقط .

وأعتقد أنه لا يوجد هناك وقت كاف لترتيب أخذ العضو من هذا الإنسان لكي ينتفع به غيره ، لأنه يحتاج إلى معاملة الإنسان في هذه الحالة معاملة إنسان حي مائة في المائة لأنه يمر بتعقيم وإجراء جراحي . ولذلك فإن عامل الوقت هنا مهم جدا حيث تبدأ الخلايا في التحلل وهنا لا ينفع أخذ العضو في هذه الحالة .

*** الدكتور / ابراهيم الصياد :**

لأني كنت في لجنة عن زرع الكلى وكانت مهمتي التوعية بموضوع زرع الكلى فطلبنا من دكتور / جورج أبونا أن يعطينا الرد المحدد لكل عضو من الأعضاء . كم يعيش بعد الوفاة وكم يتاح له أن يتدخل ؟ فكان بالنسبة للكلى من ساعة إلى ساعتين . وهذا يقودنا إلى موضوع معين تختلف مقدرة الأعضاء على تحمل الحرمان من الأكسوجين من عضو إلى عضو حسب خواص النسيج . أرق الأعضاء وأشدها حساسية لغياب الأكسوجين هو المخ وقشرة المخ بالذات ، ثم بعد ذلك حامل اللواء في الجيش آخر من ينهار ـ حامل اللواء هو جذع المخ آخر ما ينهار في المخ هو جذعه .

لذلك إذا قلنا إن جذع المخ قد انهار فمعناه أن كل ما هو فوقه من القشرة إلى الجذع قد انهار لأنه أكثر أجزاء المخ صلابة ومن هنا كان تعميمنا على أن وفاة جذع المخ تعني وفاة باقي أجزاء المخ لأنه أقواها وأقدرها على التحمل لكن الأنسجة العصبية أكثر حساسية من غيرها ، العظام والغضاريف تعيش فترات طويلة العضلات فترة أقل ، القلب في حد ذاته يتكون من نسيج عضلي وأعصاب تحكم هذا النسيج العضلي ـ الأعصاب ذات الحركة الأتوماتيكية التي سأل عنها الدكتور / نعيم ياسين والتي تعطيه الذاتية الإنقباضية التلقائية اللاإرادية تتوقف قبل العضلة نفسها بحيث يمكن أن تظل عضلة القلب كألياف عضلية حية حتى بعد أن تتحلل العقدة العصبية الحساسة التي تعطيه الذاتية الانقباضية فكل نسيج يختلف عن النسيج الأخر في مقدرته في الغياب من الأكسوجين ، ولكن كل هذه الحياة حياة عضوية واستكمالا لكلام الدكتور نعيم ياسين ـ حياة لا يمكن أن تعتبر بها روح

وإنما تعتبر خالية من الروح . لذلك أقترح أن تجعل ورقة الدكتور / ياسين أساساً لنا ونبني عليها لأن ما فيها يرضي الأطباء تماما وتشعرنا أن الفقهاء قد تفهموا ما نريد أن يتفهموه .

*** الدكتور / توفيق الواعي :**

ـ أسأل هل الحياة الموجودة تحت الأجهزة بعد موت جذع الدماغ تتبدل فيها الخلايا لأن الخلايا الجسدية تموت ثم تستبدل بغيرها يعني أن هذه الحياة فيها هدم ثم بناء أم يتوقف فيها الهدم ثم البناء وشكرا .

*** الدكتور / أحمد القاضي :**

تختلف درجة الهدم والبناء من نسيج إلى آخر فيوجد بعض التجديد من هدم وبناء في بعض الأنسجة ولا يتوفر في الآخر .

ويجب أن نفهم أن الإبقاء على الدورة الدموية بشكل صناعي يعني التنفس الصناعي ، وبدون تحكم جذع المخ في انقباضات الشرايين وانبساطها يكون أقل فعالية من الحالة الطبيعية للجسم ، ولذلك بعد فترة أيام في العادة تنهار الدورة الدموية بالرغم من الأجهزة ، ولكن في هذه الفترة يوجد شيء من الهدم والتجديد في بعض الخلايا مثلا الشعر ينمو بدون أجهزة صناعية بعد الموت لمدة يوم ، بعض الأنسجة الأخرى تتجدد مع المحافظة على الدورة الدموية ولكن ليس بنفس الدرجة الطبيعية أثناء حياة الإنسان .

*** أحد الحاضرين**

ـ سمعنا من أخ من إخوتنا الدكاترة في الصباح ولعله الدكتور / مختار أن هذه الأجساد عوملت معاملة سريرية فظلت خمسة عشر عاما على هذا ، فيها هدم وبناء . إذا كانت الحياة سريرية يعني حياة منتظمة فالحياة إذا مات جذع المخ وهي تحت الأجهزة فيها هدم وبناء أم انحلت ؟

* الدكتور / أحمد القاضي :

هدم وبناء محدود في بعض الأنسجة .

* المستشار عبد الله العيسى :

لو سمحت بسؤال : المعروف أن جسم الإنسان بعد الوفاة يبدأ بالتعفن خلال فترة معينة حسب حالة الجو ، خاصة إذا لم يكن تحت أجهزة ولا هو في ثلاجة . والسؤال بالنسبة لجذع المخ . والمخ بكامله في الحالات العادية في حالة الوفاة العادية التي بدون أجهزة متى يبدأ المخ في التعفن ثم هل المخ إذا كانت هناك أجهزة يتعفن أو يظل صالحاً محتفظاً بحيوية القيادة ؟

* الدكتور / عصام الشربيني :

أحب أولا أن أجيب على سؤال الدكتور / توفيق وهو إننا قلنا في كل الأبحاث إن حالة الغيبوبة ليست حالة وفاة جذع المخ فممكن أن يكون هناك إنسان حي بالمقاييس الطبية وجذع المخ حي وهو في حالة غيبوبة ، كل ما قلناه إن من شروط تشخيص جذع المخ أن يكون في غيبوبة فهذه واحدة ـ الناحية الأخرى عن استمرار حياة الأنسجة فهم بعض السادة الفقهاء من كلام الدكتور / حسان وقال أنا لن أفهم هذا الكلام والدكتور / حسان يستطيع أن يصحح أن موت جذع المخ شيء لم يستقر بعد عند الأطباء ولا زال محل بحث في امريكا وانجلترا والمانيا وإلى هذا الذي أعلم ويعلم الأطباء أن موت جذع المخ شيء يقرر به موت الإنسان استقر عليه الطب وقد ذكرت إن من آخر هذه الدراسات دراسة مؤتمر كلية الأطباء البريطانية سنة ١٩٧٦م وصدر عنه تحديد علامات تشخيص موت جذع المخ حتى بدون رسم المخ الكهربائي وما إلى ذلك ، وبعد عام من صدور القرارات أصبحت أوامر مستديمة للسلطات الصحية البريطانية ما يماثل وزارة الصحة هنا .

بالنسبة لموت الأنسجة صدر في سنة ١٩٦٨م عن اتحاد الأطباء العالمي أن الموت على مستوى الخلية أو مستوى الأنسجة عملية تدريجية ، والأنسجة تختلف في تحمل حرمانها من الأكسوجين ، وليس المهم تحديد موت الأعضاء المختلفة أو مجموعات الخلايا ، وإنما المهم التأكد من أن عملية الموت قد وصلت إلى نقطة لا يمكن عندها وقفها مهما استعمل من وسائل الإنعاش وأن وجود عضو أو مجموعة من الخلايا لا يعني بالضرورة أن الكائن ذاته حي وأن أصل منشأ فكرة موت جذع المخ في بدايتها إنه لما استعملت أجهزة الإنعاش وأجهزة التنفس الصناعي على المصابين وجدوا أن المخ يبدأ في التحلل والقلب يضرب .

* الدكتور / مختار المهدي :

موضوع تعفن المخ متى يحصل ؟ وهل ثمة اختلاف مع استعمال الأجهزة ؟ موضوع التعفن المقصود به هو نمو خلايا بكتريا هي بكتريا التعفن ، وهذه عند الوفاة تحدث في الأمعاء لأن هذه البكتريا موجودة فيها ، ولكن في المخ لا يوجد بكتريا أو المفروض لا يوجد بكتريا فلا يوجد تعفن ولكن يوجد تحلل ، هذا التحلل يبدأ منذ وفاة المخ وليس له أي دخل باستعمال الأجهزة .

ويحضرني هنا كثير من الحالات أجرى لها الصفة التشريحية وعند فتح الجمجمة كان المخ قد تحلل تماما بالرغم من أن القلب وقف منذ فترة بسيطة وكان المخ مثل اللبن سائلا تماما تحلل وأصبح سائلا تماما وشكرا .

* فضيلة الشيخ / بدر :

سمعت سؤالا موجها من ابني الدكتور / عمر الأشقر ولم يجب عليه بصراحة سؤال مهم جدا ستبنى عليه أحكام حول المدة التي يستطيع الطب الآن بعد توقف القلب أن ينتفع بالقلب .

ـ الرئيس (الدكتور خالد المذكور):

نسمع سؤال الشيخ / عبد الرحمن ويعني نجيب إجابة واضحة

* الشيخ / عبد الرحمن عبد الخالق :

سؤالي إضافة إلى هذا الموضوع كيف يحكم الأطباء على موت جذع المخ أو ما هي الطريقة التي يحكمون بها أن هذا المريض قد مات جذع المخ فيه ؟ والقضية الثانية هل يمكن أن يختلف في هذه القضية أم هي محل اتفاق وهي قضية يقينية ؟

* الرئيس (الدكتور / خالد المذكور) :

سمعنا الآن سؤالين سؤال بالنسبة للمدة بعد توقف القلب وسؤال بالنسبة لموت جذع المخ ـ المدة .

* الدكتور / ابراهيم الصياد :

بالنسبة للسؤال : إذا مات القلب فكم من المدة نستطيع أن نستفيد ؟ إذا توقف القلب مدة الاستفادة تعتمد على حالة الشخص الذي كان سبب موته وفاة جذع المخ إذا حصلت سكتة قلبية مفاجئة وكان ضغط الدم عنده طبيعيا فالوضع يختلف ، إذا توفى بعد هبوط في الدورة الدموية وضغط الدم نزل من ضغط طبيعي إلى صفر يختلف ، لأنه في فترة نزول ضغط الدم تقل كمية الدم وإمداد الدم والأكسوجين إلى عضلة القلب قد بدأ بالفعل عملية تلف في عضلة القلب ولذلك التوقيت المحدد بالتالي يعتمد على وضعه قبل الوفاة . أما بالنسبة للمدة فإذا كانت الوفاة مع بطء في ضغط الدم فهذا حتى لا يصلح .

وأما إذا حصلت فجائية فقد تحتاج إلى خمس عشرة إلى عشرين دقيقة في

القلب ، في الكلية ساعة حسب كفاءة الجهاز الطبي الذي ينتظر على العضو لأنها عملية ليست سهلة .

* المستشار عبد الله العيسى :

فهمنا أن هناك حالتين يعني في السكتة القلبية يعني لا يصلح في السكتة القلبية وضغط الدم الطبيعي ٢٠ على ٨٠ يصلح في وفاة سكتة قلبية ، ولكن بعد هبوط الدورة الدموية تدريجيا كأن ضغط الدم ينزل بالرغم من إعطاء أدوية ترفع ضغط الدم ينزل من ١٢٠ إلى ١٠٠ إلى ٩٠ إلى ٨٠ إلى ٧٠ إلى صفر هذا عضو لا يصلح أن يزرع لأي إنسان .

* الشيخ بدر : -

لو سمحتم هناك قاعدة شرعية اليقين لا يزول بالشك فأرجو أن تضعوا لنا مسألة يقينية حتى تبنى عليها أحكام يقينية - اليقين لا يزول بالشك والمسألة في منتهى الخطورة وأنا قلت لكم والله أنا سني الآن ٧٧ سنة ومرت على كثير من الفتاوي ، هناك حاجات ذات مشاكل كثيرة جدا وما وجدت نفسي في حرج كما أنا في هذه المسألة .

- الرئيس (الدكتور خالد المذكور):

هناك ما يحتاج لإيضاح ولعل الدكتور / القاضي يجاوب على الاثنين وهو إذا أخذ القلب أو العضو وكان ميعاده في الظروف العادية ليفسد عشرين دقيقة مثلا يعني ألا يمكن أن يؤخذ في العشرين دقيقة ويوضع تحت محاليل أو يحفظ حتى تستدر المدة . قال لنا الأطباء إنه ممكن معالجة هذا من تحاليل بانخفاض درجات الحرارة ممكن الاستفادة ، يعني ممكن أن تصل هذه المده لمدة أخرى تصل إلى أيام ، فهذه المعالجة تعتبر من الفترة الافتراضية لعمره يعني بالمعالجة تطول هذه المدة من ساعة إلى اثنين إذا كان المريض الآخر يتأخر فممكن إطالة هذه المدة بالتبريد أو بالمعالجة

بأحماض أو بشيء من هذا القبيل نرجو توضيح هذه النقطة .

* الدكتور / القاضي :

على أحسن الظروف مدة بقاء القلب هي من ٢٠ إلى ٣٠ دقيقة وهذا حد أقصى تحت درجة الحرارة العادية حتى يمكن استعماله وطبعا كلما وصلت المدة قرب الحد الأقصى الذي هو ٢٠ إلى ٣٠ دقيقة قل احتمال الاحتفاظ بوظيفة القلب الطبيعية . لكن الآن نستعرض الأشياء التي ستجرى في خلال هذه العشرين إلى ثلاثين دقيقة وسيظهر منها أن هذه الفترة قصيرة للغاية :

أولا : خمس دقائق من العشرين إلى ثلاثين تضيع داخل جسد الشخص الميت بين وفاة جذع المخ وانخفاض الضغط التدريجي حتى يتوقف القلب على الأقل دقيقة أو اثنتين أو ثلاثة على أحسن الظروف ، حتى يتأكد من توقف القلب وأخذ التصريح وما إلى ذلك ، ثم بعده هناك عملية جراحية وليست بالبسيطة وهي استئصال هذا القلب لأنه لا يستخرج بطريقة الجزارة وإنما لابد بشكل جراحي دقيق والدكتور / صلاح أشار إلى أنها عملية معقدة، قطع القلب ليزرع في مكان آخر وهذه عملية شاركت فيها شخصيا في الزرع وليس في القطع ، لابد أنها تكون باحتراس بدقة وإلا لم يصلح القلب للاستعمال وهذه تستهلك أكثر من نصف ساعة أحيانا وفي العادة أكثر من ذلك ، إذ لابد بعد توقف القلب من استعمال وسائل ضغط القلب التي هي بالتبريد وبالدورة الدموية الصناعية قبل أن يخرج من جسد الميت وإلا ستمر الفرصة المتاحة ، وهذا هو ما يحدث في أغلب الأحيان حين يتوقف جذع المخ أو يأتي المريض المصاب في دماغه في أغلب الأحوال بتوقف القلب ، إما أثناء الطريق أو عند وصوله إلى غرفة الطوارىء . ثم تبدأ عملية الإنعاش ويعود القلب للدق وتبدأ عملية الرعاية الصحية الصناعية أو الإنعاش الصناعي فإذا سواء توقف القلب في البداية ووضعناه على الأجهزة التي هي لحفظ القلب الآن وليس لحفظ الحياة وإنما لحفظ عضو القلب أو بدأنا بوقايته قبل أن

يتوقف القلب للمحافظة على الدقائق القليلة ، ويدأنا بعملية المحافظة على حياة القلب قبل أن يتوقف ما يحدث هو نفس الشيء تقريباً .

*** المستشار عبد الله العيسى :**

لدي سؤال يوضح الموضوع هل هناك سابقة أو حالة توقف فيها القلب وتم نقله أو زراعته في جسد آخر وصلح للحياة ؟

*** الدكتور / أحمد القاضي :**

نعم هذا ما ذكرته حالات كثيرة حصلت كذلك ولكن التوقف يكون لمدة بضع ثوان وأثناء عملية الإنعاش نفسها ، لكن لا بديل من وضع أجهزة الإنعاش على جسد الميت .

وإذا كان المقصود أن أنتظر وأبطل أجهزة الإنعاش حتى يتوقف القلب فيتيقن الموت باتفاق الجميع وبعدئذ تفتح فإن هذا يصلح مع زيادة المخاطرة .

*** المستشار عبد الله العيسى :**

أنا قصدي إذا كان هناك حالات واقعة فعلا ، نقل فيها قلب توقف عن النبض إلى جسد آخر ، سواء حصل التوقف في المستشفى أو بحادث سيارة . هل لو فرضنا هنا في حادث سيارة في الطريق مثلا هل هناك وقائع أو حوادث حصلت بالنسبة لهذا الأمر أو سوابق ؟

*** الدكتور / أحمد القاضي:**

نعم حدثت ولكن تزداد نسبة المخاطرات في عدم صلاحية هذا القلب للاستعمال يعني إذا سمحنا للقلب بالتوقف أولا وفي العادة لا يتوقف إلا بعد

انخفاض الضغط لفترة ، هذه الفترة فترة الانتظار حتى يتوقف القلب ثم بداية أجهزة الإنعاش تقلل من صلاحية القلب للاستعمال ، هي كلها مسألة نسبية ليست مائة في المائة فكلما عجلنا زاد احتمال صلاحية القلب ، وفي هذه الحالة إذا كانت عملية ضخمة مثل زراعة القلب ، وتعتمد عليها حياة المريض الآخر ينصح بتوفير أفضل فرصة لهذا القلب المزروع لأن يعمل بشكل صحي . ولذلك أي فرصة نضيعها بالتأجيل هذه الدقائق يمكن أن تكون هي الفارق بين قلب صالح للعمل وقلب نصف صالح أو غير صالح للعمل ولذلك لا ينصح بها .

* الدكتور / خالد المذكور :

الكلمة الآن للدكتور حسان على أساس أن ننهي أول نقطة بدأنا بها إذا كان هناك أسئلة من العلماء للأطباء وحتى نبدأ النقاش إن شاء الله موضوع المحاضرة .

* الدكتور / حسان حتحوت :

نحن أمام أمر من اثنين أن نستعمل وسائل الإنعاش الصحية الصناعية لحفظ القلب صحيحا لآخر لحظة منذ إخراجه من الجثة لوضعه في الجثة الأخرى هذه أحسن الفرص .

الخيار الثاني أن نوقف وسائل الإنعاش وندع القلب يهبط تدريجيا ما بين إيقاف الوسائل حتى توقف القلب ـ عندما تصل إلى اللحظة التي يتوقف فيها القلب يكون قد فقد خلال هذا نحواً من ٩٠ بالمائة من قدرته على الحياة .

ـ الرئيس الدكتور خالد المذكور :

السؤال الذي طرحه أصلا الدكتور / عمر الأشقر وعلق عليه فضيلة الشيخ بدر أرجو أن يكون واضحا عند العلماء حتى يبنوا عليه أحكاماً هل هو واضح الآن ؟

* الدكتور عمر الأشقر

أنا فهمت من إجابة الدكتور / القاضي انه إذا توقف القلب توقف جذع الدماغ ثم توقف القلب يمكن بطريقة الإنعاش بالأجهزة أن يحفظ القلب بأن تجري الدورة الدموية ويحفظ القلب مرة ثانية إذا أسرعوا ، فهل صحيح هذا ؟

* الدكتور / أحمد القاضي :

نعم بحدود إذا ما أسرعنا في إعادة القلب إلى النبض وكلما قصرت المدة التي انخفض فيها ضغط الدم تدريجيا طالت مدة الاحتفاظ بالقلب بعد ذلك ؟ فهذه مسألة نسبية وكما ذكر الدكتور/ حسان فعالية القلب يمكن أن تنقص بدرجة تصل إلى ٩٠٪

مسألة المحافظة على القلب فترة أكثر من اللازم ويصعب تحديدها يعني ربما خمس دقائق تقلل من وظيفة القلب ٥٠٪ إلى ٩٠٪ ربما عشر دقائق تختلف من قلب إلى آخر وحسب حالة القلب قبل الوفاة كذلك بين قلب سليم مائة في المائة وقلب فيه بعض التلف .

ـ الرئيس (الدكتور خالد المذكور) :

إذا كان هذا الجواب واضحا ومقنعا حتى ننتقل إلى نقطة ثانية .

* الشيخ بدر :

إلى الآن إخواننا وأبناؤنا الأطباء لم يتفقوا على رأي ، وأقول لهم : اتفقوا على رأي كي لا نبني أحكاما على أمور وهمية .

* الدكتور / عصام الشربيني :

هل يعلم الدكتور القاضي أن هناك عملية قلب أجريت بالطريقة التي يتصور السادة الفقهاء أنها يمكن حدوثها ، وهو أن نوقف الأجهزة وننتظر حتى

يتوقف القلب ، ثم نأخذه لننقله إلى مريض آخر . مثل هذه العملية هل يمكن أن تنجح هذا سؤال الفقهاء على التحديد وإلى أي مدى أنا لا أعتقد أن عملية أجريت بهذا الشكل فهل هي ممكنة أم غير ممكنة ؟

*** الدكتور / أحمد القاضي**

العملية لم تجر .

*** الشيخ بدر المتولي**

يقول هناك فرق بين كونها أجريت أم لم تجر وبين كونها ممكنة أم غير ممكنة

*** الدكتور / أحمد القاضي :**

للأمانة نظريا ربما تكون ممكنة ولكن عمليا فيها استحالة لصعوبة تحقيق الافتراضات النظرية التي نتكلم عنها،نظريا ربما تصلح لكن عمليا لا تصلح .

*** الدكتور / عصام الشربيني :**

نظريا لا تصلح وأما لماذا فلأنه عندما أفتح قلب مريض لابد أن أكون قد بذلت جهدي لأحصل على أحسن قلب يمكن أن ينجح ، وهذا ليس مثل الكلى ولا زرع عظم ولا زرع أسنان والعملية فيها نزع قلب مريض ، لو ما وضعت له غيره سيموت ، فلابد أن ألتمس له أحسن قلب فإذا لم يكن لا أفتح وأنزع القلب الموجود .

ـ الرئيس :

الآن نفتح باب المناقشة ونبدأ إن شاء الله

* الشيخ / عبد الرحمن عبد الخالق :

السؤال الذي سألته لم يجب عليه وهو سؤال حول موت الجذع ، هل هناك اتفاق بين الأطباء أن فلانا المريض مات جذع مخه . هل هذه القضية متفق عليها حتمية أم هي قضية أيضا فيها ظن وكيف يحكمون أصلا أن هذا الإنسان مات ؟ هل هو مثلا بعدم استجابته للذبذبات الكهربائية التي تكون موجودة أم بفقدان الحس ؟

* الدكتور / عصام الشربيني :

ذكرنا في حديث اليوم أن علامات تشخيص جذع المخ أصبحت من الأمور المستقرة ، وأنه في انجلترا بالذات لما صدر بيان عن مؤتمر جمعيات الأطباء الملكية سنة ١٩٧٦ صدرت بشأنه أوامر مستديمة لوزارة الصحة . وهذه العلامات يمكن أن تؤدي إلى تشخيص جذع المخ في أغلب الحالات في الكثرة الكاثرة من الحالات دون حاجة إلى قياس المخ الكهربائي وغير ذلك من وسائل التثبت ، وهذه الشروط الأساسية هي . . . أن يكون المريض في حالة غيبوبة عميقة ،وأن يكون المريض معتمدا على التنفس الصناعي حسب شروط معينة فلايستجيب، أن يكون هناك سبب واضح أمامنا يؤدي إلى تلف المخ كإصابة في الرأس أو نزيف في المخ أو بعد عملية جراحية مثلا في المخ أو مثل هذه الأشياء (وأقصد بهذا استبعاد الأسباب المؤدية إلى الغيبوبة والتي يحتمل أن تعالج أي القابلة للعلاج مثل حالات البرد الشديد أو مثل المواد المخدرة أو المنومة أو ما إلى ذلك) أن لا يستجيب الإنسان للعلامات « الاستثارات » التي تدل على حياة جذع المخ ، مثل الأعصاب القحفية واتساع الحدقتين وما إلى ذلك فهي شروط محددة عند توفر واحد مع الثاني يتأكد موت جذع المخ إذا كنا لا نعرف السبب الذي أدى لإصابة المخ نشخص وإذا كنا نشك أن هناك مواد مهدئة ننتظر إلى أن يسمح للجسم بإخراج هذه المواد .

كل هذه الأشياء يمكن التحقق منها سريريا وتبقى قلة قليلة في غياب السبب الواضح يمكن أن يكون الطبيب لازال محل شك ، إذا كان الطبيب محل شك يبقى يمكن أن نجري رسم المخ الكهربائي عدة مرات ، ويمكن أن نجري تصويراً شعاعياً مثل الذي نعمله هنا نحقن في الشرايين مادة معينة تسري في الشرايين ونصورها ، فإذا لم تصل للمخ خلال ثلاثين ثانية أصبح هذا قطعيا بأن المخ مات . فإذا يمكن التحقق بالتشخيص السريري وفي حالات قليلة جدا تحتاج إلى تأكيد مختبري .

*** الشيخ بدر المتولي :**

بقي استيضاح بسيط هل يمكن أن يموت بعض أو أكثر جذع المخ ويبقى فيه شيء أيضاً مثل عروق باقية ؟ أنا أقول هذا في الحقيقة لأن هناك حادثة أيضا سئلت عنها بنفس الوضع .

*** الدكتور / عصام الشربيني :**

الحادثة التي تذكرها سيادتك والحاجات التي ذكرها السادة الفقهاء والمريض الذي صحا بعد ما شخص موته كلها أشياء خاطئة ، وأنا أشرت إلى اللجنة التي ألفت في انجلترا لاستقصاء هذه الأشياء بعد أن أثارت الجرائد مثل هذه الأشياء وتتبعت الحالات كلها (سبعمائة حالة أو ألف حالة التي قلتها في الصباح) كان سبب تأليف هذه اللجنة أو القيام بهذه الدراسة هو ما قالته الصحف ـ لم تجد اللجنة حالة واحدة صحيحة مما قيل في الصحف . يحصل أن يأتي واحد (يسأل في المستشفى عن مريض فيقابله طبيب أو سستر ويقول هذا عنده كذا فتصل إلى الصحافة وتتناقل بشكل متفاوت ، يحدث أن المريض عندما يدخل المستشفى يتصور الناس أنه يمكن أن يموت وربما أحد الأطباء النشيطين يحاول أن يقول لأهله مبكراً هل إذا مات تحب أن يتبرع فيتصور أن هذا المريض عنده موت جذع مخ من

الكلام عن التبرع ، وبعد ذلك يصحو إنما لم تحدث حالة واحدة من التي ذكرت في الجرائد أنها كانت بتشخيص موت جذع مخ .

وأحب أن أقول إن الأطباء بشروطهم يجزعون من الموت وما أحد يجرؤ على تشخيص الموت أبدا ، وأنا أستطيع أن أذكر هنا حالات في الكويت مات المريض وأشيع موته والدكاترة غير راضين أن يبطلوا إنعاشه لغاية أن يحضر واحد من الخارج أعصابه هادية يقول لهم الراجل مات بقى له مدة كذا من فضلكم بطلوا ولم يحصل أن الناس تستعجل ، كما قيل عن المريض الذي في جنوب افريقيا هذه الحالة عبارة عن جريمة ذبح ولا علاقة لها بالطب !

ـ الرئيس (الدكتور خالد المذكور):

الأستاذ محمد فؤاد توفيق كان يرغب في التعليق منذ الجلسة الماضية ولم يكف الوقت والآن فليتفضل .

ـ الأستاذ فؤاد توفيق :

سيدي الرئيس لقد طلبت الكلمة انطلاقا مما تفضل به الأستاذ الدكتور / عبد العزيز كامل في بداية رئاسته للجلسة السابقة حين قال إننا هنا لسنا فريقين اثنين فقط فقهاء وأطباء لأن هناك فريقاً ثالثاً هو من يمثلون المجتمع الإسلامي الذي ينتظر في شوق ولهفة ما سيتمخض عنه هذا اللقاء الفقهي الطبي من نتائج ، وهم في الواقع يمكن أن نسميهم (من يهمهم الأمر) خاصة وأنا أحد المشتغلين بالقانون في مرفق حكومي يهمه الأمر وهو وزارة الصحة العامة .

اسمحوا لي في البداية أن أهنىء الأستاذ الدكتور/ محمد نعيم على النتائج العلمية الجيدة التي توصل إليها في بحثه الجديد القيم ، وانطلاقا مما توصل إليه الأستاذ د. نعيم وبعد أن استمعنا في جلسة الصباح إلى أن الشريعة الإسلامية لم

تضع ضوابط محددة لنهاية الحياة فإنني أقول إننا كلنا نعلم أن القوانين الوضعية والأعراف المرعية كلها قد أعطت الطبيب (أو مساعده في القرى التي لا يوجد فيها أطباء) الحق في تقرير حدوث الوفاة .

والطبيب حين يقرر حدوث الوفاة إنما يطبق القواعد التي اتفق عليها معشر الأطباء ، وهو في ذلك لا يرجع إلى الفقهاء ليستشيرهم إنما يرجع إلى تقديره وضميره ووجدانه ، ويسخر في ذلك كل معلوماته الطبية يتخذ قراره ليظهر شهادة الوفاة وإذا كانت الضوابط التي اتفق عليها الأطباء فيما بينهم لحدوث الوفاة كانت تعتمد فيما تعتمد عليه على موت القلب نتيجة لما توصل إليه العلم والأبحاث الطبية ، فإنهم اليوم قد تحقق لهم بصورة قاطعة وبعد أبحاث وتجارب عديدة أراحت ضمائرهم وتيقن لهم أن الوفاة تحدث عند موت جذع المخ وليس بموت القلب .

وأتساءل هل سبق للأطباء أن استأذنوا علماء الشريعة عندما اتفقوا فيما بينهم على الضوابط التي يطبقونها الآن في تقريرهم لنهاية الحياة ؟- الجواب بالتأكيد لا . وفي غالبية البلاد غير الإسلامية طبق الأطباء ما توصل إليه العلم لأن نهاية الحياة تكون بموت جذع المخ أما أطباؤنا المسلمون فأبوا أن يتخذوا القرار وحدهم دون الرجوع إلى الصفوة الطيبة من العلماء الذي جمعتهم بحمد الله ورعايته وغايته هذه الندوة المباركة بإذن الله وأنا أقول إنه مادام أن تقرير حدوث الوفاة كان ومازال أمرا من اختصاص الطبيب يعتمد في تقريره على العلم أولا وآخرا ومادام العلم قد تطور وانتهى إلى حقيقة أيدتها التجربة المجردة عن المصلحة الشخصية ، فإنني أحكم أن العلماء الأفاضل وفقهم الله إلى مافيه مرضاته سوف يقولون للأطباء توكلوا على الله فهذا شأنكم ، ولكن ينبغي أن تتفقوا كما اتفقتم من قبل على وضع الضوابط التي تمثل لكم التحقق من حدوث الوفاة الحقيقية وفقا لما أكده العلم ، ولتكن من بين هذه الضوابط أن يكون القرار صادرا من مجموعة من الأطباء المسلمين المتخصصين الحاذقين المعروف عنهم حسن إسلامهم .

وقد ضرب الأستاذ الدكتور / نعيم لنا مثلا بحالة الرجل المحكوم عليه بالإعدام والذي أوصى بأن يزرع قلبه لإنقاذ حياة ابنه وأنا أضرب مثلا آخر برجل لم يحظ بحكم الإعدام عليه ولكنه أوصى بكليته بعد موته بزرعها لولده الذي إذا لم تزرع أسلم الروح ولنتصور أن هذا الأب أصيب في حادث نتج عنه موت جذع المخ ووضعوه تحت أجهزة الإنعاش وحكم الأطباء بأن جذع المخ قد مات . هل نقول للأطباء : ما عليكم من العلم ولابد من الانتظار حتى تسكن آخر خلية في جسده فينتهي الأمر ويوارى الجسد التراب ويحرم الابن من كلية أبيه التي أوصى بها ليلحقه في قبره بعد أيام أو شهور ـ ويسأله أبوه لماذا لم يعطوك كليتي وأنت أحق بها من التراب فيقول له يا أبي لا أدري اسأل العلماء والأطباء : أسأل الله لنا الهداية .
والسلام عليكم ورحمة الله وشكرا .

ـ الرئيس (الدكتور خالد المذكور) :

شكراً للأستاذ توفيق. السؤال موجه إلى الأطباء وإلى العلماء

*** الشيخ بدر المتولي :**

عندي توضيح قبل إجابة الأطباء أرجوكم المسألة في منتهى الخطورة أولا لم يقل أحد من العلماء إننا سننتظر إلى أن يتحلل الجسم كله أبدا ، العلماء لم يقولوا هذا الكلام ياابني، العلماء يقولون أكدوا لنا أنه مات وأن الأجهزة الرئيسية في جسمه قد انتهت أما مع بقاء الأجهزة الرئيسية فإن الحياة موجودة بيقين فلا أستطيع أن أحكم بانتهائها إلا بيقين حتى أبنى عليها الأحكام . الذي قاله العلماء تأكدوا أنه مات حتى ننتفع به إن أمكن الانتفاع ، واذا لم يمكن الانتفاع كما مات هذا يموت الثاني والمسألة الخطابية لا مجال لها عند العلماء العلماء يتحققون لكي يبنوا حكما على شيء يقيني حياة موجودة بيقين فلاأحكم بانتهائها إلابيقين لكن الآن لايوجد يقين بل اضطراب بين الأطباء وأقولها بكل صراحة فأنا لا أتشكك ـ فاليقين لا يزول

بالشك وإنما اليقين يزول باليقين أنا أجي بقاعدة شرعية لابد أن نطبقها فأرجوكم المسألة في منتهى الخطورة . ولم نقل إنه لابد لكل جزء من أجزاء الجسم أن يكون قد مات أبدا الشعر يبقى ـ العظم يبقى ومع ذلك لم يقل أحد من العلماء إنه حي !

*** الدكتور / عبد الله باسلامه :**

سيادة الرئيس اسمحوا لي أن أنبه على حاجة لقد أضعنا في موضوع نقل القلب من شخص إلى آخر جهداً وفكراً كثيراً . هذا كان أولى به عدة سنوات من الآن لأن هذه العملية في شكلها العام أصبحت على وشك أن تزول وسوف يحل آجلا أم عاجلا القلب الصناعي . ويجب أن لا نجرى بمجهودنا الفقهي والديني والفلسفي والطبي وراء أفكار أو مخترعات عملية حديثة تأتي لفترة ثم تزول ، رواد العملية ـ عملية نقل القلب الآن في شبه تردد كثير من إقدامهم الأول على مثل هذه العملية . أنا أتكلم على عملية نقل القلب أما عملية نقل الأعضاء المزدوجة مثل الكلى فهذا قد أفتى فيها . ولا أعتقد أنه محل خلاف .

الموضوع الآخر هو موضوع أن توقف الأجهزة عن شخص تأكد موت جذع المخ عنده أنا أعتقد إنها ترجع إلى المرحلة الأولى وهي وجوب التداوي والأحاديث الواردة فيه يمكن ترجحني أنا شخصيا أكثر من عدم التداوي .

الواجب على الأطباء العناية بالشخص إلى آخر لحظة أو خلية ممكنه هـذا ويترك الأمر بعد ذلك لله أنا أخشى إن تراخينا في عملية وقف الأجهزة عند هؤلاء الأشخاص قد يجيء بعضنا ويفسر إذا كان فيه هناك جواز في تراخي الأجهزة إذا لا نعطي الأجهزة بالمرة وبالتالي قد تحدث عن هذه مخاطر ، نحن نكون بطريقة غير مباشرة مسئولون عنها وبعدئذ العملية الأخرى عملية الروح فالحياة كأننا اتفقنا أن الحياة موجودة في الخلية ، وأن الـروح فعلا كـما قال الـدكتور / محمـد نعيم في استنتاجاته إنها موجودة في جذع المخ ، لكن لا تزال الخلايا التي تستمر في الحياة بعد

موت جذع المخ هذه فيها شيء هل فيها روح أم ماذا ؟ وشكرا .

*** الدكتور / محمد نعيم ياسين**

الحقيقة أن بحثي لم يؤد إلى القول بأن الروح في جذع المخ ، ولكن قلت إن الجهاز الرئيسي الذي تعتمد عليه الروح في تسيير جميع الحركات اللاإرادية أو في إصدار الأوامر إنما هو المخ بجذعه وقشرته ، ولكن موقعها ومكانها وماهيتها ومدتها فهذا أنا مع علمائنا المسلمين جميعا أنها ليست جسما محسوسا وليست لها ذات محسوسة إنما لها خصائص معينة مثل ما نؤمن بوجود ملك يراقبنا أو يسير معنا ، فهذا أمر آخر . الحقيقة ليس من الضروري لكي تخرج الروح بموت المخ أن تكون في جذع المخ يمكن أن تكون في الجسم كله ، ولكن عندما يموت المخ بطريقة أو بأخرى فإنها ترحل عن هذا الجسد بإذن الله سبحانه وتعالى ويتسلمها ملك الموت .

هذه قضية ما كنت أريد أن أتكلم فيها ولكنها تصحيح .

القضية الأخرى الحقيقة إن بحث إخواننا الفقهاء الآن يسير في الاتجاه السليم والبحث عن بديل أنا اشترطت في البحث (لو أتيحت لي الفرصة لقراءة الموضوع) أنه يشترط طبعا ولا يجوز أن ينقل قلب أو عضو إن كان هنالك بديل ، لأننا حتى لو حكمنا بمن مات دماغه أنه ميت فله حرمة ، وحرمة الميت في الإسلام ليست قليلة ولا يجوز خرق هذه الحرمة إلا لضرورة ماسة ، والضرورة تقدر بقدرها فعندما نجد قلبا صناعيا فلا ضرورة وعندما نستطيع الانتفاع من القلب الذي توقف بنفسه بفترة وجيزة . إذا كان من ناحية نظرية الدكتور / القاضي قال لن يستطيع الآن لكن العلم يمكن أن يصل في يوم من الأيام إلى تحقيق سرعة أكبر والكمبيوتر يشتغل والآلات الدقيقة تشتغل ، وتصير العشر دقائق يمكن عملها في دقيقة واحدة أو في ثانية واحدة لأننا نسمع أجهزة كمبيوتر عظيمة جدا يمكن أن يتصور العقل إنما هي نفسها تجري العمليات فمن الناحية النظرية قلب حيوان يجوز

حتى من ناحية نظرية وليست استحالة عقلية ،هي استحالة عرفية ، فيمكن نقل مخ بديل عن مخ آخر إذا صح ماقاله بعض الإخوة الدكاترة إنه يمكن تبريد المخ والاحتفاظ بقابليته للانبعاث كما ذكر خلال ثلاث ساعات أو أربع ساعات بالساعات ذكرها فيمكن أن يصير هذا، كل شيء يحتمل نظريا وان كان مستحيلاً عمليا في العادة يمكن قلب حيوان قلب قرد مثلا فهذه بدائل ومن أهم الشروط أن لا يكون هناك بديل ، لأن حرمة الميت لا تخرق إلا بضرورة والضرورة تقدر بقدرها فيجب إذا أجيز الأمر أن لا يكون هناك بديل، وهذا الشرط هو المخرج الذي أراد إخواننا أن يخرجوا منه .

يجوز فصل الأجهزة لأنه من باب التداوي ـ وذكروا قاعدة إنه إذا كان الدواء لا يجدي فإنه عندئذ لا يجب أن يطلب هذا الدواء هذا صحيح لكن عندما نجيء نفكر عمليا الذين يعتبرون الحياة قبل فصل الأجهزة موجودة إذا فصلت الأجهزة فسوف يتوقف القلب إذا الأثر الحقيقي لنزع الجهاز ما هو ؟ الدواء يا إخوة يقاس في نفعه بالأثر الذي يترتب عليه ، والأثر يعرف بغياب الشيء وبضدها تتميز الأشياء .

لذا ننزع هذه الأجهزة التي تقولون عنها إنها علاج لنرى أثرها هل ينقل هذا الإنسان من حياة إلى موت حسب رأيكم هذا وأي دواء في الدنيا أعظم من دواء تتوقف عليه الحياة والحياة ليست مجزأة ، تقول لي هذه بعض الحياة وهذه حياة ضعيفة وهذه حياة مريضة أكثر الناس مرضا لو قتله إنسان فإنه يقتص منه هذه الحقيقة الملاحظات التي أردتها وشكرا .

* الدكتور / عصام الشربيني

أعتقد ضرورة الإجابة عن أسئلة كموجز سريع .

بالنسبة للدكتور شبير أعتقد أن هناك حقيقة علمية ثابتة ومتعارف عليها

وعلامات وظواهر لتشخيص وفاة المخ ، ولا جدل في ذلك مطلقا ما دام قد شخصت وفاة المخ وقد ذكرت كثيرا ولا داعي لذكر تفاصيل .

بالنسبة للشيخ توفيق ـ بالنسبة لحفظ الأعضاء وإطالة أمد حفظها بالدرجة الأولى يتأتى بعد ما أقور أن آخذ رداً هل يصلح للزرع أم لا إذا كان صالحاً أستطيع أن أحفظه ويهمنا بالدرجة الأولى مدى صلاحية العضو لنقله إلى المريض يعني إذا كان العضو قد تلف ولو حفظته فلا يصلح للزرع لا أستطيع أن أبدأ عليه التبريد مثلا للكلية أو لقلب إنسان كما نفترض أنه حي أو على الجهاز .

*** الدكتور / توفيق الواعي :**

الصلاحية تعرف قبل البتريا دكتور

*** الدكتور / عصام الشربيني :**

الصلاحية التي في الشروط التي ذكرت سابقا أن يكون المريض فيه ضغط الدم ثابت ودورة دموية تجري وأكسوجين يمد العضو وغذاء وإلى آخره .

المريض هذا على جهاز التنفس الصناعي ، ولكن شخص عرفنا إنه ميت نتيجة تشخيص جذع المخ أنا أريد رأي الشرع والفقه الجهاز هذا ليس علاجاً أبدا أو رفع الجهاز . هات المريض فورا في دقائق معدودة ما رأي الفقه والشرع لو رفعت الجهاز .

فبالنسبة قررنا وأخذنا العضو وحفظناه حسب كل عضو مثلا البنكرياس ١٢ ساعة القلب كذا ساعة في درجة حرارة أربعة مبردة كذا وكذا الكلية يمكن حفظها لغاية ٧٦ ساعة ونسبة نجاح زراعتها فيه نسبة مئوية معروفة دورية من ٥٠ إلى ٦٠٪ لكن لا يعنيني مدى كفاءة ضغط النسيج أنا يعنيني متى أتدخل لأنتزع هذا العضو لكي أنتفع به في مريض آخر .

ومدة ٧٦ ساعة هي من ساعة بدء الحفظ بالتبريد من ميت مثلا استؤصلت الكلية في أمريكا من مُيت جذع المخ وحفظت بواسطة وسائل الحفظ وجئنا بعد ٧٦ ساعة زرعناها .

وبالنسبة لسؤال الشيخ توفيق مادام أنه سيموت لم لا نحفظ القلب في داخل الجسم ونطيل أمد الحياة هذا غير ممكن وغير عملي .

بالنسبة لرأي الأستاذ الأشقر : مريض على الجهاز أصيب بسكتة قلبية ثم أعيد تدليكه هو أصلا مادام وضع على الجهاز أي سكتة قلبية بعد أن انتهى وبذلك لا يصلح .

ـ الرئيس (الدكتور خالد المذكور) :

شكرا للدكتور صلاح ونقوم الآن لصلاة المغرب ونعود بعد نصف ساعة إن شاء الله .

* الشيخ بدر المتولي :

أظن بعد أن تبين أنه ليس هناك حاجة ملحة أو ضرورة لنقل قلب إنسان لوجود قلب صناعي أصبحت المسألة سهلة فلا تضيعوا وقتاً فيها أرجوكم .

وهناك مسائل أهم من هذا ، مسألة الدفن ومسألة الميراث ومسألة العدة . . . إلى آخره . . . انظروا فيها .

ـ رئيس الجلسة (د. خالد المذكور):

المطلوب الآن هاتان النقطتان الأولى وقف الأجهزة عن شخص تأكد موت جذع مخه .

والنقطة الثانية نقل الأعضاء من شخص تأكد موت جذع مخه وحتى يكون هذه الثمرة العملية التي كان من ورائها هذا الكلام كله والآن نبدأ ببقية الأساتذة الذين دونت أسماؤهم للحديث .

***الدكتور / نجم عبد الله**

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خير خلقه محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

الحقيقة سوف أطرح رأيي باتجاهين مختلفين ولي حكمة في ذلك فسأبدأ بهذه النقطة بالنسبة لجذع المخ لا يختلف الأطباء لأن موته يعني طبيا هو الموت البشري لكن وهذه النقطة رقم واحد لا حاجة لنا لنقل القلوب في الوقت الحاضر نظرا لعدم توفر هذه العملية في بلادنا من ناحية ولعدم نجاحها أيضاً من ناحية أخرى وكذلك الآن لا تتم إلا في بعض مراكز متقدمة ومتطورة فإذا لا يهمنا أن نخوض في هذا الموضوع كثيرا .

هذا من ناحية، من ناحية ثانية إذا كان لا حاجة لنا للقلوب فلا ضرر من الانتظار للوفاة تدريجيا مع استعمال الأجهزة خصوصاً إن الدكتور / عصام الشربيني أكد أن مع استعمال الأجهزة لا تأخذ هذه عادة إلا عدة أيام يعني بوجود الجهاز سوف يموت القلب ، أو سوف يتوقف القلب بوجود الجهاز وهذا على حسب التقرير الذي ذكره يأخذ عدة أيام وأستثني من ذلك الأطفال فقد وجد حسب التقرير أنهم يأخذون أربعة عشر يوماً وفعلاً لا داعي لنقل هذه الأعضاء إذا أخذنا بهذا المبدأ حتى القضايا المادية لن تكلف كثيراً لأنه أتوماتيكيا المسألة سوف تنتهي وبهذا لا يوجد خلاف مع الفقهاء ولا يوجد خلاف مع العلماء وتتم العملية هذا من ناحية إنما من الناحية الأولى وهي اتفاق الأطباء على أن موت جذع المخ هو فعلاً الموت الطبيعي أو الموت الطبي لهذا الإنسان ، فلهذا الموضوع حقيقة كذلك له وجهة نظر بالنسبة إلى وجهة النظر هي التشدد في هذا الموضوع حتى لا تأخذ هذه

الأمور بمحامل أخرى فنأخذ رأي الفقهاء مثلا يقولون إنها تكون بيد الأطباء إذا يجب أن تكون على أصول والأصول قد ذكرت هذا اليوم والحمد لله فالذي أحب أن أركز عليه أمرين من هذه الأصول : الأمر الأول هو التشخيص لموت جذع المخ وهذا التشخيص مهم حتى لا يكون لبس ، وذكرت نقطتان في هذا التشخيص النقطة الأولى ذكرها الدكتور / مختار في بحثه بأنها عبارة عن خمس نقاط أساسية وهي واضحة في بحثه لا داعي لذكرها من جديد ، وكذلك الدكتور / عصام الشربيني ذكر بعض هذه النقاط فإذا أخذنا بهذه النقاط لا نختلف فيها أبدا إذا تيقنا أن هذه النقاط قد توفرت في هذا الإنسان فنتأكد فعلا أن جذع المخ قد مات .

الأمر الثاني وقد ذكر كذلك وهو تكوين لجنة من الأطباء تكون مهام هذه اللجنة التأكد من صحة هذه الأمور لأن الموضوع حقيقة يجب أن يكون فيه تشدد حتى لا يكون هناك تسيّب في المستقبل لأن هذه هي أرواح بشر فإذا أخذنا بمبدأ أن الفقهاء سلموها بيد الأطباء إذا يجب أن تكون واضحة وجلية للأطباء كذلك ، وتكون على أصول صحيحة وهذان هما الأصلان اللذان أذكرهما هنا والاستثناء لهذه القاعدة. شخصيا لي خبرة في هذا الموضوع وخبرة في علم الأطفال فقد عملت في طب الأطفال ٤ سنوات في دبي فصادفتنا مشاكل أولا من قلة عدد الأجهزة في إنعاش الأطفال وأنا أقصد الأطفال حديثي الولادة أي الطفل الذي يولد اليوم أي في هذه اللحظة فالطفل الذي يولد هذه اللحظة إذا كان جاء بالنتائج ، النتائج إنه في حالة جيدة جدا،وصرخ من البداية (استهل من البداية) فلا خوف عليه لأنه قد يستمر والمشاكل في إنعاش هؤلاء تكون حقيقة بين بين أو تكون أمورهم ضعيفة فواجهتنا مشاكل كثيرة جداً في هذا ومن هذه المشاكل سأذكر لكم حادثة وهي حاصلة في الحقيقه لطبيبة معنا كانت تعمل وهذه الطبيبة اقتنعت تماما أن هذا الطفل قد مات أي بعد الولادة وعملت له كل الاحتياطات التي يمكن أن تعمل لهذا الطفل ، وبعد جهد استمر أكثر من نصف ساعة قررت هذه الطبيبة أن هذا الطفل قد مات وبلغت أهله ورفعه أهله ولما أخذوه للدفن صحا الطفل، هذه ليست بمعجزة ، إنما هذا

واقع حصل وهذه الطبيبة فصلت من العمل بسبب هذا التصرف لأنها لم تكن على دراية كافية بهذه الفنون . . . فإذاً يجب أن نأخذ الأمور بالتشدد كذلك والاستثناء من هذه القاعدة التي ذكرتها للأطفال أنا حقيقة لم أحضر لهذا المؤتمر ولا أنا الآن أعمل بالأطفال إنما التوصية التي أطرحها على المؤتمرين هنا أن يرفعوها إلى عيادات الأطفال لتقرير أفضل السبل في تشخيص حالة الوفاة في حالات الأطفال الحديثي الولادة لأنني أعتقد أن القاعدة التي طرحتها الآن والتي طرحت هذا الصباح بالشروط الخمسة بل للجنة . . . . وشكرا .

*** الدكتور / عمر الأشقر :**

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله . . . أنا أريد أن أطرح تصوراً سريعاً لما توصلت إليه ، الفهم الذي توصلت إليه في القضية سواء المرتبطة مع بدء الحياة ونهاية الحياة أنا تصوري في القضية أن هناك حياة مبدئية عندما تلقح البويضة ثم تأتي حياة أخرى بعد نفخ الروح تستمر هذه الحياة إلى أن تقبض الروح ثم الحياة التي بعد قبض الروح تكون كالحياة الأولى التي قبل نفخ الروح ، هذا هو التصور البسيط الذي أستطيع أن أقول إنني استخلصته من المناقشات والمحاورات والدراسة.إذا كانت المسألة كذلك . . أي هناك حياة توجد كالحياة التي قبل نفخ الروح ـ حياة بعد نفخ الروح كما قال إخواننا الأطباء إنه إذا مات جذع المخ أصبح الإنسان ميتا ثم استشكلنا نحن كيف يكون ميتا وفيه حياة ؟ أقول هي كتلك الحياة فإذا كان الأطباء جازمين بإجماع وليس بينهم خلاف أن موت جذع المخ موت للإنسان وإن استمرت بعض الآثار للحياة التي هي مثل الحياة التي قبل نفخ الروح فنحكم عليه بأنه قد مات لكن مع ذلك كما قلنا بأن الخلية الملقحة لهاحرمة حياتها لها حرمة كذلك الحياة التي بعد موت جذع المخ لها حرمة بمعنى أنه لا يجوز أن يعتدي عليها إلا في حالات الضرورة وفي حالة الحاجة وتوضع لها الضوابط التي ذكرها بعض الإخوان أيضاً .

يبنى على هذا قضية أخرى هل توقف الأجهزة ؟ بدون شك إذا قلنا إنه موت توقف الأجهزة لماذا تبقى الأجهزة مادام قد مات قضية منطقية إذا كنا نحن نريد أن نعتمد كلام الإخوة الأطباء في هذا وما توصل إليه العلم والطب من أن هذا أصبح ميتا بالتالي ليس هناك داع لإبقاء هذه الأجهزة .

في النهاية أطرح السؤال الذي كنت وجهته إلى الأخ الدكتور / القاضي وأنا لم أتلقَّ الإجابة عليه لأنه يبنى عليه شيء عندما يتوقف القلب أنا فهمت من كلامه أنه يمكن أن نعيده إذا شغلنا الأجهزة مرة أخرى أي يعود القلب إلى النبض وأريد الإجابة هذا الفهم سليم أم غير سليم وشكرا .

ـ الرئيس (الدكتور خالد المذكور)

إن الدكتور / القاضي إن شاء الله سيتكلم بعد الدكتور / محمد الأشقر .

*** الدكتور / محمد الأشقر :**

للآن إخواننا الفقهاء اختلفوا فيما يكون به الموت ، هل هو جذع الدماغ أو هو انتهاء الأجهزة الرئيسية كما يرى فضيلة الشيخ بدر الكلام الفقهي القديم كله يكاد يكون متفقاً على ما قاله فضيلة الشيخ بدر ، وأنا أيضاً مع هذا الرأي ولكن في النهاية سأميل من الناحية العملية مع الدكتور / محمد نعيم ياسين. إخواننا الأطباء بعضهم قال إن الموت انتهاء عمل الأجهزة الرئيسية في البدن ، وبعضهم قال بموت الدماغ وهم الأكثر ولكن التصريح بذلك بأن موت الدماغ هو موت للإنسان ـ ما رأينا تصريحا ولكن الذي فهمناه من كلامهم أنهم يقولون أن لا أمل في الشفاء بعد موت جذع الدماغ ـ لا أمل في الشفاء ـ يعني ينتهي الأمل نهائيا لكن هل هو الموت ؟ بعضهم قال الأمر غيبي وبين كلامهم هذا وهذا ربما يكون لنا نحن مدخل نقطة تؤثر على النتيجة العملية لهذه الأبحاث .

نحن بمراجعة كتب فقهائنا لم يختلف كلامهم في هذه النقطة أنه قد يكون الإنسان محكوما بحياته ، ومع هذا فالجناية عليه ليست جناية ـ أو ليست جناية على حي وهو حي كيف ذلك ؟ ذكروا جميعا في الكتب الفقهية تكاد تكون متفقة على هذا ولا أستدعي بذلك ثناء الدكتور / عبد الرحمن العوضي ، ولا ثناء غيره فالفقه الإسلامي والحمد لله في كثير من النواحي سبق كل التقنيات العصرية والحديثة ، إذا جنى اثنان على رجل يعني رجل مات بجناية سواء كانت الجناية خطأ أو عمدا ووصل إلى حركة مثل حركة المذبوح ، فحينئذ إذا جنى عليه جان آخر فإنه لا يكون قد جنى على حي ، ولكنه حي في حكم الميت فلا يؤاخذ بشيء إلا كما يؤاخذ من اعتدى على ميت فقط ، وأنا سأقرأ هذه النقطة من كتاب صورته حتى يكون بنفس كلامهم ويكون صريحا ويوزن بميزانه الصحيح . يقول النووي وشارحه المحلي الذي كان مدح بأن ذهنه لا يقبل الخطأ ، هذا من المدح الذي مدح به ، على كل حال المسألة متفق عليها بين الشافعية والحنفية والحنابلة ولا أعرف كلام المالكية فيها .

يقول في كتاب القصاص إن أنهاه رجل أي أوصله جان بحركة مذبوح بأن لم يبق فيه إبصار ونطق وحركة اختيار وهي المستقرة التي يبقى معها الإدراك ويقطع بموته بعد يوم أو أيام لا المستمرة وهي التي لو ترك لعاش ، يقول ثم جنى آخر فالأول قاتل لأنه صيره إلى حالة الموت ، ومن ثم أعطى حكم الأموات مطلقا ويعزر لهتكه حرمة ميت ، وخرج بقيد الاختيار كما لو قطع نصفين وبقيت أحشاؤه بأعلاه ، فإنه وإن تكلم بمنتظم كطلب ماء (يعني قال اسقوني ماء) فليس هذا الكلام عن روية ولذلك لا يعتبر في حكم الحي وإنما يعتبر في حكم الميت .

الحالة الثانية وهي أن يكون مريضا واشتد به المرض إلى أن قال بعض الناس قد مات والخبير بالطب قد يقول إنه لم يمت أولا أكمل كلام الشافعية في الموضوع قالوا في هذه الحالة لو جنى عليه جان فهذا الجاني هو القاتل بخلاف الحالة الأولى ـ فالجاني هو الأول ـ والثاني ليس بجان أو جان جناية بسيطة المسألة هذه ـ لأنهم لا

يمكن أن يحيلوه على سبب ، ليس هناك سبب واضح يحيلون عليه الوفاة لكن إخواننا الأطباء ذكروا أنه يمكن الوصول إلى تحديد أنه قد مات فعلا أو لم يمت في الحالة الأولى ما حكمها نحن قلنا فيه الروح ضربه ضارب على بطنه مثلا أو قده نصفين وهو يتكلم ، ومع هذا يعطى حكم الأموات ، يقول ابن حجر قضيته جواز تجهيزه ودفنه حينئذ وروجع فيه وفيه بعد يقول وإنه يجوز تزويج زوجته حينئذ إذا انقضت عدتها كأن ولدت عقب صيرورته إلى هذه الحالة وأنه لا يرث من مات من أقاربه عقب هذه الحالة ، ولا يملك صيدا دخل في يده عقبها إلى آخره . ويقول لا مانع من التزام ذلك أنا أقول هنا حكم على إنسان فيه روح بأنه في حكم الميت والجناية عليه ليست جناية خاصة إذا كان لا نحس فيه الروح ولا نحس فيه أي حركة وإنما عليه هذه الأجهزة يمكن رفعها ـ مادام هو في حكم الميت لو لم نحكم بأنه قد مات نحن نقول هو حي إلى أن لايبقى أي جهاز من أجهزة بدنه في حكم الحي ، لكن الجناية عليه ليست قتلا ورفع الأجهزة عنه ليس قتلا ونزع قلبه ليس قتلا والله أعلم .

ـ الرئيس (الدكتور خالد المذكور):

جزاك الله خيرا ـ والآن الدكتور / أحمد القاضي لأنه طلب الكلمة وأرجو أن يتضمن كلامه جوابا عن سؤال الدكتور / عمر الأشقر .

*** الدكتور / أحمد القاضي :**

عندي ست نقاط بسرعة إن شاء الله

النقطة الأولى عن قرارات وتوصيات هذه الندوات ليست قاصرة على الكويت أو الشرق الأوسط فقط ، وإنما هي للعالم كله لا كما ذكر من أنه ليس عندنا جراحة قلب أو زرع قلب في الكويت ، وبالتالي ليس للأمر أهمية وهذا غير وارد .

الأمر الثاني مدى عملية نجاح زرع القلوب وهل يوجد بديل ـ لا يوجد بديل حتى الآن القلب الصناعي لم يثبت نجاحه ، لم يحصل في حيوان ولا في إنسان إنه عاش به لمدة عام ، كلها تجارب ولم تطل مدتها نظير ذلك عملية زرع القلوب الطبيعية تزداد في النجاح باستمرار ، والآن الأغلبية يعيش أكثر من سنة وسنوات والتقدم مستمر فيها .

ثالثا ــ القلوب المتوفرة للزرع عددها قليل شحيحة جدا وإذا أُخذنا بالاحتمال النظري ، أنه يمكن استعمال قلب بعد أن نتركه للتوقف التلقائي بعد موت جذع المخ فستقل إمكانية استعمال هذه القلوب من العدد الحالي إلى عشرها أو تنقرض تماما ، وبالتالي ستكون الأزمة فعلا وما ذكرته في البداية ، وأنا أذكر للرد على سؤال الدكتور / عمر الأشقر عندما يتوقف القلب هل يمكن أن يعود للنبض إذا توقف القلب نتيجة مبدئية لو كان وقوف القلب هو أول ما حدث لا يوجد موت لجذع المخ بسبب صدمة أو أزمة في القلب أو ما إلى ذلك . في هذه الحالة يمكن إعادة النبض إلى القلب في نسبة من الحالات ربما تصل إلى النصف أو أقل ، ولكن في الحالات الأخرى التي يموت فيها جذع المخ أولا ثم يترك القلب للتوقف تلقائيا بعد عدة دقائق ، في هذه الحالة الاحتمال صعب جدا نظريا ممكن ولكن ربما ليس بإعادة التنفس فقط ، وإنما بتوصيل المريض إلى آلة القلب الصناعي وتوصيلات تحتاج في حد ذاتها إلى أكثر من عشر إلى خمس عشرة دقيقة ، وبالتالي في النهاية لا يمكن استعمال هذا القلب ، ويجب هنا التفريق بين ما إذا توقف القلب لذاته بدون موت المخ ، وما إذا توقف لأننا تركنا المريض الذي مات من عدة دقائق تركناه حتى يتوقف قلبه .

النقطة الرابعة هي ما ذكره الدكتور / عمر كذلك عن تشبيه الحياة الجنينية قبل نفخ الروح بالحياة العضوية بعد خروج الروح نجد أن التشبيه غير سليم ونقطة الشبه الوحيدة هي عدم وجود الروح في أيهما ، ولكن نقطة الخلاف الكبيرة إن الحياة الجنينية قبل نفخ الروح إذا وفرت لها التغذية والرعاية تسير إلى إنسان كامل ،

أما الحياة العضوية بعد خروج الروح مهما غذيت وروعيت فلن تصل إلى إنسان كامل ولا غير كامل بل تئول إلى الفناء .

النقطة الخامسة هي اشتبه على عدد من أساتذتنا الفقهاء حسبما ظهر من تعبيراتهم اشتبه عليهم الأمر ، وظنوا أن الجسد بعد موت جذع المخ يتحول إلى ما يمكن تسميته بجثة هامدة وخامدة وكل مواصفات الموت التي ذكرت من الفقهاء تتحقق من انقطاع النفس وزوال قوة الإحساس والتعقل والعلم والإدراك والاختيار واسترخاء الرجلين وانفصال الكفين وميل الأنف وانخساف الصدغين وسكون الحركة ، وربما القلب ينبض عدة دقائق ، ولكن كل هذه المظاهر الخارجية على الجسد توفرت وأصبحت جثة هامدة خاملة ، هذا لا يحدث بالمرة إذا توقف القلب بدون توقف جذع المخ وهذا شيء نجربه عمليا عند المرض عندهم جهاز محرك كهربائي عند تغيير البطاريات تحت التخدير الموضعي ، كل عدة سنوات يحدث أن يتوقف القلب يعني ربما لا نطيلها إلى دقيقة ولكن هي لفترة والمريض يتكلم ويتحرك ويتنفس وما إلى ذلك ، فبدون شك يموت جذع المخ ويتوقف عن الوظيفة تتوفر كل مظاهر الموت التي ذكرت من سكون الحركة إلى آخره ولا يتوفر ذلك بالمرة إذا توقف القلب مع وجود جذع المخ في وظيفته .

النقطة السادسة هي السؤال هل يمكن تشبيه موت جذع المخ بقطع الدماغ ، وهذه هي الحالة بدقة إذا توفرت حالة جذع المخ سواء المريض على جهاز تنفس صناعي أو بدون جهاز تنفس صناعي ، هي تماما مثل حالة قطع الدماغ يعني لو عملنا عملية جراحية ربطنا الشرايين والأربطة وقطع الدماغ أو فصل عن بقية الجسم ستظل المحافظة على الأعضاء ، أو على الحياة العضوية المفتعلة الصناعية كما هي ، سواء في دماغ متصل بالجسد أو غير متصل ، وبالتالي تصدق عليها نفس الحالة التي ذكرها الدكتور / نعيم ياسين عند قطع الدماغ بالسيف . والسلام عليكم ورحمة الله .

* **الدكتور / توفيق الواعي :**

الحقيقة بعد أن أبان كل واحد من إخواننا رأيه في المسألة ، فقد تكلم القرآن عن الحياة والموت فقال مثلا (أمتنا) (وكنا ترابا وعظاما) (أئنا لمبعوثـون) عبر بالإماتة عن هلاك الجسد ، وقال في العصاة في وصف هلاك العصاة ﴿ إن كانت إلا صيحة واحدة فإذا هم خامدون ﴾(1) والخمود هو سكون الجسد وخلوه من الحركة والتنفس ، أو علامة للحياة الجسدية ، ويقول في سورة الحاقة ﴿ إنا أرسلنا عليهم ريحا صرصرا في يوم نحس مستمر تنزع الناس كأنهم أعجاز نخل منقعر ﴾(2) القرآن يتكلم على خروج الروح فيقول ﴿ فلولا إذا بلغت الحلقوم وأنتم حينئذ تنظرون ونحن أقرب إليه منكم ولكن لا تبصرون ﴾(3) فالناس لا يبصرون خروج الروح ولا الموت ولكنهم يبصرون علامات ذلك فيقول القرآن ﴿ كلا إذا بلغت التراقي وقيل من راق وظن أنه الفراق والتفت الساق بالساق إلى ربك يومئذ المساق ﴾(4) وفي القرآن عن موت سيدنا سليمان ﴿ فلما قضينا عليه الموت مادلهم على موته إلا دابة الأرض تأكل منسأته ﴾(5) كان هذا علامة الموت والقرآن في الحقيقة يذكر لنا قصتين والإعجاز إنما هو في الحقيقة في الجسد ، ولا أحب أن أتكلم عن إعجاز الجسد لاختصار الوقت .

يتكلم القرآن عن قصتين القصة الأولى قصة عزير في القرآن الكريم ﴿ أو كالذي مر على قرية وهي خاوية على عروشها قال أني يحيي هذه الله بعد موتها فأماته الله مائة عام ﴾ هنا إذا أماته تحلل بجسده ودمه ﴿ فأماته الله مائة عام ثم بعثه قال كم لبثت قال لبثت يوما أو بعض يوم قال بل لبثت مائة عام ﴾ ثم تطرق لعملية الإحياء ﴿ فانظر إلى طعامك وشرابك لم يتسنّه وانظر إلى حمارك ولنجعلك آية للناس وانظر

---

(1) سورة يس / 29

(2) سورة القمر / 19 .

(3) سورة الواقعة / 83 - 84 .

(4) سورة القيامة / 25 - 30 .

(5) سورة سبأ / 14 .

إلى العظام كيف نُنشِزُها ثم نكسوها لحما فلما تبين له قال أعلم أن الله على كل شيء قدير ﴾ .(١)

القصة الثانية باختصار وهذه القصة تأتي في قصة أصحاب الكهف ولم يعبر عنها القرآن بالموت إنما قال﴿فضربنا على آذانهم ﴾(٢) لأنهم لم يموتوا حقيقة إنما فقدت منهم الحاسة التي تشعر كما يقول سلبت منهم الروح وبقيت الأجساد لكنها أجساد تنمو فيقول ﴿ فضربنا على آذانهم ﴾ ولم يقل فأمتناهم أو ألقينا عليهم موتاً مثلاً ، إنما كان القرآن دقيقا في هذه النقطة إنما خلت القصة من ذكر الموت تماما لأنه عبارة عن فقدان الإحساس فقط والحياة مستمرة ، ولهذا حرص القرآن على أن ينبهنا إلى سلامة الجسد وعلى عدم تحلله بل وعلى نماء شعورهم وكل شيء وأظافرهم . فقال في هذه الفترة الطويلة التي ذكرها القرآن خلاف العادة وهي (ثلاثمائة سنين وازدادوا تسعا) وهذا التحديد بالذات للمدة ليبين لنا أن هذه الأجساد حفظت هذه المدة الطويلة وبعدئذ يبين أن الأجساد تنمو(لو اطلعت عليهم لوليت منهم فراراً ولملئت منهم رعباً) وذلك لطول شعورهم ونمو أظفارهم ولحاهم إلى غير ذلك مما فسره العلماء .

والحقيقة أن القرآن ذكر في هذه القصة العناية السريرية كذلك فقال ﴿ ونقلبهم ذات اليمين وذات الشمال وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد لو اطلعت عليهم لوليت منهم فرارا ولملئت منهم رعبا ﴾ الحقيقة لم يعبر القرآن عن هذه القصة بالموت إطلاقا إنما قال ﴿ فضربنا على آذانهم في الكهف سنين عددا ﴾ فهذه القصة قصة موت وتحلل فعلا هنا عندما ذكر القرآن قصة الموت ذكر تحلل الجسد وذكر أن الجسد قد انتهى تماما ، وحينما ذكر قصة فقد الشعور أو فقد الإحساس ﴿ فضربنا على آذانهم ﴾ ولم يقل فأمتناهم ثلاثمائة سنين لا خمسة عشر يوما ولا ثلاثة أيام ولا أشياء من هذا القبيل ، ففي الواقع حينما نختصر هذا إنما نقول إن القرآن تكلم عن

(١) سورة البقرة / ٢٥٩ .

(٢) سورة الكهف / ١١ . وما بعدها .

الحياة ومفهومها وتكلم عن الموت ، بل تكلم على بعث الأجساد وإلا فنقول نحن بأن الأجساد لا تبعث إنما البعث روحي ، وحينما تكلم القرآن عن البعث أي عن بعث الأجساد بعد الموت ﴿ زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا قل بلى وربي لتبعثن ﴾[1] ما هذا البعث بعث روحي وبعث جسدي ولم يقل إنسان مسلم إطلاقا إن هناك بعثا روحياً إنما كان هناك بعث جسدي وبعث روحي .

ـ الرئيس (الدكتور خالد المذكور) :

يا دكتور / توفيق الاستدلال هذا ما هي نتائجه في الموضوع المطروح ؟!

* الدكتور / توفيق :

نخلص من هذا إلى أن الحياة الجسدية هي حياة محترمة لا يحكم بموت الإنسان قبل أن يفقد الإنسان هذه الحياة وكان العلماء واضحين تماما في ذلك حينما وضحوا أن الموت يكون بفقدان علامات الحياة من حس وحركة ونفس ، حتى قالوا إذا شك في ذلك انتظر بالإنسان حتى تتغير رائحته للتأكد من ذلك ، وهذه علامات جسدية والحقيقة هناك نقطة ذكرها أخي الدكتور / عمر الأشقر هي نقطة أن الدكتور / حسان قال الحياة قبل أن تنفخ الروح محترمة لمجرد الحياة ونطلب منه كذلك أن يحترم مجرد الحياة إن سموها مجرد حياة في آخر عمر الإنسان أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم .

* الدكتور / محمد شبير :

ـ قضية الموت حسب التصور الإسلامي قضية انتقال من دار الدنيا إلى الدار البرزخية ، ومن ثم الانتقال إلى الحياة الأخرى ، والموت في حقيقته عند الفقهاء وعند العلماء مفارقة الروح للجسد كليا ، يعني أن الروح إذا خرج بعضها وبقي البعض الآخر ـ فالإنسان لا يعتبر ميتا وإنما يعتبر حيا ، ولذلك في حالة خروج

(١) سورة التغابن / ٧ .

الروح لا يجوز الإجهاز على الإنسان الميئوس من حياته ، أو الذي يكون في حالة خروج الروح وخروج الروح من الغيب الذي ستره الله عز وجل عن الإنسان وخروج الروح قبل يوم القيامة له علامات كبرى . ومن العلامات الكبرى التي ذكرها القرآن الكريم سكرات الموت . ﴿ ولو ترى إذ الظالمون في غمرات الموت والملائكة باسطو أيديهم أخرجوا أنفسكم ﴾[1] والعلامة الأخرى حشرجة الصدر وهي وصول الروح إلى الحلقوم ﴿ فلولا إذا بلغت الحلقوم وأنتم حينئذ تنظرون ﴾ والعلامة الثالثة وصول الروح إلى التراقي ودلت الآية على ذلك .

ومن العلامات التي دلت على خروج الروح الحديث الشريف الذي بينه رسول الله ﷺ حيث قال إن الروح إذا قبض تبعه البصر ، وفي تفسير هذا الحديث يقول القاضي عياض يحتمل أن الملك المتوفي للمحتضر يتمثل له فينظر إليه نظرا شزرا ، ولا يرتد إليه طرفه حتى تفارقه الروح وتضمحل بقايا القوى ويبطل البصر أي يذهب السمع والإبصار . ويقول النووي بأن الإبصار لا يتعطل بعد مفارقة الروح . وقال في معنى الحديث إذا خرج الروح من الجسد تبعه البصر ناظراً أين تذهب . وقد تعقب السيوطي كلام النووي وقال بأنه يبصر مادام الروح في البدن ، فإذا فارقه تعطل الإبصار كما يتعطل الإحساس . قال والذي يظهر لي بعد النظر ثلاثين سنة أن يجاب بأحد أمرين الأول إن ذلك بعد خروج الروح من أكثر البدن وهي بعد باقية في الرأس والعين فإذا خرج من الفم أكثرها ولم تنته كلها نظر البصر إلى القدر الذي خرج ، وقد ورد أن الروح على مثال البدن وقدر أعضائه فإذا خرج بقيته من الرأس والعين سكن النظر ، فيكون قوله إذا قبض معناه إذا شرع في قبضه ولم ينته .

والثاني إن الروح لها اتصال بالبدن وإن كانت خارجة عنه فيرى ويسمع ويعلم ويرد السلام ، نستخلص من هذا أن ذهاب السمع أو ذهاب الإبصار علامة

---

(١) سورة الأنعام / ٩٣ .

من علامات الموت ، فإذا ثبت يقينيا بأن الإبصار يذهب بعد موت جذع الدماغ أو جذع المخ ، فإن هذا دليل على أن الإنسان قد فارقت روحه جسده أو جسمه فإذا نستطيع أن نصل إلى قضية في هذا الموضوع هي أن الإنسان إذا تأكدنا أو تيقنا بأنه ميت والتيقن لابد منه وهو شرط جميع الفقهاء وبإجماع الفقهاء يقولـون لابد من التيقن من الموت لتجهيز الميت ودفنه ، والتيقن من الموت هـو التيقن من خروج الروح من الجسد فإذا تأكدنا من خروج الروح من الجسد وعلامة خروج الروح من الجسد كما قلنا هو ذهاب الإبصار كما بين الحديث الشريف فإذا تبع موت الدماغ ذهاب الإبصار فهو دليل على أن الإنسان قد ذهبت روحه .

* الدكتور / ابراهيم الصياد

موضوع الندوة كان الحياة الإنسانية بدايتهـا ونهايتها ، وكم كنت أود لـو تعاملنا مع عنوان الندوة بدون ضغط أخصائي أمراض النساء في موضوع بداية الحياة وبدون ضغط أخصائي نقل الأعضاء في موضوع نهاية الحياة . في هذه الحالة كان بحثنا يكون أكثر موضوعية ، أعود فأقول بداية الحياة هي بنفخ الروح ما في ذلك شك لا شرعا ولا طبا ، نهاية الحياة بقبض الروح وليس في ذلك شك لا شرعا ولا طبا أوضح الدكتور / نعيم أن مظاهر خروج الروح من الجسد هي زوال وظيفة جذع المخ .

ردا عـلى الدكتـور / شبير أن الإبصـار كله وظيفة مخيـة سواء العصبي أو العضلات المحركة للعين وجذع المخ هو حامل اللواء وهو آخر من ينهار ، فإذا انهار جذع المخ وهو أكثر المراكز العصبية تحملا ، فمعنى هذا أن كل المراكز العصبية التي فيما فوقه من القشرة إلى الجذع قد ماتت ، ويستوي هنـا من قُطع رأسـه وفصل عن جسده تماما وألقى مخه بعيداً ، ومن ضغط على عنقه وعملية الإعدام تمزق جذع المخ ـ إذا جذع المخ هو الفيصل والإبصار جزء من وظائف المخ .

أختلف مع الدكتور / شبير في موضوع الموت بالقطاعي إن الروح ليست

طائرا يفلت من الدماغ ، ينزل إلى القلب ثم يلعب قليلا في القلب ، ثم ينزل إلى الكلى ثم يهرب من الكلى وأخيرا يستقر في الأظافر ويترك الجسم بعد عدة محاولات كما قلت لأستاذي الدكتور / عبد العزيز كامل الموت لحظة وليس فترة وليس مرحلة وهذه اللحظة هي لحظة خروج الروح لكن أوضح لإخواننا الفقهاء أول ما دخلنا كلية الطب في السنة الأولى ، كانوا يأتون بالكلاب ويخلعون القلب والرئتين ويركبونها على جهاز ويسمونه جهاز القلب والرئتين يلقى جسد الكلب جانبا ويشغل القلب والرئتان لكي نشاهد كيف يعمل القلب والرئتان هل أستطيع أن أقول إن هذا القلب فيه حياة ، نعم حي هل هذه الحياة حياة روح كما وصفت الروح في القرآن ؟ لا إذا نحن مضطرون للتسليم بما قاله الدكتور نعيم ياسين أظن أنه هو أقرب الناس من الفقهاء إلى الأطباء ، وكنت أتوقع أن نكون قد التقينا لكن يبدو أن الفجوة مازالت بعيدة بين الفقهاء والأطباء ، وحتى ينفض المؤتمر دون أن نصل إلى حل . وقد قلت إنني لا أريد أن أقسم الحياة إلى حياة كاملة وحياة ناقصة ، هذا التقسيم قائم إن هناك شيء اسمه « مزرعة الأنسجة » آتي بخلية من خلايا الكلى ثم أضعها فتتكاثر ويتكون نسيج كلوي كامل هل فيه روح ـ لا الروح هو ما يعطي الجسد كله صفة خاصة تتميز بسيطرة الإدراك والمخ على باقي الأعضاء هذه هي الروح .

أقول لأخي الشيخ توفيق لا تحاسبني بالمعجزات لأن معجزة الثلاثمائة عام تتناقض مع مفاهيمنا الطبية . إن كل خلية بشرية خلقت لكي تتكاثر عددا معينا من المرات بعد هذه المرات ، تفقد مقدرتها على التكاثر تماما . ومن هنا كان قوله ﷺ « إلا داء واحداً هو الهرم » مهما حفظنا الإنسان من الأمراض فإنه سيموت بدون مرض بالهرم لأن الخلايا ستتوقف وكل كائن حي خلاياه فيها عدد معين من مرات الانقسام ، السلحفاة التي تعيش مائة عام خلاياها تنقسم ٩٠ مرة الخلايا البشرية تنقسم من أربعين إلى خمسين مرة .

لا تحاسبوني على المعجزات فهذه ليست مقياسا . . استوعبوا معي مفهوم

المزرعة الخلوية والمزرعة النسيجية ، إننا نستطيع أن نزرع الأنسجة ونستطيع أن نحتفظ بأعضاء منزوعة من جسدها حية فترة ، هذه روح ؟ لا إذا نريد أن نصل إلى حل ، إن بداية الحياة بنفخ الروح إن نهاية الحياة بقبض الروح ـ ما هو توقيت نزع الروح ـ هو انتهاء سيطرة جهاز مركزي على باقي الجسم ، أما الكلى فنصف الناس في العالم كلاهم ميتة ويعيشون بغسل الكلى ولو استأصلت هذه الكلى ورميتها فلن يتأثر بشيء .

*** الدكتور / عبد العزيز كامل :**

شكرا سيدي الرئيس الوقت الباقي لسيادتك ولنا جميعا حتى نصل إلى نتيجة لا يزيد عن ساعة ونصف .

ـ الرئيس (الدكتور خالد المذكور):

إلى الثامنة إن شاء الله وأنت أتيت بعرف في الجلسة الماضية وهو عشرة دقائق للمتكلم .

*** الدكتور / عبد العزيز كامل :**

أنا لا أتكلم عن المتكلم بل عن الحصيلة الكلية لهذه الندوة وأعتقد أنه قد آن الأوان لأن ننتقل من الحوار إلى التركيز وإلى التلخيص ـ وأعتقد أننا قد حرثنا الأرض في أكثر من اتجاه .

ـ الرئيس (الدكتور خالد المذكور):

عفوا دكتور أنا أرجو أن بقية الإخوة المتكلمين يأتون بشيء لم يأت به غيرهم بشيء جديد مستجد حتى نستفيد منه إن شاء الله .

*** الدكتور / عبد العزيز كامل:**

من أجل ذلك حاولت في الجلسة الماضية أن ألخص نفسي في ست كلمات

أطرحها على إخواني لكي نختار منّها كلمتين والآن ألخصها بسطر واحد أرجو أن يكون واضحا أمامكم رسمت أمامي سطرا ووضعت عليه ست نقاط ـ ثلاث على يمين السطر وثلاث على يسار السطر ، الثلاثة الأولى تمثل بدء الحياة الإنسانية ونختار منها واحدة والثلاثة الآخرى على يمين السطر وتمثل نهاية الحياة ونختار منها واحدة على اليمين أرقامها بهذا الترتيب . .

١ ــ الإخصاب ٢ ــ العلوق ٣ ــ الحس العصبي

واختيارنا لواحد من هذه الثلاثة ـ تأتي بعد هذه المراحل الولادة والشباب والشيخوخة إلى آخره ثم أنتقل إلى الثلاثة الأخرى لكي لا تتكرر الأرقام أجعلها تحت رقم ٤ ــ موت جذع المخ ٥ ــ توقف القلب ٦ ــ توقف بقية أجزاء الجسم .

كل حوارنا يدور في هذه المحارو الستة ، وحوارنا الآن إذا كان مـركزا في الثلاثة الأخيرة فنحن مطالبـون قبل نهايـة الجلسة أن نختـار واحدة من الثـلاثة الأولى .

أنتقل بعد هذا إلى شيء أكثر من التحديد ، إذا كان الأمر عنـد إخواننـا الأطباء قد تيقن تيقنا لايدع مجالا للشك بأن موت جذع المخ معناه أن الميت إنسان دخل في مرحلة اللاعودة وأنه ولج باب الموت ، وكما سألت إخواني الأطباء هل إذا ركب على هذه الأجهزة يستطيع أن يستعيد شيئا ؟ قالوا لا إذا تيقنا إن الجذع قد مات وكل ما في الأمر إنها محاولة ـ قلت هل هي محاولة طبية أم هي محاولة نفسية فقال بعضهم يختلط فيها الجانبان الطب والنفس ، قلت هل ممكن أن تستعاد الحياة بعد موت الجذع فقالوا بإجماع لا ، إذاً هناك موت طبي واضح بموت جذع المخ تأتي بعد هذا المشكلات المتعلقة بالجوانب القانونية والجوانب الشرعية أنت لا تستطيع أن تتخذ وضعا قانونيا إلا بعد موت القلب وموت الجسم ، ولا تستطيع أن تأخذ وضعا شرعيا إلا بعد موت الجسم كله ، فنحن إذا مطالبون بأن نعطي قراراً واضحا في أننا

كعلماء كفقهاء قد أخذنا هذا القول الطبي الذي لم يأت جزافا ، وإنما جاء بعد دراسات على مستوى عالمي دقيق بأن موت جذع المخ هو عبارة عن بدء الموت الإنساني الذي لارجعة فيه ، وإننا بعد ذلك نستطيع أن نأتي بالمراحل القانونية المترتبة هي والنواحي الشرعية على ذلك الجانب الطبي لا أعتقد أن كل التفاصيل القانونية والطبية التي تنبني على هذا تستطيعون أن تصوغوها في هذه الندوة ، ولكن يكفي أن تحدد المراحل وأن الجانب القانوني والشرعي بعد هذا يمكن أن يدرس في أمور لاحقة أما ما يتعلق ببدء الحياة الإنسانية فستعودون إليه بعد وقت قليل . وفي هذه الجلسة أمامنا إما أن نختار الإخصاب أوالعلوق أو الحس العصبي وإذا كان لي أن أبدي رأيا فلعل الأمن في هذا أن نبدأ بالإخصاب لأنه هو الأكثر أمانا وهو النقطة التي يلتقي عندها الطب بالقانون بالجانب الشرعي هذا هو التلخيص الذي وجدت أن أقوله . . وشكرا سيدي الرئيس .

ـ الرئيس (الدكتور خالد المذكور)

ما تفضل به الدكتور / عبد العزيز كامل كنت لخصته تقريبا في خلال الفترة الماضية في النقاط التي تفضل بذكرها ، ولكن بودي قبل أن أتلوها عليكم أن أستكمل بقية المتكلمين .

* الدكتور / حسان حتحوت :

الدين النصيحة إنني أقترح أن لا نتخاطب بغضب لأن الغضب يبعدنا عن الصواب ولأن الغضبان كالسكران وإلا ستطول المدة وستشتد الحرارة وستذهب ريحنا هباء . سمعت كثيرا من أمارات الموت الإكلينيكية كما صورها الفقهاء أحب أن أقول إن هذه الأمارات الإكلينكية ينبغي أن تراجع مراجعة طبية وأضرب مثلا ـ ذهاب البصر ، ليس ذهاب البصر بالضرورة دليلا على الموت لأن البصر قد يذهب نتيجة لتخمر الدم في الشرايين المغذية للمنطقة البصرية من المخ دون أن يكون

الإنسان قد مات هذه أمور طبية ، من الناحية الطبية أيضا هناك سلسلة من العلامات الطبية الإكلينيكية اعترف بها الفقهاء كالوصول بإنسان إلى حركة مذبوح أي أنه لا أمل في شفائه وإنه يعامل شرعياً على انه ميت حتى هذه الأمارات ينبغي أن تراجع مراجعة طبية بمعرفة الأطباء ، فقد كان يظن أن من طعن فخرجت حشوته أصبح في حكم الميئوس منه ، وبالتالي حركته حركة مذبوح والذي طعن وتخرج أحشاؤه اليوم في الإمكان حياته إن شاء الله بالجراحة ، وهكذا وينبغي أن يقوم الأطباء بمراجعة هذه الأمارات الإكلينيكية التي تصل بإنسان إلى أن يعتبره الفقهاء بلغ إلى حركة مذبوح يجمع الأطباء جميعا على أن موت جذع المخ يساوي وعلى الأقل الوصول إلى حركة مذبوح أي إنه يعتبر ميتا شرعا ، ولا يعتبر العدوان عليه قتلا لحي . وشكرا لكم والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

*** الدكتور / عبد الله محمد عبد الله**

في التعريف الذي ذكره الفقهاء للموت قرروا أن الموت والحياة ضدان لا يجتمعان ، فلم يقل أحد إنه يمكن أن يكون إنسان ما حيا ـ ميتا في وقت ما ، إلا أنهم استثنوا من هذه الحالة حالة واحدة فقط ، وهي من وصل إلى حركة مذبوح بالجناية عليه أو بتعاطيه السم ، هذه الصورة الوحيدة التي استثنوها من اجتماع الحياة والموت أو عدم اجتماع الحياة والموت ، وقالوا تعليلا لذلك إن من قد نصفين أي انفصل شقه الأعلى سواء تعلق جوفه بشقه الأعلى أو لا ، استثنوا هذه الحالة لأن هذه الصورة لا يمكن أن يعيش إنسان بدونها ويعيش الإنسان فيها ، أو من تعاطى سما قاتلا والذي يغلب على الظن أنه لن يعيش أما من وصل إلى حركة مذبوح بمرض أو نحوه فقالوا إنه يعطي حكم الأحياء ولا يجوز دفنه ولا تترتب عليه الأحكام لم يخالف هذا القول إلا صديقنا العزيز في صباح هذا اليوم الدكتور / محمد نعيم ياسين ولرأيه طبعا تقدير إنما نقول إن هذا الرأي الوحيد الذي خرج عما هو مقرر في كتب الفقه .

* **الدكتور / عصام :**

ــ الواقع بين الدكتور / حسان أكثر ما كنت أريد أن أذكره وقد آن أن يسأل الأطباء الفقهاء من أين أتيتم بعلامات الموت التي تحكمون بها بالموت ـ اتفقنا جميعا في بداية الجلسة على أنه ليس هناك نص قرآني أو حديث مع احترامي للاستشهادات التي استشهد بها الدكتور / توفيق ولكنها ليست حاسمة في الموضوع ـ الذي أريد أن أصل إليه أنها أمارات بشرية خبرة الناس الموجودين خبرة المتطببين أو الأطباء والسيوطي مراقبته للموضوع ثلاثين سنة كلها خبرات بشرية ، هذه الخبرات البشرية تغيرت الآن وأصبح الأطباء المتخصصون يجزمون بأن الموت هو موت جذع المخ فالذي أريد أن أقوله إن هذا التشخيص من الأطباء يكاد يكون ملزماً للفقهاء من ناحية الموت ، وليس من ناحية الحكم هم أحرار أن يصدروا الحكم كما يشاؤون إن خبرتكم التي أدت إلى أحكامكم السابقة خبرة بشرية ، فتغير هذه الخبرة البشرية ينبغي أن يتبعه تغير في الحكم الفقهي . موت جذع المخ الدكتور / عبد العزيز عبر عنه بأنه بداية اللاعودة أود أن أقول إنه تأكيد للموت حسب الخبرة البشرية وما يبقى من حياة في الخلايا أو في الأعضاء هي بالضبط مثل الكلى التي نأخذها من مريض ما . الدورة الدموية تتوقف وقلبه يقف ونأخذها بعد نصف ساعة ونجعلها تعيش وتستمر تعيش أو الخلايا التي نستزرعها هي حياة الجسم ما بقي من حياة في أعضاء الجسم بعد موت جذع الدماغ هي مثل هذه الأعضاء ، فنحن نريد أن نبني الحكم على هذه الحقيقة الطبية ونقول لفضيلة الشيخ بدر إن هذا يقين وليس بشك يقين طبي بأن الموت مع موت جذع الدماغ ـ هذه الحالة ينبغي أن نحكم فيها بصرف النظر عن نزع الأعضاء للزرع ، وأنا أسلفت في حديثي صباح هذا اليوم أن من الشروط التي أصدرها المراقبون الطبيون في الجهات المسئولة في الدول المختلفة حتى يصح تشخيص جذع الموت أن تكون الشروط الموضوعة لهذا التشخيص لا تفترق في حالة أخذ أعضاء عن الحالة التي لا يؤخذ فيها أعضاء هي بضاعة واحدة ليس فيها مساومة والحالة التي أتحدث عنها وهي تشخيص الموت دون حاجة إلى أعضاء

حالة موجودة في كل وحدة عناية مركزة في كثير من المستشفيات وشكرا .

*** الشيخ محمد المختار السلامي :**

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما ـ وبعد فإني أؤمن إيمانا يقينيا أن مجال الفقهاء هو مجال الأحكام الشرعية لا يخرجون عن ذلك وأن عمل الفقيه لا يخرج عن بيان الحكم إما الحكم التكليفي وإما الحكم الوضعي وما عدا هذا فإنهم يعودون إلى أهل الذكر ليأخذوا منهم الواقعة كما يعلمونها حتى يتمكنوا من إعطاء حكم للواقعة التي هي عمل أهل الاختصاص ولا ينقلب الفقيه ولا يقبل منه أيضاً أن يخرج عن اختصاصه هذا فيعطينا حدا للحياة أو الموت ، وما وقع من الفقهاء القدامى إنما هي اجتهادات بنوها على اتصالات وعلى تجارب هي متناسبة مع وضعهم ومع علمهم ومع التقدم العلمي في عصرهم ، وإنه اليوم في هذه القضية أو في غيرها لابد من الرجوع إلى أهل الذكر في كل علم ، سواء كان ذلك في الاقتصاد أو كان ذلك في الطب أو في غيره من النشاطات البشرية ، والمشاكل الإنسانية علينا أن نعود إلى أهل الاختصاص ليصوروا لنا القضية تصويرا حقيقيا ، أحيانا نسألهم عن كل ناحية من النواحي فإذا ما صورت القضية لا ننكر عليهم ولا نقول لهم أنتم مخطئون أنتم قد قصرتم ولكن نعطي حكما حسبما يقدم لنا . فنحن في قضايا الاقتصاد يأتي الخبراء الاقتصاديون فيعطون الصورة الكاملة للعملية الاقتصادية ونحن نكيف الوضع نعطيه حكما شرعيا إما بالحل وإما بالحرمة فكذلك ههنا يجب أن لا نتجاوز هذا والسلام عليكم .

*** الشيخ بدر المتولي :**

في الواقع إننا لم نخرج عن اختصاصنا ولم نتدخل في اختصاص الأطباء ولكن

هناك استشكالات على ما قاله الأطباء حتى يطمئن قلبي وهو هل الجسم الميت يقبل أن يكون في حالة هدم وبناء هذا هو السؤال ؟

طبعا الجسم الذي تحت الأدوات والأجهزة وغيرها هذا الجسم في الواقع تبقى هناك أجهزة رئيسية الجهاز التنفسي - الجهاز الدموي جهاز التغذية وهكذا كلها تبقى وتؤدي عملها كما سمعنا منهم فنتساءل حتى يطمئن قلبي ، لأن الحياة موجودة بيقين فلا أستطيع أن أحكم بذهاب هذه الحياة الإبيقين لأن اليقين لا يزول إلا بيقين لا يزول بالشك مادام هناك أدنى شك في بقاء أثر من آثار الحياة وأستدرك على الدكتور / عبد العزيز كامل بأننا لم نقل بموت كل الجسم ولكن الذي أقوله هو موت جذع المخ - الدماغ وفي الوقت ذاته الأجهزة الرئيسية التي هي جهاز التنفس - والجهاز الدموي وجهاز التغذية أما أن أحكم بالموت في واحد مات منه جذع المخ وفي الوقت ذاته يأكل سواء كان بوسيلة أو بغيرها وفي الوقت ذاته في جسمه عملية هدم وبناء وأحكم عليه وأقول إنه مات مع بقاء علامات قوية جدا من علامات الحياة أما أن أتدخل في شأن الأطباء لا أنا أقول عندي شك يا إخواننا يا أطباء أزيلوا هذا الشك من رأسي أزيلوا هذا الشك أستطيع أن أطمئن بإصدار أحكام الموت على هذا الشخص الذي حكمتم بموته أغسله وأكفنه وأدفنه وأرثه إلى آخر ما يمكن أن يقال من الأحكام الكثيرة جدا ، ولذلك أنا استبعدت مسألة نزع القلب باعتبارها كما قال بعض الأطباء وجد عنها بديل صناعي . . . . ولكن من حقنا كمسلمين كعلماء وكفقهاء مطلوب منا الفتيا أن نطمئن أن هذا ميت حقيقة أما كونكم تقولون ميت حقيقة وفي الوقت ذاته جسمه في حالة تنفس وفي حالة حركة سواء كانت حركة ذاتية أو غير ذاتية وفي حالة بناء وهدم أظن أنا إلى هذا الوقت، لا أقتنع بهذا وأريد أن أطمئن حتى أصدر فتواي على بصيرة من الأمر أنا لا أتدخل في شئونكم قولوا إنه مات قديما قلتم إنه مات بسكوت القلب ثم رجعتم عن رأيكم .

أخي الشيخ محمد الأشقر أثار مسألة هل هناك احتمال ولو نظري في أن يأتي الوقت الذي يتدخل فيه الطب في إعادة الحياة إلى جذع المخ أم لا ؟ سمعت من

الناحية النظرية أن هذا جائز وإن العلم لا ينفي هذا كما كان العلم إلى عهد قريب يعتبر توقف القلب علامة قاطعة على الموت ثم حذفتم هذا احذفوا هذه المسألة أيضا والمسألة حياة متيقنة فلا أحكم بزوال هذه الحياة إلا بيقين قاعدة شرعية اليقين لا يزول بالشك وأنا متمسك بهذه القاعدة ـ

* الشيخ / ابراهيم الدسوقي :

التزمت الصمت في الصباح وحتى هذه اللحظة وبالأمس لا أنكر أننا خرجنا أو أني شخصيا خرجت بفائدة كبيرة غيرت عندي مفهوما كان راسخا في ذهني ، وربما كان في بعض المذاهب ما يؤيده فأنا سأتكلم عن هذا المفهوم .

أولا في مسألة الحياة كنت أظن أن الحياة بعد ١٢٠ يوماً لكن تأكدنا بعد أن رأينا الاختبارات التي قدمت لنا والمعلومات التي عرفناها من إخواننا الأطباء جزاهم الله خيرا أن الحياة قبل ذلك عند العلوق ـ عند التقاء الحيوان المنوي بالنطفة هنا تكون حياة بالبويضة هنا تكون حياة أو عند العلوق بالرحم هنا تكون الحياة ربما كنت ممن يؤيدون أن الحياة تبدأ منذ التقاء الحيوان المنوي بالبويضة هنا تبدأ الحياة وذلك أمر أحتاط به لديني ويمكن ربما أثرت بعض ما يترتب على هذا .

ونحن نتكلم عن موضوع اللولب وأخونا الدكتور مأمون وقلت إن اللولب حيث إنه يؤثر ويمنع البويضة من العلوق يعتبر إجهاضاً مبكراً ، وعلى ذلك فمسألة اللولب الذي يمنع من علوق النطفة أو البويضة الملقحة بجدار الرحم إذا منع هذا اعتبر إجهاضا مبكرا بعد أن أثبتنا أن الحياة مستقرة في البويضة بعد أن لقحت بالحيوان المنوي بعد هذا نقول إن اللولب استخدامه يعتبر وسيلة للإجهاض بحياة موجودة .

بعد هذا تأتي مسيرة حياة الجنين حتى الثلاثة الأشهر أو الأربعة الأشهر ـ مائة وعشرون يوماً هذه الحياة مستقرة والشرع قال لنا عنها فرغم أن الحنابلة أو بعض

الأئمة قال يجوز الإسقاط لكن بعد العلم بأن هناك حياة موجودة فعلا وبعد أن قرر الشرع أو قرر الفقه الإسلامي أن في هذا العدوان جناية على حيوان موجود أو على حياة موجودة هنا لا نستطيع إلا أن نقرر أن هناك حياة أما بعد نفخ الروح فهي معروفة فعلا .

بعد هذا ننتقل لحاجة ثانية وهي نهاية الحياة ـ حقيقة نحن علمنا من السادة الأطباء عندما تكلموا عن جذع المخ وخلافه وقالوا إنه بهذا تنتهي الحياة ، أنا أقول في صدر الإسلام لم تكن هناك أجهزة وما سمعنا وما علمنا أن إنسانا دفن ثم تبين أنه كان حيا ، فإذا كان الأمر كذلك طبعا هم دفنوه على أساس أنه كانت هناك علامات أو أمارات كانوا يستخدمونها حتى يثبت من أن الحياة قد انتهت نهائيا ، أما وقد وجدت الآن وسائل عملية تساعدنا على أن نتأكد ونستوثق أكثر وأكثر فإذا يمكن أن نقول إن الموت يكون بخروج الروح من البدن وانقضاء حركة الإنسان والتثبت من ذلك بالأجهزة المخصوصة ، أو الانتظار كما ذكر بعض الفقهاء إلى أن نتأكد من ذلك ولو كان بتغير راائحته ، وعلى هذا الأساس لم نهدر ما كشفته الأجهزة العلمية الحديثة إلى جانب أننا أيضا أعملنا ما استخدمه السابقون من أمارات في عملية معرفة حياة الإنسان أو موته والحكم عليه بعد ذلك وشكرا . لكم أيها الإخوه .

*** الدكتور / محمد نعيم ياسين :**

ـ الحقيقة أنا بالنسبة لفهم موضوعي أحيا. على بحث الدكتور محمد الاشقر فقد ذكر خلافا في قضية ، القضية التي أثارها الدكتور / عبد الله أنا لم أقل أبداً إنني أخالف الفقهاء في قضية حركة المدبوح ، الحقيقة أنا قلت عندها إنه مالها أهمية بالنسبة لي وابن عابدين ذكر رأيه عند الحنفية في هذا الأمر .

*** الدكتور / عبد الحافظ حلمي**

ـ كنت أغالب الرغبة في الحديث لكن فضيلة الشيخ بدر تفضل فوضع

سؤالا يريد أن يرتاح إليه قلبا وعقلا ، فأنا أحاول بأسلوب أرجو أن يكون مبسطا الإجابة عن نقطة معينة يثيرها وهي الهدم والبناء ، هذه الكلمة تكررت كثيرا على ألسنة كثير من الزملاء وأعتقد أنه حدثت فيها مبالغة غير حقيقية والواقع أن مسألة الهدم والبناء هذه أحيانا في مرحلة منها هي مسألة كيميائية ، وهذا كله يعلمه حضرات الأطباء وهذا لا دخل له بموضوعنا إذا كان هناك هدم وبناء وبمعنى آخر تجدد خلايا فأيضا أقول إن هذا لا دخل له أيضا بموضوعنا بشكل عام . وفضيلة الشيخ بدر يريد أن يصل إلى أن القلب مثلا بعد أن يثبت ما يقال بأنه مات هل يستطيع أن يستعيد حياته هذه . ونستعين بالتشبيه الآتي مع الفارق :إن الإنسان كل متكامل نحن لا نتكلم لا عن قلب ولا رئتين ولا كذا ولا كذا هذه كلها أجزاء إنما الإنسان الكامل (أقول تشبيه مع فارق ومع فوارق) أنا أشبه بالتشبيه الآتي سيارة أحيانا شكلها كامل وسريعة وبعدئذ فجأة تتوقف فالتوقف هذا قد يكون إصلاحه بأن أبدل شيئا بالشيء التالف أو تصلح الشيء التالف وتعمل أو نحدث توصيلة مثلا من الخارج وتدور فيها دورة المحرك ، ولكنها لا تتحرك ولا تؤدي لعمل الرحلة إن الإنسان كجزء متكامل حكم فيه الأطباء وذوو الاختصاص بمقاييس هذا الزمان بأدوات هذا الزمان أنه لا رجعة في موته ولن تعود إلى حياة المبدأ الأول .

الذي يحدث أن جملة الوظائف التي تجعل هذا الإنسان يوصف بالحياة قد انتهت والأطباء يشخصون أن جذع المخ هو الجزء المسيطر على العمليات الرئيسية من نبض وتنفس هذا هو الحكم إذا كان القلب يستطيع أن ينبض بوسيلة أو بأخرى هذه قضية ثانوية ولها مبحث آخر هي نقل الأعضاء وما سواها وأعتقد أن هذا هو الكلام الذي يمكن أن يبين الفكرة .

*** الدكتور / عصام الشربيني**

ـ محاولة لطمأنة الشيخ بدر وطبعا نحن نركز الكلام عليه لأنه ركن الفقه يا سيدي الفاضل سيادتك تريد أن تطمئن أولا حكاية الهدم والبناء ليس لها وزن كبير

لأن الهدم والبناء إذا كنت فهمت غرض سيادتك كما أشار الدكتور / حلمي عبارة عن أعمال كيماوية فهذا ممكن أن يحدث بالخلايا التي نزرعها ، نأخذ خلية ونزرعها في طبق وتنتقل فهذه لا تغير حياة أو موتاً ، عندنا الموت عملية متكاملة يحصل خلل في عضو فما لم نتمكن من إصلاح هذا العضو تتداعى الأعضاء واحداً إثر الآخر ، حتى تصل إلى مرحلة نهائية ، ومسألة القلب ومسألة الرئة التي تتحدث عنها سيادتك كنا نقول إن القلب إذا مات انتهى وقبلت منا ذلك ولم تقل ممكن أن تحصل حياة ثانية في القلب ، فنحن نستغرب الآن عندما نقول إن الموت في جذع المخ تقول سيادتك ننتظر حتى يمكن يحصل اكتشاف لحياة هذا المخ واسمح لي بعرض هذا الرأي:الإنسان الحي نستطيع أن نعزل قلبه عن العمل ونشغله على مضخة خلال عملية ساعة أو اثنتين أو ثلاثة فعزل القلب عنه لا يميته،والقلب الذي يضرب وحده لا يعني حياة الرئتين ، كذلك الإنسان هنا يتنفس بمضخة تنفخ هواء فيه ، وكذلك أثناء العمليات الجراحية عملية القلب المفتوح نأخذ الدم للخارج بمضخة ونمرره على أغشية فيها أكسوجين ، ونستغني عن الرئة ساعة واثنتين وثلاثا والذي أقصده أن وجود قلب أو عضو آخر يستمر في العمل بعد الموت لا يعني حياة ، وكذلك إماتة هذا العضو ممكن أن تستمر بعدها حياة الإنسان هل هذا يطمئن قلبك .

ـ الرئيس (الدكتور خالد المذكور)

القصد من توجيه السؤال من فضيلة الشيخ بدر أنه لا يكتفي بموت جذع المخ ، وإنما يضيف إليه الأجهزة الرئيسية في الجسم حتى يتأكد ، وحتى تنتقل الأحكام الشرعية من العدة وما إلى ذلك ، والسؤال إن الأجهزة بعد موت جذع المخ تعمل إلى مدة قليلة أو كثيرة ، وبانتهاء هذه الحياة مثل الألة التي توضع مثلا على الكهرباء ثم تقطع الكهرباء عنها فتبقى تشتغل هكذا إلى أن تقف وحدها ، هذا هو معنى الكلام الذي قاله الدكتور عصام .

* الدكتور / يوسف القرضاوي :

الحقيقـة كنت أوثر أن أظـل مستمعا والصمت خـير ، ولكن هناك بعض الأشياء قد تستوجب التعقيب .

أولا الحقيقة ما أثرته حول قضية الإنعاش الصناعي وما قلته من كلام فقهائنا حول مسألة العلاج ووجوبه وعدم وجوبه ، بعض الإخوة أثار شيئاً حول هذا وربما يشكك بعض الإخوان وأنا أقول إن هذا يقين عند الحنابلة والشافعية إن العلاج والتداوي ليس واجبا بل نقل عن الإمام أحمد أن ترك التداوي أفضل وهو ليس من أهل التصوف لا بل هو إمام أهل السنـة ، وهذا أسـاس حديث السبعـين ألفاً المعروف في الذين يدخلون الجنة بغير حساب ووصفه السبب بأنهم لا يكتوون ولا يسترقون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون ، والكلام في هذا لا حاجة إلى الخوض فيه والحنابلة لم يقل منهم أحد بوجوب العلاج إلا ابن الجوزي ، وأنا لم أتبين هذا أنا أقول العلاج واجب إذا تحقق الإنسان الشفاء بالدواء أو ترجح لديه ، وإذا لم يترجح فيمكن يستحب أو يشرع . ولو قلنا بالوجوب دائما وفي كل حالة بعضنا يمشي بعدة أمراض وهو لا يعالجها لأنه لا يتألم منها كثيراً ويخاف من العلاج أو يخاف من الأطباء أو يخاف من العملية إلى آخره ـ فأحببت أن أذكر هذا وأخونا الأستاذ محمد الأشقر قال لعل هذا من المتصوفة مع أنه يهتم بالفقه الحنبلي ، ولو رجع إلى كتاب الفروع أو الإنصاف في الجنائز أو إلى شرح الغاية أو غيرها من كتب الحنـابلة لوجـد الأمر واضحاً كل الوضوح ، ومروراً عن إمام المذهب نفسه ـ لا أريد أن أطيل في هذا إنما ذكرت الحقيقة لأنه يحل نصف المشكلة في قضيتنا هذه .

الأمر الثاني بالنسبة لما ذكره الدكتور عبد العزيز كامل من نقاط .

الحقيقة نحن بالأمس كنا في جلسة حول بدايـة الحياة والأغلبيـة كما قلنـا بالأمس تتجه إلى احترام الحياة من أول يوم ، وهناك من يقول بعد الأربعينات ـ لا هناك من يقول بالعلوق وهناك من يقول بعد نفخ الروح على خلاف . والمسألة لم

تحدد بالحس العصبي إنما حددت بنفخ الروح بعد الأربعين أو بعد المائة والعشرين هذا هو الخلاف حتى لا نعيد لأن الدكتور / عبد العزيز لم يكن معنا بالأمس .

الأمر الثالث وهو ما يتعلق بقضيتنا قضية الموت وما أثاره فضيلة الأخ الشيخ محمد المختار السلامي الحقيقة أثار مسألة مهمة هي أن الفقهاء إنما يقضون في الوقائع حسب ما يقوله أهل الاختصاص ومهمة الفقه هي الحكم بأن يقول هذا حلال وهذا حرام وهذا جائز وهذا مستحب وهذا فرض .

والأحكام الشرعية بناء على ثبوت أسباب وأشياء معينة ، والشرع يهتم بهذه يقول إذا ثبتت الحياة فالحي له حقوق كذا وكذا ، وإذا مات فالموت يترتب عليه أحكام كذا وكذا ، وإذا بلغ الشخص فيه كذا وكذا ، وإذا طلع الفجر وجبت الصلاة لكن هذه الأشياء أحيانا الشرع يعطي دلائل كما أعطى (مثلاً) دليلا على بلوغ الصبي بالاحتلام ، وإذا لم يحتلم هناك اختلف الفقهاء في هذه الحالة هل يؤخذ إنبات الشعر حول أماكن معينة أو السن ويا ترى كم يكون السن ؟ في هذه الحالة اختلاف بين الفقهاء ، لأن الشرع لم يعط حدا حاسما في هذه القضية في مسألة مثلا الفجر الصادق نعرف الآن في أوربا مشكلة ضخمة في مسألة تحديد الفجر ما هو وتحديد العشاء والشفق الأحمر وعملية ضخمة كبيرة جدا لازال البحث فيها ، لأن هذه المسألة يمكن أن يبحثها غير الفقهاء ويمكن بعدئذ أن يصدر الرأي من الفقهاء وأهل الفلك . كذلك في هذا الأمر الحقيقة الفقهاء ذكروا من علامات الموت ما ذكروه كغيرهم كبشر لهم خبرة ولهم معرفة بعلامات الموت ولم يعط الشرع شيئا حاسما قاطعا في هذه القضية ولكن جاءت بعض الأشياء قد تشير ولكنها ليست يعني جامعة مانعة حاسمة قاطعة فلهذا يظل الأمر يعني كما أعتقد في دائرة العفو وهي الدائرة التي جاء بها الحديث ما أحل الله في كتابه فهو حلال وما حرم فهو حرام وما سكت عنه فهو عفو فاقبلوا من الله عافيته فإن الله لم يكن لينسى شيئا ثم

تلا ﴿وما كان ربك نسيا﴾[1] حديث سلمان وهو حديث صحيح فهذه منطقة العفو الله سبحانه وتعالى يفعل ذلك غير نسيان رحمة بنا ونستطيع أن نملأها عن طريق القياس عن طريق الاستصلاح عن طريق الاستحسان عن طريق الرجوع إلى العرف الرجوع إلى الخبراء إلى كذا بما لا يتعارض مع المقاصد الشرعية ولا المصالح الشرعية ولا النصوص المحكمة في هذا ولهذا أعتقد أننا الحقيقة أنا لم ابن رأيا وأنا أحمد الله أنني لا أعتقد ثم أستدل يعني لا أبين رأيا مقدما ثم أجر الأدلة والنصوص - الحقيقة وأنا أريد أن أكون رأيا بعد أن أن أسمع وأرى فأكون الرأي بعد هذا ولذلك أحيانا يتغير الرأي بعد ما أقرأ البحوث : وبعد ما أسمع الحوار ومن هنا أقول لكم صراحةانني بعد ما سمعت من الحوار يعني أصبح الآن لا جزم الآن لأن القضية خطيرة كما يقول فضيلة شيخنا الشيخ بدر إنما أصبحت أميل إلى اعتبار أن موت جذع الدماغ هو الموت والشخص الذي ظل جسده يعني يتغذى والدورة الدموية شغالة لا أقول إنه حي الشخص مات والجسد حي الشخص الذي هو الإنسان العاقل المفكر الذات الإنسانية فعلا أعتقد أنه مات وإن بقيت هذه الجثة لا أقول إن الشخص عايش وإنما جثة جثة من هذا هل هي الشخص أعتقد أنه من الصعب الحكم بأن الشخص لازال حيا أنا أقول هذا لمحاولة التقريب وإبداء نوع من الرأي وإن كان الجزم في هذه الأمور يصعب على أمثالنا أهل الفقه عادة محافظون في الجملة مهما كان منهم المجددون فنحن نخاف من الجديد أقول قولي هذا وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

ـ الرئيس (الدكتور خالد المذكور)

في الحقيقة المسألة الآن أصبحت تقريبا في نوع من الوضوح ، وقد لا نتفق فيها وطبعا عندما وضع موضوعها قالوا إن موضوعها صعب جدا ، وأنها ستسبب نقاشا حادا ، وأنها لا يتوصل فيها إلى رأي قاطع حاسم ، وقلنا يكفي أن نثيرها وأن

---

(١) سورة مريم / ٦٤ .

نناقش فيها وأن نضع الأرضية التي نستطيع بها إن شاء الله أن نقرب وجهات النظر في هذا الأمر ـ ما أدري إذا كان هناك جديد من غير ما ذكر ويستفاد به ويضاف حتى نتوصل إلى نوع من تقريب وجهات النظر أكثر وأكثر فحبذا أنا لا أريد أن يقال كلام مكرر أو يرد على نقطة قد أثيرت ونوقشت وإنما نأتي بإضافة أو برأي جديد حتى ننتهي إن شاء الله على خير .

* الدكتور / أحمد القاضي :

توضيح عن الشيء الذي أثار الالتباس عند فضيلة أستاذنا الشيخ بدر ربما هي حركة الصدر بسبب وضع الجثة الميتة على جهاز التنفس ، جهاز التنفس لا يتحرك بعد موت الجذع وإنما الماكينة هي التي تحركه والدليل على ذلك يعني لتقريب المثال لو انتظرنا ساعات حتى تغيرت رائحة الجسد يعني مات ورائحته ظهرت ووصلنا إلى القفص الصدري بجهاز التنفس بشكل من الأشكال وبدأ يضخ الهواء ويشفطه جهاز سيتحرك هي إذا حركة الجثة الميتة بسبب دفع الهواء وشفطه من داخلها تماما لو وصلنا (بلّونه) بمضخة هواء تنفخ وتشفط (البلونة) تتحرك لكنها ميتة والآلة هي التي تتحرك ، ولذلك ربما الذي أثار الالتباس هو عدم دقتنا نحن الأطباء في التعبير حين نقول نترك المريض عايشاً على المكن ـ لا بل هو ميت على المكن وهذه الجثه ميتة وإن كانت محفوظة على المكن ولذلك حركة الصدر هي التي أدخلت اللبس هي حركة المكنة وليست الجهاز التنفسي .

* الشيخ / عبد القادر العماري :

أنا لاحظت في مناقشة هذه القضية أنه هناك إجماع من الأطباء جميعا ولم نجد

بينهم خلافا مثل ما كان في القضية الأولى التي تناقشنا فيها ، وهذا يعطينا دليلا على أن هذا الحكم من قبلهم حكم صحيح مبني على تجربة ومبني على علم عميق ، والفقهاء كما هو معروف في مثل هذه المواضيع قديما لم يعتمدوا على نص قرآني ولا حديث .

وفي مثل هذه القضايا حصل فعلا خلاف فمثلا أقصى مدة الحمل قال الفقهاء فيها كلاما ، والآن بعد الاستماع وبعد تقدم العلم وبعد كثرة الأطباء وافق العلماء على رأي الأطباء وتركوا رأي الفقهاء كان الحنفية يقولون سنتين والشافعية يقولون أربع سنين والحنابلة يقولون أربع سنين والمالكية لهم رأيان خمس سنين أو أربع سنين وهذه كلها غير صحيحة ، ووافق العلماء المحدثون على رأي الأطباء في هذا ، فأنا أمام رأي لما لاحظته من إجماع الأطباء فأحيل إلى ما قاله الشيخ يوسف أن المسألة فعلا يجب أن نعتمد رأي الأطباء ولكنها بما إنها مسألة صعبة وشائكة علينا أن ندرسها ونمحصها وشكرا .

*** الدكتور / محمد الأشقر**

الآن تشخيص الموت له آثار طبية وآثار فقهية وقانونية ، الآثار الطبية هي الآثار الملحة في الحقيقة وتتلخص في أمرين : زراعة الأعضاء ونزع الأجهزة ـ فأما زراعة الأعضاء فأنا لا أدري عن إخواننا الفقهاء لكن أنا نفسي مطمئنة مائة في المائة إلى أن الضحايا بالحوادث الذين أصيبوا إصابات قاتلة لاشك في أنها قاتلة كمن انتثر دماغه أو قطعت رقبته أو نحو ذلك إن هذا يمكن أخذ أجزاء من بدنه طبعا في حالة الضرورة وفي حالة توفر الشروط جميعا وإن الأخذ من ضحايا الحوادث يكفي وهو مصدر صريح وواضح في كتبنا الفقهية ، ويمكن الاكتفاء به عن الاحتياج إلى زرع الأعضاء ، وهذا للأسف للآن ما استعمل في بلادنا الإسلامية أو على الأقل في

الكويت والبلاد المجاورة ما أخذوها ما المانع من الأخذ ؟ وهل يقول أحد من الفقهاء بأن هذا يعني الجناية عليه كالجناية على الحي أعتقد أن التركيز على ضحايا الحوادث . وخاصة طبعا الحوادث القاتلة التي لا شك فيها أنها قاتلة ينبغي أن يكون مصدراً ويكتفى به ، المصدر الآخر هو الحوادث المشكوك فيها ، أو الأمراض المؤدية إلى الموت .

بقى قضية نزع الأجهزة وأنا أريد ما بدأ به فضيلة الدكتور / يوسف القرضاوي وأن المسألة ليست بتلك الدرجة من الخطورة وليس هذا عدواناً على إنسان حال الحياة بل هو سائر إلى الموت عاجلا أم آجلا فيمكن أن تنزع عنه الأجهزة وهذا أصبح واضحا جدا والحمد لله .

بقي إجابة على سؤال الدكتور / عصام أنه يعني هل الفقهاء عندما قالوا بهذه العلامات للموت قالوها بمقتضى الخبرة البشرية ، ونحن هذا نقوله ونكرره لكن إذا وجدت علامات للحياة وعلامات للموت هذا الإشكال إذا وجدت علامات للحياة وعلامات للموت في بدن واحد فأيهما الذي يقدم ؟ طبعا لاشك إنه يقدم علامات الحياة ونضرب مثلاً قد يوضح هذا أن الشلل النصفي مثلا النصف ميت والنصف حي لا نقول هذا ميت ، الشخص ليس ميتاً وشكرا .

*** الدكتور / عبد الله محمد عبد الله**

ـ أتكلم على مسألتين باختصار شديد المسألة التي أثارها الدكتور / يوسف القرضاوي مسألة العلاج ـ نقلت أربع فقرات ما تتجاوز السطرين . المذاهب التي عند الإمام أحمد العلاج رخصة وتركه درجة أعلى ورواية أخرى عنه يباح التداوي وتركه أفضل عند الشافعية التداوي أفضل من تركه ومذهب الشافعية قاله

النووي في شرح مسلم وجمهور السلف وعامة الخلف وذهب إليه ابن الجوزي ، مذهب أبي حنيفة أنه مؤكد حتى إنه يقارب الوجوب ـ مذهب مالك إنه يستوي فعله وتركه فإنه قال لا بأس بالتداوي ولا بأس بتركه هذا كلام مجمل لأقوال الفقهاء في العلاج .

المسألة الأخرى في الواقع أريد أن أهمس في آذان الأطباء بكلمات قليلة من أقوال الفقهاء في كتاب ابن الحاج (المدخل لابن الحاج) كلام طويل عريض عن آداب الطب وآداب الطبيب جئت بسطرين أو سطر ونصف من كلام هذا العالم ، أوجهه إلى الأطباء لكي نصل إلى توجيه السؤال هل هم يقطعون بأن موت الجذع أو الدماغ موت ؟ وهذا رأيهم القطعي والنهائي وأنه لا رجعة في هذا أو أنهم الآن بالمقاييس العلمية لا يعلمون علامات لهذا الموت الجذري أو الجذعي للمخ . هذا السؤال يتوجه يقول الامام ابن الحاج فيما ذكره من آداب كثيرة في الطبيب ، ويتعين على الطبيب إن كان لا يعرف المرض أو عرفه ولم يكن عالما بدوائه ألا يكتب أوراقا بأشربة وغيرها ، يعني إما أن يشخص المرض تشخيصاً صحيحاً ويعرف ما نوعه أو يعرف المرض ويعرف علاجه أو لا يعرف هذا . والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

ـ الرئيس (الدكتور خالد المذكور)

أنا لا أستطيع أن أمنع أحدا من الكلام والوقت فيه بقية ولكن النفوس مرتاحة لكي نتوصل إلى نتيجة تقرب وجهات النظر لأن الموضوع قد استوى .

* الدكتور / عصام الشربيني

سؤال جديد ولكن قبل أن أطرح هذا السؤال وهو ينقلنا إلى موضوع آخر سمعت الآن وأنا أتناقش مع جاري الدكتور / مختار المهدي سؤالا ولكي لا يأخذ الكلمة مني سأطرحه أنا بالنيابة عنه ثم أقول سؤالي ـ يقول الدكتور / مهدي واحد نقل إليه قلب فأصبح فيه قلب إنسان آخر هل هذا فيه حياة أم حياتان هذا سؤاله

وأرجو أن تؤجل الإجابة عليه .

أما سؤالي فهو هب أننا غداً أو في الأسبوع المقبل أو في الشهر المقبل بعد أن اتضح في هذه الجلسة أن هناك رأيين فقهيين رأي يقوله فضيلة الشيخ بدر والشيخ توفيق وآخرون ورأي يقول به الدكتور يوسف وعلى ما أعتقد فضيلة الشيخ مختار . . . اسمح لي أنا أفترض ـ بعد هذه الآراء الفقهية أصبحنا غدا أو بعده أو الشهر الجاري وصدر قانون في الكويت يعتبر أن موت جذع المخ هو موت الإنسان قانون مزاولة المهنة الطبية مثلا وهذا بالنسبة لما تعلمناه منكم يكون اختياراً من الحاكم لأمر فقهي اجتهادي محل خلاف ، هب أن هذا القانون صدر بهذه الصورة وبعدئذ أنا كان أمامي مريض ، وشخصت فيه موت جذع المخ وأقفلت الأجهزة ، هل أنا قاتل أو هل أنا مجرم يلاحقني أهله بطلب الدية أو بطلب القصاص أم لا ؟

* الشيخ / بدر

في الحقيقة أولا فيما يتعلق بأنك أنت تقفل الجهاز ، اقفل الجهاز يا أخي هذه مسألة بسيطة جدا وانتهى الأمر فيها ، عطل الجهاز ولاسيما إذا كان هناك نفقات أكثر أو هناك من يحتاج إليه أكثر المسألة في منتهى البساطة ـ المسألة في الأحكام الأخرى لا أقول إني أغسله أكفنه أدفنه وهو يتنفس وأدع زوجته تتزوج ، أما كونه لا يرث فلأن القاعدة التي التزمها الفقهاء أن الوارث لابد لتحقق الميراث من تحقق وفاة المورث وحياة الوارث ، فإذاً هذه حياة مشكوك فيها . ولذلك أنا قلت في البحث عندي إن حياة الوارث إذا كانت حياة كحياة المذبوح لا قيمة لها ولا يرث ، أظن هذه واضحة هو قطعا فيه حياة ولكن مشكوك فيها ، ولذلك لا يرث أما كونه لا يورث فلأنه لابد من تحقق وفاته ، فإن قلتم لنا بمجرد موت الجذع يعتبر متوفى سأرتب عليه هذا الحكم ولكن كيف أرتب هذا ؟ أمامي علامات قوية ولذلك لا أوافق الدكتور عبد العزيز كامل في أننا نقول لابد من موت كل الجسم ، أنا لا ألتزم

هذا وإنما أقول موت جذع المخ مع الأجهزة الرئيسية التي تعطيني نوعاً من أنواع الشك القوى جداً بأن فيه حياة فإذا وجد عندي موت جذع المخ مع موت أو تعطل للأجهزة الرئيسية انتهى الأمر وأصبحت المسألة واضحة . فالمسألة حياة بيقين فلا أستطيع أن أحكم بزوال هذه الحياة إلا بيقين أيضاً . اليقين لا يزول بالشك أبداً مادام فيه أدنى شك أنتظر حتى يتعفن وحتى تظهر رائحته فكيف مع وجود تنفس مع وجود عملية بناء وهدم .

ـ الرئيس (الدكتور خالد المذكور)

إن الدكتور / عصام الشربيني قال لو صدر قانون في الكويت بعد مدة مثلا ، وقال إن الموت يكون بموت جذع المخ باعتبار أنها قضية مختلف فيها بين العلماء ـ ماذا يكون الموقف بهذا ؟

*** الشيخ بدر المتولي :**

الموقف أنهم ينفذون أمر ولي الأمر ، أما أنا فأمتنع عن الفتيا في هذا الموضوع شخصياً تدينا ، وهو واجب الفقيه الذي وصل إلى درجة الاجتهاد في مسألة ، والإجتهاد في المسألة جائز ولا ألزم الناس باجتهادي ولكن ألتزم به لنفسي، وأنا في هذه المسألة قطعا مجتهد ولا أدعي الاجتهاد في غيرها ، في هذه المسألة أنا مجتهد فإذا اقتنعت بأن هناك شكا لا يجوز لي الإفتاء في المسائل التي أنا غير مطمئن إليها ولكن غيري يلتزم بما أمره به ولي الأمر ـ لكن أنا أمتنع عن الفتوى .

*** المستشار / عبد الله العيسى :**

أرجو ونحن على اقتراب من نهاية الجلسة ، وقد أدلى كل برأيه أن نحصر الموضوع من الناحية الطبية ومن الناحية الشرعية ، حتى نسهل عملية لجنة

الصياغة ، ولذلك فأود أن أعرض على حضراتكم ما أعتقد إنه يمثل الاتجاهات ، فإذا كان هناك اتجاهات أخرى غير ما ذكرته نود أن نسمع الآراء الأخرى .

أنا أرى أو أعتقد أن الاتجاهات الطبية انحصرت في اتجاهين اتجاه مجمع عليه بين الأطباء وهو أن موت جذع المخ هو نهاية الحياة الإنسانية ، والاتجاه الآخر يتفق مع الرأي الأول ولكنه يرى بقاء الأجهزة حتى تتوقف الأجهزة الرئيسية في الجسم ومن هؤلاء الدكتور / أحمد شوقي والدكتور / عبد الله باسلامه . هذان هما الاتجاهان الطبيان كذلك الفقهاء لهم اتجاهان : الاتجاه الأول يرى أن نهاية الحياة هي بخمود أجهزة الإنسان الرئيسية والاتجاه الثاني يرى أن الطب إذا قرر موت جذع المخ فهو يعني خروج الروح ونهاية الحياة . فأود إذا كان هناك آراء تخرج من هذين الرأيين الطبيين أو الفقهيين أن نستمع إليهما وشكرا .

ـ الرئيس (الدكتور خالد المذكور)

ـ إذا سمحت لي أنا كتبت قريبا مما سجله الأخ المستشار عبد الله العيسى بخصوص هذا الموضوع ولكن كما قلنا في بدء الحياة الإنسانية إنه بمجرد الإخصاب تكون هناك حياة محترمة ، ولكن هذه الحياة تعظم كلما تطورت وتقدمت إلى نفخ الروح حتى يكون إنسانا في الرحم ، ثم بعد ذلك تعظم الجناية عليه . كذلك نقول (بموت جذع المخ) تكون حياته قد تعطلت ولكن إذا بقيت أجهزته الرئيسية تعمل كقلبه ورئته فهناك حياة محترمه مثل بدايتها . إذا أنتم وافقتم إن شاء الله على هذا القدر الموجود بين أيدينا بغض النظر عن الاتجاهات الموجودة فتكون هناك حياة محترمة لا يستطيع العلماء أن يقولوا بأنه تترتب عليها آثار شرعية كغسله وتكفينه ودفنه وأن تدخل زوجته في العدة إلا بعد أن تتوقف أجهزته الرئيسية . ثم بعد ذلك تكون هناك الآثار الشرعية المترتبة على هذا ، فهذا القدر المشترك قد يضيق شقة الخلاف في هذا الموضوع إن شاء الله .

ويبدو أن هناك موافقة على هذا العرض ، والآن إذا كان هناك جديد مثلما ذكر الأخ المستشار عبدالله العيسى حتى يضاف إلى التوصيات أو غير ما ذكر مما يضيف جديدا حتى يسجل ، ولم يبق إلا أقل من نصف ساعة فيمكن نعطي لكل متكلم دقيقتين .

*** الدكتور / عبدالحافظ حلمي**

تقريبا لشقة الخلاف ومساعدة للجنة الصياغة أعتقد أن الحقائق تظهر كما يلي وسوف يظل من العلامات الواضحة عند تشخيص الوفاة توقف نبض القلب وتوقف التنفس رغم محاولات الإسعاف والإنعاش وأعتقد أنه يكون العمل الجاري المعتاد عند كل طبيب سوف يظل أظن الأطباء سوف يشاركونني مسألة موت جذع المخ إلى آخره لن تكون قضية كل يوم وكل مريض إنما نحاول أن نصل إلى شيء فيه شبهة ، رئتان تعملان وقلب ينبض فقام الخلاف أعضاء تعمل ولكن الكيان الإنساني لهذا البشر توقفت حياته كما تفضل سيادة الرئيس يبقى عملية الدفن وما يترتب عليها فضيلة الشيخ بدر يقول طبعا لن تحدث إلا بعد فصل الجهاز لكي يدفن مريض بجهازه الذي يعمل . فإذا المسألة متقاربة تماما توقف نبضه وتوقفت رئتاه رغم المحاولات المخلصة إذا فهو في حكم الطب التقليدي ميت ، وفي حكم العرف والشرع ميت ، يركب على جهاز لغرض آخر لا لمحاولات إنقاذ بل لاستخلاص قلب .

*** الدكتور / عمر الأشقر**

في الدقيقة الأولى أقول إن ما توصلت إليه الرئاسة وما قررته في البداية إن هناك في الإنسان حياتين إذا أقررنا بهذه الحقيقة تحل كثير من المشكلة ـ

القضية الثانية : أريد أن أشير إلى رأي فضيلة الشيخ بدر إلى أن العلة في القضية كلها هل في الإنسان روح أو ليس فيه روح ؟ هذه يمكن بالمنطق الأصولي إذا نزعت يد الإنسان لا يموت ، تبقى فيه الروح إذا نزعنا عين الإنسان تبقى فيه روح قطعنا رجل الإنسان تبقى فيه روح ، الأطباء قالوا إذا أخذنا قلب الإنسان بعيدا لمدة نصف ساعة أو ساعة هل تبقى الروح في الجسد . نأتي إلى المخ نزعت جذع المخ هل تبقى فيه حياة إذا العلة في القضية هي هذه بالمنطق الأصولي مادام الأمر بالشكل هذا أنا أقول نحكم ـ لا نجعل المسألة مترجرجة إذا مات جذع المخ فقد مات الإنسان ينبغي أن نقولها .

*** الشيخ محمد المختار السلامي :**

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما لابد من تدقيق ما وصلنا إليه .

أولا بالاتفاق على أنه يجوز سحب الحياة الميكانيكية وأنها ليست واجبة أن نديمها بالأجهزة هذا أمر متفق عليه .

الأمر الثاني المتفق عليه هو أن الإنسان إذا مات جذع مخه فإنه لا يرثه غيره وترتب حكم شرعي على هذا باتفاق وفيه إجماع .

والأمر الثالث وهو متفق عليه أنه لا يدفن إلا بعد أن تموت جميع أجهزته بما فيها القلب والدماغ والكلى والأجهزة التي تموت موتا كاملا ، الأجهزة الأساسية هذا متفق عليه لا يجوز دفنه ولا غسله ولا تعتد زوجته إلا من تاريخ تمام الموت .

بقي أمر واحد وهو أنه إذا كان تحت هذه الأجهزة أيجوز أن نأخذ قلبه إلى شخص آخر ؟ هذه هي النقطة التي هي محل الخلاف حتى لا يقع الاستدلال عليها بقضية الموت وقضية العدة وشكرا .

* **الدكتور / حسان حتحوت :**

دقيقة لي ودقيقة للشيخ بدر ليجاوبني : لو أن إنسانا تعرض لعدوان حادث وتدهورت حالته الصحية حتى أخبرك الأطباء إنه وصل إلى حركة مذبوح ، ولكن قلبه ينبض ، وقد يهذي ببعض الكلام ويتنفس ما حكمك فيه هل تجري عليه أحكام الميت أم أحكام الحي ؟

* **الشيخ / بدر :**

أحكام الموتى وإنما لا أورثه ولا أعتبر الجناية عليه جناية موجبة للقصاص وإنما توجب التعزير .

* **الدكتور / حسان**

آخذ قلبه لواحد ثانٍ ؟

* **الشيخ بدر**

لا .

* **الدكتور / حسان**

إذاً نقترح على الرئاسة أن تكون الصياغة تنطبق عليه بعض أحكام الموتى وتؤجل بقية الأحكام .

* **الشيخ بدر :**

نعم .

* **الدكتور / عبد العزيز كامل :**

هو سؤال يفرض نفسه علينا فرضا ـ إذا كنا قد اتفقنا على أن موت جذع المخ هو الوفاة ـ سؤال القانون لا الطب متى تحرر له وبأي تاريخ شهادة وفاة ؟ لأن هذا سينبني عليه كل الجانب الشرعي والقانوني وأعتقد أن هذا السؤال سيفرض نفسه على هذه الندوة . سيقول الناس تدارستم وقلتم مات موتا طبيا عندما مات جذع المخ ولكن شهادة الوفاة بأي تاريخ تحرر أرجو أن لا نغفل هذا وشكرا والسلام عليكم .

* **المستشار محمد فؤاد توفيق :**

شكرا سيادة الرئيس ـ الواقع أن الإخوة الأطباء ركزوا على نقل القلب وكنا اتفقنا أن ننسى موضوع القلب نهائيا ، المشكلة عندنا هي الكلية هل نستطيع نقل الكلية في هذه الحالة ؟ فضيلة الشيخ محمد الأشقر قال موتى الحوادث ما الذي منعكم من أن تأخذوا الكلى منه ؟ أنا أسأل الآن إذا كانت هناك حادثة ومات جذع المخ هل نستطيع أن نأخذ الكلى في حالة موت الدماغ كما اتفقنا ـ القلب هو عضو وحيد إذا انتزع امتنعت الحياة بعده لكن الكلية هناك عضو آخر كليتان فهل نستطيع أن نأخذ الكلية ؟

* **الشيخ بدر :**

مسألة الكلية أمرها سهل أمرها هين

* **المستشار محمد فؤاد توفيق :**

هذا الأمر الذي دعانا في الواقع إلى عقد هذه الندوة .

ـ الرئيس (الدكتور خالد المذكور)

أعتقد نحن الآن في نهاية هذه الجلسة إن شاء الله ، وطبعا الاقتراحات والتوصيات سوف توضع ولجنة التوصيات مدعوة للاجتماع بعد انتهاء هذا الاجتماع في هذه القاعة إن شاء الله .

* الدكتور / أحمد القاضي

أقترح فقط تعديل الصيغة التي تكرمتم بها لذكر الدقة إذا كان لابد من ذكر الأعضاء أو الأجهزة الرئيسة أو ا لرئيسية فلنقل إذا مات جذع المخ بما في ذلك توقف التنفس التلقائي ، ولو أن هذا من نافلة القول لأن هذا متضمن في موت جذع المخ ولكن إذا صممتم للاحتياط على ذكر الأجهزة الرئيسة وهي أساسا جهاز التنفس الذي لا تصلح الحياة بدونه ، فلنذكر ذلك بما في ذلك توقف التنفس التلقائي وهذا تحصيل حاصل .

ـ الرئيس (الدكتور خالد المذكور) :

لجنة الصياغة تطلب ممن عنده اقتراح بشأن إدراجه في الصياغة عليه أن يقدمه مكتوبا ، حتى تجمع جميع الاقتراحات وتصاغ صياغة واحدة إن شاء الله ، وآخر المتكلمين محمود البوز والسلام عليكم ورحمة الله .

* الدكتور / محمود البوز :

الواقع مهم جدا أن تخلصوا إلى رأي خالص في موضوع الوفاة يتعلق بحياة أو موت جذع المخ لأن كل شيء يترتب بناء على هذا القرار .

الشيء الأول: أن يعلم الأهل المعذبون أنهم يستطيعون إيقاف أجهزة الإنعاش .

ثانيا: الضمان للجنة من الأطباء لجنة من الأطباء وليست طبيبا واحد ـ لجنة من الأطباء المتخصصين في إثبات أن جذع المخ قد مات في هذه الحالة يمكن إن كان ذلك يقينا يمكن إغلاق أجهزة الإنعاش بموت جميع أجزاء الجسم الأخرى بعد ذلك مباشرة لحظة الإغلاق لأن الأكسوجين يتوقف والدورة الدموية تتوقف وكل شيء يتوقف فيبقى الإنسان في سريره ساعتين كالنظام المتبع السابق ثم تعلن وفاته وتحرر شهادة وفاة بناء على ذلك . المهم في الموضوع لا أعتقد أن قراركم سيكون إلا إذا كان واضحا وضوح الشمس في هذه المشكلة بالذات ، وخصوصا انها تهم العالم ليس في الكويت فقط ولكن في كل العالم العربي والإسلامي والعالم كله والسلام عليكم ورحمة الله .

ـ الرئيس (الدكتورخالد المذكور) :

هذا الاقتراح أو هذه الضمانات تقدم للجنة الصياغة إن شاء الله ما أدري لعل الله سبحانه وتعالى يطمئن قلوبنا إلى ما توصلنا إليه إن شاء الله في هذه الجلسة أو هذه الندوة .

وهذا الجمع المبارك إنما هو لخدمة شريعة الله سبحانه وتعالى ، ونرجو أن يعمنا الله سبحانه وتعالى برحمته ، وأن يأجرنا على مجيئنا وعلى نقاشنا وعلى لقائنا وأن يكتبه إن شاء الله في ميزاننا عنده ، يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم ، وسبحانك اللهم وبحمدك ونشهد أن لا إله إلا أنت نستغفرك ونتوب إليك . ونشكر لكم حسن استماعكم ونرجو من الله سبحانه وتعالى أن يوفقنا جميعا .

لجنة الصياغة ـ طبعا جلسة الغد تكون هي جلسة التوصيات و جلسة الصياغة ستكون في الساعة الثانية عشرة إن شاء الله في هذه القاعة

* **الدكتور / عصام**

هل ستتاح مناقشة التوصيات واقتراح تعديلها :

ـ الرئيس (الدكتور خالد المذكور) :

مدتها ساعة فقط من الثانية عشرة إلى الواحدة .

* **الدكتور / عصام**

إذا لم يكن سيتاح مناقشتها وتعديلها فما الداعي لجلسة

ـ الرئيس (الدكتور خالد المذكور) :

إذا كان هناك خلاف أو نقطة جوهرية رئيسة الكل يسلم بها ، وإذا كانت مسألة اجتهادات أو دقائق أو تفصيلات فطبعا تبقى على ما هي عليه . إن شاء الله ، وجزاكم الله خيرا .

الجلسة السابعة

عقدت الجلسة السابعة يوم الخميس الساعة الثانية ظهرا برئاسة سعادة الدكتور عبدالرحمن عبدالله العوضي وحضور المستشار عبدالله العيسى مقررا حيث تليت الصيغة المقترحة للتوصيات التي تم التوصل إليها من قبل لجنة شارك فيها كل من :

ــ الدكتور عبدالرحمن العوضي	ــ الدكتور عبدالستار أبو غدة
ــ المستشار عبدالله العيسى	ــ الدكتور أحمد القاضي
ــ الدكتور يوسف القرضاوي	ــ الدكتور محمد سليمان الأشقر
ــ الدكتور خالد المذكور	ــ الدكتور عصام الشربيني
ــ الدكتور حسان حتحوت	ــ الدكتور أحمد رجائي الجندي

ثم أعقبها مناقشة لكل توصية على حدة .

وبعد ذلك تفضل سماحة الشيخ محمد المختار السلامي بإلقاء كلمة نيابة عن المشاركين في الندوة شكر فيها حكومة الكويت والقائمين على الندوة والمشاركين فيها .

واختتمت أعمال الندوة الساعة الثالثة بعد الظهر .

المحــرر

مناقشة
التوصيات

ـ قراءة المستشار عبد الله العيسى التوصيات .

[التوصيات مثبتة ـ بعد نهاية المناقشات ـ ص ٦٧٣ .]

ـ الرئيس (سعادة الدكتور عبدالرحمن عبدالله العوضي) :

هذا هو طبعا مشروع « التوصيات » التي توصلنا إليها وهل يا ترى الشيخ بدر عنده أي تحفظ معين أو عند غيره من المشاركين .

*** الشيخ بدر :**

فيما يتعلق بتوقف القلب لا يكفي القلب وحده ، بل الأجهزة الرئيسية الأخرى بعد موت جذع المخ .

ـ الدكتور / عبد الرحمن :

مثل ماذا ؟

*** الشيخ بدر**

الدورة الدموية كلها أي الجهاز الهضمي والجهاز الدموي كله .

*** الرئيس : الدكتور / عبد الرحمن عبد الله العوضي :**

يا أخي الشيخ بدر هذا لا يمكن لأنه إذا توقف القلب فكل شيء يقف .

*** الشيخ بدر :**

إذا كان يتوقف القلب تتوقف الأجهزة فيترتب الاستنتاج ـ لكن أنا أفضل

النص على توقف الأجهزة الرئيسية ، الجهاز الهضمي - الجهاز الدموي - الجهاز التنفسي وهكذا ، وإذا كان بتوقف القلب يتوقف الجسم ممكن . . لكن أنا أحتاط وأميل إلى : توقف الأجهزة الرئيسية . والأجهزة الرئيسية تعرفونها أنتم .

ـ الرئيس (الدكتور عبد الرحمن العوضي)

الجهاز الدموي مرتبط بالقلب .

* الشيخ بدر :

الأجهزة التنفسية - الجهاز التنفسي . . إذا كان بتوقف القلب تتوقف الأجهزة الرئيسية إذاً لا خلاف . أما إذا كان هناك من الممكن أن يتوقف مع بقاء بعض الأجهزة الرئيسية أقول لك مازال ثمة مظهر من مظاهر الحياة .

* الدكتور / عصام :

لا خلاف لأنه بتوقف القلب تتوقف كل الأجهزة .

* الشيخ بدر

يا إخواننا سنضعها في رقبتكم لأننا حينئذ نغسله ونكفنه وندفنه .

* الرئيس (الدكتور / عبد الرحمن العوضي) :

مع شكر لجنة الصياغة ، هي إضافة بسيطة جدا في الديباجة ليست في هذه النقطة .

ـ الشيخ بدر :

والله أنا أريد ألا يحكم بموته إلا بعد خمود الجسد ـ لا يحكم بالموت إلا بعد توقف الأجهزة الرئيسة .

* الدكتور / أحمد شوقي

يقطع بهذا الموضوع حديث للنبي ﷺ قال فيه « ألا وأن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب » فإذا توقف القلب فقد انتهى كل شيء .

* الدكتور / حسان

إذا نحن قلنا الأجهزة الرئيسية التي لها علاقة بالموت القلب والتنفس والمخ فلم نقل مات جذع المخ هذا يشمل ضمنا بتعريف الطب المحدد أن التنفس واقف والقلب يشتغل فحين نقول وقف القلب معناه وقوف المخ والقلب والتنفس ويتبع وقوف القلب كل شيء .

* الرئيس الدكتور / عبد الرحمن العوضي :

يا جماعة ما أظن أن هناك خلافاً الآن نضيف الأجهزة الرئيسية والفقهاء يضعون هذا العبء على الأطباء إنهم يقولون إضافة والأجهزة الرئيسية .

* الدكتور / أحمد شوقي :

الحديث النبوي الشريف لم يقصد القلب المعنوي وإنما قصد القلب العضوي النبي ﷺ عندما أشار إلى صدره وقال هنا . .

*** الرئيس الدكتور / عبد الرحمن العوضي :**

ـ نتفق على أنه الأجهزة الرئيسية نريد أن نسمع من الأطباء رأيهم في هذا .

*** الدكتور / حسان حتحوت**

هو ممكن حتى يقف القلب فتقف الأجهزة الرئيسية .

*** الرئيس الدكتور / عبد الرحمن العوضي :**

فتتوقف الأجهزة الرئيسية .

*** الدكتور ابراهيم الصياد**

لايوجد غير جهاز رئيسي واحد وهو جذع المخ ، وكل ما عدا ذلك بعد وفاة جذع المخ ما هو إلا مزرعة أنسجة كالأنسجة المزروعة خارج الجسد الحي ، واتفقنا يا أستاذ بدر الموت يحدث بخروج الروح من الجسد مظهر خروج الروح من الجسد هو عدم استجابة الجسد لإمدادات الروح وعواملها ومظهر خروج الروح هو وفاة جذع المخ . ولا توجد أجهزة رئيسية أخرى .

*** الشيخ بدر**

ما انتهى إليه الدكتور حسان هو الكلام الذي يطمئن .

*** الرئيس الدكتور / عبد الرحمن العوضي :**

أعتقد هذا إجماع متفق عليه لا خلاف أنه القلب وتتوقف الأجهزة الرئيسية إذا كان فيه أي تعليق آخر على الموضوع ـ المقدمة .

*** أحد المشاركين(؟) :**

أقترح إضافة كلمة في الديباجة هي كلمة واحدة تحصيل حاصل لأنه في الواقع هذه المناقشة الغنية بين الفقهاء والعلماء لم تولد فقط رأيا شرعيا ، ولكن ولدت قواعد ممارسة طبية . فأنا أقترح إنه ما وصل إليه الرأي الطبي والرأي الشرعي والممارسة الطبية لأن مزايا الأطباء في ضوئها يعملون وهم مستريحو الضمير في كثير من الأمور .

*** الدكتور / حسان**

فلا مانع حتى يكون الرأي الشرعي وأحكام الممارسة الطبية أن تكون نتيجة استيعاب .

*** الرئيس الدكتور / عبد الرحمن العوضي :**

أرجو أن تكون هذه الصياغة مقبولة الفكرة رجاء أن نترك اللجنة لكي تصوغها بالأسلوب المناسب إن شاء الله المهم الأفكار الرئيسية .

*** الدكتور / أحمد القاضي :**

أعتقد ربما الدكتور ابراهيم الصياد أساء التعبير ولكن إضافة الأجهزة الرئيسية مخلة لغويا ، لأنه إذا اعتبرنا أن الجهاز التنفسي وهذا الذي أستاذنا الشيخ بدر يقصده يتوقف بعد وقوف القلب معناه أننا كنا نلغو حين ذكرنا موت المخ ، لأن موت المخ يقتضي تعريفا لغويا وعمليا أن التنفس توقف ، فإذا كانت الصيغة توحي بأنه مازال فيه تنفس ، معناه أنه لم يكن موت مخ ، ومعناه أن المريض مازال حياً ولا يجب أن نوقف عنه الأجهزة . فهذا الأسلوب اللغوي المتضارب لا يجوز أن يكتب لأنه مخل لغويا وعمليا يوحي بأننا قتلنا شخصا حياً وإذا كنا صادقين في موت جذع

المخ لا يوجد تنفس ولذلك فيه تضارب يا إخوان .

* الشيخ بدر

نحن نريد أن نتأكد بعد وجود مظهر من مظاهر الحياة ـ الحياة موجودة بيقين فلا أحكم بزوالها إلا بيقين ـ اليقين لا يزول بالشك .

* الدكتور / عصام :

يا مولانا أنا لا أقول إن جذع المخ قد مات إلا بعد أن أقطع عنه هذه البلونة وأطمئن إلى أنه لا يتنفس تلقائيا وهذه إحدى وسائل تشخيص موت جذع المخ ، ولا أحكم بأن الجذع ماتِ إلا بعد هذا الاختبار والتأكد من أنه لا يوجد تنفس طبيعي تلقائي .

* الشيخ بدر

هي زيادة إيضاح . . وقطع للشك .

* الشيخ بدر

يا جماعة لا تعتبرونا نعارضكم أو تجعلونا فريقين ، بالعكس هي المسألة مسألة تأكد ، لأني قلت لك حياة موجودة بيقين فلا أحكم بزوالها إلا بيقين ـ اليقين لا يزول بالشك أبدا مادام عندي أي مظهر من مظاهر الحياة .

* أحد المشاركين (؟) :

ـ لو سمحت لي سعادة الدكتور . . بعد إدخال التعديل الذي أضافه الدكتور حسان لم يبق مجال لتبعيض الأحكام بعد الإضافة التي أضافها الدكتور حسان فأصبح الموت بتوقف الأجهزة كلها بما فيها القلب فلم يبق مجال لتجزئة الأحكام بعد هذا .

* الشيخ بدر

في حالة ما إخواننا الأطباء، قالوا إن هناك فترة بين موت المخ وبين بقاء بعض الأجهزة ، هذه الفترة أرجوكم الحمد لله أنا ذاكرتي أحسن من أي واحد ، أحمد الله وأشكره . هناك فترة بين موت المخ وبين بقاء بعض مظاهر الحياة نحن نقول هذه الفترة نعطيها حكم حياة الذبيح يمكن نعطيها بعض الأحكام لأنه تبقى فيه حركة من الحركات .

ـ يا فضيلة مولانا هو الآن التعديل النهائي على توقف موت جذع المخ يتوقف التنفس أو موت جذع المخ بما يترتب عليه وقف التنفس ، ثم وقف القلب فإذا توقفت الأجهزة الثلاثة الرئيسية في الجسم أصبح أحكام الموت كلها ولا مجال للتبعيض المشار اليه .

* الشيخ بدر

بعد زوال التنفس انتهى الأمر ـ الفترة التي نعارض فيها هي بين موت المخ وبين بقاء بعض مظاهر الحياة .

وهذا التعارض أزيل الآن بعد التعديل ـ أصبح الموت بتوقف الأجهزة .

وعلى كل حال إذا كان هناك فترة بين موت المخ وبقاء بعض مظاهر الحياة هذه المظاهر تعطيه حكم حياة الذبيح .

* الرئيس الدكتور / عبد الرحمن العوضي :

أنا أعتقد أنه يمكن لأننا أبرزنا القلب هي المشكلة فقد اتجه الفقهاء الحاضرون للتعديل بحيث تتوقف جميع الأجهزة الرئيسة في الجسم . فوضع واحدة قبل الثانية يمكن أفضل بكثير ويريحنا كلنا نقول حتى تتوقف الأجهزة الرئيسية في الجسم .

* الدكتور / عصام

يا دكتور عبد الرحمن لا شيء في الصياغة لكن الإخوة نسوا في خلال المناقشة الكلام فأرجو إعادة قراءتها مرة أخرى .

الدكتور عبد الرحمن يتلو الفقرة الخامسة من التوصيات : اتجه رأي الفقهاء تأسيسا على هذا العرض من الأطباء إلى أن الإنسان الذي يصل إلى مرحلة مستيقنة هي موت جذع المخ ، يعتبر قد استدبر الحياة وأصبح صالحا لأن تجرى عليه بعض أحكام الموت قياسا مع فارق معروف ـ على ما ورد في الفقه خاصا بالمصاب الذي وصل إلى حركة المذبوح .

أما تطبيق بقية أحكام الموت عليه فقد اتجه الفقهاء الحاضرون إلى تأجيله حتى يتوقف القلب فتتوقف الأجهزة الرئيسية في الجسم .

* الرئيس الدكتور / عبد الرحمن العوضي :

الكل متفقون لا خلاف أبدا أؤكد لك للاطمئنان ـ أما تطبيق بقية أحكام الموت عليه فقد اتجه الفقهاء الحاضرون إلى تأجيله حتى تتوقف الأجهزة الرئيسة في الجسم .

* الشيخ بدر

الحمد لله ليس عندنا اعتراض على هذا ـ وبعدها تلاوة الفقرة السادسة ومتفقون وليس هناك خلاف إذا خلصنا من الموضوع .

* الرئيس الدكتور / عبد الرحمن العوضي :

إذا كان هناك تعديلات في المقدمة التي هي الأحكام الصياغية هي الأحكام الطبية والشرعية مع بعض .

* المستشار / عبد الله العيسى

الصياغة الآن بالغموض الذي فيها ، أنا أفهم إذا توقف جذع المخ طبيا ترتبت عليه بعض الأحكام ـ بمعنى أنه يجوز نزع القلب هذا هو الذي نفهمه ، ما أعتقد أن الفقهاء وافقوا وما أظن أن الشيخ بدر بالذات يوافق على كلامي .

* الشيخ / بدر المتولي

بعض الأحكام إنما كل حادثة لابد أن تعرض يا إخواننا كل حادثة في الحالة هذه تطبيقا لهذا المبدأ تعرض كل حادثة لها ظروفها .

* المستشار عبد الله العيسى

بالنسبة للموضوع الأول لندوتنا وهو بداية الحياة ـ التوصيات ـ

* الرئيس الدكتور /عبد الرحمن العوضي :

بعد التوصيات ـ

فيما يتعلق لماذا اخترنا البدن وليس الرحم لأنه هناك حالات الجنين يستقر خارج الرحم وداخل بطن المرأة وهذا هو السبب .

* الرئيس الدكتور / عبد الرحمن العوضي :

اتفاق على البداية نقرأها مرة ثانية .

* الدكتور / ابراهيم الصياد :

لدي اعتراض يا أبا عبد الله ـ الاعتراض هو كالآتي يقول الله تعالى ﴿ الله

يعلم ما تحمل كل أنثى وما تغيض الأرحام وما تزداد وكل شيء عنده بمقدار﴾[1] هنا ثلاثة تعريفات - تعريف الحمل - تعريف الغيض أو اندغام الجنين في جدار الرحم ، تعريف زيادة الرحم وتناميه في عملية كبرى أثناء فترة الحمل . إذا تعريف الحمل هنا هو عند عملية الاندغام حتى لو كان حمل في البوقين فهو أيضاً حمل . أما وجود بويضة ملقحة أو ما نسميه بالنطفة الأمشاج فإن هذه النطفة الأمشاج ليست حملا ، وإذا وجدت في أنبوبة الاختبار فإنها مزرعة نسيجية لا تأخذ حرمة ولا أحكام الحمل التي ورد في القرآن .

* الرئيس الدكتور / عبد الرحمن العوضي

الأخ ابراهيم ستؤدي بنا إلى نقاش طويل أنا أعتقد هذا الكلام حاولنا أن نتقيد بالشرع ومفهومنا للحمل كما نعرفه وكما هو معروف ، ومثل ما تفضل الشيخ بدر ما قلنا الرحم وقلنا البطن لاحتمال الحمل داخل هذه المرأة خارج الرحم ، أما ما يتعلق بموضوع آخر . . . وحمل الأنابيب هذا الموضوع في نظري يختلف تماما عن نقاشنا ، وهذا له حرمة ماله حرمة بعد سنة أو بعد سنتين قد يعمل مشيمة صناعية قد تنمو مع الأسف الشديد أطفال خارج الرحم ، بهذا وهذا نأخذ حكما فيه .

أما الآن فحكمنا بما نعرفه في حدود ما لدينا من معلومات طبية وشرعية نلتقي عليها .

فيما يتعلق بالموضوع الثاني هل الجنين إذا كبر وأخرجوا جنينا خارج الرحم له حرمة لا نناقش الموضوع الآن أردنا أن نبتعد عن النقاش في الموضوع هذا .

الآن نناقش فقط الحمل داخل بطن المرأة الرحم الفقهي يختلف عن الرحم الطبي ولا نناقش أيضا الرحمين .

---

(١) سورة الرعد / ٨

*** الدكتور / ابراهيم الصياد**

شرعا الحياة الإنسانية تبدأ مع نفخ الروح .

*** الدكتور / القاضي :**

كلمة الحمل المستقر تغطي مسألة الاندغام هذا للأخ د. ابراهيم

*** الشيخ / محمد مختار السلامي**

أثار بعض الإخوان الدكاترة قضية أن اللولب يساعد البويضة الملقحة على النزول وقلنا إنها محترمة فهنا لابد أن نأخذ حلا من حلين إما أن احترامها يبدأ من تاريخ تجذرها في داخل الرحم وحينئذ يكون وضع اللولب للمرأة حلالا وأما إن قلنا إنه بمجرد ما يقع اللقاح يتصل بالبويضة تحدث الحياة والاحترام فيصبح استعمال اللولب محرما فالقضية لها قيمتها الفقهية حتى يكون كل طبيب مطمئنا عندما يقوم بهذه العملية وشكرا .

*** الشيخ بدر**

أثار الدكتور مأمون على ما أذكر في مسألة البويضة الملقحة في الخارج واستغنينا عنها ، في الواقع تعتبر هذه لا قيمة لها بهذا النص أم تعتبرون مجرد التقليح في بدن المرأة ـ ولكن أخذناها من بدن المرأة ووضعناها في أنبوب خارج وبعدئذ استغنينا عنها والبويضة تلقح في رحم امرأة ثم تؤخذ من الرحم إلى أنبوب الاختبار ثم نستغنى عنها فما رأيكم في هذا ؟

*** الرئيس الدكتور / عبد الرحمن العوضي**

هل يقصد هذه العملية نرجع إلى طفل الأنابيب وهذا الموضوع لا نريد أن ندخله ويتفضل الشيخ محمد يناقش استعمال اللولب إذا احتاج الأمر نعيدها إلى لجنة الصياغة ؟ هل البويضة الملقحة لها حرمة أم لا ؟ قلنا لا يكون لها حرمة إلا بعد

أن تستقر - هذا النقاش حتى نحدد المشكلة لأن هذا موضوع طفل الأنابيب .

* أحد المشاركين (؟) :

قلنا الحرمة تبدأ في هذا اليوم وفي هذه الندوة وليس بعد سنة تبدأ عندما تستقر في بطن المرأة .

* الشيخ ابراهيم الدسوقي :

لو أذنت لي سيادة الرئيس في الواقع إن هذا الموضوع أنا أثرته مع الدكتور / حسان من حين ما سمعت إنه بمجرد التقاء البويضة بالحيوان المنوي تصبح حية وعلى ذلك فاللولب حينما يوضع في الرحم يكون وسيلة إلى أن تنزل أو إلى عدم علوقها بجدار الرحم فقلت للدكتور / حسان يعتبر إجهاضا مبكرا فإذا كان الأمر كذلك عند السادة الأطباء أنا أعتبر اللولب في هذه الحالة أداة للإجهاض لكنها بعد ما تكون بعد شهر تبقى في أول الحمل مباشرة وإذا لم يكن ما رأي الأطباء .

* الدكتور / حسان حتحوت :

في الواقع إن عملية الصياغة كانت أشبه الأشياء بالولادة العسرة ولا نقول إننا وضعنا صياغة جامعة مانعة ولكن حرصنا على أن نكتب ما اتفقنا عليه ، وأن نستبعد ما نحن مختلفون عليه .

ولهذا بقيت معان في ظلام سكتنا عنها نظرا لأننا لن نستطيع على الإطلاق الوصول إلى صيغة تتفق عليها لجنة الصياغة جميعا وأعتقد أن الصياغة التي أمامكم الآن تمثل الحد الذي اتفقنا عليه ونختلف خارجها في كثير .

أما الموضوع الأول وهو موضوع اللولب فأنا أعتقد أن الكائن المتفرد بذاته هو البيضة الملقحة إذا وجدت بيضة ملقحة فهي فرصة لوجود كائن ، وإن العدوان على هذه البيضة الملقحة لا ينبغي أن يسمح به ، ولكن لم يلق هذا إجماعا لأن

البعض منا مازال يرى مثلا أن المذهب الحنبلي أوصى بأنه إذا اتفق الزوجان على إجهاض الحمل قبل نفخ الروح فلهما ذلك . هذا موضوع تتعدد فيه الآراء مالم نستطع أن نتفق عليه سكتنا عنه فلم نقم بخطوة إيجابية إلا بكتابة ما يسعنا على اختلافنا ولم نستطع أن نتقدم أكثر من ذلك خطوة أخرى .

ذكرت في اليوم الأول أن معركة تطبيقية قائمة تدور رحاها في بريطانيا ، وشكلت لجنة اسمها لجنة ورنك والبرلمان يفكر ، وهكذا في محاولات البحث عن طريق أنابيب الاختبار يحدث فائض من البيضات الملقحة ، والعلماء يريدون أن يجروا التجارب عليه ليعلموا ماذا يصير وليس يتفاعل على جنين الإنسان الباكر في ظروف طبيعية وعقاقيرية معينة ، وكيف تنشأ التشوهات الخلقية وكيف تؤثر العقاقير على الجنين الباكر ، وإلى آخره ، وانجلترا الآن ممسكة بأنفاسها في انتظار الحكم هل يجوز أن نجري التجارب ؟ والمعركة بين رأيين : الرأي المتطرف المتحرر الملحد الذي لا يقيده قيد يقول اسمحوا لنا أن نجري التجارب على هذه البيضات في الأسبوعين الأولين من عمرها لغاية أربعة عشر يوما . لماذا لأن في أربعة عشر يوماً يتكون الجهاز العصبي فقبلها الجنين لايحس بالألم .

أما الرأي المحافظ فيقول إن إجراء هذه التجارب إزهاق حياة وينبغي أن يحرم لا لأن المجني عليه يحس بألم أم لا يحس بألم ولكن إزهاق حياة والمستقر عندي علميا والذي أؤمن به يقينا أن أول فرصة كائن حي فرد هي بيضة ملقحة من قبلها لم يكن من بعدها ينمو ويتطور ويتشكل وتنفخ فيه الروح ويصل إلى الولادة ويولد ويكبر ثم يموت وهكذا ، ولهذا فالمستقر عندي أنه إذا ثبت أن اللولب عدوانه على البيضة الملقحة فينبغي أن يحرم ، كنا قبل اليوم نظن أن اللولب يؤثر لأنه يهرول بالبويضة غير الملقحة إلى خارج الجسم قبل أن تتلقح ، ولهذا كنا نضع اللولب أما الآن وقد توفر لنا ما يكاد يثبت أن عمل اللولب هو الإسراع بالبيضة الملقحة فهذا حرمان لها من فرصتها في استمرار حياتها التي بدأت ولهذا فعندي أن اللولب يحرم .

* **الدكتور / مأمون :**

أرى من الأمانة أن أوضح شيئاً آخر بالإضافة إلى ما قام بإيضاحه أستاذي الدكتور حسان المشكلة الحقة غير إجراء الأبحاث في الدول الأوربية عند القيام بعملية أطفال الأنابيب هم أنهم يحتاجون إلى مجموعة أكثر من الحاجة إلى البويضات فيقومون بالتقاط حوالي خمسة عشر وعشرين بويضة ، ثم يقومون بإجراء عملية التلقيح فتلقح حوالي نصف هذه البويضات أقصى عدد يريدون إرجاعه إلى داخل الرحم ثلاثة لكي يتحقق الحمل . فالمشكلة الكبرى ماذا يفعلون بهذه البويضات الملقحة الباقية في الدول الغربية .

المذهب الكاثوليكي خاصة يقول هذه حياة يجب عدم التلاعب بها . ماذا يفعل العلماء الآن يتركون هذه البويضات في أنبوبة المختبر وأقصى بويضة ملقحة أقصر مدة وقد أرجعت هذا صباح اليوم إلى إنها عاشت إلى مدة ثماني أو تسعة أيام وأنا أعتقد أن البويضة الملقحة من غير انغراس ليست لها قابلية الحياة وشكرا .

* **الشيخ / محمد مختار السلامي :**

يجب أن يسأل سؤال إذا سمح الأطباء هو أن المرأة لو قامت بغسل رحمها بواسطة أي واسطة من الوسائط كأن يحمل هذا الماء مطهرا يقضي على البويضة أم لا ؟

* **أحد الأطباء :**

طبعا في هذه الحالة عملية الغسيل هي التخلص من الحيوان المنوي تقضي على البويضة على الحيوان المنوي إذا حدثت بعد عملية الجماع الماء لا يصل إلى البويضة .

* **الشيخ محمد المختار السلامي :**

فهل هذا التخلص من البويضة بواسطة غسله بالماء المضاف عليه بعض المركبات هل هو كاللولب أو يختلف عنه ؟ فلذلك أنا أميل إلى أن قضية

حياة البويضة إنما هي الحياة التي تقبل التطور وهي عندما تنغرس .

ـ الرئيس الدكتور / عبد الرحمن العوضي :

أنا أعتقد هذا الموضوع سيدخلنا إلى نقاش آخر مالنا علاقة به ويمكن الدكتور / حسان كان موجودا معنا في الصياغة إنه لا تثبت الحرمة إلا للمستقر قد نكون نحن مصيبين مائة في المائة ، لكن هذا الآن فقهيا وما عرفنا من آيات موجودة وهي أن الاستقرار هو الأساس .

* الشيخ عبد الرحمن عبد الخالق :

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله والصلاة والسلام على عبده ورسوله محمد وبعد .

ـ الحقيقة أولا نحمد الله سبحانه وتعالى أن النتائج التي توصلنا إليها بالرغم من أنها قليلة لكنها خطوة إلى الأمام إن شاء الله ، لكن المشاكل بقيت معلقة بقيت مشاكل بالفعل وأنا أنبه عليها حتى لا يفسرها كل إنسان بعد هذه الندوة بما يحلو له ـ البند الخامس من قضية نهاية الحياة رأي الفقهاء أن الإنسان إذا استيقن أنه يستيقن موت الشخص بموت جذع المخ فإنه تجري عليه بعض أحكام الموت هذه القضية في الحقيقة أنا أرى أنها قضية معلقة وهي قضية كبيرة وكما قال الدكتور / حسان هذا الحد الأدنى الذي اتفقنا عليه لكن أنا أرى أنه لابد أن يعقد لها أمور لتفصل حتى لا يفسرها كل إنسان بما يشاء بعد هذه الندوة هذا أمر .

الأمر الثاني أرى أن هذه الندوة ما كان ينبغي أن تنقضي حتى تنتهي من القضية الحاسمة في الموضوع ، وهي قضية تحديد لحظة الموت ، والحق أني أرى أن هذه القضية لا دخل للفقهاء فيها بتاتا ، الرد فيها إنما هو للأطباء وهم الذين يتحملون أمانة الكلمة في هذه القضية ، نحن مالنا شغل في هذه المسألة مادام أنهم

قد تحملوا الأمانة في هذه المسألة وقالوا هذا الإنسان مات وانتهى هم أحرار أمام الله عز وجل . هذه ليست خبرتنا وليس ميداننا وهذه نشهد عليهم بما شهدوا به والأحكام الإسلامية تجري على هذا النحو فالإسلام يحكم أي شخص مادام هو صاحب الخبرة تحكم النساء في هذه القضية هل حاضت أم لا ؟ أما أن أتحقق أنا بنفسي هل حاضت أم لا ؟ هل وضعت أم لا هذه قضية في الحقيقة ليس لنا مجال في التحقق منها لذلك أنا أقول هذه القضية الحاسمة كان ينبغي أن تحسم ولا تنقضي هذه اللجنة حتى تحسم حسماً نهائياً ، على كل حال أرجو أن هذه القضية من وجهة نظري أن هذه القضية أمانة يتحملها الأطباء مادام إنهم قد شهدوا بها وعندهم علم يقيني بها فلذا هم أحرار في هذه المسألة فلذلك رجاء أن يعقد شيء آخر لتحديد ما هي أحكام الموت الفقهية التي ينبغي أن تجرى على هذا الذي قد مات جذع مخه ، ولا يترك هذا الأمر معلقاً ليفسر بعد ذلك كل منا يفسره بما يشاء وصلى الله على سيدنا محمد وسلم .

ــ الرئيس الدكتور / عبد الرحمن العوضي :

أعتقد هذا الكلام ورد في التوصية قلنا حددنا الحكم المطبق عليه هو الحكم الخاص بالمصاب الذي وصل إلى حركة المذبوح .

أما الباقي فقلنا توصى اللجنة الندوة بأن تجري دراسة تفصيلية أخرى لتحديد ما يعجل وما يؤجل من أحكام . أعتقد هذا الكلام مضبوط وهذا يسير بإذن الله ونحن اتفقنا الآن وأحب أؤكد أن الأطباء رغم وجود الرأي الفقهي ليس بالسهل اقتناعهم ، لأن القناعة في النهاية شخصية لا يسهل على الشخص أن يطفيء هذا الجهاز ، ولو جاز ذلك فقهيا حتى لو هناك أمر يتردد في بعض الأمور وهذا أيضا ينتقل إلى أمور شخصية وأقول إن الإجماع الموجود هو على رأي أنه يجوز اتفاق الأجهزة ويترك الموضوع في النهاية للجنة وللطبيب .

أما ما تفضلت به إن شاء الله مائة في المائة يكون هو هذا الموضوع ولا يمكن أن ننتهي فيه من الآن فعلينا أن نتفق قليلا من هذه الناحية

هذا الحوار الجيد يجب أن يأخذ بعده حتى يستقر الطبيب نفسيا وذهنيا وعلى أن يستقر الفقيه ويطلع ويعرف ونحن حتى الكلمات التي نستعملها لها مفاهيم كثيرة مختلفة من واحد إلى آخر فأرجو أن هذا التوجه هو الرائد وسيكون بإذن الله مسيرنا في عقد ندوة قريبة للموضوع .

* الدكتور / عنيزي :

الرد كان للدكتور / مأمون إما أن نرد عليه بيننا وبين بعض أو إذا اتسع الوقت أرد في دقيقة واحدة ـ مسألة البويضات المخصبة التي لم تستخدم . أولا ما مدى شرعية الموضوع أصلا ، وإذا اتخذ فيه قرار بين زوجين إلى آخره هي الآن ضرورة لا يمكن المجرب يعمل العملية إلا إذا أخصب أكثر من بويضة وهذه مسألة يقينية .

فإذا نتفق على أنها ضرورة هذه الخطوة الثانية ، الخطوة الثالثة على أشد الأحوال سنعتقد أنها مثل الإجهاض يعني على أشد ما تتصوره أنها إجهاض فأنا ردي على هذا أنه إجهاض لا مفر منه وإلا ستحضر سيدات بعد هذه البويضات وتطرح فيها زكونات لا تنتمي إليها وهذا حرام . فإذاً الضرورة تقضي بالتخلص من هذه وخصوصا أننا اتفقنا على العلوق فأعتقد أن الضمير يرتاح إلى هذا الرأي والله أعلم .

* الدكتور / نجم عبدالله :

الذي كنت أتمناه الحقيقة في هذا الموضوع أن يكون هذا الرد هو القرار الرئيسي ، لأن الهدف من جمع هذه الندوة الطيبة والمباركة أن يطلع بها توصيات

للتطبيق العملي لأنه وكما يذكر الـدكتور/ مـأمون والـدكتور حسـان نزاول هـذه المهنة ـ فلما نزاول هذه المهنة نكون قد مررنا بهذه الحقائق مباشرة هل أنا ضميري مرتاح لما أصف للمرأة اللولب هل أنا ضميري مرتاح لما أنا فعلا أعمل .

الآن بيدي أعمل فهل أنا فعلا ضميري مرتاح لهذا العمل ؟ هذا الرد طيب جدا أنا أرتاح إليه لكن هذا الرد نريده كتوصية للفقهاء فعلا يـرجحوه لنـا فعلا يطمئنوننا ، وفعلا يقول إن هذه إذا كانت من الضرورات التي تحتاج لها في عملك لا بأس هذه من ناحية من ناحية ثانية بالنسبة لرد الدكتور / حسان حتحوت رده إنه هو شخصياً لا يؤمن باستعمال اللولب ، لأنه الآن بدأ تغير المفاهيم بأنه أصبح اللولب يقتل البويضة . دعونا نتساءل بحقيقة كم من البويضات موجودة في مبايض المرأة ملايين وملايين فإذا كانت هذه البويضات ملايين وملايين ولا يبقى منها إلا القليل فإذا كنا نحن قد وضعنا لهذه المرأة نوعاً من أنواع منع الحمل ، ولنفترض أن هذه المرأة لا تستطيع أخـذ حبوب منـع الحمل وهي طبعـا الأفضل ، والأنسب نفترض جدلا أنها لا تستطيع ، فإذا كانت لا تـأخذ إذا أمـامنا خـطوات أخرى ونفترض جدلا كذلك أنها تحتاج هي إلى تربية أولادها تحتاج إلى منع الحمل لتربية أولادها أو لأسباب طبية أو لأسباب أخرى وأخرى فإذا أخذنـا بمبدأ الـدكتور / حسان وهو أن هذا قتل وأنه لا يجب أن تعمل به ، إذا هو خالف المشكلة من جديد فإذا نريد رأي الفقهاء حقيقة الشكل واضح وصريح اعملوا أولا تعملوا حتى إذا كنا أخذنا بهذا المبدأ نفترض اعملوا نعمل مطمئنين نفترض بمبدأ لا تعملوا نأخذ أقصى الظروف للعمل بالضرورة وجزاكم الله خيرا .

ـ الرئيس الدكتور / عبد الرحمن العوضي :

عموما دكتور / نجم هذا الكلام واضح في التوصية نحن بتوصيتنا أخذنا الإجماع ، قلنا أول جزء ثم شرحنا عملية التلقيح والبويضة ، وإن هذا بداية طريق للجنين ثم قلنا منذ يستقر الحمل هذا فيه خلاف . في بدن المرأة فله احترام متفق

عليه هو هذا الأساس ، إذاً أرح نفسك من الناحية هذه إن أنا في هذا الوقت ينطبق عليه الأمور فالدكتور / حسان له رأي ونحن جلسنا معه ساعتين نتناقش الإجماع الفقهي أمامك .

*** الدكتور يوسف القرضاوي**

أحب أن أطمئن الأخ الدكتور نجم أنه يكاد يكون الحاضرون من أهل الفقه متفقين ، يعني لم أر إلا فضيلة الأخ الشيخ ابراهيم الدسوقي يكادون يكونون متفقين على أن الحمل إذا لم يستقر فلا حرمة له . فعلى هذا يجوز لإخواننا الأطباء أن يصفوا اللولب وهو يوصف لحاجة قطعا والحاجات لها اعتبارها في الشرع ، نحن نعتبر أن هناك احتراماً للبويضة الملقحة ، ولكن الاحترام لا يعني التحريم وهكذا ـ فإذا كانت هناك حاجة فنحن نجيز مسألة اللولب لأن البويضة المحترمة هي التي تكون كما أشار القرآن الكريم ﴿نطفة في قرار مكين ﴾[1] فإذا لم تكن في قرار مكين فليس لها حرمة ـ أرجو من الأخ الاستاذ الدكتور حسان والأخ الدكتور القاضي ألا يضغطوا علينا أكثر من هذا لأنهم منذ ثلاثة أيام يضغطون علينا برأيهم ، وقد تنازلنا عن بعض الأشياء فليتنازلوا عن بعض الأشياء الأخرى وشكرا .

*** الشيخ الدكتور / محمد الأشقر**

والله كلام الأخ القرضاوي كلام مهم جدا وينبغي أن ينص عليه في التوصيات ، وينسب للفقهاء ولا ينسب للأطباء . إذا أنا أقترح أن ينص عليه في التوصيات .

*** الدكتور / عبد الله نجم**

لو سمحت لي سعادة الرئيس في الواقع الكلام الذي يقوله الفقهاء كلام

---

(١) سورة المؤمنون/ ١٣

قديم موجود من عصر الصحابة وليس فيه خلاف . سواء جاز العزل أو إسقاط الجنين ليس موضوع كلامي ، موضوع كلامي ما أثير الآن أثاره الدكتور حسان والدكتور مأمون أن ما يجرى عليه في أوربا الآن هو جمع هذه البويضات الملقحة لإجراء التجارب وأنها لم تثر ولم يتكلم فيها فقيه هذا الأصل الإنساني هل يجوز أن يستغل لإجراء التجارب كالقردة والفئران أم لا ؟ هذا الموضوع لم يبحثه المجمع ولا فقيه وأنا في الواقع إلى الآن استغربت لما سمعت حتى العلماء الكاثوليك منعوا هذا تدينا . . لما سمعت الغرض من الإسقاط وعدمه والنتائج التي ترتب عليه فهذا الموضوع لم يثر ولم يبحثه الفقهاء وأرجو إما أن تعطوا لهم وقتا كافيا أو أن يؤجل على أن يبحث في المستقبل .

ـ الرئيس الدكتور / عبد الرحمن العوضي

أنا أعتقد سنبحثه في المستقبل ليس بالسهل أن نناقشه الآن . .

*** الدكتور / حسان حتحوت**

كتبنا ما اتفقنا عليه إذا استقر الحمل في جسم المرأة فله حرمة قبل أن يستقر لم نتفق عليه ـ فلم نكتبه ـ ويرجى الاكتفاء بالممكن يعني قبل العلوق فسنختلف مرة أخرى ، وأنا أشجع جدا أن يبحث هذا مع إعطائه الوقت الكافي إن شاء الله .

ـ الرئيس الدكتور / عبد الرحمن العوضي

أنا أعتقد إذاً كفاية النص الموجود أمامنا ، ثانيا منذ يستقر الحمل في بدن المرأة فله احترام متفق عليه ، ويترتب عليه أحكام شرعية معلومة ـ هذا أول احترام .

الثاني إذا بلغ الجنين مرحلة نفخ الروح على خلاف في توقيته بين مائة وعشرين أو أربعين يوما تعاظمت حرمته باتفاق ، ويترتب على ذلك أحكام شرعية

أخرى حتى هنا الأمور مندرجة فأرجو أن يطمئن إخواننا .

أرجو يا جماعه أن هذا المتفق عليه أخذ ما فيه .

* أحد المشاركين(؟) :

هل إن شاء الله سيكون هناك ندوة تابعة لهذه الندوة لبحث قضية مهمة تتعلق بهذه الندوة ، وهي قضية الاستفادة من أعضاء هذا الذي حكم بموته ، ووضع الضوابط الشرعية التي يمكن أن تستخدم بها هذه الأعضاء وهل لو وجد متبرع قبل الوفاة هل من حق أولياء الشخص المتوفي أن يسمحوا بجثته ، هذه القضيا أرجو أو يكون لها ـ هل سيكون لها شيء هذا أسهل .

ـ يا أخ محمد هذا الموضوع له فتاوي موجودة عدة فتاوي وردت لنا وهناك إن شاء الله أمل بأن نعقد لجنة ، ونحن في المنظمة جمعنا هذه الفتاوي ومن كل الدول الإسلامية هنا تأكد بالضبط هذا الكلام الذي تفضلت فيه ، وبإذن الله إن شاء الله ستعقد ندوة خاصة بالموضوع هذا .

وأرجو إذا اتفقنا على هذا الجزء حتى ننتهي إن شاء الله .

* المستشار عبد الله العيسى :

لو سمحتم نستأذنكم أن نضيف إلى الصياغة فقرة بخصوص تشجيع مثل هذه الندوات ، وتشجيع تعاون الأطباء والفقهاء والهيئات والمنظمات الإسلامية وشكرا .

كلمة الشيخ
محمد مختار السلامي

بسم الله الرحمن الرحيم وإليه نرفع آيات الحمد والثناء ، ولما تفضل به تنطلق الألسنة والجوارح بالشكر لعلي مقامه . ونصلي ونسلم على سيدنا محمد خاتم رسله ، المبعوث هدى ورحمة للعالمين بما جمعه في رسالته من خيري الدنيا والآخرة .

صاحب المعالي الأستاذ الدكتور عبد الرحمن العوضي وزير الصحة أصحاب السماحة والفضيلة حضرات الأساتذة اسمحوا لي أن أرفع باسمكم جميعا إلى حضرة صاحب السمو أمير دولة الكويت رعاه الله وإلى حكومته الموقرة الراشدة آيات الاعتراف بالفضل والتقدير وإلى المشرفين على تنظيم هذا اللقاء عطر الثناء على التوفيق في الإعداد والإحكام في التنظيم والبشر المتألق الذي أضفى على الندوة روحا إنسانية عالية هم أحق بها وأهلها .

إن الشريط الذي انطبع في نفوسنا خلال هذه الأيام الثلاثة لهو شريط لا أغالي إذا ماقلت أنه من أفضل ما عمرت به قلوبنا ومن أكثرها إشراقا وأعزها مكانة وذلك .

أولا : فيما أعلن عنه سيادة وزير الصحة من أن كل نشاط فكري وقانوني وعلمي يجب أن يطوع لشرع الله وأن لا تخضع الشريعة الأزلية السرمدية لفكر يعدل نظرياته كل يوم ، ولا لهوى يتقلب كل لحظة ، ولا لعاطفة تفور وتخمد بسرعة . وإن هذا المنهج في الاختيارات الكبرى للمسئول في الدولة لهو المنهج الذي أنوه به وأعتقد جازما أنه المنارة المشعة إذ هو لايقف عند حدود بحثنا في قضية بدء

الحياة ونهايتها بل يتجاوزه إلى المستقبل في أخوات هذه القضية من القضايا التي تهم الطب ويتجاوز ميدان الطب إلى كل الميادين التي للإنسان فيها حظ من تأثير .

ثانيا : وإن هذا اللقاء الكريم جمع صفوة خيرة من السادة الفقهاء والأطباء وذوي الثقافة الواسعة والرأي النير لبحث موضوع بداية الحياة ونهايتها ، لم يحد بحمد الله لحظة واحدة عن المنهج ،ذلك أن النقاش قد اتسم أولا ـ بالصراحة وعدم النفاق فكانت الآراء تختلف أولا لتلتقي جداولها المتعددة في مشرع واحد هو الحق والخير . وثانيا بذل السادة أساتذة الطب مجهودا شكره الله لهم فبينوا بوضوح ودقة ، وبلغة سمت في بعض الأحيان إلى قيمة عالية من وضوح التعبير والجمال الفني الرائع . ولم يظهر في أي لحظة من لحظات اللقاء ظاهرة تعصب أو محاولة لفرض الرأي أو التخلي عن القيم العليا في التعامل البشري كما هي سنة الدين الإسلامي . وقام السادة الفقهاء باستجلاء الجوانب البعيدة والخفية فكانت الأسئلة والاستيضاحات على تنوعها ودقتها وما بينها من ذكاء وفطنة تعبر هي الأخرى على آثار التربية العقلية الإسلامية في الجمع بين الدقة والاحتياط والورع والشجاعة في إصدار الحكم إذا ما تألقت الصورة وأشرقت وزالت الشبهة وهو المعنى الذي جاء عن الرسول ﷺ « تركتكم على المحجة البيضاء ليلها كنهارها » .

لقد أثمرت هذه الجهود في بحث قضية الحياة الإنسانية بدايتها ونهايتها كشفا عن وجهة النظر الإسلامية في قضايا عديدة تتفرع عن القضية الأم كان الطبيب المسلم يجد نفسه في حيرة عندما يواجهها إذ كان يقف ممزقا بين الإقدام والإحجام .

ولقد برز هذا بوضوح فيما بسطه السادة الأطباء الأساتذة في قضايا التكون الأولى للإنسان والصور العديدة التي تمرد فيها العلم على ساحة الواقع البشري ، وفي صور الإسعاف للإنسان حتى يكون الطبيب مطمئنا إلى أنه مستجيب لأمر ربه

وحكمة الحق ﴿ أنه من قتل نفساً بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعاً ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعاً ﴾ .

وإن ثمرة هذا اللقاء لتتجاوز حدود دولة الكويت إلى كل أنحاء العالم الإسلامي وإلى كل الذين يؤمنون بالقيم الإنسانية التي لا تجد مظهرا تتجلى فيه بكمال ووضوح كما تجده في المظهر الإسلامي . فتكون دولة الكويت لما تمخض عنه هذا اللقاء المبارك إن شاء الله تقدم عطاء آخر للأمة الإسلامية ولكافة شعوب الدنيا . وإن نجاح هذا اللقاء ليشجع رجال السياسة والحكم في البلاد الإسلامية على عرض مشاكل العالم الإسلامي وقضاياه الصحية والاقتصادية والاجتماعية والفكرية على المقياس الصحيح الذي لا يختلف ولا يختل مقياس شريعة الله ﴿ ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير ﴾ .

وهي بنجاحها دعوة عملية إلى جمع أهل الاختصاص وعلماء الشريعة الإسلامية في لقاءات يتوحد فيها السعي . والهدف هو رضوان الله بإعلاء كلمته وإظهار أحكامه ﴿ هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ﴾ .

والله أسأل في الختام أن يحفظ للكويت أمنه واستقراره وسلامته وتطوره . وأن يوحد قلوب المسلمين على الاعتصام بحبل الله المتين ، وأن يجزي كل من ساهم في هذا اللقاء بصرا بالحق واستقامة عليه وثوابا مضاعفاً بسعة الفضل فله الأمر من بعد ومن قبل .

« والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته » .

كتاب الدكتور
جورج منصور أبونا

حضرة الدكتور أحمد الجندي

أولا : أحب أن أقدم شكري الجزيل إلى المنظمة الإسلامية للعلوم الطبية لدعوتي لهذه الندوة الهامة حيث أنني تعملت فيها كثيرا من سادتي علماء الدين والفقهاء وكذلك من بعض زملائي الأطباء .

ثانيا : إنني آسف لعدم حضور الجلسة يوم أمس وذلك لضرورة وجودي في المستشفى للقيام بعملية طارئة لتحضير طفل صغير لعملية زرع النخاع العظمي خلال الأيام القادمة .

ظهرت لي بعض النقاط الهامة حول موضوع نهاية الحياة والتي أحب عرضها على سيادتكم وعلى لجنة الصياغة

أولا : إن الأطباء والفقهاء متفقون على أن الإنسان هو شخص حي وله روح أو نفس وهي التي تميزه عن الحيوانات والنباتات وإذا خرج الروح منه فلم يبق إنسانا واتفقوا أيضا بأن الإنسان بدون مخ سليم ليس إنسانا كاملا .

ثانيا : اختلف الأطباء والفقهاء (وذلك لعدم وجود الأدلة التي نفهما كبشر) في : أين مقر هذا الروح وما هي اللحظة التي تترك فيها الإنسان أي لحظة الموت ؟

قبل ٤ سنوات كان الجواب على هذا السؤال بسيطا حيث إن موت الإنسان كان يحصل في الوقت الذي يقف فيه القلب وفي نفس الوقت يقف فيه عمل المخ ولم يكن هنالك أي موضوع للجدال ولكن الآن وبواسطة التطورات الطبية والعلوم الحيوية أمكن تغذية القلب والرئة والأعضاء الأخرى بوسائل صناعية لمدة معينة أقصاها أسبوعان ولو أن المخ قد سبق وأن مات وفي نظري أن الإنسان كما نعرفه أيضا قد مات وهذه التطورات مع الأسف خلقت اختلافا في تحديد وقت الموت

بسبب الاختلاف في تحديد الموت ما هو ؟ هل هو وقوف القلب كما في التعريف الطبي القديم او وقوف عمل المخ كما في التعريف الجديد والذي يؤدي الى وقوف اعمال الاعضاء الأخرى اذا لم تجد الوسائل الصناعية ، وقد يصل الفرق في وقت الموت الى اسبوعين بسبب اختلاف التعريفات .

وقبل أن تسفر الندوة وسادتنا العلماء عن آرائهم أرجو الاخذ بعين الاعتبار النقاط التالية :

أولا : التقدم الطبي والعلمي يستطيع الآن أن يفسر أشياء خاصة بالموت والتي لم يمكن تفسيرها سابقاً وهذا التقدم أثبت بأن القلب والرئة ومعظم الأعضاء الأخرى يمكن الاستغناء عنها مؤقتاً أو دائماً بدون التأثير على حياة الإنسان كإنسان ولكنه لايمكن الاستغناء عن المخ لمدة أكثر من ٤ دقائق . إذن المخ هو الجزء الأساسي مثلا :

١ ـ القلب يقف لمدة عدة ساعات أثناء عمليات القلب المفتوح وطالما كان المخ سليما يعيش الإنسان بصورة طبيعية بعد انتهاء العملية ويتحرك القلب مرة أخرى .

٢ ـ القلب والكلى وكل الأعضاء الأخرى تنقل من شخص إلى آخر كل يوم ولكن هذا لايحصل بالنسبة للمخ .

٣ ـ هنالك إنسان (وليم شرورز) يعيش الآن حياة اعتيادية بدون قلب حيث أن قلبه قد بدل بقلب أو مضخة من البلاستيك .

وعليه فإن وجود نبض من القلب أو عدم وجوده لايكون سببا لتشخيص الموت في الوقت الحاضر .

ثانيا : أكد التقدم العلمي بأنه ممكن الآن تشخيص الموت بدقة كثيرة (أي موت المخ) ويمكن كذلك إعطاء الرأي الصحيح إذا كان هنالك أي أمل أم لا في شفاء مريض يعالج في وسائل صناعية بعد وقوف عمل مخه وهذا التشخيص عمل طبي وعلمي .

ثالثا : يجب أن نأخذ بعين الاعتبار بأن وجود شخص على هذه الوسائل الصناعية وليس له أي أمل في الشفاء يؤدي إلى تطويل العذاب له ولعائلته وازدياد العبء على المجتمع من الناحية الاقتصادية ويحرم إعطاء مثل هذا العلاج إلى مريض آخر له أمل في الشفاء .

رابعا : بالنظر للتطورات الطبية الحديثة يمكن الآن إنقاذ أناس من الموت بواسطة زرع أعضاء جديدة لهم تؤخذ من الموتى وهذا عمل خير كبير توصي به كل الأديان وهو أيضا ذو منفعة كبيرة للمجتمع . وكثير من الأعضاء المنفردة يجب أن تؤخذ من الموتى بعد الموت بدقائق قليلة وهذا يعني الموافقة على إمكانية إيقاف الوسائل الصناعية التي تغذي الشخص الذي لا شفاء له وذلك بعد موت مخه حسب الأدلة الطبية الثابتة لذا أود أن أقترح على لجنة التوصية إن أمكن الموافقة على النقطتين الآتيتين .

١ ــ إن تشخيص الموت هو أمر طبي يترك للأطباء المعالجين الذين ينبغي عليهم استعمال كل الوسائل العلمية الحديثة للقيام بهذا التشخيص .

٢ ــ إنه من المسموح أن توقف كل الوسائل الصناعية والعلاج إذا ثبت للأطباء كلجنة حكومية من ٣ أو ٤ أطباء يعينهم وزير الصحة في كل مستشفى بأن الشخص الذي يعالج بهذه الوسائل الصناعية ليس له أي أمل للشفاء (كما ذكره الشيخ يوسف القرضاوي أمس) .

وختاماً إنني معتقد بأن وجود توصية مثل هذه سيسهل أمور الموت والحياة للأطباء المؤمنين وكذلك ستكون هذه خدمة للمجتمع العربي بصورة عامة .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

الاستاذ الدكتور

جورج منصور أبونا

ـ الرئيس الدكتور عبد الرحمن عبد الله العوضي :

أنا بالنيابة عنكم جميعا أحب أن أشكر فضيلة الشيخ محمد المختار السلامي على هذه الكلمة الطيبة وعلى هذه الروحية .

هل من أحد يحب أن يسأل سؤالا قبل كلمة الشكر .

* الدكتور / أحمد القاضي :

إعزازا وإرضاء لله عندي اقتراح إذا كان يوافق عليه أعضاء الندوة إننا في التوصيات الخاصة ببداية الحياة نكتفي بالثلاثة الأولى منها ونحذف الرابعة ، لأننا غير مضطرين لكتابتها ، ولا أرى فيها تضاربا مع التوصية الثانية التوصية الرابعة أو البند الرابع يذكر أننا نؤكد ونتبنى ندوة الإجهاض « أو ندوة الإنجاب » وما صدر فيها من أحكام الإجهاض وأرى أن في ذلك شيئاً من التضارب مع البند الثاني والذي يقر باحترام الحمل المستقر ، ونحن فصلنا فيها وقبلنا المساومة فتخلينا عن كلمة حرمة وقبلنا كلمة احترام في منتجات أو توصيات الندوة السابقة ندوة الإنجاب فيها من الرأي ما يبيح لمن يريد أن يهدر الحمل المستقر في الأربعين يوما الأولى وفي نظري يتعارض مع الاحترام ، فأنا لا أنادي بأن ننقض ما صدر عن ندوة الإنجاب ولكن على الأقل نسكت عنه ، ولكن لا نحتاج للتطوع بأن نؤكد ونتبني ما فيه تضارب لما اتفقنا عليه من احترام للحمل المستقر ، وأرى أن كلمة احترام هي الحد الأدنى وما صدر في ندوة الإنجاب ما يتعارض ـ ما يتعارض مع الحد الأدنى فلنسكت عنه ـ يعني نروغ من أن ننقض ما كتبناه ، ولكن لا نتطوع بتبنيه والتأكيد عليه والتذكير به ولعله ينسى .

ـ الرئيس الدكتور / عبد الرحمن العوضي

نرجع للتصويت إذا كان من الممكن حصول إجماع أنا أعتقد منهجنا الإسلامي هو منهج الإجماع ويجب أن نجمع على الأمور وإلا لا نوافق على هذه الأمور .

***- الشيخ محمد المختار السلامي**

في الواقع أضم صوتي لفضيلة الدكتور القاضي لأنه في الواقع أنا ما عارضت حياء ، لأنني لا أعرف ما وقع في الندوة السابقة .

ـ الرئيس الدكتور / عبد الرحمن العوضي

على كل إذا أردتم وتتذكرون ما كنا قلناه في الندوة في رابعا تذكرون في بداية الحياة .

*** الدكتور / أحمد القاضي**

يود إضافة كلمة ثانية إذا وصلنا إلى احتمال فقدان مئات الآلاف أو ملايين من الأجنة التي تجهض في الأربعين يوما الأولى أعتقد أن الأمر لا يحتاج إلى حياء أو مجاملة أو حتى تأدب إذا وصلت إلى مسألة حياة أو موت ، ولذلك إذا كان هناك توجه لغالبية أعضاء الندوة يمكن يصل إلى ثمانين أو تسعين في المائة ، هذا ممكن يؤخذ على أنه إجماع أو اتفاق أو توجه ، ولا يمكن أن نفترض في أي حال من الأحوال أن يجمع مائة في المائة من الأفراد على أي رأي ما صحيحا كان أو خطأ .

ولذلك أنا فعلا مسألة المجاملة والحياء أحياناً تمنع الإنسان عن ذكر الأمر ولكن هي مسألة أمانة وأنا أرى بعيني وكثير من الأطباء يرون بأعينهم مئات الآلاف والملايين من الأجنة التي تذهب في الأربعين يوما الأول وبعضها فيه الروح .

*** الدكتور / أحمد شوقي ابراهيم :**

بعضها ليس فيه الروح ونعترض ـ ليس فيها روح نعترض اتق الله ـ

ـ الرئيس الدكتور / عبد الرحمن العوضي

الآن إذا كنا موافقين هناك ثلاثة أشياء اتفقنا عليها وقلنا بعد ما تنفخ الروح

تعاظمت حرمته وترتب بعدها أحكام شرعية أخرى ، وقلنا من هذه الأحكام ما ورد في ندوة الإجهاض بعض الإخوان يقولون ما حضرنا هـذه الندوة مـا نحب نؤكدها اترك الموضوع أنا أعتقد إنه قد يكون هناك ممن حضروا هذه الندوة السابقة ووافقوا على ما ورد فيها من توصيات .

ـ أحد يقرأ التوصيات من كتاب ندوة الإنجاب . .

* قرئت التوصية ونصها :

« خلصت الندوة إلى أن الجنين حي من بداية الحمل ، وأن حياته محترمة في كافة أدوارها خاصة بعد نفخ الروح ، وأنه لايجوز العدوان عليها بـالإسقاط إلا للضرورة الطبية القصوى .

وخالف بعض المشاركين فرأى جوازه قبل تمام الأربعين يوما وخاصة عند وجود الأعذار » .

[(الانجاب في ضوء الاسلام ، ص ٣٥١)] .

*** الدكتور / عصام الشربيني :**

بدل أن نشير إلى إننا نتبنى آراء اللجنة السابقة نشير إلى الإحالة إلى اللجنة السابقة أو نستأنس بآراء الندوة السابقة .

ـ الرئيس الدكتور / عبد الرحمن عبد الله العوضي :

نقول أنا أعتقد مثل ما تفضل الأخ الدكتور .

* الدكتور / خالد المذكور :

أنا أريد أن أقول بعد الكلمة الختامية التي تفضل بها الشيخ مختار السلامي كنا نتمنى أن ننفض ولا نعيد النقاش مرة أخرى وحتى لا نعيد التوصية والتي قعدنا فيها حوالي أكثر من أربع ساعات ، وخلصنا منها ، فلما نأتي إلى هنا ـ والدكتور أحمد القاضي كذلك والدكتور حسان حتحوت من لجنة الصياغة وهم متفقون معنا على هذا فكيف يعاد النقاش مرة أخرى ويطلب تصويت الرأي كذلك . فأقول نكتفي بما تم بإذن الله تعالى إن شاء الله وإذا كان هناك أشياء تبحث إن شاء الله في ندوات قادمة بإذنه تعالى .

— الرئيس الدكتور / عبد الرحمن عبد الله العوضي

إذا كان الخلاف على كلمة (والتي تؤكد هذه الندوة تبنيها) نقدر نحذف هذه الجملة ويصير من أهم تلك الأحكام ـ أحكام الإجهاض التي وردت في الفقرة السابعة من التوصيات إذا تحبون أرجو أن نجتمع في هذه الندوت لكي نفتح أمام عيوننا المجالات .

أرجو أن لا نأتي لكي نختلف لأننا إذا اختلفنا لن نتفق والإسلام مهما كان لابد علينا نحن مجبوين أن نعمل بأحكام الشريعة كما نفهمها .

* الشيخ بدر المتولي :

يا سيادة الوزير اختلاف الرأي لا يفسد للود قضية

* الرئيس الدكتور / عبد الرحمن العوضي :

ما في شك

* الشيخ بدر المتولي :

الحقيقة قد نختلف واختلف من هو خير منا مادام الاختلاف مبنيا على اجتهاد له أدلته واتجاهاته قد يكون فيه رحمة .

ـ الرئيس الدكتور / عبد الرحمن العوضي :

ما كنا نختلف إنما في الندوة نتفق على أمور محددة فنرجو أن تكون على هذا الشيء ونخلص مثل ما تفضل الدكتور . فأرجو أن لا نفتح باب النقاش ونحذف (الذي تؤكد عليه هذه الندوة تبنيها) ـ وفقط نقول هذه هي الأحكام المهمة المتعلقة بالإجهاض كما ورد في ندوة الإجهاض ـ فيحتكم إليها من يريد ويحتفظ أمامها من يريد وأعتقد أرجو أن ننتهي إلى هذا الشيء .

على كل في ختام هذه الندوة ما أحب أن أضيف على ما تفضل به الأخ الشيخ محمد مختار السلامي وأعتقد قد عبر عن مشاعرنا كلنا ، وعن الكلام الذي قاله فعلا ، عبر عن صدق الإيمان في قلوب كل من هو موجود في هذه القاعة . وأتمنى إن شاء الله دائما أن نوفق ونعدكم بإذن الله أن المنظمة الإسلامية ستحاول أن تسير في هذا المنهج وتحاول أن تقرب وجهات النظر ، وتحاول أن تجمع الأساتذة الأفاضل من المدارس والمشارب المختلفة حتى نتفق على رؤية واضحة إن شاء الله لأمور ديننا تحت أحكام شريعتنا التي يجب مهما كانت الظروف ألا نقبل أي شيء بديلا عنها وأحب أن أؤكد لكم إن شاء الله نحن في الكويت مؤمنون بهذا الاتجاه وأتمنى إن شاء الله لكم كل توفيق وأشكركم مرة أخرى لحضوركم وأتمنى دائما أن تكون ندواتنا ولقاءاتنا بهذه الروحية والمحبة والمودة وأتمنى لكم إن شاء الله كل توفيق والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

التوصيات

التوصيات

بسم الله الرحمن الرحيم

بحمد الله ورعايته عقدت المنظمة الإسلامية للعلوم الطبية بالاشتراك مع وزارة الصحة بدولة الكويت ندوتها الثانية من سلسلة ندواتها حول (الإسلام والمشكلات الطبية المعاصرة)، وذلك تحت عنوان « الحياة الإنسانية : بدايتها ونهايتها في المفهوم الإسلامي » . في الفترة ما بين ٢٤ ـ ٢٦ ربيع الآخر ١٤٠٥هـ التي توافقها الفترة من ١٥ ـ ١٧ يناير ١٩٨٥م بفندق هيلتون بدولة الكويت .

وقد كان ذلك استجابة للشعور العام بأن مشكلات العصر قد تعقدت فلم تعد الإحاطة بها في وسع المجتهد الواحد ، فلزم أن تحشد لها جهود علماء المسلمين المتخصصين مع جهود الفقهاء حتى يكفل للرأي الشرعي أن يبنى على إحاطة وافية بالموضوع المطروح .

وقد دعي إلى الندوة نخبة من الفقهاء والأطباء ورجال القانون والعلوم الإنسانية ، وخصص اليوم الأول لبحث موضوع بدء الحياة ، واليوم الثاني لبحث موضوع نهايتها ، بينما انعقدت لجنة الصياغة في صبح اليوم الثالث لتصوغ حصيلة ما اتجهت إليه المداولات .

وبعد تدارس ما تم عرضه في جلسات الندوة . وما قدمه مقررو الجلسات من مذكرات وما تقدم به ـ كتابة ـ بعض المشاركين في الندوة من اقتراحات. . وافقت الندوة على ما يلي :ـ

أولا : بداية الحياة

بداية الحياة تكون منذ التحام حيوان منوي ببويضة ليكوّنا البويضة الملقحة التي تحتوي الحقيبة الوراثية الكاملة للجنس البشري عامة وللكائن الفرد بذاته المتميز عن كل كائن آخر - على مدى الأزمنة - وتشرع في الانقسام لتعطي الجنين النامي المتطور المتجه خلال مراحل الحمل إلى الميلاد .

ثانيا : منذ يستقر الحمل في بدن المرأة فله احترام متفق عليه ويترتب عليه أحكام شرعية معلومة .

ثالثا : إذا بلغ الجنين مرحلة نفخ الروح (على خلاف في توقيته فإما مائة وعشرون يوما وإما أربعون يوما) تعاظمت حرمته باتفاق وترتبت على ذلك أحكام شرعية أخرى .

رابعا : من أهم تلك الأحكام أحكام الإجهاض التي وردت في الفقرة السابعة من توصيات « ندوة الإنجاب في ضوء الإسلام » .

ثانيا : نهاية الحياة

أولا : رأت الندوة أنه في أكثر الأحوال عندما يقع الموت فلا تقوم صعوبة في معرفته استنادا إلى ما تعارف عليه الناس من أمارات، أو اعتمادا على الكشف الطبي الظاهري الذي يستبين غياب العلامات التي تميز الحيّ من الميت .

ثانيا : تبين للندوة أن هناك حالات قليلة العدد، وهي عادة تكون تحت ملاحظة طبية شاملة ودقيقة في المستشفيات والمراكز الطبية المتخصصة ووحدات العناية المركزة ، تكتسب أهميتها الخاصة من وجود الحاجة الماسة إلى تشخيص الوفاة فيها، ولو بقيت في الجسم علامات تعارف الناس من قديم على أنها من علامات

الحياة ، سواء أكانت هذه العلامات تلقائية في بعض أعضاء الجسم أم كانت أثرا من آثار أجهزة الإنعاش الموصولة بالجسم .

ثالثا : وقد تدارست الندوة ما ورد في كتب التراث الفقهي من الأمارات التي تدل على الموت واتضح لها أنه في غيبة نصٍ شرعي يحدد الموت تمثل هذه الاجتهادات ما توفر آنذاك من معرفة طبية . ونظرا لأن تشخيص الموت والعلامات الدالة عليه كان على الدوام أمرا طبيا يبني بمقتضاه الفقهاء أحكامهم الشرعية ، فقد عرض الأطباء في الندوة الرأي الطبي المعاصر فيما يختص بحدوث الموت .

رابعا : وضح للندوة بعد ما عرضه الأطباء :

أن المعتمد عليه عندهم في تشخيص موت الإنسان ، هو خمود منطقة المخ المنوطة بها الوظائف الحياتية الأساسية ، وهو ما يعبر عنه بموت جذع المخ .

إن تشخيص موت جذع المخ له شروطه الواضحة بعد استبعاد حالات بعينها قد تكون فيها شبهة ، وإن في وسع الأطباء إصدار تشخيص مستقر يطمأن إليه بموت جذع المخ .

إن أيا من الأعضاء أو الوظائف الرئيسية الأخرى كالقلب والتنفس قد يتوقف مؤقتا ، ولكن يمكن إسعافه واستنقاذ عدد من المرضى ما دام جذع المخ حيا . . . أما إن كان جذع المخ قد مات فلا أمل في إنقاذه وإنما يكون المريض قد انتهت حياته ، ولو ظلت في أجهزة أخرى من الجسم بقية من حركة أو وظيفة هي بلا شك بعد موت جذع المخ صائرة إلى توقف وخمود تام .

خامسا : اتجه رأي الفقهاء تأسيسا على هذا العرض من الأطباء ، إلى أن الإنسان الذي يصل إلى مرحلة مستيقنة هي موت جذع المخ يعتبر قد استدبر الحياة ، وأصبح صالحا لأن تجرى عليه بعض أحكام الموت ، قياسا ـ مع فارق معروف ـ على ما ورد في الفقه خاصا بالمصاب الذي وصل إلى حركة المذبوح .

أما تطبيق بقية أحكام الموت عليه فقد اتجه الفقهاء الحاضرون إلى تأجيله حتى تتوقف الأجهزة الرئيسية .

وتوصي الندوة بأن تجرى دراسة تفصيلية أخرى لتحديد ما يعجل وما يؤجل من الأحكام .

سادسا : بناء على ما تقدم اتفق الرأي على أنه إذا تحقق موت جذع المخ بتقرير لجنة طبية مختصة جاز حينئذ إيقاف أجهزة الإنعاش الصناعية .

أسماء المشاركين في الندوة

بسم الله الرحمن الرحيم

أسماء المشاركين في الندوة

الرقم	الأســـــم	الوظيفــــة
١	الشيخ / ابراهيم الدسوقي	وزير الاوقاف السابق بجمهورية مصر العربية .
٢	الدكتور / أحمد أبو الفضل	طبيب بمركز الطب الإسلامي
٣	الدكتور / أحمد الشطي	طبيب بوزارة الصحة العامة
٤	الدكتور / أحمد الغندور	استاذ بكلية الشريعة والدراسات الإسلامية .
٥	الدكتور / احمد القاضي	جراح القلب باميريكا .
٦	الدكتور / أحمد شرف الدين	استاذ مساعد بكلية الحقوق . بجامعة الكويت .
٧	الدكتور / أحمد شوقي ابراهيم	مستشار أمراض باطنية بمستشفى الصباح .
٨	الدكتور / أحمد فؤاد خليل	رئيس قسم الأطفال بمستشفى الفروانية .
٩	الدكتور / أحمد نعيم	مدير ادارة الخدمات الفنية المركزية .
١٠	الشيخ / المختار السلامي	مفتي الجمهورية التونسية .
١١	الشيخ / بدر المتولي عبد الباسط	أمين عام الموسوعة الفقهية بوزارة الأوقاف
١٢	الدكتور / توفيق التميمي	عميد كلية الطلب والعلوم الطبية بجامعة الملك فيصل بالمملكة العربية السعودية .

الرقم	الأســــم	الوظيفــــة
١٣	الدكتور / توفيق الواعي	مدرس بكلية الشريعة والدراسات الإسلامية ـ جامعة الكويت .
١٤	الدكتور / جمال حسني	مستشار بمستشفى الرازي .
١٥	الدكتور / جورج أبونا	رئيس قسم زراعة الأعضاء بمستشفى مبارك الكبير .
١٦	الشيخ / حاى أحمد الحاي	وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية .
١٧	الدكتور / حسان حتحوت	أستاذ أمراض النساء والولادة بكلية الطب جامعة الكويت .
١٨	الدكتور / حسن الشاذلي	عميد كلية الشريعة والدراسات الاسلامية .
١٩	الدكتور / حسين المؤمن	رئيس قسم الصحة المدرسية .
٢٠	الدكتور / خالد المذكور	أستاذ بكلية الشريعة والدراسات الإسلامية .
٢١	الشيخ / راشد الحماد	مستشار بمحكمة الاستئناف .
٢٢	الشيخ / زكي الدين شعبان	أستاذ بكلية الشريعة والدراسات الإسلامية .
٢٣	الدكتور / سامي مطر	مدير ادارة الخدمات الطبية الخارجية ومدير منطقة الفروانية الطبية .
٢٤	الدكتور / شهاب احمد شهاب	طبيب م . الأمراض السارية
٢٥	الشيخ / صالح موسى شرف	عضو هيئة كبار العلماء وعضو مجمع البحوث الاسلامية وعضو مجلس جامعة الأزهر واستاذ الدراسات العليا بها
٢٦	الدكتور / صديقه العوضي	مديرة مركز الوراثة ـ وزارة الصحة

الرقم	الأســـــم	الوظيفـــــة
٢٧	الدكتور / صلاح الددح	طبيب بقسم زراعة الكلى
٢٨	الدكتور / صلاح العتيقي	مدير منطقة العدان الصحية
٢٩	الدكتور / طارق العبد الجادر	وكيل الوزارة المساعد للشئون الفنية .
٣٠	الدكتور / طلعت القصبي	رئيس وحدة بمستشفى الولادة .
٣١	الدكتور / عادل التوحيد	طبيب ـ وزارة الصحة . الكويت
٣٢	الدكتور / عارف خليل أبو عيد	كلية الشريعة والدراسات الإسلامية .
٣٣	الدكتور / عبد الحافظ حلمي	أستاذ بقسم الحيوان بكلية العلوم جامعة الكويت .
٣٤	الدكتور / عبد الرحمن السميط	طبيب بمستشفى . الصباح .
٣٥	الشيخ / عبد الخالق عبد الرحمن	مدرس أول تربية دينية ـ وزارة التربية
٣٦	الدكتور / عبد الرزاق البحر	مدير منطقة وسط المدينة الطبية .
٣٧	الدكتور / عبد الرزاق السامرائي	طبيب بمستشفى إبن سينا .
٣٨	الدكتور / عبد الستار أو غده	مقرر الموسوعة الفقهية بوزارة الأوقاف .
٣٩	الدكتور / عبد العزيز خلف	مدير منطقة الجهراء الطبية .
٤٠	الدكتور / عبد العزيز كامل	مستشار بالديوان الأميري
٤١	الدكتور / عبد الفتاح عثمان	أستاذ بقسم الخدمة الإجتماعية جامعة الكويت .
٤٢	الشيخ / عبد القادر العماري	قاضي بالمحكمة الأولى بقطر
٤٣	الدكتور / عبد الله العيسى	نائب رئيس محكمة الاستئناف
٤٤	الدكتور / عبد الله باسلامه	أستاذ رئيس قسم الأمراض النساء والولادة بكلية الطب / جدة .
٤٥	الدكتور/ عبد الله بن عبد المحسن التركي	مدير جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية / الرياض .

الرقم	الأســــــم	الوظيفـــــــة
٤٦	الدكتور / عبد الله محمد عبد الله	مستشار بمحكمة الاستئناف - الكويت
٤٧	الدكتور / عبد المحسن خليل	رئيس المجلس الطبي العام - وزارة الصحة .
٤٨	الدكتور / عبد المهيمن بكر سالم	أستاذ ورئيس قسم القانون الجنائي بكلية الحقوق / جامعة الكويت .
٤٩	الدكتور / عبد الهادي أبو ريده	أستاذ بقسم الفلسفة بكلية الآداب . - جامعة الكويت .
٥٠	الدكتور / عجيل النشمي	أستاذ بكلية الشريعة والدراسات الإسلامية .
٥١	الدكتور / عصام الشربيني	مستشار امراض باطنية مستشفى الصباح .
٥٢	الدكتور / علي التنير	مدير مستشفى الولادة .
٥٣	الدكتور / علي السيف	مدير ادارة العلاقات الصحية الدولية وأمين عام المنظمة الإسلامية للعلوم الطبية .
٥٤	الشيخ / علي عبد الوهاب المطوع	رئيس جمعية الاصلاح الاجتماعي .
٥٥	الدكتور / عمر الأشقر	أستاذ بكلية الشريعة والدراسات الإسلامية .
٥٦	الدكتور / عنيزي العنيزي	رئيس مختبر الهرمونات مستشفى الصباح .
٥٧	المستشار / فؤاد توفيق	مستشار - وزارة الصحة العامة .
٥٨	الدكتوره / كافيه رمضان	استاذة بكلية الآداب جامعة الكويت .
٥٩	الدكتور / كمال الزناتي	المدير الفني لمكتب سعادة وزير الصحة
٦٠	الدكتوره / ليلى الدوسري	رئيسة قسم رعاية الأمومة والطفولة .

الرقم	الاســـــم	الوظيفــــــة
٦١	الدكتور / مأمون الحاج ابراهيم	رئيس وحدة م . الولادة .
٦٢	الدكتور / محمد الاشقر	باحث بالموسوعة الفقهية .
٦٣	الدكتور / محمد عثمان شبير	كلية الشريعة والدراسات الإسلامية .
٦٤	المستشار / محمد فاروق توفيق	مستشار بوزارة العدل .
٦٥	الدكتور / محمد فخر الاسلام	استاذ ورئيس قسم الطب النفسي بكلية الطب بجامعة الكويت .
٦٦	الدكتور / محمد فوزي فيض الله	أستاذ بكلية الشريعة والدراسات الإسلامية بجامعة الكويت .
٦٧	السيد / محمد ناصر الحمضان	وكيل وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية .
٦٨	الدكتور / محمد نعيم ياسين	أستاذ بكلية الشريعة والدراسات الإسلامية .
٦٩	الدكتور / محمود البوز	رئيس قسم جراحة العظام م . الفروانية .
٧٠	الدكتور / محي الدين سليم	رئيس قسم الأمراض الجلدية م . الصباح .
٧١	الدكتور / مختار المهدي	رئيس قسم جراحة الأعصاب م . ابن سينا .
٧٢	الدكتور / مصطفى صبري	استاذ بكلية الالاهيات بمرمره اسطنبول ـ تركيا .
٧٣	الدكتور / نصر أحمد نصر	نائب رئيس قسم الصحة المدرسية .
٧٤	الشيخ / يوسف الحجي	وزير الأوقاف السابق .
٧٥	الدكتور/ يوسف القرضاوي	عميد كلية الشريعة / جامعة قطر .
٧٦	الدكتور / يونس مفتو	استاذ بكلية طب حاجت تبه بتركيا سابقا . ووكيل ووزارة الصحة بتركيا .

محتويات الكتاب

الجـزء الأول

بداية الحياة الإنسانية في المفهوم الإسلامي

أولا: الأبحاث الطبية

ثانيًا : الأبحاث الفقهية

ثالثًا : مناقشات بداية الحياة الإنسانية

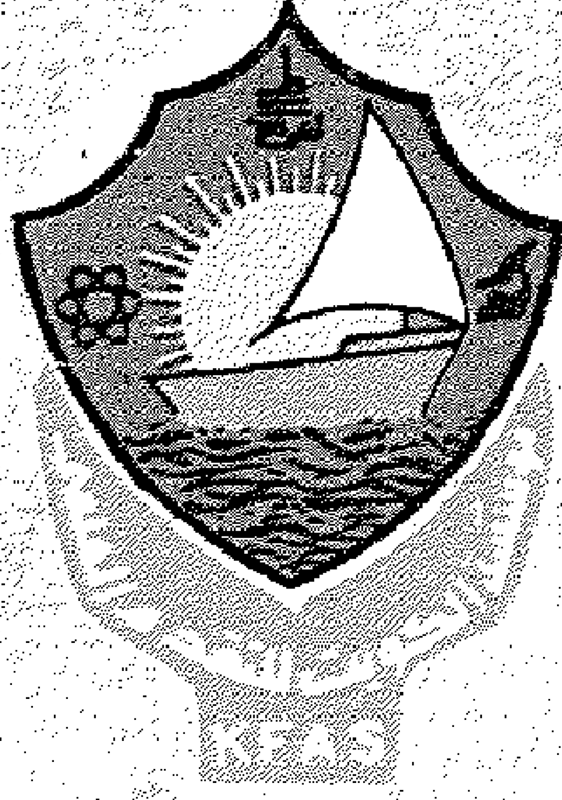
الجــزء الثاني
نهاية الحياة الانسانية في المفهوم الاسلامي
أولا : الأبحاث الطبية

ثانيا : الأبحاث الفقهية

ثالثاً: مناقشات نهاية الحياة الإنسانية

الجزء الثالث
التوصيات، ومناقشتها

مطابع القبس التجارية



تم طبع هذا الكتاب بدعم مالي من مؤسسة الكويت للتقدم العلمي.

